

1436هـ - 2015 م

مؤسسة التحايا للإعلام

قسم التفريغ

تفريغ

شرح كتاب

حرب المستضعفين

للشيخ/ أبي مصعب السوري

مؤسسة التحايا للإعلام تقدم:

تفريغ السلسلة الصوتية:

شرح كتاب [حرب المستضعفين] لروبرت تابر

للأستاذ:

أبي مصعب السوري

–فك الله أسره–

تم نشر هذا التفريغ في:

ذو القعدة ١٤٣٦ – سبتمبر ٢٠١٥م

منهاجية التفريغ:

- تغيير صياغة كثير من الجمل العامية، وتحويلها للفصحى، مناسبةً لأسلوب الكتابة، مع ترك بعض الحكايات بالعامية نظرا لطرافتها.
- تصحيح الأخطاء النحوية في كلام الشيخ، ووضع علامات الترقيم المناسبة.
- التصرف في بعض الجمل بالتقديم والتأخير، وربما حذف الكلام الذي يضرب الشيخ عن ذكره ولا يكمله لعدم فائدته، كأن يبدأ جملة ما، ثم يتركها تماما وينتقل لغيرها، فأقوم بحذف الأولى، وهذا نادر.
- الشريط السادس والثلاثون هو تكرار وإعادة للشريط الثالث والثلاثين، فتم حذفه.
- تركت الأسئلة وإجابات الشيخ عليها في أماكنها من المحاضرات ولم أنقلها لمكان آخر، ولم أحذف المكرر من الإجابات.
- علامة (=) هي علامة ترقيم، استحدثها العلامة الشيخ محمود شاكر، وتوضع بين فعل الشرط وجوابه، أو المبتدأ والخبر وكذلك الفعل والفاعل إن طال الفصل.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

نبتدئ الآن الدرس الأول من حرب العصابات، ونبتدئ بشرح كتاب "حرب المستضعفين" لروبرت تابر، والكتاب من ترجمات المؤسسة العربية للدراسات والنشر تعريب: محمود سيد رصاص ومقدم من هيثم الأيوبي.

وعلى ذكر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، فهي مؤسسة جديرة بأن تشترى معظم كتبها، تجد كثيرا جدا من الكتب العربية وخاصة في مجالات الأمن والاستخبارات والعسكرية، خاصة وهم متعاقدون مع مجموعة من الضباط ومجموعة من المترجمين الاختصاصيين في مجالاتهم، فكتبهم جديرة بالشراء، عندنا ربما ثلاثين أو أربعين كتابا لهم.

فكتاب "حرب المستضعفين" كما ذكرت البارحة هو من أهم كتب حرب العصابات الموجودة، ومعظمها مترجم، تقريبا لم أعثر على كتاب في حرب العصابات باللغة العربية جدير بالقراءة، كلها مترجم، فهذا الكتاب تكمن أهميته في أن كاتبه أمريكي وضعه كدراسة للحكومة الأمريكية من أجل مكافحة حروب العصابات.

والعجيب أنه مؤلف في سنة ١٩٦٥، أي مضى على تأليف الكتاب الآن أكثر من ٣٠ سنة، فبإمكانك أن تتصور مجموعة الدراسات المتطورة التي لم تترجم، وكذلك التي لم توضع لمكافحة حرب العصابات، وكما سيتضح من المقدمة فإن الكاتب ذكر أنه في سنة ١٩٦٥ كان هناك أكثر من ٢٠ حرب عصابات مشتعلة في العالم، معظمها ضد المصالح الأمريكية –مثل حرب فيتنام وحروب في أفريقيا كانت فعلا مؤثرة على المصالح الصليبية للولايات المتحدة–، وأن حرب العصابات أصبحت الشغل الشاغل لأمريكا والبنتاجون.

سنبدأ في القراءة ثم نتوقف عند كل ملاحظة ونعلق عليها، فإذا عَنّ لأحدكم سؤال أو أراد إضافة فكرة مفيدة لنا فليكتبها عنده في الهامش تحت، ولما ننتهي ونبدأ المداولة يستطيع حينها أن يعرض ما لديه.

الفصل الأول

حول حرب العصابات والحرب المضادة

"ريح الثورة – الإرادة الشعبية هي مفتاح الاستراتيجية –

المواجهة بين المالكين والمعديمن – أوهام الانتفاضة المضادة –

حرب العصابات كامتداد للسياسة – الثغرات في درع الدول

الحديثة"

(لقد تجمع أكبر أسطول من الهليكوبتر في التاريخ – ثمان وسبعون طائرة هليكوبتر مسلحة بالصواريخ والرشاشات، وألف من مشاة الاقتحام – فوق قطاع بن كات الذي يسيطر عليه الشيوعيون. وكان يدعم هذا الاسطول أربعة آلاف من القوات الخاصة (رانجرز) والمجموعات المضادة لحرب العصابات. وكان على هذه القوات أن تحاصر قوة أكبر قوة من الثوار الفيتناميين، تضم ١٥٠٠ – ٢٠٠٠ رجل، كانوا قد هزموا قبل أسبوعين أربع كتائب حكومية في كمين تام الإحكام).

(وكان سر هذه العملية أقل الأسرار كتماناً خلال هذه الحرب. ففي سايغون، أنذر ضباط الاستخبارات المصورين من قبل عدة أيام، والنتيجة: أنه عندما وصلت القوات إلى القطاع كان معظم الثوار قد غادروه).

(التايم ٢١ آب ١٩٦٤)

࿇࿇࿇

(انتشرت سريتان من الكوماندوس الفيتناميين الجنوبيين في حقل من الأعشاب الطويلة على بعد أربعين كيلومتراً شمالي سايغون. وكان مهمة هاتين السريتين، تخليص مركز هاجمه رجال العصابات الشيوعيون. وتقدم الجنود بحذر وتوقفوا لاستراحة قصيرة في غابة من أشجار المطاط، ثم اندفعوا إلى حقل مكشوف، وتوجهوا نحو مجموعة من الأكواخ على بعد أربعمائة متر).

(وفجأة انطلقت أصوات أسلحة آلية، فسقط رجال وتفرق آخرون. وانبطح الملازم وليام ريختر، المستشار العسكري الأمريكي، وعندما رفع رأسه رأى الثوار الفيتناميين النظاميين بثيابهم الخضراء يتقدمون لإكمال المجزرة. فوقف على قدميه محاولاً إيجاد ملجأ، فتلقاه ثوار آخرون تحت نيرانهم المتقاطعة، فأصيب في فخذه وسقط، لكنه استطاع متابعة الزحف حتى الدغل. ولقد ساعده الناجون لمدة ستة ساعات، وأخذ يجر نفسه حتى وصل إلى قاعدته في بنه مي ولقد حالفه الحظ إذ مات خمسون من رجال الكوماندوس الحكوميين.

(وفي المعسكر قال الملازم: لقد تركونا ندخل إلى المصيدة، وأغلقوا بابها وراءنا، ثم قاموا بمجزرتهم، وقد تركناهم يفعلون ذلك بدون حذر).

(وقد عقب على ذلك أحد الضباط العظام الأمريكيين بقوله: " إنها القصة ذاتها دوماً ". وذلك حقاً ما يدور في فيتنام يومياً، مع تغيرات في التفاصيل والشدة. مراكز عسكرية تُقتحم، وموظفون يتعرضون للاغتيال، وقرى تحرق. هناك حقيقة حزينة لا بد من ملاحظتها: إن الشيوعيين أدنى مرتبة في التسليح والفعالية، لكنهم يهزمون الجيش الفيتنامي الجنوبي المؤلف من أربعمائة ألف رجل، والذي يدعمه ويقوده سبعة عشر ألفاً من المستشارين الأمريكيين، والذي يتلقى عوناً يومياً من الولايات المتحدة الأمريكية يصل إلى مليوني دولار.

ستانلي كرنوف: (عدونا)

ساتردي ايفننغ بوست ٢٢ آب ١٩٦٤

يقول: [**تلك هي حرب العصابات: حرب المغاورين التي خاضها الأنصار الأسبان ضد جيوش نابليون** –خاصة في مناطق جبال الشمال-، **والتي أصبحت في زمننا هذا (شبه علم) سياسي عسكري** –حرب العصابات مادة سياسية عسكرية وليست عسكرية محضة-، (**ونظرية اجتماعية ماركسية – لينينية، وابتكاراً تكتيكياً في الوقت نفسه**)].

أقول: هذا الكلام خطأ:

أما نسبة حرب العصابات إلى الشيوعيين فهذا خطأ، لأن حرب العصابات مورست من قديم الزمان، ومارسها كل القبائل، ومارسها كل الضعفاء الذين يفتقرون إلى العدد والعدة على مدى التاريخ، خاصة ضد الجيوش النظامية، وضد الممالك المستقرة، والمواقع المحصنة، ولكن لأنه في الستينات معظم حروب العصابات التي شنت ضد مصالح القوات الأمريكية كانت بإدارة أو بتأييد من الشيوعيين؛ فغلب عليها أن حرب العصابات هي نظرية شيوعية.

بالإضافة إلى أنه كاعتراف تاريخي علمي أن الشيوعيين –وخاصة في كوبا وفيتنام والصين- هم الذين طوروا فعليا مؤلفات حرب العصابات، ووضعوا النظرية موضع التطبيق، ومعظم حروب العصابات التي دارت في أفريقيا كانت مدعومة من الاتحاد السوفييتي ومن كوبا، وبالتالي ساهموا في تطويرها.

فعمليا هم احتكروا هذا العلم، ولذلك نسبت إليهم، وقال المؤلف أنها نظرية اجتماعية ماركسية لينينية، فمن الناحية العسكرية هي أسلوب قديم، أما صيغتها المعاصرة ففعلا طورها الشيوعيون.

وتجد معظم كتب حرب العصابات المترجمة الجيدة الجديرة بالدراسة هي للشيوعيين فعلا.

يقول: [**لقد بدلّت علاقات القوى في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية**].

أقول: لأنها ضربت الميزان العسكري، فقد كانت كل القواعد العسكرية تأخذ بعين الاعتبار قوانين المواجهة، والمناسبة بين المعدات والعدد والقوى الاقتصادية للطرفين، فضربت نظرية حرب العصابات كل هذه الموازنات.

ولأن معظم حرب العصابات بدأت فعلا بعد الحرب العالمية الثانية:

١- إما على شكل ثورات على المستعمر الغربي –وهي معظمها-.
٢- وإما على شكل ثورات على حكومات ديكتاتورية مدعومة عمليا بالقوات الأجنبية، كما هو الحال في فيتنام لما كانت حكومة سايجون مدعومة من القوات الأمريكية.

ففي الخمسنات والستينات ظهرت نظرية أو أسلوب حرب العصابات فبدلت موازين القوى.

يقول: [**وهي في طريقها إلى تدمير مفاهيم أركان حرب الدول الغربية**].

قلنا لأنها أسلوب مبتكر، ولم تستطع الجيوش الحالية إلى الآن أن تكيف نفسها بحيث تواجه حروب العصابات، لأن الجيوش مضطرة إلى أساليب الإمداد اللوجيستي وأساليب الاستقرار والمؤن الطويلة، والأساليب البيروقراطية في المكاتب والتموين والتخزين ونقل الجنود.. إلخ وهذه كلها مقاتل ونقاط ضعف بالنسبة لحرب العصابات، فلم يستطيعوا أن يكيفوا طريقة لمقاومتها كما سيشرح.

ولذلك قال: [**وهي في طريقها إلى تدمير مفاهيم أركان حرب الدول الغربية، والتي أصبح همها الرئيسي، والذي يتزايد يوماً بعد يوم، أن تفهمه وتكافحه وتحاربه**].

أقول هنا: اعترفوا هم أخيرا بعد مرور ثلاثين سنة أن عملية مكافحة حرب العصابات فشلت، ولم يستطيعوا أن يكيفوا طريقة لمكافحة حرب العصابات على الصعيد العسكري، اللهم إلا في السنوات

الأخيرة، حيث تمكنوا أن يقهروا أكثر من حرب عصابات –وهذا سنشرحه فيما بعد– عن طريق الاستخبارات، واختراق حروب العصابات من الداخل، ومكافحتها عن طريق التجسس.

أما في الميدان العسكري كمقاومة لحروب العصابات؛ فلم تستطع الدول الغربية أن تكيف نظاما لمكافحتها.

يقول: [**لقد أصبحت حرب العصابات الظاهرة السياسية لمنتصف القرن العشرين، كما أنها الريح المرئية للثورة التي تحمل الأمل والخوف إلى قارات ثلاث**].

كلام مفهوم، تحمل الأمل للضعفاء الذين يمارسونها، وتحمل الخوف للقوى التي تتعرض مصالحها للحرب.

[**وفي اللحظة التي نحرر فيها هذا الكتاب (١٩٦٥)، نراها قائمة في حوالي عشرين بلداً، من انغولا إلى العراق، ومن الأدغال الكونغولية إلى الأكواخ في ضواحي كراكاس** –في أمريكا اللاتينية– **لقد أصبحت الهم الرئيسي للبنتاغون، ولوكالة الاستخبارات المركزية، ولمجلس الأمن القومي في البيت الأبيض. وهي تتخذ شكلاً يائساً غالباً ما يكون صامتاً في نصق كرتنا، في غواتيمالا وفنزويلا وكولومبيا، وتهدد بالانتقال إلى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، وتؤثر بدون شك على فكر المناضلين السود من هارلم حتى أعماق الجنوب (الأمريكي)، كما يبرهن على ذلك استعمال (كوكتيل مولوتوف)، الذي أصبح سائداً في شوارعنا**].

وهذا من الأمور التي يجب أن نلفت النظر إليها، مجتمع الولايات المتحدة نفسه داخليا مهدد فعلا بأكثر من حرب عصابات، نتيجة للتفاوت الطبقي، فالإحصائيات تثبت أن سكان الولايات المتحدة تعدادهم تقريبا ٣٠٠ مليون، لا يقل عن ٢٠% منهم يعيشون تحت خط الفقر أصلا، ناهيك عن التمييز العنصري،

ناهيك عن تفشي الأمية، قرأت تقريرا أن هناك ٢٥ مليونا في الولايات المتحدة لا يقرأ ولا يكتب، فهذا التفاوت بين الناس يهدد بأن يقوم المستضعفون والفقراء والطبقات الاجتماعية المسحوقة بشن حرب على الحكومة المركزية، وقد بدأنا نسمع أخبارا مثل أحداث أوكلاهوما الأخيرة وغيرها.

فهناك تطلعات لبعض الولايات أن تستقل عن الحكومة الفيدرالية المركزية، وهناك ضغوط اجتماعية ترفض السياسات الداخلية والخارجية للولايات المتحدة، ولانتشار السلاح، ولطبيعة المجتمع الأمريكي نفسه الذي بني على المقاتلة والحرب، ونظام الكاوبوي الذي لم ينتهِ إلا منذ ٨٠ سنة تقريبا، فلا تزال تركيبة المجتمع الأمريكي مهيئة لأن يحدث فيها انفجار داخلي.

ونحن نذكر هذا لأننا عندما نتعرض لملامح المواجهة بيننا وبين الأمريكان سنأخذ هذا الكلام بعين الاعتبار.

يقول: [**إنها تدمر في العالم بقايا الإقطاعيات والاستعمار التقليديين، وتستخدم حالياً قبل كل شيء، ضد الاستعمار الجديد وما يسميه الاصطلاح الماركسي بالامبريالية – أي السيطرة الاقتصادية والسياسية (وأحياناً العسكرية) على الأمم الضعيفة الفقيرة اقتصادياً، من قبل الأمم الغنية القوية المتطورة تكنولوجيا. ففي في البلدان النامية تحرر** –يقصد حرب العصابات– **الجماهير من قمع الطبقات المميزة والمركنتيلية** –يعني القائمة على التجارة ورأس المال الكبير–، **وقمع الأوليغارشيه** –يعني الفتن الفوضوية التي ترفض هذا الواقع–، **والطغم العسكرية وقد يؤدي ذلك إلى وقوع هذه الجماهير تحت سيطرة الدولة الاشتراكية**].

في الستينات كان خوف الأمريكان أن توقع حروب العصابات التي تستخدمها دول الثورات في حلف وارسو، فروسيا والصين كانتا وراء دعم كل الثورات التي قامت فيها حروب عصابات.

[**وهي من زاوية ما، سلاح قوي، سيف تحرير وطني** -أي أنها ضد الاستعمار- **وعدل اجتماعي** –وضد التفاوت الطبقي-، **كما أنها من زاوية أخرى، وسيلة مدمرة وخطرة، تنمو وسط الفوضى والتوتر الاجتماعي والانفجار الاقتصادي والفوضى السياسية، وتحول الفلاحين المسالمين متعصبين مسلحين**].

لاحظ اللهجة الأمريكية واضحة في ألفاظ الكاتب وعباراته، فهو لا يرضى بالفلاحين إلا مسالمين، وهي الحال الوحيدة التي يرضاها لهم، مجموعة من الفلاحين المسالمين.

[**إنها تولد انتماءات جديدة، ومواجهة جديدة للقوى تعادل عملياً الحرب الباردة، وهي متفوقة عليها**].

فعلا حرب العصابات وأي ثورة تقوم، وحتى عندنا في الإسلام، عندما يقوم الحق يولد انتماءات جديدة، تتقطع الأواصر بين الآباء والأبناء والأسر، وحرب العصابات أيضا تولد أواصر وانتماءات جديدة، حسب نوع الحرب:

فإذا كانت الحرب ضد مستعمر رتبت الولاءات كذلك: مع المستعمر، ضد المستعمر.

إذا كانت ضد التفاوت الطبقي، تجعلهم كذلك: مع الفقراء، مع الأغنياء.

[**إنها في جوهرها مواجهة بين (من يملكون) ومن (لا يملكون)، بين الأمم الغنية والأمم الفقيرة، إنها تعيد صياغة العالم الذي عرفناه وقد تقرر نتيجتها شكل المستقبل المتوقع وجوهره، ليس فقط على مسارح العمليات الحالية الواسعة والقائمة، بل وفي كل مكان أيضاً**].

هذا التفوق الذي ذكره في سنة ١٩٦٥ حصل فعلا، وأدت حروب العصابات التي مورست في ذلك الوقت إلى تغيير خريطة العالم وخريطة القوى في تلك المرحلة، ونشأ نظام جديد يعتمد على قطبين: قطب يدعم حروب العصابات، وقطب يكافحها، ثم انتهى هذا النظام برمته في ١٩٩٠، وبدأ وضع جديد.

[ويمكننا أن نتساءل: ما هي حرب العصابات؟ ماذا نستطيع أن نفعل ضدها... أو معها؟ كيف نضع حداً لها أو كيف نستغلها؟]

هذه الكلمة الأخيرة –كيف نستغلها– مهمة جدا، فعمليا فشلت الولايات المتحدة في مواجهة كل حروب العصابات، ولكن نجحت في توجيه بعض حروب العصابات، في مجال مصالحها الحيوية والاستراتيجية، كما نجحت مثلا في توجيه واستخدام القضية الأفغانية لتحطيم النظام العالمي –ذي القطبين–، وهذا توجيه لحرب العصابات إلى أن تؤول في النهاية إلى خدمة مصالحهم الحيوية.

[فهل هي كل شيء يمكن أن نستعمله على هوانا، كأداة سياسية وطنية أو كوسيلة للنصر..؟!]

فعلا استطاعوا أن يفعلوا هذا.

[فحسب الكتابات الكثيرة التي ظهرت في غضون أكثر من عشرين عاماً، يمكن أن نطلق عليها اسم: الفترة التالية للاستعمار، يمكن وضع تعريف لحرب العصابات، ولكن هذا التعريف يطرح بدوره أسئلة لا بد من الإجابة عنها. إن حرب العصابات، بالمعنى الواسع الذي نطلقه عليها، هي: (حرب ثورية، تجند سكاناً مدنيين أو على الأقل جزءاً من السكان، ضد القوى العسكرية للسلطة الحكومية، القائمة شرعياً أو المغتصبة)].

حرب: أي مواجهة مسلحة.

ثورية: تعريف كلمة ثورية أثار إشكالا عند بعض الإسلاميين، حتى أني أوردت هذا الإشكال وإجابته في كتاب "التجربة السورية"، فبعضهم عندما يسمع كلمة ثورة؛ تقفز كل مفاهيم الكفر والإلحاد إلى مخه، فيتصور أن الثورة لا يقوم بها إلا الكفار والملحدون، وأن كلمة ثورة من قواميس الكفر وعلوم الكفر، ويقول لك: يا أخي عندك مصطلح "جهاد"!

هذا الاعتراض وإن كان يعبر عن حالة من التزمت النفسي والفكري= إلا أنه ناتج أيضا عن الجهل بالمعنى اللغوي لكلمة "ثورة"، فهي مؤلفة من أحرف عربية وبمعنى عربي، ونقول: ثار البركان أو ثارت نفسه أو غضب وثار، والثوران هو حالة من الانفعال العملي، فعندما تصل الضغوط النفسية للمجتمع بكامله – باعتباره شخصية اعتبارية- إلى حالة لا يمكن حلحلة المشاكل فيها، عن طريقف الحوار والسياسة=

فيكون التغيير حينها انفجاريا، وليس تغييرا تلقائيا، هذا التغيير الانفجاري يعبر عنه بكلمة "ثورة"، وقد أوردت تعريفا للدكتور عبد الله النفيسي وجدته في كتاب"عندما يحكم الإسلام" قال: أن الثورة عبارة عن العمل العنيف لتغيير الأوضاع بشكل انقلابي، وإذا كان الإسلام جاء ليغير الأوضاع الجاهلية من الكفر إلى الإيمان، ومن الاستغلال إلى العدالة الاجتماعية= فالثورة ليست غريبة عن الإسلام، بل إن طبيعة الدعوات –عدا عن كونها دعوات هداية وذات رسالة- في وجه من وجوهها هي حركة ثورية انقلابية، تغير الوضع القائم إلى وضع جديد.

فإذا فهمنا هذا يصبح تعريف "الثورة" ليس غريبا عن الإسلام، وليس غريبا عن المسلمين.

تجند سكاناً مدنيين أو على الأقل جزءاً من السكان:

فجوهر جنود حرب العصابات هم عمليا من المدنيين، أي: مدنيون تحولوا إلى عسكريين كما هو حالنا، بفعل الظروف التي أملت عليهم أن يتركوا الحياة المدنية الوادعة إلى حياة عسكرية مؤقتة، حتى يساهموا في تغيير الأوضاع.

ضد القوى العسكرية للسلطة الحكومية القائمة شرعياً أو المغتصبة:

يقصد بـ (شرعيا) بمفهوم قانوني، أي تفاهم السكان، واعترفوا لها بالشرعية، سواء كانت منتخبة، وبمفهومنا السلطة الشرعية أي الإسلامية التي تحكم بالإسلام

المغتصبة: سواء أكانت القوى المغتصبة أجنبية، أو أقلية متحكمة ومتسلطة، كأن تكون حزبا منفردا بالسلطة كما في حالة حزب البعث في سوريا والعراق، أو تكون ملكية وأسر كما هو الحال في الممالك المتعفنة في أنحاء العالم الإسلامي كالمغرب والخليج العربي، فهذه الأقليات مغتصبة للسلطة، وهي مغتصبة بالمفهوم الشرعي عندنا، لأنها لم تقم على أسلوب شوري ولم تقم عن رضا من المسلمين، وهي مغتصبة حتى بالمفهوم الدستوري، لأنها لم تقم عن طريق الاختيار الشعبي ورضا الأكثرية.

[**وتختلف الظروف من حالة إلى أخرى، فقد تكون السلطة أجنبية، وتمثل إسرائيل والجزائر مثالين جيدين – أو بالأحرى استعمارية، وبمقابلها كل السكان المحليين، تحت قيادة طليعة من المناضلين**].

أقول: حروب العصابات القائمة حاليا بعد ١٩٩٠ من أربعة نماذج:

١- حروب قائمة ضد الاستعمار المباشر، كما كان الحال في أفغانستان والشيشان وتركستان الشرقية، فهذه حروب عصابات ذات طابع تحرري.

٢- حروب يقوم بها المسلمون ضد عمليات الإبادة، كما كانت أوضح صورها في البوسنة، فلم يكن هناك غرض لاحتلال البوسنة أو شفط خيراتها، وإنما كان الغرض إبادة الجنس المسلم في البوسنة.

٣- الحروب الشائعة ضد الديكتاتوريات المحلية، كالتي قامت في بلاد الشام في سوريا ولبنان ضد السلطة النصيرية، وقامت في مصر ضد الحكومة الديكتاتورية، وتقوم الآن في ليبيا، وتقوم في أكثر من مكان ضد حكومة ديكاتورية.

٤- ضد ديكتاتوريات مدعومة بقوة أجنبية خارجية، وأوضح حالاتها الآن حالة الجزيرة، حيث تقوم حكومات ديكتاتورية مدعومة عسكريا وفعليا بقواعد عسكرية لقوات أجنبية.

وأشبه الحالات الآن بفيتام هي حالة الجزيرة، هناك قوات أمريكية تدعم حكومات عميلة مرفوضة شعبيا، ومرفوضة شرعيا ومرفوضة إسلاميا.

فلو لاحظنا في حروب العصابات القائمة أو التي يمكن أن تقوم في بلاد المسلمين= نجد أنها كلها مشروعة، حتى أمام الرأي العام العالمي، وأمام كل النفوس البشرية، فهي حالات من الدفاع عن النفس، وحالات من حقوق الإنسان.

فالدفاع ضد الاستعمار، والدفاع ضد الديكتاتوريات، والدفاع ضد الطغيان والاحتلال، والدفاع عن النفس ضد الإبادة، فهذه كلها يمكن تمريرها، ولذلك يجب أن نستغل حروب العصابات التي نقوم بها على صعيد الرأي العام العالمي، وعلى صعيد إثارة جمعيات حقوق الإنسان، فهذا مجال نستفيد منه، لأن كل حروب العصابات الخاصة بنا هي حروب مشروعة.

ولأننا فشلنا إعلاميا، وفشلنا سياسيا، فلا يزال الإعلام الدولي يتناول كل حروبنا على أنها حركات للإرهاب، وأنها حركات العصابات الإجرامية.

[**وفي حالة أخرى –جنوبي فيتنام وكوبا مثلاً– نرى أن السلطة** –التي يُثار عليها– **محلية، والحكومة مستقلة على الأقل اسمياً، أما المعارضة فهي زمرة سياسية تعارض أيديولوجية النظام وشرعيته. وهنا أيضاً تختلف الحالات، فحرب الثوار الفيتناميين حرب أيديولوجية، اصطبغت بشدة بصراع الطبقات، وبوطنيتها القوية. ورغم أن الشيوعيين هم الذين يقودونها، لكنها تتجاوب ليس فقط مع أماني الذين يرون فيها حرباً ضد الفقر والاستغلال، بل مع أماني الذين تقززوا من فساد الطبقات الحاكمة أيضاً**].

أقول: وإن كان يقودوها الشيوعيون، ونحن سنستبدل بكلمة شيوعيون هنا كلمة "إسلاميون"، فوإن كان يقودها إسلاميون= فهي تتجاوب بشدة مع تطلعات أناس لا يوافقونك أيديولجيا أصلا.

ومن أكبر الأخطاء التي وقعنا فيها= أننا حذفنا من اعتبارنا كل الطبقات التي لا تشاركنا أيدولوجيا، والتي كان من الممكن أن يكون لها مساهمة في الثورة، وكان من الممكن أن نستخدمها، على اعتبار أن الله سبحانه وتعالى ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وبأناس لا خلاق لهم.

فأنت يمكن أن تضرب مجموعة من القوى ببعضها، وتسخر مجموعة من القوى المحايدة لصالحك، ومع الوقت يمكنك أن تنقل أناسا ليسوا معك أيديولوجيا من خلال المساهمة في الثورة، بأن يكونوا معك أيدولوجيا، ومن الثورات التي تحتاج إلى دراسة فعلا الثورة التي قام بها الشيعة الروافض وعلى رأسهم الخميني في إيران، والتي كانت من أنجح الثورات بكل المقاييس، وهنا يحضر هذا المثال وهو أنها استخدمت كل الزمر السياسية المتذمرة من الشاة في الثورة، من أقصى السنة —الذين ذبحوهم فيما بعد-، إلى اليساريين والوطنيين والاشتراكيين، وسخروهم جميعا في اتجاه الآيات ووصلوا بهم إلى النتيجة التي رضوها، وبعد ذلك قاموا بعملية استيعاب لهذه القوى أو تصفية أو حذف وطرد، وانفردوا هم بنتيجة الثورة.

[وهي تجذب الذين لا يريدون أن يتحملوا ديكتاتورية عسكرية، كما تجذب أيضاً كتلة القوميين الفيتناميين (الذين كنا سنسميهم الوطنيين لو كنا في مكانهم)، والذين يرون في الصراع استمراراً للنضال الطويل ضد الاسعمار الفرنسي، الذي حل محله أجانب آخرون هم الأمريكيون، الذين يقومون باسم الحرية والديمقراطية بمساندة وتوجيه الطغم العسكرية الحاكمة المتعاقبة].

أقول: وهذا الذي حدث من وراثة الاحتلال الأمريكي للاحتلال الفرنسي لفيتام وقيام المقاتلين القدماء بمواجهة الاحتلال التالي، فيجب أن يحدث مثله في مناطق وسط آسيا، فقد خرج الروس وحل محلهم الأمريكان، وورثوا الاحتلال الشيوعي، وكذلك هو المرشح لأن يرث الاحتلال الصيني في تركستان الشرقية.

وهنا لفتة هامة: فعلى العصابات أن تجند كل أنواع الراغبين في تغيير الأوضاع القائمة، وليس فقط المتوافقين أيدولوجيا معهم.

فنحن لو اقتصرنا على نخبة النخبة لخسرنا، ولكن هذه النخبة المنهجية يجب أن تكون بالنسبة لنا كما كان أهل بدر وأهل الشجرة والمهاجرون والأنصار بالنسبة للرسول عليه الصلاة والسلام.

نخبة النخبة من هؤلاء الصحابة الذين تتردد أسماؤهم في كتب الحديث عندنا لا يزيد عددهم عن ألف وأربعمائة شخص، وبعد ذلك فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة بعشرة آلاف من الصحابة، ثم حج الرسول عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع بمائة ألف، فهؤلاء الناس ارتد كثير منهم بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام.

فمع أن النخبة واجبة في إدارة حرب عصابات؛ إلا أننا لا يمكن أن نتصور أنه من خلال هذه النخبة، وبهذه النخبة فقط سنحارب، وإنما كثير من الدوائر تشاركنا المصالح، فعلينا بدون أن نتنازل عن المنهج، وبدون أن نقوم بعملية خلط منهجي نقوم بتوجيه هذه الشرائح إلى ما يخدمنا في هذه المرحلة، وتحييد أكبر عدد ممكن من الناس.

[وإذا كان لحرب فيتنام جذور أيديولوجية وقومية، فإن الثورة الكوبية لم يكن لها جذور مماثلة مرئية. فلقد بدأت كاحتجاج مثالي (idealistic) لفئة قليلة ذات توجه سياسي غير واضح تماماً – ليبرالية إلى حد ما، اشتراكية نوعاً ما، مصبوغة بالفوضوية الإسبانية– وكاحتجاج ضد الفساد والقمع في دولة بوليسية، ولم تكن نزاعات الطبقات فيها واضحة، كما لم تشكل القومية فيها عاملاً ظاهراً. أما الصدام مع المصالح الأجنبية والإقطاعية، ومعاداة الولايات المتحدة، والبروليتارية المناضلة، والشعارات الماركسية للثورة الكونية= فقد جاءت كتطورات لاحقة، تلت طرد باتيستا ولم تسبقه].

أقول: وهذه لفتة هامة جدا، أن القولبة الفكرية للثورة لم تكن حاضرة عند انطلاقتها، وإنما كان قالب الانطلاقة عبارة عن عملية رفض دولة بوليسية قائمة، وهذا الرفض للديكتاتورية القائمة أدى لاجتذاب طبقات مجتمعية متعددة، ثم قامت النخبة التي سيطرت على الثورة بإعطائها طابعها الماركسي، والذي جاء بعد النصر لا قبله.

[وفي المغرب (١٩٥٢ – ١٩٥٦) ركز القوميون من حزب الاستقلال قضيتهم حول الصورة الرمزية للسلطان المنفي محمد سيدي بن يوسف، وأجبروا بن عرفة الذي حل محله على التنازل، وهزوا الحماية الفرنسية].

ذكر أنهم في المغرب ركزوا على قضية السلطان المنفي، وكل الذين أرادوا أن يحاربوا فرنسا استطاعوا أن يمحوروا الناس على قضية لها في نفوس المغاربة مكانة وهي قضية السلطان المنفي، وحولوها لقضية قومية عربية، وقضية وطنية مغربية، وقضية إسلامية دينية بأنه رمز السلطان الشرعي، فأجبروا الاحتلال على إرجاعه.

[أما في إسرائيل، فقد أعطت الدفعات القوية الدينية والعرقية صفة حرب دينية للنضال في سبيل الاستقلال].

يقصد ثورة ١٩٣٦ وحروب ١٩٤٨ وما بينهما، إلى ١٩٦٥ وبدايات العمل الفدائي في فلسطين، ويذكر أنها أخذت دفعات قوية بصفة دينية وبصفة عرقية.

نحن إذا أردنا أن نثير أي ثورة، يجب علينا أن نبحث عن رأس مال أيدولوجي مقنع، ولا يمكن أن نستمر في ثورة مهما كانت دوافعها مقنعة، إذا كانت مقنعة لنا فقط، وأقصى ما يمكن حينها أن نعمل انتفاضة وننال رضا الله ونموت في سبيل الله حينها.

أما على صعيد الأسباب، فليس لك إلا أن تبحث عن صيغة تقولب فيها توجهات السكان، بحيث يكونوا هم الجسد الأساسي، وبهذا يتضح لماذا نريد السكان في الثورة.

[وفي كثير من الدول الأفريقية (الكونغو والكاميرون وأنغولا) لعبت خصومات القبائل وطموحاتها دوراً لا يقل أهمية عن دور مقاومة الاستعمار.

القومية، والعدالة الاجتماعية، والعرق، والدين – تحت هذه المعاني المجردة والرمزية، التي تشكل صرخات التجمع للثورات في العشرين سنة الأخيرة – يمكن أن نكتشف لها مبدأ موحداً هو قاسمها المشترك.

إنه دفع ثوري، وانبثاق الإرادة الشعبية، وليس لهذا كله صلة قوية مع قضايا الهوية القومية والعرقية، وتقرير المصير، وأشكال الحكم، والعدالة الاجتماعية، التي تشكل الشعارات المألوفة في الانتفاضة السياسية.

وليس من المؤكد بأن الحرمانات الاقتصادية تمثل بحد ذاتها العامل المقرر الذي نراه في الانتفاضة السياسية بصورة عامة، ومن المعروف أن العوز والقمع هما من طبيعة الحياة، على كوكبنا، ولقد تحملتها أجيال لا تحصى دون أن تنبس ببنت شفة تقريباً.

إن إرادة التمرد إلى حد يجعلها اليوم شبه كونية، تبدو وكأنها شيء آخر أكثر من الارتكاس ضد الظروف السياسية أو الأوضاع المادية، إنها تعبير على ما يبدو عن وعي قد استيقظ مجدداً، ليس بالنسبة إلى (قضايا) بل بالنسبة إلى (الوجود بالقوة) إنه اكتشاف متنامٍ للإمكانات التي يقدمها الوجود الإنساني، متزامل مع حس متعاظم للطبيعة السببية للكون، وبفضل هذين العاملين يستوحي الأفراد أولاً، ثم الجماعات، فالقوميات، وضعية كاملة الجدة إزاء الحياة.

والأثر الناجم عن هذا الوعي الفجائي، هو أن يظهر في المناطق من العالم المسماة (نامية) رغبة ملحة في التغيرات الجذرية القائمة على إدراك جديد بسيط، بأن الشروط الوجودة، المعتبرة حتى الآن كشروط لا تتبدل، يمكن في الواقع أن تتغير.

وهكذا تصبح التحديدات المقبولة مسبقاً غير محتملة، وتفتح إمكانية التعديلات الوشيكة الوقوع آفاقاً لم يكن التفكير فيها وارداً حتى الآن، وتولد الرغبة للفعل، وكأن الجميع يقولون في وقت واحد في كل مكان: "هذا ما يمكن أن نكونه أو ما نحصل عليه، شريطة أن نعمل، ماذا ننتظر إذن؟ فلنفعل".

وعلى كل حال، فإن ذلك يمثل الحالة النفسية للتأثير الحديث، لرجل العصابات، مهما كانت شعاراته أو قضيته. وسلاحه السري، بغض النظر عن كل مسألة استراتيجية أو تكتيكية أو تقنية، ليس سوى القدرة على الإيحاء بهذه الحالة الفكرية إلى الآخرين. وليست الهزيمة العسكرية للعدو، أو قلب الحكومة= إلا أهدافاً ثانوية في هذا الاتجاه، ستأتي فيما بعد.

إن الجهد الرئيسي لحرب العصابات هو أن تثير تمرد السكان، الذين لا يمكن لأية حكومة أن تدوم طويلاً دون موافقتهم].

يقول أن الجهد الرئيسي لحرب العصابات هو أن تثير تمرد السكان، عكس النظرية التي نقوم عليها وهي أن تثير اهتمام النخبة، ثم يعلل ذلك بقوله: أنه لا يمكن لأية حكومة أن تدوم طويلاً دون موافقة السكان، في حين أن كل حكوماتنا دامت رغم عدم موافقتنا لأننا مجرد نخبة محدودة.

ولا زالت الشريحة العريضة للسكان إما: موافقون لهذه السلطة، أو الشريحة الأسوأ وهم غير الملونين، الذين لا يهتمون بأي شيء عن أي شيء، فلا الحكومة استطاعت أن تثير اهتمامه، ولا استطعنا نحن أن نستثيره للمشاركة في إسقاط هذه الحكومة.

أقول: هذه هي القاعدة الأساسية وأساس نظرية حرب العصابات: أن من يكسب الناس –الحكومة أو الثورة– يرشح للنصر في هذه المعركة.

[**فرجل العصابات مهدم للنظام القائم، لأنه ينشر الأفكار الثورية**].

المستفاد من الفقرة أن: الأفكار – الأيدولوجيا – المنهج = أساس حرب العصابات.

وهذه النقطة تحتاج للوقوف طويلا، لأنه وإلى الآن كل العمليات الجهادية التي قامت في العالم الإسلامي ليس لها منهج واضح على الصعيد الجماهيري، وليس لها كذلك خطاب جماهيري واضح.

وأحسنها حالا كما هو حال المنظمات التي قامت في مصر، فلها منهج، فعندما تقول : أنا من الجماعة الإسلامية، فيفهم الناس كذا وكذا عنك، فهي أحسن حالا من غيرها، وتنظيم الجهاد مثل لك، تنظيم الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا كذلك.

الجهاد في سوريا قام وانتصر وانهزم واندحر ولم يكن له منهج، فقد كان القائمون عليه فقط كمروان حديد هم من يعرفون منهجهم، لكن الذي حدث أن ١٥ عاما من القتال ولم يكتب أكثر من ثلاثين صفحة، وما خوطب الناس إلا في بيانات عسكرية محدودة: قامت وحداتنا بعملية كذا، خسائرهم كذا، فقط نشر عدنان عقلة رحمه الله حيا أو ميتا بعض الإصدارات القليلة التي شرح فيها أبعاد المسألة، ثم نشر شريطين تكلم فيهما في فضل الشهيد والشهادة، فلو تم تقييمهم على صعيد الفكرة= فهو شيء بدائي جدا.

ومع ذلك فالتطورات الأساسية للجهاديين هي عدم فهم المنهج، أو عدم تبني منهج أصلا، بل إن هناك حركات تريد أن تقوم بثورات الآن وتصر على على ألا يكون لها منهج، هذا المقتل ينبغي التنبه له، لأنه يولد مجموعة من المصائب والنتائج ليس لها أول من آخر، أولها: أنه عندما لا يكون لك منهج ينتج عنه فقد الرسالة الخطابية الموجهة.

فعندنا تنعدم رسالتك الفكرية= أي ليس لك ما تقوله للناس، وينبني على ذلك مباشرة أنك لا تملك نظرية للحشد والتجنيد، ومعلوم أنه من صفات الرسالة المحمدية جمع الناس (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)، فالأصل ألا ينفض الناس من حولك، بل أن تأتي بالناس، لكن داعية بدون ناس ماذا يفعل؟

فجمع الناس= يحتاج لنظرية حشد، ونظرية الحشد لها أسلوب خطاب ودعاية وإعلام، والدعاية والإعلام عبارة عن كلام تخاطب به الناس، أنت ما شاء الله بلغت الناس أن عقيدتك سلفية والتي تخالف أغلب الأمة التي تقاتل من أجلها، وإن كنت على حق، وإن كانت عقائدنا أصلب من عقائد الناس الذين نقاتل من أجلهم، ولكننا جعلناها محورا لفض الناس من حولنا –وشرح ذلك يطول–، رغم امتلاكنا للحق وهم في حالة العوج.

المقصد أن عدم امتلاك نظرية حشد يترتب عليه فقد نظرية الإعلام والتواصل، وبالتالي نفقد الأنصار، فنخسر المعركة، وهذا حصل في كل الحركات التي كانت قائمة، بل إن كثيرا من الحركات التي تريد الثورة على الأنظمة= ما زالت مختلفة فيما بينها: هل الحكومات مسلمة أم كافرة؟ شرعية أم غير شرعية؟ علماؤها الداعمون لها بالفكر والشرعية ما موقفنا منهم؟

فكثير من الحركات الجهادية عندهم هذا اللبس، ثم يزعمون أنهم يعبئون الناس.

ولذلك قال الكاتب هنا: (فرجل العصابات مهدم للنظام القائم، لأنه ينشر الأفكار الثورية)، يعني نحن يجب أن ننشر الأفكار الإسلامية التغييرية الانقلابية، وبذلك نكون مهدمين للنظام، ولو لم تنشر هذه الأفكار= فلن تستطيع هدم النظام.

[**وتعطي أفعاله قوة إلى عقيدته**].

أقول: كثير من الحركات الإسلامية عندها أفكار ومناهج وطرحوها، لكن ما تحقق لهم الشطر الثاني، لأن أفعالهم لم تعط قوة لعقائدهم، فامتلكوا الشطر الأول الذي لا نمتلكه، وامتلكنا الشطر الثاني الذي لا يمتلكونه، ناس عندهم العمل وناس عندهم المناهج والدعوة.

[**وتبين السبيل نحو التغير الجذري**].

فإذا لم تبين للناس سبيل التغيير= ما حصل التغيير، سبيل التغيير هذا لا يمكن أن يكون واضحا في مخك أنت فقط، بل يجب أن يكون واضحا لدى منظر الثورة وقائد الثورة، وقد يكون هو نفسه القائد العسكري في حالات نموذجية جدا –وهي حالات النبوات فقط–، أو يكون هناك منظرون ثم قواد، وهي الحالة العامة التي مرت في التاريخ.

إذا تبيين السبيل الجذري يلزمه عاملان:

الأول: نشر الأفكار الثورية. الثاني: أن تعطي أفعالك قوة إلى عقيدتك.

أي: تحتاج لأفكار ثورية ومنهج انقلابي يقنع الناس بالخروج، فنحتاج لمنهج شرعي إسلامي سياسي ثوري انقلابي، يبرر العمل المسلح الذي نقوم به، وهذا سنشرحه تفصيلا عند التعرض لمقومات التنظيم، ونتعرض لأول مقوم وهو المنهج سنفصل في هذا.

(الجذري): إزاء أي مشكلة تظهر للناس تنقسم عقول البشر مباشرة إلى: إصلاحيين وجذريين، والفرق بين العقلية الإصلاحية الترقيعية والعقلية الجذرية الانقلابية شاسع جدا، فمعظم السياسيين في الدنيا على اختلاف الأيدولوجيات من الكفر إلى الإسلام= عقولهم ترقيعية، ومعظم الجهاديين والعسكريين والثوريين= عقليتهم انقلابية جذرية.

طبيعة المشاكل التي نحياها لا تحل إلا بالعقلية الجذرية، ومعظم النبوات والدعوات والرسالات= جاءت بحركات جذرية، اجتثت الكفر من أساسه، ولم تقبل منه شيئا أبدا، كالقبيلة التي جاءت لتسلم لكن طلبت الإبقاء على صنمهم= فلم يقبل منهم بالطبع.

فالعملية عملية جذرية، كما قال الصحابة رضوان الله عليهم: "كان الرسول عليه الصلاة والسلام يفرغنا ثم يملؤنا"، وحتى على صعيد البناء الأيدولوجي للفرد لابد من عملية إفراغ كامل، وعند القيام بثورة= يجب القيام بإفراغ كل العناصر الذين يأتون من اتجاهات شتى.

[**ومن الخطأ أن نعتبره منفصلاً عن مرقد استنبات الثورة، إنه يُخلق من المناخ السياسي الذي تصبح فيه الثورة ممكنة، ويمثل هذا المناخ التعبير وعنصر الاستقطاب للإرادة الشعبية في مثل هذا التغيير**].

عندنا هنا ثلاث ملاحظات:

ذكرنا أولا أن (الأفكار – الأيدولوجيا – المنهج)= أساس حرب العصابات، وذكرنا أن الأفعال هي التي تعطينا المصداقية، مهما كانت المزاعم الثورية منمقة، ومهما كان المنهج على حق.

إذا لم يكن هناك أفعال تعطي هذه المزاعم مصداقية= فسوف تذهب الثورة أدراج الرياح، ويفهمه الناس على أنه نوع من الوعود السياسية التي ألفوها من كل الأحزاب والدعاة، مجرد كلام ومزاعم: سنفعل سنقوم سنعمل.

فعملية تشريح فساد الوضع عملية يتقنها معظم الأحزاب والمعارضات من أقصى الإسلام إلى أقصى الشيوعية، فمثلا أفضل الكتب التي كتبت في مواجهة التطبيع والأمريكان في هذا الوقت هي كتب قومية، حتى أن الشيخ سلمان العودة –فرج الله عنه– لما أراد أن يشرح موضوع التطبيع في شريطين ذكر أن المراجع التي رجع إليها ستة وكلها مراجع قومية، إلى الآن لم يكتب الإسلاميون بحق عن التطبيع، ولا على النظام الدولي الأمريكي.

لكن الفرق بيننا وبينهم أمران:

الأول: تصور الحل. الثاني: العمل العسكري لإعطاء مصداقية لهذا التصور.

قوله (**إنه يُخلق من المناخ السياسي**):

في معظم كتب حرب العصابات وخاصة اليساري منها يتكلمون عن اصطلاح "المناخ الثوري"، وكذلك عن مصطلح يسمونه "مفتاح الصراع"، ويجب فهم هذين المصطلحين جيدا جدا.

المناخ الثوري: هو أن تكون درجة حرارة الغليان في المجتمع قد وصلت إلى مرحلة أن النداءات الثورية يمكن أن تلقى استجابة ويتفاعل معها الناس، كأن يكون هناك احتلال خارجي وهو أسهلها، أو يكون هناك فقر شديد جدا، أو يكون هناك ظلم واعتداء حتى ولو لم يكن هناك فقر، كل هذا وأمثاله يولد مناخا ثوريا.

للأسف لو كان المسلمون كما كان ينبغي أن يكونوا، لو كانوا يغضبون لله سبحانه وتعالى= لكان مجرد غياب تحكيم شرع الله كافيا لتوليد مناخ ثوري، ولكن للأسف إلى الآن غياب الشرع لم يولد المناخ الثوري، لا عند العلماء ولا عند طلبة العلم ولا عند عموم المسلمين، وغياب شرع الله سبب كاف للخروج على الحاكم، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "إلا أن تروا كفرا بواحا"، هذا العامل لم يعد ظاهرا وواضحا في نفوس المسلمين، ولم يكن سببا للثورة إلا عند النخبة، وهذا واقع مرير يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.

ونحن مطالبون بدمج كل أسباب الثورة ببعضها بدءا من الحاكمية إلى المشاكل الاجتماعية كالفقر والظلم والاعتداء على الأعراض، فنجعلها كلها موضوعا للنداء الثوري، وإذا فعلنا هذا لم نكن قد خرجنا على القالب الشرعي، لأن الفقر مشكلة شرعية، وأنا قد كَلّ لساني من شرحه وهم يظنون أنه شعار يساري أو علماني، وأنه لا يتكلم في الفقر إلا السياسيون العلمانيون، ولا يتكلم في حقوق العمال إلا اليساريون، ولا يتكلم في المظالم الاجتماعية إلا غير الإسلاميين، وهذا ليس صحيحا.

فمشكلة الفقر مشكلة شرعية، والسعي في أرزاق الناس مشكلة شرعية، والدفاع عن مصالح الناس كذلك، ومقاصد الشريعة الخمسة التي جاء بها الشرع هي: حفظ الدين والنسل والعقل والعرض والمال، فعندما تتكلم في هتك أعراض الناس= أنت تخوض في قضية شرعية، وليس في مشكلة اجتماعية فقط،

وكذلك الكلام في فقر الناس وسوء توزيع الثروة واغتصاب البترول من قبل أقوام، واغتصاب الأراضي من قبل آخرين، وأن مال المسلمين ذهب لمجموعة من العوائل= هذه المشاكل كلها مشاكل شرعية.

فعندما تتكلم عن الثروات والمعادن والبترول وأنه مال كل المسلمين ولكل مسلم فيه حصة، وأنها ذهبت لمجموعة من العوائل، لو جمعت كل أفراد آل سعود، وهم أكبر طائفة تمثل يأجوج ومأجوج في الجزيرة= لن يتجاوزوا خمسة آلاف عنصر، ولو جمعنا القبائل الأخرى: طحنون وصفعون في الخليج العربي ٢٠ شخص و٨٠ شخص و١٠٠ شخص، أي كل هؤلاء لا يتجاوزون ٨ آلاف شخص، ولا حتى ١٠ آلاف شخص، ١٠ آلاف من مليار و٢٠٠ مليون يستحوزون على ثروات الأمة، ويا ليتهم هم من أخذوا أموالنا، أي: فجارنا وكفارنا هم من أخذوا أموالنا، بل هم يعطون ٩٩% من هذه الثروات للعدو، ويستفردون بواحد في المائة فقط، وهو كثير عليهم جدا، فينفقونها في الفسوق والعصيان.

القوميون والشيوعيون رفعوا شعار: بترول العرب للعرب لكل أمة العرب، وكان هذا شعار إذاعة صوت العرب أيام عبد الناصر، والشعار أخذ الأمة العربية بكاملها، وكل إنسان أحس أن له حقا في هذا البترول!

فالذي رفع الشعار استحوذ عليه وهم القوميون والشيوعيون، مع أن هذا الشعار حق المسلمين، كما قال بعضهم: "عجبت لرجل يبيت جائعا ولا يخرج بسيفه على الناس"، يعني من حقه يخرج لطلب قوته بسيفه.

فهذه القضايا يجب الكلام فيها ودمجها بقضايا الحاكمية والولاء والبراء، وأنبه إلى أن المنهج ليس مقتصرا على الحاكمية والولاء والبراء فقط، بل هو يحتوي كل تفاصيل تصورك للوضع ورفضه، وكل تفاصيل تصورك للحل، وكل أسلوب وجوهر الخطاب، ولذلك من الخطأ أن تكتب ٢٤ صفحة وتقول: هذا هو المنهج، بل هذا أساس الفكرة والمنهج، والمنهج يبقى يؤخذ من مجموع النشرات والبيانات والتصريحات والكاسيتات (الشرايط) والمواقف والعمليات العسكرية التي تصنف تصنيفا إعلاميا، أي أنها عمليات عسكرية ليس الغرض منها العسكرية، وإنما هي داخلة في الإعلام العسكري والسياسي وسأذكر الفرق بينهما.

فالإعلام العسكري جزء من المنهج، أن تقتل أحد المخبرين أو الفاسدين الظالمين المرابين، ليس لأن له أهمية عسكرية في الإطاحة بالنظام، وإنما لأن له أهمية في كسب الناس، فهذه عملية أبعادها إعلامية محضة، وسياسية محضة، فهذا جزء من المنهج.

وعندما تقوم بهذه الأعمال كلها= ينشأ عنها مناخ ثوري، فمثلا عندما يدخل الروس إلى أفغانستان، يقفز معدل الحرارة فجأة إلى المناخ الثوري، وقبل ذلك لم يقتنع العلماء والقبائل والمولوية بالثورة على الملك ولا الحكام الشيوعيين، إلا نزرا يسيرا من الناس.

والمناخ الثوري مثل الثمرة التي آن قطافها، إذا لم تقطفها= تفسد، فإذا أصبح المناخ ثوريا ولم يتم استثماره يتحول الحال لجو من الرعب والكبت والإرهاب، ليقتل في النهاية إمكانيات الثورة عند الناس.

إذا أردت الثورة فيجب أن يكون المناخ ثوريا ملائما، فإذا لم تصل لهذه الدرجة من الغليان= يجب عليك أن تقوم بأعمال الدعاية السياسية والدعاية المنهجية، وبعض الأعمال العسكرية النوعية الصغيرة، وبعض النداءات، أو تفتعل بعض المشاكل، أو تسلط الضوء، تفتح إذاعة، توزع منشورات، تعمل أعملا سرية أو علنية، المهم أن تمتلك خطة تريد منها أن توصل الناس إلى مستوى الحرارة المطلوبة، التي يتأهلون بها لقبول عمل عسكري.

الآن المناخ في الجزيرة ليس مناخا ثوريا، ولا يقبل أحد الخروج على الحاكم، فأنت يجب أن تقوم بسلسلة من النداءات، وبسلسلة من البرامج، وبسلسلة من الكاسيتات (الشرايط)، وبسلسلة من التصريحات والكتب والمؤلفات= لتثبت أن هذا الوضع يجب أن يخرج عليه، وتستعمل –كما حصل مع الشيخ أبي عبد الله- بابا جيدا وسليما جدا لتحريك الناس الذين لا يملكون عقولا تفصيلية تفهم قضية الحاكمية، أن عندكم يهود ونصارى واحتلال مقدسات، فهذا الكلام يرفع درجة حرارة المناخ إلى أن يكون مناخا ثوريا.

قضايا الإسلام والحاكمية وغياب شرع الله والربا= كلها قضايا شرعية تفهمها النخبة، ولا يزال لها عند بعض المسلمين وحيث الأجواء مناسبة دافع للتحريك، أي أنك يمكنك بها أن تحرك شباب الحركات الإسلامية وطلبة العلم، تأتي لأوساط سلفية فتتحدث عن فساد العقائد وانتشار الشرك والبدع، فهذا يحرك

النخبة، ثم تنظر في باقي الناس فتجد الفقر في كل بيت، فهذا الباب لا يصلح مثلا تثوير أهل الإمارات العربية المتحدة، ولذلك لا أرى مفاتيح للدخول على هؤلاء.

فعملية طلب الناس للثورة ليست بسيطة، أنت تطلب إنسانا ليدخل معك ويقتل، كما قال رجل للرسول عليه الصلاة والسلام: أنت تدعونا أن نفتح صدورنا للعرب وتعضنا السيوف، وفي بيعة العقبة قال للأنصار: هل تعلمون على ما تبايعون عليه؟ قال: على قتل الأشراف ونهب الأموال، فنحن ندعو الناس إلى قضية ثمنها ليس بسيطا.

عندما يأتي رجل من المتصوفة يدعو الناس لدعوته= فهو يدعوهم لضرب الدف والرقص وأشياء بسيطة جدا، يمكن لأي إنسان أن يشترك فيها، ويعود منبسط النفس منها.

وعندما يأتي السلفي المزعوم من هذا التيار الذي ابتليت الأمة به -غير السلفي الحقيقي-، ويدعو الناس لجلسة في الفقه والإلتزام وتقصير الثوب= فهي أمور مقدور عليها، يستطيعها أي أحد.

وعندما يأتي الإخواني فيدعو الناس للجلسات والبيعة و(الله غايتنا) والكلام والحفلات والرحلات والكشافة= شيء ممتع وجميل جدا.

تأتي أنت جنابك تريد أن تدعو الناس للثورة وعنوانها القتل وأن ينتهك عرضك وتخطف أمك وتختطف زوجتك أمامك –لا سمح الله- في المعتقلات والسجون، ويرى المدعو المثَل أمامه= فهذا لا يلحقك إلا إذا تكونت عنده قناعة حقيقية بأن هذا ملزم وهذا مفروض، وهذا من الله سبحانه وتعالى، وأمر آخر أنه لو شاركك فهذا البلاء يمكن أن يزول، وأن البديل عنه ليس أن يذهب فقط إلى الجنة –هذا يكفي كثير من النخبة فقط-، ولكن أن حياته نفسها يمكن أن تتحسن، ومشاكله يمكن أن تنتهي، وعندما تقنعه بهذا الكلام يولد عنده مناخ ثوري.

فالناس التي عندها نخوة تكلمهم في أعراضهم المنتهكة، والفقراء تحدثهم عن الفقر، والمؤمن بالقضية الوطنية تكلمه بالاحتلال والغزو الأجنبي، الشعور القومي وحده حرك الوطن العربي كله في وجه الاستعمار،

ومعظم حركات التحرر وإن كانت أخذت لها صبغات إسلامية، لكن حرك كثيرا منها القوميون واليساريون وشاركوا فيها.

وإلى يومنا هذا الثورة الفلسطينية في مواجهة إسرائيل تأخذها –وللأسف- راية قومية يسارية علمانية، والناس الذين دخلوا المنظمات الفلسطينية حقهم في أعناق الإخوان المسلمين الذين نكصوا عن حمل راية الجهاد في فلسطين في الأردن، لما فتحت المعسكرات أغلقت بسبب مشكلة ولم تعد، ولما عدى الملك حسين على الفلسطينيين ليصفيهم لم يشتركوا في قيل ولا قال، وخرجوا من المسألة كلها، ومن أراد أن يقاتل في فلسطين ليس أمامه إلا بوابة جورج حبش الشيوعي أو أحمد جبريل الشيوعي، أو أحسن شيء علمانية وقومية ياسر عرفات، وليس هناك بوابة إلا فصيلا إسلاميا بسيطا في "فتح" تحت راية علمانية، وهذا لأنه لا خيار.

فإذا امتلكت خيارا، ولك منهج متكامل= ستستوعب كل إنسان ثار لسبب، وهذه المشاعر إذا كانت في سياق الإسلام كانت شرعية، حتى أن خالد بن الوليد أثار قضية قومية في حروب الردة، لما رأى الناس ترجع قال: تمايزوا بالقبائل، حتى يدخل في أسباب المقاومة "العار"، عار هزيمة القبيلة، يقال: هزم المسلمون من قبل بني تميم! يا لطيف، وسيدنا حمزة رضي الله عنه كان إسلامه –حسب السير- أنه تعصب وغار للرسول عليه الصلاة والسلام، قال لأبي جهل: أتضربه وأنا على دينه، ثم لما دخل في الإسلام رضي الله عنه استوعب المسألة، وصار الإسلام كما ينبغي أن يكون، وأسلم أبو طلحة كي يتزوج أم طلحة، حتى كانوا يقولون: ما عرفنا أكرم مهرا من أم طلحة، بعد ما توفي زوجها، ولم يكن المشرك يحل للمسلمة قالت: ما أتزوج إلا مسلما، فأسلم ليتزوجها، ثم حسن إسلامه، حتى أنه رأى طائرا وهو يصلي دخل في حائطه –بستانه- فشغله عن الصلاة، فذهب للرسول عليه الصلاة والسلام يشتكي له، ثم تصدق بالبستان في سبيل الله.

فأنت تستطيع أن تدخل الناس من البوابة للسبب الذي يدخلون فيه، حتى قال الرسول عليه الصلاة والسلام للرجل: أسلم ولو كنت كارها، وبعدين يمشي حالك، فإذا وجدت سبيلا شرعيا يصلح لوضعه في المناخ الثوري= فافعل.

وأذكر هنا كلمة للشيخ راشد الغنوشي –رغم مخالفتنا الشديدة له ورغم كثير من الضلالات والزندقات التي ملأ بها كتبه ومحاضراته– ولكن كنا مرة في جلسة، فتكلم أنه استطاع الاتجاه الإسلامي في تونس أن يكسب الشارع لفترة طويلة ويكون هو خيار الإسلام في تونس، يعني من يريد الإسلام في تونس يذهب إليه، هذا هو الإسلام والآخر هو الكفر والعلمانية، قال لي:

عندما أردنا أن نتحرك وجدنا أن هناك شعارات استطاع العلمانيون والقوميون والنقابات أن يجمعوا الناس عليها، فوجدناهم يكلمونهم في حقوق العمال، وموضوع حقوق العمال هو شرعي وإسلامي، فهو إنصاف مظلوم وإغاثة ملهوف، ويتكلمون في قضية إنصاف المرأة، وإعطاء الحقوق الشرعية للمرأة، والرسول عليه الصلاة والسلام توفي وقال قبلها: "أوصيكم بالنساء وما ملكت أيمانكم"، وكذلك قضية الأموال والعمال وغير ذلك= كلها قضايا شرعية، نستطيع نحن أن ندخل فيها الناس، فجعلناها من جملة سياساتنا في استيعاب الناس، وأسلمنا هذه الطروحات، وجعلناها من مقاصد الشريعة، وخلال سنتين أو ثلاثة استحوذنا على كل الشارع، ووصلنا في الانتخابات إلى ٨٠ %، وهذا له مدلول أن الناس استجابت لحركة جماهيرية.

هذا الكلام حكمة وصحيح، والذي قاله راشد الغنوشي صحيح، وهو وسيلة للتعبئة، الرجل له مصائب أخرى نناقشها في حينها، والحكمة ضالة المؤمن.

هذه الأبواب إذا سلكتها سلوكا صحيحا تؤدي بمجملها إلى مناخ ثوري، وهذا المناخ تلمسه في سب الناس للملك والحكومة في كل دخلة وخارجة، حتى بالفكاهات والشائعات والنكات الاجتماعية التي تيسر بين الناس، وتجد الرفض ساريا عند المجموع، فتقوم باختبار كأن تدعو إلى مظاهرة أو إضراب= لتلمس حجم الاستجابة، فتعرف الآن بكل الدلائل أن المناخ أصبح ثوريا، وتعرف عندما تطلق أول طلقة على

أول دورية للمخابرات، وعلى أول قاعدة للأمريكان في بلدك= أن هذا سيلقى أصداء من التأييد الكامل، وهذا سينعكس لنتائج سنشرحها فيما بعد.

وأي بدء قبل توفر هذا المناخ الثوري هو من أسباب الفشل.

عندنا في الشام كان المناخ ثوريا لسبب بسيط وهو أننا سنة والحكومة نصيرية، فكان المفتاح سهل شرحه، أننا مستعمرون ومحتلون من أقلية كافرة، لا تعبد الله ولا تحترم رسولنا، ومع ذلك كان أغلب الشعارات الظلم والمفاسد وأفعال المخابرات .. إلخ، فتجيش الناس بسهولة جدا.

ومن خلال تجربتي ومطالعتي أرى أن المناخ ليس ثوريا في مصر بعد، رغم أن الإخوة في مصر ربما أبلوا بلاء حسنا أكثر من الجهاد الذي حصل في سوريا، ولكن ما أدى هذا البلاء لتحويل المناخ للحالة الثورية، وهذا يحتاج لمراجعة: هل نحن قصرنا؟ أم أن هذا البلد لا يصلح لذلك؟

ويكفي أن تدلل على: كيف أن المناخ لم يكن ثوريا، أنه إذا هرب أحد الإخوة تجد الناس يتبرعون بالدلالة عليه أين هرب الأخ، في حين شهدنا في بلاد الشام مائة شخص يتبرعون لتضليل المخابرات عن الإخوة، وأينما ذهب الأخ تجد عموم الناس ينصحونه بتجنب بعض الشوارع التي يتركز فيها المخبرون والدوريات، مع أن الأخ ليس عليه علامات الإخوة من اللحية مثلا، لكن يتوسمون فيه خيرا، فهذا المناخ في الشام كان ثوريا.

أما المصطلح الثاني وهو "مفتاح الصراع"= فهو متعلق بالمناخ الثوري، ويقصد به: البوابة التي تدخل منها على الناس كسبب رئيسي للثورة، غير الأسباب الفرعية.

فمثلا: نحن نثور لأن الروس احتلوا بلدنا= هذا سبب رئيسي، بعد ذلك نتكلم في الأعراض والأموال والتفاصيل، فمفتاح الصراع هو سبب الخروج.

الآن جاءوا يدخلون على الناس في الجزيرة من بوابة غياب شرع الله، فاكتشفوا أن الناس ليسوا سلفيين وهابيين كما يدعون بالقدر الكافي، وما كفى هذا الناس لأن يخرجوا على الحاكم، ووجدوا مائة عذر للحاكم ولم يكفروه.

لكن أعتقد الآن أنهم وفقوا –ونسأل الله لهم المزيد من التوفيق والصواب- في اختيار مفتاح سهل على عقول الناس، أن عندكم غزو أجنبي، و"أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"، فهذه قضية يفهمها الرجل والمرأة والكبير والصغير والجاهل والعالم، فهذا مفتاح نافع.

اكتشف تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية من وقت مبكر أن مفتاح الصراع الصحيح هو قتال الأمريكان واليهود في مصر، وهذا مفتاح صحيح جدا، فأنت إذا قتلت شرطيا تجد مائة واحد من الناس يحكي عن زوجته وأيتامه ويترحم عليه أيضا وحسبنا الله ونعم الوكيل في المسلمين الذين يقتلون بعضهم بعضا، فهذا ليس مفتاحا للدخول منه على الناس.

فنقول: أن قضية مفتاح الصراع يجب أن تكون محل عناية شديدة جدا، مفتاح الصراع وهو قالب الشعار الأساسي للثورة: لماذا أنت خرجت، ويجب أن لا تصوغ شعاراتك بأسلوب معقد جدا، تحدث أمة أمية وتقول لهم: ودفع الصائل ليس أوجب بعد توحيد الله منه وأجمع على ذلك فقهاء ..!!، ولا تحدثه عن العقائد ولا قال الحاوي وشرح الصاوي، لا يفهم العامي من هذا الكلام شيئا، وإنما شعار بسيط جدا يستطيع فهمه، مثلا: الوضع العام غلط، والله سبحانه وتعالى أوجب عليه قتال هؤلاء الأمراء، إذا قتل ذهب إلى الجنة، وإذا لم يقتل تتحسن حياته وتزول المشكلة، إذا استطعت أن تصوغ هذا بصياغة بسيطة= فهذا هو مفتاح الصراع.

فإذا كنت في بلاد الشعور الديني فيها متوقد، يصلح حينها الحديث عن قضية شرع الله، وفي بلاد يسحقها الفقر كالمغرب مثلا التي شبابها إلى الآن ذوو الجامعات العليا لا يجدون عملا، ويتعبئون في مراكب يسمونها مراكب الموت، بسبب قتلهم من رصاص خفر السواحل الإسباني والإيطالي والفرنسي، أو من الغرق في البحر، فهذا الشاب لو قلت له: تعال احمل السلاح على الملك لأن شرع الله مغيب= لم يفهم.

لما قلت هذا الكلام ظن بعض الناس أن هذا نوع من التحويل العلماني لمنهج الجهاد الإسلامي، وليست القضية كذلك، وإنما القضية أن منهجك يجب أن يكون متكاملا، فعندما يأتيك الرجل ويدخل معك، نعم تدرسه العقائد وتدرسه المناهج، الله عز وجل خاطب قريشا بأنه (أنزلنا عليكم كتابا فيه ذكركم) لما طالعت في التفسير: فيه عزكم ورفعتكم ونصركم على الأمم، فأثار عند العرب حالة السيادة، والرسول عليه الصلاة والسلام ذكر فتح كنوز كسرى وقيصر وتوزيعها وتفريقها على المسلمين، والنفوس طبائع وجبائل مختلفة.

فأقول: جوهر الصراع والقضية: أننا نقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وهذا يجب قوله ولا نتخلى عن هويتنا لنصير علمانيين، وليس هذا المقصود بالطبع، وهو الذي فهمه بعض الناس الذين قصر بهم الفهم، أو أرادوا أن يثيروا هذه القضية لأغراض أخرى، حتى يقطعوا الطريق بيننا وبين شرح هذه المسائل للناس.

فأقول: نحن جماعة إسلامية مجاهدة في سبيل الله، الإسلام ديننا ومنهجنا، وهو أساس وأصل المنهج، الآن نتكلم عن أسلوب خطاب، ومداخل لنفوس الناس، فالمشاكل التي يتعرضون لها أمر الإسلام بحلها، وأمر بالدفاع عن المسلمين من أجلها، فنحن نثير هذه المشاكل حتى تكون بوابات لدخول عوام الناس الذي لا يفهمون تعقيداتنا، فإذا دخلوا إلينا نقوم بعملية إفراغ وملأ لهم.

الآن هل نقول للشعب المغربي: أنتم متصوفة مالكية أشعرية، ونحن سلفية موحدون، لعنكم الله؟!! طيب، كم واحد ممكن أن يدخل في الثورة بهذه الطريقة؟

لا أقول كم واحد سيدخل، بل كم واحد من المغاربة سيقاتلنا مع النظام؟ كلهم تقريبا سيقاتلون.

مع أن العقيدة الأشعرية ليست كعقيدة السلف فعلا، ولا يقارنان أصلا، ولكن نحن نتكلم عن بوابة للدخول إلى الناس، ولم يقل أحد أن الأشاعرة ليسوا مسلمين.

هناك مفتاح للصراع يجب أن يكون أساس منهجنا وهو رفع كلمة الله سبحانه وتعالى، أي أن تكون كلمة الله هي العليا، ثم نفهمهم أن مفهوم كلمة الله هي العليا تقتضي أنك لا تكون فقيرا، فيجد فيها مصلحته في الدنيا والآخرة، وكلمة (هي العليا) ألا ينتهك عرضك، لما دخل النصيرية حماة بقوا ثلاثة أيام

يفضوا في بكارات النساء ويغتصبوهن، حتى أني قابلت امرأة سورية كبيرة قلت لها: لماذا لا ترجعي إلى سورية؟ فلعنت سورية واللي جابو سورية، فسألت ابنها فحكى لي بعض ما حصل لها من أهوال، ليس لها وجه ترجع به بعد ما حصل.

لما تتكلم في نساء البوسنة، خمسون ألفا من الأعراض انتهك، وهذا ما تم تسجيله وعرف، عدا من استحت ولم تتكلم.

لما تتكلم أنه كان من المقترح أن يأتوا بنساء من مصر وبعض الدول، للترويح على جنود الأمريكان في البحرين، وكذلك حصل في قواعد الأمريكان في تركيا، زنا ودعارة في نساء المسليمن، وكذلك شائع جدا في المغرب قضايا الدعارة عند أهل الخليج، بل إن نصف العاهرات المصدرات إلى أوروبا من بلاد المغرب العربي: تونس والمغرب والجزائر، أغلبهم أجبر على الدعارة في بلده، فلما وقعت الكارثة وهي أصلا منبوذة اجتماعيا فسافرت لأوروبا.

وأنا دخلت بلجيكا فوجدت نصف الدعارة القائمة فيها، الغنية قائمة على بنات هولندا، والرخيصة قائمة على بلاد المغرب العربي، وتحدث إلي بعض الفجار السوريين من مرافقي بعض أمراء السعودية، قال لي: نحن نذهب إلى المغرب، فمن الضيافة الملكية أن يضيفوهم بالبنات!

أنا واحد من آخر أهل المشرق، أشعر بالخزي إذا سمعت أن هذا يفعل بنساء المسلمين في المغرب، وهذا يحدث في كل البلاد التي نكبنا فيها.

فإذا أتيت إلى بلد هذه الظاهرة فاشية فيها، فتجعلها بوابة لخطاب الناس= يصلح هذا كمفتاح للصراع.

مَنْ أي مجنون يقول لي: هذا الكلام ليس شرعيا؟!! ويقول: لا نكلم الناس في هذا، وإنما نثور لنحكم شرع الله، ومن قال لهذا المجنون أن هذا ليس من شرع الله؟!

هذه العقلية جاءتنا من التيار السلفي المزعوم، جاءونا ليقولوا أنه يجب أن تفرد الراية وتفرد المناهج ويفرد الخطاب إلى هذا الموضوع فقط، حتى عندما نريد أن نخاطب الناس نقول: نحن جماعة سلفية، وعقيدتنا في حديث الآحاد كذا.. !! ايش هذا الذي انتهك عرضه الآن يهمه من حديث الآحاد؟!

هل هذا مدخل يصلح للدخول على الناس لدعوتهم إلى هذه التفاصيل، لكن بعد أن يدخل عندي الناس وأنا عندي منهاج تربوي، ومراحله متعددة، أعلمه ما يستوعبه، لكن أن يأتيني شخص لا يحسن قراءة الفاتحة أحكي له في حديث الآحاد؟!!

بل تأخذه بدورات في قراءة القرآن، ثم أساسيات الإسلام، وهكذا.

أما مفتاح الصراع والمناخ الثوري والشعارات العامة الأساسية= فيجب أن تكون قضايا إسلامية عامة، وتحتها مصالح الناس الشرعية، فيفهم الإنسان أنه إذا قتل معك ذهب إلى الجنة، وإذا عاش ستنتهي مشاكله، ولذلك البلاد التي لا مشاكل اجتماعية فيها من أصعب المناطق التي تريد الثورة فيها، مهما كان شرع الله بعيدا عنها، وهذا واقع ومشاهد، لأنه لم يصل الوعي عند الناس في هذه البلاد لأن يغاروا على شرع الله بالقدر الكافي.

فمن يزعم أن خطاب الناس بخطاب جماهيري حكر على العلمانيين واليساريين= فقد أخطأ، بل نحن نريد خطابا شموليا، فيه إعلاء كلمة الله وتحكيم شرعه، وكذلك فيه التفاصيل التي نجيش بها الناس.

بلغ هذا الأمر ببعض العقليات السلفية المزعومة أن نهى عن القتال في أفغانستان، لأنه قتال بين المشركين الأفغان والملحدين الشيوعيين، وهذا من إفرازات العقلية السلفية العظيمة، وقلت لأحد هؤلاء: الإمام ابن تيمية نفسه قاتل مع المماليك ضد الصليبيين وضد التتار، وكذلك العز بن عبد السلام قبله قاتل مع المماليك ضد التتار، وأئمة المسلمين قاتلوا مع الأيوبيين ضد الصليبيين، وقاتلوا مع الظاهر بيبرس، وحال المماليك في ذلك الوقت لم يحكموا كما ينبغي بشرع الله، بل إن منهم قادة ومماليك حكموا بالياسق، ومنهم بيبرس الذي عاصر ابن تيمية غير الظاهر بيبرس المشهور، فقد كان يحكم بالياسق، وكان السيد البدوي وأئمة المتصوفة يحج إليها أكثر من الكعبة!

فهل قال أحد قط أنه لا يجوز دفع التتار والصليبيين مع المماليك؟

لكن الفارق أن العلماء كانوا قبل وبعد المعارك يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ويشنعون عليهم وينبهونهم إلى مشاكل القبور والتصوف، حتى أن الإمام ابن تيمية أمضى نصف عمره في مشاكل مع الحكام، من أجل هذه القضايا، وسجن بسببها كثيرا، لكن لما دخل التتار الشام كان على رأس المقاتلين، بل هو الذي حشد الناس على قتالهم، ولم يقل لأحد: كيف نخرج مع أناس عندهم مشاكل وانحرافات في العقائد، بل إنه حكى الإجماع على أن الصائل يدفع بالمتيسر، ولا يشترط له شرط.

ونحن الآن أمام أربع صوائل:

صائل اليهود، وصائل النصارى، وصائل المرتدين، وصائل المنافقين، كنا من قبل نقاتل صائلا وراء صائل، مرة ضد الحكومة ومرة غيرها، الآن نقاتلهم مجتمعين.

يجب أن يعلم أن المعركة لها أسلوب ولها شعار ولها طرح ولها مفتاح ندخل به على الناس حتى نستطيع تجييشهم للقتال معنا، لم يقل أحد أبدا –إلا خوارج هذا العصر– أن عموم المسلمين خرجوا عن لا إله إلا الله، فأثناء العركة نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ضمن قواعد المصالح والمفاسد، ولا يمكن أن تدفع مصلحة وتستجلب مفسدة، أبسط شيء لو كانت زوجتك تحترق وكشفت عن رأسها وبانت سوأتها وجارك النصراني يأخذ بيدها فيجب عليك إخراجها.

فنحن أمام دفع صوائل، فيجب أن نختار مناخا ثوريا، ومفتاحا للصراع.

[إن فهم رجل العصابات يجنبنا مصيدتين كبيرتين، غموضين خطيرين، يبدو أن اختصاصيي مقاومة الانتفاضة يقعون فيهما بسهولة.

<u>وتتمثل المصيدة الأولى في (نظرية التآمر) التي تعتبر أن فكرة الثورة هي نتيجة (مشوهة عادة) لوسيلة التلقيح الصناعي، وإن نواة حرب العصابات وهي العنصر المخضب في هذا المجال، تتألف</u>

من أشخاص هامشيين، ومتآمرين، وسياسيين زراعي قلاقل – وبلغة أخرى عناصر هامشية، تتواجد نوعاً ما منفصلة عن وسطها الاجتماعي، وتوجهه نحو غايات غامضة وخطرة].

ولو لاحظت تجد كل وسائل الإعلام تعزف هذه المعزوفة.

[والمصيدة الثانية هي سفسطة الطريقة، المغذاة –على الأقل حديثاً– من قبل معظم العسكريين الأمريكيين من أنصار الفكرة القديمة القائلة بأن حرب العصابات هي، قبل كل شيء مسألة تكتيك وتقنية، يلجأ إليها أولئك الذين يمكن أن يحتاجوا لاستعمالها في كل مواقف الحرب غير النظامية.

فالخطأ الأول صلف وساذج في الوقت نفسه، ونراه يتردد في بلاغة الليبرالية الغربية، مبيناً الديمقراطية السياسية (أي الانتخابات الحرة) وكأنها الشيء المرغوب فيه، ومتجاهلاً أهمية الثقة في القرارات الشعبية، ومفترضاً ضمناً أن عناصر الجماهير بلهاء وشديدة الجهل والانفعال، لدرجة لا تسمح لها بأن تفكر بمفردها، أو أن تكون لها الإرادة الحرة أو القدرة على شن حرب ثورية.

وكنتيجة لهذين الخطأين، تفسر الثورة القائمة فعلاً، على أنها نتيجة ألاعيب عناصر مشبوهة أداتها رجال العصابات المستغفلون، وعناصر من المتطوعين التابعين لقوة أجنبية، أو المعتنقين على الأقل لفلسفة سياسية أجنبية[1]].

الآن الأمريكان يستخدمون نفس النغمة، لكن بدلا من نسبة الأحداث في الستينات وما تلاها للاتحاد السوفيتي، ينسبون الإرهاب الآن لإيران والسودان، ولم يخرج الأمريكان وحكوماتنا عن هذه العقلية.

[1] ما هو معنى أجنبي بالنسبة للفيتناميين أو الكوريين أو الكونغوليين؟ ألا يعني ذلك أمريكياً؟

[وإذا أخذنا الأمور على مستوى السذاجة، فذلك يفترض أن الناس لا يختارون الطريق الثوري بملء إرادتهم، كلا وبالتأكيد عندما تكون الثورة المعينة لا تتوافق مع التقاليد والمثل العزيزة على الأمريكيين، وفي هذا الموضوع لنسمع ما يقوله الرئيس ايزنهاور: "يجب أن نعلمهم –يقصد الفيتناميين– بما يجري، وأن نقول لهم كم هو هام بالنسبة إليهم أن يكونوا إلى جانبنا، وعندها سيريدون اختيار النصر"[٢].

وللأسف إن النصر الذي يبدو أنهم اختاروه لم يكن ما اقترحه الرئيس ايزنهاور!.

إن معظم واضعي السياسة الخارجية الأمريكية، والمختصين بذلك العلم السياسي –العسكري الجديد عن الانتفاضة المضادة (نظرية الثورة المضادة)، أو يمكن أن تصبح صراعات بين (نظامين عالميين: الشيوعيين من جهة، والأمريكيون وحلفاؤهم من جهة أخرى، أما الأشخاص المعنيون مباشرة، فليسوا إلا أحجار شطرنج، يحركهم هذا المعسكر أو ذاك.

ويجد الأمريكيون أنفسهم (الأجانب) الأكثر تكراراً في كل المواقف الثورية (فيتنام، كوبا، إيران، غواتيمالا، البرازيل، الكونغو، فنزويلا... إلخ). فليس من المدهش إذن، وبحسب سيكولوجية الحرب الباردة، أن نفتش عن معارضينا الروس أو الصينيين في منطقة النزاع، وعندما نجدهم أو يخيل إلينا وجودهم، نلبسهم الدور الرئيسي، وهكذا نرزح تحت عبء لا معقولية غريبة، تبدو فيه إمكاناتنا للملاحظة معدومة].

لماذا؟ لأن الذين يتولون مكافحة مشاكل سياسية واجتماعية هم عسكريون، فلا يستطيعون أن يفهموا أن المشكلة في أساسها سياسية أو اجتماعية، وليست عسكرية.

---

[٢] قال ايزنهاور ذلك في اجتماع للحزب الجمهوري في فيلادلفيا، حيث كان يقترح القيام بحملة دعائية مكثفة حتى يخلق "وحدة في وجهتي النظر، بين الشعب الفيتنامي والولايات المتحدة" (نيويورك تايمز ١٦، حزيران ١٩٦٤).

[إن الخلاصة التالية من المقال المعنون (مرافعة عن الواقعية في جنوبي شرقي آسيا لروجر هيلسمان)، الذي كان مديراً لشؤون الشرق الأقصى في وزارة الخارجية الأمريكية، هي خلاصة نموذجية في هذا الصدد:]

أتذكر أنه بعد انفجار الخُبَر قرأت مقالا في جريدة إنجليزية سخر فيه الكاتب أن السياسة الأمريكية لا زالت تبحث عن إيران ودول أخرى وراء القضية، وكأنها لم تتعلم من كوبا ولا فيتنام، وهذا يدل على أن السياسة التي كانت مسيطرة في الستينات والتي يحاول أن يكافحها هذا الرجل (روبرت تابر) كمفكر= الحمد لله ما آتت أكلها، وبقوا يفكرون في حلحلة المشاكل على طريقة العصا الغليظة، فكان كاتب المقال يسخر من موقفهم من انفجار الخبر، كما يفعل هذا الرجل الآن.

[إن كل تحليل للموقف في جنوبي فيتنام، يجب أن ينطلق على الأرجح من حقيقة أننا لا نخوض فيه حرباً حقيقة، فالمشكلة سياسية أكثر منها عسكرية، مع أعمال من الأرهاب وليس مع معارك، فمن مجموع السكان البالغ أربعة عشر مليون نسمة، لم يجند الفييتكونغ إلا ثمانية وعشرين ألفاً إلى أربعة وثلاثين ألفاً من رجال العصابات النظاميين، بالإضافة إلى ستين ألفاً وحتى ثمانين ألفاً من المساعدين المؤقتين، وتشبه الحملة الصراع ضد عصابات المجرمين في الثلاثينيات، أو ضد الشبان الإرهابيين في نيويورك حالياً، أكثر مما تشبه حرب كوريا أو الحرب العالمية الثانية، وبشكل إيجابي جداً، فإن مكتب التحقيقات الفيدرالي (*FBI*) لديه من التجربة ليعالج هذه المشكلة أكثر مما لدى القوات المسلحة].

(مجلة نيويورك تايمز، ٢٣ آب ١٩٦٤)

وبدون أن نحسب حساباً إلى سخف المقارنات –الشبان الإرهابيون– فإنه من الواضح بأن هذا التحليل يتضمن نقاط ضعف خطرة في مجالي الملاحظة والتفسير.

فمن مجموع السكان البالغ أربعة عشر إلى ستة عشر مليوناً، لم يضم الفيتكونغ ثمانية وعشرين ألفاً من رجال العصابات، بل ضموا ما لا يزيد عن ثمانية وعشرين ألفاً كحد أقصى، ولكن القرار الذي اتخذه الرئيس جونسون بقصف شمالي فيتنام في بداية العام ١٩٦٥، يبين لنا بوضوح أهمية هذه القوة].

أي: إذا كانت القوة سخيفة، وتستطيع حلها الاف بي آي لماذا أمر جونسون بقصفهم؟! مما يدل على أن المشكلة كانت أعمق من ذلك.

[ونذكر على سبيل المقارنة، إن رجال عصابات فيديل كاسترو والمقاتلين في جزيرة تضم سبعة ملايين نسمة تقريباً، لم يزيدوا أبداً عن ألف وخمسمائة رجل مسلح، ومع ذلك، وفي كانون ثاني ١٩٥٨، عندما شطرت معركة مدينة سانتا كلارا الفاصلة البلاد إلى قسمين، فإن المدينة –كلها ما عدا الحامية العسكرية– ألفت نفسها غارقة في النزاع، وعندما هرب باتيستا من البلاد في آخر يوم من السنة، أعلن كل سكان كوبا عملياً انضمامهم إلى النصر المكتسب، وبدا وكأن الثوار لم يكونوا معزولين بل كان البلد كله معهم].

وهنا نقف وقفة، فأقول: وقوف الناس معهم ليس لأن الناس مع الغالب فقط، مع أن هذا متصور ويقع، وعندنا مثال واضح عندما يكون الغزاة أجانب مع أنهم غالبون فلا يقف معهم أحد، أي ليس مجرد الغلبة هو سبب وقوف السكان، حتى لو حصل اجتياح، بل وقوف الناس معهم لظنهم أن الثورة تمتلك الخلاص.

وعندنا في تجربة حماة عام ١٩٨٢ كان عدد المجاهدين في المدينة لما حصلت الانتفاضة الإجبارية وأخرجوا من المخابئ إجباريا –وهذا سندرسه في حينه– ٥٠٠ شخص، سلحوا مباشرة ووزع أبو بكر جواد رحمه الله من الأسلحة ١٥ ألف كلاشينكوف على الأهالي، وأهل سورية ليسوا كأهل العراق مثلا عندهم

سلاح ومناطق قبائل، فالرجل أعلن الجهاد من المساجد يوم ٢ شباط ١٩٨٢، وسوف نحلل التجربة السورية ونمر عليها مرورا سريعا، وكذلك التجربة الجزائرية لأني شاركت فيها وأعلم تفاصيلها، ونحلل تجربتنا في أفغانستان، وسنعرض بصورة موجزة للتجارب التي حصلت في مصر ودول أخرى.

فأقول: أنه عندما يسلح ٥٠٠ شخص ١٥ ألف شخص معنى ذلك أن التجاوب الشعبي كبير جدا، وليست مشكلة مجموعة من المجرمين الذين خرجوا على النظام.

والآن أنا متأكد –بحكم ما عندي– أنه لو خرجت الثورات والحركات الجهادية الحاصلة حاليا، وامتلكت القوة لأن توزع سلاحا في البلاد التي فيها قتال= ما انضم إليها ألف شخص!

ففي قضية القناعة، والتي هي نتيجة المناخ الثوري، والتي هي نتيجة مفتاح صحيح للصراع، والتي هي نظرية حشد صحيحة، والتي هي أسلوب خطاب صحيح، والتي هي نتيجة منهج صحيح، مبني على تحليل صحيح للواقع، فأدت إلى جملة من الصوابات المتلاحقة، ثم إلى نتيجة صواب في النهاية.

[أما عن الركيزة الشعبية التي يتمتع بها الفيتكونغ في جنوبي فيتنام، فإن هيلسمان نفسه يعترف قائلاً: "في الأغلبية الساحقة يتطوع الفيتكونغ في الجنوب، ويأتيهم منه الغذاء والكساء، ويقتطعون منها (ضرائب) حتى يستجلبوا مؤناً أخرى عن طريق كمبوديا".

وعن الموضوع نفسه كتب وولتر ليبمان في نيويورك هيرالد تريبيون في نيسان ١٩٦٤: "إن الحقيقة التي تخفى على الشعب الأمريكي، هو أنه ليس لحكومة سايغون سلطة إلا على ثلث السكان، وهي لا تمارس رقابة (حتى خلال النهار) إلا على ربع أراضي البلاد، على أكبر تقدير".

ومن المتوجب أن يكون واضحاً، بأن الجيش الفيتنامي الجنوبي المؤلف من أربعمائة ألف رجل، تساعده فرقتان من (المستشارين العسكريين الأمريكيين)، وأرماداً من المطاردات وقاذفات القنابل

وطائرات الهيلكوبتر، ودعم مالي يومي يعادل مليوني دولار، لا يستطيع هذا الجيش قمع الانتفاضة].

مصاريف الحروب تعتبر كبيرة جدا جدا، فموسكو كانت تدعم حكومة كابل الشيوعية بمليون دولار يوميا، ومصاريف المجاهدين والأحزاب كانت ٣ ملايين دولار في اليوم، عندنا بعض الإحصاءات التي جمعناها أيام الجهاد ضد السوفييت، ومرتبات قادة الأحزاب وغير ذلك.

[**فالمسألة إذن ليست قضية (شبان إرهابيين)، أما الخطأ الناجم عن الاعتقاد بأن ثورة الفيتكونغ هي من عمل قلة متعصبة موجهة من الخارج، فإنه لا يستطيع الصمود أكثر من خطأ (الشبان الإرهابيين)، ولا تزال واشنطن تدعم هذا الخطأ لأسباب سنراها فيما بعد**].

والآن نقول نفس الكلام، فإذا كانت مشكلة الحركات الجهادية في مصر أنها وللأسف حركات غير جماهيرية إلى الآن، على صعيد الستين مليون، مع أن لها جذورا في المجتمع وليست معزولة، ومن دلائل ذلك أن لها ستين ألف سجين في السجن، حتى وإن كان الستون ألفا ليسوا قطعا أعضاء في جماعة الجهاد ولا الجماعة الإسلامية، ولكن هم جماهير لهذه الانتفاضة، فهذه حركات شعبية، لكن لم تصل لأن تكون جماهيرية.

[**هل يمكن استخدام تكتيك حرب العصابات ضدها وبنجاح؟ يجب أن نجيب بالنفي حتى لا نقع في مغالطة منطقية للطريقة، فأولئك الذين يقاتلون الهنود الحمر لا ينقلبون إلى هنود حمر إذا سلخوا فروات الرؤوس، كما أن الزي المبرقش بلون الغابات لا يحول مشاة البحرية الأمريكيين (المارينز) إلى (رجال عصابات)**].

يذكرنا هذا بالمقال الذي تحدث عن تفجيرات الخبر، ذكر أن الصحافة الحكومية كلها عالجته على أساس أنه لم يحدث شيء أصلا، وأنها مجرد مشكلة عصابات معزولة، بل ركزت الحكومة السعودية على أنه فكر جاء من الخارج، وأن أربعة أو خمسة أشخاص فقط قرأوا مجلة "الأنصار" واتصلوا بأبي محمد المقدسي وقرأوا كتاباتنا، حتى حاولوا توريطي بأنهم قرأوا كتاب "التجربة السورية"، في جريدة "الحياة" ذكر جمال خاشقجي هذا الكلام.

المهم صوروا الموضوع أنه بضع كتابات في بيشاور قرأوها هؤلاء السعوديون، ثم قاموا بالتفجيرات، وأن القضية مجرد عصابة معزولة، فرد عليهم كاتب المقال الإنجليزي بأن هذه من أحمق الطرق في معالجة ما يدور في الخبر، وأنه لولا أن هناك ضغطا –نتيجة القواعد الأمريكية- ما حصل الذي حصل، لكن نفس عقلية البنتناجون التي أدارت حرب كوبا وفيتنام وثورة مصدق في إيران، وذكر أن الذي يرسم السياسة الخارجية الأمريكية لا يهمه وضع العائلة المالكة في الرياض، ولا مصالح البيت الأبيض، إنما يفكر في مصالح جهة أخرى، يقصد أن هذه السياسة تخدم مصالح اليهود، لا مصالح الأمريكان ولا مصالح آل سعود.

ذكرنا في المحاضرة السابقة أن أسلوب الخطاب يجب أن يكون جماهيريا، ويجب أن يشعر الناس أن هذه الثورة وأن هذه العصابات التي قامت لتقاتل في سبيل الله= تقوم لتصلح لها آخرتها، وفي نفس الوقت تصلح لها دنياها، وتحل المشاكل التي تؤرقها.

وقلت: أن من الملاحظ أن الحركات الجهادية في المرحلة الماضية لم تكن جماهيرية وانعزلت، وأن خطابها كان صحيحا ولكن أحادي النوع، أي كان ناقصا، وأنه يجب أن يكمل في المشاكل الدنيوية التي يعيشها الناس، من مشاكل الاقتصاد إلى الظلم إلى القهر إلى مشاكل العرض إلى سرقة الأموال والثروات، وقلت أن هذه الخطابات والتي هي شرعية وإسلامية في جوهرها= فقدت ارتباطها، وكأنها حكر على العلمانيين، فقط العلمانيون هم من ينادون بحقوق الناس وحقوق العمال وملف الثروات والنهب إلخ، حتى مشاكل التطبيع ونزول القوات الأجنبية يتكلم فيها العلمانيون والقوميون، ولا يخوض فيها الإسلاميون.

وقلت أن الإخوة الذين تعرضوا للتربية عند التيار المسمى سلفيا لفترة طويلة، يظنون أن هذا الخطاب هو خطاب علماني، وليس خطابا إسلاميا، حتى أن بعض من لم يسمعوا تفصيل هذا الأمر ظنوا أن في هذا تغييرا لطبيعة الراية والمفاصلة والفكر الجهادي، وأن هذا ميل لما كنا عليه، بل قال بعضهم لي: أنت تعاني من هذه الردة الفكرية نتيجة ما حصل في الجزائر، فتريد أن ترجع عن بعض الأفكار الجهادية.

هذه القضايا كنت سأؤجل الكلام فيها حتى نصل لتفصيل القول في المنهج، لما خرجت المرة الفائتة سألني أخونا عن كتاب "معالم في الطريق" هل هو موجود عندنا أم لا، فوقع في نفسي أنه يريد أن يستفصل عن الفصل الذي يتحدث عن أن القتال قتال عقيدي فقط، ثم ظهر أنه يريد ذلك فعلا.

والنص الذي يظن أن فيه تناقضا بين ما قلته وما قاله سيد قطب رحمه الله، أنا نفسي نقلته في كتاب "التجربة السورية" لأؤكد على أن طبيعة هذه المعركة بيننا وبين الكفار هي معركة على الدين وليست على المصالح، وليست على المشاكل الفرعية.

فأنا سأقرأ الآن كلام سيد قطب ثم نحاول أن نزيل اللبس في هذه المسألة، حتى لا يساء فهمنا، وحتى نقطع الطريق على من يريد أن يصطاد في الماء العكر، والآن سأقرأ مما قلته في "التجربة السورية" الجزء الثاني ص١٨٠، وهذا الكلام كتبته في ١٩٩٠ ولم أرجع عنه والحمد لله، يقول الشهيد رحمه الله:

(هناك حقائق من طبيعة هذه الدعوة التي لا يجوز للدعاة الاجتهاد فيها، وهي أن عليهم أن يجهروا بالحقائق الأساسية في هذا الدين، ولا يخفوا منها شيئا، وألا يؤجلوا منها شيئا، وفي مقدمة هذه الحقائق أنه لا ألوهية إلا الله، فهذه الحقيقة الأساسية التي يجب أن تعلن أيا كانت المعارضة والتحدي، وأيا كان الإعراض من المكذبين والتولي، وأيا كانت وعورة الطريق وأخطارها كذلك.

وليس من الحكمة والموعظة الحسنة إخفاء جانب من هذه الحقيقة أو تلك، لأن الطواغيت في الأرض يكرهونه أو يؤذون الذين يعلنونه، أو يعرضون بسببه عن هذا الدين، أو يكيدون له أو للدعاة إليه، فهذا كله لا يجوز أن يجعل الدعاة إلى هذا الدين يكتمون شيئا من حقائقه الأساسية أو يؤجلونه، ولا أن يبدأوا

معنى من الشعائر والأخلاق والسلوك والتهذيب والروح، متجنبين الطواغيت في الأرض، لو بدأوا من إعلان وحدانية الله وربوبيته، ومن ثم توحيد الدينونة والطاعة والخضوع والاتباع لله وحده.

إن هذا لهو منهج الحركة لهذه العقيدة، كما أراده الله سبحانه وتعالى، ومنهج الدعوة إلى الله كما سار بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتوجيه من ربه، فليس لداع إلى الله أن يتنكب هذا الطريق، وليس له أن ينهج غير هذا النهج، والله بعد ذلك متكفل بدينه، وهو حسب الدعاة إلى هذا الدين، وكافيهم شر الطواغيت).

ثم يقول في مقطع آخر رحمه الله:

(إن دين الله حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء، تتمثل في عقيدة تعمر القلب، وشعائر تقام للتعبد، ونظام يصرف الحياة، ولا يقوم دين الله إلا في هذا الكل المتكامل، ولا يكون الناس على دين الله إلا وهذا الكل المتكامل متمثل في نفوسهم وفي حياتهم، وكل اعتبار غير هذا الاعتبار= تمييع للعقيدة وخداع للضمير، ولا يقدم عليه مسلم نظيف الضمير).

ويقول:

(وعلى المسلم أن يجهر بهذه الحقيقة ويفاصل الناس كلهم على أساسها، ولا عليه مما ينشأ من هذه المفاصلة، والله هو العاصم).

ويقول، وهنا نقلت الكلام بالخط الغامق الكبير لأهمية النص:

(وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم، ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل، وبين ما يدعوهم إليه من الحق، وعن الفاصل بين حقه وباطله، حين يفعل صاحب الدعوة هذا مراعاة للظروف والملابسات، وحذرا من مواجهة الناس بواقعهم الذي يملأ عليهم حياتهم وأفكارهم وتصوراتهم= فإنه يكون قد خدعهم وآذاهم، لأنه لم يعلمهم حقيقة المطلوب منهم كله، وذلك فوق أن يكون لم يبلغ ما كلفه الله تبليغه.

إن التلطف في دعوة الناس إلى الله ينبغي أن يكون في الأسلوب الذي يبلغ به الداعي، لا في الحقيقة التي يبلغهم إياها، إن الحقيقة يجب أن تبلغ كاملة، أما الأسلوب فيتبع المقتضيات القائمة ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة).

في صفحة ١٩٣ كما نقلنا للشهيد سيد قطب رحمه الله، نحسبه شهيدا نسأل الله أن يرحمه ويجزيه عنا خيرا، بعنوان: هوية الراية وطبيعة المعركة، هذا الكلام نذكره لئلا يظن أننا نريد أن نترك راية الدعوة إلى حقيقة التوحيد إلى مجرد الدفاع عن المصالح الاجتماعية والفروق الطبقية .. إلخ من أمور ثانوية، هي ليست حقيقة في معركة لا إله إلا الله، فيقول سيد قطب هنا رحمه الله:

(إن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة، وليست شيئا آخر على الإطلاق، إن خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة.

إنها ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية، ولا معركة عنصرية، ولو كانت شيئا من هذا لسهل وقفها، وسهل حل إشكالها، ولكنها في صميمها معركة عقيدة- إما كفر وإما إيمان.. إما جاهلية وإما إسلام!

ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم المال والحكم والمتاع في مقابل شيء واحد، أن يدع معركة العقيدة، وأن يدهن في هذا الأمر! ولو أجابهم –حاشاه- إلى شيء مما أرادوا ما بقيت بينهم وبينه معركة على الإطلاق!

إنها قضية عقيدة ومعركة عقيدة.. وهذا مما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدوا لهم، فإنه لا يعاديهم لشيء إلا لهذه العقيدة، إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، ويخلصوا له وحده الطاعة والخضوع.

وقد يحاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة، راية اقتصادية أو سياسية أو عنصرية، كي يموهوا على المؤمنين حقيقة المعركة، ويطفئوا في أرواحهم شعلة العقيدة.

فمن واجب المؤمنين ألا يخدعوا، ومن واجبهم أن يدركوا أن هذا تمويه لغرض مبيت، وأن الذي يغير راية المعركة إنما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها، النصر في أية صورة من الصور).

طيب، هذا الكلام ظاهره قد يفهم منه أنه خلاف ما قلناه في الجلسة الأولى، والحقيقة أنه لا خلاف بينهما قيد أنملة، بل لو أعدت كتابة منهج متكامل سأثبت هذا وسأثبت الآخر خلفه.

أما النص الذي في صفحة ١٨٣ فليس محل إشكال، فنحن يجب أن نبلغ الحقيقة كل الحقيقة، ببعدها العقدي وببعدها السياسي وببعدها الاقتصادي وببعدها الاستعماري، يجب أن نبينها كلها، ولا يجوز أن نجزئها أو نخفي جزءا ونعمل بجزء.

فنقول: نحن نريد أن ننشئ مجلة إسلامية مثلا، وحتى يسمحوا لنا فلا نتكلم عن الحاكم مثلا، فهذه المداهنات والمجاملات على حساب دين الله، كما قال سيد رحمه الله ليست من صلاحية الداعية، وهذا الذي فعله الإخوان المسلمون والحركات التي أنكرنا عليها، حتى تركستان التي في آخر الدنيا، ظهر هناك حزب لتحريرها ينكر على الإخوة الهوية الشرعية الإسلامية، ويقول: لو قلنا نحن إسلاميون فلن ينصرنا الغرب في تحرير تركستان، بل دعونا نقول: بأننا محتلون من الصين ونريد تحقيق الديموقراطية، وعندما نتمكن ونعمل نعلن حينها الهوية الإسلامية!

هذا الكلام ننصحهم الآن أن يرفضوه، كما رفضناه سابقا، وكما لم نقبل أن تتغير طبيعة هذه المعركة، بأنها معركة على الدين، وأننا نريد أن نطيح بالكفر القائم، لا لنقيم كفرا مختلطا بالإسلام من بعده، وإنما لنقيم إسلاما صرفا.. فهذه الحقيقة ليس لأحد أن يلعب فيها.

وفي الكتاب سقت مثال التحالف الوطني على ذلك، وهو أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما جاءه أبو لهب بعد موت أبي طالب، وقال له حمية: أنا أنصرك على ما كان ينصرك عليه أبو طالب، ففرح الرسول عليه الصلاة والسلام، فجاء زعماء قريش –وكانوا دهاة فعلا في السياسة– قالوا لأبي لهب: سل محمدا أين أبو طالب الآن؟ فسأله أبو لهب فعلا، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام: هو في النار. فقال له أبو لهب: إذا لا أنصرك أبدا.

وفي مناظرة موسى وفرعون قال له (فما بال القرون الأولى) فما ترك الموضوع الأساسي وصرفه عن السؤال قائلا (علمها عند ربي في كتاب).

لكن في قصة أبي لهب الفائتة لما كان الموضوع يمس قضية من مات على الكفر= لم يكن للرسول عليه الصلاة والسلام خيار آخر لمصلحة الدعوة ليخفي هذه الحقيقة، أو يقول له: الله أعلم، أو يسكت، ولم يكن له أن يخفي شيئا من هذه القضية لمصلحة سياسية موهومة.

وما ذبح العمل الإسلامي أصلا إلا نظرية المصالح بدون مرتكز من السياسة الشرعية، على أيدي الحركات التي بدأت هكذا تمشي الهوينى، ثم انتهت بالديموقراطية جهارا نهارا، وبالأساليب التي ليست من الإسلام في شيء.

سأستعير منه مقطعا أن المنطقة الحرة للداعية أن يتحرك فيها هي في الأسلوب، يقول:

(إن التلطف في دعوة الناس إلى الله ينبغي أن يكون في الأسلوب الذي يبلغ به الداعي) يعني الحقيقة كحقيقة ينبغي أن تبلغ، لكن بعد ذلك الأسلوب والشدة حيث الشدة واللين والتدرج حيث التدرج= ليس فقط حق الداعية، بل هو واجب عليه.

كان علي بن أبي طالب يقول: "خاطبوا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"، الله سبحانه وتعالى يكذب ورسوله يكذب، والعلة في التكذيب خطاب الناس لا على قدر عقولهم، فمن باب أولى إذا جئنا نحن في ذيل الزمان وكلمنا الناس على غير عقولهم أن نكذب أيضا.

فمطلوب من الداعية أن يتلطف في الأسلوب، ويجد الأسلوب المناسب، لكن على أن يبلغ حقيقة هذا الدين كاملة، وليس من المصلحة السياسية عندما آتي كي أقاتل مع عموم المسلمين، مع صالحهم وفاسدهم، وسنيهم ومبتدعهم، دفعا للصائل.. ليس من الحكمة قطعا أن أقر المبتدع أنه على السنة، أو أقر للواقع في الشركيات أنه على عقيدة السلف، أو أن أشهد للباطل أنه على الحق.

لكن إذا وقع البلاء ونزل الصائل= وجب الانشغال بدفعه مع عموم أهل لا إله إلا الله، وليس لنا أن نتحالف مع مرتدين، لأن الشرع منع ذلك، ولأن عموم سواد المسلمين على بدعهم وفسوقهم وضلالهم لم يقل أحد بأنهم مشركون أو مرتدون، لا في السلف ولا في الخلف، ولو كانوا كذلك لما جاز لنا دفع الصائل معهم، وإنما ندفعه معهم لاعتقادنا أنهم على عمومهم هكذا من أهل لا إله إلا الله، رغم أنه حتما بينهم من بلغت به بدعته بأن خرج من دين الله، كما أن في عموم جيش الطغاة والمحتلين المحليين الذين نقاتلهم على الردة أناسا مسلمين، لكنهم تحت حكم الطائفة.

المقصود أن طبيعة الدعوة لا إخفاء فيها، لكن أسلوب الداعية هو الذي يدخله التدرج واللين والحكمة، وهذا سنناقشه في حينه.

كلامه رحمه الله عن أن المعركة معركة كفر وإيمان= هذا مسلم به، فمعركتنا مع اليهود مثلا منذ الرسول علليه الصلاة والسلام وإلى يومنا هذا هي معركة كفر وإيمان، والمعركة بيننا وبين الصليبيين والروم هي معركة كفر وإيمان أيضا، وفي كتاب سننقل منه يصف كيف أن الأمريكان ينطلقون الآن بروح صليبية، استكمالا للامبراطورية الرومانية، ويصرحون بهذا، حتى قال مسئول في الخارجية الأمريكية: (نحن ورثة الإمبراطورية الرومانية، وأعداؤها في التاريخ هم أعداؤنا اليوم)، فالمنطلق في العداء أصلا منطلق صليبي، ولما رفضوا دخول تركيا في الاتحاد الأوروبي قال مسئول فيه: على تركيا أن تعلم أن هذا التجمع تجمع نصراني، فعند ذلك تظهر القضية، أن عداء اليهود لنا عداء ديني.

انظر إلى الحلف الرباعي: يهود، نصارى، مرتدين، منافقين= عداؤنا مع كل فرد وكل تجمع ومعهم جميعا هو معركة دينية عقدية، هذا نعتقد به، ثم تبعته المشاكل الفرعية الأخرى.

لماذا لا يريدون لنا أن نتمسك بهذا الدين؟

أولا: للتنافس بين الحق والباطل، للتنافس بين الهدى والشيطان

ثانيا: لأننا بتمسكنا بديننا نقضي على مصالحهم ونقضي على النهب والتدخل في شئوننا والاستكبار في الأرض، لأن الناس إذا تمسكوا بدينهم صار واجبا عليهم أن يدافعوا عن أعراضهم، ومن واجبهم أن يربوا أولادهم على منهج إسلامي، فلا يقبلوا منهج اليونسكو، فهذه الفرعيات تقطع عليهم.

لذلك هم في جوهر غزواتهم الصليبية في القرن الحادي عشر والثاني عشر، كان هناك بعد اقتصادي طويل عريض في الغزوات والحملات الصليبية، وكان هناك بعد سياسي للملوك بأن يدفعوا بمشاكلهم الداخلية في أوروبا إلى بلاد المسلمين، ولكن أساس المسألة أنه كان غزوا صليبيا، ولما خرج البابا قال: نريد أن نحرر صليب الصلبوت –الذي يزعمون صلب المسيح عليه- من أيدي الكفار، فاختلطت كل هذه الأمور مع بعضها، وأورثت الحملات الصليبية وكان القتال عقديا، ولما أرادوا تجنيد الجنود جندوهم على أساس صليبي، وكان القسس على رأس الألوية، وكل مجند يتم تعميده ويعقد له الصليب الذي أصبح أصلا للجرافيتات وربطات العنق الآن التي يتأنق به الناس، وسمعت أن هناك بحثا للدكتور محمد عمارة يثبت هذا الأصل، وأن هذه الربطة كانت تفرض على الجيوش العسكرية فقط، ثم في القرن الأخير تحولت إلى موضة ودخلت الأزياء، ولذلك لا يجوز ارتداء هذه الربطة لما فيها من التشبه بالكافرين، إلا لضرورة كعبور حدود أو القيام بعمليات.

الشاهد أن الحملات الصليبية كانت عقيدية الطابع، والعدوان اليهودي كذلك عدوان عقدي، والطواغيت اليوم يحاربوننا لأننا نريد تحكيم شرع الله، وهم يريدون تحكيم شرائعهم، فطبيعة المعركة بيننا وبينهم عقدية بالضرورة، وأيضا المنافقون طبيعة المعركة بيننا وبينهم عقدية، حتى الذين لم يبلغوا نفاق الاعتقاد منهم، فكل العلماء الذين نافقوا نفاق عمل المعركة بيننا وبينهم عقدية، فلو حكم الإسلام لزالت مصالحهم.

لكن هذه الراية الأساسية تحمل في داخلها تفاصيل، فأنا قلت أن معركتنا وقيامنا لتحكيم لا إله إلا الله، قمنا لتكون كلمة الله هي العليا، هذا الخطاب لو اقتصرنا عليه دون الخوض في التفاصيل= سيكون خطابا معجما على فهم عوام الناس، فنحتاج إلى تفصيله، ويجب علينا أن ننتقل من الخطاب الأساسي إلى

خطاب أكثر تفصيلا ونذكر ما يراعيه منهجنا من مصالح الناس، وأن يفهموا أننا جماعة من أهل السنة وعلى عقيدة أهل السنة، وعلى فهم السلف الصالح، وأن مناطاتنا في الاستدلال كذا وكذا، هذا كله نفصله لأننا سنربي عليه الناس.

ولكن بعد أن نكتب منهجنا ننتقل إلى ما لم يقم به أحد إلى الآن، وهو أن نكلم الناس في رسالتنا السياسية بأسلوب إسلامي، استكمالا لهذا الكلام الصحيح الذي نبين فيه عقيدتنا، ثم نبين البعد الاقتصادي لمشكلات الناس، وأننا لو حكمنا شرع الله لزالت تلقائيا مشاكل الفقر، وهذا ما لا تقوله الحركات الجهادية بالعموم، وهي قضية إسلامية، فنبين للناس أن لا إله إلا الله تورث الخير كله، وأن غياب لا إله إلا الله أورث هذه المظالم كلها، فعند ذلك ندخل في التفاصيل، ويصبح لكل واحد من عموم الناس خطاب خاص به عندنا.

يجب علينا أن نثبت للناس أن هذه المشاكل التي هم فيها من الظلم والفقر والقهر هي مشاكل لها حل في الإسلام، وأنها بلاءات تسبب بها غياب حكم الله سبحانه وتعالى، وتسبب بها تسلط النصارى علينا وفرض شريعتهم.

لكن أن نظل نكلمهم بما هو موجود في معظم الأدبيات الجهادية في الوقت الحالي، أن القصة فقط قصة عقائد= فهذا لا يفهمه إلا النخبة، فيجب علينا أن نقول هذا، ثم يجب أن نكمله بذاك.

ثم يقول سيد بعد ذلك: (وقد يحاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة)= فهذا من قبل الأعداء لا من قبلنا نحن، يعني : أعداء الإسلام يحاولون إيهامنا أن المعركة بيننا وبينهم ليست على أساس الدين، المعركة قومية مثلا، حتى يسقط الوازع الأساسي في عملية القتال في سبيل الله والشهادة في سبيل الله، فهم لا يريدون منا أن نستيقظ للطبيعة العقدية للمعركة، هم الذين يريدون لا نحن.

كما أقنعوا الفلسطينيين مثلا أن المعركة سياسية، وأن القتال في فلسطين بين العرب واليهود، ولذلك قال رئيس وزراء تركيا يوما: إذا كانت المشكلة عربية/ إسرائيلية فما دخلنا نحن فيها؟!

فمجرد تحويل قضية فلسطين من قضية إسلامية إلى قضية عربية= شطب من المعركة مليار مسلم، وبقي مائتا مليون فقط، فلا دخل للتركي ولا للكردي ولا الفارسي ولا الأفغاني بها، هذا هو الذي يقصده سيد قطب، أنهم حولوا معاركنا لمعارك قومية، بين عرق اليهود وعرق العرب.

وحولوا المعركة بيننا وبين الحكومات على المصالح الاقتصادية فقط، بل المعركة على أساس الدين لا المصالح الاقتصادية.

فنحن نريد أن يكون طرحنا كلا متكاملا، فيه إيضاح للعقائد، وأننا خرجنا لأن شرع الله مبعد مغيب، ولأن الأعداء دخلوا علينا فأبعدوا شرع الله: إما بحكمهم المباشر، أو ولوا علينا وكلاء لهم، لكن الذي أريد أن أقوله أن نفهم الناس أن هذا الإبعاد هو الذي أورث المشاكل اليومية التي يحيونها.

فلم نعد حتى نستطيع تربية أطفالنا ونسائنا في المدارس على ديننا، فعندنا يأخذون الولد وهو ابن ست سنوات يدخلونه في الطلائع –طلائع البعث-، فيتربى على فكر حزب البعث من سن السادسة إلى أن يصبح رجلا، ومعظم بنات الشام الآن يمنعون دخول المتحجبات المدارس، ثم لما حدثت الثورة قصروا ذلك على المادة العسكرية، فتخلع البنت الحجاب أمام الضابط، ثم إذا انتهت أخرجته من جيبها، وقال المشايخ لها: هذه ضرورة.!

فالجزء الغائب من خطابنا اليوم هو الذي أبعدنا عن عموم المسلمين، فكثير منهم يشعر وكأن خطابنا لاهوتي، لا يلمسهم ولا يخصهم.

فهذا الكلام الذي نقلته عن راشد الغنوشي وغفلت عنه الحركات الجهادية= كلام حق، واستعمله في معركة باطل، لأنه شطب الطرح العقيدي أصلا، وقال جهارا نهارا: نحن حركتنا ليس من أهدافها إقامة شرع الله في تونس، وإنما المشكلة عندنا في تونس مشكلة حريات، وكتب كتابه "الحريات السياسية في الإسلام" وملأه بكلام أقله الزندقة وأعلاه الكفر.

فهذا الطرح نحن واعون له، ولا ننحرف إليه، ولكن من كلامه الصائب أنه لما أراد حشد الناس على شعار إسلامي جاء إلى شعارات الأحزاب القومية والعلمانية ورأى أنهم يحشدون الناس على مشاكلهم اليومية، ثم وجد أن مشاكل الناس اليومية لها حل في الإسلام، ومشاكل من العدالة نادى الإسلام بحلها فعلا.

فتبنى هذه المشاكل بطرح إسلامي، واستطاع إفهام الناس أن حل مشاكلهم يأتي تحت مسمى الإسلام، وهذا ما فعلته جبهة الإنقاذ أيضا، وهذا ما فعله الإخوان المسلمون كذلك.

هذا الجزء من منهجهم صحيح جدا، وعندما أقرأ لكم بعض البحوث في دفع الصائل وحماية العرض والمال.. إلخ، ستجدوا أن كل هذه الأحكام الشرعية يمكن صياغتها بما يحشد المسلمين معنا اليوم، ويستوعب كل مشاكلهم السياسية ومشاكلهم الاقتصادية وكل قضايا الاحتلال، وكل القضايا التي نعيشها هي ذات بعد إسلامي، ولها في ديننا طرح.

عند ذلك تتلاحم قضية الشريعة، ولا نمارس فعلا فصل الدين عن الدولة وعن حياة الناس، ولذلك أقول: أن طرحنا صحيح ولكن ناقص، لا أنه خطأ.. يجب أن نكمله حتى يحتوي بعدا جماهيريا يحسه الناس، وهذا البعد الجماهيري ليس افتعالا ولا إنفاقا من كيسنا، بل هو من صميم الدين، نحن الذين غاب عنا أن هذا الطرح هو من الدين.

فسيد قطب ينتقد جعل أساس المعركة وراية المعركة هو الأساس القومي، بل نحن جوهر القتال عندنا هو أن تحكم لا إله إلا الله ولا تحكم شرائع الأرض، فهذا جوهر المعركة ولا نتخلى عنه، لكن أسلوب الخطاب هو الذي قال عنه سيد أنه متروك للداعية أن يتحدث به، وأن نكلم الناس أن مشاكلهم ذات بعد إسلامي، من خلال تبعات تطبيق لا إله إلا الله في الأرض، وتبعات عدم تطبيق لا إله إلا الله، وهذا يزيل اللبس في فهم عبارة سيد.

فتبديل راية القتال لجعلها سياسية أو اقتصادية أو عنصرية، كالقتال بين الباكستان والهند هو قتال بين باكستان وهند= فقد خرجت الأمة كلها من القتال.

ولذلك لما جلست مع الإخوة التركستان قلت لهم: أنتم ثلاثون مليونا في مواجهة ألف وثلاثمائة مليون، أمة التركستان في مواجهة أمة الصين يخسرون، ولذلك لابد على الأقل على الأقل أن تكون أمة الترك المسلمين يعني من تركستان إلى تركيا في مواجهة أمة الصين، ومن وراء أمة الترك المسلمين أمة الإسلام بكل الجنسيات والعناصر.

فإظهار المشكلة بين التركستان والصين على أنها مشكلة عنصرية= يخرج أمة الإسلام بكاملها من المعادلة ومن المعركة، وهو ما يريده الأعداء.

نحن نريد أن نكمل اللبنات الناقصة في طرحنا المنهجي، فندخل مشاكل الناس التي لها حل في الإسلام ولها طرح في الإسلام= في قضية أسلوب خطابنا.

نحن نستطيع استعمال نصوص دفع الصائل القرآنية والنبوية وأقوال الفقهاء في حلحلة مشاكل المسلمين اليومية، ونحن معنا بحث في أحكام الصائل، أنقل منه:

فالصيال شرعا: هو الوثوب على الشيء المعصوم بغير حق، والمعصوم هو النفس أو العرض أو المال، والصائل كما عرفه العلماء هو كل معتد على ما كان معصوما شرعا من نفس أو عرض أو مال، سواء كان هذا المعصوم مسلما عصم بحق الإسلام، أو مستأمنا عصمته ذمة المسلمين، فالقتال لدفع هذا المعتدي عند ذلك مشروع شرعا، للدفع عن تلك الحرمات، بل يصير واجبا في حق هذا المسلم في كثير من الحالات، وعمدة ذلك ودلائله الشرعية متوافرة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومبينة ومفصلة في أقوال العلماء.

قال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)، وقال (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) استدل بها العلماء على وجوب الدفاع عن الحرمات، لأن عدم الدفاع عن الحرمات هو إلقاء باليد إلى التهلكة.

وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: "فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب" رواه الشيخان.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد" الذي يقتل دون ماله مسألة ظاهرها ليست عقدية، ولكن لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه عليه أن يدفع عن ماله، وإخباره بأنه لو قتل دون ماله فهو شهيد= صارت مسألة عقدية، وصارت من صميم الدين، لأنك تدفع عن معصوم شرعا، وبهذه النية يصبح القتال شرعيا.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قتل دون مظلمة فهو شهيد" أخرجه النسائي.

مطلق المظلمة، قال العلماء: فدل هذا الحديث على أن له القتل والقتال، أي: في دفع المظلمة.

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه: باب من قاتل دون ماله، قال ابن حجر: قال ابن بطال: أدخل البخاري رحمه الله هذه الترجمة في هذه الأبواب ليبين أن للإنسان أن يدفع عن نفسه وماله ولا شيء عليه، فإنه يكون شهيدا إذا قتل في ذلك، فلا قود عليه ولا دية إذا كان هو القاتل، وقال ابن حجر أيضا: قال ابن المنذر: والذي عليه أهل العلم أن للرجل أن يدفع عما ذكر ماله أو نفسه أو حريمه إذا أريد ظلما بغير تفصيل. "فتح الباري" (١٥٦/٥).

فأما دفع الصائل عن الدين= فداخل في عموم قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: "من قتل دون دينه فهو شهيد"، وقد انعقد الإجماع على وجوب ذلك، قاله ابن تيمية في "الفتاوى الكبرى".

قال ابن تيمية رحمه الله: وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم.

ومعلوم أن الإسلام جاء بحفظ الضرورات الخمس: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ولأجل حفظها شرع الجهاد والقتال ودفع الصائل.

أعلق فأقول: أن من الأفكار المشوهة عندنا في العمل الإسلامي كله أن أصل الجهاد لإقامة حكومة إسلامية فقط، فعندما لا يكون الجهاد مظنة إقامة حكومة إسلامية= يثوروا عليه!!

الجهاد لإقامة حكومة إسلامية= هو أحد أنواع الجهاد الواجب، الجهاد لإقامة الإمام المسلم= هو أحد أنواع الجهاد الواجب، فجهاد الدفع لا علاقة له بإقامة الحكومة الإسلامية، أنت تدفع عن نفسك وأهلك، بغض النظر هل تقوم الحكومة الإسلامية أو لا.

أكاد أقول أنه ليس هناك في المدى المنظور أمام أي حركة جهادية فرصة إقامة دولة إسلامية، في ظل الوضع الدولي الحالي، وفي عالم الأسباب، والجهاد المطروح الآن كله جهاد دفع صائل، وكله جهاد رد اعتداء، ولكن هذا الدفع للصائل وهذا الرد للاعتداء سيؤدي إن حصل بصورة جماعية إلى إيجاد ظروف دولية وإقليمية مختلفة، عن حالة الظلم القائم حاليا، فتتهيأ الظروف لإقامة أكثر من دولة إسلامية دفعة واحدة.

كل الصراعات التي قامت في العالم الشرقي لتحقيق ديموقراطيات في ظل وجود الاتحاد السوفييتي= فشلت، لكن لما لما سقط الاتحاد السوفييتي قامت كل الدول الديموقراطية في معسكر وارسو.

كل جهادنا سيفشل إذا بقي اليهود والأمريكان والغرب يدهم العليا في منطقتنا، ولن تقوم دول، ولن ننتصر ولا على صعلوك واحد حتى من عرابيد العرب، هذا في عالم الأسباب، فأخطبوط النظام الدولي الآن متشعب.

ولذلك رفض الجهاد لإقامة دولة إسلامية، وحصر الجهاد في ذلك= من قال هذا؟!

من أين جاء هذا القول، بأن الجهاد فقط لإقامة دولة إسلامية؟!

الجهاد لإقامة الدولة الإسلامية واجب، والجهاد لنصب الإمام المسلم واجب، والجهاد لتحكيم شرع الله واجب، ولكن هل هذا ينسخ وجوب الجهاد دفاعا عن المال؟ أو وجوب الجهاد ردا عن المظالم؟ هذه قضية وهذه قضية، وهذه فريضة وهذه فريضة.

يقول: وأما دفع الصائل عن النفس، لقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)، ولقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)، وقد تراوحت أقوال العلماء في حكم دفع الصائل عن النفس بين: الإجازة والوجوب، وقد ذهب الجمهور للوجوب، وقال ابن تيمية رحمه الله:

أن الإنسان إذا صال صائل على نفسه جاز له الدفع بالسنة والإجماع، وقال رحمه الله: وأما إذا كان مقصوده قتل الإنسان جاز الدفع عن النفس، وهل يجب عليه؟ على قولين لأهل للعلماء في مذهب أحمد وغيره. قاله في "الفتاوى".

وقال النووي رحمه الله: وفي المدافعة عن النفس بالقتل خلاف في مذهبنا ومذهب غيرنا، يعني: بين الجواز والوجوب، هذا في "شرح صحيح مسلم".

وقال الترمذي رحمه الله: وقد رخص أهل العلم للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله، كما في "شرح سنن الترمذي".

وأما دفع الصائل على العرض فلقوله صلى الله عليه وسلم: "من قتل دون أهله فهو شهيد"، وقد اتفق الفقهاء على وجوب دفع الصائل على العرض، ولو أدى ذلك إلى قتله، قال النووي رحمه الله: وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف، كما في "شرح مسلم".

وهذا الدفاع الواجب قد يكون من قبل المرأة التي هي بصدد الاعتداء على شرفها، أو من قبل زوجها، أو أقاربها، أو من قبل أي مسلم لا يمت إليها بقرابة، وذلك لأن الأعراض حرمات الله في الأرض، ولا سبيل لإباحتها بحال.

وقال ابن تيمية رحمه الله: وأما إذا كان مطلوبه –أي الصائل- الحرمة، مثل أن يطلب الزنا بمحارم الإنسان، أو يطلب من المرأة أو الصبي المملوك أو غيره الفجور به= فإنه يجب الدفع عن نفسه بما يملكه ولو بالقتل، ولا يجوز التمكين بحال.

قال الشهيد -كما نحسبه- عبد القادر عودة: وقد اتفق الفقهاء على أن دفع الصائل واجب على المدافع في حالة الاعتداء على العرض، فإذا أراد رجل امرأة على نفسها فلم تستطع دفعه إلا بالقتل= كان من الواجب عليها أن تقتله إن أمكنها ذلك، لأن التمكين منها محرم، وفي ترك الدفاع تمكين منها للمعتدي، وكذلك شأن الرجل الذي يرى غيره يزني بامرأة أو يحاول الزنا، ولا يستطيع أن يدفع عنها إلا بالقتل فإنه يجب أن يقتله إن أمكنه ذلك. "التشريع الجنائي في الإسلام".

وقد بين الشهيد –كما نحسبه- عبد الله عزام ردا على شبهة قد ترد على لسان جاهل (هو هكذا سماه الشيخ عبد الله عزام) أو منافق يدافع عن الباطل، قال رحمه الله:

يسأل سائل: هل يجوز لنا أن نقتل شرطيا يصوم ويصلي من أجل أنه يريد أن يأخذني إلى قسم البوليس؟

أما رأي الفقهاء بالإجماع أنه لا يجوز لأحد أن يستسلم لإنسان يريد أن ينتهك عرضه، فإذا كان عبد الناصر يأخذ المسلم مرة عشرين يوما في السجن، ثم يأتي بزوجته وينتهك عرضها أمامه فالإجماع منعقد على أنه لا يجوز أبدا أن يستسلم حتى الموت.

اتفق الفقهاء جميعا على أن دفع الصائل عن العرض واجب بالإجماع، فإذا تركت الشرطة يقتحمون بيتك في وهن من الليل، وزوجتك عارية في ثياب النوم، ويكشفون عنها غطائها ليبحثوا أنك نائم عندها= فعرضك منتهك، وأنت آثم عند رب العالمين، فهنا الظلم، والصلاة والصيام من هذا الشرطي لا تمنع عنه قضية القتل.

هذه قضايا جزئية ابتلينا به، ولها أحكام شرعية، وليس لها علاقة بـ: هل هذا الدفع الحالي يؤدي فيما بعد إلى قيام حكومة أو لا؟

قال: وأما دفع الصائل على المال، فقد ذهب جمهور علماء المسلمين إلى أن الدفاع عن المال ولو أدى إلى قتل الصائل= جائز في شرع الله، وقد جعله البعض واجبا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: لا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: فقاتله، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار. رواه مسلم.

هذه مسألة فردية محضة، وسنرى الآن كيف فهمها الصحابة بفردية محضة، وكل هذا بصرف النظر عن هوية الصائل، لا فرق بين مسلم وكافر.

قال: ولقوله صلى الله عليه وسلم: "من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل= فهو شهيد" رواه أصحاب السنن عدا ابن ماجة. ولاحظ صيغة العموم (مَن)، بصرف النظر عن هوية الذي أراد.

وقال ابن تيمية رحمه الله: وإذا كانت السنة والإجماع متفقين على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل= قتل، وإن كان المال الذي يأخذه قيراطا، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون حرمه فهو شهيد". انتهى. هذا إذا كان الصائل عليك مسلما.

قال النووي رحمه الله: أما أحكام الباب —يعني باب دفع الصائل على المال-:

ففيه جواز قتل القاصد لأخذ المال بغير حق، سواء كان المال قليلا أو كثيرا، لعموم الحديث، وهذا قول الجماهير من المسلمين العلماء، وقال بعض أصحاب مالك: لا يجوز قتله إذا طلب شيئا يسيرا كالثوب والطعام، وهذا ليس بشيء، والصواب ما قاله الجماهير، والمدافعة عن المال جائزة غير واجبة والله أعلم. "شرح صحيح مسلم".

قال الشوكاني رحمه الله: وأحاديث الباب فيها دليل على أنه يجوز مقاتلة من أراد أخذ مال أناس، من غير فرق بين القليل والكثير، إذا كان الأخذ بغير حق، وهو مذهب الجمهور، كما حكاه النووي والحافظ في "الفتح"، وقال بعض العلماء: إن المقاتلة واجبة.

قال الشافعي رحمه الله: فإذا دخل الرجل منزل الرجل ليلا أو نهارا بسلاح فأمره بالخروج فلم يخرج= فله أن يضربه وإن أتى على نفسه. أي: إذا قتل المدفوع.

وأضاف الشافعي رحمه الله: سواء كان الداخل يُعرف بسرقة أو فسق، أو لا يعرف.

وقد ذهب بعضهم إلى استثناء السلطان الظالم الجائر، الذي يأخذ مال المسلم بغير حق، من حكم جواز مقاتلته، وهذا غير السلطان الكافر المرتد.

وهذا يقوم الدليل على خلافه، روى ابن حزم في "المحلى" أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كتب لأنس هذا الكتاب حين وجهه إلى البحرين:

"بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين، والتي أمر الله عز وجل بها رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن سُئلها من المسلمين على وجهها= فليعطها، ومن سُئل فوقها= فلا يعطي".

قال أبو محمد بن حزم: فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر من سئل ماله بغير حقه ألا يعطيه، وأمر أن يقاتل دونه، فيقتل مصيبا سديدا، أو يقتل بريئا شهيدا، ولم يخص عليه السلام مالا دون مال، وهذا أبو بكر الصديق وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما يريان السلطان في ذلك وغير السلطان سواء، وبالله التوفيق.

بل إن بعض الفقهاء اعتبروا جابي السلطان إذا أراد أن يظلم المسلم فوق ما عليه ثلاثة دراهم= أنه صائل يجب دفعه.

الأمر الثاني: أن على كل مسلم يؤمن بالله تعالى أن يعلم أن الله قد أوجب عليه أن يدفع الصائل على دينه وعرضه ونفسه وماله، وهذا أمر خاص به، لا يتعلق بقضية الخروج العامة على الحاكم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون= إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا". يعني واجب عليهم أن يغيروا إذا كانوا قادرين على التغيير، وإذا لم يغيروا أصابتهم عقوبة الله سبحانه وتعالى.

وقال ابن حجر: القادر على تخليص المظلوم توجب عليه دفع الظلم بكل ما يمكنه، وإنما يقصد دفعه ولو أتى الدفع على الظالم، لأن دمه هدر، ولا فرق حينئذ بين دفعه عن نفسه أو عن غيره.

وجاء في مسند أحمد: "من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره= أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة".

وقال الإمام الجصاص في تعليقه على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قتل دون ماله فهو شهيد"، قال: لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفا على رجل ليقتله بغير حق= أن على المسلمين قتله.

وقد روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: "ما من نبي بعثه الله في أمته من قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل".

وفي نص قرأته ولا يحضرني الآن، أنه جاء جار لمعاوية إلى عبد الله عمرو بن العاص، وأراد أحد من طرف الوالي أن يفتحوا ساقية تمر من بستان عبد الله بن عمرو، فأمر عبد الله أولاده وغلمانه أن يلبسوا السلاح وقال: لا يخلصوا إليه ونحن أحياء، فأوشكوا أن يقتتلوا، فقال أحد الصحابة لواحد من أصحاب الوالي: أنه قد علم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أنه إن قتل فهو شهيد، وإذا قتلك فأنت في النار. لأنه غاصب.

ولذلك قضية أن يكون المسلمون مسلحين وباستمرار، قضية مقصودة بعينها، لأن الفاجر والظالم والباغي دائما يستطيع حيازة سلاح، ولذلك السلاح واجب، وورد في القرآن (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة)، فعملية نزع سلاح المسلمين مقصودة لذاتها، ثم نزع نخوة المسلمين، ثم نزع الشكيمة وحب الدفع، وهذا فقط في الحضر والشعوب التي أذلت، أما البدو والعشائر فما زالوا بعيدين عن ذلك.

ما علاقة الدفع بالبحث الذي نناقشه؟

نقول: أن الاستيلاء على أموال المسلمين مشكلة اقتصادية، بهذه النصوص التي مرت علينا تصبح مشكلة شرعية، عندما تتكلم في ارتفاع الضرائب وهي أمور اقتصادية محضة، بهذه النصوص تصبح مشكلة شرعية.

وعندما تتكلم في هتك الأعراض، أو في حكومات ترسل أعراض المسلمين لترفه عن الجنود الغزاة= أنت تتكلم في مشكلة، فيها نصوص شرعية بوجوب الدفع، سواء قامت الحكومة الإسلامية أو لم تقم.

وهكذا كل مشاكل المسلمين، كمشكلة نهب الثروات، مشكلة الظلم، مشكلة التحكم في مصائر المسلمين، مشكلة إجبارهم على الجندية الإلزامية، وقذفهم في معارك لا ناقة لنا فيها ولا جمل.

أقول: خطاب الجهاد يجب أن يرتكز أساسا على أننا نقوم بمعركة بين أهل لا إله إلا الله وأهل شرائع الكفر، وكذلك أن نخوض في مشاكل المسلمين اليومية العامة والخاصة، السياسية والاقتصادية والعسكرية، والاحتلال، وكل هذه المشاكل التي استلبها القوميون والعلمانيون هي مشاكلنا نحن، أمرنا الإسلام بالدفاع عنها، وأمرنا بحلها، فيجب أن يكون طرحنا كاملا، كما نقول ونزعم: دين ودنيا، فهذه هي الدنيا، فالدفاع عن دنيا المسلمين هو جزء من دينهم.

هذا الكلام إذا أخذناه بهذا المفهوم= يزول بإذن الله تعالى الإشكال، بأنه يمكن أن تقوم الراية على القتال العقدي إلى راية على فرعيات كالاقتصاد والسياسة، بل إن العدو لا يريد منا هذا، لا يريد منا أن

نقاتل على راية اقتصادية باسم إسلامي، هو يريد أن نقاتل على الاقتصاد المحض، لأننا لو قاتلنا على اقتصادنا بطرح إسلامي= نبقى ضمن دائرة الراية الإسلامية، وهو لا يريد ذلك.

نحن نحتاج لهذا الطرح المكمل والواجب، لأن الطرح الذي طرح إلى الآن مع صوابه إن شاء الله تعالى، لكن أعتقد أنه ناقص، لدرجة أخرجت كثيرا من جماهير المسلمين من قضيتنا، لما أصبحت القضية قضية ولاء وبراء وحاكمية وجدالات فقهية فقط، والحكومة تأتينا بشيوخها وتقول: تناظروا، والناس على نواصي الشوارع لا علاقة لهم بشيوخ الأزهر ولا مناظراتنا، فظهرنا نحن في الآخر كمجموعة من المتزمتين، الذين خرج في رأسهم فجأة مجموعة من الشعارات لم يستطيعوا أن يفهموها للناس.

فجوهر خطابنا ناقص، أما أسلوب خطابنا فهو خطأ، نحن لا نخاطب الناس على قدر عقولهم، ولا نخاطبهم بالأساليب المناسبة، فنحن الذين نكتب النشرة، ونحن الذين نقرؤها ونسر بها، ونتداولها فيما بيننا في هذا الكانتون الجهادي المنغلق على نفسه، ولا تبلغ حتى مراكز المسلمين من الحركات الأخرى، ناهيك عن أن تبلغ الناس الذين يجب أن يكون لنا خطاب معهم، ولا أدري كيف يريد إنسان أن يعبئ الناس ويدخلهم في ثورة، وليس له خطاب معهم.

الآن نكمل في موضوع حرب العصابات، ستجد كيف خاطبت العصابات جماهيرها، يجب أن يكون لك حضور يومي في البيانات، فهذا كله منهج، وهذا من الأمور التي نجحت فيها حركة حماس، بلغت بياناتها إلى الآن ٥٠٠ بيان تقريبا، تخيل؟! اليوم سمعت في الأخبار أن حركة حماس أعلنت أن أمريكا إذا ضربت العراق فإنها ستبدأ من طرفها بالعمليات ضد اليهود في فلسطين، هذا القرار شرعي وسياسي وحكيم جدا وفيه مكاسب من أعظم ما يكون، فما علاقة حماس بالعراق؟ لكن انظر:

أول شيء: القتال ضد اليهود مشروع، بغض النظر عما ستفعله أمريكا من اعتداء على شعب مسلم، لا على صدام حسين الكافر، فهي تدفع عنهم.

ثانيا: أن حركة حماس لا تتحرك لمسألة إقليمية محضة فقط.

وهذا بغض النظر على الملاحظات التي عندنا على أسلوب حماس ومنهج حماس، لكن أنا أعلق على خبر سمعته اليوم، وهو صائب جدا وفيه مكاسب كبيرة جدا.

فعندما تفعل حركة حماس هذا= فقد كسبت شعبية كبيرة جدا، وربطت نفسها بقضية دولية، واقتنصت لنفسها بهذا القرار مكاسب سياسية كبيرة جدا.

فأنت كحركة جهادية لا تقول: أنا لا أقاتل إلا على مستوى إريتريا، فبياناتي كلها متعلقة بإريتريا، أنت جزء من المسلمين و"من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"، وتدويل هذه المشاعر وأن تدخلك في أمور ليس لها علاقة بقضيتك= مكسب عظيم، فمن باب الأولى الأمور المتعلقة بقضيتك تخرج فيها بيانات يوميا.

فإذا حصل زلزال وتصرفت الدولة بطريقة خاطئة ومات مجموعة من الناس= تستغل أنت هذا الحديث، وتصدر بيانات وتحمل الدولة المسئولية، ثم تقوم بعملية مواساة للناس، ومساعدة بقدر الإمكان، ولو حصل عدوان على الدولة والحكومة يكون لك موقف وحضور سياسي، وهذا الحضور السياسي يتدخل في كل مشاكل المسلمين، لكن بأن تصاغ من خلال كونها تبعة من تبعات جهادنا في سبيل لا إله إلا الله، وأن كل المشاكل تبعة من تبعات غياب شرع الله سبحانه وتعالى، وبهذا يكون طرحنا كلا متكاملا، لا نقص فيه.

الذي نقوله أن الطروحات منهجيا بالإجمال في التيار الجهادي= طرحت طرحا صائبا، لكنه ناقص، لكن الذي طرح بالإجمال في الحركات الإسلامية السياسية= خطأ أصلا، خرج عن السياسة الشرعية إلى سياسة لا شرعية.

هناك قضية أود طرحها وتفصيلها كاملا في محاضرة خاصة، وهي كيف أن الأعداء بكل صنوفهم يريدون أن يهدموا الجدار القائم بين الجهاد والتكفير، الجدار القائم عقيديا وفعليا وسياسيا وحركيا بين جماعات الجهاد وشراذم التكفير يتعرض للهدم، لأنهم لما هدموه في الجزائر نجحوا نجاحا كبيرا جدا، والآن يجري هذا في الجزيرة، وهذا سأفصل فيه تفصيلا إن شاء الله.

هناك فرق جوهري يجب أن نعيه، وهو أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث في أمة كافرة مشركة، فكان لهذا أحكام وطريقة وسنة لنا نتبعها، ولما شرح ابن القيم في "زاد المعاد" هدي النبي صلى الله عليه وسلم في جهاد الكفار والمنافقين ذكر كيف تنقل الرسول عليه الصلاة والسلام من حال إلى حال مع الكفار والمشركين، إلى أن نزلت آية براءة والتي سميت بآية السيف، ونسخت على رأي بعض الفقهاء غيرها، ولم تنسخ على رأي البعض، وقد قرأت لكثير من العلماء أن هذه الأحكام ليست منسوخة، بل ذكر ابن القيم أن من ظن أنها نسخت كل ما سبقها نسخا قاطعا= فقد وهم.

وهناك تفصيل علمي جميل جدا، وهو أن هذه الظروف التي تصرف فيها الرسول عليه الصلاة والسلام بحكم هذه الأحكام لو عادت لمناطاتها كما كانت= لعادت نفس الأحكام كما كانت، يعني لو وجد الرسول عليه الصلاة والسلام في مرحلة من الاستضعاف أخذ فيها بحكم من الأحكام، ثم شاء الله تعالى أن يدخل المسلمون في هذه الحالة فلهم أن يأخذوا بهذا الحكم، وليس لهم أن يقولوا: نحن على ما انتهى عليه الأمر.

الذي أريد أن ألفت النظر إليه: هل نحن كحركات جهاد، الآن بعثنا، نريد أن نصلح ولنا قضية، هل بعثنا في أمم كافرة مشركة أم مسلمة؟ يجب أن نفهم هذه المسألة ابتداء، المشكلة أن كثيرا من الشباب في التيار الجهادي حصل له خلط في هذه القضية، يأخذ أحكاما وتصرفات للرسول عليه الصلاة والسلام مع مشركين، وينزلها على قومنا الذين قالوا لا إله إلا الله، ثم زاغوا عنها، بنسب تتفاوت، منهم من زاغ بحيث أنه خرج بيقين، ومنهم من زاغ بشك منا، فله أحكام أخرى لأنه على أصل الإسلام، ومنهم من تلبس ببدع، ولم يقل أحد من العلماء لا سلفا ولا خلفا أنه خرج، وهذه الحالة لم نحدثها نحن، وليس وليدة اليوم، بل هذا الابتعاد عن شرع الله والابتداع يعود إلى القرن الثاني الهجري، وخلال هذه الألف سنة، نزل بالمسلمين بلاءات ومصائب، وكان أهل العلم على مر الزمان يتصرفون، وقد أجمعوا أنه يقاتل مع المسلمين ضد الصوائل الخارجية المقطوع بكفرها وعدوانها على المسلمين، كما في اجتياح التتار، واجتياح الصليبيين.

فصلاح الدين رحمه الله لما ذهب إلى مصر قاتلت جيوش أهل السنة بجانب جيوش العبيديين الشيعة في صد الحملة الصليبية السابعة، وكان كبار الفقهاء حاضرين في الجيش، مع أن العلماء كانوا يقولون عن العبيديين أنهم كفرة مارقون من الإسلام، ثم لما تمكن صلاح الدين من الشوكة اجتث العبيديين من فوق الأرض، وغيّر كل شيء.

فهذه المصالح تفتح علينا بابا حقيقة أنا ومن أعرفه في التيار الجهادي معظمهم لسنا من حجمه فقهيا، لسنا من حجم حسم هذه المشاكل الفقهية، ومن مشاكلنا أننا نحتاج فعلا إلى أهل علم يفتوا فيها، ولكن إلى أن يتم الفصل في هذه الجزئيات عندنا مسلمات واضحة نعرفها وقرأناها وسألنا علمائنا ورأيناها في كتب السلف، وهو أنه عندما ينزل الصائل الأكبر يُدفع مع عموم المسلمين، ويقدم دفع هذا الصائل الأكبر -لأنه يهدد الدين والدنيا- عن مشكلات المسلمين الصغيرة التي يحلونها على أيدي طلبة العلم في جهاد البيان.

لكن الأحكام قُلبت رأسا على عقب، فكل كتب السياسة الشرعية أحكامها مبنية على تميز دار الكفر من دار الإسلام، والحكام الذين يحكمون بما أنزل الله، وأحكام البغاة عليهم.. إلخ، فكل هذه الأحكام التي ترتبت على سقوط الإمامة وعدم وجود حاكم مسلم= أصبحت حيثياتها لا تطبق علينا هكذا مباشرة، تحتاج لتبين المناطات والتروي فيها.

من مصائب التيار الجهادي أن يأتي الشباب يريدون أن نأخذ أنفسنا وتأخذ الجماعات الجهادية نفسها بأحكام أبي جعفر المنصور في مرحلة العزة، ونحن أصلا نطارد من جحر إلى جحر، ويأخذون أنفسهم ويأخذون جماعاتهم بعزيمة العزيمة، ويقول لك: قال الإمام أحمد، طيب يا عمي لما قال الإمام أحمد كانت منجنيقات الروم تدك حصون الروم إلى القسطنطينية!

الإمام أحمد عنده مشاكل مع المبتدعة، لما كنا في لندن تركوا كل النصوص، وقالوا أن قتال المبتدعة مقدم على قتال الكفار، وأفهموا كل الناس أن التيار الجهادي مشكلته مع المبتدعة من المسلمين، ويقول لك: قال الإمام أحمد وقال الإمام فلان والإمام فلان، الإمام أحمد في عصره كان الخليفة الشرعي قائما ويصلي

خلفه ويدعو له، وكانت جيوش المسلمين في عصره تفتح "عمورية"، تحت قيادة المعتصم الذي جلده، ولما بلغ الإمام أحمد نصر المعتصم على الروم أحله من ضربه، وكان أيام سجنه يخرج الجنود للثغور يرمون ويقولون: اللهم إن هذه عن الإمام أحمد، فكان يأتيه أجر الجهاد وهو في السجن.

في هذه الحالة، ماذا كانت مشكلة الأمة؟

الشريعة مطبقة، الأراضي محررة، نحن نغزو، العز ثابت، الغنائم متوالية، فقط عندنا مشكلة المبتدعة، فتوجه كل العلماء لمشكلة المبتدعة، كونها المشكلة الأولى الموجودة حينها، فقام قوم بأخذ هذا الكلام وتنزيله على زمان: شرع الله فيه داسته الأرجل، بل قرآن الله الكريم داسته الأرجل، وأعراضنا تنتهك على الصيغة التي حكيناها، والأراضي محتلة، والقدس والكعبة في أيدي أعدائنا، وطعام المسلمين ذهب، والناس تموت من الجوع، ويظهر لنا سخيف يقول: المشكلة قتال المبتدعة..!

فالمشكلة مشكلة أولويات، يجب أن نحدد لأنفسنا كتيار كامل وكجماعات محددة تعمل في بلدان محددة، أنه: من هي؟ ولماذا قامت؟ وما هي أولوياتها؟ فإذا لم تحدد أولويات الأهداف لم تعرف ماذا تريد.

أصل تيار الجهاد قام في الستينات، بسبب وجود حكومات مرتدة نحت شرع الله سبحانه وتعالى وجاءت بأحكام الكفار، وهذه الأحكام الكافرة أورثتنا مشاكل دخلت حتى أسرتنا ونحن ننام مع أهالينا، ودخلت في طعام أولادنا، هذا الغياب لشرع الله لما يأت عفوا ولم يأت من مرتدين أوجدوا أنفسهم، بل هؤلاء المرتدون ورثوا الاستعمار وصنعوا في المدارس الاستعمارية على يد الأحزاب أو على يد العوائل المالكة، والعوائل المالكة صنعت على يد على يد لورنس والمكتب البريطاني وحكومة الهند الشرقية، ومنها حكومة الأردن، وشمال إفريقيا صنع بإشراف فرنسا، فلما تعبت الجيوش الكافرة من دفع ضريبة الاحتلال خرجت وأورثتنا هذه الحكومة.

فلما حصلت الصحوة الإسلامية في العشرينات وأوائل الثلاثينات كان الهدف منها تغيير هذه الأوضاع، والعودة بالمسلمين إلى وحدتهم وإقامة الخلافة مرة أخرى، لكن تعقدت الأمور أكثر، فلما انسحب الأجانب طبق علينا هؤلاء المرتدون من العسف والقتل والظلم والجور ما لم يرد في التاريخ الإسلامي، ولا

حتى مرة في القرون الأولى، فلما حصل هذا= قامت تيارات الجهاد المسلحة تريد أن تعالج هذا الأمر، تطيح بحكومات وتحارب صائلا خارجيا وداخليا، ونحن تشكلنا لهذا الهدف.

والآن أين نحن من هذا الهدف؟ وأين مناهجنا من هذا الهدف؟

الآن عندنا مشاكل مع العقائد المنحرفة، ومشاكل مع المبتدعة، ومشاكل مع التنظيمات والجماعات الإسلامية، ومشاكل مع الأمة وخلافات، لو نظرت إلى المجلات الجهادية من بين كل عشرين صفحة تكتب: كم صفحة تكتب للهدف الأول الذي خرجنا من أجله؟

أنا لا أقول أن هذه ليست مشاكل، ولا أقول نقبل بدع المسلمين، ولا أقول بقبول العقائد البدعية والشركيات والتصوف والقبوريات التي لها أول وليس لها آخر، لكن بالمنطق الشرعي والمنطق العقلي والواقعي والسياسي لو تصدينا لكل هذه المشاكل واحدة واحدة، وتركنا المفرمة التي تقع فوقنا من المرتدين ومن الغرب ومن اليهود ومن الصليبيين= كم مشكلة نستطيع أن نحل؟ لن نستطيع أن نحل شيئا، لأننا سنطلق صيحات وبرامج لا تجيش أحدا من المسلمين! يجب علينا أن نعيد النظر في جوهر الخطاب، وفي طبيعة الخطاب، حتى نتصدى لهذه المشاكل.

لكم أن تتخيلوا أن هنا في المعسكرات من الشباب من يتدرب على القتال وهو يعتبر الحكام أولياء أمور شرعين، ومن يومين كتب أحدهم ورقات في أن الأمريكان الذين نزلوا الجزيرة معاهدون، نزلوا بأمر ولي الأمر الشرعي، فهذا الذي ندربه ونعطيه سلاحا لا يفهم أصل المشكلة أصلا، والله أعلم على من سيطلق النار فيما بعد!

نحن جماعة عقيدتنا عقيدة السلف، ومن خلال هذه العقيدة نستطيع أن نحكم على كل القضايا البدعية: هذه بدعة مكفرة وهذه غير مكفرة، وهذه الأمور يفصل فيها أهل العلم، أما إصلاح المسلمين الإصلاح العام والجماعي= ففي تصوري والله أعلم لا يكون إلا إذا امتلكنا السلطة.

كيف كفر من كفر من المسلمين، وكيف فسق من فسق؟

عبر المائتين أو الثلاثمائة سنة الأخيرة بالتدريج، وحصل هذا عن طريقين:

أزيلت سلطة المسلمين الشرعية، فظهرت السلطات المنحرفة والكافرة كفرا جزئيا حتى من قبل سقوط الخلافة العثمانية، وبدأت القوانين تتسلل، ومدراس الغرب، والمدارس التبشيرية، والغزاة والمبشرون= فكفر كثير من المسلمين وفسقوا عبر مناهج متسلسلة على مدى مائتي سنة، لم يحدث هذا في صبيحة يوم واحد!

من يخطر على باله الآن أن عشرين من المسلحين سيرجعون المسلمين لعقيدة السلف الصالح؟!

لن تكون المسألة والله أعلم إلا بعكس الآلية نفسها، "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"، فإذا امتلكنا نحن زمام الأمور، فعندنا أحكام يجب أن تطبق فورا، لأن المسلمين لا يسعهم ألا يطبقوها، ثم هناك أمور وفساد وقضايا وعقائد ومصائب تحل تدريجيا عن طريق التعليم وعن طريق المدراس.

الإمام ابن تيمية دخل السجن وخرج من السجن، ومات أخيرا فيه بفتاوى من علماء عصره، واشتبك هو معهم على أنهم مبتدعة، ثم لما جاء حاكم منصفا له وكان على رأي ابن تيمية، جمع هؤلاء الناس وقال له: هؤلاء أحلوا بفتواهم دمك ودمي، أعطني فيهم فتوى، فقال له: هؤلاء حملة علم، فإن قتلتهم من أين تأتي بمثلهم؟ هذا عنده انحراف في كذا، لكنه سليم الاعتقاد، وهذا عنده انحراف في كذا، لكنه فقيه، وهذا محدث، فأطلقهم ولم يرض بفعل شيء فيهم، لكن شيخ الإسلام لم يكف عن الرد عليهم!

الخلافات الفقهية والمماحكات المذهبية والمشاكل العقدية –ضمن إطار ما يسمى بأهل السنة والجماعة– موجودة من ألف سنة ويزيد، ولا يتصور أن ترتفع هذه الخلافات، فكيف ستحلحل هذه المشاكل؟ بل كيف ستحل بالقتال؟ بل أن يصل الأمر في الجزائر أن يأتي أناس يقاتلون الطاغوت معنا، ثم نحاكمهم على مشاكل فقهية أو مماكحات عقدية؟ هل يقول بهذا الكلام عقل ولا دين ولا أحد؟!! وقد رأينا بأعيننا المصائب التي ترتبت على ذلك.

كما قال ابن تيمية هناك جهاد سنان للكفار، وجهاد بيان للمنافقين الذين لم يستعلنوا بالكفر، ولمبتدعة المسلمين والفساق والعصاة، جهاد بيان فقط، هذه المشاكل بالنسبة لمشاكلنا اليوم رقم ٢ ولا رقم ٣ ولا رقم ١٠ ولا رقم خمسين؟!

المشكلة رقم واحد، أن هذه الوجوه الطيبة أصبحت مطاردة كالفئران، قُذف بنا على بعد ١٠ آلاف كيلو متر من بلادنا، وحل محلنا الأعداء والمنافقون والكفار، نحن نريد أن نعود إلى هذه الأمة ونأخذ صالحها، ويعلم المتعلمُ الجاهلَ، والصالحُ الفاسدَ، ونأخذ الكل نجاهد به الكفار، وهذا اتفاق العلماء إذا نزل الصوائل، ونحن أمامنا مراتب من الصوائل، فوجب دفعه بكل المسلمين، كل من يندرج تحت مسمى لا إله إلا الله، فنحن نقاتل باسم هذه الأمة وباسم المسلمين، حتى نحكم فيهم شرع الله، ونرفع عنهم الظلم.

فلما تتحول المعركة تدريجيا من معركة مع الحكومة ومن وراء الحكومة من القوى الخارجية إلى معركة مع هذا الشعب فساقه ومنحرفيه ومبتدعته وعلمائه ومدارسه المذهبية، أو حتى على صعيد الطرح والشعار= فاعلموا أننا أصبحنا قلة معزولة عن الناس، لا أدري على ماذا تقاتل، ولماذا تقاتل، ولماذا خرجت!

الآن أصبح كثير من الألفاظ الشرعية المحببة لنفوسنا كسلف وسلفية بمبادئها الصحيحة، أو كلمة بدعة ومبتدعة بمفاهيمها الفاسدة ، صارت من كثرة ما استخدمت بطريقة ممجوجة= لم نعد نحب سماعها!

تجلس في المجلس، فلا تسمع إلا: ارتد يرتد فهو مرتد، كفر يكفر فهو كافر، ابتدع يبتدع فهو مبتدع، المصيبة أن الذين يخوضون في هذا الكلام حملوا السلاح، ويمكنهم إذا نزلوا للناس أن يطبقوا هذه المفاهيم، تفتح شرا على أمة محمد لا ترضي أخيرا إلا كلينتون.

يجب أن نعيد النظر في خطابنا، نحن جئنا في أمة مسلمة، انحرفت كثيرا أو قليلا، حسب طبقات الأمة، بلاد انحرفت أكثر من بلاد، وفي نفس البلد تجد أناسا انحرفوا أكثر من أناس، فنحن قمنا لندفع عن أعراض المسلمين، فإذا دفعتْ الصائل ووفقها الله سبحانه وتعالى وتحولت إلى شوكة عند ذلك أصبحت إمارة، ثم تطبق شرع الله فيما تحت يديها من سلطان، فتكون نواة دولة، ثم قد يحصل هذا في منطقة، أو أكثر من منطقة في آن واحد، ويقضي الله تعالى ما يشاء، ولكل حادثة حديث.

نحن تجمعنا لنجاهد في سبيل الله صائلا واضحا، كاليهود والغرب الصليبيين والحكام المرتدين الذين لا يطبقون شرع الله سبحانه وتعالى، ونجاهد من معهم من جهلة المسلمين ممن تحت رايتهم، ونقاتله لأنه يقاتلنا ويقف في معسكر أعدائنا.

فيجب أن نضع حدا لهذه المنزلقات الخطيرة، فنهاية هذه المنزلقات شئنا أم أبينا أن نقع في مستنقعات التكفير والخروج على الأمة بدل الخروج على أعداء الأمة، لو بنية سليمة، ولو بجهل، والله أعلم.

الأصل العام الذي يجب أن نتفرغ إليه هو ترتيب أولويات الصراع، في صنف من الإسلاميين ليس عندنا مندوحة أن نشتبك معهم اشتباك بيان، هذا على مستوى قياداتهم، أما على مستوى القواعد فأنا من خلال احتكاكي بالمراكز الإسلامية والجماعات وما قضيناه معهم على مدى ١٨ عاما، أعتقد أن معظم قواعد الحركات الإسلامية هم أقرب إلى الطيبة وأقرب إلى حبنا والارتباط بنا من قياداتهم ومن كثير من الناس، ولهم في نفسي معزة أكثر مما لقياداتهم، فهؤلاء يجب أن يكون لهم برنامج خاص لاستيعابهم وإلحاقهم بتيار الجهاد، يجب أن نستولي على نتاجهم، في مقالة كتبتها في "مجلة الفجر" اسمها نظرية الحشد والتجنيد نقرأها إن شاء الله.

ففي الحشد والتجنيد يجب أن نصل بقواعد وشباب الحركات الإسلامية كلها إلى الانضمام إلينا، لكن على قاعدة "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرغنا ثم يملؤنا"، يجب أن نفرغهم مما تراكم عندهم من لوثات وأفكار جماعاتهم، ونربيهم على الجهاد، قال علي بن أبي طالب: "من أحب أطاع"، يعني هو مؤهل نفسيا أن يطيعك، فأنت تستطيع أن تملؤه، لكن إذا جاءك شخص يريد أن يجاهد معك وهو على ما هو عليه من مصائب وانحرافات= فهذا تتعاون معه تعاون المسلم مع المسلم في دفع الصائل العام، ولكن لا تعتبره من دائرتك الخاصة، إلا أن يتشرب المنهج الذي تشربته أنت.

هذا على صعيد الشباب، أما على صعيد الجماعات ككتل، فموقفنا جماعة من حركة صوفية كبيرة مثلا في البلد، وضربت للإخوة مثالا على ذلك بحركة العدل والإحسان وهي جماعة كبير جدا ولها انتشار وفيها خليط، وهي القاعدة الأساسية للحركيين الإسلاميين، ففيها من كل لون، والمخابرات المغربية هناك تزرع

بذور الشقاق والعداوة والبغضاء بين أي محاولة جهادية وهذه الكتلة وكل الكتل الأخرى، فالناس بحاجة إلى ممكن، الناس قبلت صدام حسين كممكن وهي تعلم أنه كافر، الليبي إذا حقق نجاحا في ليبيا، والشامي في الشام، وهكذا= سنمتلك قلوب الناس.

لما فتح محمد الفاتح القسطنطينية استطاع العثمانيون أخذ كل العالم الإسلامي في خمسين ستين سنة إلى شمال أفريقيا، بسبب السمعة التي سبقتهم من تبشير الرسول بالفاتح، وانتصارهم على الروم، فإذا أنت حققت إنجازا على الطاغوت يملك قلوب المسلمين سيدخل الناس معك أفواجا، وبعدها يقول له: هذا صح وهذا خطأ، هو مهيأ نفسيا أصلا أن يسمع، هذا خير مائة مرة من فتح جبهة كبيرة قبل المعركة مع جماعة إسلامية صوفية مثلا لما فيها من مشاكل، وجعلها موازية لما فتحته من جبهة مع الملك والحكومة، أو جبهة مع الروم واليهود.

هذا رأي الشخصي، وهناك من خالفني فيه.

وهناك من إخواننا من يقول أنه ليس هناك أي مجال ولا وقت لفتح أي نوع من أنواع المعارك مع أي نوع من أنواع المسلمين، أي أنه لصالح القتال مع اليهود والنصارى يجب أن لا نفتح أي نوع من أنواع المعارك مع أي نوع من أنواع المسلمين.

هذا على ظاهره قد تميل إليه على أنه صواب، ولكن أقول: هناك نوع من المسلمين يحاربنا لأننا نحارب هذا الحاكم، يعني لا يحاربنا لأفكار مثلا، فمن يحاربنا على قضايا مذهبية أو عقدية= يمكن تأجيل المعركة معه، لكن الأول هذا يحاربنا لأننا نحارب الأمريكان وأننا مخطئون بذلك، وأننا بحربنا لفهد غلاة، وأننا بحربنا لهذا الحلف خوارج= فهذا أرى من الخطأ الكبير جدا عدم فتح معركة من البيان معه، خلافا لمن يرى من إخواننا أن: دعه يتكلم وأنت اعمل على العدو، فهي وجهة نظر معتبرة ننقاشها، ولا شك أن النية الطيبة بتوحيد المسلمين واضحة فيها.

لكن أنا أرى من خلال التجربة –والله أعلم– أن الجهاد المسلح الذي نقوم به يجب أن يكون له أرضية أيدولوجية فكرية، فإذا ضُربت في أعين المسلمين= من نحشد؟ ومن نجند؟ وبمن نقاتل؟ فإذا نجحت نظرية

العدو بأننا فعلا غلاة وخوارج انفض الناس عنا، فدفاعنا عن أصولنا الأيدولوجية أمر واجب، ومن الأهمية بمكان مثل دفاعاتنا العسكرية سواء، فنحن يمكننا أن نتخلى عن أي معركة ونجعلها جانبية إلا الهجوم على هويتنا المنهجية نفسها، أي: الهجوم علينا بأننا لسنا جماعات جهادية وإنما خوارج بغاة خرجنا على أولياء أمور شرعيين، وعلى صليبيين جاءوا كمعاهدين.

فهذا الصنف يجب أن نشتبك معه، لكن الاشتباك معه يجب أن يكون في حدود اشتباك البيان، حتى لا نفتح معارك مسلحة بين المسلمين تضرب لنا المعركة الأساسية أصلا، فهذا مجال لجهاد البيان يعني جهاد تبيان الحق وإبطال الباطل، بعض إخواننا الطيبين الصالحين لا يريدوننا أن نفتح هذه الجبهات، وهذا خطأ (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات).

ما أراه من خلال التجربة أن من يهجم علينا من الجماعات الإسلامية ومن علماء المسلمين –لا علماء الطواغيت الذين هم جزء من الطبقة المحاربة- الذين يظنون أنهم يحسنون صنعا بالهجوم على هويتنا الجهادية، وضرب مرتكزاتنا الشرعية، ووصفنا بالخروج والبغي والعدوان= هذا يجب ألا نسكت عليه، لأنهم في النهاية حلقة تصب في نفس مصب وكالة الأنباء الفرنسية، فهم يكملون نفس السلسلة، السي بي اس والسي ان ان ورويتر وإذاعة الشرق الأوسط والام بي سي السعودية، وكل الإعلام الدولي، والشبكات المتشعبة من الإعلام الحكومي، ثم سلسلة من المؤسسات الدينية تبدأ بشيخ الأزهر وتنتهي بهيئة كبار العلماء، وتمر على الندوات الحسنية وعلماء المغرب ولا تستثني البوطي وكل مشايخ الحكومات.

ألا يكفينا كل هذا الإعلام، حتى يأتينا إعلام إسلامي باسم الحركات الإسلامية يتمم السلسلة، ويقول عنا: بغاة خوارج، عندما يسمع عموم المسلمين أننا بغاة خوارج من الأمريكان= مباشرة يظنون فينا الخير، لأنهم يسبون الأمريكان، عندما يسمع ذلك من الإعلام الرسمي والتلفزيون الحكومي= يقول لولا هم طيبون ما عادتهم الحكومة، وهذا معنى ما قاله المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ** فهي الشهادة لي بأني كاملُ

وهذا منطق كل الناس في التعامل، إذا سبك إنسان ملعون، تلقائيا يقول عنك الناس بأنك صالح، ولكن عندما تأتي الشتيمة من أناس لهم في نفوس المسلمين مكانة واحترام= يصدقون كلامهم.

فإذا كان ابن عثيمين يقول عمن خرج عن الملك فهد من صنوف المعارضة في السعودية= أنهم مفسدون في الأرض، ويسميهم بأسمائهم، وأن نشراتهم يجب أن تحرق، ثم نسكت نحن عنه فنقول بأنه رجل صالح وصادق، فهذا يعني تلقائيا أن الشهادة التي قالها على إخواننا الأخيار صحيحة، فيجب علينا أن نقول أن هذا الرجل كاذب ساقط العدالة منافق، حتى تسقط كل شهاداته الأخرى، وهذا طبيعي تلقائي.

عندما يأتي رجل من مشاهير الكتاب والزعماء الحركيين الإسلاميين الآن، ويكتب عنا في مجلته سلسلة من المقالات على أساس أننا غلاة وأننا خوارج، ويأخذ شذوذات من خرج في التيار الجهادي كما حصل في الجزائر وغيرها، ويمزجها بأسماء طيبة ورموز التيار الجهادي، ويخلطها بطريقة خاصة هكذا، ثم يأتي أحدهم ليقول: لا نرد عليه، فأقول: عدم الرد عليه هو خذلان لأنفسنا بأنفسنا، بنية صالحة لا تنفعنا هنا، بل هذا الإنسان يجب الرد عليه بأسلوب مؤدب، وأسلوب شرعي، وبأسلوب الدليل ونفس ما يزعمه لنفسه من السلفية، ولا بأس أن تقول: قال الأستاذ، قال المحترم، قال اللي بدو!

عندما تأتي حركة إسلامية كالإخوان المسلمين وتصدر بيانا تقول فيه: الأيدي الآثمة الإجرامية التي فعلت عملية –مثل عملية الأقصر أو محاولة اغتيال حسني مبارك– فهل يقول أحد أن هذه حركة إسلامية فلا نرد عليها؟ فهذا يعني أننا نترك حصوننا الخلفية تهدم واحدة واحدة ولا نرممها، هذا خطأ.

إذا كانت المعركة الإعلامية هي تسعة أعشار المعركة= فيجب أن يذهب جزء من المعركة إلى كل من يقصدنا بالهجوم، قصدنا بالسلاح نرده بالسلاح، قصدنا بالتهم والتزوير والبيان نرده بالتهم والتجريح والبيان، ونبطل شرعيته أمام المسلمين.

وهذا فصلته في "التجربة السورية" في فصل بعنوان: نظرية البناء والهدم، مختصر النظرية أننا لا نستطيع أن نترك العدو يقصفنا عسكريا فيهدم حصوننا، ولا نرد عليه بزعم أننا نبني! إذا قصفنا العدو فلم نرد فنحن

نخسر المعركة، لأنه يبني حصونه ويهدم حصوننا، فنحن مشغولون فقط ببنائنا الذي يُهدم، كما كان يحصل دائما: ننمو يسجن، نخرج من السجن ننمو يسجن، وهكذا!

ولذلك لما بدأنا نضرب العدو= ذُعر، وعملية ضرب العدو والبناء من خلال ضرب العدو= نظرية ناجحة عسكريا في الدفاع والهجوم.

وهذا أيضا يصح جدا في قضية صراع المناهج، ضمن دائرة العمل الإسلامي، عندما يُهجم على فكرنا الجهادي كأناس يمثلون طليعة أهل السنة، -ونسأل الله تعالى أن نكون من الظاهرين على الحق، يقاتلون عن هذا الدين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم-، عندما نقاتل عن هذا الدين، فجزء من القتال هو جزء إعلامي، أن نرد شبهات أصحاب الشبهات، ونرد عن أنفسنا كل هذه التهم، بغض النظر عن مصدر التهم: التكفير، المرجئة، حركات إسلامية.. إلخ.

طالما أن الإنسان أعطى لنفسه حقا أن يكتب عنا علنا في مجلة، ويسمي جماعاتنا علنا، ورموزنا وشيوخنا ومجلاتنا، ويصف كل ذلك بالانحراف= فمن الذي ينكر علينا أنه بنفس الأسلوب، وبالطريقة نفسها بالآية والحديث والدليل الشرعي أن ننكر عليه ونردعه ونسكته.

أقول: هذه المعركة مهمة بالنسبة لنا، عدا ذلك من المعارك الفرعية، على صعيد الفقهيات والمذهبيات والقضايا، ولو كانت صحيحة، أعتقد أنه يسع تأجيلها الآن لمصلحة المعركة الكبرى مع الصائل الأكبر، لأنها معارك لا تمس أصل حالة الحرب التي نحن فيها، وهذه إن شاء الله سأبينها في مخطط الأولويات.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم

نرجع إلى كتاب "حرب المستضعفين"

أذكركم بما مضى، تكلمنا عن قضية جماهيرية الدعوة، واختيار مفتاح صراع مناسب لعقول الناس، تتدرج بهم وصولا إلى المناخ الثوري، وسنعود للتفصيل بأن أفضل مفتاح صراع الآن في مجموع بلاد العالم الإسلامي هو مكافحة الغزو الصليبي، ومكافحة مخطط التطبيع الإسرائيلي، والانتقال من ذلك إلى عمالة

الحكومات، والانتقال من عمالة الحكومات إلى قتال من تستخدمهم في قتالنا، السلاح بالسلاح، والحجة والبينة بالحجة والبينة.

هذا يعد من أفضل مفاتيح الصراع، وسنفصل فيه أكثر عند الكلام على معالم المعركة المقبلة، إن شاء الله سبحانه وتعالى.

يقول:

[وقد أثبتت تجارب الحرب العالمية الثانية وما تلاها من نزاعات، بأن جنود الكوماندوس ليسوا (رجال عصابات)، وكذلك أولئك الذين يهيئون الآن فيما يسمى مدارس الحرب المضادة لحرب العصابات، مع أنه يُدرَّس فيها التقنيات المميزة لحرب العصابات، كالهجمات الليلية والكمائن، والإغارات البعيدة عن القواعد العسكرية... إلخ.

إن هذه التقنيات قديمة قدم الحرب نفسها ويمكننا أن نتصور بأنها استعملت من قبل رجال (كرومانيون)[3] **ضد رجال أواخر العصر النياندارتالي، كما استعملته (البروتون)** –وهم قبائل البربر الذين هاجموا شمال أوروبا، ومارسوا على جيوش الرومان المنظمة خاصة مؤخرات الجيش حرب عصابات– **ضد ليجيونات يوليوس قيصر، وهي ما زالت مستعملة من قبل متوحشي غابات كولومبيا، ومن قبل صيادي الرؤوس الباقين على قيد الحياة في غينيا الجديدة.**

وليس صيادو الرؤوس (رجال العصابات)، ومن السهل تمييز ذلك، فعندما نتكلم عن رجال العصابات، يتداعى في أفكارنا معنى النصير السياسي، فهو مدني مسلح، وسلاحه الرئيسي ليس البندقية أو الساطور، بل علاقته مع الجماعة، مع الأمة التي يقاتل ضمنها وفي سبيلها].

[3] رجل كرومانيون: إنسان عاش قبل أربعين ألف سنة، وعايش الإنسان النياندارتالي. (المترجم)

(النصير السياسي): حتى تسمى حروب العصابات في كثير من الكتب: "حرب الأنصار"، الأنصار بمعنى الذين ناصروا الثورة وتجندوا من خلال صفوف المدنيين.

(يقاتل ضمنها): لأنه متخفي فيها ويجند من خلالها.

(وفي سبيلها): فنحن نقاتل في سبيل أمة، لأن أوضاعها متردية، ولسنا نقاتل هذه الأمة لإصلاح مشاكلها، سواء أكانت مقاتلة بالسلاح أو مقاتلة بالأفكار، إصلاح الأمة من مهمات الثورة، تدريجيا أثناء الثورة، وجذريا بعد الثورة، أما المعركة فهي قتال في سبيل أمة.

[**والانتفاضة أو حرب العصابات، عبارة عن فعل يحث على تغيرات اجتماعية وسياسية جذرية**].

اجتماعية: لأننا نريد أن نبدل الكفر إلى الإسلام، وهذا تغير اجتماعي، مع أنه تغير عقدي لكنه يحدث تغيرا اجتماعيا، ويغير طبيعة العلاقات وطبيعة الولاءات.

سياسية: فالثورة تغير نظاما ملكيا ديكتاتوريا أو اشتراكيا مثلا إلى نظام شوري إسلامي.

جذرية: لأنها تجتث كل ما هو موجود من الأساس، ولا تقوم له بعملية إصلاح ترقيعي، كما يحصل مع العقليات السياسية.

[**إنها وجه الثورة وذراعها الأيمن**].

هذا يدل على أهمية إقناع الأمة بالقضية، والحديث عن جوهر الخطاب وأسلوب الخطاب، وهذا تكلمنا عنه البارحة، وقلنا أننا نحتاج لتغيير جزئي في جوهر خطابنا، فهو صحيح لكنه ناقص، يجب تكميله، والتغيير في أسلوب الخطاب لأن معظم خطاباتنا إما خاطئة، أو أصبحت الآن قديمة، ويجب أن نميز فيها

بين تربية النخبة على منهج صحيح وتفصيل طبيعة المعركة وهويتها العقدية، وبين خطاب الأمة وهو شعار وعموميات عاطفية وقواسم مشتركة مع المنهج.

وسوف نتكلم بإذن الله عن فلسفة الشعار في حرب العصابات، فالشعار يجب أن يكون قصيرا معبرا، يمكن أن يكون رمزا للثورة، ويكتبه الناس على الجدران نكاية في الدولة، كما حدث في الجزائر أن كان الناس يكتبون على الجدران (fis) أي: نحن مع جبهة الإنقاذ، أو يكتب (GIA)، فهذه الشعارات القصيرة أحيانا تكون مثلا: نعم للإسلام أو نعم للشريعة أو لا للكفر، هذه الشعارات القصيرة تدل على مضمون له علاقة بالمنهج، ولكن ليس معروضا على الناس بتفصيلاته المعقدة، وإنما مطروح بأسلوب عاطفي، وبه بعض الآيات أو الأحاديث أو الشعر، فيجب علينا أن نميز بين خطاب الأمة وبين المنهج المفصل الذي يحتاجه الداخل إلينا من إفراغ وإملاء.

[**أما التمرد المضاد فهو شكل من أشكال الثورة المضادة، أي الطريقة التي تتم بها مقاومة الثورة، إنهما وجهان لعملة واحدة، ومن الضروري ألا نخلط بينهما، أو بين عواملهما، بسبب تماثلهما**].

وهذا حصل مؤخرا في أمريكا اللاتينية، تدعم فيها الولايات المتحدة ثورات مضادة، حتى تولت على إحدى الدول هناك امرأة بعد نجاح الثورة المضادة، وتحول قائد الثورة اليساري إلى مقعد المعارضة، وقد خسروا دعما كبيرا بسبب سقوط الاتحاد السوفييتي الذي كان يدعم هذه الثورات بالسلاح والسياسة، وكذلك استخدم الفرنسيون "الثورة المضادة" إبان استقلال الجزائر.

وهذا يجب أن نتوقف عنده قليلا، لأنه من الطرق التي تكافح بها حروب العصابات، فالفرنسيون لما وجدوا ضغطا عاما في اتجاه استقلال الجزائر، وفي الستينات كان المد اليسار والقومي في أشده، وكان عبد الناصر يدعم ثورة الجزائر، وكذلك الاتحاد السوفييتي، وتشكلت جبهة التحرير الوطني في سنة ١٩٥٤،

وكُتب الميثاق الوطني المعروف بميثاق نوفمبر، وهو المبادئ التي قامت عليه حرب التحرير، وكان على أسس يسارية واشتراكية، وبه تغير وجه الثورة من الهوية الجهادية الإسلامية التي ابتدأت في أول القرن التاسع عشر.

كيف تحول الحال إلى هذا؟

تشير كل الدلائل إلى الأصابع الفرنسية في هذه القضية، وتفصيل ذلك: أنه عندما شعرت الإدارة الفرنسية بحتمية حدوث ثورة، قامت باصطناع رموز جديدة تنادي بنفس الأفكار والاستقلال، فأول ناتج من ذلك: أن ينفرط الناس عن الثورة المركزية، نظرا لتعدد الأصوات، ثم بما أنه ينادي بما تنادي به الثورة الحقيقة، ثم هو أقدر ماليا، لأنه مدعوم من الخفاء، وأقدر على تجنيد الجماهير، بسبب قوة إعلامه، واستطاع كذلك أن يكسب أرضا خارجية من خلال الدعاية والإعلام، فيتم تسليط الضوء عليه هو= فشيئا فشيئا يصبح رموز الثورة الاجتماعية هم الرموز المصطنعة أصلا.

كان الجنرال ديجول يقول كلاما لم نفهمه إلا الآن، قال: يريدون استقلال الجزائر، سنعطيهم الجزائر الآن ونستردها بعد ثلاثين سنة! هو مات وفطس، واستردت فرنسا الجزائر بعد ثلاثين سنة فعلا، ووجد الجزائريون أنفسهم محتاجين لثورة أخرى الآن، لتحقيق الاستقلال الصوري الذي حصل، لأن خيار الثورة الآخر اليساري اعلماني= كان قابلا للأخذ والعطاء، فاستطاعوا السيطرة عليه بالكامل، يعني ظهرت شخصيات وطنية حقيقة معادية لفرنسا مثل هواري بومدين، وكان على رأس القضية، ولكن شيئا فشيئا صنعت خيارات إلى جانبه مثل آيات أحمد وأحمد بن بلا، وكل الطاقم الذي صنع تم التفاهم معه، والمجاهدون وحملة الثورة بحق ليس لهم اهتمام إلا بالشهادة والدار الآخرى، ولم يهتموا بالدنيا على الوجه الشرعي الصحيح، فتمت تنحية قيادة الثورة، وأصبحت في يد الناس الذين يريدون الدنيا.

هذا الخيار تطور الآن، ومورس في الأردن، ومورس في مصر، وكان أكبر في الأردن، أيام حرب الخليج شعرت الحكومة الأردنية بأنه لابد وأن الضغط الاجتماعي يرفع صور صدام حسين أكثر من صور الملك حسين، فقبل الملك حسين والمخابرات بأن ترفع صور الملك حسين (إلى جانب) صور صدام حسين، مع أن هذا لا يقبله أي طاغوت، وهذا من ذكاء الملك حسين، الرجل داهية فعلا، وهو من النماذج التي يجب

أن تـدرس: كيـف تحكـم في البلـد؟ عنـدنا الملـك الحسـن في المغـرب والملـك حسـين في الأردن، قلعـة في التجارب، وطريقة امتلاك الدولة، وكيف استمروا.

فالملك حسين أيد صدام حسين، وكان موقف الأردن شديدا لدرجة أنه لما ذهب إلى أمريكا لم يستقبله بوش في المطار، واعتبروها إهانة، ووقف معه عشرين دقيقة، ولم يذهب معه إلى الوداع عند سلم المطار، ومع ذلك لم يتصور أحد أن ينجو الملك حسين من هذه السقطة السياسية، حتى أن الأمريكان اعترفوا بأن هذا الرجل داهية المنطقة، المهم انتهى الحال بالأردن إلى أن أصبح مقاطعة إسرائيلية.

فكيف صنع الأردن لاحتمال نشوب حرب عصابات ضد اليهود، لصالح صدام حسين؟

قام بعمليتين:

الأولى: تجنيـد أشـخاص مخابرات رسميـا قطعيـا في كليـات الشـريعة والعمـل علـى دراسـتها، والآن كـل المخابرات تفعل هذا بجزء من ضباطها، ويتخرجون من كليات الشريعة برتب مخفية تحت العمائم، وهذا حصل في السعودية وفي كثير مـن الـدول، فعنـدما يتحـول هـؤلاء لخطبـاء= تصبح المسـاجد ميكروفونـات للتنصت عن بعد، ومراكز لتأييد الدولة، وهذا كله من أساليب الثورة المضادة.

وقام النظام الأردني بترك بعض الطيبين لتسليح الناس، وغض الطرف عنهم، لكن كانوا تحت مراقبته تماما، واغتر هؤلاء الطيبون وظنوا أن الدولة ليس بيدها شيء تصنعه معهم، حتى خرج الدكتور أحمد نوفل يقول: سلحونا أو نسلح أنفسنا، لأن اليهود هددوا بأنهم سيحتلون المرتفعات الغربية يعني شرق الأردن، إذا لم تتوقف عمليات التسلل التي نشطت جدا وراء النهر، فغضت الدولة الطرف تماما، حتى قال "شامير" في حينها: نحن نقدر الجهود الجبارة التي يقوم بها الملك حسين لحراسة حدودنا الشرقية، ولكنها مع ذلك غير كافية، ولو استمر الوضع على هذه الصورة فسنضطر إلى احتلال المعسكرات الغربية.

في تلك الفترة التي تحتاج إلى دراسة، خرج الإخوان المسلمون وأعطوا إجازة للمخابرات بأن تعتقل بعض شباب الإخوان الذين تسلحوا، حتى لا يتورطوا هم في القضية، وخرج واحد من كبارهم وهو يوسف العظم

وقال: لا نسمح لمجموعة من الشباب أن يورطونا في عمل غير مدروس، وأخبرني بعض الإخوة أن الوضع وصل إلى أن رفعوا قوائم بأسماء الشباب الذين يُتوقع منهم أن يتسلحوا، وأنهم لا علاقة لهم بهؤلاء الشباب الإخواني، هذا كله في الوقت الذي كانت فيه الأمة من الممكن أن تتجهز بالاشتباك مع اليهود.

فالشيء الأول الذي قامت به الدولة أن تركت بعض المخلصين السذج يشترون الأسلحة ووفرت لهم تجار السلاح المرتبطين بالمخابرات، فلما تقرر القبض عليهم، كان الضابط يقول: عندك سلاح كلاشنكوف برقم كذا، ائتنا به بدون مشاكل فيفعل، لكن بسبب أن الدولة خرجت توا من حرب الخليج، كانت تأخذ السلاح منهم ولا تعتقلهم، حتى لا تستثيرهم، فهم من أذكى الناس في عملية نزع فتيل حرب العصابات، وإن كان مهددا لذلك بشدة، بسبب التركيبة الأردنية الغريبة، فعندهم ٧٠% من السكان فلسطينيون، ينتمون إلى ١٢٠٠ منظمة، كل واحد بعقلية، وكل واحد بقيادة، هذا قيادته في بيروت، وهذا قيادته في العراق.

فلم يكونوا يستطيعون مواجهتهم في حينها، فتركوهم سنة ونصف فقط تحت المراقبة، ثم اعتقلوهم دفعة وراء دفعة، ثم عرضوهم لعملية قمع وإحباط نفسي، لأن الشخص من فرط حماسه بعد أن يشتري السلاح ويتدرب ويستعد، تأتي المخابرات فتعطيه رقم سلاحه! فلا يعيد الكرة مرة أخرى، ثم يعرضونهم لعمليات تعذيب بسيطة، ثم عملية اصطفاء أبقوا ستين سبعين شخص في السجن، منهم مجموعة أخونا أبي محمد المقدسي، لأنهم يعلمون أنها مجموعة لها أيدلوجيا.

هذه إحدى الطرق التي كافحوا بها مخابراتيا حرب عصابات.

ومن الطرق الأخرى أن يأتوا بشخص هو أصلا مخابرات ينادي بأفكار الثورة ويتكلم على الملك، ويتحرك في المساجد ويُغض الطرف عنه فيجند عددا من الناس، فما رأيك لو اكتشفت بعد سنة من العمل أن الرأس الذي جندك أصلا من المخابرات؟!

وهذا الأسلوب تمارسه كل الحكومات في مكافحة الانقلابات العسكرية، تأتي بضابط مفتعل، ويقوم يتجنيد كل الضباط الذين يفكرون في الانقلاب، بعد أن يعلموا من خلال جواسيسهم أن هناك توترا داخليا في الجيش، ثم يعتقلوهم جميعا دفعة واحدة.

وأول فائدة يجنونها من ذلك، أن أي ضابط يتعرض لعملية دعوة يشك بالذي يدعوه، ولذلك في العشرين سنة الأخيرة لم نعد نسمع عن انقلابات، يعني لما نسمع عن شيء يكون فشل انقلاب في المكان الفلاني.

فعملية الانقلاب هي ثورة صغيرة داخل الجيش، فقضوا على هذه الثورات بقضية الاختراق المبكر، وهذا كله من أساليب الثورة المضادة، ومن أقدم من مارسه الفرنسيون في مستعمراتهم، لصناعة خيارات.

ولكن الأسلوب الراقي جدا الذي مارسته المخابرات الفرنسية والمخابرات الجزائرية في العملية الأخيرة، لم يكن خيار صناعة مخابرات مباشرة لأنه لا يمكن مع وجود منهج، بالإضافة إلى أن الحرب انتشرت على جبهة واسعة جدا، طول الجبال أكثير من ١٤٠٠ كم من أربع طبقات، بعمق من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ كم، يعني سبحان الله يغبطهم الليبيون ولا المصريون على هذه الطبيعة، عندنا إذا وجدت جبلا ٢٠ كيلو في ٣٠ طيلو تعتبره نعمة، في ليبيا الجبل الأخضر ١٤٠ كم في حوالي ٥٠ كم.

المهم وجدوا أنهم لا يمكنهم صناعة خيار مباشر، ولا يمكن صناعة خيار ينادي بنفس الأفكار ثم يوجه، لأن هذه الأفكار أصلا متطرفة لا يمكن توجيهها، فقاموا بخيار ثالث لابد من دراسته بدقة، وهو أنهم وجدوا طبيعة المنهج تسمح بتصعيد التطرف، فزُرع ناس يصعدون من عملية التطرف واستفادوا إلى أكبر حد من انتشار أفكار التكفير وتداخلها مع أفكار كثيرين من التيار الجهادي، بينهما فقط خيط رفيع كالذي بين الشجاعة والتهور، فهم درسوا هذا، وواضح جدا بصمات المخابرات المصرية في مساعدة الجزائريين في فهم المناهج، لأنهم سجنوا الناس فترات طويلة واعتقلوهم وأخذوا لهم علماء النظام ليتناقشوا معهم في المناهج، وهذا سنناقشه عند التعرض للتجربة المصرية.

فوجدوا أن أفضل خيار هو زراعة أشخاص يوجهون الثورة إلى حتفها من خلال ممارسات حرة، لذلك أعتقد أن الذين وجهوا الجماعة الإسلامية المسلحة إلى حتفها من الذين استفيد من توجهاتهم من قبل المخابرات= أكثر من الذين كانوا فعلا مخابرات رسميا، من المرتبطين الذين يتلقون الأوامر، فلا غالب ولا أكثر الذين كانوا في القيادة كانوا من المخابرات، فهم كانوا مخترقين على صعيد التوجيه المعنوي العام.

وإلا في لندن لما ثارت قضايا الفتاوى المؤيدة لقتل النساء والأطفال، أثاروها بعض المتصدرين للفتوى في لندن، هؤلاء ليسوا مخابرات قطعا، بل إخوة معروف ماضيهم، لكن انظروا كيف وُظفت هذه القضية لضربهم وضرب العمليات نفسها:

أولا: هم أنفسهم حُطموا، بسبب أنهم كانوا مسئولين عن المجازر، مع أن الفتاوى التي صدرت ليس لها علاقة من قريب أو بعيد بطبيعة المجازر التي حصلت، ولكن استفيد من طبيعة فتوى خاطئة وشذوذ موجود داخل التيار الجهادي، ركبته حالة عاطفية لصالح الخطأ فتمادى بها، وكانت أجهزة المخابرات في إنجلترا تتعاون مع أجهزة المخابرات في فرنسا، فصنعوا مخططا محكما جدا جدا، نشرحه فيما بعد لعملية توجيه الثورة إلى ثورة مضادة، بأسلوب الزرع المباشر وأسلوب التوجيه المنهجي.

فهذه هي الأساليب التي نجحت من الستينات إلى الآن في محاربة حروب العصابات، ولم تنجح أساليب القمع العسكري، إلا بزيادة فاعلية الثورات وزيادة التأييد.

قال:

[وبسبب الطبيعة السياسية للصراع، وتفاوت الوسائل التي بحوزة المعسكرين، وخاصة بسبب التناقض التام لأهدافهما السياسية، فإن التكتيكات الأساسية المطبقة في حرب العصابات، غير قابلة للتطبيق من قبل الجيش الذي يقاتل العصابات، ولن تكون قابلة للتطبيق، وبشكل محدود

جداً، إلا من قبل (الإختصاصيين) العاملين في القوات الأمريكية الخاصة، التي يمكن أن تحاول تقليد تكتيكات العصابات.

والأسباب تامة الوضوح: (ميزات رجل العصابات تؤخذ من هذا البند)

أولاً: لأن رجل العصابات يمتلك المبادرة فهو الذي يبدأ الحرب، ويقرر أين ومتى يضرب، وعلى عدوه العسكري أن ينتظر مستعداً لمواجهته في كل مكان].

كونه هو الذي يبدأ المعركة هذه أول ميزة له بأنه سيربحها، ولذلك ملخص حرب العصابات أنها على الصعيد السياسي هي قتال على الشرعية، من الشرعي أمام الناس؟ وأمام الرأي المحلي والرأي العام العالمي؟ من الظالم ومن المظلوم؟

وعسكريا هي قتال على المبادرة، من يملك المبادرة؟ هل نحن نضرب الدولة والدولة تبحث عنا؟ ولا الدولة تبحث عنا ونحن نفر؟ الذي يملك زمام المبادرة العسكرية هو المرشح للنصر.

لكن للأسف آلت كل المواجهات الجهادية بيننا وبين الدولة إلى خسارة على المجال الشرعي، وخسارة على زمام المبادرة، ولذلك لا يمكن أن نربح في الآليات الحالية في حرب العصابات، إلا الشهداء الذين نرفعهم إلى الله سبحانه وتعالى، ونربح الرصيد الذي خلفته هذه التجارب حتى نستفيد منها، فإذا لم نستفد هذا فلا ربح إطلاقا أصلا.

الشرعية هي ذات دوائر متعددة، أول شرعية يجب أن تقاتل عنها وهي على صعيد المبدأ، أنك تقاتل على الحق أمام الله سبحانه وتعالى، وهو ما يجعلك مرشحا للنصر، على صعيد الناس يجب أن تقنع العموم بأنك مظلوم صاحب حق، قضي على السلمية كطريقة للوصول لأهدافك، ولاحظ أنت لهجة إسرائيل رغم امتلاكها مائتي رأس نووي إلى الآن، بأنها مظلومة وقليلة السكان ومهددة بالإبادة من وحوش ضارية حولها يعدون بالملايين، فلغة الاستضعاف ولغة الاستعطاف لا تزال إلى الآن، وهذا من أجل كسب رأي عام.

ونجد القتال الآن كله في السعودية على الشرعية، هيئة كبار العلماء والعلماء لإثبات أن الملك شرعي ويمثل نظاما إسلاميا، والمعارضة كل قتالها لتثبت أن هذا غير شرعي، وأنه لا يحكم بما أنزل الله، وأنه غير عادل.

ومن خلال ملاحظتي، للأسف لا تزال المعركة على الشرعية في الجزيرة كاسبة من قبل الدولة، خاسرة من قبل المعارضة، مع أنهم يقولون أنهم استطاعوا أن يحطموا كثيرا من شرعية النظام والعلماء، والمعارضة السعودية عدة فصائل، حتى السنية منها عدة تجمعات، منها سياسي ومنها عسكري ومنها جهادي ومنها كذا، وحتى الشيعة لهم معارضة.

في مصر، لا زال عموم الناس الستين مليونا يفهمون أن هناك لغطا بين الإرهاب والدولة، ولم يكسب الجهاديون معركة الشرعية بأنهم ينادون بالحق وبالمنهج الحق ويدافعون عن الناس.

زمام المبادرة هذا في كل الدنيا، في التجارة في الرياضة في العلاقات في كل شيء، في إنسان يبادر وآخر يقوم برد فعل، في الملاكمة من أوضح الصور، ولذلك يحضرني مثال أن هتلر ذكر في كتابه "كفاحي" أنه كان يوجب مادة الملاكمة على كل طلاب المدارس من سن السابعة إلى الأعلى، ويقول: ليس الغرض فقط الرياضة والصحة، وإنما الرغض أن أعلم هذا الجيل الألماني الذي يرشح لسيادة العالم بأنه وحده في الحلبة أمام اللكمات وعليه أن يخلص وجهه بساعديه فقط! لاحظ فلسفة التربية، هذا له بعد في التربية السيكولوجية النفسية، غير ألعاب الرياضة الجماعية التي تربي الإنسان على أن خطأه مغمور في المجموع، لكن الألعاب العنيفة الفردية لها دلالة، وهي أنك ستتصرف أمام ورطة، فهذا يعلمك من جملة ما يعلمك (المبادرة)، فإذا ضربت خصمك فتراجع، ضربته فتراجع، ضربته فتراجع، فيكون هو المرشح ليأخذ الضربة القاضية، وعندما تكن أنت في موقف رد الفعل تصبح أنت المطارد، فهذه هي المبادرة، المبادرة: من يحصر الآخر ومن يفر، واللعبة العسكرية كلها في حرب العصابات على المبادرة.

ولأن عموم حروب العصابات تبدأ والمبادرة فيها بيد العصابات، هو الذي بدأ الثورة وهو الذي بدأ الضرب، والدولة تأخذ فترة حتى تتوازن، عندنا حافظ الأسد كان فعلا يحزم شنطه ليفر، مع أن وضع الثورة

لم يكن مؤهلا للنجاح إطلاقا، هو وهم بسبب تتابع عملية المبادرة، كانت أسماؤنا موجودة على بعض قوائم أجهزة الأمن على أننا مطاردون، عند الأجهزة الأخرى لسنا مطلوبين، عملية فوضى، تظل الدولة فترة كبيرة لتستعيد توازنها إزاء هذه القضية.

ولذلك الذي لا يحضر لأن يضرب الدولة ضربة صاعقة من البداية، ويستفيد من عملية الدوار الأولى اللتي تصيب النظام= لا يبدأ حتى يتهيأ لأن يضرب ضربة تحدث هذا التخلخل، حتى تمتلك أنت زمام المبادرة، وهو أساس النصر العسكري في حرب العصابات.

فإذا فقدت زمام المبادرة= ستجد نفسك ضعيفا عسكريا، تحتاج لأن تنقل المعركة إلى مبادرة سياسية أحيانا، يعني: تدخل الدولة في جملة من الحرج، وتطلق تصريحات، وتعمل عليها عروض، تتعرض هي لضغوط، فتحل المشكلة عسكريا، تكون أنت جاهز لأخذ زمام المبادرة مرة أخرى.

أنت مشدود قبل العملية دقائق من التوتر، العدو مشدود ٢٤ ساعة، وهذا الذي يتوتر قبل العمليات ينصح بألعاب الرياضة، لما كنا نمارس لعبة الجيدو كان من النصائح الأساسية أنك إذا ركزت قوة الشد يجب أن تكون لحظة الالتحام بالخصم، لا تشد نفسك من أول ما تدخل للآخر، بينما الخصم الذي يتوقع هجوما يكون مشدودا كل هذه الفترة، فتكون مستنزفة لنفسه وقوته وطاقته وكل شيء.

أنت في البر تريد أن تغير في الثلج على موقع، فأنت متحمس ودافئ وسلاحك خفيف، أما العدو في الوقع عنده برد لأنه ساكن، يحتاج أن يكون مستعدا طول الوقت، أنت لحظة خوفك فقط عند الهجوم.

زمام المبادرة يجعلك تحدد مكان الضرب: في الشمال في الجنوب في النقاط الدورية، ومتى ستضرب، وعلى العدو أن ينتظرك مستعدا في كل مكان طول هذه الفترة، وهذا فارق استراتيجي لا يمكن أن يجعل الطرفين متكافئين في المعنويات.

يقول: [**ويجد جيش الحكومة نفسه، قبل وبعد بداية الحرب، في موقف الدفاع بسبب دوره كشرطي مكلف بحراسة الممتلكات العامة والخاصة**].

عندنا في الشام في بداية الحرب استخفوا بنا فأول طليعة أنزلتها الدولة لمواجهتنا هي دوريات مخابرات، ومعلوم أنهم قليلو التدريب عسكريا، فسحقوا، فاضطروا لإنزال دوريات مشتركة من الأمن ومن مليشيا الحزب، فزادوا على أنفسهم الطين بلة، لأن ميليشا الحزب مدنيون تماما، فكانت النتيجة فاجعة لهم، فسحقوا في القتال، مع أن الشباب الذين مارسوا الجهاد في البداية فعلا القسم الأعظم منهم يطلق النار لأول مرة في العمليات، وكان بعض الشباب أول طلقة يطلقها كانت لقتل شخص، لم يسبق له شيء، فالمسألة لا تحتاج لتدريب عسكري طويل، وإنما لتهيئة سيكولوجية واستعداد، وهذا سأتكلم عليه في التدريب والتخمة العسكرية التي حصلت وأنها غير لازمة أصلا لحروب العصابات.

عند ذلك قامت الدولة بإنزال القوات الخاصة وسرايا الدفاع (ذوي اللباس المزركش)، ولأول مرة يرى الناس في المدينة المدرعات كان في ذلك الوقت، وكل مصفحة فيها عشرون جندي وفوقها وتحتها، وأشرطة الرصاص والقنابل، فذُعر الناس من المنظر، فكل دورية كانت أربعة عن اليمين أربعة عن الشمال ومصفحة، ووراءها رشاشات طالعة، حتى استعراض السكاكين والسواطير والسلاسل، فمنظر كل جندي "رامبو" يعني، تجولوا في المدينة، فصمتت العمليات الجهادية عندنا حوالي ١٦ يوما، لم تُسمع طلقة، حتى أوشك الناس أن يظنوا أن المجاهدين انقمعوا.

في ذلك الوقت كان الشيخ إبراهيم يوسف رحمه الله هو الذي نفذ عملية "مدرسة المدفعية"، وكان ضابطا في سلاح المدفعية أصلا، وكان يعد لكمين صاعق جدا، واستطاع الاستفادة من بعض الأحداث، سحب رتلا من المدرعات إلى طرف المدينة فصار أمامهم أبنية وخلفهم الكروم والبساتين والشجر، وللأسف ضاع من عندي شريط كنا سجلناه على الراديو (الاف ام) للاتصالات التي بين جنود الدولة وهم يتكلمون عن المصيبة التي حصلت، فأدخلهم في كمين متفجرات مزروع، وأول عبوة كانت ٥٠ كيلو ليضربوا سيارة، فأحد أبواب السيارة كان على بعد ٥٠٠ متر من عمارة مرتفعة ١٦ طابق، وحصلت مجزرة

للقوات الخاصة في الكروم، فدمروهم تدميرا شديدا وهبطت مباشرة معنويات الجيش، فهذه القوات الخاصة نخبة الجيش السوري انفرمت بهذه الطريقة.

واكتشفوا فيما بعد أن أحد الإخوة كان مزروعا في جهاز توجيه الدوريات للقوات الخاصة، فكان هو يوجه الدوريات ويخبر الإخوة بمكان ذهابها، وبقي على هذا الحال عدة أشهر، وتأكد الجيش من وجود جاسوس، يوجه كل هذه الدوريات للكمائن، فقدرا هذا الأخ من فرحه أراد وأصر أن يدخل عملية، فدخل فاستشهد في أول عملية وخسروا موقع الأخ.

الشاهد أنك تسحبهم إلى المبادرة مباشرة، وهي الأساس في انتصارك في ساحة المعركة العسكرية.

كل هذا نحن نشرح قوله [**ويجد جيش الحكومة نفسه، قبل وبعد بداية الحرب، في موقف الدفاع بسبب دوره كشرطي مكلف بحراسة الممتلكات العامة والخاصة**].

ومن العمليات التي حصلت في الشام كانت ضد مؤسسة طيران روسية، فاضطروا لوضع حرس على كل مؤسسة طيران، ثم ضربت مؤسسة اقتصادية تابعة للقطاع العام في الدولة وأخذ منها مبلغ من المال، فاضطروا لوضع حراسة على مؤسسات القطاع العام، وكان عندنا في كل حي أربع مؤسسات، يعني ٥٠٠ هدف لابد له من حراستهم، كل مؤسسة تحتاج لأربعة جنود، يتوقعون الهجوم عليهم في أي لحظة، ثم ضربت سكة حديد، فاضطروا لحماية كل السكك..

فتشعر الدولة أنها تحتاج لحراسة كل شيء، يعني لو كان عندها مليون جندي لا تستطيع تغطية كل هذه المساحة، ثم لما ركز الدولة ثقلها ووزعت الدوريات وانتشرت القلاع والحراسات والعساكر= فأنت تقوم في ليلة واحدة بنقل القوات العاملة إلى جنوب البلاد على بعد ١٠٠٠ كم، ثم تقوم بنفس العمليات، فالدولة لا تستطيع الانتقال في ليلة واحدة، بل بعض القطعات العسكرية تحتاج لعدة أشهر للانتقال، فيحصل دوار للسلطة.

هذا كله للمحافظة على الاستمرار في الإمساك بزمام المبادرة، أنك أنت تضرب، والدولة تفكر ماذا سيفعل هؤلاء وكيف تتجنبه، فإذا انكفأ العمل العسكري، يقتلون القادة أو يعتقلوهم فيفر الباقون، حتى وصلت عملية المطاردة إلى مطاردة على بعد ١٠ آلاف كم من البلد، فيطاردونك في الباكستان وأبعد منه، فانتقلوا هم إلى الإمساك بزمام المبادرة في ساحة المعركة، ولذلك إذا انكسرت قليلا لابد من القيام بأي عمل تنتقل به إلى زمام المبادرة مرة أخرى، لأنه إذا ضاع صعُب استرداده، وكل ما تأخر زمن الضياع صعُب أكثر.

يقول:

[ولدى الجندي أشياء كثيرة للدفاع عنها: كالمدن، والتجمعات السكانية، والأراضي الزراعية، والمواصلات، والتجارة، والقاعدة الصناعية، بالإضافة إلى الأهداف العسكرية البحتة: كالمواقع، والمخافر الأمامية، وخطوط التموين، والقوافل، والمطارات، والقوات نفسها مع أسلحتها الثمينة، التي تشكل واحداً من أوائل أهداف رجال العصابات حتى يتسلحوا بها، وأخيراً فإن عليه أن يحمي ويساند جهازاً سياسياً خاضعاً لتوتر خطير منذ قيام الانتفاضة المكشوفة].

تصور الآن لو استهدف أعضاء عائلة مالكة من هذه البلدان، فإذا كانت العائلة ألفين من الأشخاص، في عشرة، فمطلوب منهم مباشرة ٢٠ ألفا للحراسة فقط، ولذلك أنا قلت لإخوة في المغرب: عليكم أن تجاهدوا عدة سنوات، بسبب الفشل العسكري المتلاحق الذي أتوقعه هناك، كل هذه المدة فقط من أجل ثقب جدار الخوف عند الناس، لأن المواطن العادي إذا أدرك أن السوط الذي يخترق جسده يمكن أن يخترق الجندي أيضا، ومن ثم السلطة= فيزول خوفه، لا أن هذه السلطة لا تمس ولا يقدر عليها، فإذا تجرأ عليها انهار جدار الخوف، فإذا انهار جدار الخوف استطعت بدء عملية التجنيد.

ضرب الأهداف الصغيرة في الدولة له فوائد، وهو أنه أهداف سهلة تدرب عليها عناصرك، ولكن له خسارة يجب أن تفكر فيها وهو إشعار النظام أن هذا هو مستواك ولا يمكنك أن تمد يدك لأكبر من هذا، فتبقى الدولة كما هي كأنك تلعب فقط في أذيال الأفاعي ورؤوسها بخير، وهذا سنتكلم عنه في تكتيكات حرب العصابات.

حتى عندما كنا في بلاد الشام، كان هناك ضغط كبير على النظام، تضربه في حماة، تضربه في الشمال، في الجنوب، لكن لم يكن هناك ضغط على النظام في العاصمة دمشق، فالعوام يتساءلون: أين الضرب في العاصمة؟

وأنت كان يجب عليك أن تعرف مدى الإشاعات وما يتناقله الناس وكيف يفكرون حولك، لأن الناس مهمتهم كبيرة جدا، فأغلب قوائم المخبرين الذين كشفوا في بلاد الشام كان من كشفهم هم العوام وليس الجماعات الجهادية، فهذا يعرف أن ابن عمه مخبر، وذاك يعرف أن ابن خاله مخبر، فكان الناس يكتبون أسماء المخبرين في قوائم ويلصقونها على المساجد، فلابد أن يصلي أحد الإخوة في مسجد منهم فينتبه لهذه القوائم، ثم يتحقق منهم فلان مخبر وفلان غير مخبر، فتصور حجم المساعدة التي قدمها الناس للمجاهدين تلقائيا نتيجة القناعة.

حتى في عمليات الردع والمبادرة أخرجوا الإخوة عندنا في "الطليعة" قرارا عجيبا جدا، يدل على عقلية فذة، أنهم أرسلوا لكل مخبر أننا قد كشفناك، وعليك أن تتوب بعد صلاة الجمعة في المسجد الفلاني علنا، إذا لم تفعل قتلناك خلال أسبوعين من خلال هذا التاريخ، فلم يصدق الناس، وبعد فترة وجدوا بعض المخبرين مقتولين فعلا، فقامت كمية كبيرة منهم من الذعر بإعلان توبتهم في المساجد بعد صلاة الجمعة، ويقرأ نص التوبة: أنا فلان بن فلان أعمل مع المخابرات وكفرت، وأستغفر الله العظيم، وها أنا أتوب إن شاء الله ولا أعود .. إلخ ، فبعد ذلك ينزل الشارع يعتقل من قبل النظام، وهو يعرف أن مصيره مصيبة في الحالتين، ودوهمت بعض مواقع المخابرات وأخذ الإخوة أسماء المخبرين ورواتبهم من بعض المراكز الأمنية، فحصل انهيار نفسي لهم.

حتى أن بعض كبار علماء حماة –الآن في السعودية غفر الله له– لما قام مخبر في مسجده للتوبة بعد الجمعة، اعترض عليه وقال للمجاهدين: من قال لكم أن مسجدي هذا محل توبة للناس؟

لكن ضرب الرؤوس الكبيرة في الدولة يكلف الدولة كثيرا جدا، فهو ينشر الذعر، ويشعر كل مسئول أنه غير مؤمن، فينقلون أرصدتهم المالية إلى الخارج، وعوائلهم إلى الخارج، ويبقى هو في عملية توتر وانهيار نفسي وعصبي مستمر، هذا لا يجب أن يكون على مستوى وزير أو كذا، بل حتى على مستوى مسئولين عاديين.

فهذه كلها أهداف مدنية يجب عليهم حراستها، ثم أهدافهم العسكرية، فالكاتب ينفي المقارنة بين الدولة والعصابات في هذا، فهو يهجم عليهم بعملية واحدة، فالدولة تتوقع بعد ذلك ٥٠٠ هدف، ويكلفها ذلك كلفة باهظة.

فيقول: [**ففي كل هذه المجالات، يكون للنظام المعني وذراعه العسكري نقاط ضعف حساسة جداً بالنسبة إلى عدو يمكن أن ينزلق كالريح**].

وهذه عبارة أدبية ومعبرة جدا، أنه على العصابات إذا أن تكون حركتها وإنزلاقها كالريح، بليونة ينقل العمل من مكان إلى مكان، فمثلا في الوقت الذي كانت تدور فيه أعمال الجهاد في مدينتنا حلب أعادنا الله إلينا أعزاء منصورين اللهم آمين، كانت العمليات وصلت إلى ١٣ اغتيال في اليوم، وكنت لا تسمع إلا تكبيرا وطلقتين، فعوام الناس كانوا إذا سمعوا طلقتين قالوا بعفوية: الله لا يرحمه، فلما وصلنا لهذا جاء خبراء من ألمانيا ودول أجنبية يقدرون للدولة الأعداد، فبلغنا أن التقديرات ذكرت أنه بحجم هذه العمليات التي في المدينة لابد أن بها ٧ آلاف مقاتل حرب عصابات، بينما كان عدد الإخوة أثناء مدرسة المدفعية تسعة عشر رجلا فقط، ولكن الواحد منهم كان ينفذ أربع خمس عمليات في اليوم في مناطق مختلفة، ولما أرادوا أن ينفذوا أكبر عملية تجمع نصف الجيش يعني ١٠ أشخاص هم الذين نفذوا، الذين أطلقوا النار أربعة والذين

غطوهم ستة، يعني نصف القوات التي تملكها دخلت في عملية واحدة، وهذا نشرحه في نظرية ماو تسي تونج "التفوق المحلي"، أنك في المعركة الواحدة يجب أن تكون متفوقا وإن كنت على صعيد المجموع أقل.

الشاهد هذا كله يصنع جوا من زمام المبادرة ومن رفع المعنويات للعصابات.

يقول:

[وإذا كان الجيش يعاني من موارده، وخاصة من المعدات العالية التكاليف التي لن يستعملها (المعدات الذرية مثلاً)، فإن رجل العصابات يتمتع بكل الحرية التي يكتسبها من الفقر، فهو لا يمتلك إلا بندقيته وقميصه، وليس له إلا حياته ليدافع عنها، فهو لا يحتل أية أرض، وليس لديه أي جهاز عسكري يتطلب صيانة صعبة، ولا يمتلك دبابات تتعرض للمخاطر في المعركة، ولا مواقع يمكن أن تُحاصر، ولا وسائل مواصلات معرضة للتدمير من قبل الهجمات الجوية، أو طائرات يمكن أن تسقط، أو فرقٍ يمكن أن نقصف، أو أية أرتال آلية لتُحمى من الأفخاخ، ولا قواعد أو مستودعات لا يتسع له الوقت لتركها على الفور].

هو يقول: أنه لا يمتلك، فنحن نقول: على رجل العصابات ألا يمتلك طرقا ولا مراكز ليدافع عنها.. إلخ إلخ، فكل صفة يتحسر منها الكاتب، يجب أن نعتبرها نحن ميزة يلزم المحافظة عليها، ولذلك من أكبر الأخطاء أن تعمد العصابات إلى التحصن في مواقع ثابتة، تدافع عنها في مرحلة مبكرة، لا سيما إذا كانت هذه المواقع لا تستند إلى خطوط اتصالات خارجية، لدولة يمكن أن تكون صديقة أو محايدة.

في الفترة التي كتب فيها الكتاب ١٩٦٥ لم تكن طورت أسلحة الحصار الشاسعة، وأنظمة الإنذار المبكر، وتمكن الجيوش من حصار مواقع جبلية كبيرة جدا، إلا إذا كانت على شكل أفغانستان أو الجزائر، يعني مناطق تستعصي أصلا على الحصار.

فمن تكتيكات مقاتل العصابات أنه يجب أن يكون فقيرا، ليس عنده ما يدافع عنه، لأنها تمثل نقاط ضعف.

يقول:

[إنه يمكن أن يجيز لنفسه بأن يهرب عندما لا تتوافر لديه في القتال فرص جيدة لإحراز النصر].

هذا ليس عارا ولا عيبا، بل هذا عبارة عن (إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة)، فهذه عملية كر وفر، وهي أساس أسلوب حرب العصابات، أي: لا تتمركز.

إبان جهاد الشام كانت هناك أوامر صارمة للقواعد بأنه إذا دوهمت قاعدة بجانبك، ورأيت الإخوة يُقتلون، ويربطون في الدبابات ويسحلون في الشوارع= فلا تشتبك أو تتدخل لنصرة المجموعة المجاورة لك، وفعلا كانوا يتحسرون ويبكون بكاء شديدا، وهم يرون إخوانهم تسحلهم الأرتال ولا يتدخلون، لأنه لو تدخل سيرفع خسائر الإخوة من ٥ إلى ١٠، ولو خسرت الدولة ٦٠ أو ٧٠ في مداهمة القاعدة، فأنت فقط رفعت خسارتها من ٧٠ إلى ١٤٠، فتكون أنت خسرت ١٠ من أصل تنظيم هو ٦٠، فخسرت ٢٠ % من التنظيم، وخسرت الدولة ١٤٠ شخص من أصل مليون، فهذا استنزاف غير قابل للبحث والنظر.

وحصل هذا فعلا، لكن سبحان الله لم تستسلم قاعدة واحدة في الاشتباكات، رغم كل نداءات مكبرات الصوت والوعود، فكان الإخوة يقاتلون حتى الموت، وبأسلحة خفيفة جدا، معظمها مسدسات، وأوقعوا خسائر كبيرة فيهم لأنهم متحصنون.

فكانوا يستفيدون من خفة الحركة إذا لم يكشفوا، فيظلوا مقاومين حتى النهاية، حتى أن مسئول أمن الدولة في المدينة خرج يصيح بعد المعركة لما رأى حجم خسائر المخابرات والجنود، و٤ جثث فقط للإخوة، خرج يقول: أعطوني ٢٠٠ من هؤلاء، وأنا أحرر فلسطين.

فهم يجب عليهم أن يستفيدوا من الانزلاق الخفيف قبل أن يحصروا.

يقول:

[**وأن يتفرق ويختبئ عندما يصبح التجول من عدم الحذر، وفي أقصى الحالات، يمكن له أن يندمج مع الشعب المسالم –ذلك البحر (حتى نستعمل استعارة ماوتسي تونغ المشهورة) –الذي ينبغي على رجل العصابات أن يسبح فيه كالسمكة.**

ويجب أن نبين منذ الآن، بأن الشعب يشكل مفتاح الصراع كله، وبالواقع، ومهما بدت الفكرة مغيظة للمحللين الغربيين، فإن الشعب هو الذي يقود الصراع، فرجل العصابات ينتمي إلى الشعب، بنفس المقدار الذي لا يستطيع فيه جندي الحكومة أن ينتسب إليه (لو لم يكن النظام قد فقد محبة الشعب لما اندلعت الثورة)].

الحمد لله، بسبب طول فترة الاستعمار على المسلمين صار هناك بغض تلقائي للسلطة، حتى أبغضوا الرجل الطيب في السلطة، لكن هذه البزة التي يرتديها تبغضه عند الناس، وفي بعض الدول انقلبت الآية، والناس تحب فيها رجل السلطة: أخونا يصلي معنا، يحضر الدروس عند الشيخ، لكن هذه حالة استثنائية، فحالة الجهاد يجب أن تحمل هذا الرجل على التمايز، فينتمي إلى أحد المعسكرين.

ولن يهمك في النهاية الذي طارد مجاهدا، لأنه هاجم مقرا للأمريكان، فطارده وقبض عليه أو قتله، أو تسبب في اغتصابه أو اغتصاب أهله= لا يهمك بعد ذلك أنه في الليل يقوم عدة ركعات لله تعالى.

لكن في الحالة الطبيعية فرجل السلطة مكروه، وإذا كان رجل السلطة محبوبا وليس مكروها، فمعنى ذلك أنه لا يوجد مناخ ثوري، فعندئذ عليك أن تقوم بعمليات للدعاية وعمليات للتربية لتسخين المناخ الثوري.

فمن أهم مقومات المناخ الثوري أن يكون رجل الدولة مكروها، وعليك أن تمارس عملا دعائيا حتى يصبح كذلك، وأن تفهم هؤلاء الناس أنهم بذلك يدافعون عن الكفر، وأنهم غير معذورين عند الله سبحانه وتعالى، ولا بأس أن تخاطبهم بلهجة أخوية في البداية، وبأسلوب طيب لين، يتناسب مع الحالة التي هو

فيها، حتى يعرف أنك حريص عليه، ثم تهدده بلهجة صارمة أنه إذا لم يخرج من هذه الحالة= فإنه سيكون عرضة للعقاب والقتل ولغضب الله سبحانه وتعالى فيما بعد.

فلو غلب على ظنك أنه مسلم وطيب ومتدين ومغشوش ومخدوع= فلا بأس أن تخاطبه في البداية بلغة حسنة وطيبة، لأنك بلغتك الطيبة هذه تجعله أمام أمرين: إما أن يقف مع الدولة فعلا، أو يخرج منها، وهذا الأسلوب الخطابي سهل وممكن ومشروع وليس فيه بأس، لكن أن يكون مختوما بصرامة، وكذلك يجب أن يتدرج لأنه لا يمكن أن يظل نفس الخطاب من أول الثورة لآخرها، ومن المفيد جدا أن تقوم بعمليات نداءات للدول التي فيها جيوش متدينة وتعتبر نفسها إمارة الإسلام، يجب أن تقوم بتوعية شرعية، ولا بأس أن تعمل كراسات خاصة بهم، وبيانات خاصة بهم، وعملية تسريب لكاسيتات موجهة، سمعت شريطا جميلا جدا للشيخ سلمان العودة عنوانه "أخي رجل الأمن"، هذا الكلام مبكر في سنة ١٤١٣ أو ١٤١٤، مع أنه تكلم معه بصرامة شديدة جدا، وضرب له أمثلة: كيف سيلقى عقاب الله سبحانه وتعالى؟ وكيف أنه غير معذور؟ وكذا وكذا، لكن العنوان الذي دخل به إليه عنوان محبب.. هذا يتدرج حسب مرحلة المعركة.

هنا نجد أنفسنا أمام مشكلتين: مشكلة حمل أكثر من اللازم في قضايا الولاء والبراء، فيريدك من أول يوم أن تمسك هذا الرجل وتلعنه، وتدفعه إلى أن يكون فعلا مع الدولة قلبا وقالبا، مع أن هذا الرجل يمكن أن يحمله أسلوب الخطاب الطيب إلى الطرف الآخر، فتجد ضغطا في الأوساط الجهادية في أنك غير مسموح لك بالتهاون في العبارة مع هؤلاء الناس، أبدا قطعا جزما.

وهذا العسكري يختلف من بلد إلى بلد، فعندنا العسكري نصيري كافر من فئة أخرى، يتلذذ بذبحنا كأمة أخرى، فهذا مفروغ منه ولا نخاطبه، فنحن حالتنا أقرب للاحتلال الخارجي، ولا يمكن الترفق معهم في العبارة، ولا يصح للمجاهد السوري أن يحمل أحدا في دولة أخرى بحالة أخرى على أن يخاطبهم كما يخاطب هو النصيري في دولته، بحجة أن الكفر ملة واحدة، وهذا عقم في التفكير.

وليعلم أن الحالات تختلف من مدينة إلى مدينة، ومن قطاع إلى قطاع، يمكن أن تخاطب الدركي بأسلوب وتخاطب رجل أمن الدولة بأسلوب آخر، لما عندك من الفرق في البلاغ بين الدركي ورجل الأمن، ويمكن أن يخاطب الجيش بخطاب مختلف، وهذا غير حالة القوات الأجنبية.

وفي هذا الوقت الذي نشكو فيه من شدة بعض الإخوة من البداية= نشكو فيه من ميوعة خطاب بعضهم من البداية إلى النهاية، وهذا يضيع عملية التمايز، ثم يضيع عملية تعبئة الناس ضد هذا الرجل.

يقول:

[**إن رجل العصابات يقاتل بمعونة الجماهير الشعبية المدنية، التي تشكل تمويهه، ومنابع امداده، ومصدر تطوعه، وشبكة اتصالاته، ومصلحة استخباراته، الموجودة في كل مكان والشديدة الفعالية**].

بلغتني رواية أن القائد العسكري والقائد العام للثورة الشيخ إبراهيم يوسف الذي قتل بعد مدرسة المدفعية بسنة كان جالسا مع عدنان عقلة في أحد القواعد، فضُرب الباب وسمعوا صوتا يقول: يا عدنان ويا إبراهيم اخرجوا، سنداهم القاعدة بعد ساعتين، فخرجوا لم يجدوا أحدا، فهو رجل من صفوف الدولة، وهرب لكي يحافظ على نفسه أمنيا، وعليك أنت تساعد على الإكثار منه، وأن تفهمه أن الذي يمكن أن يخدمنا يجب أن يبقى حيث هو، والذي لا يمكنه أن يخدمنا حيث هو يجب عليه أن يفر، ويجب أن يكون هناك نداءات للتوعية بذلك، وأن الوجود في صفوف الدولة السلطوية هو وجود في صفوف الكفار، وفي صفوف الدفاع عن الأمريكان واليهود.

لأن النداء بأن يا مجرم أنت تخدم الملك= لا تهز كيانه، لكن النداء بأن يا مجرم أنت تخدم اليهود والنصارى= تهز كيانه، لأنه لا يرى مشكلة أصلا في خدمة الملك، فالملك يصلي والندوات الحسنية وشيخ الأزهر وصلاة العيد ورمضان وابن باز .. إلخ أين المصيبة عنده في أن يخدم الملك؟

لكنك يجب أن تقوم بعملية تربية للشعب كما تحنو على ابنك الصغير وعلى أهلك لما تربيها خطوة خطوة= يجب كذلك أن يكون هناك عناية بتربية الناس، وهذا أصبح له كتب ويدرس الآن اسمه "علم النفس الجماعي"، ولا بأس أن تقرأوا في كتب "علم النفس الجماعي"، وكذلك يجب أن تقرأوا في كتب "توجيه الرأي العام"، وكذلك كيف تكسب قلوب الجماهير، عندنا هنا في المكتبة بعضها.

وكذلك كيف تسوس الجماعة، لأن الجماعة لها شخصية اعتبارية وتقاد مثل ما يقاد الشخص، لأنه إذا استفحل الجبن في جزء من الجماعة= تجد أنه قد انجر لكل الجماعة، فتتصور الجماعة كشخص جبان، وتذوب فيها المبادرات الشجاعة، وكذلك العكس لو استفحت الشجاعة في جزء تجر باقي الجماعة إليها، فالجماعة تتصرف كشخص، وأنت يمكنك أن توجه الجماعة من خلال عملية تربية نفسية جماعية.

يجب أن يكون هناك عناية كبيرة جدا في بداية الثورة بالجماهير، وبالمسلمين في أجهزة الدولة، ويكون الترفق بهم، مع ملازمة الصرامة في النهايات وعدم التميع، وإعطاء كل حالة حقها في البداية والنهاية، حتى لا نصاب بالإفراط أو بالتفريط.

يقول:

[**فبدون رضاء الشعب ومساعدته الفعالية، يتحول رجل العصابات إلى قاطع طريق، ولا يبقى طويلاً على قيد الحياة**].

وأمامك نموذج الجزائر، تحول رجل العصابات إلى قاطع طريق، ولا يبقى طويلا على قيد الحياة، لانقطاع شرايين الإمداد البشري، هم ستون قُتل منهم صاروا خمسين، قُتل منهم صاروا أربعين، ليس هناك إمداد أو إيواء أو إخفاء أسرار أو مساعدة، لا تجديد فينقرض في النهاية، وقد يبلغ الأمر أن يساعد العدو عليك، في دلالة الدولة عليك= فتنقرض.

فيقول:

[ولو استطاع الجندي المضاد للعصيان أن يحصل على المساعدة نفسها، لما وُجد رجل العصابات أصلاً، لما كانت هناك حرب أو ثورة، ولنامت القضية، وانطفأت الرغبة الشعبية في التغيير الجذري].

هذا تفسير جميل لدور الشعب في موضوع حرب العصابات، لأن الشعب إذا لم تبلغ حرارته الثورية أن يحقد على هذا الرجل= لما وجدت الثورة أصلا.

ثم يقول:

[وهكذا نصل إلى المسألة الجوهرية الخاصة بالأهداف التي يبني المعسكران عليها بالضرورة، تكتيكيهما واستراتيجيتيهما. فرجل العصابات، هو قبل كل شيء داعية، ومحرض، وباذر للأفكار الثورية، وهو يستخدم الصراع نفسه –القتال المادي– كأداة للتحريض].

فحتى القتال المادي والعمليات المقصود منها هو التصعيد النفسي والتعبئة، أكثر مما هو مقصود منها إنهاك النظام عسكريا، لأن حرب العصابات لا تنتهي بسحق عسكري، العصابات لا تسحق قوات الدولة وتقضي عليها نهائيا بعملية إبادة عسكرية، لم يحصل هذا في التاريخ، ولا يحصل الآن، إلا عندما تتحول ضد الغزات الخارجية، أي أن تمتلك العصابات الجيش والسكان ضد جيش غازي، فيكون السحق فعلا، كما حصل في فيتنام ضد القوات الفرنسية ثم ضد القوات الأمريكية، وهنا كما حصل ضد الروس، ومع ذلك المجاهدون الأفغان لم يسحقوا القوة العسكرية الأساسية للنظام الشيوعي، ولا سحقوا القوة العسكرية الأساسية للروس.

بل الذي أخرج الروس هو نفس القاعدة الأساسية: عملية الإنهاك المتواصل، ووصول مصاريف الحرب في الإنفاق على حكومة كابل مليون إلى مليون ونصف دولار في اليوم، في الوقت الذي كان فيه الروس

يوزعون الخضروات على الجيش، لأنه لم يعد معهم مال يصرفونه كرواتب، هو استعمر البلد حتى يستنزفها اقتصاديا، فلما تتحول البلد إلى استنزاف اقتصادي للقوات المحتلة يتخلى عنها، لأنها عملية تجارية أصبحت خاسرة، وكل المستعمرين خرجوا لهذا السبب.

يقول:

[**وهدفه الأساسي رفع مستوى الاستباق الثوري، ثم المشاركة الشعبية حتى النقطة الحرجة** –أي مرحلة التوازن في القوى–، **حيث تصبح الثورة عامة في البلاد، وتكمل الجماهير الشعبية العمل النهائي، أي القضاء على النظام القائم، والقضاء (غالباً وليس دائماً) على الجيش الذي يحميه**].

أي: تكون طلقة الرحمة الأخيرة لا تطلقها العصابات، بل الجماهير التي تنزلق إلى الشوارع مع الفوضى العامة، وتستطيع العصابات إذا كانت مستعدة لها أن تحفظ هذه الثمرة من الضياع، وقد حصل عندنا في بلاد الشام أن استبقنا هذا الجو بالأحداث بطريقة لم نستطع السيطرة عليها، ففي صبيحة أحد الأيام نزل الناس للشوارع لمئات الآلاف، ويسمون الطليعة المقاتلة "إخوان"، حتى ذلك في شمال أفريقيا يسمون كل المتدينين إخوانا، فكان الناس ينزلون الشوارع بعشرات الآلاف، وأنا وجدت نفسي في الجماعة وقتها محاطا بمظاهرات وظللنا نكسر ونحرق، وكان شعار الجماهير التلقائي بصوت واحد وزخم رهيب –وقارن بينه وبين حالة الفشل الجماهيري عند معظم الحركات الجهادية الآن–: بدنا سلاح يا إخوان، بدنا سلاح يا إخوان!!

أين السلاح الذي يكفي هؤلاء، وكيف ستدير عشرات الآلاف من البشر؟ فلم يستطيعوا أن يستفيدوا من عمليات التصعيد المستمرة، وكان هذا الخطأ شارك فيه أخونا عدنان عقلة –رحمه الله– لأنه قبل فترة أنزل شريط كاسيت يحرض الناس على الجهاد ويقول: ونحن مستعدون لكل رجل يريد أن ينخرط في هذا الجهاد ويحمل دوره في مقاتلة النصيريين، وكان تصوره أنه يجند ثلاثة أو سبعة في اليوم، فإذا وجه النداء صاروا خمسين في اليوم مثلا، لكنه فوجئ بعشرات الآلاف من البشر يصيحون: بدنا سلاح يا إخوان.

فالخطأ كان في عملية تسخين الناس إلى مستوى لا تحتمله، فلما وجدت الدولة الوضع هكذا أطلقت النار على كل هذه الجماهير، وقتل في أربعة دقائق ٢٠٠ شخص في مركز المدينة، والشعب السوري لم يتعود أن تقمع مظاهرة بالسلاح، ولا حتى أيام فرنسا، فكانت الأولى والأخيرة في تاريخ السوريين.

عملية التصعيد هذه هي التي تسمى "استباقا ثوريا"، فإذا كانت تلقائية طبيعية صحيحة= فعند ذلك تشعر بأن المشاركة الشعبية –حتى النخبة الحرجة– وحين تصبح الثورة عامة في البلاد، فتكمل الجماهير العمل النهائي أي: القضاء على النظام القائم، والقضاء بعد ذلك غالبا لا دائما على الجيش الذي يحميه، لأنه يمكن أن تقضي على النظام دون الجيش كما حصل في ثورة إيران فقد استوعبوا الجيش أصلا، ثم قاموا بعملية تفكيك واستيعاب مرة أخرى لأسلمة الجيش.

لو أردنا أن نعيد صياغة هذه الفقرة بطريقة تناسبنا نحن، وهذا ممكن ومفيد جدا، فنقول:

فالرجل المجاهد الذي يمارس حرب العصابات هو قبل كل شيء داعية، ومحرض، وباذر للأفكار الجهادية والإسلامية والمنهجية، وهو يستخدم العمليات الجهادية أي القتال المادي كأداة للتحريض والتعبئة وإيجاد المناخ الجهادي.

وهدف المجاهد الأساسي رفع مستوى الاستباق الجهادي والانتماء لهذه الحركة والمشاركة فيها، ثم المشاركة الشعبية حتى النقطة الحرجة حيث تصبح الثورة الجهادية عامة في البلاد، وعندها تكمل جماهير المسلمين المبتدعين والضالين والتائهين –رغن أنف التكفير– العمل النهائي، أي القضاء على النظام القائم، والقضاء (غالباً وليس دائماً) على الجيش الذي يحميه.

امرأة جزائرية سافرة فاسقة في باريس، كانت متجهة إلى صناديق الاقتراع، حتى تشترك في الانتخابات التشريعية التي شاركت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، أقول هذا وأنا معارض لكل فكرة الديموقراطية وأسلوب الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وهذا معروف، حتى لا يشتبه أحد أني أؤيد هذه القضية، ولكن نريد أن نأخذ الحكمة كما أخذناها من راشد الغنوشي، عندما ذكر كيف عبأ الناس إسلاميا.

هذه المرأة الفاسقة السافرة كانت ذاهبة حتى تشارك، فأوقفها صحفي فرنسي على باب السفارة وكلمها بالفرنسية قائلا: من ستنتخبي؟ فقالت: سأنتخب سي عباسي باللهجة الجزائرية يعني عباسي مدني، فاستنكر الرجل، وقال: هذا الرجل عندما يصل إلى السلطة سيضع على رأسك الحجاب، أراد أن يستفزها كامرأة تقيم في أوروبا وسافرة، فقالت: هو إذا حجبني إنت ايه مالك؟ يعني: أنت ليش غايظك اني أتحجب؟

هل هذه المرأة كافرة أم مسلمة؟ مسلمة عندنا على جهل حالها، وهي من عموم الناس، هي الآن رصيد إيجابي، طيب حتى لو لم تكن رصيا إيجابيا، فهي رصيد حيادي، يمكن أن ينحاز للدولة ويمكن أن ينحاز للمسلمين، وأنت بيدك الآن الخيار أن تحملها وتضعها في صف الدولة، أو تحملها وتضعها في صف المسلمين، وعندما تضعها في صف المسلمين وتعيدها إلى الأصل الذي هي عليه، ربما هذه المرأة تصلي لا تصوم، تصوم لا تصلي، على الخلافات الفقيهة التي ليس محلها الآن، هي عندنا من عموم أهل لا إله إلا الله، مستورة الحال، الله أعلم بحالها، إلى أن نتمكن من معرفة حالها لنحكم عليها.

طيب، جماهير المسلمين وعمو مالمسلمين، ال٢٦ مليون في الجزائر، ال٣٠ مليون في المغرب، ال٦٠ مليون في مصر، في النهاية ال٢٠٠ مليون في بلاد العرب، ال ١٢٠٠ مليون في بلاد المسلمين= كل هؤلاء مسلمون، مخلوطون، فهم جماهيرنا، وهم القاعدة التي يجب أن نحمل منها ونقاتل بها العدو، بدل أن تنعكس الآية على الطريقة التي حصلت، في أبشع صورها بالنسبة لنا، وأكمل صورها بالنسبة للعدو في الجزائر.. أن حُمل الناس ليرفضوا الجهاد الآن ويرفضوا الإسلام، ثم نسأل الله العافية، وهذا المثال الذي أوشك الناس أن يصلوا إليه في أفغانستان بعد تجربة الأحزاب.

لذلك (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أسوة المسلمين هو الرسول عليه الصلاة والسلام، وأسوتهم التابعون ونماذج التاريخ الإسلامي، والحركة الجهادية أسوتها رموزها وعلماؤها، وللأسف الحالة التي نحن فيها، فيجب أن تقدم الحركة الجهادية رموزا وأسوة للناس تتأسى بها، وعند ذلك "من أحب أطاع".

تفشي قضية أمريكا في الأنشطة والألبسة عندنا، يلبس جاكيت وهو أصلا مسلم ولكنه يريد أن يقول لك أن هذا الجاكيت متين متانة القوات الأمريكية، ويمكن أن يحتمل فترة طويلة، فيضع عليه شعار أمريكا، مع أنه لا يسر الإنسان إلا عندما يجدها على الأحذية، هذا مكانها.

لماذا؟

لأن الشخصية الاعتبارية للأمة أصبحت تقلد الغالب، وهذا تكلم عنه ابن خلدون، وقرأت مرة في مجلة "العربي" أظن، لأنه عُثر على بعض العملات في إنجلترا –التي لم يصلها الفتح الإسلامي- في القرون الوسطى مكتوب عليها بعض الحروف العربية أو بعض الآيات، فظلوا يفكرون في كيفية حدوث هذا الأمر، فذكروا أنه في تلك الفترة كانت القوة الاقتصادية والدولة العظمي هي للعرب والمسلمين، فكانت الإمارات عندما تريد صك عملة، وتريد أن تثبت أنها عملة قوية ومدعومة تضع عليها شعارات عربية، تقليدا للغالب.

فالشعوب عندما تجد أنك غالب ستجعلك أسوة، فتكون مؤهلة للإسلام وللإلتزام، وعند ذلك تبدأ عملية التربية، كما نمارس على الشخص نفرغه ثم نملأه، كذلك على الشعب نفرغه ثم نملأه، الحكومة الشيوعية اليمنية خلال ثلاثين سنة كفرّت شعبا بأكمله، وسحلت العلماء وسجنت الباقين ودمرت المساجد وحولتها لإصطبلات، وفعلت بها كما فُعل بمساجد موسكو، ودخل معها في النظام الشيوعي مئات الآلاف من البشر، وأخذ أطفال من سن سبع سنوات لموسكو ورجعوا.

هذه الشعوب كانت قابلة لأن تكفر خلاف فطرتها ودينها= بالتربية المتدرجة، فكيف لا تكون قابلة لأن تسلم وتدخل في الإسلام الذي هو دينها أصلا وفطرتها، وتحبه بالتربية المتدرجة، لكن لا تدخل بالقسر ولا بالعنف، وإن شاء الله يقرأ علينا أخونا اليوم في باب الرفق، وكما يعطي الرفق بالأفراد نتيجة= كذلك يفعل الرفق بالمجتمعات.

ولذلك نقول هنا: فالرجل المجاهد الذي يمارس حرب العصابات هو قبل كل شيء داعية، ومحرض، وباذر للأفكار الجهادية والإسلامية والمنهجية، وهو يستخدم العمليات الجهادية أي القتال المادي كأداة

للتحريض والتعبئة وإيجاد المناخ الجهادي، ورفع مستوى الاستعداد الجهادي لدى الناس، ثم المشاركة الشعبية حتى النقطة الحرجة، حتى تصبح الثورة الجهادية عامة في البلاد ضد مختلف أنواع العدو، وتكمل الجماهير الشعبية المسلمة العمل النهائي أي: القضاء على النظام القائم، وكل حلفاءه الداخليين والخارجيين.

هكذا نريد أن نصيغ عملية التعبئة والفكر الجهادي، مستفيدين من نصوص عندنا ومستفيدين من تجارب أمم ومستفيدين من علوم بحتة، لا تجرح في عقيدتنا لا كثيرا ولا قليلا، فنستفيد من قالب هذه الأفكار، كما استفدنا من قالب الخندق يوم غزوة الأحزاب، وهذا أسلوب للقتال الفكري كما كان ذاك أسلوبا للقتال العسكري.

يقول:

[**وبالمقابل فإن هدف القوات المضادة للثورة سلبي ودفاعي، ويتضمن تأمين استتباب النظام، وحماية الملكية، وصيانة الأوضاع والمصالح الموجودة بقوة السلاح، بعد أن خابت وسيلة الإقناع.**

وقد تكون الوسائل المستخدمة سياسية عندما تتضمن اقناعاً أشد: كالوعود بالاصلاحات الاجتماعية، والاقتصادية، وشراء الضمائر، والدعاية المضادة بمختلف الأشكال. لكن قبل كل شيء، يجب على القوات المضادة للثورة أن تدمر الثورة عن طريق تدمير وعودها، أي البرهنة عسكرياً بأنها لا يمكن أن تنجح ولن تنجح].

فإذا قال الثوار أنهم يريدون تطبيق شرع الله، فتقول الحكومة: أنها تطبق شرع الله، ولأن حكوماتنا مأمورة من الخارج ألا تطبق شرع الله، لو كانت تدافع عن نفسها أنا متأكد أنها كانت اختارت تطبيق الشرع إبقاء على الملك، وهذا حاوله جعفر النميري لما وجد الضغط شديدا على تطبيق الشريعة، فقال: لا بأس نطبق الشريعة، فخُلع من السلطة، لأن هؤلاء الجرذان الذين يحكموننا هم مجموعة من الأذيال، ليس لهم أن

يختاروا مصلحتهم، الآن يرفض حسني مبارك وكلهم أن يحدث أي ضرب في المنطقة وظهرت عندهم كل هذه الوطنية والغيرة، لماذا؟ لأنهم يعتبرون أنه إذا تفاقم الوضع في الشرق الأوسط فسنسقط نحن.

ومن مشكلات مرحلة ما بعد حرب الخليج، أن السيد المستعمِر لم يعد حريصا جدا على مصلحة العميل المستعمَر، وأول الأمر كان حريصا على بقاءهم بشكل معقول، لكن بقاءه بشكل معقول لم يعد يكفي في حجم ما يريد المستعمِر من بلادنا، فيريد أن يتجاوزه، لماذا؟ لأن الغرب نفسه مستعمَر، لم يعد يفكر في مصلحته، الآن أمريكا تتصرف بخلاف مصلحة الأمريكان، لأن السيد اليهودي يجبر الأمريكي على خلاف مصلحته، والسيد الأمريكي يجبر فهذا على خلاف مصلحته، وهكذا تتدرج سلسلة العملاء، وهذا من الفهم السياسي لطبيعة الصراع الذي عندنا.

فلو كان هؤلاء الناس يريدون أن يخدموا أنفسهم ويبقوا في الملك وكانوا أحرارا= كانوا سيطبقون الشريعة وأرضوا الناس، ولذلك من المرشح الآن أن تفعله الحكومة السعودية أن تطلق العلماء، وأن تعمل عملية تخفيض جزئي للقوات الأمريكية، وكأنه نصر واستجابة لطلبات العلماء، وأن تعطي شيئا من التنفس في الدعوة، فتنزع الفتيل البسيط جدا، الذي نمى عند الكمية البسيطة جدا من إمكانيات الانقلاب والثورة والجهاد، لو كانت الحكومة السعودية حرة في أن تفعل ذلك.

ولكنها ليست حرة في تطبيق الشريعة، وليست حرة في إخراج القوات الأمريكية، ولذلك داخل نظام آل سعود هناك ضغوط تقول لهم: نحن ننتحر، دعوهم يخرجوا، لمصلحة البقاء في الملك، ولكن ليس بيده، والقضية تعود لجدهم الأكبر أبو يأجوج ومأجوج السعودي هذا، هو الذي وضع هذا النظام، حتى انطلى على بعض من يمكن أن يفكر في صلاح نفسه من آل سعود أنفسهم، وهذا مثال ينطبق على كل الأنظمة الموجودة عندنا.

جاءت المخابرات الإسرائيلية وقعدوا مع حسني مبارك في مباحثات، واشترطوا عليه إعدام قتلة السادات، وقيل أن عملية القتل حضرها وفد إسرائيلي، فعملية الإعدام لم تكن في صالح رئيس جاء اليوم، لكنه كان

ملزما بأن ينفذ العملية، وكذلك عملية إعدام سلمان خاطر بدعوى الانتحار= كانت مفروضة من الخارج، وهي ضد مصلحة النظام، فهو ينحر نفسه بأوامر خارجية.

ومثل ذلك الآن أخونا الدقامسة -الله يتقبل منه- الذي قتل الفتيات اللاتي استهزأن به في صلاته وهو على الحدود، أيضا فرض على النظام الأردني محاكمته، وفرض عليهم أن يحضر وفد إسرائيلي من أصحاب الضحايا في المحاكمة، وأخبرني أحد الإخوة بخبر عجيب جدا أريد أن أتأكد منه أنه مسجون في السجون الإسرائيلية لا السجون الأردنية، قال: لأن الجريمة نُفذت على منطقة الجسر والضحايا وقعوا في الأرض الإسرائيلية، إن صح هذا فهذا نهاية العبث والمصيبة في هذه الأمة.

ولذلك هو يقول: أن الثورة تدمر إذا تمكنت الدولة من تدمير وعودها، تريدون شريعة طيب خذوا الشريعة، تريدون إطلاق سراح علماء؟ خذوا إخراج علماء، تريدون مساعدات إجتماعية؟ طيب رفعنا الرواتب، تريدون حل مشكلة الدعارة؟ طيب هذه هيئة إصلاحات ضد الفساد، وبهذه الإجراءات الجزئية تستطيع الدولة أن تقطع الطريق على الثورة، وهذه تحتاج لمجلد للكتابة فيها وسياق الشواهد.

الدولة عندما تستطيع أن تسحب البساط من تحت أرجل الثورة —كما مر هنا في الثورات الفاشلة وهو سيذكر الفلبين واليونان ودولة أخرى- =كان سبب الفشل أن الدولة تمكنت من تحقيق شعارات ومطالب الثوار، فلم يعد للثوار داع أصلا، ولذلك يجب على الثورة أن تكون طلباتها جذرية، لا يمكن للدولة أن تحققها، وهذه لفتة هامة جدا جدا.

لما كان الجهاد مرشحا للقيام في اليمن، وهذا مثال يجب أن نعتني به عندما ندرس إن شاء الله موضوع الدول العربية والإسلامية واحدة واحدة، عندما قامت بالدور الكافر بعد الوحدة، وكان الجهاد مرشحا للقيام في اليمن= كان هناك نوعان للمبادرات الإسلامية:

فريق من الإخوة الجهاديين في اليمن ينادي بإزالة النظام غير الشرعي، وإقامة نظام إسلامي بديل في كنهه وفي أشخاصه، وأنا واحد من الناس لا أقبل أن يطبق علينا الشريعة رجل فرنسي، في كلمة جميلة جدا للشيخ ابن باديس في الجزائر رحمه الله: لو قالت لي السلطات الفرنسية قل: لا إله إلا الله لم أقلها، لأنهم

هم من طلبوها، بل أقولها وحدي، فكيف نقبل نحن أن يطبق علينا الشريعة رجل هو خارج عن الشريعة، وهو أول حرامي (سارق)، وأول سافك للدماء، أصلا إذا طبقنا الشريعة فهو مدان بسلسة من الأحكام والقضايا لابد من محاكمته عليها، ٣٠ سنة من المصائب التي أحدثها.

فكان هناك تياران: تيار جذري، يقول: لا نريد هذا النظام الكافر ولا أشخاصه ولا نموذجه ولا هيكله، ونريد القيام بجهاد لنحل محله عمل إسلامي كامل.

وكان هناك فريق من الإسلاميين يقول: مشكلتنا مع (بعض) المواد الكفرية في الدستور، وأنه مقبول في عمومه، فهذا اسمه: مطالب جزئية، يمكن للدولة أن تحقق هذه المطالب، فقل: ماذا عن حال هذا الفريق الذي شاركنا في الجهاد إذا تحققت مطالبه ومقاصده في منتصف الطريق، هل يبقى في الجهاد؟ لا يبقى في الجهاد، فهو خرج يريد خمسة فأعطوه ستة فرجع، أما الذي خرج يريد سبعين لم تنته المشكلة عنده.

ولذلك هو يقول أن الدولة تدمر الثورة بتحقيق وعودها، فعليك منذ البداية أن ترفع مجموعة من الشروط، ومجموعة من المطالب لا يمكن للدولة أن تحققها، لأنه إذا احققتها تنتهي أنت وتزول، أقل شيء ممكن أن نقبله هو أن يرحل هؤلاء المجرمون بما نهبوه من ثروات المسلمين ويرحلوا عنا، ونتفرغ نحن للإقامة شريعتنا بشكل خاص نحن نرتضيه.

فالمرشد العام للإخوان المسلمين في مصر يقول: (نحن لا نريد السلطة، نحن مع أي رجل يطبق الشريعة)، هذا الكلام وإن كان ظاهره لا يكره، إلا أنه من حيث الواقع: هذا كلام فارغ، كيف نحن مع أي رجل يطبق الشريعة، ثم ينهب البلاد ويسلمها للأمريكان ويعمل التطبيع، ثم هو في خاصة نفسه وذاته زان عربيد سكير قاتل مجرم مدمن مخدرات؟

فلذلك فرق شاسع واسع بين العقليات الجذرية التي تريد أن تقلب هذا الكفر رأسا على عقب وأن تبدله بالإسلام، وهذا الظلم رأسا على عقب وتبدله بالعدل، وهذا الاحتلال رأسا على عقب وتبدله بالاستقلال، وهذا الكبت الحاصل على الناس وتبدله بالحرية، وهذه المظالم والسرقات والرشاوي والمصائب التي لا يمكن عدها وأن تبدلها بعكسها من الصلاح والهدى ومقتضيات الشريعة.

هذه المطالب إذا رفعتها وإذا جاهدت من أجلها وهو الحق وهو الواجب= لا تستطيع أي دولة ولا أي عدو أن يسحب البساط ويحققه.

عندما يكون هدفك خروج العلماء= يمكن أن يخرجوهم لك، وعندما يكون هدفك تقليل عدد القوات= يمكن أن يقللوا عدد القوات، الحمد لله أن حكامنا مأمورون من الخارج فلا يستطيعون سحب البساط، فهم مجبورون أن يعملوا اليوم ضد مصالحهم الخاصة في البقاء في الملك.

وهذا له وقفة سنقفه معنا: كيف يسحبون البساط من الثورة؟

حتى لو عملوا اختراق، ممكن أنت تتعرض لخسائر ومجازر، كما يحصل في الجزائر الآن، فعملية الاختراق كانت ناجحة جدا أدت إلى كارثة ولكن لم تقضِ.

وعلى رأس أساليب سحب البساط من تحت أرجل الثورة تحقيق الوعود التي تطالب بها الثورة، يحققها الملك أو الرئيس، أو حتى المستعمر نفسه، فمثل ما أنت تقوم بعملية تسخين للمناخ الثوري والمناخ الجهادي= هو يقوم بعملية تبريد، فكما تستطيع أن توصل التسخين لمرحلة الانفجار، هو يستطيع أن يوصل التبريد لمرحلة التجمد، والقضاء على كل مبررات الثورة.

نرجع إلى اليمن، قلنا أنه كان في اليمن مجموعة أثناء الدستور تقول: هذا التشريع كافر، هذا النظام كافر، أشخاص النظام كفرة غير معتبرين، هم أنفسهم مجرمون يجب أن يحاكموا، فهي مجموعة من المطالب الجذرية تقتضي الثورة، بدءا من تغيير الأوضاع وانتهاء بتغيير النظام كله: رجالا ومادة، واستبداله بنظام إسلامي رجالا ومادة.

وكان هناك فريق آخر يقول: نحن لا نقبل أن يكون في الدستور مادة كذا وكذا وكذا، فكان من جملة ما قلته لبعض الإخوة: هذا الذي يقول نحن عندنا مشكلة في الدستور مادة كذا وكذا= يمكنكم أن تدفعوا له فلوس لإقناعه بعدم المشاركة في الجهاد، لا أن تنتظر أن يشاركنا الجهاد، لأن هذا الرجل ومن على شاكلته إذا لم يبدل المنطلقات التي يعمل بها، فهذا سينقطع في أول أو في نصف أو في ربع الطريق، ولذلك فشل

في الماضي وتفشل وستفشل عمليات الوفاقات التي تحصل بين جماعات جهادية جذرية وجماعات إسلامية ترقيعية، تحت مسمى: توحيد جهود المسلمين من أجل أهداف هامة.

توحيد جهود المسلمين من أجل أهداف هامة يمكن أن تكون فقط لأجل دفع صائل أجنبي، فيجب أن ننسق الجهود حتى لو كنا مع مسلمين منحرفين، لكنهم داخلون في مسمى لا إله إلا الله، ولكن عندما تقوم أنت ببناء جماعة وتيار وفكر ومنهج، حتى تحقق خيارا وبديلا لما يكون ممكنا= يجب أن تكون مطالباتك جذرية.

فلو طالبنا الأمريكان أن يخفضوا العدد من ٧٠ ألفا إلى ٢٠ ألفا في السعودية سيرفضون، لكن لو ضُغط عليهم عسكريا سيقبلون، وبذلك ينسحب البساط منك، لكن المطالب الجذرية أصلا لا تسمح للعدو بعملية سحب للبساط.

يقول:

[يجب على القوات المضادة للثورة أن تدمر الثورة عن طريق تدمير وعودها، أي البرهنة عسكرياً بأنها لا يمكن أن تنجح ولن تنجح].

ولذلك لاحظوا الآن هيئة كبار العلماء في السعودية من المعزوفات الجميلة جدا التي يعزفونها= أنه حتى لو جاز لك أن تخرج على النظام، لكنك لا تملك القدرة، إذا لن تنجح، فهو يريد أن يحقق هذه القاعدة، يعني: حتى لو سلم لك بالمبررات يريد أن يحبطك بأنك لن تنجح.

أنت يمكن أن تقوم كرجل ثوري معبأ، وتقول: سأقوم ولا أنجح، وأستشهد ولا أرضى هذا الوضع، هذا الرجل المجاهد يمكن أن يتحلى بالفرض الكامل للكفر والباطل ويعمله، ولكن لا يمكن أن تقنع جماهير بأن تدخل في ثورة، مع التسليم بأن فرص النجاح معدومة، وأنها ستتكبد خسائر وبلاء ومصائب، وفوق كل هذا لن نحقق ما نقوم له، فعلا حتى المبررات الشرعية لهذا القيام تنتهي.

ذكر لي أحد الإخوة أن ابن القيم ذكر في قضية الجهاد لتبديل الظلم بعدل، قال –كما روى لي الأخ–: هو أربعة أصناف:

أن تقوم لتبديل الظلم= فيسفر قيامك عن تبديل الظلم بعدل، فهذا واجب.

وأن تبدل الظلم بظلم أخف منه= فهذا واجب.

وأن تبدل الظلم لظلم يساويه= فهذا اختلف فيه العلماء، ورجح ابن القيم جوازه، وانظر الثورية، فإذا قالوا لماذا القيام، إذا كان هو نفس الظلم ونتكبد خسائر ونبقى على هذه الحال، فما المبرر؟ وهذا كلام له وجهة نظر، ولكنه قال: فقط لإثبات سنة الله تعالى بعدم دوام الظالم، لأنه إذا زال الظالم وجاء ظالم، نقول: يمكن إزالة الظالم، والذي جاء يمكن إزالته كما زال الأول، ففيها فلسفة فقه عظيمة جدا.

وإنما غير الجائز أن تبدل الظلم بظلم أشد منه، فإذا تيقنت أنك تستبدل حاكما ظالما فاسقا يقيم الفجور، وإذا به يأتي بعده الشيوعيون فيقيموا الكفر ويمحقوا البلاد والعباد، فإذا تيقنت أنت تيقنا كاملا بأن هذه النتيجة هي الي ستحصل= فهذا الاستنتاج الفقهي يلزمك أنت، أنت الذي لا تقوم، لكن لا تلزم به إنسانا آخر، يرى ضمن حساباته هو أن هذا الخروج سيبدل الظلم بعدل، فكيف تلزمه؟ لاسيما إذا كان هو صاحب خبرة عسكرية وخبرة سياسية، وحساباته أدق منك، لأنك أنت صاحب خبرة في الحيض والنفاس ومجالس الكبسة والخرفان المشوية، فكيف نلزم الأمة كلها باستنتاجات القاعدين، بمقومات المشيخة التي عندهم أولها الكورس وآخرها الروماتيزم والسكري.

فالآن هذا الرجل القاعد لم يجر عشرة أمتار في سبيل الله في حياته، ولا ضُرب كفين في سبيل الله في حياته، ولا ارتعد في سبيل الله في حياته، في آخر خطبة للشيخ سلمان العودة قبل اعتقاله اسمها "لقاء الإمارة" حتى بشر الأمة بأنهم سيخذلونه ولن يقفوا معه، كما خذلت الأمة ابن تيمية وأحمد بن حنبل من قبل قال: تجتمعون مائتين في الدروس، فلما يموت الشخص يخرج مليونان في جنازته، فلما تكلم ذكر ما نتكلم فيه، فالشيوخ الذين تؤخذ منهم الفتاوى هم الشيوخ العاملون، وقال: أنا يهددوني بالسجن، والله هذا جيد لأني أستحي من الله –يقول سلمان العودة– إلى اليوم لم أدخل السجن إلا لأزور بعض السجناء

من أجل بعض المواعظ، فواحد في الدعوة عشرين سنة وإلى الآن لم يدخل السجن= هذا مخز، هو هكذا يقول.

وهذا الكلام له وجه كبير من الصواب، لكن له لفتة أريد أن أؤكد عليها وهو أن السجن ليس غاية، فإذا كان الفرار ومقاومة الظلم ممكنا= فهو أولى من من أن يدخل الإنسان السجن، لأن الله سبحانه قال على لسان يوسف (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) فالخروج من السجن حسنى أصلا، لا مفخرة يتفاخر الإنسان بالدخول للسجن، إلا على سبيل العبرة التي قصدها سلمان العودة –فرج الله عنه- فيكون هذا الكلام محمودا.

أما العلماء الذين ما ضَربوا وما ضُربوا، وما خافوا ولا أخافوا، في سبيل الله= فهؤلاء الناس لا يؤخذ منهم تقدير الأوضاع السياسية، وأن الخروج يفضي إلى ظلم أو إلى عدل، هذا من وجه.

الوجه الآخر أن هذا في الظلم، أما في الكفر فالموضوع مختلف، أما في الاحتلال ودفع الصائل فالموضوع مختلف، دفع الصائل على النفس والدين والعرض= واجب أو جائز، ودفع الصائل عن العرض واجب، ولا ينظر في نتيجته: هل تحكم الشريعة أو لا، هذه قضية لا أحد ينظر في الدفع عن عرضه فيها.

فالشاهد في الموضوع أن من مهمات إعلام الدولة أن تثبت لك أن القدرة غير موجودة، الحمد لله الآن يقولون أن القدرة غير متحققة، والقاضي عياض حتى الذي أفتى لكم بالخروج على الحكام قال باشتراط القدرة عليهم، فخلاص أنتم ما عندكم قدرة، خلاص قيدك فقهيا، قيدك واقعيا، قيدك عسكريا، قيدك في السجن، فلا تخرج ولا تتحرك.

يقول –والآن بدأ الحديث عن بني قومه، وكيف يقضون على الثورة-:

[**ولهذا لا بد من القهر الكلي للطليعة الثورية، وإبادتها مجزأة حيثما وجدت. والخيار البديل هو إهمال الجهد العسكري في سبيل الحل السياسي –مثلاً تقسيم فيتنام بعد ديان بيان فو، أو الحل الجزائري... إلخ– أو بقول آخر: حل وسط أو الاستسلام الكامل**].

لما كنت أعمل مع الجزائريين، قرأت في وثائق الجزائر، ومما قرأته معاهدة الاستقلال التي اتفق فيها الفرنسيون مع الثورة الجزائرية على الخروج، فتلاحظ أن اتفاق الاستقلال هو تكريس بالتوقيع للاحتلال الاقتصادي والاحتلال غير المباشر.

وسوف نقرأ عليكم ما عندنا في الأرشيف عن الجزائر، كيف أن الثورة التي قامت على مبادئ نوفمبر – والتي لم تكن إسلامية ولا جذرية– قبلت في النهاية حل الاستقلال والذي هو في جوهره "احتلال"، ووجد الجزائريين أنفسهم بعد ثلاثين سنة مضطرين إلى ثورة أخرى.

فيقول هذا الرجل –الكاتب– أنه هناك خيار سياسي ممكن وهو ما يسمى بحل وسط، أو الاستسلام الكامل للدولة.

يقول:

[وإذا حكمنا بحسب التجارب الحديثة، فإن نصراً عسكرياً على حرب عصابات حقيقية يبقى مشكوكاً فيه، إلا إذا لجأنا إلى طرقٍ متقاربة من الإبادة الجماعية، كما فعل الألمان في بعض المناطق خلال الحرب العالمية الثانية.

ولا يستطيع الجندي المضاد للعصابات أن يتغلب على رجل العصابات بتقليده، لأنه الغريب في الموقف الثوري، ولأن أعماله هي على النقيض من أفعال رجال العصابات، حتى عندما يمكن أن يتواجد بعض التناظر بينهما.

إن مجرد البقاء على قيد الحياة بالنسبة إلى رجل العصابات هو نصر سياسي].

هذه قاعدة هامة جدا: إن مجرد الاستمرار، إن مجرد البقاء، إن مجرد الرفض، إن عدم قبول الاستسلام، إن عدم وضع السلاح –حتى لو خرجت للخارج، وحتى لو بقيت معارضة تستطيع أن تكتب منشورا وحدا، تدل على أنك حي وما تزال تعارض–= شرط من شروط النصر السياسي، بل هو النصر السياسي.

يقول:

[فلذلك يشجع المعارضة الشعبية للنظام المعني وينميها، ويستطيع رجل العصابات أن يتنكر بزي فلاح –وقد يكون فلاحاً بالفعل– متابعاً نشر رسالته الثورية].

سبحان الله لا أستطيع أن أفكر في أناس يريدون القيام بثورة، وليس لهم رسالة يحكون فيها مع الناس، فقط بدو يقتل ويضرب ويتحرك إلخ ولا يعبئ الناس ولا يفهمهم لماذا قام، وماذا يفعل به، وماذا يريد أن يفعل إذا نجح، ثم يفهمهم واقعهم، وليس له غطاء، ولو جمعت ما قال منذ بدأ إلى الآن لم تجد إلا بضع صفحات، ولا تجد شيئا.

فهذه ليست ثورة، وإنما عمليا ناس هواة، أو عندهم مجموعة من العواطف المخلصة، فاقتحموا ميدانا لا يفهمونه، ولا يريدون أن يفهموا.

فيقول:

[أما الجندي المضاد للثورة، فإنه يغدو في الحالة المماثلة دليلاً للشرطة –يعني مخبر–، **ولا يستطيع نشر أية رسالة. ويستطيع رجل العصابات أن يضرب ويسرع في الانسحاب، وتكسبه كل إغارة ناجحة أسلحة وذخائر وتؤمن له بعض الدعاية. ولا يحصل الجندي المضاد للعصابات على أي شيء من مثل هذا التكتيك –حتى إذا استطاع استعماله– فحملته العسكرية يجب أن تكون**

مستمرة ذات تأثيرات متجمعة. فإما أن ينظف البلد من رجال العصابات، وإما أن يفشل في تحقيق ذلك. وفي هذه الحالة الأخيرة فإنه يستمر في الخسارة –لأن عمليات القمع العسكري نجاح عسكري بالنسبة له، لكنها نجاح سياسي بالنسبة للعصابات–].

حتى أن بعض العصابات في أمريكا اللاتينية –طبعا هذا لا نفعله نحن لأنه إجرام أصلا– لحرصهم على السخونة الثورية والمناخ الثوري، لما تتوقف الدولة عن المجازر= يقومون بها هم في بعض الأوساط الشعبية باسم الدولة وبلباس الجيش، وهذا فعلته العصابات الصهيونية لما أرادت أن تحمل اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وتريث اليهود في الخروج= قاموا بتنفيذ عدة مجازر فيهم، على أنها مجازر عنصرية في البلاد، حتى يقتنعوا بالهجرة إلى فلسطين.

فعندما يكون هناك إصرار من صاحب الدعوة على أن يبقي القناعة في الطرف الآخر مرتفعة، ولو عن طريق الإجرام! فهذا نحن لا نفعله، ولكن على الأقل أن نلتفت إلى أهمية وجود القناعة في الطرف الآخر، ونحن لسنا محتاجين للإجرام حتى نقنع الناس، بل يكفينا أن نردد للناس ونفهمهم ما يحسون به في كل يوم، فعندما تكرر العصابات مشاعر الناس وتقولها: الناس كلها تلعن الملك وتلعن الدولة وتطلق فكاهات عليهم وتهزأ بهم= فأنت تحول هذا إلى بيان سياسي، يسمعونه منك فيطربون له ثم ينضمون لك.

يقول:

[إن التمييز الذي لا نقوم به هنا بين حرب العصابات كتقنية سياسية –عسكرية، وبين حرب العصابات البسيطة (قطع الطرق من قبل المجرمين، أو استعمال التقنيات غير النظامية للحرب من قبل تشكيلات عسكرية نظامية)،= هو تمييز جوهري، وليس اعتباطاً كما يمكن التفكير للوهلة الأولى.

فقد كانت هناك دائماً انتفاضات شعبية، إلا أنها فشلت عادة أو حققت انتصارات محدودة، لأن تقنيات اليوم لم تكن قابلة للتطبيق في الموقف التاريخي. إنها وسيلة أخرى للقول بأن الأغلبيات الشعبية، أي الجماهير غير المتخصصة للمجتمعات قبل الصناعية لم تكن لتستطيع ممارسة الفعل السياسي أو الاقتصادي].

لأنه في تلك الآونة كالمراحل الإقطاعية ومراحل العبيد، لم يكن هناك إمكانية لتسخير هذه الثورات والانتفاضات لفعل سياسي منظم، لأن طبيعة المجتمعات –وهذه الفقرة أنا عانيت صعوبة في فهمها–

هو يريد أن يقول أن من أسباب نجاح حروب العصابات أن التكوينة الجديدة للمجتمعات الصناعية تسمح بالتأثير عليها، في حين كانت التركيبة القديمة لا تسمح بذلك، ولذلك الدول الإسلامية المتخلفة والتي لا تعير كبير أهمية لقضايا الرأي العام والاقتصاد= لا يمكن التأثير عليها بحرب عصابات، لأنها يمكنها أن تقمع بعمليات إبادة، كما قمعت ثورات العبيد في العصر الإقطاعي، فأنت تعمل لتؤثر على الرأي العام= ما في رأي عام، تعمل لتضرب الهيكل الصناعي= ما في هيكل صناعي، تعمل لكي تهين سمعة النظام= لا يهمه السمعة!!

فهذه الانتفاضات حصلت في الماضي، لكنها لم تؤثر، لأن تركيبة المجتمعات حينها لم تكن صناعية.

يقول:

[**فأقنان العصور الوسطى مثلاً، لم يكونوا قادرين على مقاومة القوة العسكرية الاقطاعية، ليس فقط لأنهم لم يكونوا يملكون الأسلحة والمعارف الضرورية، ولا الوعي والالتحام السياسيين، بل لأنهم لم يكونوا يمتلكون أية وسيلة أخرى للتأثير على السياقات الاقتصادية والسياسية لعالمهم**].

هذه الفقرة تهمنا، لأننا في حربنا المقبلة سنحارب دولا صناعية، فيمكن التأثير فيهم، والحمد لله الأمريكان والغرب واليهود ومعظم الدول الإسلامية دخلت في هذه الحالة.

[واقتصادياً، كانوا طيعي القيادة، لأنهم كانوا يعيشون على الكفاف الذي يجعلهم مضطرين للخنوع].

ولذلك شعوبنا أيضا تعيش على الكفاف ومضطرة للخنوع، فكل ما كان الشعب خانعا -كما هو الحال في كثير من الدول كالباكستان والمغرب ومصر وغيرها من الشعوب الخانعة فقرا- فهي من أصعب الشعوب التي تحركها في حرب عصابات.

[فلم يكونوا قادرين على التفكير برفض عملهم –كعبيد- **وهو سلاحهم الاقتصادي الوحيد، وكانوا معزولين في أوضاعهم الفظة، وفي جهلهم، لذا فقد عاشوا تحت مستوى السياسة]**.

تأسف لما تجد المقارنة بعبيد العصور الوسطى تشبه شعوبنا اليوم في آخر القرن العشرين، هو يقول أن العبيد عاشوا تحت مستوى السياسة، أظن أن شعوبنا لم تسمع من قبل أن السياسة لها مستوى، بل كثير من الإسلاميين بل كثير من الجهاديين لم يسمعوا أن هناك مستوى للسياسة، حتى أني مرة قلت أمام أحد الجهاديين: لما مات الخميني، قال لي: امتى مات الخميني؟ فبإمكانك أن تتصور كيف سيقوم بتوظيف الحدث أو فهم الحدث؟ إنسان دون مستوى السياسة، دون الخط العام للفهم.

[فإذا ماتوا من الجوع أو ثاروا وقتلوا بسبب ثورتهم، فإن أحداً لم يكن يهتم بذلك، كما أن الطبقة الحاكمة لم تكن تتأثر أو تُدان].

لاحظ كيف يمارس علينا الغرب اليوم، القمع الذي كان يمارسه على عبيد العصور الوسطى، وذلك من عوامل داخلية متخلفة، أما من الناحية الاقتصادية –وهذا عن واقعنا- فقد قسم اليهود والغرب عالمنا من

ناحية كل حكومة وبلد إلى: مترفين (أقلية) ومعدمين (أغلبية)، وعلى مستوى الشعوب الإسلامية بكاملها: أقلية مترفين، أغلبية معدمين، فقسم قتلهم الترف وأبادهم وقتل فيهم إمكانية الثورة، وقسم قتل فيهم الفقر إمكانية الثورة، فهو –من فرط السحق والفقر– لا يصمد ولا الصمود الأول حتى.

فللأسف الشديد أننا نعامل الآن من قبل الغرب= معاملة الغرب الإقطاعي لعبيد العصور الوسطى، وهذا يستأهل الفقر والتصفيق من قبل هذه الشعوب والحركات الإسلامية التي ارتضت وشرحت بالذل صدرا، وارتضت أن تكون عبيدا من عبيد العصور الوسطى.

يقول:

[**أما الثورات اللاحقة، منذ عصر النهضة وحتى ثورة روسيا، دون أن ننسى الثورة المكسيكية (١٩١٠-١٩١٧)، فقد كانت لها صبغة بورجوازية** –من صغار الكسبة، وليسوا من الطبقات المسحوقة فقرا–، **أو أنها اتخذت تلك الصبغة بسرعة بعد البداية الشعبوية (تمييزاً عن الشعبية).**

أما الشعار (حرية –مساواة– إخاء) فلم ينطبق إلا على البورجوازية الكبيرة والصغيرة، وبعد فاصل يعقوبي قصير (ظاهرة معبرة إن كل المؤرخين البرجوازيين يخشون ويشجبون البروليتاريانية لعصر الإرهاب)، لأنه في النهاية، كانت البرجوازية تمتلك لوحدها –الغنى ووسائل الانتاج– فتأخذ بقيادة الصراع مع الارستقراطية المالكة للأرض.

ومع أنه حدثت تبدلات في الطبقات، وتوافرت شعارات من النوع الديمقراطي، لكن الجماهير غير المتخصصة أو التي لا تمتلك أرضاً –يعني ليس لها إمكانية للتأثير على السياق الصناعي– **بقيت مغمورة. لقد كان بإمكانها أن تتوقف عن العمل، وتموت من الجوع، لا بأس؛ لأن عدد الشحاذين واللصوص في هذه الحالة سيتناقص. ونظراً لانعزالهم، فإن أحداً لن يهتم لهم إذا ما قُتلوا**].

لاحظ منتهى الاستحقار، إذا بدك تثور وتموت افعل، لأنهم بدهم أن يتناقص عدد الشحاذين والمتسولين على أرصفة الشوارع.

أقول: يجب الانتباه هنا لفلسفة الغرب البرجوازي، والذي عامل ثواره هو بهذه الطريقة، وعامل بني قومه وبني جلدته بأن يموتوا موتة الشحاذين= فكيف سيعاملنا نحن كشعوب أخرى، بأديان أخرى، بحالات أخرى بثقافة أخرى؟!

عند ذلك نستنتج الطريقة التي يمكن أن نؤثر بها على الناس، لاحظ من الأمثلة قوله: [**فإن أحداً لن يهتم لهم إذا ما قُتلوا**] حصل أن صدام حسين قتل من الأكراد في حادثة الأسلحة الكيمائية في أواخر الثمانينات قبل حرب الخليج ٧ آلاف شخص في قرية واحدة، وأبيدوا كما تباد الحشرات، وأريكم أرشيف صور لم أستطع أن أريها لأهلي، لا تحتمل امرأة رؤية مثل ذلك، فيها صورة رجل مات على جدار سيارة، وقد وضع نصف ابنه في السيارة حتى يهرب من الكيماوي ولم يستطع وضع الرجل الأخرى!! مناظر في غاية البشاعة، صورتها الأقمار الصناعية، وعرضتها أفلام فيما بعد، وكذلك صور صحفيون غربيون عن طريق جواسيس، وكان هذا متوافرا في أرشيف الدول العربية والإسلامية، وهذا تكلم فيه سلمان العودة: في الوقت الذي كان يبيد فيه الأكراد كنتم أنتم تدفعون له الفلوس كي يحارب إيران.

فأريد من المثال أن العالم كله صمت، ووسائل الإعلام وكل الحريات المزعومة التي نراها، وأجبرت دوائر الحرية في الإعلام الغربي، ومجانين الصحافة هناك الذين يريدون العمل خارج المنظومة الغربية كطموح شخصي، وهؤلاء الناس لهم سقف، إذا وصلت القضية لأمن الدول العليا منعوا عن حضور حرب الخليج، وأغلقت الصحف، وأعلنت فرنسا الحرة منع التظاهر والحديث والصحافة والكتابة في شئون حرب الخليج، حتى تنتهي الحرب.

وشكل شوارزكوف قائد الحملات دائرة للتوجيه الإعلامي، يجتمع فيها ممثل الناطق الرسمي للحرب مع الصحفين كل أسبوع، ويعطيهم ما تريد قوات الحلفاء أن تعطيهم، وعندي كتاب أريدكم أن تطلعوا على بعض أجزائه اسمه "مخططات الدعاية والإعلان في حرب الخليج"، وفيه كيف قامت الدول الغربية بمعركة

الإعلام والدعاية، وكان أحد مسئولي الارتباط بالغرب في معركة الدعاية والإعلام عميد كلية الإعلام في جامعة الأزهر بمصر، وهو عميد ودكتور في الإعلام الذي قاد التنفيذ في عملية توجيه الشعوب وغسل المخ، وهذا سنناقشه فيما بعد، المهم قتل ١٠ آلاف شخص أو أكثر في تلك الحملة ولم يتكلم أحد.

وفي معركة حماة لما انكسر المجاهدون، ودخلت القوات النصيرية والجيس السني –للأسف- الذي خرب بيوته وقتل أهله بيده، ولما فشلوا في اقتحام المدينة، وأبيدت الإنزالات الجوية كلها فتراجعوا، وقصفوا بالطائرات والمدفعية والصواريخ، فقتلوا ٤٠ ألف شخص في ١٤ يوم، ثم لما دخلوا المدينة اجتاحوها وأبادوا كل من عثروا عليه بين ١٥–٢٠ سنة، أعدموا على الجدران، فارتفع العدد إلى أكثر من ٥٥ ألف=

لم يتكلم العالم في سنة ١٩٨٠ ولا خبر واحد في الإذاعات الحرة أنه حصل كذا وكذا!

نريد أن نستفيد من هذا المثال= أنه ليكن باعتبارك أنك يجب أن تضغط لتشكيل رأي عام عالمي في قضيتك، ولكن لا تأخذ بعين الاعتبار كثيرا أنك ستهز ضمائر الناس في صراعك مع اليهود والغرب، لأنه لن يتكلم أحد.

عندما حصلت مظاهرات الخبز في المغرب، وقتل مئات الناس خلال دقائق= ذكرت وسائل الأنباء أنه قتل بعض العشرات، لأنهم لم يستطيعوا إخفائها، فخفضوا العدد فقط

هذه الفقرة تعطينا فكرة عن عقلية الغرب، وهو العدو الذي سنتعامل معه في المعركة المقبلة، كيف سيتصرف إزاء حروب عصابات ضده مباشرة، أو ضد العملاء الذين يحققون مصالحه.

أقول: لما حصلت كل هذه الانتفاضات الشعبية وقُتل الناس، ساهم كل الإعلام الغربي في تخفيض الخسائر، وفي سد الثغرة النفسية والإعلامية التي تعرضت لها الأنظمة العميلة، وهذا لم يكن قتالا ضده مباشرة، فهو عاملنا في هذه القضية كما يقول الكاتب: إذا مات هؤلاء الناس سينقص الشحاذون، فلا بأس.

والحضارة الغربية ذات العرق الأبيض أو الجنس الأبيض يتعاملون الآن مع كل شعوب العالم الثالث بهذا المنطلق، ذكرت بعض الصحف أنهم أجروا اختبارات للانفجارات الذرية في كثير من المواقع، بصرف النظر عن أثر ذلك على سكان المناطق، وثبت أنهم يجرون تجارب على الأدوية والمبيدات والأسلحة الجرثومية في أفريقيا ومناطق التجمعات البشرية، ويهلك الناس بعشرات الآلاف، ولا بأس في ذلك.

وثبت أن كثيرا من بعثات الأمم المتحدة تمارس الاغتصاب والقتل والتعذيب للمتعة، وتحركت بعض الألسنة في الحريات أن هذا مخجل إلى حد كبير، يعني لا تزال بعض الخلايا الحية موجودة في هذه المجتمعات الميتة، مثل كل البشر، تتحدث ولكن عندما تصل القضية أنها صراع مع المسلمين وخسائر بهذه الصورة، تتغير المعاملة إلى معاملة عبيد العصور الوسطى: إذا قُتلوا وسُحقوا ينقص الشحاذون، فالآن المعارك تسفر عن وجهها من جديد، ولم تعد معارك مؤدلجة كما حصل في النصف الثاني من القرن العشرين في مرحلة الاستعمار الحديث.

عندما نشرح المعادلة السياسية في العالم، سنذكر كيف هم مضطرون للاستعمار القديم، لأن عائلات الاستعمار الحديث لم تعد كافية ولا مجزية، نتيجة الوعي الذي حصل في كثير من البلدان، وارتفاع الشعور القومي والوطني والديني في كل العالم الثالث، فصاروا مضطرين إلى أن ينزلوا ويذهبوا بشكل مباشر.

لأن عجلة المعسكر الصناعي البرجوازي الغربي اقتصاديا= هي عجلة تتآكل داخليا، فعدد المنتجين، الذين يعملون في الزراعة والتحويل الصناعي قليل جدا، قياسا لطبقة العمل المرفه شعبيا، فعدد المصورين و الصحفيين وشرطة السير والمنظرين والممثلين والشعراء وكل القطاع غير المنتج كبير جدا، فصار ١٠% من المجتمع مكلفا بأن يطعم ٩٠% من المجتمع الذي توزع في خدمات وأعمال غير منتجة، خلافا للمجتمع الزراعي أو الصناعي الناشئ.

وكذلك كارثة الربا التي تجعل المعسكر الصناعي الغربي يتآكل، وتنخفض فيه مستوى الواردات، وبه ينخفض مستوى المساعدات الاجتماعية التي كانوا يقدمونها، فسيتعرض لثورات داخلية، لعدم استطاعتهم بالوفاء بنفس مستوى الرفاهية، فهم بحاجة إلى أن يكملوا هذا التآكل الداخلي عن طريق النهب الخارجي،

وهذا النهب الخارجي أصبح متعارضا مع وعي الحكومات وما تقدمه من أتاوات للغرب، إذا عليهم مرة أخرى أن يحتلوا العالم الثالث ويأخذوا ثرواته.

ونظرا لأن معظم ثروات الأرض التي حبانا الله سبحانه وتعالى هي في العالم الثالث والإسلامي منه خاصة= فيتجرأ هذا الأمريكي في حكومة بوش وقال: نحن في السعودية نصلح خطأ الرب الذي جعل البترول في أماكن شعوب لا تستفيد منه، وكان عليه أن يجعله في بلادنا نحن الصناعية، فلما —بزعمه الكافر الملعون- أخطأ الرب وجعل البترول في أمم أخرى، كان عليه أن يصلح خطأ الرب ويأتي ويحتل الشعوب الأخرى وينهب أموالها.

بإمكانك أن تتأمل علاقة هذا الهدف بحرب الكويت ولا بحرب الخليج وكل المسرحيات التي تصطنع، هم جاءوا لهذه الثروات لأن المجتمع الغربي يتآكل، ونحن يجب علينا أن ننظر في هذه الشرايين، وهذا الفهم يورثنا استنباط آلية الردع، وكيف يمكن أن نردع الغرب الذي لا يبالي بقتل هؤلاء الملايين ولا مئات الآلاف على أنهم عبيد متسولون، لو نقصوا من الأرض ترتاح البشرية منهم، لا يمكن إلا باتباع طريقة تنقل ساحة الموت إلى داخل عقر دار الغرب، ولا يمكنك أن تحقق انتصارات جزئية هكذا بالتأثير عليهم خارجيا —وإن كان هذا مهما-، هو جاء الغربي حتى ينهب المواد الأولية، صحيح؟ ثم يصنعها وينفقها مرة أخرى كسلع، فعنده مشكلة كبيرة جدا لو لم تخرج المواد الأولية، وعنده مشكلة كبيرة جدا أخرى نغفل عنها، وهي لو صنع هذه السلع ثم لم يستطع أن يصرفها عندنا مرة أخرى، فمشكلة التصريف توازي مشكلة النهب.

هو كيف ينهب؟ ينهب عن طريق الخبراء والاقتصاديين، فشركة "أرامكو" تسير وقتا طويلا حول سورها بالسيارة، وهي تحكم السعودية من الثلاثينات، وسلطة مدير شركة أرامكو أكبر من سلطة السفير الأمريكي في السعودية، ويحضر اجتماعات الحكومة والملكية ويقرر كل شيء، وقل مثل ذلك في الكويت وباقي الدول الصرصورية الصغيرة هذه.

فهؤلاء الناس ينهبون المواد الأولية عن طريق ممثلين لهم، فهم متواجدون بخبراء اقتصاديين بعائلاتهم، وللأسف نحن نفكر أن نردعهم لو ضربنا التواجد العسكري ولم نضرب التواجد الاقتصادي، مع أن الاقتصادي محارب عشر أضعاف العسكري الذي يحميه.

بعد ذلك هو متواجد بصفة شركات ومندوبي مبيعات حتى ينفق لنا هذه السلع مرة أخرى، فإذًا إذا قطعنا عنه شريان الأخذ وشريان البيع= نكون قد دمرنا أساس وجوده.

كيف يكون هذا؟ عن طريق ضرب الوجود الغربي بكل أشكاله وكافة أشكاله، العسكرية والاقتصادية والسياسية، وصولا إلى الأشكال السياحية الأخيرة، التي هي نوع من التجسس ونوع من نشر الفساد، أو على أحسن وأقل تقدير هي نوع من الاستفزاز أن الجماعة احتلونا وحولوا بلادنا لحديقة خلفية يتسوحون فيها.

فضرب الوجود الغربي بكافة أشكاله يقطع طريق النهب، ويقطع طريق تسويق المبيعات، فالحرب الاقتصادية مهمة جدا، والمسلمون الآن ليسوا بالوعي الكافي لنقول لهم: لا تشتروا قاطعوا الكوكاكولا، ثم تخرج أنت لتأكل ساندويتش وتشرب علبة كوكاكولا وترجع، فحتى لو كانت المقاطعة مؤثرة لن يكون هناك تجاوب، بل التجاوب الفعلي يكون في عملية إحراق وتدمير وقطع لكل الإمكانيات البشرية الغربية الموجودة التي تشرف على عملية الاستخراج أو على عملية التصريف.

وبعد ذلك سيقوم هو بهذه العملية عن طريق ما زرع من عملاء –لأنهم منذ ١٠٠ سنة يركبون العملاء– فهناك مسلمون من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ولهم نفس أشكالنا سيستمرون بعملية النهب، فمن خلال عملية التوعية وبداية الحرب مع الصليبيين واليهود يبرر لك بعد ذلك –عندما تستمر العملية من قبل العملاء– أن تحارب هؤلاء العملاء على أنهم الخط الثاني للدفاع لهذا الغرب.

هذا شطر من المعركة، يجب أن تقطع شرايين التصريف والنهب، بعد ذلك يجب أن تنتقل عملية الردع وعملية نقل ساحة الموت إلى داخل الغرب نفسه وفي بلاده نفسها، وبطريقة مؤثرة لا بعملية: والله جُرح اثنان وقُتل اثنان، لأنها خسائر محسوبة تجاريا عنده، فهم يقتل عندهم في يوم الأحد في نهاية الأسبوع في

حوادث المرور فقط ١٠٠ شخص أو ٢٠٠ شخص، فلما يقتل ٥ أشخاص مقابل كل هذا يعني ليست مشكلة.

يجب أن ينتقل الإرهاب الإسلامي إلى دول الغرب ليتحول إلى ظاهرة مماثلة لظاهرة الكوارث الطبيعية: الزلازل والبراكين والفيضانات، بحيث تحدث عمليات إبادة جماعية، ليشعر هؤلاء الناس أنه صحيح في رفاه ولكن جاءهم الموت أيضا، وعند ذلك تتشكل عندهم ضغوط حقيقية: لا يريدون هذا الرفاه ولا يريدون هذا الموت، فتحصل عملية توازن في الردع بيننا وبينهم.

إذا ما حصل (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون) ما بيصير، لأنه نحن نألم ولكن هم لا يألمون كما نألم.

فهذه العقلية ووجوب دراستها لا لنعلم كيف يفكر الغرب فقط، بل حتى نعرف كيف يمكن أن نردع هذا الغرب من انطلاق فهم عقليته أصلا، طبعا ستخرج عليك الفتاوى والوجوه الإنسانية والذميين والآمنين، بدءا من هيئة كبار العلماء إلى الأزهر إلى الإخوان المسلمين إلى التبليغ، إلى كل الحركات التي عسكرت في الغرب وصار لها معسكرات خلفية، تمارس منها –بزعمها– الدعوة والرفاه، وأصبح الغرب فندق خمس نجوم لنفايات المسلمين في الغرب.

وأنا أستطيع أن أتكلم عنها أنا، لأني كنت مع هذه النفايات لأسباب اضطرارية ١٥ عاما، والحمد لله أسأل الله أن لا يعيدنا فيها، وأعرف كيف تفكر هذه النفايات ومصلحة العمل الإسلامي في الغرب، وهذا موضوع آخر يحتاج لشرح عن وضع الجاليات في الغرب، وحالة المسلمين والحركات الإسلامية إلخ.

المهم أن نستنتج أن هؤلاء الناس يتعاملون معنا كأقنان القرون الوسطة وعبيدها، وأنهم –العبيد– إذا ذُبحوا فقد ارتاحت البشرية من مجموعة من المتسولين والجياع، والآن حل الكمبيوتر والتكنولوجيا مشكلة العمالة، ولم يعودوا في حاجة إلى هذه العمالة الكثيرة، هم يحتاجون للنهب فقط.

لو استعرضنا أوضاع المسلمين وحالة النهب الاستعماري –ونحتاج إلى مراجع طبعا، ونحتاج إلى كتب– حتى نحصي عمليات النهب هذه، وهذه مهمة كل ثورة جهادية في بلادها، فمن أوائل مهماتكم أن تقوموا بعملية دراسة وإحصاء حقيقي لعمليات النهب الاستعماري وكميتها وشكلها وكيف تقوم، حتى تُفْهِم الناس أنهم ما ماتوا إلا بذلك، مع أن بلادنا من أغنى بلاد العالم، وأفقر بلاد المسلمين هي من أغنى بلاد العالم.

المغرب مثلا من أفقر بلاد المسلمين ٧٦% من السكان يعيشون تحت خط الفقر، سواحل المغرب فقط ومصائد الأسماك تكفي لجعلهم من أغنى شعوب العالم، فضلا عن الفوسفات والفلزات والزراعة ونقل الترانزيت ودولة مشرفة على مضيق جبل طارق و٤٠٠٠ كم حدود بحرية والغاز والنفط والمصايب والبلاوي، فقط خذ مصائد الأسماك، وقل مثل ذلك عن كل البلاد.

ومع ذلك الغرب لم يعد بحاجة إلى هذه الشعوب، يمكنه أن يبيد كثيرا منها، هو بحاجة للثروات، فيجب أن نفكر بطريقة رادعة لهذا الأمر.

لذلك أقول أن كل الأساليب الجهادية، وكل المناهج وكل طرق الخطاب –بدون ميزة عن إخواننا وأنا واحد منهم، ونتكلم باسمنا ككتلة جماعية– = أصبحت متخلفة جدا جدا جدا، عن مواجهة طبيعة الحرب التي فرضتها ظروف ١٩٩٠ وما وراءها.

نقف هنا عند الملاحظة ٢٦، ونستمع لمشاركاتكم:

س: الصوت غير واضح، لكن السؤال حول الوضع في تركستان الشرقية؟

الشيخ: أخونا يتكلم عن شيء سبق أن تكلمت عنه مع إخوة التركستان والذي يريدون العمل في مواجهة الاحتلال الصيني الشيوعي لمنطة تركستان الإسلامية (الشرقية)، وهذا موضوع إن شاء الله سنتكلم عنه تفصيلا، ولكن المشكلة التي يواجهونها أن الجماعة الجهادية التي تريد أن تقوم على منهج شرعي

وجهادي وسليم= أن هناك أحزابا مصنوعة كخيار أمريكي لم تطرح الخيار الإسلامي، والخيار الإسلامي لم يعد له مكانة كبيرة في نفوس شعب مضى على قمع الإسلام عندهم ٧٠ أو ٨٠ سنة، ولكن تتكلم في قضية التحرير وقضية مشاكل الناس.

وللأسف الشديد من خلال متابعتي مباشرة لهذه القضية، الإخوة متأخرون جدا عن مواكبة المشكلة، والآخرون قطعوا أشواطا بعيدة، وافتتحوا مكاتب في تركيا وفي السعودية للمهاجرين، وكذلك في بعض الدول المحيطة بتركستان من الجمهوريات السوفييتية، ويعتمدون على أن الأمريكان سبق أن قرروا من خمس سنوات —وصادق الكونجرس على الخطة التي أخرجت من الخزانة ووضعت موضع التنفيذ- وهي مخطط تفتيت الصين، كما فُتت الاتحاد السوفييتي، وافتعال مشاكل بين العالم الصيني الكبير والعالم الإسلامي الكبير، ولذلك أي عمل في الصين الآن هو موجه من قبل الأمريكان، أو مستفاد منه من قبل الأمريكان.

وإن كان هذا لا يسقط الفريضة على المسلمين بأنه ولو كان الأمريكان يستفيدون من جهادهم= فهم عليهم أن يجاهدوا حتى يغيروا أوضاعهم، ولكن الإخوة تأخروا كثيرا، فهو يقول ماذا نفعل؟

أقول: أول شيء تفعله إعلان أننا نعمل لإعلاء كلمة الله، وأن هذا البرنامج ضمان لنصرة الله سبحانه وتعالى، وضمان لتحريك عواطف المسلمين، وكما قلت في جهاد العرب أقول في جهاد التركستان أن هذا الكلام صحيح، ولكن لا يكفي، صحيح لكنه ناقص، والذي ينقصه هو ما فعله الآخرون باسم علماني، ولما رأى هؤلاء أن هناك خيارا إسلاميا الآن يتحرك، هؤلاء العلمانيون تنازلوا ووضعوا شعارات إسلامية على خيارهم العلماني، فترى كلاما بالجهاد والشهادة إلخ.

فبقدر ما تتأخرون عن مزاولة المنهج بين البعد الديني العقدي والبعد الديني الدنيوي، بقدر ما سيكسب الآخرون هذه المواقع، وهذا هو الحل الوحيد، أن تحصروا مشاكل الناس، خاصة وأنه قد اجتمعت لكم كل ظروف الثورة من حيث مسببات الثورة، من حيث المناخ الثوري: احتلال غريب (الصين)، هم صين أنتم ترك، هم بوذيون وأنتم مسلمون، أنت أصحاب بلد وهم مهاجرون، مع الأخذ في الاعتبار بكارثة كونهم أكبر من عدد السكان، يعني في ٣٠ مليون مسلم، معهم ٣٥ مليون مهاجر، الصين أصلا اكتسحت كل

شرق آسيا عن طريق الهجرة غير المشروعة هذه، فدخلوا سنغافورة وغيرها، فعن طريق القانون الدولي لو أخذت رأي السكان= فهم معظم السكان.

ومع ذلك المسلمون يمكن أن يُحركوا، ولكن تتكلم معهم في مشاكل الدين، ومشاكل التاريخ، ومشاكل العرض، ومشاكل الاقتصاد، ومشاكل النهب إلخ، يجب أن يكون هذا من ضمن الخطاب، وما ينطبق على الآخرين ينطبق عليكم، ويجب أن يشعر الناس أن هذه الثورة ستحقق لها دنياها وآخرتها معا في نفس الوقت.

هل تريد أن تضيف شيئا؟

الأخ: .. ..

الشيخ: يعني تدخلون في معركة مفتوحة معهم؟

الأخ: .. .. ..

الشيخ: أنتم لابد أن تبدأوا في معركة مع العدو، لكن الناس لن يتفهموا الآن المعركة معهم، لا على صعيد المصلحة، ولا على صعيد الواقع والإمكانيات، المعركة معهم يجب أن تُتجنب على الصعيد العسكري، ولكن يجب أن يكون هناك معركة البينة والمنهاج والقضايا، حتى تتجنبوا أن يخرج المحتل الصيني ليدخل المحتل الأمريكي، وعندكم سابقة واضحة أنه في سنة ١٨٣٠ استنفر أجدادُكم التركُ الصينَ لحرب الروس لما أرادوا أن يجتاحوا التركستان، فربحوا وخرج الروس لكن بقيت الصين واحتلت المقاطعة، والآن يحصل نفس الشيء، فأوزبكستان محتلة من قبل الأمريكان بعد ما خرج الروس، فهذا لابد أن تفهموه للناس.

هذا لا يجعلكم تقولون: هم بدأوا فنحن لا نبدأ، حتى لا نؤثر على عملهم ضد الصين، فهؤلاء الناس صحيح يعملون في مصلحة المسلمين بخروج الصين، ولكن الكارثة المترتبة على عملهم دخول الأمريكان واليهود إلى تركستان، خاصة وأن منطقة البترول الآن تحولت إلى وسط آسيا، والبترول ممتد من تركستان إلى

أذربيجان مرورا بأوزبكستان وحقول الغاز= أصبح بالنسبة للغرب الآن أهم بكثير من نفط الخليج العربي، ولذلك هم لا يهتمون بتدمير هذه المنطقة العربية كلها، لأسباب دينية ويهودية وإلخ، ولهم في البترول والغاز الذي ظهر في وسط آسيا عوض.

فأنتم يجب أن تبدأوا المعركة من طرفكم ولا تتركوا لهم مساحة، بل من خلال المعلومات التي عندي أن إمكانية المجاهدين المسلمين في استمرار عمل عسكري ونجاحه عمليا أكبر بكثير من الآخرين.

عندنا هنا سبب للبدء قهرا قبل موعد الإعداد، وهذا السبب القاهر ليس إجبارا من قبل الدولة يفرضه قهرا وسط ظرف سياسي، أنك إذا لم تبدأ سيبدأ خيار علماني ويكتسح الساحة ويعبئ المسلمين، فهذا إجبار مثل إجبار الدولة، إجبار على البدء المبكر لسبب سياسي، وهو أنك إذا لم تبدأ ستخسر كل المواقع، ولو بدأت قد تخسر بعض المواقع لعدم الإعداد، فستأخذ بخيار البدء والقتال والبناء من خلال المعركة، وهذا ما تكلمنا فيه مع الإخوة.

الشيخ: وعليكم السلام ورحمة الله، أخونا عنده سؤال هام جدا، وأهميته تأتي من أن النتيجة المترتبة عليه تدفع عنا كثيرا من الشبهات التي يريد البعض أن يلحقها بهذا الفكر الذي نطرحه، يقول: تكلمنا عن مفتاح صراع، وأنه يجب أن نبحث عن مفتاح يرضي الناس، حتى نحشدهم في المعركة، فإلى أي مدى نجامل الناس في هذا المفتاح للصراع، لو كنا نحن مع شعوب تريد الكفر وتحب الكفر، فإلى أي مدى نجامل هؤلاء الناس ونختار صراعا يخرج طرحنا عن هوية العقيدة؟

الحقيقة وإن كان الجواب بدهي، ولكن الاستفسار جيد وينبهنا للمشكلة:

أقول: أولا نحن نتكلم عن واقع، لكن قبل الواقع نحن نتكلم عن أصل مبدأي وهو أننا مسلمون موحدون وأصحاب هوية وأصحاب منهج وأصحاب راية، وعندما نتكلم في السياسة فنحن مسلمون نتكلم في إطار سياسي شرعي أقره الإسلام، وليس عندنا حرية الشيوعي أو القومي أو غيرهما في أن

نتلاعب في السياسة، أو أن نعمل بقاعدة "الغاية تبرر الوسيلة"، فنحن عندنا الغاية لا تبرر الوسيلة، بل الغاية يجب أن تكون مشروعة والوسيلة الموصلة إليها أيضا مشروعة، وكما قال سيد قطب رحمه الله: أن الله تعبدنا بالأهداف كما تعبدنا بالوسائل، فنحن عندنا شرعية في الهدف وفي الوسيلة.

إذا –قدرا– وجدت أن المصلحة في خلاف شرع الله، أو خلاف ما نحن عليه من عقائد= فقطعا هذا الذي رأى المصلحة هو واهم، وهذه ليست مصلحة، لأنه إذا اعتقد واقتنع وتجرأ –كما تجرأ بعض الإسلاميين– على أن يزعم أن المصلحة –رغم البيان– فعلا خلاف شرع الله، ويكيف شرع الله حتى يرتب هذه المصلحة= يكون قد وقع في شيء مكفر مخرج من الإسلام.

لأنه يتهم الله سبحانه وتعالى، ويظن في نفسه الذكاء والإدراك أكثر من الله، وكما قال سيد قطب أنه عندما ستصور الناس أن عندهم من المصلحة خلاف شرع الله= فهم أولا واهمون، وكأنهم يقولون أن الظروف نشأت في آخر الزمان، وخفيت على الله سبحانه وتعالى، فتنشأ مصالح لم يفهمها الله وهم فهموها، فأولا هم واهمون، وثانيا هم كافرون، هكذا يقول سيد قطب، وأنا أقول نفس الذي قاله، فمن توهم أن عنده مصلحة خارج نطاق الشرع، ويخرج على ما أجمعت عليه الأمة وعلى النصوص القاطعة والبينة، وعلى علم العلماء وفقه الفقهاء، فقط لزعم في رأسه أنه فهم أكثر من كل هؤلاء الناس ورأى من المصلحة ما لم ير هؤلاء، كالذي حصل في طروحات حسن الترابي والغنوشي إلخ من هذه المصائب التي ألحقت بالعمل الإسلامي، وكما يحصل الآن من معظم الحركات الإسلامية في سب المجاهدين والتشنيع عليهم، لصالح الغرب ولصالح الحكومات، وما يحصل من العلماء وغيره= كله بزعم المصلحة.

فنحن إذا جئنا نزعم المصلحة أيضا بأننا نكتشف وسائل ترضي الناس ولا ترضي الله سبحانه وتعالى= فسنكون أولا واهمين، وثانيا قد كفرنا بما عندنا من العقائد، فهذا ليس لأحد أن يلعب فيه.

لكن قد يذهب البعض إلى تحميل الأمور ما لا تحتمل، ويكون هناك أمر ليس من العقائد، وإنما هو مجال مناورة في السياسة والمصالح فعلا= فينكر عليك أن تفعله، ويجعل فهمه المحدود هو الشريعة، ثم يلزمك به، فهذه مشكلة أخرى.

ولذلك الجماعات الجهادية من المصائب التي عندها أننا ابتلينا بغياب العلماء، لو كان هناك علماء لما طرحت هذه الأسئلة، ولكن رغم عدم وجود علماء، لا زال هناك بعض من يمكن أن نرجع إليهم، وبعض المراجع الموثوق بها في حل المسائل، وكما قال سيدنا معاذ: "أنظر في كتاب الله، ثم أنظر في سنة رسول الله، ثم أجتهد رأيي ولا آلو"، ونحن الآن ننظر لأهل العلم الذين فهموا ولنا ثقة بعلومهم، فإذا لم نجد من ينير لنا هذه القضية فنرجع إلى سبيل سيدنا معاذ، ننظر في كتاب الله، ثم ننظر في سنة سيدنا رسول الله، ثم ننظر في كتب الفقه وما قاله العلماء في أحوال مشابهة، ثم نجتهد رأينا ولا نألوا، فلو فعلنا هذا السبيل من طلب العلم من أهله أو من القراطيس= نكون قد بذلنا جهدنا على الأقل، ودخلنا في دائرة المجتهدين في أجر أو في أجرين.

فمن حيث المبدأ، هذا هو المبدأ، إذا صطدم بأي رغبة: سواء رغبة الناس أو رغبة بعض القيادات أو رغبة الغرب أو رغبة الحلفاء أو رغبة المصالح، مع ما يرضي الله سبحانه وتعالى ومع ما أحل وحرم= فقطعا تسقط هذه المصلحة أمام المنهج، وإلا نكسب المصلحة ونخسر الهوية نفسها، وهذا حصل عندنا في سوريا، وحصل من الإنقاذ نفسه.

يعني الإنقاذ على العوج الديموقراطي –اللي شبه مفهوم– انعوجوا وتحالفوا مع المرتدين ومع الكفار، لأسباب مصلحية وهموها= فكانت النتيجة وبالا سياسيا، يعني من حيث أرادوا المصلحة جاءت الكارثة والمصيبة، لأنهم ظنوا المصلحة في خلاف شرع الله، وتجاوزوا عن موضوع الحلف مع المرتد المعادي، آي أحمد سير مظاهرة ٣٠٠ ألف شخص ينادي بسقوط الإنقاذ يوم ربحهم، ثم تحالفوا معه كما قالوا: في مواجهة الحكومة –بزعم المصلحة–!

وعندنا الإخوان المسلمين تحالفوا مع أمين الحافظ البعثي، من أجل مدد الأحزاب حتى نعمل خيار ديموقراطي! وأمين الحافظ هو أول رئيس سوري تجرأ على الإسلام وأدخل الدبابات إلى مجلس الأمة في دمشق وجامع السلطان لما كان رئيس دولة، فلما خُلع وأصبح في دول الجوار كلاجئ سياسي جاءوا به وتحالفوا معه.

فهذا فوق أنه تجاوز على المنهج، تجاوز على العقل نفسه، ولكن العقل هنا ليس محله، بل هنا محل الثوابت الشرعية.

بعد هذه المقدمة الضرورية، أقول: أن واقع الأمر أن شعوب الإسلام تريد الكفر= هذا غير صحيح، وأنا لا أعرف شعبا واحدا من شعوب الإسلام يريد منك أن ترفع شعارات كافرة، في أقليات مارقة، في أحزاب مارقة، لكن ليس لها اعتبار، شعوب الإسلام ثبت أنها أيدت كل الحركات الإسلامية لما رفعت شعارا إسلاميا.

فهذا الافتراض الذي أنت افترضته= غير موجود أصلا، شعوب الإسلام لا تطالبنا أن ننحرف عن الدين حتى تنصرنا، بل شعوب الإسلام تطالبنا بأن نقف مع الدين وقفة رجولية حتى تنصرنا، وثبت في كل الثورات لما وقفوا أصحابها وقفة رجولية= نصرهم الله سبحانه وتعالى، ووضع لهم القبول في قلوب الناس، فرضاء الله تعالى أولى.

فإذا حصل أن تضارب رضاء الله –وهو ما نسميه عندنا منهجا سياسيا شرعيا- مع مصالح موهومة= فهذه المصالح مرفوضة، ولكن مع ذلك فهذه الحالة ليست واردة عندنا.

بسم الله الرحمن الرحيم.. وصلنا إلى النقطة ٢٦ ، وكان يتكلم عن مرحلة انتهاء الإقطاع وقيام البرجوازية، ولماذا لم تنجح حروب العصابات في ذلك الوقت، وخرجنا إلى عقلية الغرب في التعامل مع العبيو والأقنان في العصور الوسطى، وأنه يتعامل معنا بنفس الطريقة.

نتابع:

[**ولقد قادنا التاريخ إلى عصر حصلت فيه الطبقات العاملة على السلطة السياسية، لعدة أسباب وخاصة بسبب تعقد أساليب التصنيع، والتشظي، والتخصص، وترابط المجتمع الصناعي، وأهمية العمل المنضبط واتساع أسواق الاستهلاك.**

ولقد أكسبها دورها الجديد –باعتبارها منتجة وموزعة ومستهلكة– وسيلة للتأثير].

يعني أصبحت ثورات العمال ناجحة لأنهم أصبحوا مؤثرين في اقتصاد الدول.

[**فإذا توقفت عن العمل انهار الاقتصاد، ويحدث الشيء نفسه، إذا هي انقطعت عن الشراء والاستهلاك، وإذا ما قُتلت، نشأ عن ذلك انعكاسات عالمية سببها –حسب آخر تحليل– مرتكز على اعتبارات اقتصادية.**

ولا يستطيع المجتمع الصناعي الحديث أن يقوم بوظيفته كما لا تستطيع حكومته أن تحكم، إلا بالمساهمة والرضاء الشعبيين. وما ينطبق على الدول الصناعية نراه كذلك، على درجة أقل، في الدول غير الصناعية والمستعمرات، التي تتعلق بها الدول الأولى للحصول على المواد الأولية الضرورية لصناعتها والضرورية كذلك لصادراتها].

فهنا ظهرت آثار الشعوب في العالم الثالث، وقدرة تأثيرها على العالم الصناعي لو هي قامت بحروب عصابات.

[**ولأسباب اقتصادية، يجب أن تبدو الحكومات الحديثة شعبية، ويتوجب عليها أن تقدم تنازلات تتجاوب مع تصورات الديمقراطية والعدالة التي يتخيلها الشعب، أو أن تترك مكانها لحكومة أخرى تحقق ذلك**].

فحتى نضغط على هذه الحكومات يجب أن نحرجها بهذه الأعمال، حتى تقع في حرج اقتصادي، فإذا وقعت في مشاكل أمام شعوبها لم تستطع الاستمرار، فهذا يمكننا أن نقوم به ضد دولة صناعية كبرى، لكن لا تستطيع أن تفعله مع دولة متخلفة، مستعدة أن تقضي على ربع السكان، كما حصل عندنا من مجازر.

[وحكومات الدول الصناعية المسيطرة – وبدرجة أعظم من تلك التي تسيطر عليها – تجد نفسها مرتبطة سياسياً بهذا العامل المتعلق بالصورة الداخلية، وعليها أن تستعمل البلاغة الليبرالية، وأن تقبل الحلول الوسط –المدارس، المستشفيات، رغد العيش للجميع ما عدا السكان المعزولين– من أجل الحفاظ على السلطة وإبقاء الناس في أعمالها العادية التي تقدم الفوائد].

إذا منطق العدالة الاجتماعية في نظر الفلسفة الرأسمالية ليس أن الناس لهم حقوق، ولكن يجب أن نعطيهم هذا الحد الأدنى من الحقوق حتى يستمروا في العطاء ويستمروا في الانتاج، ويستمروا كذلك كسوق لتصريف البضائع.

[**إن ذلك يجعل الحكومات حساسة** –لنوع من الحرب حرب عصابات بأسلحة سيكولوجية واقتصادية، كانت تجهلها الحكومات السابقة، حتى لو كانت ممكنة في عصرها– **لأنه لا بد لها أن تشغل اقتصادها بأي ثمن، وتحقق الأرباح، أو أن تجهز المواد الأولية أو الأسواق يتوقف عليها اقتصاد آخر أعلى مرتبة، وهي حساسة كذلك، لأنه لا بد له أن تحفظ مظهر الحالة السوية تحت طائل الطرد، ولأنه لا يمكنها أن تتصرف بالقسوة التي يتطلبها الموقف، فلا تستطيع بشكل مكشوف أن تسحق المعارضة التي تنكدها، وعليها أن تغازل وتقمع في الوقت ذاته**].

وهذه فلسفة الغرب كله، ولخصها تشرشل بقوله: (تكلم بلطف، واحمل عصا غليظة)، هذه الفلسفة طبقوها على المستعمرات، وطبقوها كذلك في السياسة الداخلية لقمع التطلعات، ولكن المشكلة أنهم عصروا جيلا من البدو والأعراب والحكام العملاء المنتشرين في زمان تشرشل، فلما عاشر تشرشل هذه الأسر، قال حكمة يعلم الإنجليز كيف سيوسون العرب: (العربي كالكلب، كلما ركلته لعق حذاءك)، لأنه عاصر عبد العزيز آل سعود، وعاصر آل نهيان، وعاصر محمد المبارك الصباح، وعاصر البو سعيد قبل قابوس هذا، فهذا الرجل عاصر كل هؤلاء الناس وكان فعلا كلما ركلهم لعقوا حذاءه، فخرج بهذه النتيجة، وسار من بعدهم على هذا المنوال.

وكذلك عاصروا الرؤساء في بلادنا، حتى الرؤساء الاشتراكيين والقوميين والثوريين، تعامل معهم الغرب من باب: كلما ركلهم لعقوا حذاءه، لأنهم بحاجة إلى دعمهم حتى يستمروا.

الآن كما سمعت كثير من أمراء الخليج، فطور وغداء وعشاء يأتي من لندن، ناهيك عن الحرس الأميري بتاعه ولا بتاع السلطنة، كله من الضباط الأجانب، حتى الآن في البحرين الضباط الذين يشرفون على تعذيب المعتقلين السياسيين إنجليز، بعد كل الاستقلال وبعد كل شيء.

فالعقلية الغربية لا تعطي حتى بني قومهم الحقوق إلا لأن هذا مبني عليه استمرار الحكومات واستمرار الاقتصاد، وكذلك مراعاة المعارضة من نفس الباب، فكيف يتعاملون معنا نحن؟!!

على سيرة المبارك الصباح هذا، سمعت شريطا قيما جدا للشيخ سلمان العودة يتكلم عن حركات التبشير و"صانعي الخيام" الذين دخلوا لمناطق الجزيرة، تصور أول كنيسة افتتحت في الجزيرة في سنة ١٥٢٠ في عمان، والآن دبي ومناطق الخليج العربي تعتبر من قلاع التبشير في منطقة شرق آسيا، ناهيك عن الكنائس السرية التي فتحت في الجزيرة بعد حرب الخليج، كما افتتح لهم أثناء تواجد القوات كنيس لليهود العاملين في القوات الأمريكية، باعتباره من حرياتهم الدينية.

هذا مبارك الصباح يسمونه عندهم "مبارك العظيم"، لأنه هو الذي أطلق يد التبشير في الجزيرة العربية، وهو أبو هذا الخبيث الآن الذي قامت الدنيا وقعدت من أجله، والذي من أجله اجتمع "مؤتمر مكة" ويقول ابن باز: الحمد لله أن دول العالم اجتمعت لتعيد نصرة الشرعية والشريعة الإسلامية، هذا ابن مبارك العظيم.

نعود لموضوعنا:

[**تلك هي نقاط الضعف الحديثة، التي تجر معها وسيلة أيضاً حديثة لاستغلالها ألا وهي حرب العصابات المعاصرة. وفي الدول ذات الشكل الديمقراطي، والبورجوازي، والرأسمالي (وتقاسمها في**

ذلك كل الحكومات الأخرى ضمن بعض الحدود) تستطيع نقاط الضعف المذكورة جعل الحرب الشعبية ممكنة وإعطاءها أشكالها المميزة، التي لا يمكن تقليدها إلا بشكل سطحي جداً من قبل جيش الدولة].

التعليق ٢٦ نقول: إن فهمنا لعقلية الغرب هذه يعطينا مفتاح طريقة الصراع معه على أرضنا، وفي أرضه.. فهو يريد من أرضنا –على الصعيد الاقتصادي– أمرين:

١- المواد الأولية، يعني النهب وهذا تحدثنا عنه، و٢- مواد مصنعة، يعني تصريف.
فيجب استحداث آلية لضرب هذه المعادلة، أي: منع النهب والتصريف، وهذا شرحناه.

أما في أرضه، فيجب أن تعاد إليه كرة الإبادة والقتل بهذا الاستخفاف، وهذه هي آلية الردع وأصل نظرية الإرهاب، أن تشرد بهم من خلفهم، أي: أن تضرب قوما فترهب أضعاف هؤلاء.

وبالإضافة لذلك يجب ضرب الصناعة الحديثة، فمثلا قرأت اليوم مقالة صحفية أثارت موجة من الذعر في الولايات المتحدة، قالوا أن العمل في الولايات المتحدة كله الآن قائم على الاتصالات والكمبيوتر، وهناك أربع محطة للاتصالات اللاسلكية تقوم على أساسها كل شبكات الاتصالات، وله ارتباط بكل شيء: مواعيد العمل مواعيد الطيران مواعد الدخول والخروج الميتروهات أجهزة الأمن أجهزة الإنذار الشرطة، قالوا: ماذا يحدث لو استهدفوا هذه المحطات بالضرب؟ انظر في ماذا يفكرون، والآخرون لم يفكروا في هذا!

وكذلك يفكرون: ماذا لو امتلك الإرهابيون أسلحة الدمار الشامل؟ والآخرون لم يفكروا، وعلى أساس ذلك بدأوا في تسليح الجيش الشعبي والدفاع المدني والشرطة، فيما لو أن الإرهابيين استخدموا هذه الأسلحة، لكن الآخرين لم يفكروا فيها، هم وضعوا الآن حلولا وقائية فيما لو استخدموها، ووضعوا أسلحة إنذار مبكر في الأقمار الصناعية، تنذر بأماكن التسرب الإشعاعي أو التسرب الكيميائي أو البيلوجي لو حصل.

وهذه العقليات الإدارية هي التي انتصروا علينا بها، فأناس أخذوا بآخر إمكانيات عقولهم وإمكانياتهم الإدارية.

فهو يقول هنا أن هذه المفاصل هي المقتل، فعندما نقول نحن: أين مفاصل وعصب الحضارة الصناعية؟ فتجد أجهزة الكمبيوتر، ثم تجد نقاط الاتصالات، الجسور، المجمعات الصناعية، الطرق، التجمعات السكنية الكبيرة، تجد بناء فيه أربعة آلاف أو خمسة آلاف مثلا في المبنى، فهذه نقاط الضعف والتي أفرزها البنيان الصناعي= تعطيك فكرة أين تضرب، حتى تستطيع أن تؤثر على هذا البنيان.

ونقول كذلك في التأثير على المجتمع الصناعي: أنه يجب فك الحلف اليهودي الصليبي القائم، بإقناع شعوب دول الغرب من وراء حكوماتها أنها تُضرب بسبب مصالح اليهود.

يعني أنت لما تمارس الإعلام يجب أن تحاول التأثير على الجبهات، فهناك كثير من الضغوط داخل المجتمع الغربي –لمن عاش في أوروبا لفترات طويلة– الناس ترفض التبعات المترتبة على المشاكل العسكرية في بلادنا، فهؤلاء الناس مقموعون إلى الآن لأنهم العنصر الأضعف، ولكن إذا ترافق عمليات إرهاب داخل أراضي العدو ورأوا أثر النتيجة، ثم ترافق هذا بإعلام تفهمهم بأن هذا نتيجة دفاع الغرب أو تورطهم في الدفاع عن مصالح اليهود، حتى شوارزكوف نفسه كتب في مذكراته قال: اكتشفت في آخر حرب الخليج عاصفة الصحراء أننا كنا نقاتل بالنيابة عن إسرائيل.

فالشاهد أنك يجب أن تمارس هذا الإعلام، في عملية الضرب العسكري وفي عملية التفتيت= يمكنك أن تقنعهم بهذا، وتسبب تفتيتا لخطوط العدو الخلفية، وإن كنا لن نستطيع أن نفعل هذا لأن عندنا مؤشرات من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام في الملاحم والفتن أن الحلف اليهودي الصليبي سيمضي إلى آخر الملاحم، ولكن يمكننا أن نزيد عليهم المتاعب.

في التعليق ٢٧ هو يقول: (أن البنية البرجوازية والرأسمالية اقتصاديا يمكن التأثير عليها في حرب عصابات)، فنقول: ولأن معظم حكومات الدول الإسلامية لا تتبنى هذه البنية الأساسية، وليس لديها هذه

الحساسية تجاه البنيان الصناعي وتجاه الحقوق= فهي تحتكم لمناعة ديكتاتورية تلقائية ضد حرب العصابات، فهي يمكن أن تقوم بعمليات إبادة وقمع.

ولذلك نشك بإمكانية إسقاط نظام في العالم الإسلامي من خلال حرب عصابات جزئية على المستوى القطري بهذا النظام الذي استعملناه خلال ٣٥ سنة، وهذا سنشرحه في ملامح المعركة المقبلة، وهذا ربما يعتبر طرحا جديدا في حرب العصابات وأسبابها، هذا غير وجوب الجهاد علينا في قضية دفع الصائل، وغير وجوبه علينا في قضايا تحرير المسلمين وغيره، ولكن بسبب حرب الخليج وما حدث في ١٩٩٠ وما جرى ورائها، وعمليات الفشل المتلاحق وتحليل أسبابه، دراسة الفشل الذي حدث في بلاد الشام، ثم مصر، ثم الجزائر، وغيره، وتحليل أسبابه المتعلقة بأسلوبنا، لا لأسباب متعلقة بالعالم.

فنستطيع أن أقول أني متبني وجهة نظر أن عملية إسقاط حكومة عبر جهاد محلي إقليمي من طرف تنظيم سري يتبنى حرب العصابات، بكل النموذج الذي جربناه= عملية مشكوك في نجاحها جدا، وهذا سنفصل فيه لأنه سيثير لغطا كثيرا جدا، لأنه يمكن أن يمس أساس كثير من مخططات جماعات إسلامية جهادية، بنت تصوراتها على هذا الأساس.

الأمر الآخر، إذا سلمنا أن ظرفا دوليا تواطأ مع حرب العصابات القائمة وسقط نظام من هذه الأنظمة= فإن هذا الشك عندي على شبه اليقين، أنه يستحيل على تنظيم سري يدير حرب عصابات أن يفرز بنية حكومية، تستطيع أن تحل محل الحكومة التي سقطت، فإذا كان الأول صعبا جدا جدا جدا، فهذا قريب من المستحيل.

هذه البنى للتنظيمات السرية الجهادية لا تفرز كوادر بإمكانها أن تحل محل مؤسسة الدولة، طالما أننا سنقوم بعمل دولة على نموذج هذه الدولة، ونرث مؤسساتها ونرث ارتباطاتها الدولية.

الآن يجب أن يتحول الجهاد إلى نظام إقليمي أو أممي، في مواجهة العدو الأكبر، حتى يزول الـ (system) الدولي القائم المفروض علينا، فإذا زال الـ (system) الدولي= أصبح في الإمكان أن نلغي أنظمة، ونقيم دولا لا على أسس الدول الحديثة القائمة حاليا، وإنما على نظام إسلامي في إطار وضع دولي

غير الوضع الصعب الناشئ حاليا بكل ارتباطاته، ويمكن أن نقدم على ذلك أمثلة كثيرة، لكن لا نستطرد حتى لا نخرج على الموضوع.

فهو يقول أن حرب العصابات تؤثر على دول من (system) معين، وبنى معينة، وعندها قيود دستورية، وقيود قانونية بصفة معينة، وعندها ارتباطات دولية لها احترامها، وإذا ضعف وضعها جدا كما سنلاحظ يؤثر هذا على الرأي العام العالمي، فهذا وضع عام، خرجت بلاد المسلمين وحكومات الدول الإسلامية التي تصارع الحركات الإسلامية، فهي ليس لديها هذه الحساسية لحقوق الإنسان، وليس لديها هذه البنية الاقتصادية التي يمكن التأثير عليها، وبنفس الوقت تتمتع بالدعم الدولي الذي غض الطرف فعلا في أكثر من نموذج عن المجازر، وعن حجم عدد السجناء.

لا أتصور أن يصل عدد المعتقلين في دولة كما وصل في مصر إلى ٦٠ ألفا، ولا تلاقي من الضغط الدولي ومن حقوق الإنسان ومن الرأي العام العالمي كوارث يمكن أن تؤثر على الوضع الاقتصادي، في حين لم يمس هذا الوضع في مصر، ولم يمس من قريب ولا من بعيد الوضع في تونس رغم كل المجازر التي فعلوها في الإسلاميين، ولم يمس الوضع في الجزيرة ولا أحد تكلم معهم، رغم أنهم وضعوا كميات معتبرة من العلماء والأكاديميين في السجون، ورغم وجود معارضة سعودية تكلم الغرب بلهجته وبلغته وترفع التقارير وتبين له.

ولكن كلهم يقول في التحليلات: أخيرا نحن وضعنا مصالحنا الاقتصادية أمام حقوق الإنسان، أي صفقات الانترنت مثلا قبل حقوق الإنسان، يعني هناك بعض منظمات حقوق الإنسان تشتكي من حكومات الدول الغربية، لكنه كلام لا طائل من ورائه.

أعتقد أن مصيبتنا بعد نزول الصائل الدولي في بلادنا تعقدت بكثير جدا قبل ٣٠ سنة، حيث كان بالإمكان أن نشتبك مع حكومات محلية ..

وضع الأخطبوط الدولي الآن متداخل جدا مع السياسات الإقليمية، بحيث لا يمكن لدولة واحدة أن تفلت، وحتى إيران الآن –بصرف النظر عن هويتها الرافضية المختلفة عنا– ولكن كثورة لها مبادئ ودفع ثوري اضطرت بعد أن مات الخميني وجاء رافسنجاني –وهو أقرب إلى الاعتدال منه– يقدمون الآن

للسياسة الدولية وجها شبه علماني، بعيدا حتى عن مبادئ ودين الشيعة، لكي تدخل في بوابة الأخطبوط، وتتفاهم مع الغرب على حلول وسط، لأنها إذا أرادت أن تكون دولة فإنها يجب أن تتخلى عن الأفكار الثورية التي خرجت من أجلها.

فهذا مثال على أن الوضع الدولي الآن لا يسمح بمثل ذلك، لا يسمح الوضع الدولي بقيام حكومة إسلامية قبل تحطيم system النظام الدولي، وليس قبل تحطيم system الحكومة المحلية، فمثلا تحطيم الـ system الشرقي بسقوط الاتحاد السوفييتي= سمح مباشرة بانتقال كل دول المنظومة الاشتراكية إلى النظام الديموقراطي، ويبدو لنا من خلال متابعة الأحداث –والله سبحانه وتعالى أعلم- أننا عندما نسعى لقيام دولة إسلامية يجب أن نرى الصور الممكنة والصحيحة، وهذا غير وجوب الجهاد ودفع الصائل والمعارك التي ندخلها.

لكن معاركنا يجب أن توجه أساسا، بأن تتضافر جهود الجهاديين والجماعات الإسلامية، وأن تزج بأمة المسلمين في مواجهة العدو بصورة أممية، حتى نتمكن من تحطيم مفاصل الـ system الدولي في مناطقنا، وعندها يسهل على كل بلد وكل جماعة وكل قُطر وكل إمارة أن تتحرك، ولا أدري ما هو وجه وضع الدول ووضع الإقليم عندنا لو حصل فعلا سقوط وانهيار للغرب في مناطقنا.

أما الآن فانظر إلى إمكانيات أفضل وأقدم الجماعات الجهادية في مصر بأن تسقط النظام! مرة فعلا سألت الدكتور عمر وسألت الدكتور أيمن عن استراتيجيتهم في الجهاد وقيام الدولة الإسلامية= فسبحان الله كانوا صادقين معي وصريحين بطريقة عجيبة، وهذا كان في سنة ١٩٨٨ أو ١٩٨٩، الاثنان قالوا لي نفس فحوى الكلام، د. عمر قال لي: من قال لك أننا نملك خطة نريد أن نسقط نظاما ونقيم آخر= فهذا لم يحصل، لكن الذي حصل عندنا أن الدولة بالغت في عملية التصفية وضرب الدعوة، فرأينا مواجهتها لوقف هذه القضية، واستمرار المعركة من خلال هذا الوضع القائم.

ونفس الشيء قاله لي د. أيمن الظواهري: نحن عندنا مخطط بعيد المدى، لكن الوضع الذي نشأ في عملية التصفية فرض ظروفا أخرى.

الآن وبعد مرور ١٠ سنوات على هذا الكلام، كل الملاحظين يروا أن العملية تحولت وانصرفنا لعملية دفاع عن النفس، وامتلكت الدولة زمام المبادرة، وهذه نتيجة محزنة، ولن يغير من كونها محزنة أننا نحللها ونعترف بها حتى نستفيد نحن ويستفيدوا هم، لأننا محتاجون لتغيير تكتيك المواجهات، وهذا في دولة الحركة الإسلامية فيها قديمة، بل أقدم حركة إسلامية في المنطقة.

نفس الشيء حصل في بلاد الشام، وسنرى ذلك عندما نستعرض الدول واحدة واحدة.

فأقول: عندما نواجه نحن هذه الحكومات الآن، أصبحنا بسبب system التوحيد الدولي في النظام الأمني= نواجه نظاما عالميا جديدا متحدا، لا يمكنك مواجهة النظام الأردني، وتقول: الجيش الأردني ايش عنده؟! فتغفل عن موضوع الأحلاف الدولية والارتباطات الإقليمية الموجودة الآن.

الآن العراق على فقرها، الولايات المتحدة ما زالت تجفل من عملية الضربة العسكرية، لأنه تصور فقط محاولة ضرب العراق وهو ضمن الـ system الدولي لضرب المسلمين، جعلت مندوب الرئيس الصيني يذهب إلى الكرملين ويجتمع مع يلتسين أول البارحة ليصدروا بيانا مشتركا برفض عملية ضرب العراق، والقول بأن هذا ينذر بقيام حرب عالمية، والقضية خارج قضايا المسلمين.

فتصور أن تقوم الآن عندنا دولة إسلامية تهز أصلا الاستقرار في الكرة الأرضية، والسياسة القائمة كلها؟ فماذا سيحدث من التضافر الدولي على هذه القضية؟

ولذلك يجب أن تُدَول طبيعة المعركة أصلا، بحيث أننا عندما نضع مخططا لمواجهة العدو نعرف أننا نضع مخططا لمواجهة نظام عالمي جديد، وليس مواجهة الرئيس الليبي في ليبيا ولا ملك المغرب في المغرب ولا الملك فهد في السعودية.

وهذا بعد ١٩٩٠ يفرض علينا عملية هضم واستيعاب للتحولات التاريخية جدا التي حصلت، وبالتالي تطوير أساليب الجهاد بما يتناسب مع هذه القضية، وأنا أعتقد أن الكل بدأ يحس بوجوب عملية تدويل الفعل الجهادي في المنطقة كلها، لمواجهة الـ system ككل.

والمرشح للقيام بعملية التدويل هذه هو الجماعات الجهادية التي حملت السلاح، والتي نعتقد أنها هي الظاهرة على الحق في هذا الزمان، لو أحدثت نوعا من النقلة النوعية في طريقة تفكيرها وفي أسلوب عملها، بحيث أن تخطو الخطوة الأولى نحو التنسيق في قضايا لابد من التنسيق فيها، وصولا إلى توحيد الاتجاه، وليس توحيد الجماعات.

فتوحيد اتجاه الجهد يمكن أن يضرب مفاصل الـ system الدولي في مناطقنا، وبالتالي يفرز ظروفا مريحة لكل جماعة من هذه الجماعات أن تتابع قضيتها في ظرف دولي غير الظرف الدولي الحالي المضاد لقضايانا.

هذا موجز فكرة تحتاج لأكثر من جلسة للبحث فيها.

هنا استفدنا نحن من بنية النظام، لأنه يقول أن النظام الرأسمالي الذي بنيته كذا تؤثر فيه حرب العصابات، ووجدنا أن ظروفنا ليست فيها هذا النظام الذي يتكلمون عنه.

يتابع فيقول –و الآن سيتكلم هنا عن تكتيك العصابات عسكريا، لا سياسيا-:

[**ويختلف تكتيك رجل العصابات بشكل عن تكتيك الجندي المضاد للعصابات، لأن دوريهما مختلفان، فهما قوتان متنافرتان، تشنان حربين متعارضين، في سبيل أهداف متضادة. ويبحث الجندي المضادة للثورة عن كل حل عسكري، يتمثل في إبادة رجال العصابات، لكنه معاق بعقبة سياسية واقتصادية، فهو لا يستطيع أن يبيد الشعب ولا واحداً من أجزائه الهامة.**

أما رجل العصابات، فإنه يرغب في اهتراء –يعني تآكل، اهتراء لا دمار- **عدوه العسكري، ويستعمل تكتيكاً مناسباً لهذا الغرض، وهدفه الرئيسي سياسي، ويتمثل في تسعير حريق الثورة في صراعه، وتحريض الشعب كله، ضد النظام، وإظهار عيوب هذا النظام، وعزله، وتقويض اقتصاده، واستنزاف موارده، وإثارة تفككه**].

رأيت بعض الإخوة يتكلمون عن أطراف من المعارضة السعودية وأنها تتكلم في المفاسد الخلقية والنسائية لآل سعود، ووضع هذا في المنشورات= فاعترض بعض الإخوة بأن هذا ليس system للمواجهة، ولا يناسب أخلاقيات المسلمين، فأنا راجعت واحدا من أقطاب المعارضة فتكلم بكلام يجب أن نأخذه بعين الاعتبار قال: عندما أتكلم عن الدور السلبي الذي تقوم به زوجة نايف بن عبد العزيز في تسيير سياسة السعودية، وفي فرض آرائها: في خلافات الأسرة المالكة نفسها وفي الصراع على التجارة والملك، فإنما أكشف للناس حجم الفساد، وأنهم ليسوا فقط محكومين لنايف وهو حالة من الحقارة أصلا، بل محكومون حتى بصراعات نساء البلاط.

وذكروا أيضا أنهم يوزعون أراضي المسلمين هكذا بالطلبات، ونشروا رسائل جميلة جدا، بأن واحدا من الأمراء يرسل لفهد مديحا وثناء وصلاة عليه ثم يقول له: تراكمت علي الديون وكذا، وقد وضعت عيني على مقتطعة من الأرض قرب المدينة المنورة في مساحة كذا وكذا، فأرجو أن تمنح لي، فيصدر مرسوم ملكي بمنح هذه الأرض للأمير الفلاني.

هم لم يتقاسموا فقط دين الناس، بل تقاسموا البترول تحت الأرض، ثم تقاسموا الأرض فوق الأرض، ثم تقاسموا ما عند الناس، والآن يعدون على أموال الناس ويتقاسمونها.. هذه المفاسد الاقتصادية هي سبب من أسباب الثورة، وكما تكلمنا البارحة هو عدوان على أموال المسلمين، والدفاع عن أموال المسلمين هو مسألة شرعية، وعند ذلك لا يكون هناك خلاف بين المسألة الشرعية وطرح الحديث في أموال المسلمين.

يقول: [**وإظهار عيوب هذا النظام، وعزله، وتقويض اقتصاده**] لأنه قائم على الاقتصاد، ولذلك لما ضربت السياحة في مصر، كان كل سياحة الحكومة سياحة اقتصادية، يعني لا يتكلم الغرب عن حقوق الإنسان والمدنيين وما أدري ايش! ولكن السياحة الاقتصادية أن هذا ثاني أو ثالث مورد لمصر بعد قناة السويس، فهو من الموارد الأساسية، بصرف النظر عن عمليات السياح والسياحة سنناقشها إن شاء الله، ولكن عملية ضرب الاقتصاد عملية مقصودة من العصابات.

قال: [**واستنزاف موارده، وإثارة تفككه**] فأي عمل من تثير به التفكك، كاستخدام صراعات أجنحة النظام مع بعضهم البعض، وخلافاته ومشاكله الداخلية والخارجية= هو هدف للعصابات.

يتابع يقول: [**إن حرب العصابات في جوهرها سياسية واجتماعية أما وسائلها فهي سياسية بمقدار ما هي عسكرية، أما هدفها فسياسي بالكامل تقريباً. ونستطيع أن نقول "انطلاقاً من مقولة كلاوفيتز": إن حرب العصابات استمرار للسياسية بواسطة صراع مسلح. وفي درجة معينة من نموها، تصبح ثورة.. عندها تغدو أسنان التنين نالكة لكل قوتها. إن حرب العصابات تعادل حرباً ثورية، إنها امتداد للسياسة باستعمال السلاح**].

ما الفرق بين حرب العصابات والحرب الثورية؟

حرب العصابات هي مجرد عمليات الإغارة المسلحة العسكرية، تتحول إلى حرب ثورية إذا امتلكت نظرية سياسية واجتماعية للتغيير، وتمكنت من تحريك شعب، فعند ذلك تتحول إلى ثورة.

فهناك ثورات شعبية تقوم، هو جو ثوري شعبي لكن لم تمر بحرب عصابات، فهي انتفاضات شعبية، وهناك حروب عصابات أدت إلى ثورات شعبية.

[**وطالما أن أولئك المكلفين بالصراع ضدها لا يفهمونها، فلن يجدوا أية وسيلة استرتيجية أو تكتيكية لتحقيق النصر. أما إذا فهمها أولئك الذين يقودونها، فإنها لن تخيب مطلقاً، مهما كانت الظروف، لأن الحرب الثورية لن تبدأ إلا عندما تتوافر ظروف نجاحها**].

أي إذا لم تتوفر ظروف النجاح أصلا= لم تكن لتبدأ.

طبعا هو يتكلم بالأسباب المادية فقط، ونحن نقول (وما النصر إلا من عند الله) يؤتيه من يشاء متى شاء، على الكيفية التي يشاء، هذا عقيدة بالنسبة لنا، وعندما نتكلم في عالم الأسباب ونسهب، لا يعني هذا أننا غفلنا عن أصل التصور العقدي، أن الله تعالى يمكن أن يهب النصر على طريقة نصر موسى، يشق البحر، يعبر المؤمنون، يغرق الكافرون، انتهى الموضوع، ويمكن أن يأتي بالنصر على صيغة قوم عاد، ينفخ عليهم الريح العقيم وينتصر المسلمون، وقوم لوط: يخرج المؤمنين ويتلف الآخرين، هذا ممكن.

كما يمكن أن يأتي النصر –كما ذكر سيد قطب في مقطوعة جميلة جدا نقلتها من مقالة له اسمها "استعلاء الإيمان" موجودة في آخر كتاب "التجربة السورية"– قال: قد يكون نصر المؤمنين على طريقة أصحاب الأخدود، بأن يستشهدوا عن آخرهم وينتصروا.

فنحن لا نتكلم هنا في هذا الجانب، وله محل آخر، مع وجوب الكلام فيه، ووجوب وجود تعبئة عقدية وشرعية، لكننا نتكلم هنا في علوم عسكرية وفي عالم الأسباب، كما أقول لك في عالم الأسباب إذا وضعت طلقة عيار ٧,٦٥ في بندقية عيار ٧,٦٢ فلن تخرج أبدا، فهمت؟

نحن نتكلم عن مقدمات ونتائج فيها كثير من السنن الكونية القريبة من الجزم، حروب العصابات أو الحروب الجهادية كما نريد أن نسميها عندما نؤسلم كل هذه المصطلحات، ونتكلم بأسلوب يناسب عقيدتنا ويناسب شعوبنا الإسلامية التي نخاطبها= سنقول أن المواجهة الجهادية الآن ممتلكة لكل أسباب النجاح، إذا فهمناها نحن وأخذناها كما ينبغي، وعن ذلك يصدق قوله [**أما إذا فهمها أولئك الذين يقودونها، فإنها لن تخيب مطلقاً**]:

لأننا أولا ننطلق من الحق الذي هو الإسلام، وأننا مؤمنون وأن الآخرين كافرون، وأن الله سبحانه وتعالى معنا وليس معهم، هذه واحدة، وأهم ما هنالك.

النقطة الأخرى أننا ننطلق من أننا مظلومون، وصاحب المظلمة يندفع اندفاع المظلوم المدافع عن حقه، وهو غير دفع الظالم الذي ينقطع معنويا في مرحلة من المراحل، لأنه يعرف أنه معتد.

ثم نحن نقاتل على أرضنا، في حين أن العدو —الغرب واليهود والعملاء- يقاتل على أراض بعيدة، حتى ينجدوها يحتاجون إلى آلاف الكيلومترات من المئونة ومن النقل، وقد انتصر المجاهدون الأفغان على إفلاسهم وفقرهم على الاتحاد السوفييتي، رغم وجود إمداد بري مباشر للشيوعيين، هذا غير الذي وضعه الأمريكان على أنفسهم في فيتنام وكان عليهم أن ينقلوا القوات كلها بهذه الطريقة.

لما تحرك صدام حسين —ولولا أن القضية مؤامرة عالمية مدروسة- تأخر وصول القوات فترة طويلة جدا، حتى وصلت جوا أو بحرا، وكان صدام قد نُصح من كثير من المحللين العسكريين أن يضرب القوات الغربية أثناء التجمع، وليس بعده، وهذا أحد المؤشرات على أنه من جهته لم يكن جادا في هذه المعركة.

فالأصل أننا عندنا كل منطلقات النجاح، والأمر الآخر عندنا كميات من القهر والفشل في نفوس الناس ما لو فُجرت بطريقة صحيحة= لكفت أن تكون زخما لعقيدة قتالية إلى عشرات السنين.

ثم بعد ذلك عندنا القدرة على الاستشهاد، التي تمدنا بها عقيدتنا، وهذه القدرة على الاستشهاد لما امتلكها البوذيون قهروا الأمريكان، قبل أن يستخدموا القنبلتين، فالقدرة على الموت هي سلاح في يد الشعوب، كما قالوا : (إذا رغبت في الموت توهب لك الحياة).

فعندما تتوفر كل هذه الأمور، وشعوبنا أصلا مسلمة، ونحن نداؤنا إسلامي، ولنا خلفية من الحب في نفوس الناس أصلا، فقط لو خاطبناهم على قدر عقولهم وبقدر ما تفهم.

هو يقول: حروب العصابات يمكن أن تقوم لأسباب دينية أو عرقية أو أسباب عدالة اجتماعية أو غزو خارجي، الأربعة متوفرة عندنا الآن كلها مع بعضها، عندنا احتلال خارجي فكل القواعد الأجنبية منتشرة علنا أو سرا في كل بلادنا، عندنا عمالة واضحة للاحتلال الخارجي، عندنا الأسباب الدينية في قضية الاستشهاد وتحكيم غير شرع الله في بلادنا، عندنا كل المصايب المحتاجة لعدالة اجتماعية.

فأسباب قيام ثورة متوفرة، الموضوع يحتاج بعد توفيق الله عز وجل، إلى أناس –كما قال- يفهمونها، يفهمون معطياتهم ونقاط قوتهم ونقاط ضعفهم، ثم معطيات العدو ونقاط قوته ونقاط ضعفه، ثم يتوكلون على الله سبحانه وتعالى، فإذا شاء الله ووفقهم إلى الأسلوب الصحيح= فلا تخيب هذه بإذن الله.

إذا الحرب الثورية لا تبدأ إلا إذا توفرت ظروف نجاحها، وظروف النجاح خاصة بعد حرب الخليج، خاصة بعد انكشاف كل المستور، سقوط الشرعيات الدولية، سقوط الأمم المتحدة، سقوط الرأي العام العالمي، تعرف الناس على أن هناك مكيالين يكال بهما للمسلمين ولغير المسلمين، ثم سقوط الحكومات وانكشافها علنا في العمالة، ثم سقوط الهياكل الدينية وانكشافها علنا في النفاق، ثم سقوط معظم هياكل العمل الإسلامي وإفلاسها وطرحها لحلول –فضلا عن أنها غير شرعية بالإجمال- غير مناسبة لطبيعة المشكلة.

بعد كل هذا، جماهير المسلمين مؤهلون لأن يقادوا لهذه المواجهة، ولا أدل على ذلك من أنهم تجندوا ليقودهم صدام حسين، حتى قال الدكتور أحمد نوفل –غفر الله لنا وله- : (يقولون أن صدام حسين يرسل صواريخ، وهذه الصواريخ تخطئ في هدفها، وتضرب المسلمين، قال: يا سيدي نحن الفلسطينيون نرضى أن ينزل علينا ثلاثة صواريخ سكود، وعلى اليهود صاروخ)، فتصور كمية القهر الموجودة عند الناس، تصور أنهم سلموا لكافر لأنه شفى غليلهم في ليلة وضحاها، هذا العين السيكولوجي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.

وهذا أنا رأيته بعيني لما حصل الجهاد بسوريا، لما اقتنع الناس أن هؤلاء شباب أهل السنة، يقاتلون النصيرية على مبادئ عادلة= ما تكلفوا تعقيدات منهجية، كنت أمشي في السوق فسمعت مرة بعض التجار واحد يقول له: كم واحد راح منهم –يقصد الدولة-؟ قال له: اليوم منهم سبعة، قال له: يا سلام الله لا يرحمهم، قال له: كم راح من عندنا؟ -شوف اللفظ: من عندنا، عملية انتماء نفسي، هو جعل نفسه منهم، فهذا مناخ طبيعي لثورة تجد تأييدا.

الآن لو نجحت الجماعات الجهادية بأن تعيد سياق الخطاب، على أنها تريد أن تقيم شرع الله، وأن ما يمنعها من إقامة شرع الله وجود حكومات عميلة، لم تستطع أن تزيلها لأنها مدعومة من اليهود والنصارى، وقد جاءنا غزو اليهود والنصارى، فيلا يا خيل الله اركبي، نحن عندنا يهود ونصارى وشرع الله واحتلال ودفع الصائل= عند ذلك تستطيع أن تدخل جموع المسلمين في هذه المعركة.

هذه وسيلة للخطاب يمكن أن نقارن نتيجتها بما حصل الآن في حرب الخليج، إلى ما استطعنا أن نقنع به الناس، ويعتبر اللاحق بالسابق، لينظر في تجارب الجماعات الجهادية في مصر في ليبيا في الجزائر، كم جيشت من الناس في سبيل قضايا نوعية؟ وما هي طبيعة هذا التجييش ونخبويته؟

[**ولنفحص الآن آليات هذا السياق الثوري، المسمى حرب العصابات**].

انتهى الفصل الأول، ويبدأ الفصل الثاني

الفصل الثاني

جوهر حرب العصابات وهدفها

"حرب البرغوث – الأهداف السياسية والعسكرية – خلق مناخ الانهيار – تنظيم القوى الثائرة – رأي جيفارا عن حرب العصابات"

لابد أن نترك شريطا أو شريطين، نضع فيهما منطلقات البحث حتى لا نُفهم خطأ، منها اقتراح أخينا، أن نُعرّف: عندما نطلق كلمة "كفار" من نعني؟ كلمة "مجرمين" من نعني؟ حتى لا يتلاعب أحد بألفاظنا، ومن جملة الأشياء التي يجب أن نؤكد عليها، كيف أننا عندما نستشهد بأقوال بعض الكفرة الملاعين في علوم عسكرية بحتة= فهذا ليس خلاف الدين ولا يقدح في العقيدة، فنحن لنا كفاية في مناهجنا، لكن بعد ما نخلص من مناهجنا وما صح عندنا ونتربى عليها، نستأنس بهذه النقولات، وهذا استخدموه معي لأني واحد من الذين طرحوا هذا العلم، حتى يقطعوا علينا الطريق.

اليوم كنت أقرأ أنهم كانوا يغسلون ميتا، وعبد الله بن المبارك حاضر، فمر ناسك بوذي، فتكلم بكلام عن الدنيا وأن المآل إلى الآخرة، وذكر حكمة، فقال ابن المبارك لأصحابه: "اكتبوها عنه فهذا من الحكمة"، والرسول عليه الصلاة والسلام روى أن كسرى أنوشروان كان عادلا، وأنه كان يأمر المظلوم أن يلبس قميصا أحمر حتى يتميز.

حتى الإسرائيليات إذا لم تخالف ما عندنا، فـ "حدث ولا حرج"، فنستأنس بها. وكذلك الحكمة ضالة المؤمن، مجرد الحكمة بصرف النظر عن كونها في قضايا الأخلاق ولا السلوك، فالحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها فهو أولى بها.

الآن أوجزت ولكن سأفصل في هذا الأمر، ومع ذلك نحن لا ننقل عن هؤلاء الناس لا عقائد ولا أخلاق ولا سلوكيات ولا مبادئ، نحن ننقل عنهم أساليب حرب، كما نقل الرسول عليه الصلاة والسلام موضوع الخندق كأسلوب حرب.

فعندما ننقل كلمة جيفارا، فجيفارا شيوعي والمسلمون لاقوا من الشيوعيين ما لاقوا، وماوتسي تونج شيوعي، بل هو سفاح ذبح كمية كبيرة من المسلمين، فعندما ننقل أقوالهم تجد كثيرا من الإخوة مباشرة تُضرب عنده القضية، فلابد في المقدمة نشرح على أي وجه نحن ننقل هذه الأمور، وما هو وجه الخطأ إذا نُقلت، وما هو وجه الصواب.

أنا وجدت عن ماوتسي تونج هذا الملعون قال: أن من أعظم أساتذته عبد الكريم الخطابي، وأنه تأثر بأسلوبه ودرس تجربته، وقال أيضا: ومن أعظم أساتذتي في العلوم العسكرية عدوي جان كاي شيك، رئيس الصين الوطنية، الذي حاربه ماو، فما منعته عقليته أن يتعلم الأساليب العسكرية والتكتيكات من واحد مسلم بينه وبينه كما بين المشرق والمغرب ويختلف معه في الدين، أو من عدوه نفسه الذي يقاتله في المعسكر الآخر.

نرجع إلى البحث، ينقل عن ماوتسي تونج فيقول:

[عندما يتقدم العدو فإننا نتراجع، وعندما يخيم نناوش، وعندما يتعب نهاجم، وعندما يتراجع نطارد]

وهذا خلاصة التكتيك العسكري لحرب العصابات.

[تعطينا كلمات ماوتسي تونغ هذه عن حرب العصابات أحد مفاتيح الفكر الشيوعي. وهي متميزة سواء في الديبلوماسية أو في الحرب. ولقد هضم صانعو السياسة السوفياتية هذا الدرس الصيني وتمثلوه، وطبقوه على مجموعة من المشكلات التي لا علاقة لها بحرب العصابات، وتمثل أزمة برلين مثالاً واضحاً، كما تمثل أزمة قاعدة الصواريخ في كوبا مثالاً آخر.

ولم لا؟ أن نضرب العدو طالما كان ضعيفاً، وأن نتجنبه عندما يكون قوياً، وأن نطارده عندما ينسحب، وأن نناور عندما يتقدم. فذلك ينسجم مع التفكير السليم. وليس في هذا أي جديد حقاً، ولا يستطيع المعسكر الماركسي – اللينيني أن يدعي الابتكار في هذا السبيل].

وهذا ما أحببت قوله من البداية، فعندما قال أن هذا أحد مفاتيح الفكر الشيوعي= هذا تجاوز، وإعطاء الشيوعية قضية بديهية، اكتشفها البشر منذ قديم الزمان، فهذا التكتيك العسكري أي ضعيف يمارسه، الجديد في الموضوع أن يصاغ بهذا الأسلوب، ويُعطى فيه درس بهذه الكيفية، وهو نفسه وصل لنفس النتيجة وأن هذا ليس فيه جديد، ولا يستطيعون أن يدعوا الابتكار في هذا المجال.

يقول:

[**أما الجديد حقاً –علماً أن ماوتسي تونغ هو النبي هنا! والثورة الصينية الطويلة هي مسرح الاختبار الأول– فهو تطبيق نشاط حرب العصابات، بشكل واع مقصود، من أجل تحقيق أهداف سياسية خاصة، لا علاقة مباشرة لها مع نتيجة المعارك الدائرة، شريطة أن يبقي الثوريون على قيد الحياة]**.

بعض الناس يستغرب كيف سندير حروب عصابات بصورة عالمية، على مستوى العالم العربي والإسلامي، فالعالم العربي كله لا يبلغ ولاية في الصين، وقد استطاعت إدارة مركزية في الصين أن تدير حرب عصابات على هذه المساحة الشاسعة، والعالم العربي كله لا يبلغ نصف الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة ليست دولة صغيرة، ومع ذلك مورست فيها حروب تدار بطريقة مركزية.

هو يقول أن :الحرب السياسية لا علاقة لها مباشرة بنتيجة الحرب الدائرة، فالمكاسب السياسية التي تستمر في تحقيقها وصولا للهدف، ليس لها علاقة بخسائرك العسكرية، يعني يمكن أن تكون تتكبد خسائر عسكرية، ولكن تسخر خسائرك في إحراز النصر السياسي النهائي.

لما الشيعة خرجوا في يوم الجمعة الأسود –لما خرجوا على الشاة– أطلق الجيش عليهم النار، فمات ١٥ ألف شخص في يوم واحد، حتى يحتفلون به إلى الآن يسمونه "يوم الجمعة الأسود" لذلك، فايش صار؟ وهذا كان تكتيك الشيعة، سخروا جنازاتهم وموتاهم بالأسلوب الشيعي التقليدي لتأجيج مظاهرات أخرى، والخروج في مصائب أكبر، فهذه خسائر عسكرية بشرية، ولكن سُخرت في عمل دعائي استعطافي تعبوي.

وأذكر أنا أيام انطلاق الثورة الفلسطينية في ١٩٦٥ في الأردن وسورية، وتقاطر المتطوعون، كان هناك ظاهرة فعلا لا يملك شعبك إلا أن يقف تأثرا بها، لما يأتي قتيل من المتطوعين في بلادنا، مات مع الفدائيين الفلسطينيين أو استشهد الله أعلم به، كان النساء يستقبلونه بالزغاريد، ولا تعرف في البداية لما تسمع هل هناك عرس ولا في واحد من الفدائيين جاء؟ فتُطلق الزغاريد وتدق الطبول وتذبح الأضاحي كأنه جاء من الحج أو من العرس.

[**شريطة أن يبقي الثوريون على قيد الحياة**] يعني إذا كان هناك استمرار للقيادة التي تدير حرب العصابات، فليس هناك كبير أهمية لمجموع الخسائر العسكرية التي تتكبدها، وهو يعني أن هذه الخسائر يمكن توظيفها في سبيل النجاح النهائي، وهذا لا يكون إلا بعمل مشترك بين السياسة والإعلام.

سجلنا هنا ملاحظة برقم٣٠:

يجب شرح العلاقة بين العمل العسكري والجهد السياسي والإعلامي، وهو الذي يؤدي للنتيجة بإذن الله.

يجب أن يكون هناك تضافر وتكامل بين العمل العسكري والعمل الإعلامي والعمل السياسي.

العمل العسكري: مفهوم من طرفنا، كعمل العصابات.

أما العمل الإعلامي فينقسم إلى:

١- إعلام سياسي كالمنشورات والكاسيتات (الشرايط) والإذاعة الموجهة، التلفزيون فيديو إلخ.

٢- إعلام عسكري، وهو عمليات عسكرية ليس المقصود منها النكاية، لأن طبيعة الهدف لا تشكل خطرا بالنسبة للخصم، ولكن يساهم في عملية تجييش الناس وشفاء صدورهم.

وهذا النوع الثاني حصل عندنا في سوريا، مع الناس لم يقرأوا كتبا ولا مستضعفين ولا غيره، ولكن كانوا ينتقون بعض المخبرين الذين آذوا الناس، كان هناك رجل مجرم قريب من حينا، هذا الرجل ضرب باب بيت على امرأة، فخرجت فقال لها: الشرطة تلاحقني -الحي كله يعمل في التهريب-، فأدخلته، وهي أرملة وعندها بنت فقط يتيمة، فلما دخل ربط المرأة واغتصب البنت ثم خرج.

فبعدما خرج سجنوه فترة، ثم خرج بالرشاوي، ثم كان يدور على المحلات يأخذ أتاوات منهم، حتى كان يأتي إلى الجزار ويخرج سكينه ويقطع من اللحم ما يشاء ويرحل، ولا يستطيع الجزار منعه، رغم كل سكاكينه، وكانت الدولة لما أفلست من المخبرين تختار هذه النوعيات، فعمل معهم، وكان يعمل أيضا في تهريب الدخان، ففتحوا له كشكا من الخشب يبيع فيه الدخان المهرب، ووضعوه على مفرق الأتوبيسات، ليرى كل الناس، وأعطوه مسدسا وجهاز لاسلكي لإخبار الدولة بتحركات الناس.

فهذا الرجل، ايش قيمته عسكريا بالنسبة للدولة؟ ولا شيء، ولكن كميات الكره والحقد من المصائب التي أحدثها بالناس عجيبة جدا، فجاء اثنان من الإخوة وأطلقوا عليه وقتلوه، وبعد ما قتلوه حملوه مسافة ٤٠ مترا ليراه الناس، ورموه على المزبلة وذهبا.

لا تتخيل حجم التأييد الذي حصل للشباب -وكان الناس يسمون المجاهدين بالشباب-، بسبب تخليص الناس من هذا المصيبة، مع أنه ليس هدفا عسكريا، ولكن كان الإخوة يعلمون أن قتل هذا الرجل سيجند كل هذا الحي، المشتهر بالتهريب وتجار السلاح، ووضعت العملية كل هذا الحي في كفة المجاهدين.

فهذا الرجل قتله شرعا واجب، ففساده كان عظيما، ولكن قدومه على أهداف أخرى، ولا تتصور استحقار الناس للدولة لما قامت في اليوم الثاني بنعي رسمي له: الشهيد البطل أبو دَحّام، وسلموا زوجته ٥٠ ألف ليرة كجائزة، وأخرجوا له موكبا، في حين أن الآخرين حملوه ورموه على المزبلة، فبقدر ما كسب هؤلاء شعبيا= خسر أولئك شعبيا.

هذا الإعلام يسمونه الإعلام العسكري، فهو عمليات عسكرية ليس المقصود منها النكاية في الدولة، بقدر ما المقصود منها الدعاية السياسية، فهذا الإعلام العسكري بالإضافة للإعلام السياسي كالمنشورات وغيره بالإضافة للمجهود السياسي والمناورات= مهم جدا.

المجهود السياسي كأن تنادي بالإضراب مثلا، حتى تريد أن تُري الدولة عضلاتك وأن كل الشعب معك= فهذا نوع من الاستفتاء، تثبت فيه للرأي العام المحلي والعالمي –حتى يمكن أن تكون اتفقت على موعد سري مع بعض الصحافة الأجنبية والدولية أن تأتي وتشهد الإضراب- قوتك، فهذا كله نشاط سياسي.

فعندما يتضافر الجهد السياسي لتفكيك وتشويه سمعة الدولة، مع الجهد الإعلامي بنجاح، مع العمل العسكري= لن تكون محتاجا إلا لتوظيف طلقات قليلة وعمليات محدودة، من أجل حصد كمية كبيرة جدا من الأهداف السياسية التي تريدها، وتتفرغ لعمليات الاتساع التنظيمي والدعاية وإنشاء المؤسسات في الداخل والخارج.

في حين أننا نجد عندنا عشرات الشهداء –منهم من سُمع بهم ومنهم من لم يُسمع بهم- لم توظف عملياتهم بصورة إعلامية ولا سياسية أصلا إطلاقا، بل إن الذين وظفوا عمليات المجاهدين هم الجماعات الإسلامية المتاجرة بدماء الشهداء، حتى تجمع التبرعات وتعمل لنفسها مجدا سياسيا، كما حصل في سورية، وكما حصل في الجزائر، وفي غيرهما.

بل إن التجارة بدماء المجاهدين تتعدى الجماعات الإسلامية المنافقة إلى الجماعات العلمانية، فتقول مثلا: قامت المعارضة السياسية بعمليات، وينشرون ذلك في مجلاتهم ويسمونهم شهداء.

روى لي أخ في لبنان حضر الحرب الأهلية، وحضر حرب طرابلس بين جماعات التوحيد والمخابرات السورية، وهي معركة سافرة أهل السنة في طرابلس والنصيرية، قال لي أن بعض الإخوة من الجماعة الإسلامية –وهم الإخوان المسلمين بتوع فتحي يكن- لم يتحملوا أن هناك جماعات جهادية معهم في الحي يشتركون في القتال وهم جالسون، فلبسوا السلاح ودخلوا القتال، فاستشهد عدد من الجماعة الإسلامية – الإخوان المسلمين، فقال لي: فوجئنا في اليوم الثاني أن فتحي يكن ارتدى زيا عسكريا ومعه عصا ماريشال –مسرحية هزلية- وأخذ بعض الصور في مكان الخرابات التي حصل فيها القصف، ثم بعد أسبوع خرجت مجلة "الأمانة" التابعة للجماعة الإسلامية تنعي شهداء الجماعة الإسلامية وهم أفرادها فعلا، فهمت كيف؟

فالمجاهدون وصاحب الشهداء لا يملك القدرة ليستثمر أعماله ولا يقوم بعمل سياسي، فيترك الفرصة للانتهازيين وتجار الدماء ليجمعوا التبرعات، وفي ذيل كل ذلك يكتبون: تُرسل التبرعات إلى الحساب البنكي رقم كذا، وسوق الشحاذة الإسلامي هذا معروف.

والمجاهدون ليس عندهم القدرة لاستثمار أعمالهم ولا يتكلمون في هذا، ولذللك قبل أن تبدأ الثورة يجب أن يكون لك مكتب دراسات، ومكتب إعلامي، ونشرة باسم الجماعة أو باسم آخر، وهيئات إغاثية وجمعيات ثقافية في الداخل والخارج، فتلعب دور الانتهازيين فيما بعد، لكن الفارق أنها جمعية أنت الذي أنشأتها فأفرادها تابعون للتنظيم.

سبحان الله تتذكر قول الله (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) فهذا النوع الذين يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا هم الذين يحصدون نتائج الثورات، حتى أن علماء الثورة سطروا قاعدة ذهبية معروفة: "الثورات يخطط لها العباقرة، وينفذها المجانين، ويقطف ثمارها الانتهازيون"، وإلى الآن لم أعرف ثورة خرجت عن هذه القاعدة، لا إسلامية ولا غيرها.

حتى كنت أقول للإخوان المسلمين: يخرب بيت العفاريت! "الطليعة المقاتلة" أسسها مروان حديد، استشهد، خلفه الدكتور الذي كان ضابطا عند " منظمة فتح" نسيت اسمه، نعم اسمه د. عبد الستار

الزعيم، استشهد أيضا، خلفه واحد في حماة هشام جمباز، استشهد، ثم أيمن شربجي في دمشق، قُتل، هؤلاء الزعماء الكبار، وتقول مثل ذلك في قادة القطاعات: فلان الفلاني: قُتل، فلان الفلاني: استشهد، كل ست شهور سبع شهور ثمان شهور: قُتل استشهد قُتل استشهد إلخ..

الشيخ عبد الفتاح أبو غدة المراقب العام للإخوان المسلمين من ١٩٣٠ إلى ١٩٨٠ فوق الأربعين سنة، ثم حسن هويدي، أين قضيتكم؟ أيبن شهداؤكم؟ أين الحركة؟ أين الناس؟

لما كانت حركة الإخوان المسلمين حركة إخوان مسلمين فعلا= تجد حسن البنا رحمه الله قُتل، سيد قطب أعدم، عبد القادر عودة أعدم، محمد هواش أعدم، يعني لما كانت الحركة حركة بحق، مثل كل الحركات: شهداؤها وما قدمت، فلما صارت .. صاروا يقدمون لك الزعماء يقولون لك: هذا فلان ما شاء الله عشرون سنة خدمة في سجون عبد الناصر، يعني صار المجد الآن أنه ما شاء الله بطل ضُرب ١٧ ألف سوط، صار يُتباهى بالبلاء بالتضحية، ولم يعد هناك شهداء.

حتى ذكر أظن أحمد رائف في "البوابة السوداء" أن عبد الناصر كان يتباهى أنه أدخل ١٧ ألفا من الإخوان المسلمين في ليلة واحدة إلى السجن.

المهم أن الثورات لها ضحايا، فلابد أن تستثمر ضحاياها وأن توظفهم، حتى أن الإخوة الذين تركوا الإخوان المسلمين والتحقوا بالجهاد وبالتنظيمات الجهادية، صار الإخوان يطبعون صورهم بعد استشهادهم وينشرونها في مجلاتهم وتحتها: أرسلو التبرعات إلى كذا وكذا، فعصام العطار في ألمانيا صار له نشرة وحساب بنكي وتبرعات، الإخوان المسلمون – التنظيم الدولي لهم نشرات وحسابات بنكية.. إلخ يعني عملية استثمار لجهد أناس لم يعرفوا كيف يستثمرون الكم الذي عندهم من الشهداء.

تصور أن الثورة لم تعمل سجلات بشهدائها، فقام الإخوان المسلمون وجمعوا كل الشهداء وأسمائهم ونبذة عن حياتهم وكتبوها في مجلات وباعوها بأسماء عجيبة جدا، وتبرعات على أبواب المساجد في أوروبا!! فأنت يجب أن يكون عندك إحصاء وسجل لشهدائك وحياتهم وكراماتهم ودراساتهم، وكيف استشهدوا وقصة استشهادهم.

عندما لا تستثمر طلقات المجاهدين في عمل سياسي وإعلامي متكامل، فهذا لا يعطي النتيجة المرجوة في عالم الأسباب، لأنك لم تعد قادرا على توظيف أعمالك في تجنيد الناس، وهذا الكلام أطلنا فيه بما يغني عن الإعادة.

يقول:

[**ومن الملاحظ –وذلك ما يلفت النظر– أن الكوبيين غير الشيوعيين، وليس الصينيون، هم الذين أعطوا المثل الأوضح لنشاط عسكري أدى إلى آثار سياسية، في خلال حرب كانت كل معاركها معتبرة من قبل الإخصائيين بمثابة مناوشات، وحيث انهارت الحكومة كما لو أن جيشها قد أبيد في ساحة المعركة**].

أي أن الشيوعيين استطاعوا توظيف ثورة لم يطلقوها هم، لكنهم خططوا واستفادوا ثم ضحوا من أجلها فعلا، فهذا فيديل كاسترو تاريخه العسكري من أمجد التواريخ، وللأسف لما تقرأ في كل سجلات الكفرة حتى أعدائنا: تقرأ في السجل السعكري لآريل شارون تعجب من المشاعر التي تنتابك تجاهه، فالحروب العسكرية التي خاضها وانتقاله من بلد إلى آخر ثم دخوله ثم مشاركته، ولا بيجين ولا بيريز، حتى النساء جولدامائير وغيرها، لما تنظر في سجل التضحيات وخدمة المبادئ تجد عجبا.

وتعجب كيف فرح أهل الباطل لباطلهم وضحوا له، وتتسائل: لماذا أهل الحق الذين عندهم جنة ونار لم يقدموا مثل أولئك؟!

يقول:

[ولطالما أدهش التفسير العسكريين رغم بساطته: فالوسائل التي تمتلكها الحكومة عادة، لا تمكنها من القضاء على الثوار الذين يعرفون عملهم، ويتمتعون بالتأييد الشعبي. ومن جهة أخرى، فإن قليلاً من الحكومات تتحمل التوترات السياسية والنفسية والاقتصادية الناتجة عن حرب العصابات، حتى لو كانت هذه الحكومات قوية جداً من الناحية العسكرية.

وبصورة عامة، إن الحروب كلها تطرح المشكلة الأساسية نفسها ألا وهي: كيفية استخدام قوتها لاستغلال نقاط ضعف العدو، ومن ثم الانتصار عليه.

ففي حرب أهلية، تكمن قوة الحكومة في جيشها وترسانتها وثروتها المادية، أما نقاط ضعفها فهي اجتماعية وسياسية واقتصادية، وإذا كان الاقتصاد يشكل الورقة الرابحة بيد الحكومة، فإنه العنصر الأكثر قابلية للعطب من عدة وجوه، فهو يقدم عدة أهداف أهداف عسكرية ونفسية في الوقت نفسه].

هذا شُرح فيما تقدم.

[ولقد ذكرت سابقاً، بأن الديمقراطيات الدستورية عرضة للأعمال الرامية إلى قلب النظام، والتي تشكل السلاح الأساسي للحرب الثورية. وبسبب التركيب الاجتماعي الطبقي، وأنظمة الأحزاب المتعددة الموجودة في معظمها، منابع للتوترات السياسية والاجتماعية والتي يمكن استغلالها، ويشكل الدستور عقبة قد تكون في بعض الأحيان قاتلة].

هنا ألفت النظر إلى أن بعض الدول الإسلامية مثل مصر التي بقي فيها أثر للقضاء والقانون واحترام الدستور إلى مسافة قريبة جدا= كان نقطة قوة كبيرة جدا لحركات الجهاد، سواء الجماعة الإسلامية أو جماعة الجهاد أو حتى الخلايا الصغيرة، لأنهم تمكنوا من خلال وجود الدستور والقانون من توفير محامين،

وشكلت الخطب التي في المحاكم -حتى في بعض الأشرطة عندنا هنا في المعسكرات عن بعض المرافعات كما في قضية قتل المحجوب وغيره- أقول: شكلت منظرا للدعاية السياسية، وتمكن المعتقلون من بعض حقوقهم وزارهم الناس، حتى صارت القيادات الجهادية تخرج رسائل وأوامر من السجن، نتيجة هذه الأجواء.

فلما اكتشفت الحكومة أنهم يخدمون هؤلاء الناس بطريقة حمقاء، فقط من أجل احترام القانون، راحوا ضربوا نقابة المحامين وضربوا مؤسسة القضاء، إلى أن يصلوا إلى ما وصل إليه الوضع عند صدام حسين أو عند علي زين العابدين، لأن الدستور شكل فعلا أزمة وعائقا.

ومع ذلك ما يزال الوضع في بلد مثل مصر نتيجة هذه الأزمة التي عندهم أفضل بكثير، وهناك فرص للدعاية السياسية أمام المجاهدين، نتيجة وجود شيء هامشي لاحترام القانون أو وجود القضاء، ووجود أناس يناورون بهذا الشكل، وهذه المظاهر في مصر إلى انقراض، لأنها أثرت عليهم إلى حد كبير.

في حين، في سورية مجرد السؤال عن معتقل من قبل أحد أقربائه: أين هو؟ يغيب السائل ولا يُعرف أين هو، ولا يجد أحدا يسأل أين هو، لأنه رأى ما حصل في الذي سأل، فهناك فرق هائل جدا.

أنا كان بعض الإخوة من الذين سجنوا في مصر كلمني أنهم كانوا يعملون منتديات ومسابقات ودراسات، عاملين مدرسة للجماعة جوة! فقلت لهم: هذه ظروف عجيبة، أصلا هذا الوضع لو كان قائما في بلاد الشام كان النظام سقط من مليون سنة، لكن لم يكن أمامهم إلا الحرق والسحق النهائي التي أبدع فيها النظام السوري، والآن النظام الجزائري يمشي على خطاه.

يقول -ولاحظوا العقلية الأمريكية في هذا المقطع-:

[إن فولجينسيو باتيستا لم يسقط لأنه كان دكتاتوراً، بل سقط لأنه لم يستطع أن يكون دكتاتوراً بما فيه الكفاية، في بلد يتمتع بمؤسسات ديمقراطية مرتبطة بشكل كامل برعاية الولايات المتحدة الأمريكية وعطفِها، ولم يستطع بالتالي حل التناقضات التي واجهها].

أي أن المؤسسات الديموقراطية في كوبا سمحت للثوار أن يجندوا الناس.

[لقد كانت يداه مغلولتين باتفاقيات لم يكن يستطيع تجاهلها دون أن يفقد سنده الخارجي، وأدى استعمال وسائل الإرهاب المضاد، أي الاستعمال غير المشروع للقوة إلى زيادة حدَّة المعارضة الداخلية..

وبدون تلك الوسائل، لم يكن لديه الوسائل الفعالة لمحاربة الفوضى ومحاولات التغيير التي كانت تهدد نظامه. والوضع مماثل في الهند الصينية، حيث أن هزيمة الفرنسيين، كانت بسبب الأفكار والمؤسسات التي أدخلوها إلى الهند الصينية بأنفسهم].

أي أن الفرنسيين أدخلوا عليهم الصحافة والأحزاب والمعارضة والمؤسسات الديموقراطية، فصارت هناك فرصة، ولذلك من المسائل التي يجب أن تستفيد منها الحركات الجهادية التي تخرج على الحكومات أن تستفيد من الانتاج السياسي والفكري للأحزاب المعارضة حتى من التي في البرلمان، لأنها تصدر صحفا، هي تريد أن تعارض فلابد أن تتكلم في أشياء، ثم هي عندها مؤسسات وخبراء ودارسون ليست عند الجماعات الجهادية هذه المؤسسات حتى يقوموا بهذه الأبحاث

فكل هذه الأبحاث التي قامت على أيدي العلمانيين والقوميين ومعارضي النظام من مختلف الأشكال نأخذها نحن، لأنها دلالة على عصب النظام، ثم نعلق عليها بأسلوبنا الإسلامي الجهادي، فنثور الناس بها، فنحن نحتاج لمادة سياسية حول النظام، كما احتاج الشيخ سلمان العودة إلى أن يستخدم كتب التطبيع التي كتبها القوميون في لفت نظر المسلمين إلى أن مشكلة التطبيع تمسهم.

فعندما يقوم الحزب الشيوعي أو الاشتراكي أو القومي بذكر مفاسد الملك والرشاوى وحقول المخدرات، وعندما يقوم القوميون أو حتى الشيعة في السعودية بذكر مفاسد الملك فهد والأسرة المالكة ويجمعون الإحصائيات وينشرون الصور.

ما الذي يمنعني أن آخذ هذه المادة التي ليس عندي قدرة لعملها، وأتأكد من أنها حقائق، وبعد ذلك أقوم بإسقاط الأحكام الشرعية على هذه الحقائق أنه هذا يبرر الخروج ويبرر الجهاد ويبرر الثورة، فهذه المادة السياسية توفرها المعارضات، فأنت تأخذها وتستفيد منها.

فيضرب مثالا ناجحا في مقابل مثال باتستا الفاشل، فيقول:

[**أما فرانكو فان نظامه ما زال متماسكاً، لأنه نجح في خنق فكرة الحرية نفسها في اسبانيا، ووضع على الطاولة، في الوقت نفسه، ما يكفي من الخبز لإرضاء الأغلبية ممن يعبرون عن رأيهم**].

ملاحظة:

لاحظ كيف تنقلب العقلية الغربية الديموقراطية على نفسها، عندما يتعلق الأمر بمصالحهم مع الديكتاتوريات في العالم الثالث، فواحد سقط لأنه لم يكن ديكتاتوريا بالقدر الكافي، فعندهم إذا واحد فيه شبهة ديكتاتور= يخرجون عليه ويسقطوه، لكن إن كان ديكتاتورا بالقدر الكافي فهو المطلوب.

يقول:

[**ومهما كان النظام السياسي فإن الجيش النظامي يعاني (من الناحية العسكرية البحتة) من سلبيات ناجمة عن عدده، وتعقيده وتنظيمه، ودوره الدفاعي كحارس للثروة الوطنية ولأرض الوطن.**

أما ثوار العصابات، فإنهم يستقون قوتهم –كما يقول جيفارا– من حيث أنهم تجاوزوا نهائياً موضوع الارتباط بالأرض، ومن قدرتهم الحركية، واتحادهم مع الشعب المتذمر الذي يتكلمون باسمه، ويشكلون طليعته المسلحة للاحتجاج الاجتماعي المناضل.

أما ضعفهم فهو فقط بسبب عسكري –وإنني لأستعمل الكلمة بروية– فهم لا يمتلكون ما يكفي من السلاح، وعادة ما يكونون قليلي العدد بشكل لا يسمح لهم بأن يخاطروا بعمل عسكري حاسم. وفي هذه الشروط لا بد أن نفترض طبيعة تكتيكهم.

وهم سياسياً مضطرون إلى زيادة تفاقم التوترات الاجتماعية والسياسية الموجودة، والعمل على تنمية الوعي السياسي والإرادة الثورية داخل الشعب. وعليهم أن يدخلوا في مخططهم –وذلك نتيجة طبيعية لأفعالهم– ضرورة زيادة حدة القمع السياسي، بغية إذكاء المعارضة الشعبية للنظام، وتنشيط عملية التفتت].

فأنت مثلا يمكن أن تعمل متفجرات داخل جامعة على هدف للعدو، فتضطر الدولة إلى أن تقوم باعتقالات للطلاب، وتخترق الحرم الجامعي، فتخرج مظاهرات طلابية فتضربهم الدولة، فتُدخلها في مصيبة، السبب لأنك تعرف أن الدولة لن تتحمل ألا تقوم بعملية تفتيش، وعملية التفتيش ستستفز طلاب الجامعة، فتكون أنت استدرجت الدولة أصلا لعملية توتر سياسي.

يقول:

[**ومن مهماتهم عسكرياً، العمل على استنزاف العدو وإنهاكه، وتحقيق التآكل المعنوي للقوات الحكومية عن طريق إجبارها على انفاق كميات أكبر من المال والمعدات والأفراد**].

فأنت تجبر الدولة بتعدد الأهداف وحراسة الأهداف وكثرة الدوريات على إنفاق كميات أكبر من المال والمعدات والأفراد.

[وذلك في جهدها لسحقهم وإزالتهم، وأن يعملوا في الوقت نفسه على تنمية قواهم الخاصة، بسلب أسلحة القوات الحكومية، وأن يزيدوا عددهم بتطويع عدد أكبر من أفراد الشعب الذي يتزايد كرهه للنظام، وأن يبتعدوا عن كل مواجهة عسكرية حتى اليوم -وهو لا بد آت- الذي يحققون فيه توازن القوى.

ويستعمل الجيش القوة، مفتشاً عن نقاط ضعف العدو في سبيل القضاء عليه. ويقال أحياناً بأن رجل العصابات يعمل بواسطة الضعف، وذلك هذر، فالحقيقة أنه يستخدم قوة ذات طابع خاص، والكامنة في حركية وحداته المسلحة تسليحاً خفيفاً، ومن معين الشعب الذي لا ينضب، ومن حيث أن الوقت (وهو رأس مال سياسي ومالي) يعمل لصالحه].

الوقت في التوتر يعمل لصالح العصابات وضد النظام، لأنه ليس مسئولا عن شيء، ليس مسئولا عن سمعة ولا إدارة، سواء كان هذا العمل حكومة أو قوات أجنبية.

أريد أن أركز على نقطة: [وأن يزيدوا عددهم بتطويع عدد أكبر من أفراد الشعب الذي يتزايد كرهه للنظام] فلابد أن يكون هناك كره من الناس للنظام، فإذا لم يحصل هذا الكره= فلن تحدث عملية التجنيد.

[وعلى سبيل التشابه يمكن القول أن العصابات تشن حرب البرغوث، ويعاني عدوها العسكري من السلبيات التي يعانيها الكلب: مساحة كبيرة للدفاع عنها، عدو شديد الصغر ومنتشر في كل مكان وسريع الحركة بحيث يصعب القبض عليه. فإذا دامت الحرب ما يكفي من الزمن -كما تقول النظرية- فإن الكلب لا بد أن يسقط في ساحة المعركة بسبب الإجهاد وفقر الدم، دون أن يجد ما يعضه بأنيابه أو أن يحكه بقوائمه.

ومن الناحية العملية، فإن الكلب لا يموت بسبب فقر الدم، بل لأنه يضعف باستمرار، بسبب انتشاره إذا استعملنا المصطلحات العسكرية، وبسبب عدم شعبيته إذا استعملنا المصطلحات السياسية، وبسبب زيادة الكلفة إذا استعملنا المصطلحات الاقتصادية، وفي النهاية، فإنه لا يعود قادراً على الدفاع عن نفسه.

وفي هذه الفترة، يكون البرغوث قد تكاثر وتحول إلى وباء، بفضل مجموعة طويلة من انتصارات صغيرة، استطاع في كل واحد منها أن يمتص قطرة من الدم، على شكل أسلحة مسلوبة يسلح بها أنصاره الجدد، وعندها يركز قواه كي يحضر إلى الانقضاض الحاسم.

ويعمل الزمن لصالح الثوار سواء في الريف –حيث ينفق العدو يومياً ثروة ليطاردهم– أو على الساحة السياسية والعسكرية].

النقطة ٣٤: يجب أن نقارن ونشرح، في فقرة يمكن أن نؤجلها الآن وهي مقارنة جيوش الدول العربية والإسلامية، عندما نتدارس نتيجة هذا الكتاب، نريد أن نسقطه على الحالات التي عندنا، لأنه ليس بالضرورة أن تتكامل شروط نظرية لقيام حرب عصابات في منطقة، مرة تخسر عامل الأرض، مرة تخسر عامل الشعب، مرة تخسر عامل الوعي، أو حدود خارجية.. وهكذا، فهذا سنقارنه في حينه إن شاء الله.

النقطة ٣٥ نقول: فهم عامل الزمن في حرب العصابات وعدم الاستعجال في المواجهة المكشوفة، فكل قواعد حرب العصابات قررت وكذلك قرر صاحب الكتاب= أن عامل الوقت ولو تأخر النصر هو يعمل في صالح العصابات، ولكن مثل كل الطبيعة البشرية، هناك طموح عند الإنسان لأن يستعجل قطف الثمرة، فهذا المقتل يجعل العصابات تكشف أنفسها، أنها مثلا في جبال كذا وكذا، وتواجه بهذه القوى، وتتحول لمنطقة محررة تتعرض للقصف والغازات السامة وكل المصائب.

وبعدم وجود حدود صديقة أو محايدة، أو دول تغض الطرف عن الإمداد الخارجي، فمهما كانت الأرض وعرة، فإن ثبات منطقة محررة بدون أن تكون محاطة بمنطقة كبيرة للعمليات= أمر مشكوك فيه جدا.

يعني يمكن أن يكون عندك منطقة محررة فيها مستودعات ومخازن، ومنطقة لفرار الملاحقين، وفيها مستشفيات وفيها إداريات، وفيها جهاز الإعلام، وربما فيها إذاعة متحركة للبث، ولكن هذا إذا لم يكن مستندا إلى حدود —كما كانت باكستان بالنسبة لأفغانستان– فإنه من الصعب جدا.

إلا إذا كانت الظروف الاجتماعية كلها لصالحك، والرقعة متسعة جدا، وعدد الجيش لا يغطي، وأنت تحيط المنطقة المحررة بمنطقة محرمة —كما يسمونها، والمنطقة المحرمة هي منطقة فيها عدد هائل جدا من الكمائن لا تستطيع الدولة اجتيازه للوصول للمناطق المحررة–

لكن مع وجود إمكانيات الدول الآن في الإنزال الميكانيكي المحمول، حتى تستطيع أن تُنزل ألوية مدرعة كاملة، مرة رأيت فيلما لقوات الناتو، فيه عمليات إنزال لقطعات ميكانيكية آلاف الدبابات، وعشرات الألوف من الجنود المظليين، بمدفعية ميدان، بأسلحة صاروخية كاملة، كل ذلك ينزل خلف خطوط العدو كما تُنزل عملية كوماندوز من ثلاثة أفراد، وهذه العمليات من أجل التدخل لاحتلال شمال أفريقيا، وكانت البوارج البحرية تتقدم وهي ترسل مطرا —بلا مبالغة كأنه مطر حقيقي– من صواريخ الـ bm على الأرض، خلال ذلك كانت الزوارق البحرية تنزل، والبرمائيات تزحف إلى الساحل، في هذا الوقت من القصف كان الإنزال مستمرا، تُلقى الدبابة —كذا طن– بالمظلة كما تُلقى علبة الكبريت، وكل واحد عارف رقم دبابته.. فخلال ساعات ينزل عشرات الألوف من الجنود خلف خطوط العدو.

هذه القضية ليست للتخويف، لم نخفهم سابقا ولم نخفهم لاحقا، ولكن حتى الذي يفكر في المواجهة يجب أن يعرف حجم المواجهة وطبيعة المواجهة، ولذلك تغير أساليبك تبعا لقدرة العدو، ولا تتحرك في منطقة مكشوفة أو تتمركز بحجة أنه لا يستطيع أن يأتيك من الأمام، فأنت عندك علم عسكري بأنه يمكن أن يأتيك من الخلف أو من السماء، فقضية التمركز ليست في صالح العصابات.

يقول:

[وتعي كل الحكومات الحديثة ما يسميه الصحفيون (الرأي العام العالمي) ولأسباب هامة، معظمها ذو سمة اقتصادية، فإنها لا تتحمل أن تدان من قبل الأمم المتحدة، ولا تحب أن تستقبل زيارة لجنة حقوق الإنسان أو لجنة حرية الصحافة، وبسبب حاجتها للقروض والاستثمارات والأسواق الأجنبية وإنشاء علاقات تجارية مرضية، فإنها مضطرة لأن تكون جزءاً من مجموعة ذات مصالح متبادلة، وغالباً ما تكون عضواً في اتحاد عسكري. وبالتالي فإنها مضطرة لأن تحفظ بعض مظاهر الاستقرار لتطمئن شركاءها بأنها ستحترم اتفاقياتها وعقودها، وستتابع دفع فوائد قروضها وتسديد ديونها وجعل التوظيفات آمنة ومثمرة.

إلا أن حرباً أهلية طويلة تسيء إلى ذلك كله، فليس هناك من يرضى أن يوظف مالاً بلا فائدة أو أمان، ولا يمكن لمصرف أن يقرض دون ضمانات، ولا يوجد حليف يرغب في الارتباط مع حكومة يمكن أن تزول بعنف.

لذا فإن حرب العصابات وتنظيمها السري في المدن، يجب أن يهدفا إلى تدمير صورة الحكومة المستقرة، ليحرما هذه الحكومة من أرصدتها ومواردها، وأن يخلقا انشقاقات في الطبقات المالكة الخائفة، وبين الموظفين (الذين يخافون على رواتبهم)، وبين جنودها].

الحملات الصليبية اليوم في العالم الإسلامي تدخل موجتها الثالثة، الموجة الأولى للحملات الصليبية كانت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، واستمرت مائتا عام، وهي الموجة المعروفة في العصور الوسطى، والتي انتهت على يد الدولة الزنكية ثم الدولة الأيوبية وصلاح الدين ثم مرحلة الظاهر بيبرس والمماليك، ففي هذه المرحلة كان هناك آلية للحملات الصليبية وآلية لمواجهتها، وهو نوع من أنواع الاستعمار القديم.

ثم جاءت مرحلة ركود، نهض خلالها الغرب إلى مرحلة الثورة الصناعية، والتي أدت إلى اندفاع كميات هائلة من البضائع تحتاج إلى تصريف، وتحتاج إلى المواد الأولية ومخطط نهب، فلم يكن هناك من بد إلا بدء حملات صليبية مرة أخرى، وعمليات احتلال مرة أخرى.

وللحملات الصليبية الثانية شكل صليبي وعليه أدلة كثيرة، حتى أن الجنرال غورو الفرنسي لما دخل دمشق ذهب إلى قبر صلاح الدين وضربه بالسيف فكسر جزءا من الحجر وقال: الآن انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين، ولما دخل الجنرال اللنبي الإنجليزي القدس وذهب إلى جبل الزيتون –والذي سيأوي إليه سيدنا عيسى بن مريم فيما بعد– ركز راية وقال: الآن انتهت الحروب الصليبية، وكان الإيطاليون لما دخلوا ليبيا حرضوا جيوشهم عليها بأسباب صليبية، وكان نشيد الجيش الإيطالي: أمي لا تبكِ علي فإني ذاهب لمقاتلة الكفار .. إلخ.

ومع ذلك، فإن الغزو والنهب الاقتصادي الذي حدث في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، والذي كان لأسباب اقتصادية واضحة صاحبه أيضا غزو فكري وتبشير وصناعة عملاء وصناعة أجيال من المسلمين تابعة له، مكنته من متابعة ما كان يعمله بعد أن خرج، وسنعرض لهذا التفصيل لاحقا.

فهو يقول هنا أن حرب العصابات تؤدي إلى تدمير البنية الاقتصادية وخوف الحكومات على مصالحها، فالذي استفدناه أن حروب العصابات التي تكون ضد العملاء.. الآن الاستعمار خرج لأنه لم يعد يحتمل دفع فاتورة تكاليف الاستعمار بسبب ثورات الاستقلال من أقصى المغرب إلى أندونيسيا وكل المناطق، فلم يخرج إلا بعد أن وضع طبقة من المرتدين ومن العملاء الجاهلين أو العالمين ضمنوا له استمرار تدفق النهب والمواد الأولية، كما ضمنوا له استمرار التدفق المعاكس للمواد المصنعة والبضائع المستوردة.

فالاستعمار يريد على الصعيد الاقتصادي كما قلنا نهب الموارد وتصريف البضائع، فوضع مجموعة من العملاء، وكانت سورية من أوائل الدول استقلالا عام ١٩٤٦ تقريبا، ثم تبعتها عدة دول، وكان آخرها استقلالا في أوائل السبعينات الساحل الإماراتي، واحتاجت كل هذه الدول لاستقلال فعلي بعد الاستقلال الشكلي.

عملية النهب استمرت من خلال معاهدات واتفاقيات الاستقلال، وبدأت مرحلة ما سمي بالاستعمار الحديث، وهو يقوم على استمرار نهب الثروات، أما عمليات الغزو الصليبي فاستمرت ليس لشكل عدوان عسكري، وإنما على شكل تخريب عقائد ومدارس للتبشير وجامعات ومفكرين ومجلات .. إلخ الآن دخل الدش والقنوات الفضائية، فهذا كله استمرار للغزو الثقافي الصليبي على العالم الإسلامي.

والذي حصل أن قامت مجموعة من حروب العصابات والانتفاضات المسلحة، ليس على المستعمر هذه المرة، بل على نواب المستعمرين، هذه الانتفاضات أدت إلى خلخلة هذه الأنظمة، ولم تعد تستطع ممارسة العمالة والنهب بشكل مكشوف، فوعي الناس يرتفع وهناك غزو إعلامي استفادت كل الحركات الإسلامية منه، خاصة في مرحلة الحرب الباردة، لأن هناك قطبين: شرقي وغربي، وكانت الأنظمة إما تابعة للمعسكر الشرقي أو المعسكر الغربي، ولذلك لجأ الإخوان المسلمون إلى السعودية والإمارات وغيره التابعة للمعسكر الغربي لما اختلفوا مع عبد الناصر، وبالعكس المعارضون للأنظمة الملكية استقروا عند الأنظمة التابعة للمعسكر الشرقي.

في هذه الفترة تخلخل النظام بسبب وجود الاضطراب العام، واستطاعت كل المعارضات السياسية بما فيها الحركات الإسلامية أن تجد لها هامشا تتحرك فيه، مجموع ما سمي بـ "الصحوة السياسية" في العالم الثالث كله أدى إلى ضرب مصالح الاستعمار الحديث، حتى في فنزويلا والأرجنتين لم تعد عملية النهب لصالح الدول الكبرى مستمرة كما كانت، بسبب الوعي القومي المتفشي.

وعلى صعيد العالم الإسلامي أدت الصحوة الإسلامية إلى انتشار كل الحركات الإسلامية –بصرف النظر عن سلبياتهم– ونشر موجات من الوعي في كل العالم الإسلامي.

مجموع هذه الأمور آلت إلى أن الغرب شعر بأن موارد العالم الإسلامي ستذهب منه، وخاصة بعد إيران وقيام نظام رافض للمصالح الغربية، فخشوا أن يتكرر هذا النموذج، فتركوا النميري فترة ومواضيع تطبيق الشريعة، وبدأت تحركات إسلامية ديموقراطية تظهر في الجزائر، ثم خشوا أن يوجد جو إسلامي نوعا ما،

يمكن أن يفرز فيما بعد الأجواء المتطرفة، فوجد الغرب أن مرحلة الاستعمار الحديث انتهت ولم تعد تؤتي ثمارها، فبدأ يفكر في الانتقال مرة أخرى إلى الاستعمار القديم، فبدأت الحملات الصليبية الثالثة.

وهذا ما يفسر: لماذا تخلى عن نظام الاستعمار المجاني، إلى الاستعمار المباشر؟

فهذا سبب اقتصادي.

السبب الآخر ديني مرة أخرى: وهو أن اليهود –حسب معتقداتهم– يجب أن يقيموا مملكة إسرائيل في حلول الألف الثالثة من الميلاد، فهذه المملكة لا يمكن لليهود أن يقيموها بحجمهم العسكري المحدود، رغم امتلاكهم لفارق عسكري ونووي بيننا وبينهم، فيجب أن يكون هناك تواجد صليبي يمكن أن يشكل ضغطا بشريا إذا قاتلوا المسلمين، فهناك نصف مليون جندي نزلوا الجزيرة منذ حرب الخليج، وهناك قواعد عسكرية في مجموع هذه الدول محيطة بنا برا وبحرا وجوا، حتى في السماء بالأقمار الصناعية.. إلخ فعند ذلك يطمئن اليهود إلى الظهير الصليبي في المعركة، فهذا كان أيضا أحد أسباب الدفعة الجديدة بالحملات الصليبية.

إذا فالرجل يقول أن حرب العصابات تهدد اقتصاديات الدول، وبسبب هذا التهديد تدخل الدول معهم في معركة قمع، نفس الصورة لما كانت مجموعة الانتصارات الإسلامية مؤثرة على الوضع الاقتصادي بشكل يهدد مصالح هذه الدول= انتقل للقمع المباشر والغزو.

ونحن معرضون إلى حروب ذات طبيعة إبادية في المنطقة، الآن الأمريكان يبحثون عن توجيه ضربات نووية للعراق، أو استخدام أسلحة كيميائية أو جرثومية، التي تستخدم في عمليات الإبادة الشاملة، فهذه الحروب والانتفاضات أدت إلى الموجة الثالثة من الحروب الصليبية، وهذا الفهم يعطينا آلية لكيفية التسلح بعدة حروب عصابات ليست موجهة الآن ضد الحكومات المحلية.

فبزوال القطب الشرقي وزوال نظام الحرب الباردة ووجود قطبين= لم يعد ممكنا الآن –لا إسلامي ولا لغير إسلامي– أن يفر من دولة إلى دولة تابعة لنظام آخر، بل كله تابع للأمريكان.

فنظام القطب الواحد أورث تنسيقا أمنيا واحدا، ولذلك لاحظنا سلسلة المؤتمرات الأمنية التي تسارعت من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٥، ثم من ١٩٩٥ إلى ١٩٩٧، بصورة لافتة جدا، من مؤتمر باريس إلى مؤتمر ميلانو إلى مؤتمر شرم الشيخ إلخ، هذا عدا عن التنسيق الأمني الذي أصبح بين أجهزة المخابرات، فلم يعد في وسع إنسان يريد أن يجاهد في ليبيا أن يفر ويعيش في الجزائر، أو يفر ويقعد في الخليج.

فهذا فرض علينا آلية جديدة للعمل، ولم تعد التنظيمات الجهادية بصورتها التقليدية صالحة لمواجهة الحملة الصليبية.

وهذا كله على هامش الفكرة التي قرأناها.

يتابع فيقول:

[ويشكل انفجار الانتفاضة الخطوة الأولى، وتلك هي ضربة دامية، تحمل في طياتها إصابة بالغة لهيبة النظام، وإن دوام حرب العصابات لمدة من الزمن، يبرهن عن عجز الجيش، ويكمل بالتالي سياق الحوادث. وعندما يزداد الدعم –وذلك يحدث تلقائياً عندما ينكشف ضعف الحكومة– تنشأ القلاقل السياسية على شكل تظاهرات وعرائض واضطرابات، تتلوها أحداث أكثر خطورة: كأعمال التخريب والإرهاب وانتقال الانتفاضة بالعدوى.

وفي ظروف كهذه، لا بد من حكومة فذَّة حتى لا تلجأ إلى التدابير القمعية، كمنع التجول، وتعطيل الحريات المدنية، ومنع الاجتماعات الشعبية، وغيرها من التدابير غير الشرعية، التي لا تؤدي إلا إلى زيادة حدة المعارضة، وتفتح حلقة مفرغة يتدمر فيها الاقتصاد، ويتمزق التركيب الاجتماعي، وينتهي النظام إلى الاهتزاز.

والمسألة في النهاية معرفة ما إذا كانت الحكومة تسقط قبل تدمير قواها العسكرية، أو أن تدمير قواتها العسكرية يؤدي إلى تنازل النظام السياسي. والحقيقة أن السياقين متكاملان، فالتفسخ

الاجتماعي والسياسي يؤدي إلى نزيف القوى العسكرية، كما أن المتابعة غير المجدية للحملة تزيد من هذا التفسخ، فينشأ عن ذلك ما أسميه (مناخ الانهيار)].

مناخ الانهيار: هو مجموعة الظروف التي اهتزت بها هيبة الدولة، سواء كان سببها تفسخا اجتماعيا أو تمردا أو عمليات عسكرية، هذا الجو هو جو الانهيار ومناخه.

[ذلك هو الهدف الاستراتيجي الكبير لحرب العصابات: إنه خلق مناخ الانهيار، ويجب أن يشكل هذا الهدف قاعدة لكل ما تقوم به].

إذا ليس الهدف هو إحراز مجموعة من الانتصارات العسكرية، بل كل التكتيكات خادمة لهدف أنت تريد أن تصل إليه، ولو وزعنا مئات المنشورات وعملنا كذا اغتيال.. كل هذه التكتيكات العسكرية والسياسية والإعلامية إذا لم يكن غرضها أن تتساوق جميعا لتخلق ما يسمى بـ "مناخ الانهيار"= فهي لا تمثل أي نصر في خطتك، والشهداء الذين ماتوا: الله يرحمهم، والطلقات التي ضربت: راحت في الهواء، والمظاهرات: ارجع على بيوتكم، للأسف لأنه لم يكن هناك خطة لخلق "مناخ الانهيار"، عمل عمل عمل، والدولة لا تزال متماسكة!

لم يتعرض نظام لما تعرض له النظام الجزائري، ومع ذلك لم يوجد "مناخ الانهيار"، وكل الجهاد الذي حصل في سوريا أحدث مناخا للانهيار لكن لفترة قصيرة جدا، عدة أشهر في سنة ١٩٨٠، فلما صحت الأجهزة الأمنية ورأت أن القضية ليس كما كانت تتصور= اضطر رئيس الدولة لإلقاء خطاب شعبي كل أسبوع، صار كالمسلسلات المصرية والسورية، حافظ الأسد ١، حافظ الأسد ٢ .. إلخ.

في كوبا لم تحصل أعمال عسكرية ذات بال، وذكر الكاتب أن المحللين اعتبروها مناوشات من الدرجة الضعيفة، ومع ذلك أدت التكتيكات السياسية والإعلامية استفادة من هذه المناوشات، حتى وصولوا إلى أن جيش الدولة وكأنه تحطم وتعرض لعملية إبادة، فتفككت الدولة وانهار النظام السياسي.

في حين أن معارك طاحنة من حروب العصابات في دول أخرى، امتدت في فيتنام مثلا عشرات السنين، ضد الفرنسيين ثم ضد الأمريكان، في أفغانستان امتدت ١٤ سنة من المقاومة العسكرية المدعومة من النظام الدولي كله الإسلامي والغربي.

فيقول هنا أن "مناخ الانهيار" يتم إذا حصلت عمليات ..

عشر ساعات ونحن نشرح وندور ونلف حول موضوع: تجييش الشعب في هذه الحرب، واستخدامه كورقة أساسية وعامل من عوامل الانتصار.

والآن نتكلم عن قضية استغلال الجهد العسكري في أعلى مستويات الفعل السياسي والإعلامي لإيجاد "مناخ الانهيار"، التقيت مرة بواحد من علماء الشام، خرج بوقت مبكر من سوريا، فقلت له: ليش خرجت، وما شاركت في الجهاد؟ وهو رجل دَيّن يعني، فقال لي: يا ابني علم الله أني اضطريت حتى أعذر نفسي شرعا، وأن أبحث بطريقة من الطرق حتى التقيت بعدنان عقلة رحمه الله، مع أن الرجل هذا ما له علاقة في الجهاد، لكن عالم من علماء المسلمين يريد أن يهاجر، فقال: قبل ما أهاجر أسقط عني حالة هل أنا إلي لزوم ولا ما إلي لزوم؟ فقال: سألت عدنان عقلة انه ايش مخططكم؟ فقال له: نحن الآن ليس عندنا مخطط، وإنما مخططنا هو إرباك الدولة، حتى نصبح من خلال إرباك الدولة نشوف ايش ممكن نعمله، فقال لي: أنا ما وجدت ان عندي شغلة في إرباك الدولة، فهو شاف ان دول جيل الشباب، وعدنان تكلم عنه بعد ذلك وقال أنه كان يجب أن يقعد معنا ويربك الدولة، وبعتبر خروجه من البلد فرار من المعركة، ولكن من الناحية العملية هو أعطى الحجج لهذا ولغيره، فهو ليس له دور، ليس هناك مخطط لإيجاد "الانهيار" من ناحية، ومن ناحية أخرى اعتراف من قائد ثورة أنها فعلا ثورة قامت وبدأت وقطعت مراحل، ولا يدري ماذا يريد.

وأنا رأيت واحدا آخر من قواد "الطليعة" –وهو التنظيم الوحيد الذي مارس الجهاد في سوريا– كان يقول: يقولون نحن نعد ونخطط، هذا كله لا يلزمنا، فيتصور أن هذا دين، يقول: نحن نتوكل على الله،

عندي في المسدس سبع طلقات، أطلقهم على العدو، ولما تنتهي أبحث عن غيرهم!! (ويخلق ما لا تعلمون).

فسيطرت هذه الآلية، لا يفكرون يوما بيوم، بل هذا يفكر من مشط طلقات إلى مشط آخر، فهذه ترجمة غير صحيحة لمبدأ التوكل، فلو قام واحد بضرب دورية، واعتبر أن من الانتصار العسكري أنه قتل سبعة وقتلوا منه واحدا، فهذا منتصر= هذا استنزاف.

تكلمنا بالتفصيل عن موضوع الاستنزاف أنك عندما يكون عندك ٥٠ عنصر للعصابات، يُقتل ٢ في معركة، معناها أنه قُتل منك ٤% من التنظيم، وقتلت ١٠٠ واحد من الدولة من جيش فيه مليون شخص، فأنت قتلت ١ في المائة ألف، فهذه ليست معركة رابحة.

فلا تقاس انتصارات العصابات بحجم العمليات ولا بعدد العمليات ولا بخسائر العدو، وإنما تُقاس بمدى الخطوات التي قطعتها على سبيل الخطة لتحقيق "مناخ الانهيار"، أو بما أضفته إلى جو التمرد، أو بعملية التوظيف السياسي التي عرضت فيها النظام للحرج والضغط الداخلي أو الخارجي.

ونقف قليلا عند قوله: (وهذا يحتاج إلى حكومة فذة) أي لا تنساق وراء العنف، بل تسحب البساط الجماهيري من تحت أرجل الناس، وهنا سيتعرض هو لدراسة ١٠ حروب عصابات ناجحة، و٣ حروب عصابات فاشلة، وسبب فشل حرب العصابات الأساسي أن الدولة كانت فذة، واستطاعت أن تقوم بعملين:

العمل الأول: أنها لم تقمع الناس بحثا عن العصابات. والثاني: أنها بحثت عن أهداف العصابات من العدالة الاجتماعية والمظالم فقامت الحكومة بها، وحققت شعارات العصابات، ولم يعد للعصابات رأس مال تجمع به الناس.

فإذا أردت أنت أن تجمع الناس لتطبيق شرع الله، والحاكم أقنع الناس أنه يطبق شرع الله= فعلى أي أساس بدك تجمع الناس وتحاربه؟

وإذا أنت كي تجمع الناس قلت أنه نظام يُفقر الناس، فقام النظام بتوزيع أموال وأراض، فقام هو بتحقيق الشعار الذي تدعو إليه.

ولذلك قلت أن البلاد مثل الجزيرة من أصعب الدول التي يمكن أن تدعو الناس فيها إلى انتفاضات، ذلك أن قناعة الناس بشرعية الدولة كبيرة، كما أن قضية الضغط الاجتماعي بسبب الفقر غير موجودة، لأن الناس تثور إما للدين وإما للدنيا، وغالب الناس تثور للدنيا.

في التعليق هنا أقول:

ثبت عندنا في العالم الإسلامي أنه ليس هناك حكومة فذة بهذا الاعتبار، كلهم ينساقون عمليا إلى دوامة العنف، حتى الحكومة السعودية التي لم تكن بحاجة إلى كل هذا، اللهم إلا كحالة استثنائية وهي الأردن، فالنظام الأردني هو أقرب الأنظمة إلى هذا الـ (system): حكومة فذة لا تنجر في قضية العنف، بل على العكس حتى أحكام الإعدام التي صدرت بحق من قاموا بقتل وكذا، في آخر لحظة تدخلت المكرمة الملكية لتخفيف الحكم إلى المؤبد، حتى لا يُسجل على النظام دم، خاصة في جو قبلي وعشائري، فلا تُستثار عشيرته أو قومه، فهو نظام بارد الأعصاب جدا جدا.

قلت لكم البارحة كيف فعلوا مع تجار السلاح وإشرافهم على توزيع السلاح بعد حرب الخليج، ثم جمعوا الناس وأخبروهم بأرقام البنادق التي أخذوها، ولما قبضوا عليهم ومعهم سلاح، أفرجوا عن كثير منهم، ولو كان هذا في نظام من الأنظمة العسكرية كانوا أخذوه مسحوا به الأرض، وولدوا عند أهله وأولاد عمه مجموعة من الأحقاد.

كان من المفترض من نظام ملكي قبلي كالنظام السعودي أن يكون بارد الأعصاب أيضا، إلا أن آل سعود الذين وصلوا للحكم كما يقولون بالدم وحافظوا عليه بالدم= استمروا كما هم، فما حصل إلا انفجاران فقط: انفجار الرياض وانفجار الخُبر، ومع ذلك وصل عدد المعتقلين من الإخوة ١٥ ألف شخص، تعرضوا لدورات من التعذيب وصل بعضها إلى هتك الأعراض وبعضها إلى اللواط، وكل ما تدربت

به المخابرات السعودية على أيدي مخابرات مصر وتونس وغيرهما، مع أنها لم تكن تحتاج إلى كل هذا، الآن ١٥٠ شخصية من كبار العلماء والشخصيات في السجون بلا قيد.

فهذا الجو يؤدي إلى عملية شحن، تولد ما أسميناه بـ "المناخ الثوري" باصطلاحات حروب العصابات، أو "المناخ الجهادي" باصطلاحنا، فيقول أن هذا يحتاج إلى حكومة فذة كي لا تقع في هذا الفخ.

ثم يتابع فيقول:

[**لا بد من أن ألفت الانتباه، إلى أنني لم أشأ القول بأن توالي الأحداث الموصوفة أعلاه يمكن أن يحدث في أي مكان، وأي زمان، ومن قبل أي كان، دون أن نحسب حساباً للظروف الموضوعية والذاتية**].

إذا هناك ظروف ذاتية تتعلق بالبلد وهو ما يغير آلية العمل، فنقول: حرب العصابات ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى مرحلة الضعف، والمرحلة الثانية مرحلة التوازن، والمرحلة الثالثة مرحلة الحسم، مع أن هناك حروب عصابات تقفز من المرحلة الأولى إلى مرحلة الحسم، وهناك حروب عصابات كأفغانستان تبدأ من المرحلة الثانية أصلا، مرحلة التوازن والجبال وكميات السلاح.

فهذه التقسيمات الأكاديمية الكلاسيكية هي لغالب ما حصل، وليس آلية ملزمة في كل بلد.

فيقول:

[فقد تسبب الانتفاضات أو تنشأ عفوياً، وكأنها تعبير عن التظلمات أو الأماني المكبوتة أو بسبب عوامل أخرى: كالتعصب الديني، أو الخصومات الدموية، أو الهستيريا الجماعية الناجمة عن سبب ما (لقاء رياضي أو حادث اغتصاب ... إلخ قد يؤدي إلى إراقة الدماء ومن ثم فوضى مرحلية ولكن هذه الانتفاضة العفوية لا تتحول بالضرورة إلى حرب عصابات].

الشعب الليبي الذي لم يخرج لأجل شرع الله على القذافي، مرة خرجت مظاهرة تقول: لا إله إلا الله القذافي عدو الله، لأنه عمل شيئا غريبا في مباراة كرة قدم مع الجزائر تقريبا، أوقف القذافي المباراة وأهدى ثلاث نقاط للخصم، فطلعت مظاهرات: لا إله إلا الله القذافي عدو الله!

الشاهد أن هذه الانتفاضات يمكن أن تقوم لحادث فرعي كانتفاضات الخبز أو غيرها، لكنها لا تتحول إلى ثورة، وهناك شعوب جدار الخوف عندها سميك لدرجة غريبة جدا، فمن ثلاث سنوات اكتشف عن ضابط من أحد بلاد المغرب العربي أنه اغتصب وحده ٥٠٠ فتاة من فتيات الجامعة والثانوي، وهذه هي الحالات التي اعترف أصحابها بها وتجرأوا أن يسجلوا حالة، وكان الضابط يعمل مع عصابة للدعارة وتصوير لأفلام الجنس خلسة لهؤلاء الناس، فلما خرج هدد بأنه يكفي فقط أن يخرج الفيديو رقم ٢٨، يبدو أن هذا الفيديو فيه وزراء ولا فيه الملك ولا الله أعلم من فيه، المهم اتكلفتت القضية بتاعته وأعدم البني آدم هذا، ومع ذلك لم تُخلّف القضية أي أثر مما يمكن أن يسمى انتفاضة!!

والذي يحصل في ليبيا أيضا كوارث من ناحية الإهانة النفسية، مرة خلى الشعب كله يتفرج على قعر حذائه ثلاث دقائق، ايش ها الأمة؟! استهبال للبشرية يعني.

تأتي إلى بلاد مثل مصر طلع ابن رئيس الدولة متعاقد مع شركات نووية على دفن نفايات سامة في البلد! وتمر وكأن ولا شيء، كوارث مش طبيعية.

ما يدل على أن حرارة هذه الشعوب باعتبار ما سميناه بـ "المناخ الجهادي"= حرارة باردة جدا، وتحتاج إلى مجموعة من الأعمال والتحريض، حتى تصل ابتداء إلى فكرة أن تقبل أن تحمل سلاحا وتقاتل ضد

الأنظمة، ومع ذلك هو يتكلم عن شعوب دموية وأن بعض الحوادث يمكن أن تثير انتفاضات دموية، هذه لم تُثر عندنا أي شيء.

يقول:

[**إن حرب العصابات (حسب تعريفنا) وسيلة ثورية، لا يمكن أن تنشأ إلا من واقع ثوري**].

نحن عرفنا المصطلحات، لما يقول "واقع ثوري": يعني واقع وصلت فيه سخونة إلى مستوى الرفض، الذي من الممكن أن يتحول إلى آلية عمل مسلح.

فحرب العصابات الإسلامية حسب تعريفنا: هي وسيلة للانطلاقة الجهادية، لا يمكن أن تنشأ إلا من واقع وصلت فيه حرارة الجهاد إلى مستوى المشاركة.

يقول:

[**ولذلك فإنني أجد نفسي مدفوعاً إلى الاستشهاد بما كتبه تشي جيفارا في كتابه (حرب العصابات):**

من المؤكد أنه لا ينبغي الاعتقاد بأن الزخم الناشئ عن نشاط حرب العصابات لا بد خالق لكل ظروف الثورة. ويجب أن نتذكر دائماً بأن هنالك حداً أدنى وضرورياً لا يمكن بدونه ولادة المركز الأول (للتمرد) وتعزيزه. ولابد للناس أن يلاحظوا بوضوح عبثية متابعة الصراع من أجل الحصول على أهداف اجتماعية في إطار الحوارات الشرعية، وعندما تتمسك قوى القمع بالسلطة ضد القانون القائم، يمكن اعتبار السلام محطماً].

لابد أن تتوفر شروط منها: تمسك السلطة بخيار القمع، وقناعة الشعب بأن كل الظروف السلمية قد استنفذت، وهذا نموذج حي جدا عندنا في الجزائر وفي تركيا الآن، حتى احتج علينا بعض الناس بأن أسلوب الإنقاذ غلط كان يقول: ألا تعترف أنه لولا فشل الانتخابات والنشاط الديموقراطي في الجزائر، لم يكن لتتولد قناعة بالجهاد والعمل المسلح؟ قلت له: صحيح جدا، لولا فشل الديموقراطية ومسار الإنقاذ في الجزائر= لم يكن ممكنا تبرير حمل السلاح عند الناس بعشرات الآلاف، ثم قلت له: لكن هذا لا سيغير من واقع القضية شيئا.

مع التنبيه أنه لا يمكن أن أقوم بعمل غير مشروع حتى أوفر جوا مشروعا، ولكن هذا العمل غير المشروع إن حصل فأنا أوظفه، وما زلنا نقول للناس: نحن نأخذ بالصراع المسلح لأنه قد أغلقت كل الطرق السلمية ولم تؤد إلى نتيجة، فهذا الذي يعبر عنه فيقول: [**ولا بد للناس أن يلاحظوا بوضوح عبثية متابعة الصراع من أجل الحصول على أهداف اجتماعية في إطار الحوارات الشرعية**].

يعني إذا الناس لم يقتنعوا بأنه قد أغلقت كل السبل= لا يمكن أن تحمل السلاح، وتتعرض للموت في سبيل تحقيق أهدافك، ولذلك تشكل نظريات الإخوان المسلمين والإنقاذ وكل الديموقراطيين حجر عثرة في طريق انطلاق العمل المسلح، لأنها لا تزال تقنع باقي المسلمين بأنه هناك مجال لتحقيق الأهداف بدون جهاد.

عندما تستمر هذه التجمعات الإسلامية بحسن نية أو بسوء نية، بضلال أو بهدى، بإكراه أو بمصلحة، بصرف النظر عن الأسباب والنوايا، لكن طالما أنها تقنع الناس ومعها هيئة كبار العلماء والأزهر والمعارضات السياسية والبرلمانات وكل من ينادي بأن هناك مجالا للحل عن طريق السلم= فهو يقطع الطريق على من يفكر في طريق العمل المسلح، لأنه يقدم المبررات للنظام.

حتى قال لي أحد الإخوة من تنظيم الجهاد: عندما تعرضنا للتعذيب، وأردنا أن نطلع من السجن، قال لي ضابط التحقيق: يا ولاد الكلب عايزين شريعة، ما هو الإخوان المسلمين عايزين شريعة ما تروح تدخل

في الإخوان المسلمين وتطالب بالشريعة. يقول له: يعني لازم حتى تحقق أهدافك وتقيم الشريعة طلق ورصاص، ها هم الإخوان المسلمون يطالبون بالشريعة في البرلمان.

وقال لي شيخ من ضلال الصوفية ومن أعمدتها في بلاد الشام ومن كبار العلماء واسمه محمد عوض، وهو الذي خلف جماعة عبد الكريم الرفاعي رحمه الله، كانت جماعة طيبة وشيخها طيب، لما التقى بنا في بيشاور من فترة قريبة ، وكان يدعو الناس لأن ينزلوا ويتوبوا، فقال لي: أنتم دمرتم الإسلام ودمرتم الدعوة، شيوخكم الأوائل مروان حديد ومن حوله، قال لي: أنتم ضربتم الدولة، فأثر ذلك على ضرب الإسلام، إلى يومنا هذا: لماذا لا تستفيدوا من الباب المفتوح. قال: أنت من أي مدينة؟ قلت له: أنا من حلب. قال لي: لماذا الشيخ فلان والشيخ فلان في البرلمان، وينادون بتطبيق الإسلام، لماذا لا تصير مثلهم؟

فهذه الأصوات التي لا تزال تقنع الناس بأنه من الممكن أن تحقق أهداف الإسلام من خلال البرلمان، أو من خلال الأساليب السلمية، أو من خلال ما يمكن أن يسمى دعوة أو نصيحة سرية لولي الأمر= فهذا معناه أن الجو ليس مهيئا لانطلاق عمل مسلح.

يجب أن تقوم هناك حرب منهجية شرعية بالبينة والحجة، بيننا وبين هؤلاء المسلمين من الجماعات الإسلامية أو من العلماء، سواء كانوا منافقين ظاهرا أو باطنا، ولكن يجب أن يكون هناك مدافعة منهجية نثبت فيها أن خيارات السلم قد سُدت، والدعوة لها الآن ٦٠ سنة وما زاد الحكام على الناس إلا عتوا واستكبارا وقتلا للذين يأمرون بالقسط من الناس.

والآن في تركيا، يقول كثيرون من الناس: خلاص وصلنا إلى النهاية، حتى من الصوفية الذين لا يمارسون السياسة أصلا، فالدولة تستفزهم وتغلق حتى مراكز تحفيظ القرآن وحتى دوائر الصوفية، ولا تريد أن يكون هناك رائحة إسلام.

وكما قال: عندما تتمسك الدولة بالقمع والشعب يقتنع بأنه قد أغلقت كل السبل= عند ذلك يمكن للحركة أن تعبئ الناس في حركة مسلحة.

يقول: [**وفي هذه الظروف، يظهر الاستياء الشعبي بأشكال أكثر فعالية... فعندما تتوصل حكومة إلى السلطة عن طريق الاقتراع الشعبي، سواء كان هذا الاقتراع مزوراً أم لا، وتتمسك بالسلطة مع مظهر الشرعية الدستورية على الأقل، فإنه لا يمكن لحرب العصابات أن تندلع، لأن إمكانات النضال السلمي كلها لم تستنفد بعد**].

أي: طالما أن هناك شكلا من أشكال الشرعية، وشكلا من أشكال الدستورية، وشكلا من أشكال إقناع الناس بأنها مورست —ولو مزورة–، وساعتها لا يمكن لحرب العصابات أن تندلع.

لأن الذي يزعم الديموقراطية ويزعم الحريات ويزعم الشرعية= فهذا الزعم يلقي عليه تكاليف بأن يترك هامشا للحركة، فهذا الهامش يجب أن يتحرك به الذين يمهدون لعمل عسكري، ويحاولون الاستفادة من هذا الهامش من أجل تصعيد النضال ما قبل العسكري، يعني مرحلة كفاح سياسي وإعلامي.

هذا الكلام نراه بصورتين عندنا الآن:

الحكومات العربية والإسلامية تستمد شرعيتها الآن من مصدرين:

إما أنها تقول أنها حكومات شرعية إسلامية تحكم بما أنزل الله، أمير المؤمنين حامي حمى الملة والدين، فهذا ستار إسلامي، الخليج كله وعلى رأسه السعودية، واليمن، فهذه أنظمة تستمد شرعيتها من إقناع الناس بأنها نظم شرعية، فطالما أن هذه النظم شرعية، وطالما أنها تتستر بهذا الستار، وطالما أن هذا الستار لم يهتك ولم يسقط عنها ولم يثبت زوره وبهتانه= ففعلا لا يمكن أن تنطلق حرب جهادية ضد هذه الأنظمة.

لأننا سبق وقلنا بأن الحرب الجهادية يمكن أن تنطلق، ويذهب أصحابها كلهم شهداء، أو يرسل الله سبحانه وتعالى ما هو خارج عن الأسباب، لكن نحن نبحث في عالم الأسباب، أنه طالما هؤلاء الناس لم

يشكلوا قناعة عامة يتحركوا من خلالها عند المسلمين بأنهم أصحاب حق، ففي عالم الأسباب لا يمكن لهذه الانتفاضة أن تنطلق.

فعليها أن تبدأ بإسقاط شرعية النظام أولا، والعزف على وتر معاكس للوتر الذي يعزف عليه هو، فلو قالوا: هو شرعي يحكم بالشريعة، نحن نقول هو غير شرعي كافر مرتد وأنتم منافقون، أما إذا قلنا لهم أنتم طيبون صادقون محترمون مجبرون= فمعناه أننا نزكي آلية مرجعيات الشرع التي تزكي النظام، وبالتالي نخسف الجسر الذي نعبر عليه للناس، وهذا لا يقوم عليه عمل.

فإذا كان النظام من هذا النوع فكذلك، وإذا كان النظام من النوع الآخر وهي كل باقي الأنظمة العربية والإسلامية كانت تستمد شرعيتها من طريقين: إما شرعية ثورية: نظام عسكري جاء بعد انقلاب وقومية وشعارات وعسكرية وضباط كمصر وسوريا، أو أنظمة ليبرالية تقوم أن هناك انتخابات وأحزاب وكذا.

حتى الأنظمة العسكرية، وحتى صدام حسين، حتى حافظ أسد، حتى القذافي، حتى كل الناس= يعملون ما يمكن تسميته بـ "دستورية شعبية"، أي أن عنده برلمان يسميه مرة لجان شعبية أو مجلس الشعب كما عندنا في سورية أو في مصر، فهو يريد أن يعمل نوعا من الليبرالية، كما حصل في مصر عملوا انتخابات وقالت كل الناس أن هناك تزويرا، لكنه مُصِرّ على أن يعملها، حتى يستمد الشرعية السياسية، أنه نظام شرعي وقانوني.

كما حصل في تركيا مؤخرا، ومع زروال جاءوا إلى انتخابات شرعية بشرعيتهم، وقانونية بقانونيتهم، ومسحوا بها الأرض وألغوها وداسوا عليها، ومع ذلك لم يقولوا أنهم ألغوا النظام الدستوري لأنه وصّل الإسلاميين، بل قالوا: هذا ليس صحيحا ولم يعبر عن إرادة شعبية، وحصل تعبئة للناس باسم الدين ومن المساجد، وإنما يجب أن نقيم نظاما ديموقراطيا لا يتلاعب فيه بالدين وسنعيد الانتخابات، فالآن زروال يسير على خطى الانقاذ من البداية، وأول شيء الانتخابات البلدية، ثم الانتخابات التشريعية للبرلمان، فالآن عنده مجالس بلدية منتخبة ومجالس برلمانية منتخبة، والآن عنده انتخابات رئاسية، فصار كل شيء شرعيا دستوريا.

وطالما أن هذا الوضع العام دستوري أمام الرأي العام الداخلي أو الخارجي= فلا يمكن للإنطلاقة أن تنطلق بشكل صحيح، ويتم حشد للناس.

ولذلك الحركة الجهادية في الجزائر كانت من أوسع الحركات انتشارا، ومع ذلك لو حاولت قياس جماهيرها قياسا لل ٢٥ مليون جزائري، تجد أنها ليست حركة شعبية، ولا يمكن لهذه الحركة أن تنتصر إلا إذا تسلحت بعمل عسكري وقهرت مجموع الشعب وكأنها غزو خارجي، فنحن لسنا بحاجة لهذه الطريقة، لأننا حركات إسلامية جهادية، نتحرك للدفاع عن مسلمين ضالين تائهين جاهلين إلخ، فنستطيع أن نعمل في أوساطهم جماهير.

الحركات الشيوعية جعلت قصدها العمال والفلاحين حتى يكون لها جماهير، الحركات الوطنية جعلت قصدها أصحاب الشعور الوطني، الحركات القومية جعلت قصدها القومية العربية وهكذا، فنحن مسلمون وجماهيرنا إسلامية أصلا، لماذا لا نجعل دائرة التعبئة هي عموم المسلمين؟ ونقول: نحن نتحرك لعموم المسلمين لتحقيق دولتهم وإقامة شريعتهم ودينهم، وحفظ أعراضهم وصون أموالهم، في حين أننا نأخذ أفكارا معينة من الإسلام، ونتلون بها بصفة نوعية جدا، ونتميز بها عن باقي الناس ونفهمهم أننا مسلمون أفضل منهم، وأننا مسلمون موحدون وهم مسلمون مشركون، ومبتدعون وتائهون وضائعون إلخ!!

فنجعل بيننا وبينهم حاجزا، لا يجعلنا نأخذ بأيديهم بالهوينى شيئا فشيئا إلى أن يكونوا هم معدن وأساس التغيير الإسلامي، وهذا الذي ظهرت نتائجه في أقصى أشكالها في الجزائر.

فهو يقول:

[**لقد قلنا أن حرب العصابات هي امتداد للسياسة بوسائل نزاع مسلح. ومنطقياً لا يمكن لهذا الامتداد أن يحدث بغتة، إلا عندما تنكشف وتصبح بلا قيمة كل الحلول السلمية المقبولة**

(نداءات) عمل قضائي وقانوني، لجوء إلى صناديق الاقتراع. وفيما عدا هذه الحالة، لا يوجد أي أمل بالحصول على الدعم الشعبي اللازم للنشاط الثوري].

فهي لا يمكن أن تكون مقبولة إلا إذا أجهضت كل المناديات السلمية، وبدا أنها عقيمة، فنحن يجب أن نستشهد في حركتنا بكل تجارب الإخوان المسلمين، بدكم دعوة؟ الإخوان دعوة، بدكم ديموقراطية وبرلمانات؟ الإنقاذ وأربكان وكل الناس عملوا، بدكم دعوة وتبليغ؟ ها هي تملأ السجون في كل الدول العربية، حتى في الأردن أخذوا شيوخ التبليغ، حتى قال واحد منهم: نحن لم نتكلم في السياسة ولا في الملك، ليش بتسكروا (تغلقون) مساجدنا؟ فقال له ضابط المخابرات: أنتم الأتوبيس لأولئك الأصوليين، وهذا صحيح جدا ويدل على بعد نظر من هذا الخبيث. قال له: أنتم الأتوبيس، يعني تأخذون الناس من الشوارع، تضعوهم في المساجد، يأتون الإخوان ليدخلوهم في السياسة، يأتون الجهاديون ليسلحوهم.

فلابد أن نفهم الناس أن خيار الإسلام يُقمع الآن من أقصى السلفية إلى أقصى الصوفية، ومن أول التبليغ إلى آخر التكفير، كله مرفوض من قبل الحكومات ومن قبل النظام العالمي الجديد، ولذلك نوصل للناس قناعة بأنه لم يعد هناك خيارات للإسلام إلا خيارات تبدأ انطلاقتها بإعطاء الشرعية للنظام، وتصبغ صفة الإسلام على المرتدين، وتعطي شرعية للاحتلال وتعتبر أنه استعانة وذميون وقواعد أجنبية موجودة بحكم ولي الأمر!

حتى أن الاستخفاف بعقول الناس وصل أن قال أحد الجاهلين أحمد كفتارو أنه ذهب وأخذ تبرعات من الكونجرس أو من هيئة حكومية أمريكية!! أخذ تبرعات! هذا مفتي الدولة في سوريا وصاحب طريقة صوفية حلولية كافرة مارقة، وله تهجمات على الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة وبدع وصوفيات وحلول ودعارة، من ألعن الطرق.

فلما قال له أحدهم أنت أخذت فلوس؟ قال له: طبعا يا ابني، إن الله وضع عليهم الجزية فكان علينا أن نذهب لنأخذها ونرجع بها! بلغ الاستخفاف بالناس أن قال هذا، أنه ذهب لأخذ الجزية.

هذا أحمد كفتارو له مريدات بالآلاف، تأتي واحدة تقول له: يا شيخي أريد أن أقول لك على رؤيا رأيتها، فيربت على كتفها ويقول لها: شفتيني معك! يعني: شافته في الحالة اللي هي .. فتأويلها: إن شاء الله رفع درجتك في الجنة.

هذا هو الهامش المسموح به الآن.

والهامش على النقيض منه تماما في بلاد الشام الآن، المسموح به هو هامش السماح للتيارات السلفية البيزنطية التي يسمونها علمية، في المغرب نفس الشيء الملك الحسن في السنة الماضية صرف ميزانية ضخمة جدا، لإعادة تجديد الأضرحة على طول المغرب وعرضها.

كنت مرة في إسبانيا فرأيت برنامجا مصورا في المغرب اسمه "القديسون في الإسلام"، ويبدو أنه ترجمة سيئة لكلمة "الأولياء في الإسلام"، فهو يزور الأضريحة ويصور أوضاع القديسين في الإسلام ومزاراتهم، تعجب وتتحسر على شرك أبي لهب الأول، لا توجد صورة من صور الشرك القديم إلا وأتوا بها، حتى أن المشرف على الولي عامل بحيرة وسائبة وحام، سمك النهر اللي هو جمبه! محرم صيده ومحرم لحم السمك الذي بجانبه.

هذا النوع من الإسلام مسموح به، من أقصى الصوفية الفاسدة إلى أقصى السلفية بتاعة العقائد والغوص في تفاصيل القبوريات والشركيات، فإذا جاءوا إلى أم المفاسد شرك الحكام تجدهم صوفيين جدا = هذا مسموح به ومشجع، هذا التيار الذي سمي سلفيا زورا وبهتانا وليس للسلف ولا للسلفية منه كثير ولا قليل، ولكن اسم شريف وأُخذ، فهذا النوع مسموح به.

في بلد كالمغرب تجد سلفيين من هؤلاء يكفرون الصوفية على أنهم مشركون، وأقصى هؤلاء الصوفيين يكفرون السلفية على أنهم وهابيون ليس عندهم دين، وهؤلاء الذين اختلفوا على كل شيء حتى على الله سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه، وعلى فروع الفقه اختلفوا، وعلى كل تفاصيل الدين اختلفوا، ثم سبحان مقلب القلوب اتفق الطرفان على أن الملك مؤمن حامي حمى الملة والدين!!

اختلفوا على الله سبحانه وتعالى، واتفقوا على الحسن!! سبحان مقلب القلوب!

ولذلك هذان النوعان من الإسلام مسموح بهما، نفس الشيء السلفية العلمية عندنا في دمشق، حتى شيخ السلفية الأكبر يكتب في شرح أشرف كتاب في العقيدة وهو "العقيدة الطحاوية" يكتب أن الانقلابات والثورات وحمل السلاح= بدع، وليس من الدين. فهذا نوع من الإسلام مسموح به.

وفيما بينهما، لا الإسلام العسكري الجهادي مسموح به، ولا إسلام الإخوان السياسي مسموح به، ولا الإسلام الديموقراطي الإنقاذي الذي يدخل البرلمان مسموح به، ليس مسموحا لأي شكل من الأشكال حتى لو كان فيها انحراف وضلال، لأنها أداة يمكن أن تحمل تغييرا.

بصرف النظر عن الخطأ والصواب، أسلوب الإنقاذ يمكن أن يحمل تغييرا لهيكل النظام، وهذا ليس مسموحا به، مسموح فقط لهذه الأشكال المهترئة من الإسلام، بصرف النظر عن الشقة بينهما كما بين السلفية والصوفية، وحتى التبليغ التي كانت أتوبيس يمكنها أن توصل للجهاد= أصبحت متابعة وغير مسموح بها.

الآن مسموح فقط للإسلام اليهودي، بمعنى: الذي يحمي مصالح اليهود، الإسلام الأمريكي الذي كان في مرحلة من المراحل لم يعد مسموحا به الآن، الإسلام الأمريكي الغربي الذي يطرح مفاهيم الديموقراطية والليبرالية= لم يعد مسموحا به الآن، وهناك معادلة مهمة جدا جدا أن نفهمها، وهي من مكر الله سبحانه وتعالى، أن العدو وصل معنا إلى مشكلة ليس له إلا عودة الاحتلال، وذكرنا بعض الأسباب.

ومن هذه الأسباب أنه العدو الآن أمام نموذجين من الإسلام السياسي، إما من يريد دخول البرلمان وإطلاق الحريات وتتكلم في البرلمان بكثير من كلام الحق، وهذا له نماذج كثيرة، وأنا أعتقد أنه خطأ وليس صحيحا، وهو اجتهاد، لا ليس اجتهادا حتى، بل هو تأول فاسد في رؤوس أصحابه، ولكن لهم فيه وجهة نظر، وفيهم صادقون كثر وفعلا يريد خير الإسلام والمسلمين، ويظنه من هذا الباب، منهم الإنقاذ في الجزائر، منهم صلاح أبو إسماعيل رحمه الله توفي في مصر.

والصنف الآخر الإسلام المسلح –ده بتاعنا– الجهاد السياسي بالسلاح .

فوجدوا أنه وصرح به بعض الغربيين وقالوا: خيارنا أن نضرب الإسلام الأصولي المتطرف بالإسلام المعتدل، ففي مرحلة السبعينات والثمانينات والتسعينات أُطلق العنان عمدا من قبل كل الحكومات العربية للإسلام المعتدل، كما ضرب أنور السادات –لا رحمه الله ولا من ترحم عليه– التيار الشيوعي بالتيار الإسلامي، ثم صار الخيار بعدها ضرب الإسلام المسلح بالإسلام السياسي، فجربوها ثلاثين سنة فكان الثمن فادحا، فعلا الحركات الإسلامية الديموقراطية قصقصت كل إمكانيات النهوض المسلح.

يعني بلد مثل الأردن، بجانبهم اليهود، الناس الإسلاميون في البرلمان يندون ويشنعون على من يحمل السلاح على اليهود ويعبر الضفة، ويقول: هذا يضرب مصير الدعوة، فعلا ضُربت قاعدة الجهاد على هذا الكلام الذي قلناه، لأن الناس قالت هناك خيار وإمكانية لتطبيق الإسلام.

ولكن حتى هذا المخطط الذي جاءنا به الغرب= انقلب عليهم وبالا، وهذا يجب أن نعترف به، لأن الإسلاميين السياسيين الديموقراطيين إذا خرجوا إلى البرلمان ماذا سيتكلمون؟ سيتكلمون في تطبيق الشريعة، سيتكلمون في إصلاحات اقتصادية، سيتكلمون في النهب والفساد، سواء على سبيل الصدق أو على سبيل المتاجرة، فكثرة كلام الديموقراطيين الإسلاميين في هذه الأجواء= وسّع القاعدة العريضة شعبيا للصحوة الإسلامية، ولو بأسلوب غلط، وهذا لابد أن نعترف به لأنه واقع.

الكلام الذي كان يحصل في المحاكم في مصر، وكلام صلاح أبو إسماعيل، بصرف النظر عن المتكأ الفاسد لدخوله للبرلمان –من وجهة نظرنا– إنما حمل فائدة للإسلام والمسلمين، (إثمهما أكبر من نفعهما) لكن هناك نفع، فهذا النفع الذي جاء من إطلاق الإسلام السياسي المعتدل= وسّع قاعدة الإسلام أفقيا.

ووجدنا نحن وكل المسلحين هامشا من خلاله للحركة والتنظيم ودخول المساجد والدعوة ونشر المنشورات، لأن الجو ديموقراطي في الحكم، فحتى التيارات الأصولية والمسلحة استفادت من الجو الديموقراطي، ثم إن هذا الجو الديموقراطي حمل أناسا فيهم كثير من الإخلاص إلى أن يصلوا إلى البرلمان ويشكلوا حكومة ويتنافسوا على رئاسة الدولة كما حصل في الجزائر، فوجد الغرب أن هذا الخيار مشكلة،

وأنه سمح له للقضاء على التيارات المتطرفة، لكن كانت فيه فوائد كثيرة فاقت في ضررها الحسابات التي مسموح بها.

فقالوا نأخذ بنظرية القمع، قمع الإسلاميين، فقُمع الإسلاميون في كل الدول الماضية في سوريا في الشام في الجزائر، الآن المعتقلون في مصر ٦٠ ألفا، في سوريا ٣٠ ألفا، غير الذين قُتلوا في حماة ٤٠ ألفا.. فلما قمعوا المسلمين وذبحوهم عسكريا ايش صار؟

رد المسلمون على هذا الفعل بأن تدربوا، ذهبوا لأفغانستان، دخلوا المعسكرات، واجهوا الحملة الموجهة بالقتل، ومثل أي قط تحصره في الجدار هكذا يستأسد، فاستأسدت كل الحركات الجهادية وارتفع معدل مستواها العسكري ووعيها السياسي والإعداد للمعركة، فتقدم وضع المسلمين بشكل عمودي نوعي، صحيح أنه صغُرت القاعدة التي يمكنك أن تتحرك منها، ولكن هناك تقدم نوعي.

فوجد الغرب نفسه أمام معضلة شديدة جدا، وهذا يهمنا فهمه لأنه مفتاح من المفاتيح، أنه إذا ضرب المتطرفين= تمدد الإسلام أفقيا، بس الإسلام المعتدل، وهذا من حيوية الإسلام نفسه، لا من فضل أحد.. وإذا قام بالقمع والإغلاق على الجميع= تمدد بشكل عمودي، المشكلة التي وقع فيها الغرب أن الإسلام لابد متمدد أفقيا أو عموديا.

ومن فضل الله سبحانه وتعالى أنهم طبقوا علينا هذه المخططات بالتناوب، فمرة ومرة، ولذلك ساعدونا في عملية البناء، أن عملية الإسلام السياسي مرة يتمدد ومرة يتقدم، مرة يتمدد ومرة يتقدم وهكذا، حتى لما قُمعت الحركات الديموقراطية، حصدت الحركات الجهادية كل من ربتهم الحركات المعتدلة.

فلذلك الغرب وجد نفسه أمام ظاهرة تكتسح اكتساحا، وليس لها حل إلا الاحتلال المباشر، فجاءوا بالاحتلال المباشر، لكن نحن نعلم أن الاحتلال المباشر سيأتي بنوع جديد من مكر الله سبحانه وتعالى، وهو إعطاؤنا النظرية الأممية التي احتجناها، والتي إلى الآن لم نملكها، لأننا سنستطيع أن نقول للناس جاءكم اليهود والنصارى، حي على الجهاد!

نحن ما استطعنا أن نقول لهم: قوموا فثُوروا على رجل يصلي، فهذا مكر جديد، ونحن يجب أن نسخر هذه الحملات الصليبية لعملية التجنيد، فلا نتقوقع على الفكر النوعي النخبوي فنخسر فرصة تاريخية ذهبية لتجنيد ملايين الناس في اتجاه الفعل الإيجابي للمسلمين، هذا الذي حصل في الحملة الصليبية الأولى في القرون الوسطى، أن المسلمين توجهوا لمواجهة الحملات الصليبية بأفق شعبي، فشارك فيها كل العلماء وكل المشايخ وكل الشعب وكل الحركيين وكل الأمراء، على مستوى القلعة والدولة، وتقرأ لابن كثير في مرحلة الحروب الصليبية، حتى تقرأ أن الإسلام الذي قاوم الصليبيين لم يكن له دولة ولا هيكل سياسي.

الصليبيون في القرن الحادي عشر والثاني عشر ١٧٠ سنة قُوتلوا بواسطة حرب عصابات شعبية إسلامية، وليس عن طريق إمارات ودول مركزية، ولم يظهر صلاح الدين والزنكيون إلا في الثلاثين سنة الأخيرة، وأعاد التاريخ نفسه في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وصدر القرن العشرين، الذي واجه الصليبيين —رغم أنف اللي عجبه واللي ما عجبه- كحقيقة تاريخية، هم عموم المسلمين المنحرفين والصادقين والصائبين وكله، والطرق الصوفية والطرق العلمية وطلاب العلماء والأزهر، كل هؤلاء الناس واجهوا الصليبيين، فالشاهد أن الذي واجه الصليبيين هو الإسلام وحيوية الإسلام، الذي حرك الناس وحرك المسلمين.

فعمر المختار الذي نترحم عليه وجعلناه شعارا لحركاتنا السلفية الجهادية هو صوفي، والحركات في الهند التي أخرجت الإنجليز هي صوفية، وحركة أبو عمامة في الجزائر وعبد القادر الجزائري وكل الناس هم صوفيون، وحكم الخراط وإبراهيم هنان وكل الأسماء التي صارت في الثورة السورية الصغرى والكبرى هم صوفيون، سواء أعجبنا الآن أو أعجب السلفيين أو غيرهم أو لم يعجبهم، فالذي تحرك= تحرك تحت مسمى الإسلام، هذا لا يغير من واقع الأمر شيئا أنهم كانوا منحرفين وعندهم مشاكل، فإذا وضعناهم على ميزان الإسلام أخرجنا ما كان عندهم من حق أو صواب.

ولكن تحركت أمة القرن الحادي عشر والثاني عشر فأخرجت الصليبيين، ثم تحركت أمة القرن الثامن عشر والتاسع عشر فأخرجت الصليبيين، ونحن في القرن الواحد والعشرين لن نخرج الصليبيين إلا إذا شاء الله

سبحانه وتعالى، واستطعنا بمشيئته أن نحرك أمة، لا أن نحرك خمسين واحدا من النخبة حتى يواجهوا هذه الأساطيل.

مع أن هذا خروج عن الموضوع، لكنه مفيد إن شاء الله، والذي أريد أن أقوله أن الغرب طبق سلسلة من التجارب جاءت كلها بفعل معاكس، وهذا في العموم، ولو جئنا في التفصيلات وقرأنا كلام جون ميجور في تعليقه على ظاهرة الأفغان العرب، وفي رسالته إلى مندوبه في البوسنة= لاستطعنا أن نكتشف حجم الصدمة، قال: "أخطأنا خطأ فادحا في إطلاق العنان للمجاهدين المتطوعين العرب أن يقاتلوا في أفغانستان، فتتكون عندنا نخبة نعاني منها الآن وإلى فترة طويلة جدا، ولا يمكن أن نسمح بتكرار هذا الخطأ، ومرة أخرى وأين؟ في عقر أوروبا في البوسنة".

فهو اعترف أنهم أرادوا شيئا، وخرج شيء آخر نهائيا، فهذا من مكر الله سبحانه وتعالى، وإن كانوا حصّلوا كثيرا جدا من المكاسب من هذه القضية.

يقول:

[**وحتى يقبل الناس مسؤوليات ومخاطر العنف المنظم، يجب أن يؤمنوا بعدم وجود خيار آخر، وأن تكون القضية ملزمة، وفرص نجاحها معقولة. وربما كان الدافع الأخير هو الأكثر قوة**].

الملاحظة ٤١ وهي هامة جدا:

(مسؤوليات ومخاطر): فأنت تدعوه لأن يُقتل، كما قال الأنصاري: ستعضكم السيوف، أنتم ستبايعون على قتل الأشراف وأخذ الأموال، ما هي شَغلة بسيطة، فهو سيدفع دمه وماله وعرضه وبيته الآن، بعد ما ثبت له أن الدول لا تتورع عن شيء أبدا، لا أعراض ولا نفوس ولا بيوت ولا تفجير ولا مطاردة، ولا حتى

وأنت بعيد عنها ١٠ آلاف كيلو متر تأتي وراءنا، فإذا يقول: [وحتى يقبل الناس مسؤوليات ومخاطر العنف المنظم، يجب أن يؤمنوا بعدم وجود خيار آخر] أي ليس هناك حل، هذا أولا.

ثانيا: وأن تكون القضية ملزمة، أي أنه مجبر أن يفعل هذا، نحن كمسلمين الإلزام عندنا شرعي، يعني يجب أن نقنع الناس أن القضية فرض، وأنهم لا خيار عندهم أن يجاهدوا أو لا يجاهدوا، وأنهم داخلون في الآية الكريمة (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما)، فهم ملزمون بهذا الخيار.

ثم يجب أن يُقنعوا سياسيا بعدم وجود خيار آخر، وهذا تكلمنا عنه.

النقطة الثالثة يقول: (وفرص نجاحها معقولة) لا يمكن أن تدعو إنسانا من عموم الأمة، أن تعال مُت، وستفشل من أجل المبادئ، هذا يمكن أن تدعو له النخبة فقط: تعال مُت وأجرك على الله وستفشل، عموم الناس إذا لم يجدوا في التجارة هامش ربح= لم يشاركوا، بل يجب أن تقنعه أنه سينجح.

في النقطة الرابعة هو يعالج بشرا ونفسيات ومدرك لها، فقال: (وربما كان الدافع الأخير هو الأكثر قوة) فهذا الدافع أكثر قوة من قضية الإلزام المنهجي، وأكثر قوة من قضية أنه قد سُدت السبل، فهو الأكثر إقناعا للناس.

تعال لننظر كيف تقوم دعاية الدولة وأجهزتها السياسية والإعلامية والشرعية: هيئة كبار العلماء والأزهر ومفتي الدولة ووزير الأوقاف وكل الشيوخ الذين في الزوايا= كلهم يعزفون على عكس هذه النظرية.

نحن نريد أن نقنعهم بعدم وجود خيار آخر، والجيش يقنعهم بوجود خيارات كثيرة للتغيير السلمي، ونحاول أن نقنعهم بأن القضية ملزمة ومفروضة، هم يحاولون إقناع الناس بأنها غير شرعية وأنها بغي وخروج على الحاكم، ونحاول أن نقنعهم أن فرص نجاحها معقولة، فهيئة كبار العلماء وشيخ الأزهر يقولون: حتى لو كنتم محقين، وأنتم تخرجون على كافر، إلا أنه حتى القاضي عياض الذي أجاز لكم الخروج حسب النصوص التي تنقلونها= قيدها بالقدرة، وأنتم لا قدرة لكم على ذلك، ويا ابني لو كان لكم القدرة على ذلك لكنا أول الناس وقوفا معك.

فهو يمانعك بوجود خيارات أخرى، فإذا أقنعته أنه لا يوجد خيارات أخرى، يمانعك أنك شرعا لا يجوز أن تخرج، فإذا أثبت له شرعا أنك يجوز أن تخرج، يمانعك بآخر نقطة والتي هي عقلية محضة، وهي أنك لا تملك القدرة.

ولذلك من أهم مهام جهاز الإعلام لأي ثورة أن يقوم بعملية رصد للهجوم الإعلامي من مختلف طبقات النظام العالمي الجديد، وإعلامه وشيوخه وهيئاته، والجماعات الإسلامية التي تطرح مناهجها، والجماعات التي لا تزال تُطارد، تحت أشرف الأسماء في المجلات والكتب على أننا بغاة وعلى أننا خوارج= يجب أن نطاردهم بفعل إعلامي معاكس، حتى نثبت العكس، نثبت الكلام الوارد هنا: أنه لا خيار آخر، ونثبت أن القضية لازمة ومفروضة شرعا، ونثبت أن فُرص نجاحها معقولة.

لذلك نقول هنا في النقطة ٤١:

لذلك يجب التركيز على الصراع المنهجي مع الهياكل الإسلامية العميلة، والجماعات الإسلامية المسالمة، لحسم مسألة إلزامية الخروج. فهذه القضية يجب أن تأخذ منا مجالا إعلاميا كبيرا جدا.

(إلزامية الخروج) يجب أن نركز على إثبات ثلاث مسائل:

أولا الجماعات الإسلامية المعتدلة كما يسمونها والديموقراطية يجب أن نرد عليها بأن الخيار أُغلق، ولدينا الحمد لله من النماذج والأمثلة ما نستطيع أن نغلق به هذا الخيار.

ثم نأتي إلى الهياكل الدينية العميلة والمنافقة، ونثبت لها أن القضية ملزمة، والذي ركب رأسه منهم يجب أن نشنع عليه أنه منافق، وأقل من يدافع عنه أنه أحمق، وأنه يُخاصم عن الذين يختانون أنفسهم، خلافا لقول الله تعالى، والله سبحانه وتعالى قال (ولا تكن للخائنين خصيما)، وهذا الرجل الذي قعد يُسوغ بيع فلسطين والتطبيع وكل الاتفاقيات مهما بلغ من العلم= هو رجل ينافق الأعداء، لأن القضية ليست داخلة ضمن دائرة الجهل، بل ضمن دائرة الحمق أو النفاق.

ولما كان لدينا عشرات الأدلة على أن هذا الرجل ليس أحمق، بل ذكي، وصدرت له فتاوى، وعنده فهم ورُفعت له تقارير، ومعروف وسافر وخرج وسمع شريط الأنباء إلخ= فلم يبق له إلا النفاق، هذا الكلام لا أعني به أنه كفر أو لم يكفر، وهذه المسألة لا تعنيني، ليست هذه المشكلة.

حتى لما تناول الدكتور فضل في كتابه –رغم شدة القسوة والأحكام- قال: هذه الأحكام العلمية لا يطلقها إلا رجل بلغ مرتبة القضاء، أنا أستطيع أن أحكم على هذا العمل أنه نفاق، وعلى هذا الطرح بأنه ضلال، وأن هذا الكلام كفر وأنه خارج دائرة الإسلام، هذا الكلام هذا الفعل هذا العمل، أما الإطلاقات العلمية بأنه يترتب على ذلك بأن الشيخ الفلاني كافر، ولا القائد الإسلامي الفلاني مرتد= فهذا الكلام صار فيه شطط كثير جدا، وليس من مهمتنا في المرحلة الحالية، وليس من مهمة كل فرد فينا على حدة، هذا يتناوله أهل العلم، وهذا الموضوع يخرجنا إلى موضوع التكفير والشطط الذي حصل فيه، فأقف فيه حتى أتناوله كله في محاضرة واحدة.

ولكن إذا استبعدنا الآن موضوع: كفر يكفر فهو كافر= فهذا لا يعني أن نستبعد أن هذا الفعل نفاق، وهذا الفعل خيانة، عندما يقف أبو بكر الجزائري المفتي المنافق للسعودية وأحد العلماء الكبار هناك ويقول، كما في مجلة "البلاغ" :"جلست أنا والشيخ ابن باز نقوم الليل نبتهل إلى الله أن يوفق المؤتمرين في مدريد إلى السلام"، مؤتمر مدريد الذي أطلق منه موضوعات التطبيع والسلام، هذا الأحمق الحمار الذي يحمل أسفارا، والذي لا يمكن أن يوصف إلا بهذا الوصف، لأن القرآن مؤدب ووصفه بهذا الوصف، ولأنه كلب، هكذا وصفه القرآن (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) يعني إن حملته الدولة يقول، وإن لم تحمله يلهث أيضا، يريد أن يبيع فلسطين!

والذين زعم أنه يدعو لهم هم مَن؟ من الذين اجتمعوا في مدريد؟ شامير وبيريز اليهوديان، ثم فاروق الشرع وزير خارجية النصيرية الرافضة الحلولية الكافرة المارقة، ثم كامل أبو جابر النصراني مندوب الأردن، ثم حنان عشراوي هذه النصرانية التي ذهبت تمثل القضية الفلسطينية، ولم يكن فيهم واحد على مسمى

المسلمين المرتدين إلا المسئول المصري، هؤلاء المؤتمرون: يهودي ونصراني ونصيري ومرتد= قال جلس جنابه هو والشيخ الأعظم يقومان الليل يدعوان لهم ويبتهلان أن يوفقهم إلى السلام!!

ثم يستحقر نفسه ويستحقر المسلمين ويقول: ونحن نقول أن زعماء المسلمين لهم أن يعطوا هذه الفرصة لأنفسهم، لأن المسلمين في حالة ضعف، فإذا غدر اليهود ونقضوا السلام في ذلك الوقت= فلهم أن يقاتلوهم وينبذوا إليهم عهدهم على سواء، وينصرهم الله عليهم كما نصر الرسول عليه الصلاة والسلام على أهل الكتاب!!

ايش هذا الكلام؟! هو ينتظر في سنة ١٩٩٩ أن يعطي اليهود دليلا أنهم نقضوا العهود!!

فهؤلاء العملاء من العلماء الذين يريدون أن يضربوا أساسيات فكرة الخروج على هؤلاء النصارى واليهود الذين نزلوا في أرضنا، هؤلاء أقل ما يمكن أن يقال فيهم، وأقل ما يتوجب علينا أن نضرب شرعية فتاواهم، ونبين أنهم ضلوا، فإذا قال إنسان: هم طيبون يا أخي، مش داريين (لا يعلمون)! إذا نقلهم بشهادته إلى قائمة الحمقى، ونحن لا نرتضي لأنفسنا أن نأخذ ديننا عن أحمق.

وهذا مثال صارخ، وقس عليه غيره، لا أطيل وإن شاء الله سوف نفرد جلسة طيبة منفصلة لهؤلاء العلماء، فنضرب كل الأمثلة التي تواترت على هذا السياق.

الشاهد أن هؤلاء الناس يريدون أن يثبتوا هنا أن القضية غير ملزمة، ونحن نثبت أنها ملزمة فنضرب شرعية النظام، وشرعية علماء النظام، ثم نضرب قضية أنه لا فرصة للنجاح، لأنه إذا كانت فعلا لا فرصة فيها للنجاح= فهذا حكم يؤخذ من العلماء المجاهدين، ولا يؤخذ من العلماء القاعدين، يؤخذ من الناس الذين أبلوا بلاء حسنا في سبيل الله، ضَربوا وضُربوا في سبيل الله، أخافوا وهربوا في سبيل الله، هؤلاء الناس من نأخذ منهم أن هناك نتيجة أو لا، أما رجل لا يدري أصلا على أي ميزان أو أي مقياس هل هناك نتيجة أم لا= فلا نأخذ منه أنه ليس هناك فرصة لنجاح القضية.

فقط إذا أردنا أن نتصدق عليه نتيجة حالة الإفلاس= نأخذ منه أحكام الإسلام العامة غير السياسية، ولو وجدنا مندوحة في أخذ أحكام الطلاق عن رجل غير منافق، فلا نأخذها عن رجل منافق، ولو شرحها أفضل من الأول، ولكن مع ذلك نقول: نأخذ منهم العلوم المجردة، نتيجة أننا في آخر الزمان، وليس هناك من نأخذ منه هذا العلم، فإذا تكلموا –على كل ما هم فيه من فساد– في قضايا الصلاة والزكاة والمواريث والحج وكذا، ثبت لنا أنهم يقولون صوابا، لأنه لا خوف ولا طمع، ولا سياسة، أما عندما يتكلمون في السياسة= فليس فقط لا نأخذ منهم، بل نرد عليهم ونسقط حجتهم ونفضح حالهم.

وسوف نفصل كيف أن علماء المسلمين على مر العصور، وقرأنا مثلا في "تنبيه الغافلين" ما هي أقوال علمائنا من السلف الصالح في العلماء الذين هم على شاكلة هؤلاء، ويا ليتهم كانوا على شاكلتهم، فأولئك خالطوا هارون الرشيد وأبو جعفر المنصور، لا من خالط القذافي وخالط حسني مبارك.

فالشاهد هذه الفقرة تبين لنا أن علينا أن نثبت للناس عدم وجود خيار آخر، والدولة تثبت أن هناك خيارات أخرى، والعمل الإسلامي يحاول أن يوجد خيارات أخرى، ويضيع جهد المسلمين، ويضيع أوقاتهم.

الناس قُتلت وسُجنت من أجل هذا الخيار السلمي، كما في مصر ٢٠ سنة يُقتلون ويُسجنون من أجل هذا الخيار السلمي، ولم يرفعوا سلاحا ولم يفعلوا شيئا، وفي سوريا مثل ذلك، وقل في المغرب مثل ذلك، لم يرفع أحد سلاحا، وعباس مدني وهؤلاء الناس الذين قُتلوا وسُجنوا كان من أجل الخيار السلمي.

وبعد ذلك أن القضية ملزمة، فالحمد لله بعد عشر سنوات من جهد الجماعات الجهادية، لدينا عشرات الكتب وعشرات الأبحاث التي تثبت وجوب الخروج بالأدلة الشرلاعية، وهذا سنفرد له شريطا إن شاء الله، حتى تكتمل السلسلة، نقرأه قراءة هكذا: أدلة وجوب الخروج لقتال اليهود والنصارى، ودفع الصائل، وأدلة وجوب الخروج على الحكام المرتدين، وأدلة وجوب أو جواز قتال أعوانهم من الكافرين أو الجاهلين أو المجبرين، حتى ندفع هذا الصائل، لأنه لا يكون دفع اليهود والنصارى إلا بدفعهم.

ثم بعد ذلك ننتقل إلى أن الفُرصة ممكنة وهذا يجب أن نثبته، وهذا موضوع سياسي، لا أحد يستطيع أن يقول أنه عنده نص من الرب سبحانه وتعالى أن الفُرصة غير ممكنة، ولا أنها ممكنة، ليس أحد عنده نص

يقول أنه إذا ثُرتم في سنة ١٩٩٧ ستفشلون، فهم يسوقون أسبابا حتى يثبتوا أن الفُرصة فاشلة، وهناك من يسوق أسبابا أن الفُرصة ممكنة، فنحن يجب أن نثبت أن دمار النظام العالمي الجديد ممكن، وأن نصرنا عليهم الآن ممكن بكل الموازين السياسية، وبكل الموازين العسكرية.

يتابع فيقول:

[وعندما تبدو القضية عادلة، ويصبح الموقف لا يطاق، ولا يعود من سبيل ضد الطغيان، لا يبقى إلا طريق العمل. **ولا بد عندها من جهد تحضيري ضروري ومنظم، قبل إمكانية افتتاح أية حملة من حرب العصابات**].

وهذا الكلام متأخر عند كل إخواننا الذين بدأوا، ولكن هذه القاعدة مفيدة جدا لمن يريد أن يبدأ، وتفيدنا ونحن نحاول أن نضع تصورات في مواجهة هذه الجملة الصليبية الجديدة.

فيقول: (عندما تبدو القضية عادلة)= فكل قضايانا عادلة، قتال اليهود عادل، وقتال الصليبيين والأمريكان عادل، وقتال الحكام عادل.

(ويصبح الموقف لا يُطاق)= كل العقلاء مجمعون على أن الموقف في البلاد العربية والإسلامية لا يُطاق، لا يُطاق من حيث البعد عن شريعة الله، ولا يُطاق من حيث تحكيم شرائع غير ما أنزل الله، ولا يُطاق من حيث ما ترتب على ذلك من المظالم، ولا يُطاق من حيث نهب الثروات والمجاعات الحاصلة، ولا يُطاق من حيث الآلاف المؤلفة، بل عشرات الآلاف، وبمجموعها في العالم الإسلامي تبلغ مئات الآلاف، تفتح الأخبار: سجون في المغرب، سجون في مصر، سجناء، قنابل، اغتيالات، كل الأخبار الدولية على العالم الإسلامي.

حتى من أسبوع تسمع في الأخبار أن نساء (طشقند): مين كان يسمع عن طشقند؟! طشقند طبعا في الكتب فقط، أن نساء طشقند احتشدوا في عيد الفطر السابق يُطالبون السلطات بالإفراج عن ذويهم المعتقلين! طشقند في أوزبكستان..

فهذا الوضع يمكن أن يسمى بأنه (لا يُطاق).

(ولا يعود من سبيل ضد الطغيان)= فعلا لم يعد هناك من سبيل ضد الطغيان إلا العمل المسلح.

يقول (لا يبقى إلا طريق العمل)= هذا من يقوله؟ يقوله ناس شيوعيون، لا جنة عندهم ولا نار، وينقل عنهم إنسان أمريكي، هدفه من النقل: هو استخراج الخبرة لمكافحتنا، ومع ذلك يسوق قواعد، يقول: إذا صار كذا وكذا= لم يبق إلا طريق العمل، ونحن الذين عندنا جنة وعندنا نار، وعندنا شهداء، وعندنا أجر وعندنا حور عين= لا يزال عند معظم الإسلاميين أن الموقف يُطاق، وأن هناك سبلا كثيرة، وأننا ما زلنا لم نبلغ مستوى الكلاب في الحقارة، لا زلنا نأكل ونشرب ونتنفس.

(ولابد عندها من جهد تحضيري ضروري ومنظم قبل إمكانية افتتاح أي حملة من حرب العصابات)= ليس معناها أنك عندك مناخ ثوري، وعندك مناخ جهادي، وعندك موقف لا يُطاق، يبقى يلا نهرب ٤ مسدسات وشوية متفجرات ونبدأ الثورة! هذا الكلام ليس هذا معناه، بل لابد من جهد، وجهد يعني: تعب ونصب وزمن.

(تحضيري) أنك تحضر لهذه الانطلاقة، صبر أجداد أجدادنا، ثم أجدادنا، ثم آباؤنا، ثم نحن، على هذا البلاء، قرون ثم عشرات السنين، ونستطيع أن نصبر سنة سنتين من الإعداد.

(ولابد عندها من جهد تحضيري ضروري ومنظم)= قلنا مع أن حرب العصابات ليست حربا نظامية، لكنها ليست حرب بدو، فهي تحتاج إلى إدارة وضبط عشرات أضعاف الذي يُطالب به الجندي النظامي، لأن الجندي النظامي تحت يده كل الخدمات اللوجيستية وكل البيروقراطيات، وعنده شرطة عسكرية وسجون، حتى وصل لمستوى من الضبط، نحن نريد مستوى من الضبط من رجل ليس عنده كل هذا.

إلى الآن تأتي إلى معسكر، ورغم كل التربية وكل النداءات= لا يخرج الناس إلى الطابور، وتدخل تجد الفُرش كأن انقلابا حدث داخل الفراش وخرج صاحبه، هذه القضية السخيفة الحقيرة تدل على عقلية غير منظمة، وعقلية لا يمكن أن تدير حربا إذا كانت قائدة، ولا يمكن أن تُدار في الحرب إذا كانت مقودة، نقول: سوف نبدأ دورة في تاريخ كذا، تجد الناس يتقاطرون عليها تباعا مثل المطر، تحتاج لخمسة أيام حتى تستكمل العدد! وسوف نفرد جلسة خاصة للإدارة والتنظيم وضبط الوقت.

أذكر أننا كنا في دورة في بغداد لما كنا نعد الحملات للجهاد في سوريا، جاءونا بأبي أسامة المصري الذي تعرفونه مشهور الآن، وقد حضر كل حروب الإخوان المسلمين في هذا لعصر، أعطانا دورة خاصة، وكان من جملة التدريبات أن أيقظنا مرة الساعة اثنين بالليل (الثانية صباحا)، وقال: الكل جاهز بالسلاح في الساحة، والبرد قارص جدا في بغداد حينها، المهم بين لابس ومتجهز والبدل وكذا.. كنا جاهزين في ثلاثين دقيقة، فأعطانا حفلة تعذيب في البرد نصف الجسد عاري من الساعة الثانية إلى الرابعة صباحا، تدريب وزحف على الأرض التي كالجليد، في اليوم الثاني: انهض.. قال: عندكم اليوم واحدة (حفلة تعذيب أخرى)، انخفض الرقم من ٣٥ دقيقة في الجاهزية إلى ٤ دقائق، فأخذنا حفلة تعذيب ساعتين، وقال: غدا أيضا، في اليوم الثالث تجهز الناس في نصف دقيقة، ٤٥ شخص، نصف دقيقة والعالم جاهزة تدخل معركة، لما دخلوا للنوم كانوا ينامون بعين مفتوحة وعين مغلقة، قال لنا: هذا الجو هو الذي يجب أن يحضرك دوما طول فترة المعركة، لأنك لو غفلت عن هذه القضية يمكن أن تُباد كتيبة، حتى تتجهز.

مشينا مرة في طابور، وكان لا يعرف من يستطيع السباحة ممن لا يستطيع، يلا للأمام سر، واحد اثنين، واحد اثنين، المسبح الذي كان في الثكنة العسكرية كان متجمدا من البرد، وهو: للأمام سر أمام سر، والمسبح في طريقنا، للأمام سر أمام سر، وقعوا جميعا في الماء، تخيل برد و٤ أمتار ماء، وبعد ذلك بدأت عمليات الإنقاذ الذي يتقن السباحة يخرج الذي لا يتقنها، وكاد أن يُقتل أخ معنا، وأنا كان عندي أذن مثقوبة حاولت إفهامه أنني لا أستطيع النزول في الماء= دفعني مباشرة للماء.

فأستعير الآن أن قضية الضبط والربط والسمع والطاعة، لا زال هناك إخوة يأمرهم المدرب بشيء، فيقولوا: هذا من علوم الطواغيت، تصور أن علوم الإدارة أصبحت من علوم الطواغيت.

فالرجل يقول عن الجهد أنه يجب أن يكون منظما، كلمة (منظم) تتطلب منا انقلابا شاملا في أساليب الطعام والشراب والترتيب والتدريب والنظافة، وعندنا قضية النظافة في الإسلام قضية جوهرية، لما وقفت أمام حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: "لا يدخل الجنة إلا نظيف"، قعدت أتأمل الحديث، فالنظافة هي طهر داخلي وخارجي، طهر في النوايا وطهر في البدن وطهر في الثياب، كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعجبه البياض من الثياب، فالقصد أن هذه القضايا البسيطة تصنع عقلية كاملة، فلما يكون الإنسان منظما= تتدرج عقليته، فإذا وُضعت له خطة غير منظمة= يرفضها، وإذا وجد أوامر من الأمير غير منظمة ناقشها، ولا يقول: هذا أميري، وعلى الأقل يقف موقف الحباب بن المنذر: أمنزل أنزلكه الله تعالى، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: فليس هذا بمنزل، فحتى اللهجة تبدو وكأنها شديدة، ليس في ظاهرها ما يتوجب من الأدب، لأن القضية لا تتعلق بالنبوة من حيث العقائد والرسالة، بل تتعلق الآن في هذه اللحظة بجندي صاحب خبرة يكلم قائد الجيش، وليس هناك أدنى شك في أدب الصحابة مع الرسول عليه الصلاة والسلام، وليس هناك أدنى شك أنه لو كان هناك منكر من القول لأنكره الرسول عليه الصلاة والسلام.

فلابد أن نعود الناس أنه من العقل المنظم أن لا نقبل بشيء غير منظم، هذا سينعكس على الناس، لا في الكسب، بل نحن الآن نلعب في مصائر البشر، المسلمين، في دمائهم وأعراضهم، قرار تتخذه أثناء الحرب تتعرض أعراض أمة كاملة للانتهاك، فليست القضية بسيطة.

سيُحاسب الناس على كل جهد غير منظم أدى إلى مصائب، فبعدما تستفرغ قوتك وتُدخل المسلمين في معركة الجسر= طيب خلاص راحت معركة الجسر، ولو كان الناس لا ينزل بهم البلاء لكان الرسول عليه الصلاة والسلام أحق الناس بذلك، ممكن القائد يخطئ وممكن يُخدع.

أنا أتأمل في حديث بئر معونة كيف أن الرسول عليه الصلاة والسلام سمح الله سبحانه وتعالى أن يخدعه —كخطة— الكافرون، ويقومون باستدراج مجموعة من القراء، ثم يذبحونهم، ولو شاء الله لأخبره كما أخبره في قضية حاطب وكما أخبره في الشاة المسمومة، ولكن لم يُخبر، وقُتل سبعون من القراء في مرحلة عدد المسلمين فيها محدود، حتى لا يحتج أحد على قائد خُدع.

فأنت يجب أن يكون عندك جهد ضروري ومنظم، كانوا يقولون أن أحمد شاه مسعود لا ينفذ أي هجوم إلا بتحضير قبله بخمسة أشهر، وفعلا كان قائدا ناجحا، وهو الوحيد الذي استطاع صنع كتلة إلى الآن تقاتل معه، مع أن قوته لا تشكل شيئا الآن بالنسبة لقوة الطالبان والقوى الموجودة في أفغانستان، والفضل لوحيد للفضل الذي عنده بعد قدر الله تعالى أن الرجل منظم، وعقله منظم، لما تسمع عملية استرداده لكابل وخطته= عملية مضحكة، فقط إنسان فاهم وعقليته منظمة ويبني قراره على معلومات، ولما نتكلم عن المؤسسات وطريقة وضع المخطط وطريقة اتخاذ القرار ستجد كل هذا فيها، وأنها فعلا بذل جهد تحضيري، وضروري، ومنظم، قبل إمكانية افتتاح أية حملة من حملات حروب العصابات.

تستطيع أن تؤخر قرار البدء، فإذا بدأت لا تستطيع أن تملك زمام المبادرة باستمرار، عليك فقط أن تتبع المبادرة بينك وبين الدولة، ونذكر بما قلناه أن معركة حرب العصابات هي من الناحية الأيدولوجية هي صراع على الشرعية، ومن الناحية العسكرية صراع على زمام المبادرة، والذي بيده زمام المبادرة هو الذي يكسب على الأرض بمشيئة الله سبحانه وتعالى، والذي يكسب في معركة الشرعية هو الذي يكسب الناس ويتأهل لكسب المعركة.

نتوقف عند هذه النقطة، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك..

من يريد أن يسأل فليتفضل:

الأخ: كلام طويل عن قراءته في "تاريخ ابن كثير" وكيف نظم الناس المقاومة الشعبية، واستطاعوا تحرير بعض المناطق من أيدي الصليبيين.

الشيخ: تعليقا على كلام أخينا، أقول: من أهم الضرورات الآن جمع كل الكتب التاريخية الأثرية مثل "البداية والنهاية"، "تاريخ ابن خلدون"، "تاريخ الطبري"، لأنها شهدت وأرخت لهذه المرحلة، وبعض الكتب المتخصصة في مرحلة الحملات الصليبية كبعض رسالات الدكتوراة، وهذه المرحلة أشبعت تقريبا دراسة، وجمع كل هذه الكتب وإعادة قراءتها قراءة استنباط، أي: كيف هزم المسلمون تلك الحملات؟ ثم جمع كتب الحملات الصليبية الثانية، وهي مرحلة مكافحة الاستعمار، وكلها كتب ترجمها القوميون، ولكن يمكن استخراج من بين السطور الكلام الكفري والقومي ورميه، وأخذ العبرة التاريخية كأحداث، كيف قاوموا هذه الحملات؟

الأخ: في نقطة أخرى، أن ابن تيمية قام بنفسه بإقامة الحدود، في عصر كان السلطان حاضرا، والحكومة شرعية وأحسن من وضعنا الحالي، وأنا استغربت وكنت أتناقش مع أخينا أبي عبد الله، وقلت له: مسألة إقامة الحدود أليست منوطة بالقدرة والاستطاعة، وحتى لا تحدث فتنة، لأنها تعتبر من أعمال السلطة؟

فسبحان الله، السلف أجازوا لأنفسهم أن يقيموا الحدود بما رأوه من حال الناس وحال حكوماتهم، لابد من قيام جماعة بالحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى وإن تجاوزت حد السلطان في قضية إقامة الحدود، بل سيلقى الترحيب والقبول من قبل الناس، لأنهم محبون للإسلام، وسينكرون المنكر، وسيرون في هذه الجماعة وما تقوم به من أعمال أنها تناصر الحق، فلابد أن يؤيدوها ويقفوا معها.

وأيضا، اعترض شيخ الإسلام على السلطان في قضية تولية قاض من قضاة المالكية كان يحقد على جماعة الحسبة، وكان الرجل قد اعتقل عالما، فذهب شيخ الإسلام بنفسه ومعه جماعة من الحنابلة ليخرجه من السجن، وكادت أن تحدث فتنة، لمخالفة شيخ الإسلام لرأي قاضي القضاة المالكي هذا، حتى أن القاضي قال: لو خرج هذا من السجن سأستقيل من منصب القضاء.

الشيخ: يا سيدي على سيرة تصرف ابن تيمية رحمه الله، عدا عن كونه عالم جليل، فهو كان زعيما شعبيا، والشيخ لما طلب الحدود وقام بالحدود كان هناك فراغ في السلطة عمليا، وهذه الفجوة في السلطة

حدثت في بلاد الشام لما تقدم التتار، الذين نُصروا على المسلمين بالرعب، فكانت تسقط بغداد يفر أهل الرقة، يدخلون الرقة يفر أهل دمشق، يدخلوا دمشق يفر الناس إلى مصر، فقام ابن تيمية رحمه الله بمحاولة تثبيت الناس، فلما فر سلطان دمشق وفر الأمراء وانكشفوا، والتتار على مقربة من دمشق قام ابن تيمية بأشياء جديرة بأن تُسجل رحمه الله، شوف:

أول شيء من الناحية الشرعية، دمشق كانت تابعة للماليك، فكتب للسلطان في القاهرة أن بر الشام في ملككم وفي سلطانكم، فإما أن تولوا عليه رجلا يحميه ويقاتل دون المسلمين، أو نولي عليها رجلا من أهلها ولا تكون في سلطانكم، وفي هذه الفترة أجمع أهل دمشق كلهم على ريادته وزعامته، رغم أنه كانت بينه وبين عموم علماء عصره خلافات فقهية كثيرة، لكنه كان رجل المرحلة.

فأذكر له هنا شيئين من التاريخ نستأنس بهما، حتى نشكو إلى الله سبحانه وتعالى حال هؤلاء المسمين زعماء وعلماء ومنسوبين إلى فقه ابن تيمية للأسف:

لما قدمه أهل دمشق، خرج ليفاوض قائد التتار قازان الذي اقترب من دمشق، والحادثة مشهورة جدا، ورواها ابن السبكي، والذي ذكر الحادثة كان معه في الوفد، وكان معهم أيضا قاضي القضاة شهاب الدين، فخرجوا إلى قازان يستعطفوه ألا يحدث الفساد في دمشق، فقالوا لابن تيمية أنت متكلم فقدموه ثم ندموا على هذه الفعلة، قال الراوي: فما زال يحدث السلطان بلهجة عنيفة ويتقرب منه، ويقول له: أنت تزعم أنك مسلم ومعك المؤذنون والقضاة والعلماء، وأبوك هولاكو كان كافرا وما رأينا منه ما رأينا من غدرك وشناعة أعمالك ونهبك للمسلمين، قال: فما زال يكلمه ويدنو منه والسلطان يرجع، حتى اقتربت ركبته من ركبته، ويشير إليه بأصبعه، والسلطان ينظر إلى الترجمان يسأله: من هذا العالم؟ والله لقد وقع له من الهيبة في قلبي ما لم أجده لأحد.

ثم لما انتهى الكلام واشترط الشروط، قدم لهم طعاما فأكل الوفد، وأمسك شيخ الإسلام، فقال: ما لك لا تأكل؟ فقال: وكيف آكله وقد غصبته مما سرق عسكرك من خراف المسلمين، وما قطعتم من أشجار المسلمين، فهذا سحت ولا يجوز أكله، وبعد كل ذلك قال له السلطان: ادعُ لي؟ فرفع يديه وقال: اللهم إن

كنت تعلم أن عبدك هذا قد جاء لينصر دينك ويعلي كلمتك= فأيده وانصره، وإن كنت تعلم أنه جاء ليعتدي على حرمات المسلمين .. .. وكل أعماله= فخذه واقصمه إلخ، قال الراوي: كل ذلك وقازان يؤمن على دعائه، وذكر الراوي أن الوفد جمعوا ثيابهم لا يدرون متى سيُضرب عنقه.

فلما خرجوا من عنده قال له شهاب الدين: لا جزاك الله خيرا، -هادولي علماء دمشق-، كدت تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نعود معك، فقال: بل أنا والله لا أعود معكم، قال الراوي: فعاد في موكب من تلاميذه أربعة أو خمسة، وعاد القاضي مع ثلاثمائة شخص من الوفد والتجار والأعيان، قال: فما تسامع الناس والنساء والقادة أن هناك عالما وشيخا جليلا، حتى خرجوا يلتمسون دعائه وبركته، فما دخل ابن تيمية دمشق إلا في موكب من قواد التتار أكثر من ثلاثمائة فارس، ولما خرج شهاب الدين والآخرون من الطريق العام، قال: خرج لهم اللصوص وقطاع الطرق فسلبوهم ثيابهم.

كان المماليك على حالة من الفساد في العقائد وفي البدع، وهي مذكورة في كتب التاريخ، فلما خرجوا إلى القتال= لم يكتف ابن تيمية بداعية ورئيس وفد ومفاوض ومحاور عن الأمة، بل خرج بنفسه إلى المعركة وجيّش الناس، فلما قيل له: قُد الناس، قال: ليس لي أرب في أن أكون قائدا عسكريا، ولكن فلا، فأخذوا الرجل فولوه على المسلمين راية أهل الشام، قال الراوي: فلما اجتمعنا بعسكر التتار وجدنا ابن تيمية وأخاه قد لبسوا الحديد والدروع، فقال -وهذا سمعته من الشيخ الطريري في السعودية نسأل الله أن يفرج عنه- قال له: أوقفني موقف الموت.

فقال له القائد: تريد موقف الموت؟ انظر من حيث انعقد الغبار -يعني حيث يقدم التتار- فهناك الموت، قال: فأخذ أخاه ونفر من المسلمين وانغمس فيهم حتى ما نراه، ثم بعد أن انقضت المعركة جاء يسأل القائد: ما فعل التتار؟ قال له: نصر الله المسلمين، وانحصر التتار في الوادي.

انظر إلى هذا الذي يذهب ليفاوض ثم يذهب للحرب، فهذه الزعامات طبيعي وتلقائي جدا أن تكون أصبحت عمليا سلطة، حتى لا يُفهم هذا خطأ، لأنه الآن يوجد بعض المشوهين والملحقين والمنسوبين إلى التيار الجهادي يظنون أن مجرد قيامهم بالجهاد يعطيهم الحق في تطبيق الأحكام الشرعية والحدود على

الناس، فهذه لفتة حتى لا يُفهم كلام أخينا خطأ، وهو حصل فعلا في الجزائر، أنهم كانوا يتركون المعركة الأساسية مع الطاغوت ومع اليهود ومع الصليبيين، وينطلقون إلى جيوش الفساق والعصاة من المسلمين ليقيموا فيهم الحدود، فيفتتحون معارك لا قبل لهم بها، ولا أول لها ولا آخر، فلا تُطبق الحدود ولا قام على غيره، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى"، أنا مرة سألت الدكتور فضل لما كانت بعض الأحزاب ملكت أراض، وهذا قبل سقوط كابل، مثلا منطقة بطولها وعرضها تابعة لحكمتيار، منطقة بطولها وعرضها تابعة لفلان، فسألناه عن تطبيق الحدود، فقال: كل واحد بحسبه، الشرط الإلزامي في تطبيق الحدود (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) يعني التمكن في الأرض والقدرة هو أول الشروط.

وحتى لا يُفهم خطأ، الآن لو جئنا للآلاف المؤلفة من المسلمين فسقة، والملايين المملينة من المسلمين عصاة وخمارين، ومستأهلين لكثير من الحدود الشرعية، ونحن لسنا سلطة ولسنا ممكنين، وليس عندنا القدرة أن نحصر كل هؤلاء الناس ونقيم فيهم الحدود.

لما خرج الكتاب الضال لأبي عبد الرحمن أمين بتاع الجماعة الإسلامية المسلحة، كانت هذه الفكرة من مصائبه، قضية تطبيق الحدود الإلزامية على الناس بلا شوكة ولا سلطة، ولما جئنا في لندن نتكلم عنهم دافع عنهم بعض فقهاء لندن المنحرفين، قالوا: إخواننا يزعمون أن عندهم ٢٠٠ كم هم مسيطرون عليها ولا سلطة للدولة فيها، وهذا يعني أنهم تحولوا إلى شوكة!!

قلنا لهم: البارحة كنتم تقولون نريد منه رسالة، يقول: أن الطريق مقطوع بيننا وبين القرية ولا نستطيع أن نرسل فاكس، قلت له: هذا الخليفة الذي سيطر على ٢٠٠ كم مقطوع الطريق بينه وبين القرية؟!! ولا يستطيع أن يرسل رسالة! فأين الشوكة، وسيطرته؟

لو كنتم تفقهون شيئا من العلم العسكري، توجد أراض يسمونها الأراضي المحرمة، وهي التي يسهل أخذها من العدو، وأيضا يسهل أخذ العدو لها منك، فهذه المناطق لا أحد يسيطر عليها لأنها ضعيفة

استراتيجيا، فلو سيطر على ٢٠٠ كم من هذه الأراضي ما بيسمي حاله خليفة ولا أبو جعفر المنصور، ثم يطبق الأحكام ويكون لها أثر سلبي، لأنها ليس قادرا عليها.

نعم لو مكن الله أمثاله من قطعة من الأرض، وتمكن بشوكة وأعوان، ولم يطبق الشريعة= يكون هذا من علامات أنه ليس على الحق، كما حصل من الأحزاب في كابل لما دخلوها ولم يطبقوا الشريعة.

لكن إن صار إنسان من أهل الحسبة كما كان حال الإمام ابن تيمية، وصارت له سلطة والناس تداعت وتآلفت ودعمته وأيدته= فإقامة الحدود ساعتها من واجباته، وهي من أثر الزعامة الشعبية.

هذا تعليق على كلام أخينا.

هل يريد أحد آخر أن يتكلم، نعم اتفضل..

الأخ: متى ما نريد برلمانات فهذا يمتص غضب الشعب، فلا يوفر لدينا مناخ ثوري، إذا لا يتسنى لنا نجاح حرب العصابات، ويعتمد هذا على أن القاعدة الشعبية هي عنصر مهم جدا في استمرار الجهاد في سبيل الله، علما بأن حرب العصابات تعتمد على عنصرين اثنين: أ- الشعب. ب- الأرض.

فإذا لم يتوفر لدينا الشعب، وكذلك إذا لم تتوفر لدينا الأرض حيث تكون صالحة للجهاد في سبيل الله والانطلاق، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها، فعند وجود الجبال وعدم وجود الشعب، هل يتسنى لنا أن نبدأ في الجهاد؟ أو كم نسبة وتقدير نجاح الجهاد في هذه الحالة؟

الشيخ: كما قلنا البارحة، هذه الشروط عندما نتكلم عليها نذكرها بصورة أكاديمية بحتة، وهي النموذج المثالي كما قلنا، ويجب أن نذكر ابتداء حتى لا يحصل من قبلنا نسيان أو تناسٍ، أو من قبل من يريد أن يصطاد في الماء العكر حول كلامنا، فيجب أن نذكر دائما أن بصفتنا مسلمين، وبصفتنا مؤمنين، وبصفتنا مجاهدين كما نتمنى من الله سبحانه وتعالى، فإن العنصر الأساسي في توخي النصر وتوخي النجاح هو

رضاء الله سبحانه وتعالى، وفهمنا لقوله (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة)، وكل الأمور التي هي خارجة عن هذه المحاضرات المعنية بعالم الأسباب، يجب أن يكون لنا محاضرات في موضوع العقائد وابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى.

ولكن إذا عدنا إلى عالم الأسباب لنتكلم، نقول أن وجود أرض تمكنك من أن تناور فيها، وتشكل لك حاجزا طبيعيا ومانعا طبيعيا، وهذه الموانع الطبيعية قد تكون –وهي أنسب الصور– جبالا وعرة وممتدة لمسافات كثيرة، وقد تكون غابات كثيفة من الأشجار كما كان الحال في فيتنام، لم تكن فيها جبال كثيرة ولكن مناطق حرجية واسعة، وقد تكون مدنا صناعية ضخمة مثل القاهرة مثلا، مدن لا يمكن تفتيشها دفعة واحدة، أنا شهدت تمشيط مدينة حلب، وهي مدينة كبيرة، ومع ذلك حصرها حوالي ٢٥ ألف جندي وانتشر فيها ٤٠ ألف مخبر، وتضافرت فيها قوى الأمن ومُشطت المدينة كلها بيتا بيتا، فالمدن الصناعية الكبرى والتجمعات الزراعية الواسعة كما الحال في حقول القصب الآن في الصعيد، المهم أي مانع طبيعي يشكل مادة للاختفاء كأرض كجغرافيا كمتاريس، فهذا شرط أساسي من شروط حرب العصابات.

الأمر الثاني: أن هذا المانع الطبيعي حتى لو توفر، يجب أن يتوفر معه أن العنصر البشري السكاني الذي يسكن، هذا المانع الطبيعي هو مؤيد، بحيث يدلك ولا يدل عليك، يعطيك ولا يعطي عليك، يحميك ولا يحمي عليك، فإذا توفر هذان العاملان فهذه الشروط النموذجية.

فإذا لم يتوفر أحدهما فهذا يعني وجود خلل في المعدات التي عندك، فإذا تخلف سبب من الأسباب يجب عليك أن تكيف الخطة حتى تتغلب على هذا العنصر، فإذا تخلف كلا العنصرين، فغاب عنصر الشعب وغاب عنصر الأرض كما هو الحال في بعض الرقع= فالحقيقة الوضع صعب جدا جدا، بما يفضي إلى تغيير التفكير في آلية المسألة كلها.

وأعتقد من الحلول المطروحة الآن عملية الانتقال من الجهاد القطري إلى الجهاد الإقليمي، ومن الجهاد القطري الإقليمي إلى الجهاد الأممي، بحيث أن أراضي المسلمين على مستوى الإقليم فيها تكامل، يعني مثلا

سوريا فيها شعب، فيها مدن كبرى، لبنان في خاصرتها جبال كثيرة جدا، الأردن أراض صحراوية لكن موفرة خطوط اتصال مع العدو، وعملية التهييج مع اليهود، ١٥٠ كم طول الجبهة بين الأردن واليهود.

فلما يأتي أحد يقول أنه سيثور في البحرين، فايش معطيات البحرين أرضا وشعبا؟! أو من يريد عمل ثورة على مستوى منطقة محصورة.

فالشاهد أنه إذا تخلف أحد العنصرين فهذا يشكل أزمة، أما إذا تخلف العنصران معا —وخاصة عامل الشعب فهو مهم عشرات الأضعاف عن عامل الأرض، لأن الشعب يمكن أن يتحول أرضا لك تختفي فيه، أما الأرض فلا يمكن أن تتحول لك شعبا، خاصة خطوط التمويل والإمداد وكذا- فإذا تخلفت هذه العناصر= فيجب السعي إلى إيجادها، وهذا في حال أنك بالخيار، يعني أنت تخطط لقيام حرب عصابات، وبالتالي معك المدة والزمن أن تعد وتهيئ هذه الطروف.

ولكن كما قلنا أحيانا قد يحدث قسر وإكراه حتى تبدأ، فعند ذلك تتوكل على الله سبحانه وتعالى وتصبح ضمن ضرورات شرعية، تتوكل على الله سبحانه وتعالى وتودي فريضة، ولو كان المصير الذي أنت مرشح له هو مصير أصحاب الأخدود، فإذا ألزم الإنسان كعالم أو رأس للأمة أن يقف موقفا لا يستطيع أن يأخذ فيه بالتقية= فعليه أن يكون أحمد بن حنبل، بصرف النظر عن موازين القوى، أحيانا الظروف توجب عليك أن تقف موقفا شرعيا معينا، الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان"، وقال العلماء: إذا سُبيت امرأة في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها، فقضايا العرض ودفع الصائل ليس لها كبير علاقة بعوامل النجاح.

ولكن نحن نتكلم عن ظروف مثالية، حتى يسعى الإنسان أن يُوفر ما أمكنه منها ويتحرك، وإذا أراد أن يتحرك وليس عنده هذه الظروف المثالية، فحتى يعرف مسبقا أن عدم توفر هذه العناصر قد يضعه أمام خيار يسمونه "انتحاري"، ونحن نسميه "خيار استشهادي"، أن الإنسان قَبِل الحق وتوكل على الله سبحانه وتعالى ولأنه أكره (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)، فهو يتوكل على الله، لكن علمه بعالم الأسباب يجعله يفكر في الثغرات التي يمكن أن يؤتى منها، فهذا علم مجرد.

نحن نقول مثلا: إذا أراد الإنسان أن يسبح مسافات طويلة، فعليه أن يتحلى بنفس طويل، ويكون تدرب قبل ذلك وتأكد من نفسه إلخ، فعند ذلك يسبح، الآن نأتي ونقول: إنسان سقط من القارب وعليه أن يسبح مسافة طويلة، نحن نتوقع أنه لن يصل للشاطئ، هذا في عالم الأسباب، قد يسوق الله له خشبة أو قاربا آخر، يصير زلزال تطلع تحته جزيرة فيقف على رجليه، أي مصيبة، لكن نحن نتكلم عن ظروف نموذجية، بعد ذلك الإلجاء الشرعي.

البارحة كنا نتكلم عن إخواننا التركستان، أنهم ما أعدوا ما يمكن أن يبدأوا به، وكان يترتب على إعلان جماعتهم خطورة أمنية وملاحقة وتحركهم في بعض الدول، ولكن إن نشأ إكراه، لا إكراه من الصين ولا شيء، بل هو إكراه سياسي محض، وأنا أعتبره أشد بكثير من الإكراه الإجباري من الدولة كما حصل في ليبيا، تكتشفك الدولة فتضطرك للبدء، وكما حصل في مصر، تأتي الدولة لتصفي قيادات الجماعة الإسلامية، فتبدأ الجماعة الإسلامية بفعل معاكس، بعد ذلك تختلف الآراء: نحن استعجلنا، ما استعجلنا، ولكن نحن نُصفى مجانا.

كما حصل في أهل حماة، ناس تفجر عليهم القواعد، عرفت الدولة المخطط الأساسي وأصبحت الدولة تأتي للقاعدة، فلما نزل عدنان عقلة وتكلم مع أبي بكر عمر جواد وخرج، قال له: أخبر الإخوان في الخارج أننا نتيجة حالة الاعتقال الجماعي طبقوا علينا نظام تشيكوسلوفاكيا، يأخذون في اليوم ألف معتقل من الشوارع، تعذيب وضرب، تعذيب وضرب، يظهر منهم ١٠٠ شخص يمكن أن يكون لهم علاقة بالتنظيم، ثم تعذيب وضرب واغتصاب، يظهر ١٠ أشخاص لهم علاقة بالتنظيم، وحماة مدينة صغيرة ٤٠٠ ألف شخص، فعلى مدى أربعة أشهر بثلاثة أطواق من الحصار= كشفت الدولة كل العلاقات التنظيمية، كل القواعد، كل العناوين، كل المستودعات صارت بحوزتها، الأول كانت تأتي للقاعدة تشتبك، اخرجوا ما نخرج، قتال ضرب، ١٠ من الإخوة ٣٠٠ من الدولة، الدولة بعد ذلك لم تكلف نفسها، صارت تأتي إلى البناء فيه من فيه من السكان، تضع عليه ١٠٠ كجم من المتفجرات، بوووم راح المجاهدين والسكان!! ٤ قواعد، ٥قواعد، ١٠ قواعد، فقال له: قل للإخوة نحن سنذهب مجانا، وعلينا أن نخرج، نعطي أهل السنة من الجيش فرصة، لعلهم ينشقون غيرة على المسلمين، نعطي البلد فرصة للثورة، نعطي الإخوان في الخارج

فُرصة للمساهمة والمشاركة، فقل لهم: أننا سنفجر الوضع في ٢٥ يناير ١٩٨٢، ومن أجلكم أتصور أن أتمكن من التأجيل أسبوع إلى عشرة أيام على الأكثر، وإلا سنذهب مجانا، أنا معك الآن في قاعدة عنوانها مع الدولة، ونحن نتنصت عليهم في اللاسلكي، ونعرف أنهم يعرفون أنني في المكان الفلاني.

المهم في يوم ٢ من شهر شباط مثل هذا الشهر من سنة ١٩٨٢، قبل ١٥ سنة، قررت الدولة أن تزحف على القاعدة الأساسية، فأمر مجموعة من القواعد أن تشتبك معهم على الإطار وردوها، ولم يعطهم فرصة، وبعد الفجر نادى المجاهدون في المساجد في كل المدينة: حي على الجهاد، وأخرجوا السلاح الذي أرسلناه لهم من بغداد، فأخرج ١٥ ألف قطعة كلاشينكوف، وكان السكان متلهفين للقتال معهم، فاحتل المدينة وأخذ حامية مخابرات وأعدم كل المخبرين وسيطر على المدينة، ثم قاوموا ٥٠٠ واحد من المجاهدين و١٥ ألف واحد من السكان، بالإضافة لمن اشترك معهم ممن كان يملك سلاحه، وكانت النساء تملأ مخازن الذخيرة والرجال يقاتلون، قصة جميلة وطويلة.

المهم الذي حصل أن أُبيدت الحركة، فيأتي رجل متكئ على أريكته ويقول: أصلا الإخوة استعجلوا بحرب عصابات واصطدموا! من كان عنده القدرة أصلا أن يفكر يخرج ولا ما يخرج؟! تذهب مجانا، ولا ما تذهب مجانا؟! كما يأتي رجل ويتفلسف على الجماعة الإسلامية الآن ويقول: بدأتم مبكرا، أو يأتي إلى الجماعة المقاتلة ويقول: كان ممكن وما كان ممكن!

في حالات من الإلزام، وُرط الإنسان، فعليه أن يلجأ إلى مخطط احتياطي ويقول: نبني من خلال المعركة، ولكن هذا الذي يبني من خلال المعركة، يجب أن يعلم أن هناك عوامل متخلفة، فيحاول أن يعوضها، فإذا قُهر وأُلجأ فليس له إلا الله أولا وآخرا، بالعوامل أو بدون العوامل.

نسأل الله لكم الخير، نقف هنا.

أخونا يقول: نحن معتقدون في البعد العقدي وتأيد الله سبحانه وتعالى، ولكن في عالم الأسباب هناك جماعة أعدت العدة وتريد أن تبدأ، وتبين لها أن عامل الأرض مفقود، وعامل الشعب مفقود، فهل تبدأ أو لا؟

فأقول هنا جملة من الأمور يجب أن نثبتها:

أولا: إذا كان خروج هذه الجماعة خروجا ملجئا وإجباريا بسبب من الأسباب، لأنه مثلا بدأت معه المعركة وسيتعرض للتصفية، أو لأن الوضع الشرعي يوجب عليها الخروج ولو كان مصيرها كمصير أصحاب الأخدود، فهي ستخرج بصرف النظر عن العوامل وستكمل العوامل واحدا بعد الآخر.

أما إذا كان عندها مندوحة وتستطيع أن تخرج أو لا، فالذي أقوله –هذا موضوع خبرة ورأي قد يخطئ وقد يصيب- أنه إذا كان هذا العامل المفقود هو من العوامل المقدور على تلافي أثرها، كفقدان نوع من السلاح أو فقدان تضاريس من الأرض= فيمكنك أنم تبدأ وتستكمل خلال المعركة، لأن هناك بعض عوامل نجاح حرب العصابات تكون غير متوفرة، فلما تبدأ تتوفر، وهذا من توفيق الله سبحانه وتعالى ومن بركة البدء، هذا يسمونه "البناء من خلال المعركة".

لكن هناك عامل واحد إذا فُقد، فعلى الجماعة التي تريد أن تبدأ الجهاد أن تحسب ألف حساب ومليون حساب قبل أن تبدأ، وهو: تأييد الشعب المسلم في هذه البلد لهذه القضية، يعني تضاريس الأرض يمكن التغلب عليها، والتحول من حرب الجبال إلى حرب الأرياف، أو من حرب الأرياف إلى حرب المدن، فتلافي مشكلة الأرض هو ابتكار أي أسلوب لمواجهة الدولة، أما أن تريد أن تتحرك ضمن شعب مؤيد للدولة مبغض للحركة= فهذا عامل إذا تخلف نقول لا يبدأون، إلا إذا رجعنا للحالة الأولى: إلزام شرعي في البدء، أو إلزام ظرفي للبدء، أما هو بالخيار في البدء أو التأخر، ورأى أن الشعب مع الدولة= فهذا لا يبدأ.

لأن حرب العصابات مثل أي عمل، لابد له من أسباب، وأنت مأمور شرعا باستكمال الأسباب، فالشعب المسلم –كما مر معنا- أنت تقاتل باسمه، وخرجت لتنصره وتدافع عنه هو، وهذا غير دفع الصائل، لا ينتظر تأييد الشعب أصلا، يعني أحيانا أنت ظُلمت.. جاء سليمان الحلبي يقتل كليبر، فهذه

ليست حرب العصابات ولا قال له أحد: أنت الشعب ما أيدك، هو قتل كليبر والشعب المصري كله يكره كليبر، فدفع الصائل والنكاية في العدو والانغماس في العدو لرفع معنويات المسلمين= ليس منه، وإنما نحن نتكلم عن ناس تخطط لحركة تريد أن تتتابع، وتؤدي إلى إسقاط نظام الكفر وقيام نظام الإسلام، هذا الأمر يجب أن يتوفر له إقناع الناس، حتى يدخل الناس في الحركة، ولا أنت بمن ستقاتل وكيف ستقاتل؟

إذا تخلف عامل تأييد الشعب= فلن تقوم العصابات في عالم الأسباب، إلا إذا شاء الله أن يعطل الأسباب، إذا كان الشعب كاره للحركة مؤيد للنظام، فالذي سيحصل والله أعلم أن الحركة ستقوم بعدة عمليات، والشعب يكون كله عيون للسلطة، فيدلها على مواقع الحركة، وعلى أخبارها، فتتكشف بسرعة وتُضرب بسرعة، فإذا هرب منهم واحد لا يجد من يؤيه، فإذا جاع لا يجد من يعطيه، فإذا أراد سلاحا لم يجد من يسلحه، فمعناها سينتهي.

فإذا رأى الإنسان أن هذه هي النتيجة بهذا الشكل= فلا يبدأ، إذا كان غرضه كما قلنا حرب عصابات وإسقاط نظام وقيام آخر، فهذا لا يكون والله أعلم، أما إذا كان هدفه نكاية الكفر، ودفع الصائل، وتحقيق سنة عدم دوام الظالم= فيقوم، لأنه ليس هدفه حرب العصابات.

لكن أريد أن أقول أنه ليس هناك معضلة ليس لها حل -إلا في النادر- ، يعني هو يرى أن الشعب كاره إذا طرح الطرح بهذا الأسلوب، فيجب عليه أن يطرح بأسلوب آخر، يبحث عن مفتاح صراع آخر، ولذلك نحن نفكر في نقل موضوع قتال الحكومات على أساس مرتدين -وهم مرتدون فعلا- إلى قتال اليهود والنصارى، وقتال الحكومات من ورائها كحكومات عميلة موالية لليهود والنصارى، فإذا نقلنا هذه النقلة فيوجد شرائح كبيرة جدا من الناس، لا يمكن أن تقف معنا على الأساس أول، ولكن تقف على الثاني، فمفتاح الصراع يمسك بكل المفاتيح.

لا تبدأ إلا إذا غلب على ظنك توفير أكبر عوامل نجاح ممكنة، ولا أريد أن يخطئ أحد في الفرق بين عدم البدء بالنسبة لصاحب المخطط المتتابع المتكامل، والبدء إذا كان هدفه النكاية ودفع الصائل، وفي هذه الحالة يُنصح جدا بالأعمال النوعية، وهي اغتيال رؤوس الدولة لتحقيق النكاية، ومعظم الأنظمة في العالم

العربي والإسلامي عبارة عن أهرام واقفة على رؤوسها، يعني النظام المصري نظام مؤسساتي، قُتل السادات= استتب الوضع للذي بعده خلال يومين، ومثل النظام السوري مؤخرا، ولكن هناك أنظمة رأسية واقفة على شخص مثل النظام الأردني واقف على الملك وأخي الملك، والأسرة المالكة أصلا غريبة على البلد وليس لها جذور ولا عشيرة، هو ضيف جاء صار ملكا، ومثل النظام الليبي واقف على شخص، لو قُتل هذا الشخص فليس هناك خيار آخر.

فالنظم المؤسساتية لا يصلح معها إلا حرب طويلة، والنظم الهرمية التي تقف على قعرها إذا تهدم رأس الهرم= تتتابع الأحجار فيسقط الهرم، بينما الأهرام الراسخة رأس الهرم فيها مجرد حجر، لو سقط لوضع مكانه حجر آخر بكل بساطة.

فالجماعات التي تريد أن تجاهد في سبيل الله في مناطق ليس لها فيها تأييد شعبي .. .. ، تؤول المسألة في الآخر وننصح أنه على كل الجماعات الجهادية أن تذهب إلى مصنع مفاتيح، وتعيد تصنيع مفاتيح الصراع الخاصة بها، وسنجد في موضوع اليهود والنصارى والتطبيع ودفع الصائل مداخل كبيرة ورائعة جدا، والحظ والتوفيق للجميع.

ولكن أقول خاصة للذي لم يبدأ بعد، وبإمكانه أن يبدأ بمفتاح صحيح، خاصة إذا كان الله أنعم عليه بوجود يهود، بوجود صليبيين، بوجود نصارى، بوجود قواعد أجنبية، بوجود مصالح، بوجود استثمارات أجنبية، ومعظم المناطق الإسلامية فيها هذه المشكلة، الشرق الأوسط فيه قعر وعصب المصيبة، فيه اليهود والحدود الطويلة المفتوحة عليهم، وهذا مفتاح للصراع، أنت ستذهب لقتال اليهود فيقتلك الجيش الأردني، تذهب لتضرب ضابطا من المخابرات الكل يتحزب عليك ولماذا تذهب وكذا، السعودية والخليج= نزلوا في عقر جزيرة العرب، وشعار "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" يشمل اليمن ويهودها ومن فيها، ويشمل المصالح الأجنبية، ثم يشمل الإمارات العربية كلها من البحرين والكويت، العراق نزل فيها الصليبيون.

لا تكاد تجد استثناء إلا في النادر كبعض الدول التي لها حالة خاصة بها كليبيا، وهناك القضية أقرب إلى دفع الصائل والإكراه والإجبار لدفع المصيبة التي حلت بالمسلمين، من كونها مخطط يطيح بالنظام ويقيم نظاما إسلاميا، حتى هم على ما فهمت منهم ليس هذا طرحهم.

فالقصد أن الشعار العام الآن وصف نزول الأمريكان، تقريبا العالم الإسلامي كله فيه مفتاح اليهود والنصارى، الباكستان الآن يباع كل القطاع العام لليهود والشركات الأمريكية، من شركة المياة إلى شركة الكهرباء، كل القضايا فيها يهود، بدهم يشتروا الأكسجين الذي في الهواء، فلو أدخلنا الناس من هذه المفاتيح لن يكون هناك مشكلة بيننا وبين الشعب، ولا حتى بيننا وبين عصاة وفساق المسلمين.

اتفضل:

الأخ: بسم الله الرحمن الرحيم، أول أمس وأمس كنا نتكلم عن موضوع الشرعية، وقلنا أن أي جماعة لتقوم بعمل جهادي لابد أن تختار هدفا وتحرض به الشعب، بحيث يصبح متضامنا مع هذا الهدف، والدول عندها شرعية أخرى، بحيث يكون هناك مصداقية له عند الشعب، مثل خيار البرلمان أو الانتخابات البلدية أو مجلس الشورى، فنحن مثلا كإسلاميين كل جماعة تريد تغيير النظام، فما هي الأشياء مثلا التي تطرحها على الشعب بحيث تكسب تأييدهم ونصرهم ويكونون معك في نفس الخندق ويدافعون عن آرائك؟

الشيخ: هل تتكلم عن وعود ما بعد عملك؟

الأخ: نعم.

الشيخ: هذا موضوع غير الذي تكلمنا فيه، ومع ذلك يجب أن نتكلم فيه، أقول:

بالنسبة للشرعية التي تكلمنا عنها، هو أن الأنظمة عندها شرعية قائمة الآن، ومعركة الشرعية التي بيننا وبينها هي نفس شرعيتها الآن، ونحن نقول للناس أننا الشرعيون، وهم ليسوا من شرع الله في شيء، وليسوا في حكم الله، ويحكمون بغير ما أنزل الله، هم في مظالم وفي أكل أموال الناس بالباطل، وفي أعراض وفي مشاكل، فنحن نريد أن نثبت أن ما يزعمه علماؤهم وإعلامهم وشعراؤهم وكتابهم من عكس هذه الصورة هو خاطيء، فهذا هو تحطيم الشرعية، بحيث يبدو، كما قال الكاتب في فقرة ستأتي: (وتغذية دعاية مكثفة بكل الوسائل المتصورة، بغية تحقيق هدفين: إضاءة (صورة) الثوار وتقويتها، وتسويد سمعة النظام) يعني مهمة كل شغلك تسويد سمعة النظام وإضاءة صورة الثوار.

الثوار ليسوا دولة، والناس لا يطالبونهم بشرعية ما بعد الحكم، أي: لا يقولون لهم: كيف ستحكم؟ وكيف ستكون؟ وإنما الناس يطالبونهم بـ: هل هم قادرون على إسقاط هذا البلاء ودفعه؟ بصرف النظر عن لما ستحكمون: هل ستحققون هذه الوعود ولا نصفها ولا كلها! يعني همّ الناس هو دفع البلاء، إزالة اليهود والنصارى ودفعهم وإبعادهم عن المسلمين موضوع شرعي، ليس له علاقة بالصورة التي سنحكم بها فيما بعد، هذا دفع صائل كل عقول المسلمين تفهم أننا لابد أن نقاتل اليهود والنصارى، بصرف النظر عما ستؤول إليه الأحوال على أيدينا فيما بعد.

قتال الأنظمة المرتدة والأنظمة الظالمة الناس تطالبك فيه بما تقوله من إزالة النظام وإعادة الحقوق، ثم يجب أن يكون للتنظيمات الإسلامية والجهادية خطاب شرعي بالحقوق التي يعطاها الإنسان المسلم، بالحقوق التي للرعية على الحاكم، وعندنا أمثلة كثيرة في التاريخ عن التكافل الاجتماعي وأن الذي ليس له عمل ولا مكسب فعلى بيت المال إعالته، والأرامل واليتامى لهم حقوق، وأصحاب الديون والعزّاب الذين لم يتزوجوا.. كل هؤلاء الناس لهم حقوق على الدولة.

ونحن الحمد لله بلاد غنية جدا، فإذا حكمنا أنفسنا بأنفسنا، فما عندنا من ثروات وما عندنا من أموال وما عندنا من أملاك خاصة بنا كمسلمين= يمكن لأي سلطة –حتى لو لم تكن إسلامية– أي سلطة شريفة لا تنهب، أن تحدث انقلابا جذريا في أوضاع المسلمين.

فأنت، يوجد ظلم= ستعد بزوال الظلم، يوجد فقر= ستعد بزوال الفقر، ولكن يجب أن نربط هذا بالجوهر الأساسي أن كل ما هم فيه من بلاء بسبب الحكم بغير ما أنزل الله، وكل ما نعد من خير مربوط كنتيجة بالحكم بما أنزل الله، وهكذا يزول الإشكال بين الدعوة والقتال تحت راية لا إله إلا الله، وذكر تفاصيل الحياة اليومية وأمور العدالة، ولا يتعارض هذا مع طرحنا أننا قمنا من أجل إقامة حكم الله.

ولكن، ليس هذا هو المقصود بقضية إسقاط الشرعية، يعني نحن الآن في المرحلة الأولى يجب أن نُسقط شرعية النظام، ولسنا مطالبين كثيرا بإبراز شكل شرعيتنا، ولكن نحن يجب أن نحارب النظام بإسقاط شرعيته، لأنه عندنا معركة شديدة جدا وهي أن لسان حال النظام بما أتى به من العلماء والدعاة والإعلام، فنحن نوصف بصفات سلبية من قبل العدو، والتي يريد إعلام النظام ترسيخها في عقول الناس.

يعني عندك فعلا من مفتي الدولة والشيخ ابن باز إلى المطرب محمد عبده إلى كل حفلات الرقص النسائية والرجالية التي في العربات، ايش بيسموها تبعكن؟ الحفلة السنوية ايش بيسموها؟ نعم، الجنادرية، من ابن باز إلى الجنادرية إلى الشعراء إلى الكتاب: رسالة واحدة يريدون أن يؤدوها، عندكم في مصر من الشعراوي إلى المسارح، في رمضان كنت فاتح التلفزيون أبحث عن الأخبار، فقدرا شفت مسلسل مصري طالع ولقيتها بتقول: المتطرفين والتكفير، فقلت: ده بيحكوا علينا وعلى أصحابنا، ايش القصة؟ فالمسلسل مشترك فيه زبدة الممثلين المصريين، حتى فيه ليلى علوي وحشد كبير من الممثلين المصريين، والمسلسل اسمه "العائلة"، وموضوع المسلسل كله كان في الحلقة ٥٠: الحركات الإسلامية والإرهاب، فبدءا من التمثيل إلى الأفلام إلى "الإرهابي": يريدون أن يسمونا بصفات معينة، أننا متطرفون تكفير خوارج إرهابيون، دمويون جهلة رجعيون، ندير عجلة التاريخ إلى الوراء، كل بحسبه، وتسويد سمعة المجاهدين والخارجين عن القانون، وتحسين سمعة النظام، والذي هو شعبي ووطني وعمل رفاة وتنمية وتخضير الصحراء.

فنحن مهمتنا ضرب هذه الشرعية بالعكس، ولذلك من أنجح الأمور حتى أني كنت أنصح الإخوة الذين جاهدوا في الجزيرة أنهم يجب أن يقنعوا طائفة من العلماء ولو من أنصاف العلماء ولو من الدرجة الثالثة من طلبة العلم، أن يخرج سفر سلمان ناصر العمر، أي اسم لمع في المعارضة، إذا خرجوا فهناك ملك يمثل رمزا

سياسيا للسلطة، والمعارضة لها رموز سياسية، وهناك ابن باز وهيئة كبار العلماء، فهنا نقول أيضا عندنا علماء، يعني عندكم سياسة عندنا سياسة، عندكم علماء عندنا علماء، عندكم جيش عندنا جيش، فيحصل تكافؤ في الحرب.

الثورات الإسلامية الجهادية يجب أن يكون لها رموز من العلماء، فإذا لم تجد يجب أن تصنع لها رموزا، وصناعة الرموز من خلال المعركة أمر سهل جدا، يعني من كان في الشام كانت أسماء مجهولة ليست معروفة إطلاقا: إبراهيم يوسف وعدنان عقلة، شباب في أعمارنا وأصغر من أعمارنا الآن، لما انطلقوا وأثبتوا فعاليتهم مباشرة الناس صارت تقول: الشيخ إبراهيم يوسف، أسهل شغلة أن تعمل شيخ وكل واحد شيخ، يعني كل واحد بيصير رمز بيشيخوه في العمل الإسلامي، فالناس بحاجة إلى رموز.

فنحن يجب أن نُسقط شيوخ الدولة، رموز الدولة السياسة، إعلام الدولة، شعراء الدولة، تلفزيون الدولة، أخبار الدولة، مؤسسات الدولة، جيش الدولة، حلفاء الدولة، كل من في طرف الدولة، وبالمقابل نبني لنا ذلك، يجب أن يكون عندنا شرعية، ولذلك الآن المجاهدون في كل نشراتهم يقولون: استفتينا أحد علماء الجزيرة فقال كذا وكذا، وطلب منا عدم ذكر اسمه، حتى نقول للناس أننا معنا علماء، لكن خائفون من ذكر أسمائهم، ولكن يا حسرة على هذا الزمان، لا نستطيع أن نقول: معنا فلان واسمه فلان بن فلان.

لما ذهب الخميني ممثلا مرجعية شرعية لكل الشيعة= صاروا يؤلهونه إلا قليلا، قال الخميني كذا، خلاص اطلعوا اطلعوا، انزلوا انزلوا، وصار الكاسيت (الشريط) يحرك الشارع.

رموز الصحوة في الجزيرة في ظل ما سموه بـ "حرب الكاسيت" كانت من أنجح عمليات المعارضة الشعبية، ومهدت السبيل أمام قيام الجهاد، ثم ذهب العمل كله بسجن الشيوخ بلا طائل، وكان يمكن أن يُبنى عليه، نشر أحد دكاترة الجامعة –نسيت اسمه الآن– نشر شريطين، وكان حدثني واحد من المعارضة السعودية في جامعة الملك عبد العزيز أنه وُزع ٦٠ ألف شريط في جدة، ورصدت المخابرات أنه خلال الشهر الأول وُزع ٢ مليون نسخة من محاضراته، وكانت بداية الانطلاق، واسم حتى ليس مشهورا بما يكفي.

فلما الثورة يكون فيها رموز كثيرة، يقدمون الآية والآية والحجة والدليل، ذهب واحد جاء آخر، فتستطيع أن تقول: في مقابل ابن باز، في مقابل فلان، في مقابل علان، حتى واحد من الشباب الديموقراطيين في الحركات الإسلامة قال لي: تعال نتكلم، أنت تقول الديموقراطية غلط، أنا الآن على الواقف أسجل لك ١٥٠ اسما من علماء وقادة عمل إسلامي ومفكرين مسلمين يؤيدون الديموقراطية، إما يدعون لها، أو مارسوها فعلا، أولهم ابن باز وآخرهم الزنداني، هات لي أنت عشرة أسماء معتبرة تقول أن الديموقراطية حرام لا تجوز، فقلت له: ايش بدي أعمل لسيادتك ان احنا جئنا في زمان أبرز الناس فيه جاهل ومصيبة، لكن هذا أنا أفهمه وأنت تفهمه، لا تفهمه أمة بطولها وعرضها.

فلابد أن يكون للثورة رموز تثبت شرعيتها، لذلك نحن تمسكنا بالدكتور عمر، الدكتور عمر، الدكتور عمر فرج الله عنه، والشيخ عبد الله عزام، الشيخ عبد الله عزام، واحد قتلوه لم يفكر أحد من قتله؟ ولا كيف نأخذ بثأره؟ والثاني أخذوه الآن، ولا أحد له علاقة.

سلمان العودة وسفر الحوالي والآخرون كان يمكن أن يكونوا رموزا للصحوة، أنا أحبهم جدا حتى لا يظن ظان أن هذا الكلام تشنيع عليهم، أولا: أول جناية جنوها علينا وعلى أنفسهم أنهم لم يخرجوا في الوقت الضائع للخارج، وتحولوا إلى رموز لهذا الإصلاح ولهذه الثورة في المملكة، وكانوا يظنون أن العمل في الداخل.

ثم بعد أن سُجنوا ووقع القدر= لم ينصرهم أحد، ولا تلاميذهم ولا طلبة العلم، الحركة كلها لم تحترم رموزها، هل تتصور أنت أن نظام المملكة في الجزيرة كان قادرا على إطلاق النار على مظاهرة ويقتل ١٠ آلاف رجل، هل ممكن؟ ليس ممكنا، في الجزيرة ما ممكن، قبائل ودماء وعلاقات وأعراف، لا يمكن للنظام أن يدخل الناس في قضية مثل ما حصل في مصر ولا في المغرب، ومع ذلك ايش يخشى الرجل في الجزيرة أن يجتمع ألف شخص في ليلة ٢٧ من رمضان، أو في ساحة يوم العيد، يصلوا العيد ويذهبوا للسجن يخرجوا الشيخ، ايش يمنع الناس؟ ايش يمنع طلبة العلم أن يقولوا: لا نأكل ولا نشرب حتى نُخرج هؤلاء الناس،

ويمشون في ستين ألف سبعين ألف، يُقتل ١٠؟ يُسجن ١٠٠؟ النظام السعودي أعجز من أن يمارس سياسة أرض محروقة، ومع ذلك لم يفعلوا.

فهو آذانا –غفر الله لنا وله– وآذى نفسه بأنه لم يخرج، لا أتكلم عن شخص واحد، ولكن عن طبقة، ١٠٠ أو ١٥٠ واحد ذهبوا في الاعتقالات الأولى من رموز الناس، إذا أنت تنكفئ وتدخل، والآخر ينكفئ ويدخل، والثالث ينكفئ ويدخل، مَن رموز هذه الحركة؟ كلهم الدكتور فلان ولا علان، ٤ أو ٥ أشخاص فقط؟ على جلالة قدرهم، على حبنا لهم، على حب الناس لهم، لا يشكلون موجة كافية لأن تعادل في شرعيتها إسقاط شرعية النظام، الذي حشد لك ٢٢ اسما في هيئة كبار العلماء، ثم مجلس الشورى، ثم خطباء الحرم، ثم أئمة الحرم، ثم سلسلة طويلة تبدأ بـ ابن باز وتنتهي بالرقاصين والطبالين.

هذا هو موضوع "الصراع على الشرعية"، ثم النظام عنده تلفزيون، عنده راديو، عنده جرائد، عنده مجلات، عنده شعراء، هذا بعد الشرعية الدينية، لابد أن يكون عندك نشرات، لا نشرة بل نشرات، تُترجم تُتوزع، شبكات توزيع في الداخل والخارج، لابد أن يكون عندك مجلة صوتية فيها محاضرات رموز المعارضة، أنا أضرب المملكة كمثال لأنها بلد مشكلة الشرعية فيه عويصة جدا، أعوص بلد فيه مشكلة الشرعية هي المملكة وهذه المحيطات والبقع الملحقة في الجزيرة، فهؤلاء الناس لا يوجد زعامات سياسية تكافؤهم في الشرعية، لا يوجد حتى الآن رموز دينية شرعية، نقول: أفتى بتاعكم وأفتى بتاعنا، ما في، بل على العكس أن من عندنا إلى الآن نجد في صفوف المعارضة وصفوف المجاهدين السعوديين وغير السعوديين، وفي صفوف العمل الجهادي كله= من يتبرع مجانا ليدافع عن هؤلاء المنافقين، الذين أفتوا علينا وضدما في كل البلاءات، فتجد من ينتصر في صفوف المجهادين لشرعية العدو أصلا، ناهيك عن أن يحطم شرعية العدو، ويلتمس لهم الأعذار أنهم أكرهوا، حتى قال لي واحد: هم بين الأجر والأجرين!! قلت له: واحد يبيع فلسطين بين الأجر والأجرين؟! ويفتي بدخول الأمريكان بين الأجر والأجرين؟! وواحد بيقول لي: هم أكرهوا كما أكره ابن معين في فتنة أحمد بن حنبل، يشبههم بهؤلاء؟!

فتجد أننا أصلا لم نقنع طبقتنا نحن بإسقاط شرعية العدو، فضلا عن أن نعمل مؤسسة لإسقاط شرعيته.

ثم تأتي إلى الإعلام، من الصباح إلى المساء، من القنوات الفضائية للكتب للمجلات، مليارات تُنفق لتلوين وجه النظام وإظهار أنه مقبول، ونحن كم كلمة تكلمنا في كل بلد؟ لا أقول كم كلمة أوصلناها للخارج؟ إعلامنا نحن إعلام كانتوني، نحن أربعة: يؤلف واحد، ويطبع واحد، ويقرأ الثالث، ويعارض الرابع، هذه كل المجلة التي أصدرناها.

هذا الإعلام يجب أن تقرأه الأمة، أنت إلى أين وصلت منشوراتك؟ ليبيا السعودية، وأين الشعب الذي أنت تنطق باسمه؟ لكن ما يحدث عبارة عن نشرات تُوزع في المراكز الإسلامية، يأخذون نشرتين ويوضعان في صندوف مع صندوق شحاذة إسلامية مكتوب عليه: تبرع للمجاهدين! كل الحركات.

أين الإعلام الذي يحرض الناس؟ إعلام مقابل إعلام حتى تُسقط شرعيته، كيف تُسقط الشرعية؟ بالقنابل؟ لأ ما تسقط بالقنابل، القنابل إنما تُسقط المؤسسة العسكرية، يعني المؤسسة العسكرية تبعنا تُسقط المؤسسة العسكرية تبعهم، أما الشرعية بتاعنا فتُسقطها شرعياتهم: شرعية علمية، نقول أفتى فلان وقال فلان وهاي أدلتهم قال الله وقال الرسول، فنستطيع أن نُسقط شرعية الطرف المقابل، ولا نخشى في الله لومة لائم، ثم الشرعية الإعلامية الهائلة جدا، والتي هي البوابة.

فعملية عدم إسقاط شرعية العدو إلى الآن، وعدم وصول خطابك إلى الناس= جعلنا لم نحقق نتيجة، رغم عدد الشهداء، ورغم كثافة عدد المعتقلين بأرقام عجيبة، لم تحصل في التاريخ الإسلامي، كل بلد ٢٠ ألف ٣٠ ألف ٦٠ ألف ١٠ آلاف ٧ آلاف، صدام حسين أباد من حزب الدعوة الشيعي –بصرف النظر عن الشيعة رأينا معروف فيهم– ٩٦٠ ألف شخص، تخيل نظام قادر على إبادة كل هؤلاء؟!! بعض الإحصائيات أوصلته إلى مليون إنسان.

كنت مرة في بغداد وحصلت محاولة اغتيال لصدام حسين بكل بساطة أطلقوا قنبلة على موكب، فبكل بساطة أخذ القرية التي قبل الحادث، والقرية التي بعد الحادث قصفها الجيش بالمدفعية والطيران وجاءت الجرافات وما أدري ايش! مسحوها من الأرض.

لو اتهم شخص بأنه من حزب الدعوة= يأخدوه وأبوه وأمه وأصوله لسابع دور وفروعه لسابع دور واللي سلم عليه واللي ضحك في وجهه وكل من قال له: مرحبا، يعدموه، يدوبوه بالأسيل، بحيرات أسيل في السجن، يشيلوه يرموه بس داب، تبخر وصار دخان.

أنظمة عندها هذه الاستعدادت، ويتعلم بعضهم من بعض، فكيف تُسقط شرعيتهم وتُقنع الناس بأن يموتوا معك بهذه الصورة؟

الآن جاءتنا مسألة حشدت المسلمين قبل قرون، وحشدت المسلمين من قرن ونصف، وتحشد المسلمين الآن، ويمكن أن تكون بوابة لنا، وهو المفتاح الذي حكينا عنه.

هذا المفتاح تنحل به مشاكل عندنا طويلة عريضة، عندنا مشكلة الشرعية، فشرعية قتال اليهود والنصارى نحكي فيها، كما قال نايف في السعودية ولا ما أدري اسمه ايش؟ وزير، قال له: لا تتكلموا عن اليهود والنصارى في خطاباتكم، فطلع له واحد قال له: يا طويل العمر، ولا يا طويل الذَّنب معنى هذا ألا نقرأ الفاتحة، لأن نصفها على النصارى واليهود، فقال له: ولو قرأتموها لا تفسروها للناس أن هادول يهود وهادول نصارى، تقرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وخلاص، آمين.

أنت بس مهمتك في مفتاح الصراع، أن تقرأ (غير المغضوب عليهم) هادول، (ولا الضالين) هادول، تلاقي الشعب بيقولك: آمين، هذا مفتاح سهل وبسيط، الآن رايحين نضرب اليهود صدنا الجيش الأردني صدنا الجيش المصري، ضربنا قاعدة أمريكية في السعودية= يضربنا الحرس الوطني، صارت الأمور تتتابع تلقائيا، بعيدا عن قضية نضرب الجيش ولا ما نضربه؟

مثلا قضية التمويل، قضية التمويل تنحل تلقائيا في قتال اليهود والنصارى ستجد آلاف المسلمين من التجار وأهل الخير يريدون أن يساهموا معك، بل إن أموال اليهود والنصارى وشركاتهم وسواحهم ومصائبهم= أهداف هم يوفرونها تمول مائة معركة ومائة جيش، فتنحل مشكلة التمويل.

مشكلة العمل بقيادات ميدانية وغير ميدانية، قلنا: سنعمل على مختلف بقاع العالم الإسلامي، فتحولنا كلنا إلى ميدانيين، سواء كنا في بلادنا أو لم نكن في بلادنا، القتال على كل الجبهات، وهذا الطرح سنتكلم عنه في محاضرة: "مستقبل العمل كيف يكون؟".

تجد أن كثيرا من المسائل تتحلحل تلقائيا وجاءت بسياق تاريخي طبيعي.

أي معركة تحتاج إلى شرعية، كما مر معنا: لا سبيل إلا السلاح، أنها ملزمة شرعا، وأن النصر فيها ممكن، وهذا يتوفر في كل المعارك التي عندنا، والله أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

وصلنا البارحة إلى الملاحظة ٤١ من كتاب "حرب المستضعفين" في الصفحة ٣٠، آخر شيء قرأناه ووقفنا عنده وقفة طويلة عندما قال: [**وعندما تبدو القضية عادلة، ويصبح الموقف لا يطاق، ولا يعود من سبيل ضد الطغيان، لا يبقى إلا طريق العمل**]. ولا بد عندها من جهد تحضيري ضروري ومنظم، قبل إمكانية افتتاح أية حملة من حرب العصابات) وهذا فصلنا فيه.

يقول:

[**وتظهر تجارب الجزائر وكوبا وثورات منتصرة أخرى، أن حرب العصابات تتطلب في معظم الحالات، المساعدة الفعالة من تنظيم سياسي لا يشكل جزءاً عضوياٍ منها، ولكنه مخلص للقضية ذاتها، ويقدم ذراعاً مدينياً للحركة الثورية، قادراً على تأمين المساعدة بوسائل شرعية أو غير شرعية، كأن يقذف قنابل ليدافع عن الثوريين المحالين إلى المحاكم (إذا فرضنا أن هذه المحاكم لا تزال موجودة)**].

هنا سنقف وقفة طويلة من عدة وجوه:

طبعا هو في الفقرة يقول أنه عندما تقوم حرب عصابات فهي تدار في الجبال والأرياف والغابات، هكذا تكون حرب العصابات، أي ليست داخل المدن، لأن المدن غالبا يسيطر عليها من قبل الجيش وقوى الأمن وتُطوق، ويمنع عليها الدخول والخروج تُوضع حواجز على الطرق الرئيسية للسفر، فتقوم الدولة بعمل ضغط عصبي للبلد والمدن والطرق، أما الأرياف فلا تسيطر عليها غالبا، فيقول أنه إذا كانت الأرياف مشتعل فيها ثورات فمن المفيد كما يقول: [**أن حرب العصابات تتطلب في معظم الحالات، المساعدة الفعالة من تنظيم سياسي لا يشكل جزءاً عضوياٍ منها، ولكنه مخلص للقضية ذاتها، ويقدم ذراعاً مدينياً للحركة الثورية، قادراً على تأمين المساعدة بوسائل شرعية أو غير شرعية**] يعني قانونية وغير قانونية، تسمح بها الدولة أو لا تسمح بها الدولة.

[**كأن يقذف قنابل ليدافع عن الثوريين المحالين إلى المحاكم إذا فرضنا أن هذه المحاكم لا تزال موجودة**]، سنتحدث عن أشياء إيجابية وأشياء سلبية حول هذا الـ system الذي اقترحه:

أما الأشياء الإيجابية:

فالآن عندنا تجارب مثل الجيش الجمهوري الإيرلندي في أيرلندا، صار نتيجة الديموقراطية الموجودة رأى أنه من المفيد أن يُفرز جناحا سياسيا كحزب سياسي مرخص، يتخلى عن كثير من طروحاته الثورية، وخاصة على صعيد الوسائل والممارسة، هذا كنموذج وبعد ذلك نتحدث عن ما يصح وما لا يصح بالنسبة لنا كمسلمين في هذا الأسلوب، فالذي حصل أنه أفرز حزبا سياسيا اسمه الـ (الشين فين) ورئيسه الحالي جيري آدمز تقريبا.

معظمهم كانوا أعضاء سابقين في قضايا متعلقة بممارسة العنف، أو مسنين، أو مفكرين سياسيين، أو ليس له دور في الثورة العسكرية، فأظهروا هذا الجزء من الغواصة كما يسمونها، الغواصة كلها تحت الماء، ولكن أبرز هذا الجزء حتى يستفيد من كون البلد ديموقراطية وفيها صحافة، فأتاحت له إخراج صحف، والمناورة السياسية، إمكانيات كثيرة استفاد منها، وفي نفس الوقت لم يتورط فيما تتورط فيه للأسف التنظيمات الإسلامية السياسية عندنا، أنه مقابل أن يأخذ حقوقه في الوجود يشتم في الجناح الآخر، هم على العكس يمدحون الجناح الآخر، ولكن يقول: نحن لا نمارس الإرهاب ولا نعتبره أسلوبا مشروعا، هم يقولون هكذا، ولكن نعتبرهم مضطرين مجبرين، أنتم أجبرتموهم على هذه القضية.

هذا في أيرلندا، أما في إسبانيا فمنظمة "الباسك" التي تدافع من أجل استقلال إقليم الباسك في إسبانيا، نفس الشيء، أفرزت حزبا سياسيا اسمه "هيري باتاسونا" يطالب بنفس الأهداف أي: استقلال الباسك، ولكن بأساليب سياسية، وهم متطرفون جدا سياسيا، لا يدخلون البرلمان، ويقولون: أن هذا البرلمان لكل إسبانيا، فإذا دخلنا فمعنى ذلك أننا نعترف أن إسبانيا كلها تحت التاج الملكي فلا ندخل، ثم قالوا: ندخل

ولا نقسم يمين الولاء، المهم لا يعترفون بوحدة إسبانيا وهم كجزء منها، الفرق بينهم وبين الآخرين أنهم طالبوا بتحقيق أهدافهم ولكن عن طريق السلم.

بعض الجماعات الإسلامية أرادت أن تقتبس هذا الأسلوب كجماعة حماس في فلسطين، الإخوان المسلمين في فلسطين والأردن، وهذا سنشرحه فيما بعد لأن هناك فرقا بين الجناح العسكري لحماس، وحماس القيادة السياسية الموجودة في الأردن، وحماس القيادة السياسية الموجودة داخل فلسطين، ثم الآن حماس نفسها أفرزت حزبا يريد أن يكون مدنيا سلميا أكثر من الاتجاه السياسي لحماس، فعملوا ما يسمى بحزب "الخلاص" أو شيء من هذا القبيل، والإخوان المسلمون في مصر أرادوا أن يعملوا شيئا شبيها بهذا، فعملوا حزب "الوسط"، وحزب الوسط هو كوادر إخوانية يتكيفون مع قوانين الدولة، يعني هو نوع من اقتباس هذه الأساليب، لكن وقعوا في ورطات شرعية كبيرة جدا، لأن الحد الأدنى المسموح به الذي تشترطه السلطات عندنا على الأحزاب السياسية حتى تكون سياسية= يخرج عن الممكن بالنسبة لنا كمنهج شرعي، فصرح حزب "الوسط" أنه سيضع في قيادته وفي عناصرة عددا من الأقباط، ونائب رئيس حزب الوسط هو ابن رئيس الطائفة الأرثوذكسية في مصر، وقالوا: نحن لسنا حزبا إسلاميا أصلا، نحن حزب مصري، وطني يعني، ولكن الإسلام هو حل ومخرج، يريد أن يلوونها هكذا.

فهناك من اختار هذه الأساليب حتى يستفيد ضمن إطار القانون المسموح به للدولة، ونحن نريد أن نسأل: هل هذا الأسلوب الذي يقترحه هؤلاء الإسلاميون ممكن لجماعة جهادية؟ الذي أقوله أن هذا غير ممكن، السبب: أن قمع الدولة عندنا ليس مترتبا على حمل السلاح كما هو في أوروبا، بل مترتب حتى على الدعوة لحمل السلاح، على تأييد حمل السلاح، على القول بأن أهل السلاح لهم حق، على أقرباء وجيران من حمل السلاح، على واحد سلّم: صباح الخير على واحد حمل السلاح، هذا كله يدخل في دائرة القمع.

كيف يأتي رجل يريد أن ينشئ تنظيما سياسيا يؤيد ويطالب بنفس المطالب، ولكن هو لا يمارس العنف؟!

هذا الهامش بهذه الصورة لا تستطيع جماعات جهادية أن تضع لنفسها أسلوبا مدنيا، ولكن نحن نستفيد من الفكرة، يعني جماعة جهادية تصنع لها تنظيما سياسيا إلى جانبها يقوم بالكفاح السياسي القانوني –حتى لا يُشتبه أنه شرعي بالنسبة لنا– لا تستطيع جماعة جهادية مسلحة بالأفكار التي نحملها أن تُفرز حزبا سياسيا.

لأن أقل المبادئ التي نطالب نحن بها= القانون يجرمها، ولو لم تقاتل من أجلها، فالقوانين الموضوعة تلاحق من يطالب بتطبيق الشريعة، مجرد المطالبة السلمية، وأمامنا نماذج كثيرة، منها: أنهم أخذوا نواب البرلمان الذي في مصر أثناء الحملات الانتخابية وقبلها وبعدها ووضعوهم في السجن، بصرف النظر عن الحصانة الدبلوماسية للبرلمانيين، ولم يرفعوا سلاحا ولم يقولوا شيئا، على العكس هم شتموا المجاهدين وامتدحوا الدولة، وفرحوا لنجاة الرئيس وقدموا كل فروض الولاء والطاعة والتراجع، وانتهاك كل حدود الإسلام، ومع ذلك ما نفعهم ذلك. فهذا يمنعنا من هذا الأسلوب، يمنعنا من أن نُفرز حزبا سياسيا.

ولكن إذا أردنا أن نستعير هذه القضية فأريد أن ألفت النظر إلى أمر يمكن الاستفادة منه قريبا، مقتبس من هذا الأسلوب، الآن جماعات العصابات إذا أرادت أن تقاتل أو تكافح في بلادها، وليس لها استطاعة أن يكون لها ذراع سياسي، ولكن ايش ممكن؟

في بعض البلاد فيها مؤسسات اجتماعية كالنقابات، ليست حزبا، فاختراق هذه النقابات وهذه الأوساط بعناصر ممكن أن تُسخر هذه الكيانات السياسية الموجودة أو الصحف بطريقة تخدم عملية الإعلام والدعايا لصالح الحركات الجهادية= فهذا ممكن، لكن لا تخجل أن تقول: نحن نطالب بنفس المطالب.

الأمر الآخر الذي نستفيد منه هو أن الآن –وهذا الحال ينقرض–، أصبحت أوروبا خلال مرحلة التسعينات مستقرا لكل الفارين من الحركات الإسلامية، ومن ذلك الحركات الجهادية، وهذه قضية أستطيع شرحها من خلال التجربة، لأن أنا جلست في أوروبا كل هذه الفترة، ثم آخر سنتين قضيتها في أفضل منطقة بهذه الحرية السياسية المصطنعة وهي لندن، حيث كل الحركات الجهادية بعد الدعوية وبعد التبليغ،

أصبح للحركات الجهادية تواجد وحضور في معظم العواصم الأوروبية، ومن أخف الدول في ذلك الدول الاسكندنافية السويد والنرويج، وفيها هامش نوعا ما من الحرية، ثم تأتي لندن في الدرجة الأولى، ثم دول وسط أوروبا النمسا وبعض الدول، إلى أن تصل إلى دول سيئة جدا لا يوجد فيها أي هامش مثل فرنسا أو إسبانيا أو إيطاليا، يعني خاصة جنوب أوروبا الكاثوليكي جدا، هذا لم يكن فيه مجال للإسلاميين: لا المسلحين ولا غير المسلحين.

أقول: هذا الهامش في أوروبا وُجد، وخلال الثلاث سنوات الأخيرة كان هناك عدد كبير من الأفغان العرب أو غيرهم أو المطاردين سياسيا من بلادهم، ونتيجة لطلب اللجوء السياسي أصبحوا موجودين هناك، ونتيجة وجود التكافل الجتماعي فأصبحت نظم حياتهم موفرة، وهذا سأذكره عند الكلام على سلبيات وإيجابيات وجود العامل الإسلامي في الغرب، وهو قاتل كنتيجة.

من خلال هذا الوجود هؤلاء الناس قعدوا هناك فأكلوا وشربوا وأمنوا، يعني لم يعد عندهم خوف من مداهمة بيوتهم، أو خوف كيف سيأكل غداءه= فتفرغ، ففي ناس فعلا قاموا بدور إيجابي، فلاحظت أن بعض الدول الأوروبية في المرحلة الماضية –هذا حسب الأدوار– لا يمكنك أن تقول فيها: نحن نمثل الجماعة الإسلامية المسلحة وعندنا مكتب ونتكلم باسم الجماعة الإسلامية المسلحة، ولا يمكن أن تقول: نحن نمثل تنظيم الجهاد المصري ، وهذا مكتبنا في النمسا، هذا لا يمكن، ولكن يمكن للإخوان المسلمين، قالوا: نحن عندنا مكتب، وهذا النطاق الرسمي إلخ، ولأنه هو أصلا حزب لا يدخل تحت طائلة قانون الإرهاب، حتى الأحزاب التي هي نصف نصف مثل الإنقاذ، هي جماعة سياسية ولا تنادي بالحل العسكري، ولكنها قالت: نحن عندنا جناح عسكري مسلح للضغط على الدولة، لأن الظلم لم نستطع دفعه من خلال التحرك في هامش الديموقراطية، قُبض على عناصر الإنقاذ وحوكموا، البارحة قُبض على أحدهم وحوكم في إيطاليا.

المهم حتى الجماعات الديموقراطية السياسية، إلا أنها لو مارست نوعا من عمليات السلاح ولو دفاعا عن النفس= فلن تستطيع أن تحصل على هذا الهامش في أوروبا، ولكن هناك يمكنك أن تستفيد أنت من الفجوات، أضرب مثالا حتى تقيس عليه أنت:

هيئات الإغاثة ترخيصها كله مسموح به، لو أنت ذهبت لهم وقلت –وهذا حصل مع أحد الإخوة في لندن– أريد أن أعمل مكتبا للدفاع عن حقوق الإنسان أو الشعب المصري، أخونا عادل عبد المجيد افتتح مكتبا للدفاع عن حقوق الشعب المصري، كل البنود التي سياقها= اللغة العربية واسعة، تستطيع وأنت ترخصه أن تكتب كلمات حمالة أوجه في الصياغة، فلا تورط نفسك في أشياء تلزمك، ولا تعلن عن نفسك جهارا نهارا.

العمل الجهادي أو إسقاط الحكومات فيه وجوه كثيرة، فيه دعايا، فيه إعلان، وفيه إغاثة أسر منكوبين، وفيه ضحايا، وفيه وفيه. هذه الـ ١٠% التي هي غير مسموح بها لو فصلتها أنت هيكليا عن الـ ٩٠%، وفرضت لهذه الـ ٩٠% هياكل .. طبعا هذا الكلام من التكتيك الذي ما من المفروض نشرحه، ولكن أقوله حتى تفهموه وبعدين نشوف مصيره ..

أنت من أجل الـ ١٠% تخسر حرية الحركة للـ ٩٠%، فتستطيع أنت أن تُفرز لقضية الـ ٩٠% هياكل منفصلة تقوم بعمل اختصاصي، هي لا تنكر الجهاد ولا تتعرض له ولا تدعو إليه ولا تهاجمه ولا تؤيده، تقوم بعمل اختصاصي تقول: هناك نظام ديكتاتوري في ليبيا، وترتب على النظام الديكتاتوري أن قُتل ألف، وأصبح هناك أسر للضحايا وكذا وكذا، فنحن نقوم بعملية إغاثة لضحايا الشعب الليبي، هذا الكلام مشروع وصحيح ويساعد الأيتام ويساعد الأرامل، ولا يتعارض مع الإسلام، بالعكس هو عمل فيه أجر، اختص هؤلاء الناس بهذا النوع من العمل.

هذا من أعمال البر والتقوى، كأن يقول رجل: يا جماعة أنتم جاهدوا في سبيل الله، أنا أرعى الأرامل، هل نقول له: ترعى الأرامل يا قاعد يا منبطح لا تجاهد ولا تحمل السلاح!!

الناس الذين يحملون السلاح لابد أن تنفر منهم طائفة ليتفقهوا في الدين، لابد أن تنفر منهم طائفة لتعول الأسر، لكن عملية الخلط التي نمارسها لا تغير من الأمر شيئا.

الذي حصل في الجهاد في سوريا، والذي حصل في الجهاد في مصر، والذي حصل في الجهاد في لبنان، وحتى في الجزائر= أن المجاهدين لما تقدموا للقتال وحمل السلاح والشهادة والموت في سبيل الله، تفرغت الجماعات الإسلامية المتاجرة بدماء المسلمين لهذه المهمات، بل تفرغت حتى الأحزاب العلمانية لهذه المهمات، وشكلت لجان حقوق الإنسان وهيئات إغاثية، وبدأت تتكلم عن عمليات المجاهدين وتتكلم بأخبار المنكوبين وتجمع التبرعات ووتاجر بدماء المسلمين، فلما أغنت وأثرت وأصبح عندها أموال= شكلت لنفسها جناحا مسلحا، تتاجر على القضية معك ولو بشكل رمزي، ثم لأنها أقدر على المناورة الدولية همشت المجاهدين لأنهم يموتون جميعا، وحلت محلهم في الآخر، وتخطف الحراك مع العلمانيين، ثم ننتهي من حيث بدأنا، بعد ٣٠ سنة تتحقق القاعدة مرة أخرى: (الثورات يخطط لها العباقرة ويقوم بها المجانين ويحصد ثمارها الانتهازيون)!

فنحن نقول: أنه عندما لا تقوم إدارة الثورة وإدارة الحركة الجهادية باستثمار أعمالها كلها، بحيث يكون لها عمليات، ولها نشرات تتبنى هذه العمليات، لها جهاز إعلامي يُوزع هذه النشرات، لها جهاز إغاثي يجمع التبرعات بناء على هذه العمليات، هذه الأموال تُوزع على وجوهها، ثم يعود جزء منها إلى العمل المسلح، فتكون عندي حلقة كاملة، مثل عملية البساط الدائر في صناعة السيارات، كل عامل يمر من أمامه البساط الدائر، هذا يفتح فجوة هذا يضع شريطة، ولذلك يُقال أن صناعة السيارات في المعامل الكبيرة تستغرق ثلاث دقائق فقط، لأن آلاف العمال يعملون والبساط يمشي، بالإضافة للروبوت وعمليات التكنولوجيا، فلما تجمع العمليات كلها بهذه الإدارية العظيمة جدا= تحقق نتيجة.

أقول: الثورة فيها مجموعة كبيرة من الأعمال، أساسها وأمها هو العمل العسكري، لكن العمل العسكري يحتاج إلى سلسلة كبيرة من الخدمات حتى يتم، بدءا من جمع التبرعات إلى إعانة المنكوبين إلى مليون قضية، الآن هناك هامش في بعض الدول الأوروبية، وهناك هامش في دول نصف نصف، وهناك هامش في دول

معارضة ومعاكسة سياستها للدولة التي تقوم فيها بعمل، يعني في حالة من عدم الوفاق النهائي بين هذه الدولة والأخرى، ولا تخطئ في ظن بعض حالات الخلاف الوقتي هو خلاف نهائي، فتذهب لتستقر في الدولة الأخرى، فتصبح ورقة يتاجرون بك ويبيعونك بعد ذلك.

فإذا أنت جلست في مناطق حرة، وفي مناطق محايدة، وهذا الهامش ما زال يضيق وينقرض شيئا فشيئا، حتى الآن ما زال بالإمكان العمل في نصرة كل القضايا الجهادية في مجالات خارجة عن عمليات السلاح، يعني بدءا من شراح الأسلحة وتهريب الأسلحة وتنفيذ العمليات، إذا استبعدنا هذا، فجمع التبرعات والتكلم باسم حقوق الإنسان ومناشدة المنظمات الإغاثية.. إلخ.

في الحقيقة من التجارب الناجحة جدا، بصرف النظر عن خلافنا مع كل الانحرافات المنهجية والشرعية لأصحابها، من حيث الاستفادة من الهيئات المدافعة عن حقوق الإنسان وتحصيل نتائج إيجابية في نصرة الشباب= تجربة راشد الغنوشي "النهضة"، بالاتصال مع هذه الهيئات في أوروبا، أصبح عندها خبرة طويلة جدا، واستطاعوا أن يخرجوا كثيرا من سجنائهم، واستطاعوا أن يحققوا كثيرا من اللجوء السياسي.

ماذا يمكن أن نستفيد من هذه الأجواء؟

لما أنت تُقسّم العمل، ما الذي يمنعك وأنت تجاهد دولة الهونولولو حتى لا يأخذها أحد على بلده، صار في مهاجرين من الهونولولو وقعدوا في أوروبا، ما الذي يمنعك أن تعمل مراكز ثقافية لرعاية أبناء المهاجرين الهونولولو؟ تفتح لهم مدارس وتؤويهم وتعلمهم، وتشرف على الأرامل والأيتام وتقوم بكل هذه الخدمات، هل هذا حرام؟ لا يجوز؟ هذا واجب.

فلو أنت تقول أنا سأعمل هذا العمل باسم الجماعة الإسلامية المسلحة في الهونولولو= فلن تستطيع وستحاكم وستطارد، على فكرة هذا تكتيك متطور جدا من خلال خبرتنا الأخيرة، لو أنت فصلت الأعمال والخدمات التي تلزمك عن العمل العسكري، إما تقيمها أنت، أو تتركها للإسلاميين المتاجرين والوطنيين والمهاجرين الباغين يقومون بها عنك، فسيحصدون كل ناتج عملياتك لصالحهم وأنت لم تعمل شيئا.

فمن هذه الأشياء تفتح مراكز ثقافية، وهذا الكلام نقوله الآن لإخواننا وأصحابنا، يا جماعة افتحوا هنا وهنا وهنا، وأنتم قضيتكم مرضي الآن عنها دوليا، كما كانت قضية أفغانستان، لأنها تخدم المصالح الأمريكية، فبدلا من أن تتركوا للعلمانيين والقوميين ولفلان وعلان افتتاح هذه المراكز ويحصد خلاصة عملياتكم كلها= أنتم من الآن هيئوا شخصا ثقة جديا مدربا، يتلقى أوامر من التنظيم، ولكن ينفصل عالميا عن هذا التنظيم ويفتح مركزا ثقافيا، فيتلقى منك الأوامر ويوجه كل المركز الثقافي لهذه القضية، ثم ما الذي يمنعه بعد ذلك من أن يضع كل نشرات الجماعة المسلحة في المركز الثقافي ويقول: نحن من الهونولولو، ونتابع كل شيء يصدر عن أي شخص، ولا أحد يشعر أنه يمنع منشورات الجماعات الأخرى، هو أخذ هذا الترخيص باسم هذه القضية، فهي قضية ثقافية محضة، التعليم.. إلخ.

أبناء الجاليات المهاجرة، خاصة لما تكون مثلا جاليات شمال إفريقيا لا تقل ٣٠ ولا ٤٠ ولا ٥٠ ولا ١٠٠ ألف مهاجر، عندنا ٦مليون مهاجر جزائري في أوروبا، ٤ مليون مهاجر مغربي، حوالي مليون أو أقل مهاجر تونسي، ٣مليون مهاجر تركي، ٨مليون مهاجر باكستاني وهندي مسلم في إنجلترا، مجموع هذه الجاليات ليس رقما هينا ١٩ مليون مسلم في أوروبا، ١٩ مليون مسلم كلهم يعيشون حالة متوسطة أو غنية ماديا، فهم مصدر عظيم لجمع التبرعات، كلهم حملة شهادات، فهم مصدر عظيم لاصطياد الكوادر، كلهم عاشوا أجواء في الحرية والتكلم فهم مصدر عظيم لاصطياد عناصر، يعني بؤرة لا يجوز إغفالها.

أنت حتى تُوزع منشورا في بلدك يموت عليه ٢٠ شخص، هناك تنظمه وتُوزعه وتنشره، هل تستطيع أن تجندهم باسم الجماعة المسلحة؟ لا تستطيع.

تفتح مركزا ثقافيا= هذا أسلوب، تفتح هيئة حقوق إنسان= هذا أسلوب، تفتح هيئة لرعاية منكوبي النظام الديكتاتوري العسكري القائم هناك، تفتح حسابات بنكية، تأخذ خلاصة الاتصال بينك وبين التنظيمات: صور عن المعذبين، قوائم القتلى، قوائم عن المجازر.. إلخ، تعمل بها بصفتك ايش؟ لا أحد يتعرض، ولو أحرجك أحد مباشرة، فأنت ليس لك شخصية سياسية، وليس مطلوبا منك تصريح أو

شيء، ولكن إذا أُحرجت : ما رأيك في الإرهاب الدائر في ليبيا؟ تقول: أنا لا أسميه إرهابا، هو عملية دفاع عن النفس، وإنما يجب أن نبحث عن أصل المشكلة.

فعندك هيئات الإغاثة، المراكز الثقافية، هيئات حقوق الإنسان، ممكن كل ما يتفتق عنه ذهنك في أي قضية يمكن أن تُسمه سلمية.

الآن البوسنة منتشرون في كل أوروبا، وحصر لهم عمليات تنصير وتوزيع للناس وإذابة، يعني جاءنا الناس من البوسنة إلى إسبانيا ١٠ آلاف، بعض العوائل أخذوهم النصارى في مدينة قريبة من المدينة التي كنت أسكن فيها، فقال لي أحدهم تعال نزورهم، فزرناهم في رمضان، الناس طبعا لا يسمعون عن الإسلام شيئا أبدا، يعني سفور واختلاط وحالة ومصيبة، ولكن كانوا كلهم صائمين رمضان، تأثرنا بهم جدا، ناس معوجين راحوا جمعوا من بعضهم زكاة الفطر باعتبارها واجبة، وكانوا يبحثون عن مسجد يؤدون زكاة فطرهم فيه، وبعد ذلك ألزموهم إلزاما أن يأخذوا دروسا في الكنائس.

فأنت لا تعلن نفسك منظمة إرهابية متطرفة تقاتل في البوسنة، تفتح مكتبا. بل افتح الآن مكتبا لرعاية المهاجرين.

فتقسيم الاختصاصات إما أن تقوم به أنت أو يقوم به الآخرون، فالآن يجب على المنظمة وهي في مرحلة الكلام الذي قاله أنه: (جهد تحضيري وضروري ومنظم) من هذا الجهد التحضيري والمنظم أن تهيئ نفسك أنك ستتفتح ذلك.

جماعة إخواننا هؤلاء لما كنت أدرس قضيتهم وجدت أنها تعتمد أساسا على المهاجرين، والأرقام بمئات الآلاف، فإذا كان عندنا مئات الآلاف أو الملايين فلابد للحركة أن يكون لها جهاز لرعاية المهاجرين أصلا، والانتشار فيهم والاستفادة منهم.

والذي جعلني أتذكر هذه الحالة أنه يجب أن يكون هناك ذراع مدني، نحن نريد أن نعمل لأنفسنا أذرع مدنية لكن ليس بالأسلوب الذي يتكلمون فيه، وإنما أذرع مدنية تهتم بالدعوة تهتم بالتدريس تهتم بافتتاح

المساجد تهتم بافتتاح المراكز، وبعد ذلك الناس سوف تسير على الفكر الذي أسست أنت عليه المسجد والمركز والمدرسة في الاتجاه الذي أنت تريده.

ولكن أمامك قانون البلد الذي تعمل فيه، فأنت لست داخلا تحت طائلة هذا القانون، ومع أجهزة الرصد والجواسيس والعملاء الموجودين داخل الحركات الإسلامية أو الجهادية الموجودة في أوروبا، لأنهم تمكنوا عن طريق اللجوء السياسي أن يخترقوا كل هذه الأوساط، فهم يعرفون أنك تعمل كأفعى تحت التبن، ولكن هل له عليك سبيل قانوني؟ ليس له عليك سبيل قانوني، وإنما له عليك سبيل المواجهة المكشوفة، إلى الآن لم ينتقلوا بعد إلى المواجهة المكشوفة[٤]، لما لها من تبعات، ولا يزال هناك حرب باردة بين الاستخبارات الغربية والجماعات الإسلامية الجهادية الموجودة هناك: عض أصابع تحقيق اتركه هكذا، في ضمن هذا الهامش نحن مستعدون للقتل في بلادنا، وللسجون التي فيها تذويب بالأسيد وقلع الأظافر ونتف الشعر وسلخ الجلد والنفخ بالمضخات الهوائية، هذا كله غير موجود هناك، فكل الهامش الذي وضعوه هو تحت الخط السائغ المحتمل بالنسبة لنا.

يعني هياخد يجرجرك يقولك وتقوله، يعني على الأقل يضطر وهو يحكي معك أن يشربك فنجان شاي ويحترمك وتحترمه، ويصيح عليك وتصيح عليه، يعني عمليا معتقل خمس نجوم، مش زي اللي احنا متعودين عليه، وهذا كله حصل معنا ومع أكثر الإخوة.

فهذا الهامش يجب أن تستفيد الحركة الجهادية من كل المجالات: النشاط السياسي والإعلامي الممكن، بلد مثل مصر لا يزال فيها رغم كل هذا التعسف، نظام القضاء والقانون يعني له شيء من الاحترام، لأنه تقليد يعود إلى أيام الخديوي وإلى أيام الإنجليز، فليس من السهل القضاء عليه كهيكل هرمي متناسق، فيه محامين عتاة وقضاة قدماء بقي لهم خمسين ستين سنة، الآن لما جاء الإخوة ووكلوا محامين إسلاميين، فتحولت قاعات المحاكم والمرافعات إلى شيء غريب، كالشريط الجميل الذي ترافع فيه المحامي في قضية رفعت المحجوب، موجود عندنا تستطيعون أن تحصلوا عليه وتروه، نحاول إن شاء الله بعد انتهاء هذه الدورة

---

(١) كتب الشيخ بعد ذلك في "دعوة المقاومة" أنهم تجاوزوا حتى المواجهة المكشوفة، إلى تصفية الوجود الإسلامي الراديكالي تماما بعد سبتمبر، فيجب إعادة النظر في هذه التكتيكات مرة أخرى.

أن نختار بعض شرايط الكاسيت والفيديو، فقط نسمع ونعلق عليهم، فالرجل من خلال المدافعة بدأ مرافعته أنه هناك صراع بين ورثة الحضارة الإسلامية وورثة الحضارة الرومانية، وأن هؤلاء الشباب من المدافعين عن الحضارة الإسلامية، وهذه الحكومة تدافع عن مصالح الحضارة الرومانية، المهم حول القضية، الجهاديون لا يستطيعون في حياتهم أن يحصلوا على مثل هذه الفرصة، والرجل –المحامي- كان مخلصا جدا، وهو من الإخوان المسلمين.

ولذلك نحن يجب أن نتخلص من حالة الاستفزاز الشديد، -هذا خارج عن المحل وهو من أخطاء التيار الجهادي التي سوف نتعرض لها- نحن عندنا توتر شديد ضد كل من ليس معنا، ضد كل من ليس منا، بطريقة استفزازية جدا، أضرب لك مثالا: البارحة ونحن في الندوة: انقسم الإخوة فريقين فريق سمى نفسه الحجة والبيان، وفريق سمى نفسه الموت الأصفر ،لفت نظري شيئين: أن جماعة الموت الأصفر مجرد ما الآخرون سموا أنفسهم الحجة والبيان قالوا عنهم أنهم سموا أنفسهم كالإخون المسلمين، فهل الحجة والبيان عند الإخوان المسلمين وأنت ما عندك حجة ولا بيان، يعني الربط بين الحجة والبيان والإخوان، وكأن لسان حالنا يقول: أننا لا نملك حجة ولا بيان، هذا الكلام هو تهمة لنا، الثاني: أن أحد الإخوة الآخرين قال له: أنت تشتمنا، يعني لما سماه إخوان مسلمين، فهذه عملية توتر جاهز.

فهذه الحالة النفسية من التوتر الملازم ليلا ونهارا= تمنع على الإنسان أن ينفتح تفكيره، ويستفيد ويسخر كل ما حوله له، والذي حصل –رغما عن أنوفنا جميعا- أن كل من حولنا سخرنا لنفسه، الأمريكان سخرونا في أفغانستان لهم، وسخرونا في البوسنة لهم، وحتى الإخوان المسلمين سخرونا في سوريا لهم، وسخرونا في مصر لهم، وحتى الملك في السعودية، وحتى علي عبد الله صالح أخذ زبدة شبابنا وسخرهم لنفسه وقاتلوا وفتحوا له الجنوب، وفي الآخر أخذ جزءا وضعهم في الجيش والآخرين مخابرات والباقون انفرطوا، واقع الأمر أننا نُسخر!

فالآن نريد أن نأخذ نَفَسًا ونفهم منهجنا ونحتفظ بشخصيتنا الاستراتيجية والمنهجية والدينية، ثم نحاول أن نُسخر مَن حولنا لصالح المخطط العام، فمن تسخير من حولنا الكلام الذي نقوله، أن هناك هوامش

يجب أن تستفيد منها، فإذا لم يكن لك هامش فمع السلامة ابحث عن هامش في مكان آخر، فمن الهوامش: إذا كان البلد يسمح بوجود نقابات أو اتحادات طلاب، اتحادات الطلاب ليس لها قانون، هذا أين؟ في بعض الدول فقط، في بعض الدول لا يكون اتحاد الطلبة إلا عن منهج علماني، فهذا ليس هامشا لك، في مناطق أخرى هناك انتخابات، ماذا يمنعك كرجل مرتبط بتنظيم معتبر أن تكون أنت رئيس اتحاد الطلبة؟ وهو الذي يرفع طلبات الطلاب، ويتحول إلى زعيم شعبي، هذا غالبا يكون من الإخوان أو يكون من التحرير أو من أي قضية أخرى، ثم لا تستفيد أنت منه، ماذا يمنعك إذا كان هناك إمكانية في هذه البلد أن تدخل نقابات العمال؟ وهذا أثبت نفسه فيه الإخوان، حتى لما دافعوا عنهم في الغرب قالوا: مشكلة الإخوان المسلمين أن كل النقابات العلمية في يد الإخوان، كل النقابات المهنية في يد الإخوان، قبل أن يدخل الترابي إلى الحكم كانت كل التنظيمات العمالية في السودان في جماعة الترابي، كل تنظيمات الفلاحين، في إطار جو في السودان أيام النميري لم يكن هناك امتداد للعلمانية.

لما أرادت جمعية الدفاع عن الحقوق الشرعية في المملكة، حقيقة لجنة متطورة جدا في التفكير، هل يمنع الإسلام أن ننشئ حلفا كحلف الفضول؟

نعم، ليس هناك مجال ولا إمكانية لتنظيم سياسي، ولكن سنشكل نقابة تدافع عن المظلومين في هذا البلد، فهم عملوا لجنة للدفاع عن الحقوق الشرعية للمسلمين: إذا اعتقل إنسان، أخذت أرضه، عامل يمني أُكل حقه، أجنبي مُنعت إقامته.. كل مظلوم في السعودية نحن نأخذ حقه، فهذا ليس تنظيما عسكريا ولا تنظيما جهاديا، ولكن النظام كان حساسا جدا، لا حقوق شرعية ولا غيرها، فلجنة للحقوق الشرعية هذا يعني أن الملك لا يحافظ على الحقوق الشرعية للناس، ونحن في دولة الشريعة والقانون وبن باز، فممنوع هذا، ولكن كان بادرة ذكية للناس، فتنحوا مكتبا في السعودية وفتحوا مكتبا لهم في لندن، اهتمت بهم كل إذاعات العالم، شكلوا فضيحة، وقاموا بجهد عظيم جدا، لو كان هناك أي تنظيم عسكري في الجزيرة يستفيد من جهودهم= لكان حصد كل هذا الجهد، ولكن ذهب كله في الهواء.

أنا عاشرت التجربة في لندن وكان عندي علاقة وصداقة مباشرة مع "المسعري" ولجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية، ومع شريكه لما انفصلوا إلى كتلتين، وعندما نتناول الوضع في الجزيرة في آخر الدورة سنتناول الدول واحدة واحدة، نتكلم حينها عن سلبيات وإيجابيات هذه التجمعات، ولكن أقول أنهم شنوا حرب فاكس مبتكرة جدا على المملكة، فمسحوا بالنظام السعودي الأرض.

المملكة فيها مؤسسات تجارية بالآلاف، فجاءوا من أرشيف التجار أو الدليل التجاري للمملكة أسماء أكبر ٢٠٠ شركة، أسماء أشهر ١٠٠ محامي، أسماء مشايخ أسماء جامعات، في صبيحة يوم واحد –طبعا هم جمعوا إمكانيات مالية كبيرة من المعارضين للنظام السعودي- أرشفوا برسائل فاكس فضائح آل سعود والمصايب النيلة السودة الفجور الزنا العرابيد الاغتصاب النهب السلب، وقاموا بتوظيف مراكز معلومات وصحفيين أجانب ودفعوا أثمان الوثائق، مرة دفعوا ثمن وثيقة واحدة للعمولة التي أخذها الأمير سلطان في صفقة من صفقات الأسلحة ونشروا العقد الذي فيه الرشوة للناس، هذا كله من لندن، فصارت مشكلة بين السفير السعودي وإنجلترا، وهم استفادوا من فجوات في القانون الإنجليزي، ايش بيصير في الآخر؟ يقتلون هذا الشخص ويقولوا أنه قُتل في حادث سير وانتهى الموضوع، ممكن، لكن أن يقول لك افتح وقانون ومحاكم، فهذه ضريبة الديموقراطية اللي هو عامل فيها، فهذه فجوة، أظن شُرحت الفكرة.

هناك فجوات داخل الدولة نفسها، فإذا استطعت أنت أن تستخدم هذه الفجوات داخل الدولة نفسها، من الفجوات: كل الجماعات الإسلامية، يجب أن يكون للجماعة المسلحة عناصر في التبليغ، وعناصر في الإخوان، وعناصر في في كل الجماعات مندسين يخفون التصور الجهادي ويعلنون فكر الجماعة، فهؤلاء جواسيس، كبّر مخك شوي وخد نفسك، آداب ابن تيمية في الجاسوس المسلم أمور لو تقرأها يجي واحد تقوله خلي جاسوس للجماعة يعمل كذا= يتهمك بالشرك، فأجازوا للجاسوس المسلم لبس الصليب وأن يتشبه بالنصارى.

أنا الآن لا أقول لك: كن جاسوسا عند الكفرة ولا الشيوعية، مع أن هذا مطلوب، مطلوب للجماعة المسلحة أن يكون لها عيون في كل الأحزاب العلمانية التي في البلد، فلو سقط النظام غدا وأتى حزب من

العلمانيين في الحكم بدلا من النظام القائم، أنت الآن عندك في ليبيا مجموعة أمريكية فيها كل المعارضين للقذافي، هذه المجموعة العلمانية المعارضة لا تمنعك أن تصلي، يعني لا يطلبون منك أن تعلن الكفر أو تعلن الزنا أو الفجور، كل الهوامش التي تستطيع أن تندس فيها دون أن تؤثر على الحدود الشرعية غير المقبولة لك= يجب عليك أن تندس فيها وأن تسبح فيها.

في لحظة من اللحظات اندس مجاهدو "خلق" في أجهزة الخميني، وفي أول انطلاق ثورة الخميني تمكن مجاهدو "خلق" من وضع عضو لهم في البرلمان الإيراني، وقتلوا أكثر من ٧٥ آية من وزن الخميني في ضربة واحدة، فأنت يجب أن يكون عندك مندسون في الحكومة، ومندسون في كل جماعة معارضة للحكومة، ومندسون في الجماعات الإسلامية، ومندسون في كل اتحاد وفي كل نقابة، هذا من الإعداد الضروري وطويل المدى، والذي يأخذ معك وقتا.

الشاهد أن هناك فجوات لمؤسسات في النهاية تخدم العمل الجهادي، يجب حسب حجمك، إذا أنت تخطط لحرب كاملة، وليس لعمل أو عملين، يجب أن تندس في كل هذه الأمور.

[وأن أكبر عدو لحركات العصابات، وهو العزلة العسكرية والسياسية].

العزلة تحدث عندما لا تُسمع صوتك للشعب، تصبح مدانا في عملياتك، متهما بالإرهاب، لو عندك استطلاع للرأي العام الداخلي تجد الناس لا تؤيدك، لو عملوا استطلاع للرأي الخارجي تجد نفسك محصورا ومدانا عند مختلف الشرائح، هذا يسمونه "عزلة"، لذلك يقولون عن بعض الأعمال في مصر أنها سببت عزلة للنظام، أصبح مدانا، نظام عنده ٦٠ ألف معتقل من الإسلاميين، ٣ آلاف معتقل من مختلف الأحزاب، عنده بطالة.. إلخ فيقولون أن هذا النظام عنده عزلة سياسية، وأن الرئيس لكي يخرج من عملية العزلة السياسية قام بجولات على عدة دول محيطة.

نقول: اتفاقيات أوسلو –رغم النجاح العسكري للاستخبارات الإسرائيلية– سببت عزلة سياسية دولية للنظام.

فهو يقول أن أكبر عدو للعصابات العزلة.

[**وعلى التنظيم المديني منع هذه العزلة، وافتعال عمليات للإلهاء أو التحريض في الأوقات المناسبة، وإقامة اتصالات، وبذل الجهد في العالم أجمع لإثارة شعور بأن الثورة تأخذ مجراها، حتى ولو لم تكن تحرز أي تقدم يذكر**].

هذه الآن حالة كل الجماعات الجهادية في العالم العربي، يجب أن تقوم بأي نشاط دعائي أو أي نشرات، عندك عجز عسكري فتقوم بتعديله بعملية دعاية بنشر مجموعة من الأشرطة، عندك عزلة في العمليات الداخلية فتحاول ضرب سفارة من السفارات القريبة أو البعيدة، المهم تُحْدِث ما يدل على أنك ما تزال موجودا، وأن الانتفاضة لا تزال ثائرة، وأن هناك معارضة ورفضا للنظام القائم.

فهو يقول أنه مما يساعدك على هذه العزلة التي أنت واقع فيها= الأجهزة المدنية الملحقة، التي تعمل في خدمتك، فهي تستطيع كسر العزلة، وهذا صحيح.

أحيانا في ناس في بعض المنظمات يقومون بعملية خطف طائرة من مكان إلى مكان، ويستسلم الخاطف فورا، ويقول: أردت أن ألفت النظر إلى معتقلين في دولة كذا وكذا، فقط يريد لفت النظر.

أو يقول بعمل استعراضي، أو يقوم بعملية عسكرية حقيقية، لينقل ساحة العمليات، ينقل ساحة المناورة من زاوية إلى زاوية داخل البلد، أو من داخل البلد إلى الخارج، أو من العمل العسكري إلى الإعلامي أو العكس، المهم يعمل أي عملية تحول حتى يكسر حالة العزلة التي هو فيها.

يقول:

[**ولهذا التنظيم عادة فرعان: أحدهما خفي وغير شرعي، والآخر علني وشبه شرعي**].

مثل تنظيمات الطلاب التي تخدمك في جامعة من الجامعات، هي نفسها لها اتحاد الطلبة، هذا جزء ايش؟ علني، يحاضر ويناور ومظاهرات وهذه القضايا، الآن –ليس نصرة لصدام حسين، طبعا لا هو لا كفره، ولكن استغلال ظرف سياسي معين– أعلنت حماس أنه إذا ضُرب الشعب العراقي المسلم فسوف تضرب المصالح الأمريكية في فلسطين، هذا اسمه "حضور سياسي"، عدا الواجب الشرعي، عدا ما تستفيده منه، عدا أنه صحيح، عدا أنه يرفع جماهيريتها، هذا اسمه "حضور سياسي" يكسبها على صعيد الحشد البشري، يأتينا رجل الآن ليقول: وأي منهجية لنا تسمح بنصرة صدام حسين؟! هذا قصور في التصور، القضية ليست نصرة صدام حسين، القضية قضية عدو صليبي صائل، جاء لأغراض معينة، فأنت يجب أن تبين أنه ليس نصرة لصدام حسين ولا وقوفا معه، فالرجل رأينا فيه كذا وكذا، ولكن هذا الاعتداء هو اعتداء على المسلمين، وقتل لأطفال المسلمين، ونحن لنا منه موقف كذا وكذا.

فبدل ما تقوم الغوغاء والجماهير غير المنظمة والمنظمات اليسارية والقومية، أو حتى الديموقراطيين من الإسلاميين، لا تجد أي حضور للجماعات الجهادية!

الآن أنت جماعة جهادية تجاهد في الجزيرة وأعلنت قيامك على نظام الجزيرة أو نظام ليبيا أو نظام المغرب، يرفع شعبيتك جدا أن يكون لك بيان متعلق بمشكلة للمسلمين في جنوب أفريقيا، ويجعل لك حضور أن تتدخل في مشكلة مثل مشكلة سلمان رشدي، لاحظوا السياسة الإيرانية كم هي ناجحة في هذا الموضوع، ما علاقة الثورة الإيرانية بسلمان رشدي، وكم اكتسبت إيران من عملية إعدام سلمان رشدي الذي جعل سلمان رشدي في حماية أكثر وفي كونه مستعصيا على هذه المسألة، وضرت أكثر ما نفعت لقضية الإسلام وقضية الرسول عليه الصلاة والسلام! إنما لقضية إيران نفعت جدا.

الرئيس الإيراني أعلن أنه يمكن أن يزور تركيا إذا ألغي بروتوكول إجباره وضع إكليل من الزهور على قبر أتاتورك! ماشي؟ وهذه الشغلة عند تركيا أكبر من الكفر بالرب بكثير.

والثاني لما زار مصر بعد فتح كابل وضع إكليل من الزهور على قبر السادات، ولسة المجاهدون المصريون دماؤهم لم تجف، وكان نتيجة هذا أن عمل اتفاقية لتسليم الإرهابيين المصريين لحسني مبارك، فكان من جزائه أن أدخله الله في التاريخ باسم "المخلوع"، الرئيس المخلوع، الشاهد هذا المخلوع الرئيس الإيراني استكبر على هذه المسألة، في حين أن زعيم الإسلام والمسلمين في تركيا أربكان ابتدأ حملته الانتخابية بوضع إكليل من الورد على قبر أتاتورك، ويسجل في سجل التشريفات: إنه لشرف عظيم لي أن أسجل هذه القضية في مباديء الجمهورية –مباديء الكفر– التي عملها أتاتورك!!

فهما كان هذا مناورة، ومهما كان هذا مبررا، ومهما كان، إلى أنه سبب ايش؟ سبب نكسة، ما استفاد من هذه القضية.

المهم، يقول: [**ولهذا التنظيم عادة فرعان: أحدهما خفي وغير شرعي، والآخر علني وشبه شرعي**].

يعني حتى هذه المؤسسات النقابات الاتحادات الطلابية يكون لك تنظيم سري داخلها، فيدير عملية الاستفادة، فإذا أنت يلزمك إدارة سرية توجه هذه الشريحة تكون تابعة لمديرها، ومديرها تابع للتنظيم، فهذا يكون ضمن التنظيم المديني، يعني أنت يمكن أن تعمل هيئة إغاثة لنصرة ضحايا الشعب المصري، ماشي؟ يأتيك من المهاجرين المصريين في أوروبا تجار، ويأتيك سواح، ويأتيك فساق، هدول مجال دعوة، ومجال جمع تبرعات، ومجال إصلاح، ولكن حتى تدير هذا الجسد الذي لا يتوافق معك منهجيا، لابد أن يكون لك إدارة مركزية تابعة للمنهج تابعة للتنظيم.

إذا قلت أنا عندي مركز لرعاية المهاجرين المصريين في الخارج، هدول لا تنسى يا عمي مش أعضاء التنظيم الجهادي ولا أعضاء الجماعة الجهادية، هدول مهاجرون، فيهم ناس يجوا عندك فقط عشان يشتروا

لحم حلال، ولكن إذا جاءك يشتري لحم حلال تعطيه كاسيت، تعطيه نشرة، تكلمه كلمتين، إذا ما كان بيصلي تدعيه يصلي، يعني تتابع معه شوي شوي، مش تيجي بدك تدخله في قواعد الولاء والبراء لأنه دخل الجمعية، هذه الجمعية نحن عاملنها حتى نقوم بعملية عامة من خلال نواة مركز..، تأتي به وتسخر كل هؤلاء الناس في مواجهتك.

يقول:

[**ويوجد من جهة (الأشخاص الفعالون): كالمخربين والإرهابيين، ومهربي الأسلحة، وصانعي الأدوات المتفجرة، والصحفيين السريين، وموزعي المنشورات، والمراسلين الذين ينقلون الرسائل من قطاع حرب عصابات إلى آخر ويتخذون المدن كمراكز اتصالات**].

يعني ضمن التنظيم المديني الذي يخدمك، يجب ألا نخلط بين ما يقوله عن تنظيم مديني عسكري تابع لحرب العصابات، فهو يقسم قيادة حرب العصابات إلى جناح مديني مسلح، وجناح مركزي مسلح والعلاقة بينهما، وهذا مفروغ منه، لابد من جناح في الجبال وهذا صار في الجزائر بشكل ناجح جدا، في بلاد الشام كان القتال عندنا قتال مدن فقط، في تونس مدن، في الأردن مدن، لم يكن إلا مدن لا في جبال ولا غابات ولا صحاري، في ليبيا مدن.

في اليمن جبال، في أفغانستان جبال، في المغرب والجزائر جبال، وأفضل ظروف لحرب العصابات تعطيها الجبال، خاصة إذا كانت جبالا مشجرة وفيها غابات وزراعات وماء واكتفاء ذاتي، فالدولة التي فيها ذلك= هي دولة تقول لك تعال اعمل ثورة، كما هو الحال في تركيا وجبال أطلس في الجزائر.

فيقول: [**كالمخربين والإرهابيين، ومهربي الأسلحة، وصانعي الأدوات المتفجرة، والصحفيين السريين، وموزعي المنشورات، والمراسلين الذين ينقلون الرسائل من قطاع حرب عصابات إلى آخر ويتخذون المدن كمراكز اتصالات**].

هو لا يتكلم هنا عن هيئة مدنية ملحقة تؤيد الثورة بدون الانتماء إليها، بل يتكلم عن جهاز عسكري مدني يعمل في المدينة تابع لإدارة حرب العصابات، إذا صار عندنا ثلاث شرائح: مركز العصابات الذي يعمل في المناطق شبه غير المسيطر عليها كالجبال، والجناح العسكري الذي يعمل في المدن لخدمة المركز الأساسي، وغالبا القيادة العامة لحرب العصابات لا تكون في المدن، وإنما تكون في الجبال بعيدا عن متناول الدولة، وفي الدول التي لم يكن عندها جبال اضطر أصحابها أن يخرجوا خارج الدولة، ونشأ من ذلك مشاكل وعقد لم تحلحل إلى الآن، رغم كل العذر المعتبر لهم، الجزء الثالث: هو تنظيمات مدنية تخدم وتسير في فلك الثورة، ولكن لا تنتمي إليها، كالإغاثات والنقابات وكل ما تسخره لك.

يقول:

[**كما يوجد من جهة أخرى المتعاطفون** –أنصار الحركة، الجماهير التي تتبرع، يدعو لك دعوة، يخفيك يؤويك يحميك، هذا متعاطف، هتقول له: انتسب؟ لا ينتسب، **مرافقو الطريق، الذين لا يعملون في الخفاء، ويتصرفون بشكل عادي ضمن إطار القانون، لكنهم يساندون جهود (الأشخاص الفعالين) ويقومون بأنفسهم بمهامأكثر أهمية أيضاً**.

وتمتلك المنظمة العلنية بالطبع اتصالات غير مكشوفة مع العناصر العاملة في الخفاء، التي تؤمن لها الاتصال مع العصابات في الأرياف، لكن عملها الحقيقي إعطاء الثورة واجهة محترمة، جبهة مدنية، أو كما يقول الكوبيون (مقاومة مدنية)، مؤلفة من مثقفين، وتجار، وموظفين، وطلاب وعمال... إلخ –وخاصة من النساء– قادرين على جمع الأموال، وتمرير العرائض، وتنظيم مقاطعة

النظام، وإقامة التظاهرات، وإعلام الصحفيين الأصدقاء، ونشر الشائعات، وتغذية دعاية مكثفة بكل الوسائل المتصورة، بغية تحقيق هدفين: إضاءة (صورة) الثوار وتقويتها، وتسويد سمعة النظام].

كثير مما ذكره عن النساء لا يتكيف معنا، ولكن حتى في أوساط المسلمين عندنا في بلاد الشام النساء قاموا بدور رهيب جدا في قضية الاتصالات، سبحان الله حيث يقوم جهاد تعود النماذج الأولى التي نقرأ عنها في الكتب، كان هناك أمهات يطبخون للمجاهدين، ويأتي ولدها الملاحق ويأخذ الطعام للقواعد.

حتى سمعت عن حادثة تواترت وهي عجيبة جدا، كان هناك موعد بين عدنان عقلة وشخص من قادة الأجنحة العسكرية في المدينة، وكان الذي ينقل الموعد والرسالة من عدنان زوجة الأخ، فكُشف الموعد ولكن المخابرات نصبوا كمينا في المكان، فجاءت المرأة دخلت فقبضوا عليها وجلسوا ينتظرون عدنان عقلة، سيقبضون على رأس الحركة، الرجل كان أحيانا يقوم بأعمال عادية جدا، وهذه مهمة القائد الميداني، كان يأخذ رسائل ويتفق على سلاح إلخ فهو عارف مشاكله وحاله، فهنا لفتة أن المرأة جعلت عملية عجيبة جدا، وهنا فائدة أخرى من فوائد ضبط الوقت، فالمواعد كان ٧:٣٢ بالضبط، يعني قبل ذلك بدقيقة فالرجل غير موجود، فهي تنظر في الساعة وهم جالسون، فلما صارت الساعة ٧:٣١ انطلقت من بينهم ورمت نفسها من الطابق الرابع، وكان الغرض إثارة الجمع والمشكلة، حتى ينتبه الرجل من الصيحة والناس، وهذا حصل فعلا، لما تصايح الناس وايش؟ والمرأة رمت نفسها وكذا، ابتعد الرجل عن المكان، والمرأة انكسر عظم حوضها وسجنت فترة، ثم خرجت، وقُتل زوجها قائد جناح عسكري بعد ذلك رحمه الله.

ألفت النظر إلى عملية ضبط الوقت، يعني الميعاد ٧:٣٢ فلابد أن يأتي في الموعد المحدد، وهذا كنا نتمرن عليه، وخاصة في قتال المدن، يجب أن يقوم الناس بتمارين على الوصول إلى نقطة معينة في دقيقة محددة، تضبط ساعات الفريق كله وينتشرون في المدينة، شوف لو جاء ٧:٢٥ وظل سبع دقائق رايح جاي رايح جاي أمام المحطة هيكون شافه ٧ آلاف مخبر، فعملية التدرب على الوصول في الوقت المطلوب ما هي شغلة سهلة.

سبحان الله أول مرة سمعت فيها هذا الأمر كان من أبي أسامة المصري في بغداد سنة ١٩٨١ منذ ١٦ سنة، كلمنا فقال: لما كنا في الجهاد الخاص عند حسن البنا رحمه الله في سنة ١٩٤٦ كنا نتدرب على ذلك في الشوارع، فهو دربنا عليها في ١٩٨١ واحنا جايين ندربكم عليها في ١٩٩٧، الآن مر ٥٠ سنة على التجارب الأولى لا يزال في ناس ليس لديهم خبر عن هذه القضية، قضية التدرب على ضبط الوقت، قضية إنسان يعرف متى يستيقظ متى يأكل متى يشرب، لا يقول: لما بتعملوا لي عملية أسلحة باجي على الوقت، إذا هو ما بيعرف يأكل على الوقت ما بيعرف يأتي على الوقت، إذا ما بيصلي على الوقت ما بيعرف يأتي للسلاح على الوقت، إذا ما منظف الخلاء والبيت عنده ما بيعرف ينظف مستودع متفجرات، راح يحصل فيه كارثة، لأنه متعود يكون فوضوي، ما ممكن إنسان متعود يكون فوضوضي في حياته الخاصة منظم في الحياة العامة، هادئ مع زوجته عصبي مع أولاده!

هذا إذا كان سيعمل في الجبال والأدغال فهو مطلوب قطعا وجزما وشرطا، إذا كان سيعمل في المدن فهذا شرط لازم جدا.

هذا كله من مهام الجهاز غير المكشوف، لأن حرب المدن هي مكافحة أو قتال ضد المخابرات وليس ضد الجيوش النظامية، ما راح يخدمك أبدا أنك رامي جيد أو أخذت دورة مساحة، لازم تجري التدريبات لعناصرك على نوعية السلاح في القطاعات التي تعمل فيها، وإلا بدك تدرب قوات مظليين على المساحة، وبتدرب البحرية على الرمي بالمظلات!

فمهمة الجهاز المدني غير المكشوف أن يكون متدربا على عمليات الرصد والنقل ولا يقوم بعمليات كبيرة.

يقول: [**قادرين على جمع الأموال، وتمرير العرائض، وتنظيم مقاطعة النظام، وإقامة التظاهرات، وإعلام الصحفيين الأصدقاء، ونشر الشائعات، وتغذية دعاية مكثفة بكل الوسائل المتصورة، بغية تحقيق هدفين: إضاءة (صورة) الثوار وتقويتها، وتسويد سمعة النظام**].

الآن من جملة الأشياء واحد قال لي: ايش نستفيد لما نقول ابن عثيمين كذا وابن باز كذا، ايش الفائدة، خلاص عرفوه الناس والسلام عليكم؟ قلت له: هذه ظللنا البارحة نحكي عليها أربع ساعات، قضية إسقاط الشرعية، ما في مشكلة بين ابن عثيمين وبين أمي، المشكلة هي التي يقول عنها هنا: إضاءة صورة الثوار، أننا نحن الشرعيون، تكلمنا فيه كثيرا ولا يجب أن نمل، مهمة كل العمل الإعلامي للثورة: إضاءة صورة الثوار وتسويد سمعة النظام، يعني إضاءة سمعة المجاهدين في سبيل الله، أنهم هم المتدينون وهم الشرعيون وهم أصحاب الأخلاق الحسنة، وهم الذين يخدمون الناس، وهم من عندهم نصح وعندهم رقة وعندهم حنان وقلوبهم على الناس، على عكس النظام.

فلما يتحول إلى العكس، تسويد سمعة المجاهدين وتبييض سمعة النظام= لا تتشوه سمعة المجاهدين إلا تتبيض سمعة النظام في المقابل، ولا تتشوه سمعة النظام إلا بتبييض سمعة النظام في المقابل.

هذا هو الفصل الثاني، وننتقل إلى الفصل الثالث.

الفصل الثالث

اندلاع الكفاح المسلح وتطوره

(التجربة الكوبية)

"ولادة الانتفاضة وتطورها – الانتقال إلى الحرب

الأهلية – الخيارات الأخرى – المثال الكوبي"

[**لنفرض أن قضية ما موجودة، وأن كل إمكانات الحل السلمي قد استُنفدت، وأن التنظيمات السرية اتخذت أشكالاً هيكلية ولكنها كافية للعمل الفوري**].

يعني سقطت في الابتداء التجربة الديموقراطية، استنفدت ظروف العمل السلمي، تشكلت هياكل للعمل الفوري، ليست هيكلية كاملة ولكنها جاهزة للعمل الثوري، هذا يكاد يحصل الآن في تركيا، ذهبت عند كثير من الناس فرص العمل السلمي، انتهت الخيارات الموجودة للنداءات والإصلاحات، الآن في الأردن: أحيانا يجب أن نشعر الناس أنها استنفدت، استنفدت كل فرص جهاد اليهود دون الاصطدام بالنظام، تتهيأ الظروف تتشكل خلايا سرية جاهزة للعمل ينطلق العمل.

فهو يقول أن هذا هو الجو، ثم يشرح كيف يكون العمل، يقول:

[**عندها ينفجر الصراع وينتشر في المقاطعة الأكثر بعداً، والتي يجعلها بعدها أكثر ثورية**].

كونها بعيدة عن سلطة النظام والعاصمة كما في الصعيد في مصر، لاحظ الاستمرار بعد ما ماتت كل بؤر المقاومة في الشمال، لأنه الأكثر بعدا.

(**لأنها أكثر تعرضاً للإهمال**) مهملة من قبل الدولة، فحتى الناس عندها تطلعات للثورة، لما أراد هذا الرجل في لبنان أن يعمل ثورة في البقاع= اختار أكثر مناطق الشيعة فقرا، وقال: سأطلق ثورة للجياع في المناطق المهملة من قبل العاصمة، فعادة هذه المناطق البعيدة المهملة تشكل أول بؤر الانتفاضة.

[ولكونها أشد ملاءمة لحرب العصابات، بسبب بدائيتها وصعوبة الوصول إليها.

وتتشكل مجموعة من المدنيين المسلحين، الذين يطلقون على أنفسهم اسم الوطنيين، وتسميهم الحكومة قطاع طرق أو شيوعيين.

ويستولي هؤلاء المسلحون على مستودع أسلحة، ويحرقون مخفراً للشرطة، ويحتلون بشكل مؤقت محطة إرسال يذيعون منها بياناً باسم الثورة. لقد أزفت الساعة، وحمل لفيف من الناس السلاح، وعلى الطاغية (الأجنبي أو المحلي) أن يرحل، إن مرحلة التحرير الوطني قد ابتدأت، وانتظمت الجبهات، وأعلنت أهداف الثورة ومبادئها بالبلاغة المطلوبة، مع استشهادات وطنية، وملاحظات تاريخية. إنها أهداف عادلة، ومبادئ محترمة. فمن يجرؤ أن يطرح أهدافاً ومبادئ أخرى؟ إنها تعبر عن مطالب شعبية وتجد صداها عند الشعب].

لاحظ القاسم المشترك الأعظم بين معظم هذه الانطلاقات، لاحظ أنها ثورات بدائية، وقال أنها هيكلية لم تنشأ كما ينبغي، ولكن قامت بما لم نستطعه ولم نحرزه بعد ثلاثين سنة من العمل.

لاحظ الأعمال التي عملتها: استولى المسلحون على مستودعات أسلحة، أحرقوا مخفرا للشرطة، احتلوا بشكل مؤقت محطة إرسال، متى لم تحتل محطة إرسال فعلى الأقل تسجل بيانات فيها مبادئك وأهدافك، لماذا الثورة ايش تريد؟ بلاغ مذاع للناس.

وعلى الطاغية (المحلي أو الأجنبي) أن يرحل= لاحظ المسألة.

إن مرحلة التحرير الوطني قد ابتدأت= نحن ايش نقول: إن مرحلة الحل الإسلامي والجهاد قد ابتدأت، نختار من المصطلحات ما يناسب طرحنا ومنهجنا.

وانتظمت الجبهات، وأعلنت أهداف الثورة= إذا يجب أن يكون هناك إعلان لأهداف الثورة، من نحن؟ ماذا نريد؟ لماذا نقاتل؟ لماذا رفعنا السلاح؟ هذا كله ولسة الناس يلا بتبدأ، مش عشرات العمليات وما أحد يدري ليش وايش بدنا وماذا نريد؟!!

مع استشهادات وطنية= نحن نقول مع استشهادات شرعية وإثباتات بأنها واجبة وملزمة كما مر معنا.

وملاحظات تاريخية= وهذه قضية الاستفادة من التاريخ وتحريض الناس قضية لازمة لكل الحركات، أن تذكره بأمجاده وأموره.

لما قامت الوحدة الإيطالية في أواخر العصر الوسيط كانت إيطاليا مقسمة لحوالي ٣٦٠ إمارة، فكان من أول مبادئ دعاة وحدة إيطاليا لتوحيدها وإعادة الشعب الإيطالي أنهم أحفاد الرومان والإمبراطورية وأمجادكم وتراثكم وفتوحاتكم في العالم، كرر هذه الفكرة بذاتها حزب البعث، والغريب أن جريدة الإيطاليين كان اسمها "البعث".

الشاهد: ذكروهم بأمجادهم وتاريخهم حتى يستحثوهم، فقضية الاستشهاد بالتاريخ= تأتي للتركستان فتذكرهم بأجدادهم المسلمين وكيف لما كانوا على الإسلام كانوا يحكمون وسط آسيا، لما تأتي إلى الأفغان تريد تعمل ثورة تقول لهم: الغزنوي وفتح الهند، لما تأتي إلى الأتراك تقول لهم: العثمانيين ومحمد الفاتح وأنتو والعمل والإمبراطورية، هذا كله من الخطاب التاريخي، لما تأتي إلى أهل الجزيرة تقول لهم: محمد عبد الوهاب والعقيدة السمحة، فتكلم الناس بأمجادهم وتاريخهم والصواب الذي كانوا عليه، تأتي إلى الشعب المصري تقول له: الثورات والإنجليز وما صنعتم وما سويتم والأزهر وحملة الدعوة وأم الدنيا وبلادي بلادي، يعني حتى يحسوا أنهم عليهم حمل، تأتي إلى بلاد الشام تقول لهم: والبركة والآيات التي في القرآن والمسجد الأقصى ومسرى الرسول عليه الصلاة والسلام.

سبحان الله، تجد في كل هذه المناطق ما تستنهض به الناس، تأتي إلى أهل المغرب تقول لهم: عبد الكريم الخطابي يا أوباش آخر الزمن ، من فترة قليلة كان هذا الرجل يحارب خمس دول أوروبية مجتمعة وانتصر عليها وأخذ ٢٠ ألف أسير في معركة واحدة، فيهم ١٠٠ جنرال وماريشال، وأنتم قاعدين الآن تتكففون الناس وتعيشون على .. الله المستعان، فتأتي تستند إلى ايش؟ إلى الشاهد التاريخي في التحرير.

ثم تأتي إلى أهل اليمن وتقول لهم: اليمن ما احتلت في التاريخ، وأصبحت مقبرة البرتغاليين وما دخلوها بعد ما دخلوا الجزيرة، ثم أصبحت مقبرة للإنجليز، ثم مقبرة للعثمانيين، ولم تستطع أي سلطة مركزية أن

تعمل فيها، حتى الآن حكمها المدخلي ونصب عليها عبد الله صالح أمير المؤمنين، فأنتم أصبحتم معكوسي الوضع.

يجب أن يكون عندك معرفة بتاريخ كل منطقة ستعمل بها حتى توجه الخطاب والنداء المناسب لأهل كل منطقة، ما تأتي لأهل فلسطين وتقول لهم: تعالوا ثوروا فإن عبد الكريم الخطابي قام وعمل كذا في المغرب وهي منطقة أخرى!

هناك شواهد تاريخية نافعة لكل الدنيا، كل المسلمين تقول لهم: صلاح الدين عمل وصلاح الدين سوى، ولكن هناك خطاب لأهل كل منطقة، ولكن لما تستشهد بصلاح الدين الكردي والدولة التي عملها في الأكراد يكون كلامك أبلغ وأكثر استفزازا لهم.

فهو يقول: **بالبلاغة المطلوبة** عندنا نحن منهج مقترح ايش؟ أصل النداء هو على أصل لا إله إلا الله، وعلى أصل تحكيم الشريعة، وعلى أصل غياب الشريعة، وبعد ما تطرح جوهر نداءك تأتي إلى مشاكل الناس، تذكرهم بمشاكلهم التي ترتبت على غياب حكم الشريعة من المظالم والبلاوي إلخ، ثم تأتي إلى استفزازهم فتقول لهم: هؤلاء الأمريكان جاءوا رجالا ونساء، ثم تنتقل إلى الاستشهادات التاريخية فتستشهد بجاهليتهم قبل الإسلام وكيف كانوا معدن مقاتل، ثم تنتقل إلى الإسلام وتذكر كيف خرجت منهم النماذج، ثم تستشهد بالتاريخ.

ولذلك لابد للقيادة المشرفة على الثورة وخاصة جهازها الإعلامي أن يكون عنده معرفة ومعلومات عن الجغرافيا والتاريخ وتركيب سكان المنطقة.. إلخ.

ويقول: إنها أهداف عادلة، "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" هذا هدف عادل لا يناقشك فيه أحد، تقول: اليهود احتلوا القدس والآن المسجد سيهدم وسيهوّد، فتستفيد أنت من هذه القضايا.

يقول: [**إنها أهداف عادلة، ومبادئ محترمة. فمن يجرؤ أن يطرح أهدافاً ومبادئ أخرى؟**].

الحقيقة أن كثيرا من الإسلاميين للأسف يطرحون أهدافا ومبادئ أخرى، وأنها ممكن أن تحقق كل هذه القضايا، مثل الصياح تحت قبة البرلمان، قاعة مستديرة ولها قبة منحنية مسموح لك أن تصيح في إطار هذا الارتفاع، عندك ٦٠ متر تستطيع عرض مطالبك تحتهم!

[**إنها تعبر عن مطالب شعبية وتجد صداها عند الشعب**]. ثم يقول:

[**وتنتشر الشائعات في المدن والأرياف، ويأخذ الشباب الذين ينتظرون منذ زمن بعيد يوم القرار، بالتشاور بسرعة، ليحددوا الدور الذي يمكن أو يجب أو يستوجب على كل منهم أن يلعبه في الصراع**].

يقول -وهذه مهمة جدا-: [**أما أعضاء أحزاب المعارضة، الذين اقتصروا حتى ذلك الحين على إلقاء خطابات أو كتابة مقالات، فإنهم يلفون أنفسهم مضطرين لاتخاذ موقف ما، وتقوم الضربة المنفذة بدور عامل مساعد على تحديد انتماءات جديدة وأوضاعاً مستقبلية، فمن سينضم للثائرين؟ ومن سيبقى على الحياد؟ ومن سيترك مبادئه ليشارك الطاغية قضيته؟**].

نقول: تضطر الجماعات الإسلامية السلمية الموجودة في البلد الذي قامت فيه الثورة أن تعمل اجتماعا وتقول: يا جماعة احنا ايش هنسوي؟ في جهاد طلع، نحن هنسوي كذا وكذا، هنتبنى هذا الجهاد؟ هنعارضه؟ هنقاومه؟ أنا سجلت ملاحظة على كل الإسلاميين اللي حصلت ثورات في بلادهم في كتاب "التجربة السورية" قلت: أن الإسلاميين وضعوا أنفسهم في مخطط من أربع مراحل في مواجهة الثورة، والذي فعله الإسلاميون غير الجهاديين إلى الآن:

أولا: الاستنكار. ثانيا: المديح. ثالثا: التبني. رابعا: الإجهاض.

أول شيء بيستنكر، ثاني شيء بيمدح، ثالث شيء بيتبنى، لما بيصير إليه يد في القضية يجهضها!!

وهذا حصل في كامل المراحل في بلاد الشام، استنكروا الجهاد في سورية، وأول بياناتهم وضعتها في كتاب "التجربة السورية"، بيان الإخوان المسلمين يتبرأون من إبراهيم اليوسف، ويتبرأون من أفضل عملية جهادية في سورية عملية مدرسة المدفعية، ويقولون: نحن ننادي بمجيء لجان دولية محايدة تثبت أن الإخوان المسلمين ليس لهم أي علاقة بالجهاد الحاضر في بلاد الشام!! موجودة الوثيقة وأنا نقلتها من مجلة المجتمع الكويتية، وهي الوثيقة رقم ١ في كتاب "التجربة السورية".

بعد مرحلة قصيرة خرجت عملية مديح، المجاهدون الأبطال الذين ..، وكأنه ما قال الكلام الأول، هذا الكلام كما أدانوا عملية خالد الإسلامبولي، بعد ذلك صار شهيد الحركة الإسلامية!

الإخوان المسلمون أدانوا كل عمليات عبور النهر وقتال اليهود أثناء حرب الخليج، "فتحي يكن" أدان كل عمليات مقاومة الجيش السوري في لبنان، لكن لما قتلوا ناس من جماعته، ذهبت جماعته ودخلوا في المجاهدين وراح للخرابات اللي نشأت عن القصف وعمل كام صورة، وطلع صور الشهداء وجمع تبرعات وعمل حاله!

أحزاب المعارضة السياسية من كل الطوائف سواء كانت قومية أو وطنية أو إسلامية أو غيره يجب أن تستثمر هذا الحدث، هناك قنبلة ألقيت، حجر نزل وسط الناس، سبب دوائر، كل الناس تتخذ مواقف على أساسها.

فغالبا يكون استنكار ثم مديح، ثم تبني، تبني ايش؟ بنفس الطريقة: ما أسرع حصانك، مشيوا مرحلة قال له: ما أسرع هذا الحصان، مشيوا مرحلة: ما أسرع حصاننا، تعرف قصة البدوي هذا مع اليهودي ولا ما أدري ايش، فوقف قال له: انزل بقي آخر مرحلة وتقول لي: ما أسرع حصاني!

فالإسلاميون دائما غير الموافقين على هذا الجهاد أول ما يبدأ الجهاد يقولون: ايش هذا جهادكم، وبعدين: هذا الجهاد، وبعدين: جهادنا، وبعدين: تبدأ التحالفات مع العلمانيين، والعملية الأخيرة هي عملية إجهاض.

فهو يقول: أنه عندما تضع مخططا شاملا، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الماضي والحاضر والمستقبل، أنت في الماضي فهمت التاريخ، في الحاضر ترسم خريطة للقوى الموجودة، في المستقبل يجب أن تضع تصورا أن الأحزاب الموجودة ايش سيكون موقعها من هذه القضية، الإخوان المسلمون ايش هيقولوا؟ حزب التحرير، التبليغ، الصوفية، السلفيين، العلماء، فردا فردا، جماعة جماعة، ايش سيكون موقفه من هذه الانتفاضة.

يقول: [**وتقوم الضربة المنفذة بدور عامل مساعد على تحديد انتماءات جديدة وأوضاعاً مستقبلية**..] وهذا ما يحدث، واقع أساسا راكد، جئت أنت هززته، فيحدث تفكك في الوضع القائم، وإعادة توزيع انتماءات، ناس من الإخوان يخرجون ويصيرون معك، ناس من الإسلاميين يصيرون مخبرين، ناس من المخبرين يتوبون ويصيرون إسلاميين، وهكذا، عملية تغربل كل النفسيات الموجودة، ولذلك لما تتأمل قول الله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) فما راح يترككم على هذه الحالة التي أنتم فيها حتى يأتي حدث يميز الخبيث من الطيب.

هنا سجلت ملاحظة ٤٦: هذا الكلام الذي تكلمناه هو توصيف للبدايات، ومقارنة نتركها للآخر للأمثلة التي حصلت في البلاد الإسلامية، وكيف كانت بداية العمل المسلح في مصر، بداية العمل المسلح في ليبيا، بداية العمل المسلح في بلاد الشام، البلاد التي حصلت فيها انتفاضات ولم تكتمل، ندرس فنجد القواسم المشتركة بين هذه الانتفاضات.

بداية العمل المسلح في الجزيرة كيف بدأ؟ في عملية احتجاج على احتلال أجنبي.

في بلاد الشام: عملية استفزاز نصيري طائفي موجود حكم البلاد.

في مصر: عملية رد فعل على تصفية القيادات الإسلامية واغتيالهم في الشوارع، في دولة كان فيها قانون ومحاكم إلخ.

في ليبيا: هي عبارة عن عملية انكشاف مخطط البناء في مرحلة مبكرة، فدخلوا في مرحلة البناء من خلال المعركة بصورة اضطرارية.

في الجزائر: سقوط وانهيار نظام ديموقراطي إسلامي .. إلخ.

فدراسة هذه البلاد كلها تجعلك مثل ما تدرس هندسة عشرات الأبنية في كليات العمارة، تدرس مساحة وقصور كذا، فلما تدرس عشرات المخططات تستطيع أنت تأتي لبلدك وتضع مخططا، ولذلك جاء رجل إلى الأعشى الشاعر يريد أن يتعلم الشعر، فأعطاه كمية كبيرة هائلة من الأبيات وقال له: اذهب فاحفظها وتعال، فذهب حفظ كل الأبيات، فلما جاء له قال: اذهب فانسها، يعني روح شهرين ثلاثة انسها وائتني، حتى لا تقلد الأبيات التي حفظتها، احفظها ثم فرغ القوالب الشعرية والتفعيلات والموازين والقضايا كلها، إذا لم تنس= معناها أنك ستكرر نفس الأشكال، وأنا ما أريدك تكرر، أريدك تبدع، أنت تحفظ القوالب وتحفظ العلوم ثم تنسى الشعر، فتأتي فتنسج من عندك شعر.

فلما تدرس في الهندسة نفس الشيء، تدرس قوانين ومُثُل وأوضاع نموذجية، مش بالضرورة تستطيع أن تنسج على منواله، بل يجب ألا تنسج على منواله، لا تأتي إلى بلاد الشام تقول: صار كذا كذا فالتجربة فاشلة أنا ما بعمل فيها، صار كذا وكذا في كوبا أنا بعمل فيها، الظروف التي أدت إلى نجاحات لا تتكرر، يجب أن توجد ظروف تؤهلك إلى النجاح، يعني أنت متناسب معها.

فيقول أن هناك انتماءات جديدة وأوضاعاً مستقبلية. قلنا: هذا يتكلم عن الخيارات الانتهازية، وكتبنا القاعدة العامة للثورة: أن (الثورات ينظر لها العباقرة، ويقوم بها المجانين) بمعنى الناس الفدائيين الذين لا

يحسبون حسابا لمصالحهم الخاصة، (ويحصد ثمارها الانتهازيون) ونريد ولو لمرة واحدة لله تعالى نسوي لنا تجربة، نخططها وننفذها نحن، ونخرق هذه القاعدة في التاريخ ولو لمرة واحدة.

لاحظ أنت في أفغانستان كيف حصلت الأمور، وما محاولة الطالبان الأخيرة إلا نرجو يعني لو أخذنا بكل سبل إحسان الظن، هي محاولة لتعديل النتيجة التي حصلت، وهي أن ثورة خطط لها العباقرة والمصلحون والطيبون، ثم نفذها الناس البسطاء اللي باعوا نفسهم وراحوا، ثم حصد نتيجتها انتهازيون والناس اللي دخلوا كابل وبدلوا نعمة الله كفرا، فنفس القضية.

يقول يتساءل، ويبدأ في تقسيم الشرائح: فمن سينضم للثائرين؟ ومن سيبقى على الحياد؟ ومن سيترك مبادئه ليشارك الطاغية قضيته؟

كتبت هنا في التعليق: الدوائر الثلاث: أنصار، وحياد، وأعداء، مجرد ما ألقى الحجر= تولد عندك ثلاث دوائر، دائرة للأنصار، طبعا ما تكلمنا عن الدائرة الخاصة بك لأنها هي التي ألقت الحجر، ودائرة الحياد الغير منتمين، وهي أكبر دائرة عادة، ومن سيترك مبادئه ليشارك الطاغية قضيته؟

أقول: كم من ثورة بدأت، ثم تراجع جزء من منظريها، بان كيران في المغرب كنموذج وكثير من الإسلاميين كنموذج، يبدأ ثوريا ثم قليلا قليلا ينسحب إلى أن يكون مع النظام، كنا ضربنا مثالا باليمن، جاء أخونا الشيخ عمر سيف وكتب عن الكفر والديموقراطية وتفاءل الناس، لأن مصيبة هذه الثورات الجهادية أنها ليس فيها علماء، فلما يأتيها رمز وشيخ تتمسك أنت به، بقدر ما يصعد تصعد معه، وبقدر ما يندثر، نكسة العالم ليست سهلة سماها الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه "تهدم" قال: "ثلاثة تهدم الدين: الأئمة المضلون، وجدال المنافق بالكتاب، وزلة العالم" فهذه تهدم الدين، الآن عندنا أئمة مضلون، وعندنا زلة عالم، وعندنا جدال المنافق بالكتاب، ولذلك ترى أركان الدين تتهدم.

المهم، ذكرت ذلك لقوله: من سيترك مبادئه ليشارك الطاغية قضيته؟! بعد الكفر البواح والديموقراطية وتعالوا يا خيل الله اركبي والجنة والنار والحور العين، وإذا الرجل يصبح رئيس المجلس الدستوري في البلد،

فلما يكون هناك جهاد= يمتحن الله الناس، ومباشرة تظهر ثلاثة مستويات: من سينضم، من سيبقى على الحياد، تلك الدائرة الواسعة التي يقع فيها عموم الشعب، ومن سيترك مبادئه وقضيته.

وهنا سأترك التفصيل ولكن أقول: لدينا محاضرة في سلسلة المحاضرات السياسية باسم: الدوائر الثلاث، دائرة الأنصار، ودائرة الحياد، ودائرة المعادين، وكيف أن مهمتك أنت= أن تقوم بعملية طرد معاكس، تحمل أكبر كمية من الأعداء وتنقلهم للحياد، أكبر كمية من الحياد تنقلهم للأنصار، أكبر كمية من الأنصار تنقلهم للأعضاء، فإذا نظرت في ثورة فوجدت أن أكبر كمية من الأعضاء يصبحون أنصارا، وأكبر كمية من الأنصار يصبحون محايدين، وأكبر كمية من المحايدين يصبحون معادين= فلابد أن تتهم قيادة هذه الجماعة بالعطب على أقل تقدير، كما حصل في الجزائر.

فأبو عبد الرحمن أمين ومجموعته تسلموا الجماعة الإسلامية المسلحة من إمارة أبي عبد الله أحمد –الله يرحمه– فيها أكثر من ثلاثين ألف مسلح، وفيها عشرات الفصائل على قلب رجل واحد، وفيها منهج مرتب، وفيها من الثلاثين ألفا عشرة آلاف على الأقل تسليحهم جيد، وعشرة متوسط، وعشرة بدون سلاح، ووضع مزري للحكومة، وانتشار في كل الجبال، فقام هؤلاء السفهاء خلال عشرة أشهر فقط بردها إلى: عشرات الطوائف المتناحرة، أعطوا للدولة مبادرة على كل الصعيد السياسي، جعلوا كل دائرة الأنصار لا أقول محايدين بل معادين مباشرة.

فلما تمسك أنت جماعة ضعيفة، أنصارها قلائل، وحيادها كثير، وأعداؤها متوسط، فبعد فترة تجد أنصارها كُثر، والحياد صغُر، والمعادين يكادون ينتهون= تحكم على عملها بالنجاح.

هذا الموضوع دوائر: الأنصار والحياد والمعادين= سنتكلم عنه في محاضرة منفصلة عن العمل السياسي.

يقول:

[وبما أن الحكومة لا تتعامل مع مدنيين مسلحين، فلا بد لها من القضاء على العصيان، وإعادة النظام، وترميم الثقة].

(ترميم الثقة) الثقة الداخلية التي اهتزت أمام الناس، الثقة الدولية العالمية أنها دولة مستقرة، لا تزال تحمي آبار النفط، لا تزال تسيطر على السياسة الخارجية، لا تزال مصالح الدول العظمي عندها محمية ومستقرة، لأنه إذا اهتزت ثقة العالم بهذه الدولة= يترتب على ذلك أن السيد سيغير العميل المشرف على خدمته، وهذا العميل يريد أن يحافظ على الوظيفة مثل مدير أي مكتب مع رئيسه، فإذا قامت عنده حرب عصابات يختل هذا التوازن، فيقول في شرح الوضع الخارجي:

[ومنذ ذلك الحين تبدأ السفارات الأجنبية طرح الأسئلة بكل تؤدة، ولا تتردد عن استشارة المعارضة السياسية، بل أنها تتصل مع العصاة بشكل غير مباشر].

أقول: السفارات الأجنبية في الدول اللاتينية تطرح الأسئلة في كثير منها من أجل الاستثمارات الاقتصادية وحقوق الإنسان، أما في بلادنا فالسفارات الأجنبية تطرح الأسئلة لأن مصالح النهب وخطوط الإمداد تهددت، فلذلك يجب أن نعرف أثر ثوراتنا نحن وما يمكن أن تضغط به على الغرب، لما صار الوضع في الجزائر خطيرا في آخر عهد أبي عبد الله أحمد –الله يرحمه– وضع الغرب مخططا لنقل الغاز الجزائري من منطقة في الجنوب إلى طنجة إلى المغرب إلى أوروبا، بدل مروره من البحر المتوسط، وافتتحت مطارات ونقلت عوائل من العاصمة إلى الصحراء حتى تكون بمنأى عن ضربات المجاهدين.

فالشاهد أنك عندما تكون عارفا من أي شيء تقلق السفارات الأجنبية= على ذلك تبني أنت عملياتك ومخططاتك، وكان يجب أن يكون هناك تكامل، لو كان هناك جهاد في المغرب، لضرب الأنابيب، والآن أنبوب الغاز الذي ينقل الغاز الجزائري عبر المغرب تحت مضيق جبل طارق إلى إسبانيا ففرنسا، يكفي أوروبا

بـ ٦٥% مما تحتاجه من الغاز، فهو يضع كل شرايين قلبه تحت يدك، وفي الآخر تجد حرب عصابات تخطط وتخطط ثم تضرب بياعا (تاجرا صغيرا) للنظام!!

فهذه نقاط الضعف يجب أن نفهم أن بأيدينا نحن زمام المبادرة بالنسبة للعدو، كل خطوط الملاحة البحرية التي تنقل الغاز من دول الخليج، كلها تمر من الخليج العربي إلى اليمن إلى مضيق باب المندب، كل هذه العمليات يجب أن تتعرض إلى قرصنة جهادية، فإذا لم تكن للتدمير فللابتزاز، وفرض أتاوات على الدول، وهذا سوف نحكي فيه في تصوراتنا عن المرحلة المقبلة.

فنحن في حرب مع دول= فلا يذهب لها غاز، وفي حياد مع دول= فيمر غازها وتدفع، المهم نحن عندنا مجالات عظيمة جدا للمناورة في هذه المسائل، كل المضايق: السويس، باب المندب، كل الممرات بأيدينا، ولا تكفيها جيوش العالم الموحد وحلف الناتو، آلاف الكيلو مترات، عشرات المضخات والمصافي، يعني هذا النفط يجب أن نطرح شعارا: [يا إما ناكله مع بعض، يا إما ما حدا بياكله]، يعني حتى في أفلام الكاوبوي واحد بيشوف حاله خسران بيقلب الطاولة عليهم جميعا، فينتهي اللعب، وهذا مبدأ صحيح جدا في حرب العصابات.

الملاحظة خمسين: عن اتصال الدول الأجنبية بالعصاة، فهذا حصل وعندنا الوثائق، كما بين فرنسا وقيادة الجماعة المسلحة، يريدون أن يعرفوا ايش مصير فرنسا والعلاقات معها، من وراء الدولة، حصل في عهد أبي عبد الرحمن أمين عن طريق السفير الفرنسي.

الملاحظة الواحدة والخمسين: أهمية الاتصال بالصحافة الأجنبية، تكلمنا عليه.

[بغية الحصول على المعلومات أكيدة. ويقلق رجال الأعمال والصرفيون، الأجانب وأبناء البلد، ويتساءلون باحتراز أقل. <u>إذا تطور الموقف، فسيجذب حتماً الصحفيين الأجانب، الذين سيقدمون للعصاة منبراً يعرضون عليه قضيتهم ويضخمونها، رغم ضيق النظام الحاكم من ذلك</u>].

يجب أن نهتم جدا جدا بعملية ركوب وسائل الإعلام العربية والعالمية التي تبحث عن سبق صحفي، أو تبحث عن منافسة بين الأنظمة، أو خلاف بين قطر والجزيرة، فوسائل إعلام قطر الآن تبحث عن كل الإمكانيات للمعارضين السعوديين.. وهكذا، فهذه الفجوات الصحفية، كصحفيين في الغرب قضية ضد مصالح فرنسا تجد صحفيي بريطانيا ينشطون فيها، قضية ضد مصالح أمريكا تجد صحفيي فرنسا ينشطون فيها، وأنا قد عملت في مجال الصحافة والإعلام سنتين في لندن وفتحت مكتبا للدراسات والإعلام، الحقيقة عالم ثان، نفرد له حديثا لنحكي عن فوائد إخراج صوتك للإعلام الدولي.

يقول: [**فسيجذب حتماً الصحفيين الأجانب، الذين سيقدمون للعصاة منبراً يعرضون عليه قضيتهم ويضخمونها، رغم ضيق النظام الحاكم من ذلك**..] مرة مراسل الجزيرة طلع على قناة الجزيرة قال: ولم أتمكن من أن أصل إلى حي القصبة في الانتخابات حتى آخذ رأي الناس، ومن الجدير بالذكر أنني تعرضت لضرب المخابرات الجزائرية أثناء مهمتي، الشاهد أنهم لا يريدون أن تصل هذه الأصوات للخارج، فنحن يجب أن لا نهمل هذا الأمر.

ومن الأشياء المبكرة جدا في الجزائر، خلال اتصالاتي بالإخوة في الجماعة المسلحة، أوصلوا لي مجموعة من أشرطة الفيديو الخاصة جدا لبعض العمليات، فرأيت أشرطة متعلقة بعملية فرنسا، وأشرطة متعلقة ببعض عمليات الخطف، فقلت لهم: يا جماعة هذا يُباع الدقيقة منه بكثير جدا وخذوا المال، بعض الأشرطة يصل لمائة دقيقة، وفي الآخر ترجع القضية دعاية، الإخوة لسة عندهم موضوع التصوير وحكمه. المهم في الوقت الذي كانت فيه كل هذه الإمكانيات الإعلامية يمكن أن تضعك في قمة القضية، كان الناس لسة بيفكروا ان احنا ممكن ننشر هذه الفيديوهات ولا ما ننشرها.

الشاهد أن استثمار الصحفيين الأجانب قضية هامة جدا جدا، مع الأخذ في الاعتبار أنه قد يكون له مهمة أخرى بجانب مهمته الصحفية، فهذا اسمه: لعب في دائرة الخصم، وهذه المعركة هكذا طبيعتها.

يقول:

[**ولا تهتم الحكومة حقاً لفقد بعض رجال الشرطة أو لمستودع سلاح، لكنها تحس بالهلع إزاء الدعاية التي تنتج عن مثل هذا العمل، والتي تبذر الشكوك حول استقرارها وصلابة اقتصادها. وبالإضافة إلى ذلك فإنها تبقى حائرة، لا تعرف ما إذا كانت الانتفاضة ستبقى محدودة**].

لما يسر الله سبحانه وتعالى بإجراء مقابلة صحفية وعمل صحفي لـ: CNN مع أخينا الشيخ أسامة بن لادن، رتبناها عن طريق أحد إخواننا هناك، الفيلم عملية عظيمة جدا، سبحان الله ما كنا نحلم بهذه التقديرات التي جاءت هكذا، والفريق التلفزيوني كان مقتنعا بعدم تورط سياسات الولايات المتحدة في حروب خارجية، حتى لا تتكرر قضية فيتنام، فعملوا مقابلة مع الشيخ أبي عبد الله يحذرهم وكأنها ستكون فيتنام، أراد أن يرعب الحكومة الأمريكية فجاءت المقابلة في صالحنا، وظهر الشيخ كبطل قومي ووطني وإسلامي وشعبي، وهناك لفتات فنية لا يدركها كل الناس، فقد أخرجوا أفضل الصور من حيث تصوير أبي عبد الله بشكل محبب، حتى يجعل المشاهد المحايد يحب الرجل نتيجة العرض الجميل للصورة، وأخرجوا الملك فهد بألعن زوايا الصور كأنه شيطان، يعني عندهم صور أجمل من هذه، وظللت أتابع في الصحف الأمريكية كل ردود الأفعال على الفيلم، الفيلم عُرض على ٢٠٠ قناة، بعضهم لمرتين وثلاثة، وانتشر في حوالي ١٦٠ دولة، وعُرض لفترات متباعدة، كان نصرا حاسما جدا، حتى هنا في البلاد التي ليس عندهم فيها لا أكل ولا شرب عندهم جهازان شغلوا الفيلم وشاهدوه، فكانت عملية ناجحة جدا، وقبلها كان في فيلم مع الـ: BBC.

الشاهد أنه تحصل عملية هلع، وأنا فعلا تابعت ردود الأفعال في الخليج والصحف والكلام عن الإرهابيين، ظل الكلام على لقاء الـ CNN لمدة شهرين ونصف، فهو يقول: [**تحس بالهلع إزاء الدعاية التي تنتج عن مثل هذا العمل، والتي تبذر الشكوك حول استقرارها وصلابة اقتصادها. وبالإضافة إلى ذلك فإنها تبقى حائرة، لا تعرف ما إذا كانت الانتفاضة ستبقى محدودة**] حتى أنا قلت لأخينا أبي عبد الله: كلمني صحفي سياسي بريطاني، وحكى أنه مرة كان في جلسة مع واحد من المعارضة

السعودية قال له: هذا الفيلم الذي عرضته الـ CNN أنا أستغربه، المفروض إذا بن لادن طلب شركة سينمائية أن تعمل له هذا الفيلم تطلب منه مليون دولار!

حتى منتج البرنامج اتصل بي بعدها، أنا كنت شرطت عليه .. .. .. هدول إرهابيين، .. .. .. فأنا أريد تعهدا خطيا منكم أن الفيلم سيكون موضوعيا حياديا، فاتصل بي حتى يطمئن: هل كان الفيلم مثل ما شرطت؟ فقلت له: لا لم يكن حياديا، قال: كيف لم يكن حياديا؟ .. .. ..

الشيخ نفسه لما حكيت له، قال لي: مليون دولار قليلة جدا، كان يعرف ذلك، مليون دولار قليل على هذه القضية، هم دفعوا لنا كل الخدمات التي نريدها، وحققنا كل الأهداف التي وضعناها.

الشاهد في الموضوع أنه يقول أن الحكومات (تحس بالهلع إزاء الدعاية التي تنتج عن مثل هذا العمل، والتي تبذر الشكوك حول استقرارها وصلابة اقتصادها. وبالإضافة إلى ذلك فإنها تبقى حائرة، لا تعرف ما إذا كانت الانتفاضة ستبقى محدودة).

احنا بعد ما سوينا اللقاء مع أبي عبد الله جابوا خبراء من الجامعات وبدأوا يحللون: ايش تتوقعون سيكون المصير، جابوا ناس من المخابرات الأمريكية، ناس من الجامعات، محللين اقتصاديين، ناس من وزارة الخارجية الأمريكية، كل الناس علقوا، لأن هذه المصيبة ليست في الصحراء، بل في السعودية حيث النفط، فيريد أن يطمئن على مصالحه.

يقول:

[وتظهر البلاغات المطمئنة، وتعزِّز الحاميات في المقاطعات بسرعة، بقوات أكبر وبكل سرية ممكنة، من أجل إخماد الانتفاضة واقتلاع جذورها].

لاحظ أهمية فهم الإعلام.

يقول: [**تلك هي اللحظة الحرجة**] أي: هي النقطة الحرجة عن الحكومة، هل ستقع في فخ استمرار القمع المضاد، وبالتالي تفاقم الانتفاضة، وتحول حرب العصابات إلى حرب ثورية وحرب شعبية وجهاد على مستوى البلد؟

يقول: [**فإذا كان اندلا ع الانتفاضة قد حدث في أوانه، وفي موقع أحسن اختياره، وكان على رأس الانتفاضة قادة أكفاء ومصممين، فإن الجهد العسكري يتعرض للإخفاق**].

نحن نستخرج الشروط، فنقول: يجب أن يكون اندلا ع الانتفاضة قد حدث في أوانه، وفي اللحظة المناسبة، فمثلا من أفضل اللحظات التي مرت في تاريخ الجزيرة، وهذا تقصير من كل الإخوة غفر الله لنا ولهم، أن الانتفاضة على النظام السعودي تكون متى؟ أثناء حرب الخليج، والقوات بمئات الآلاف، والعالم الإسلامي كله واقف على رؤوس أنامله، ويبحث حتى ولو عن صدام، ويريد كله أن يقوم بدور ما، والفضيحة بجلاجل على رؤوس العلماء، والناس فقدت شرعيتهم، والجو كله متوتر، فهذه لحظة ممتازة ونموذجية لاتخاذ قرار، وهذا الكلام قلناه في حينه لمختلف الأطراف.

في اليمن، متى كانت اللحظة الممتازة لاتخاذ القرار؟ توحدت اليمنان، الإسلاميون ساهموا في توحيدهما، لهم شهداء في المسألة، سلاحهم في أيديهم، يعتبرون قوة رئيسية في المسألة، صُوت على الدستور، أُعلن دستور كفري، ممتاز جدا، هذه فرصة تاريخية ممتازة، أن تعلن الجهاد وتستولي على اليمنين، فالمسلحون الذين قاتلوا فيهما معك موجودون، فبعد إعلان الدستور الكفري لك كل المبررات، خرج الناس بمئات الآلاف لما ذهبوا للقصر الجمهوري، ولكن لم يكن هناك زعامات جهادية، قدموا الشيخ الزنداني وبعض الناس، طلعوا عليهم كل واحد يرجع على بيته، وأخذوا أربع خمس مقاعد ودخلوا أعضاء في المجلس الرئاسي، وخلاص انتهى الموضوع.

لا أريد أن أدخل في تحليل التجربة، ولكن أتكلم عن عامل واحد، التوقيت في أوانه.

ثورة خميني كلها ناجحة، جديرة بالدراسة، ولكن أنجح ما فيها (التوقيت)، اللحظة التي اختار فيها الخميني أن ينزل من فرنسا إلى طهران، كان شاهور بختيار لا يزال في السلطة، والجيش الإيراني لا يزال متماسكا، والثورة لا يبدو لها نجاح من فشل، يغلب عليها أنها ثورة جماهيرية، أول شيء أصدر قرارا، خلاف كل العقليات السلفية للأسف التي تدمر كل إمكانيات الجهاد بزعم السلفية المزعومة، أصدر قرارا لكل الناس أن يرموا الزهور على الجيش إذا أطلق النار، لأن الناس لو رمت الحجارة وأطلق بعض النار تبوظ كل العملية، هذا بالنسبة لظرفه، وهذا لم يكن أمرا للثوار الذين يخرجون للكمائن أن يأخذوا الزهور معهم، بل هؤلاء يأخذون السلاح ويضربون الجيش، ولكن لما خرج الناس إلى الشوارع، ملايين الناس، ليس مهما حينها أن تطلق النار على الجيش، وإنما مهمة هؤلاء الجماهير أن يقنعوا الجيش، لما يكون الجيش ليس خائنا ولا أجنبيا كما عندنا في بلاد الشام، فلما ألقوا عليه الزهور أُسقط في أيدي الجيش ولم يستطع أن يفعل شيئا، الأمر الآخر أنه قال: أنا هركب الطائرة ورايح لطهران، والمطار في يد الجيش، فهذا هو التوقيت الحرج واللحظات الحرجة.

سأله صحفي فرنسي قال له: ممكن شاه بور بختيار يعتقلك في المطار، ماذا ستفعل؟ فلما كان يصعد للطائرة ويتعكز على عكازه التفت له وقال: (سنسمه على الخرطوم)، لاحظ هذه الأمثلة التي كان يجب على علمائنا نحن أن يقوموا بهذه القضية.

الشيخ البدري في مصر، حصلت مرة انتفاضة شديدة جدا، وسجن مجموعة من الدعاة والعلماء، أيام النبوي إسماعيل وكان بداية ممارسة العنف من قبل الدولة، خرجت مظاهرات من المساجد وتجمع حوالي مائة ألف شخص، وكان على رأس المظاهرة الشيخ البدري.. الشيخ البدري الآن عضو في البرلمان في مصر!! ويطالب بمحاكمة الدولة على قضايا سخيفة، مثل هذا الذي فرقوا بينه وبين زوجته، يبقى رئيس الدولة كافر يحكم بالكفر، وبدو يفرق بين نصر أبو زيد وزوجته لأنه قال كلمتين ثلاثة.

المهم خرجت المظاهرة والناس أقسموا لا يرجعون إلا بالإفراج عن المشايخ، مشايخ مصر كلهم في السجن أيام السادات، فلما أخذوهم تفاوض نبوي إسماعيل مع الشيخ البدري، فرجع الشيخ البدري وقال

للناس: خلاص وعدونا أن يخرجوا في غضون عشرة أيام! عشرة أيام؟!! الناس الآن ساخنة، الآن مستعدة تصادم، الآن خرجوا، بعد عشرة أيام خلاص، بدك تطلعوا بعد عشرة أيام، طلعوا الآن.. كان المفروض يطلع له واحد يقول له: ما برجع حتى يطلعوا الآن، أو تتخذ القرار وتعمله الآن.. فالمشكلة مشكلة ايش؟ توقيت.

توقيت الدستور الكفري في اليمن= فوّت فرصة الجهاد الصحيح في اليمن، عدم إعلان الجهاد في الجزيرة ممن يريد أن يعمل وقت حرب الخليج= فوّت فرصة ذهبية، هذه الفرصة من حسن الحظ لا تزال قائمة، لأن الأمريكان لا يزالون قائمين، ولكن فرصة عن فرصة.

الآن ونحن نسجل هذه الأشرطة، عمليات الغزو الجديد وضرب العراق ومجيء القوات= فرصة لمن يريد أن يستثمر استثمارا سياسيا بأن يقول ما يريد قوله الآن، الآن تُسجل في سوق البُرْصة السياسي المبادرات، الآن الآن.

فقضية التوقيت من أهم قرارات النجاح في كل شيء، أنت عليك أن تعمل الآن، أو الآن عليك أن تنسحب، الآن عليك أن تُهاجم، الآن عليك أن تُناور.

ايش يقول هنا: **فإذا كان اندلاع الانتفاضة قد حدث في أوانه**.. أي في توقيت صحيح.

(**وفي موقع أحسن اختياره**) نحن الآن كمسلمين إذا أردنا أن نفكر على صعيد أممي، ونتحرك على صعيد تنسيق دولي، فما عاد لي أن أقول: أنا أنتمي إلى البحرين، البحرين كله ليس موقعا أحسن اختياره، وأنا أفرق الآن في كلامي بين دفع الصائل ورد هجمة العدو والنكاية التي يجب أن تحصل في العدو= فهذا في أي موقع تجب، نحن لا نتكلم عن أعمال فردية واجبة على المسلمين، ولكن نتكلم عن اختيار منطقة لحرب عصابات تكون بوابة لنكاية في العدو.

المواقع التي يحسن اختيارها: هي المواقع التي يمكن أن تستجيش كل المسلمين لصالح القضية، وتستجيش كل الجماعات الإسلامية وكل المجاهدين معك، فهناك قضايا جوهرية، وقلنا على رأس هذه القضايا الآن: مسألة المقدسات، مسألة القدس، مسألة احتلال الحرمين، مسألة القوات في مناطق البترول، مسألة نزول الغرب في شمال إفريقيا، عملية التمشيط الصليبي لشمال إفريقيا مرة أخرى، نزول الأمريكان في وسط آسيا، هذه مواقع يحسن فيها الاختيار إذا أحسن فيها التوقيت.

يبقى ايش الشرط الثالث؟ قال: **وكان على رأس الانتفاضة قادة أكفاء ومصممين**.. الكفاءة عبارة عن إمكانيات، منها ما هو ملكة هبة من الله سبحانه وتعالى، ومنها ما هو علوم مكتسبة جعلت إنسان كفء وآخر غير كفء، القائد الكفء ليس بالضرورة أن يكون المهدي المنتظر، وليس بالضرورة أن يكون سقراط الحكيم على الإسكندر المقدوني في آن واحد، ما ممكن.

فالقائد الكفء من أهم ميزاته، وقد أتيت بكتاب في علم القيادة وكتاب في علم الإدارة نقرأ منهما بعض الفصول، سنفصل في إمكانيات وميزات القائد، ولكن من أهم ميزات القائد أنه إذا لم يكن ذلك القائد العبقري الذي جمع علم المجتهدين إلى بطولة الأبطال إلى كرم الكرماء إلى حلم الحلماء إلى كل القضايا، وهذا نادر، إذا لم يكن جمع كل هذه الصفات= فممكن أن يكون في مجموع أعوانه ومجموع ضباطه ومجموع الإداريين الذين عنده ما يخلق هذه الشخصية الجماعية الذي يكون هو رأسها وواجهتها، فعند ذلك يكون هو قائد كفء بكفاءة من حوله، فمثل ما قالوا: "إنما الملك بالجند" إنما الملك بالأعوان، وإنما الأعوان بالمال، وإنما المال بالرعية، وإنما الرعية بالعدل.. إلخ فالعدل أساس الملك.. فالقضية مترابطة على بعضها، ولكنه قال في الملك إنما الملك بالأعوان، فمجموعة الأعوان الأكفاء ممكن أن تصنع قائدا كفئا.

فإذا جاءنا توقيت صحيح، على اختيار مكان صحيح، على قائد كفء، ولا يكفي أن يكون كفئا، يجب أن يكون مصمما، يعني يمضي أو يهلك دونه، لما قال له الرسول عليه الصلاة والسلام: "أجاهدكم حتى يقضي الله هذا الأمر، أو تنفرد هذه السالفة" خلاص ما في مجال للرجعة، فلما يتوفر قائد كفء، وفي

نفس الوقت مصمم، على توفيق الله عز وجل أن تجتمع كل هذه القضايا، عند ذلك قال: **فإن الجهد العسكري يتعرض للإخفاق**.. يعني للدولة، وهنا بدأ بسرد جملة من الأمثلة، نتوقف هنا إن شاء الله تعالى.

نأخذ بعض الأسئلة، اتفضل:

الأخ: .....

الشيخ: جزاه الله خيرا أخونا أكد الفكرة التي استغرقت معنا عشرة أشرطة، ونحن ندور حول هذا الموضوع أن الخطاب الجهادي أصبح محصورا، ويجب تحويله إلى خطاب شعبي يمكن أن يفهمه المسلمون، يقول الجهاديون: أن الرسول عليه الصلاة والسلام فعل كذا وأحمد بن حنبل فعل كذا وكذا، هذا الكلام كله من الحق، وكله إما دين وسنة، أو من فعل السلف الذين أمرنا باتباعهم، ولكن في فوارق خاصة يجب أن نأخذها بعين الاعتبار حتى ننزل كل مسألة منزلتها.

من هذه الأمور التي يجب أن تبحث بدقة أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث في مشركين لا يقولون لا إله إلا الله، وشرح ابن القيم في "زاد المعاد" هديه صلى الله عليه وسلم في قتال الكفار والمشركين والمنافقين وتدرجه، وقد قرأنا كلام العلماء أن هذه الأحكام التي تدرج بها الرسول عليه الصلاة والسلام ليست منسوخة، وذكر بعض العلماء بأنها نسخت أو أن آية السيف نسخت نصا وحكما كل ما سبقها من أحكام، وذكر غير واحد من أهل العلم أن هذا ليس بصحيح، وأنها هي المآل الذي يجب أن يصل إليه جهاد المسلم، ولكن إذا مر بالمسلمين ظرف سبق أن مر بالرسول عليه الصلاة والسلام فمررنا به بحذافيره= فلنا أن نأخذ بالحكم الذي تصرف به الرسول عليه الصلاة والسلام في وقت ذلك الظرف، من استضعاف من ضرورة إلخ.

كما ذكرنا، في زمن أحمد بن حنبل كانت الفتوح منتشرة والشريعة قائمة والخلافة قائمة، فكانت مشكلة المسلمين هي أهل البدع= فتصدوا لأهل البدع، ففي عصرهم هي المشكة رقم واحد.

أما الآن، الشريعة معطلة، كل شيء مداس، أحوالنا كذا تكلمنا في هذا الكلام، فأخونا جزاه الله خيرا يؤكد على هذا المعنى، وأن خطابات القرآن كلها (يأيها الناس) (يأيها الذين آمنوا) خطابات عموم كلها.

لما يأتي الإنسان في ظرف دخل عليه الصائل= فالأصل دفع الصائل، بعد ما يُدفع الصائل ويصبح المسلمون في راحة، تصبح المشكلة انتشار الانحرافات، وتصبح هي المعركة رقم واحد، وهكذا كل حالة بأولوياتها في تقدير المصالح والمفاسد، لا يمكن لإنسان بيته يحترق ودخل واحد جاره يأخذ بيد واحدة من أهله وهي رأسها عارية فيقف حتى يحجب المرأة، الطبيعي أن تخرج من النار ثم تحتجب، ففي حال الحريق الذي نحن فيه عندنا أولوليات دفع الصائل.

وأكد أخونا أن عصيان العاصي وفسوق الفاسق لا يُسقط عنه واجب وفريضة الجهاد في سبيل الله ودفع الصائل، ولا تنزع عنه حقه فيقول له إنسان: أنت عاص فلا تجاهد.

هناك فرق بين هذه الدعوة العامة لتوجيه الناس، وبين تربية النخبة على منهج صحيح، على أولويات صحيحة، الرسول عليه الصلاة والسلام ربى نخبة: أهل بدر، أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان أقصد، المهاجرين الأنصار.. إلخ، فيجب أن يكون عندنا مستويات متدرجة، من دخل في الدائرة الداخلية نطبق عليه قول الصحابة: "كان الرسول عليه الصلاة والسلام يفرغنا ثم يملؤنا"، أما الخطاب فيجب أن يكون لإقناع الناس، وهدف ومآل الدعوة أن يدخل الناس في دين الله أفواجا.

ولا يُفهم عكسيا قضية قلة المؤمنين، المؤمنون قلة صحيح بالنسبة إلى من حولهم، ولكننا لسنا مأمورين بأن نكون قليلين، نحن مأمورون أن ندعو الناس.

سؤال آخر:

الأخ: سؤال حول: إلى أي مدى ننتظر حتى يقتنع الناس بالعمل المسلح؟ والسؤال الثاني: مسألة استغلال الفجوات والحريات في الدول الغربية، يعني هل هناك تأصيل شرعي للمسألة، يجوز أو لا يجوز؟ قلت: دخول النقابات وهيئات الإغاثة وهكذا.

الشيخ: أما السؤال الأول فقصير نجيب عليه، وبالنسبة للسؤال الثاني فيجب أن نفرد له محاضرة بحثية.

يسأل أخونا: إلى أي مدى ننتظر حتى يقتنع الناس بالعمل المسلح؟

والجواب: أننا قلنا يجب أن يتوفر عندنا حد أدنى من المناخ الذي أسموه بالمناخ الثوري، والذي نسميه بالمناخ الجهادي، فأما انتظار قناعة كل الناس= فهذا ليس صحيحا، ولن يقتنع كل الناس بحال من الأحوال، بل لن يقتنع أغلب الناس، إنما يجب أن يكون من خلال رصد عملية الإشاعة ومن خلال الاحتكاك بالناس وأننا موجودون في المدارس والأحياء والحياة العامة، من خلال وجودنا نرى جو التذمر أصبح غالبا، يعني الكل أو الغالبية رافضين للوضع، يتمنون زواله، وهناك فرق بين من يتمنى زواله ومن هو مستعد للمساهمة في زواله، ولكن على الأقل يجب أن يتوفر عندهم قناعة بتمني زواله.

وهذا الحد الحمد لله حاصل في كل الدول العربية والإسلامية، نتيجة تراكم مجموعة هائلة من البلاءات، لا بلاء واحد، شرعي اقتصادي ديني اجتماعي، ظلم قهر، كله متوفر.

أما قضية اقتناع الناس بالعمل المسلح= فيجب أن تصل أنت إلى قناعة، لا أن الناس تحمل السلاح، ولكن أن الناس ستؤيد هذه القضية ولو قلبيا، يعني ولو قلبيا يرون أنك على حق في خروجك، إذا كان عموم الناس يرون أنك على باطل لو خرجت= فمعناه أن الجو غير صالح، فإذا لم تُجبر على الخروج لا تخرج، يجب أن تقوم بمزيد من الدعاية ومزيد من التأثير حتى يقتنع الناس ولو لم يساهموا معك ولو لم يحملوا

السلاح معك، إنما في قلوبها تراك على حق، وترى النظام أو العدو أو الأمريكان أو اليهود أو الملك على باطل، وهذا سهل.

لكن قضية من يساهم في التغيير، أو من يساهم في الجهاد= فهي أصلا عندنا في القرآن في السنة في التاريخ، أنهم دائما قلة، وقصة طالوت وجالوت مشهورة بما يغني عن التفصيل فيها، الناس الذين تمنوا التغيير كثير (ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) وذكروا أسباب القتال (وما لنا ألا نقاتل وقد أخرجنا)، فلما جاء الملك ظهر: ممكن ما ممكن نخرج ما نخرج، حتى لما خرجوا في الجيش وتعرضوا لأول امتحان سقط كمية كبيرة، فعملية الفرد والنخبوية موجودة في الذي سيخرج في النهاية، ولكن يجب أن يكون هناك جو عام أن الناس ترى بقلبها أنك على حق وأنك مظلوم وأنك جزاك الله خيرا، هذا الجو يجب أن يتوفر.

لابد أن ننتبه، نحن قلنا عندنا: أنصار ومحايدون وأعداء، يجب أن تكون دائرة العداء محصورة في طبقة النظام ومن حوله، لا يجب أن يكون هناك أعداء ضمن دائرة الشعب، وإنما الأصل في دائرة الشعب أن تكون محايدة، الآن تأتي لعمل ثورة في الإمارات العربية المتحدة، كل الناس بتاكل وبتشرب بتقول: خلف الله على زايد، إلا ما رحم ربي، بدل الحمد لله رب العالمين: خلف الله على زايد! فلما تعمل ثورة مَن بده يثور؟ على ايش بدو يثور؟ عشان الدين والشريعة؟ الديّن والصالح منهم يعتقد أن زايد يطبق عليهم الدين والشريعة! عشان الفقر؟ ما هناك فقر. عشان الظلم؟ ليس عندهم ظلم. فما في مبرر لا لبتاع الدين ولا لبتاع الدنيا يخرجه.

حتى لما صارت الآن حركة مسلحة في البحرين= هي شيعية ضد نظام قائم، هو ظالم هو طاغية، لكنه سني بالنسبة لهم، وهو خروج مرتبط بالتأثير الشيعي التابع لإيران وليس عملية محلية.

أما في بلادنا نحن فيجب على الأقل أن يكون الناس عندما تنطلق الثورة= متراوحين بين دائرة الحياد، ودائرة المناصرة ولو بالقلب، لا يكون معاديا، فإذا لم يحصل هذا فعليك جملة من الأعمال، منها دعاية ومنها دعوة، ومنها مساجد، ومنها تضحية، ومنها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فيأخذونك للسجون، ما

تحمل السلاح، تذهب للسجون وترجع مرة أخرى، هذه المرحلة مرت بها أغلب الدول، فتخرج وأنت صاحب حق ومظلوم.

أما أن يفهم أحد أننا سننتظر حتى يصير كل الناس أو أغلبهم مقتنعا بحمل السلاح= فهذا لن يحصل أصلا، حتى قضية الإيمان نفسها (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)، وقضية قلة أهل الحق عليها دلائل دائما، ولكن هذه القلة هي القلة النخبوية.

أما فقد جئنا في أقوام هم من أهل لا إله إلا الله، الغالبية العظمى فيما أعلم –الحمد لله طوفت في البلاد كثيرا، ولدت في الشام وزرت وسكنت في مصر، وزرت وسكنت في تركيا، وفي لبنان وفي الأردن وفي العراق، واختلطت بكثير من شباب إفريقيا، وجئنا وسط آسيا واحتكينا بالناس- أن عموم المسلمين للإسلام في نفوسهم مكانة وحب وتعاطف، حتى ولو كانوا فسقة فجرة لايصلون، هذا الأصل نستطيع أن نرتكز عليه، ونبني عليه.

عندنا إجماع عند كل الجماعات الإسلامية –باستثناء التكفير- أن عامة أمة محمد على العموم هم مسلمون من أهل لا إله إلا الله، فإذا كانوا كذلك وهذه عقيدتنا فيهم –بصرف النظر عن تباين حالهم والمطولات الفقهية التي قرأناها وسمعناها وليس محلها هذه الدورة- إذا كان الأمر كذلك فنحن لم نبعث في مشركين.

وهناك بعض الناس حملوا مفاهيم تكلم بها الشيخ المودودي رحمه الله والشيخ سيد قطب رحمه الله حول مفهوم لا إله إلا الله ومدلول لا إله إلا الله، وأن من لم يقل لا إله إلا الله بمدلولها الأدبي المفصل هذا فما آمن بها= هذا الكلام يحتاج تفصيل، وليس على هذا المحمل حمله سيد، أنه ما لم يقل لا إله إلا الله بهذا التفصيل الذي لا يعرفه إلا من بلغ الثقافة والعلم أنه ليس من أهلها، هذه القضية على ظاهرها ليست صحيحة، لأنه عندنا آثار وأدلة وأحاديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام عامل أناسا قالوا لا إله إلا الله على مختلف أفهامهم، بدءا من الجارية الذي استفهمم منها أن الله في السماء والرسول أقرها، إلى الأعرابي الذي فعل كذا، إلى معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعلماء الصحابة.

فالذي نعرفه من سيرة سيد قطب رحمه الله، لما تكلم عن هذه القضية، هو في تطبيقاته وحياته وتعامله مع الناس لم يحملها على هذا المفهوم، وهذا سنتعرض له بالتفصيل لما نتكلم عن موضوع التكفير إن شاء الله.

فهم أهل لا إله إلا الله، ونحن جماعات جهاد بُعثنا وأرسلنا الله سبحانه وتعالى وحمّلنا هذه الرسالة، وهي جزء من ميراث النبوة، لكي نُدافع عن هؤلاء المسلمين، وندفع عنهم غائلة الصائل، الخارجي والمحلي، وهذا يتطلب منا كما شرحنا كثيرا أن نقيم جوا عاما يؤدي لشعور الناس بأننا فعلا ندافع عنهم ونقاتل باسمهم، وهذا حصل وكان له نجاح.

وعلى الرغم من أحادية الطرح، والخطاب الفوقي جدا والنوعي جدا للجماعات الجهادية، ومع ذلك استطاعت أن تحقق شعبية، أكبر دليل على ذلك: من أعقد الطروحات الفكرية الجهادية طرح جماعة الجهاد في مصر، صعب وليس شعبيا، ومع ذلك سجناؤهم ٦٠ ألف الآن في السجن! وهذا يدل على أن لهذه الدعوة عمقا في نفوس الناس، وما تزال تنقرض خلية تخرج خلية، تنقرض خلية تخرج خلية.

فلما يكون الجو جو بدع= هذا شيء، ولما يكون الجو جو صائل= هذا شيء آخر.

وأنا أعتقد أن المشكلة لم تكن أمام الجماعات الجهادية إلى الآن ليس هناك جماعة جهادية في بلادنا فشلت وكان السبب أن عموم أهل البلد من المسلمين رفضوها، لا أعرف أنا جماعة فشلت لهذا السبب، وإنما كان مجموع الخلل لأسباب أخرى. يعني أكثر ما حصل أن الشعوب حيادية تجاه المسألة أو لا مبالية تجاهها، لم تستطع الجماعات الجهادية أن تقنعها أن القضية قضيتها وتمس حياتها.

أكرر مرة أخرى، هناك فرق بين هذا الذي نشترطه لإطلاق حرب عصابات، طويلة المدى مبرمجة، لها هدف إطاحة بالنظام وإقامة نظام، وبين عمليات دفع الصائل وقتال وجهاد، قد يكون يجب أن نقوم به بصرف النظر عن الشعب، في شعب ما في شعب، في تأييد ما في تأييد، سواء كان الصائل يهودا أو نصارى أو ملكا، عند ذلك لا يُنظر إلى الشعب ولا يُنظر إلى تأييد الشعب، يُنظر إلى أداء الفريضة وإلى أداء الواجب.

نحن نتكلم في قضية إنسان يريد أن يعمل مشروعا، عمل متكامل، لا عن دفع الصائل على طريقة سليمان الحلبي، على طريقة سلمان خاطر، على طريقة إنسان قام ليدفع عن المسلمين، وجد أنه هو نفسه مقصود في ماله، مقصود في عرضه، من الملك من الشرطة من اليهود من النصارى، فقام تصرف، هذا مأجور ونسأل الله تعالى أن يكون من خيار شهداء آخر الزمان، الذين قال فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام أن الشهيد منهم بخمسين من شهداء الصحابة. لا نتكلم عن مبادرات فردية.

أما السؤال الثاني فهو فعلا يحتاج إلى محاضرة كاملة، لأن لها تعلقا بوجود المسلمين في الغرب أصلا وأحكامه الشرعية، ٢٠ مليون فقط في أوروبا بدون سبب، ٧ مليون موزعون بين الولايات المتحدة وكندا وأستراليا، غير الـ ٢٠ مليون من ذراري المسلمين الجيل الثالث والرابع والخامس في أمريكا اللاتينية، الذين لا يعرفون من الإسلام إلا أنهم مسلمون، هدول بقايا المهاجرين اللي راح واحد من الدعاة قال لهم: رمضان ولازم تحتفلوا، بدو يحمسهم وكذا، فلما جاء للحفلة وجد الشباب والبنات جيبين خمر وكذا وبدهم يحتفلوا! الجماعة مفهومهم عن الاحتفال أن هذا هو الاحتفال!! فلما جاءهم داعية من السعودية يخطب فيهم كان أول خطاب له عن حرمة التصوير!

الشاهد في الموضوع إذا كنا سنتكلم في سؤالك هذا عن استغلال الفجوات وحكمها الشرعي، أقول: سيجرنا هذا إلى الحديث عن الحكم الشرعي للوجود في الغرب أساسا، ثم يجرنا إلى موضوع الحكم الشرعي في لجوء الجماعات الإسلامية والجهادية وطلب اللجوء السياسي وحكمه الشرعي والاستقرار هناك، ثم سيجرنا هذا إلى شرح وضع الجاليات، وأظن أنه لعلي من أفضل من يشرح هذه القضية، ١٥ سنة في تلك البلاد، وأعرف الظرف وأعرف الجو إلى حد كبير.

الوجود هناك خطأ وليس صحيحا، ومفاسده أكبر من منافعه بكثير، ولما أفصّل أقول لك لماذا، إنما أتكلم عن حالة أناس ألجئت وذهبت وهي هناك، لا أنا الذي قلت لهم اذهبوا هناك، هي هناك ومشاريعها هناك، فكيف نسخّر هذه الشريحة لصالح العملية الجهادية التي نحن فيها؟ وكيف نقوم بعملية سحب لها إلى

أن تعود إلى بلادها، في ظل حالة الضرورة وحالة القهر الموجودة في بلادنا، وحالة الحصار الاقتصادي، لأن كل هؤلاء فروا إما فرارا من الفقر أو فرارا من الكفر أو فرارا من الظلم، أي: فرارا من عوامل ملجئة.

الأمر الآخر أنا أتكلم عن نخبة تذهب إلى الغرب، بغرض العمل خلف خطوط العدو، وهذا عندي أنا على الأقل في فهمي لا أشك بأنه جائز وواجب، هي ساحة من ساحات العمليات، أنا أرسل شخصا لهذه المهمة، في عندي مثلا بلد من البلدان فيه ٤ مليون مغربي، مليون جزائري، وهناك فرص لتهريب الأسلحة، وفرص للشراء، وفرص للأخذ، وفرص للعطاء وفرص للضغوط، فهذه المنطقة منطقة عمليات، أنا يجب أن أذهب إليها.

أنا مرتاح تماما لكل الأدلة الشرعية الموجبة لإرسال عينة من الشباب معدة ومدربة لتعمل خلف خطوط العدو، وهذا ليس سياسة لنا بأن نذهب ونوطن شبابنا وندعو شعوبنا ونقول: اذهبوا إلى هناك.

ومن أجمل ما سمعت، أنه عندما ذهب الشيخ صاحب كتاب "الولاء والبراء" سعيد القحطاني –الله يحفظه هو سُجن وخرج– وسئل في بريطانيا وأنا لم أحضر المحاضرة ولكن نقلوا لي كلامه، وكان حسب كلام أكثر من أخ حضر المحاضرة أنه قال أن حكم المسلمين في بلاد الغرب أنهم أحد ثلاثة أصناف:

إما رجل ليس عنده ضرورة أن يقيم في الغرب، وجاء الغرب ليدرس ثم انتهى فقعد، أو جاء ليعمل ويسد حاجته ثم قعد، ورجل مستوطن يستطيع الرجوع لبلده وليس عنده سبب من ضيق ذات اليد، وليس مطاردا أو مقهورا= فهؤلاء الناس كفرة مشركون، ليسوا على دين الإسلام ولو صاموا وحجوا وقاموا بالفروض، وأتى بكلام ابن حزم، وقال فيهم كلاما قاسيا جدا، وأن الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا، وهو ذهب وجعل للكافرين على نفسه سبيلا، وجعل كلمة الذين كفروا العليا على نفسه وذريته وأولاده، وهو الذي تربى في الإسلام وصلى وقام ومع ذلك لم يبق عنده شيء، وهذا كنت أقوله لهم: بمجرد أن تحط بك الطائرة في المطار وتعبر الجمارك يطير نصف دينك فورا، وأنت كنت هناك وأنا ونصف الحاضرين هنا كان هناك، وأن هذا الرجل يؤصل لكفر ذريته، فهم لم يسمعوا بالإسلام ولم يعيشوا فيه ولم يأكل ولم يشرب مع المسلمين، ماذا سيأخذ من الإسلام في تلك الديار؟ فاحتمال كفر الجيل الأول ٧٠%

وهذا أنا رأيته وعندي من القصص ما يشيب لها الولدان، ثم ما رأيك في الجيل الثالث، ابن ابنه؟ هو عنده ٨٠ % ٩٠ % أعطى ابنه ١٠ %، ابنه عنده ١٠ ماذا سيعطي ولده؟ صفر، الحفيد كافر غالبا، فهو لأنه ارتضى الكفر في ذريته وعلى بصيرة، وعلى مرأى مما حصل في من قبله، وليس عنده سبب لا اقتصادي ولا سياسي، فحكم عليه حسب ما بلغني بهذا، فهكذا قال الرجل على ذمة الإخوة الذين نقلوا لي.

الصنف الثاني من الموجودين في بلاد الغرب: رجل ليس عنده ضرورة أمنية، وإنما عنده فعلا عملية قسر اقتصادي، أنه جاء يطلب الرزق بسبب إغلاقه في بلاده، فقال: هذا الرجل عاص، وآثم إثما كبيرا لأنه يطلب الرزق ويظن أن رزقه لا يتبعه إلى بلاده، ومن عقيدتنا أن الإنسان يطلبه رزقه كما يطلبه أجله، فهذا الفعل منه مرفوض وغير مقبول وليس صحيحا، ولكن كونه له وهم بعذر لم يحكم عليه بما حكم على الأول، أي: الذي ليس له أي سبب.

قال: ولا أرى عذرا إلا لإنسان مطلوب أمنيا في بلده، وليس له خيار فعلا، نفدت خياراته في بلاد المسلمين الأخرى، وليس عنده مجال أن يذهب إلى مجالات أخرى، فهذا الإنسان معذور طالما يبات ويصبح على نية البحث عن حل يخرجه من تلك البلاد.

فلاحظ هو ضيق على الناس التضييق اللازم والمناسب، وأقول أن كلامه بصرف النظر عن الحد الأول حقيقة مرعب الإنسان يتريث فيه، لأن فيه ملايين الناس، ولكن في مجمله صحيح، وفعلا كثير من الناس الذين يظلون بلا سبب وعذر كفروا، وترى الآن زواج المسلمات من النصارى عاديا، وقيامهم بالزنا بدون زواج عاديا، خروج وعقوق الأبناء على آبائهم، ظواهر اجتماعية تشيب لها الولدان، ترتبت على وجود الناس في الغرب.

لا يُفهم من كلامي أبدا تحريض على أنه كل واحد خطر في بلده يلا في الغرب فجوات ومستقر، صحيح في مصاب تشيب لها الولدان، ولكن عندنا مصايب تشيب لها الولدان أكثر، وهو أن معظم الدعاة المسلمين والإخوان المسلمين والمطاردين من بلاد الإسلام إلى الغرب حصل في عقولهم عملية مسخ، وخرجت مجموعة من الأفكار الشائهة المشوهة العجيبة جدا، حتى تجد الناس يقولون أن العمل للإسلام في

هذه البلاد خير من العمل في بلادنا، ونحن نعبد الله في أوروبا خير مما نعبده في بلادنا! دعاة كبار ومشايخ كبار.

ويجدون من أمثال القرضاوي ومن يأتي للمحاضرة هناك من يزين لهم الوجود ويعطيهم أدوارا، ويفتي لهم الفتاوى العجيبة الغريبة التي ما أنزل الله بها من سلطان، حتى من آخر ما سمعت أن تلك البلاد ليست دار كفر، لأنه تُقام الصلاة بإذن الحكومات، ومما سمعت أن هؤلاء الناس سيسلمون وسيأتوننا ويغزوننا بالإسلام، ويفتحون بلادنا ويعبدوننا لله بعد أن يسلموا كما أسلم التتار!

وجاء رجل داعية لأمريكا قال: أهل أمريكا سيسلمون، ولعل هذا تأويل حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: "الشمس تشرق من مغربها" في آخر الزمان، يعني شمس الإسلام تأتينا من أمريكا بالتكنولوجيا والجيش فيحتلونا ويجعلونا مسلمين.

أقول لك أفكار عجيبة من المسلمين في أوروبا وفي أمريكا.

فأنا لا أقول ولا أدعو لهذا، بل على العكس أنا دعوت وكتبت وذكرت كل الناس هناك بأنه يجب على الناس الخروج الفوري من أوروبا، حتى كتبت لبعض الإخوة في جريدة عادية مجلة غير جهادية مجموعة مقالات في حكم وجود المسملين في أوروبا، وأتيت بكلام الشيخ القحطاني ليس هذا وإنما الذي كتبه في الكتاب "الولاء والبراء في الإسلام"، حتى أنه في كتاب "الولاء والبراء" هناك فصل معقود بعنوان: موالاة المشركين بالإقامة في ديارهم! جعله وجها من وجوه موالاة المشركين.

أنا أقول أنه يجب أن نسحب المسلمين، وإلى أن نسحب المسلمين المعركة دائرة وهناك عشرات الملايين موجودين، وهي ساحات عمل فيها فائدة في جمع التبرعات وغيرها، وفيها واجب الحفاظ على هؤلاء الناس لئلا يضيعوا منا، فعندما نقول: أنه على جماعة جهادية أن تستفيد من هذا الوضع= هل على الجماعة الجهادية أن تستفيد لأنه عندها فُسحة وفُرصة؟ لا أقول أن الجماعة تذهب، والقيادات يذهبون، وإنما جزء من خلاياها العاملة تستفيد من هذه الأوساط، حتى تعمل مكاتب للمطالبة بحقوق الإنسان، حتى تعمل مكتب اتصالات وبث للنشرات وهكذا، وليس أصل الوجود هناك، وهذا إن شاء الله سنفصل فيه.

لكن وجود كمية صغيرة من العاملين بصفتهم كوماندوز يعمل خلف خطوط العدو، وهو مؤهل وذو تربية وذاهب لمهمة محددة، ولمدة محددة، وتحت رقابة مركزية، وأول ما يُلاحظ أنه هناك انهيار أو حتى تغير= تقوم بسحب للعناصر المعرضة للخطر، فأنا ذكرت أن هذا له فوائد كثيرة، وفيه مخاطر ومقاتل إذا خرج عن طوره.

الأخ: طيب، الوضعية القانونية لهذه المكاتب؟ احترام القانون واحترام الدستور كيف هذا؟

الشيخ: أنا أقول لك، في دول مثل بريطانيا أي إنسان يريد أن يفتح أي عمل إعلامي لينشر، فهو مرخص بنفسه، وليس بحاجة لأن يتقدم بطلب لأي هيئة، يعني تستأجر بيتا، تعمل مطبعة، تصدر مجلة! فهذا قانوني لأنك قاعد في بريطانيا قانوني، لا أحد يطلب ترخيصا، أنت مرخص بحكم أن قدمك فوق الجزيرة البريطانية، لكن هناك دول مثل فرنسا وإسبانيا وكذا إلخ تحتاج إلى طلب، ولكن عندما ترخص لا أحد يشترط عليك باحترام القانون وغيره:

الأمران اللذان فيها طلب باحترام القانون وفيهم كلام—والكلام ليس بحثنا- هو:

أول: طلب الجنسية، ففيه تعهد وقسم أمام المحكمة على أنك ستحترم البلد وتحترم الدستور وتحب العَلَم وتدافع عن البلد، يعني مواطن مثل باقي المواطنين.

الأمر الآخر: طالب اللجوء السياسي، عنده تعهد أقل قسوة من طلب الجنسية، ولكن فيه احترام لقانون البلاد وعدم مخالفته وهكذا إلخ، فطلب اللجوء هو أقرب إلى الجوار، يعني لما أنت تأتي تقول لإنسان: أجاورك، يقول لك: لا تحدث عندي مشاكل، لا تسوي كذا.

على سبيل المثال المكتب الذي ذكرنا اسمه، لم يتقدم له بترخيص أصلا، يعني افتتحه وعمل نشرة والسلام عليكم، وأنا فتحت مكتبا للدراسات والإعلام وليس للإغاثة ولا كذا، وحتى الآن أرخص هيئة إغاثة على سبيل المثال في بريطانيا لمساعدة المسلمين في منطقة وسط آسيا، هم لا يفهمون إغاثة ولا مو إغاثة، وإنما هي مؤسسة تجارية، فكام رأس مالها ورقم حسابها وتعطي الترخيص وخلاص، لا أحد يشترط عليك هذه الأمور.

أما قضية الجنسية واللجوء السياسي= فالحقيقة أخذت جدلا كثيرا جدا.

الشيخ: في شيء آخر؟

الأخ: مسألة النقابات:

الشيخ: برجع أقول أن هذا يختلف من بلاد إلى بلاد، في بعض البلاد النقابات فيها حكومية محضة، لا تستطيع أن تدخلها إلا أن تكون هي أصلا وُضعت وصُنعت حتى تصفق للنظام القائم، ولا يزال هناك بعض البلاد التمثيلات فيها أهلية، فعلا اتحاد عمال الغزل والنسيج فيما بينهم ينتخبون أربعة أو خمسة من الناس يمثلونهم ويطالبون بحقوقهم، وفي عندنا بعض الإخوة المصريين يعرفون هذه القضية، في مصر اتحادات الطلاب في الجامعات حرة لا يتدخل فيها أحد، ولا أحد يفرض عليهم system ويقول لابد أن تكونوا كذا أو كذا، ووصل إلى قيادة اتحادات الطلاب شباب مثل اسمه ايش هذا؟ عصام العريان، بصرف النظر

عنه، ولكن كان من الأعضاء الناشطين وفي الآخر في نهاية نشاطه أن رموه في السجن! يعني لما وصل للبرلمان حملوه من البرلمان للسجن!

لذلك أرجع أقول لك أن هذه الأمور ليست حدية، ونحن نخطئ خطئا كبيرا جدا، أنه أحيانا الواحد يكون عايش جوه بلده، احنا عندنا مثلا الجنود والشرطة نصيرية، فلما أشوف واحد من أهل الجزيرة ولا من بلد تانية فيهم الجيش والشرطة ليسوا كحالتنا، ولا يخاطب جنوده وشرطته بنفس خطابي أنا بيصير عندي صدمة، وكل تصوري عن أي جيش وأي شرطة هو اللي أنا رأيته، اللي أنا عشته، فبأتي أريد أن أحمل كل الآخرين على ما أنا عليه، ولما آتي أقول نقابات، يحملها الواحد على نقابات بلده ولا يتصور غيرها.

فالأحكام الشرعية المعروفة كلها محل اتفاق فيما بيننا، والمنطلقات المنهجية محل اتفاق فيما بيننا، وإذا اصطدمت أي حالة مع المنهج والحلال والحرام بصرف النظر عن المكان فنحن نرفضها، ولكن يجب أن تُقدر القضية مكانا، والفتوى العلماء قالوا أنها تُقدر مكانا وتقدر زمانا وتقدر شخصا.

فالقضية تختلف بالزمان والشخص، ومن بلد إلى بلد، حسب الحالة.

فإذا كان هناك شيء ترى فيه مصلحة سياسية، ويبقى القانون الذي قاله سيد قطب رحمه الله ونقلته في "التجربة السورية": إذا تصور الإنسان أو الجماعة أنهم رأوا المصلحة فيما لا يرضي الله أو في خلاف شرع الله، فهم أولا واهمون، يعني ليست مصلحة، مخطئون هي مفسدة، ثانيا: إذا أصروا رغم معرفتهم أن هذا خلاف شرع الله فهم كافرون، لأنهم يتصورون أنهم أعلم من الله سبحانه وتعالى.. فهذا الضابط يحكم على كل الكلام الذي نتكلمه، ويبقى مردودا على صاحبه سواء كان عامدا أو جاهلا، لأن الأصل أنها ثوابت منهجية لا نتخلى عنها.

ولكن أقول: هناك فجوات حقيقية يمكن استخدامها ولا تصطدم مع المنهج، وممكن من الناس أن يمروا من خلالها، وهذه عشناها واستخدمها بعضها، وبعضها لا يزال يستخدم إلى الآن، ومع ذلك أقول: بسبب النظام الدولي الواحد هذه الفجوات ذاهبة إلى الانحسار والانغلاق، ولم يعد في الاستطاعة أن تفر من نظام إلى نظام ومن دولة إلى دولة، فهم رأوا أنهم دفعوا ثمنا باهظا لاستفادة بعض الإسلاميين من حمل

الجنسيات والتحرك بحرية والسفر، جزء كبير من الإخوة الذين ذهبوا إلى البوسنة ذهبوا بجوازات إخوة آخرين مجنسين، وضعوا صورهم على جوازاتهم وسافروا بها.

فهذه الفجوات أرى أننا يمكن أن نستفيد منها وننكي العدو فيها، والمفروض في كل جماعة أن يكون فيها مسئولون شرعيون، وإذا لم يكن لديها كفاية يجب أن ترفع هذه المسائل إلى من تثق بدينه وجهاده فتحل الحلال وتحرم الحرام.

اللي بعده، اتفضل.

الأخ: ما هي إمكانية قيام مجموعة بعمل حرب العصابات، في دولة ليست بلدهم، مع وجود كيان لهم في هذه الدولة، مثل اليمنيين وبقية الجنسيات الأخرى في أرض الجزيرة، أو الفلسطينيين في الأردن؟

وما هي أوجه الاختلاف في مرحلة البدء بين هذه الحالة، والحالة النموذجية التي تحدثتم عنها في المحاضرة السابقة؟

وهل يوجد حالة سابقة قامت شبيهة بهذه الحالة؟ وجزاكم الله خيرا.

الشيخ: سؤال جميل جدا، أعده مرة أخرى "......"، أريد أن أتكلم كبداية عن ثلاث نقاط ثابتة واضحة:

القاعدة الأولى: أن الإسلام لا يأخذ من حيث الحق بالجنسية، من حيث الحق هو حقه الكامل، ومن حيث الواجب هو واجبه الكامل، وحتى عهد قريب مارس المسلمون هذه القضية، ويحضرني سليمان الحلبي الذي خرج من مدينتنا من حلب، وذهب إلى بيت المقدس فاستفتى مفتي بيت المقدس بأنه يريد أن يقتل

كليبر، وذهب إلى كليبر في مصر وقتله، وأُخذ الشيخ الذي أفتاه من بيت المقدس ولا الأزهر لا أذكر، قُتل معه اثنان من المشايخ، واحد سكت وواحد أفتاه.

وعز الدين القسام خرج من اللاذقية وقام بثورة ١٩٣٦، وهي أكبر ثورة حصلت على اليهود، والذي قادها سوري لكنه قادها بصفته مسلما.

فهناك أفراد قاموا بواجبهم في الدول الأخرى، ولكن بمفهوم أن أفرادا قاموا بحرب منظمة اللتي نحكي فيها، حرب شاملة، وحرب عصابات= فهذا لم يحصل وهو صعب أصلا، لأنه يجب أن يكون له عمق في الناس.

القاعدة الثانية: القول السائد والصحيح: (أهل مكة أدرى بشعابها)، هذا يبقى سائدا وصحيحا، يعني مهما كان الإنسان الغريب صار له سنة صار له سنتين صار له عشرة، يبقى لا يعرف مداخل ومخارج القضية، وتسري عليه قاعدة خالد بن الوليد: (قتلك أرض جهلتها)، جهل ودياها، فإذا وسّعت المفهوم واعتبرت نفوس الناس وعدم إدراكك لمغاور نفسياتهم .. إلخ فهذه القاعدة تبقى سائدة: أهل مكة أدرى بشعابها.

فالقاعدة الأولى أن الإسلام لا يعترف بقضية الجنسيات ولا يعترف بقضية الحدود فكمسلم له فعل ذلك، وإن كانت النعرات القومية هذه موجودة وممكن أن يقول له رجل: أنت يمني لا تأتي السعودية فتسوي لنا مشاكل! وقالوها، حتى لما أراد بعض الإخوة في الجزيرة أن يجاهدوا في اليمن خرج عليهم بعض كبار المشايخ في اليمن وقالوا: هؤلاء من السعودية أتوا لعمل فتنة عندنا! فهو قطعا سيستخدم من الذين يصدون عن سبيل الله، ولكن أقول يبقى كمسلم له الحق أن يمارس الجهاد من أقصى أرض المسلمين إلى أقصى أرض المسلمين، هذا حق، وكواجب أقول: يجب عليه أن يقوم بذلك، يعني يجب على المسلم غير القاعد في الجزيرة أن يحس أنه من الواجب عليه أن يدفع الصائل في الجزيرة.

من يعترض على هذا الذي يريد أن يجهاد في غير أرضه= هو مخطئ أو مجادل عن الكافرين، فهو حقه، ثم هو واجب عليه إذا رأى أنه يستطيع أن يدفع ويستطيع أن يجاهد فالفريضة متحققة على كل مسلم مثله

أن يدفع هذا الصائل أينما كان، بصرف النظر عن الأرض وعن الجنسية.. هو مسلم يصلي للكعبة، واليهود والنصارى قاعدون في الكعبة، أهل الجزيرة عجزوا أو قصروا ليس شأنه، هو يجب أن يضع يده بيد من قام بهذا الواجب في هذه المنطقة، فأولا هو حقه، ثانيا هو واجبه.

ولكن القاعدة التي ذكرتها من حيث العموم لإنشاء حرب عصابات شاملة مخطط لها= فهذا يحتاج إلى أهل البلد بحكم الواقع وليس بالحكم الشرعي، فأهل مكة أدرى بشعابها.

أنت ضربت مثالين، أحدهما: صعب وهو أن يمني يقوم بحرب عصابات في الجزيرة، فهذا من أهم ما تريد الحكومة السعودية إثباته وهو أن هذا الفكر وارد، وهذه العناصر واردة، وهذا الفعل ليس فعل أهل الجزيرة، وهذا شيء وارد علينا ونحن جماعة محترمة لا نفتعل هذه المشاكل. هذه أحد المطاعن التي تستخدم.

والمثال الآخر: وهو الفلسطينيون في الأردن، الفلسطينيون في الأردن يا عمي هم أهل الأردن، الفلسطينيون في الأردن لو نفخوا في الجنسيات الأخرى يطيروا! هم ٨٠% من الناس، هم معظم الجيش، هم كل الموظفين، هم كل العمال، هم كل الفلاحين، أنا سكنت وعشت في الأردن سنتين ونصف لذلك أقول لك هذا الكلام، فالأردن عمليا هي فلسطين! فقط في الأردن يوجد ملك غريب لا أردني ولا فلسطيني، هو ذَنَب سعودي، جاء من آخر الحجاز أخذ الملك على يد الإنجليز، وأما الشعب فلم يبق إلا في العشائر والقضية، أقل شيء سمعته من ٦٠ إلى ٤٠، ومنهم من يذهب إلى أنها ٨٠ إلى ٢٠، فهم أغلبية.

هذه مدينة عمان الكبرى كانت في سنة ١٩٢٠ كان عدد سكانها ألفين نسمة! يعني عمارة كبيرة في السعودية، في سنة ١٩٤٧ في الهجرة الفلسطينية الأولى ارتفع العدد إلى عشرات الآلاف، في سنة ١٩٦٧ الضربة الإسرائيلية الثانية للضفة ارتفع عددها حتى صار مئات الآلاف، في سنة ١٩٧٦ مع بدء الحرب الأهلية في لبنان وبداية القلاقل السياسية في سورية ارتفع عددها فصار مليون ونصف! فهمت؟ فالمدينة تمددت تمددا سرطانيا، والأردن ليست دولة ولا على أي مقياس من المقاييس.

فأنا أعتقد أنه في بلد مثل الأردن الواجب الأول المنوط به الجهاد هو على الفلسطينيين، لا من حيث الواجب الشرعي فهو واجب على الكل، فالواجب متعلق بهم أكثر من بعض العشائر التي لا تستطيع فعل شيء، ومع ذلك أقول أن الوقت الآن حان لأن نستفيد من قضية هامة جدا وهي: أن النظام المركزي للقضايا الأمنية العربية مع أنهم قطعوا فيه أشواطا طويلة جدا، ولكن إلى الآن لم يتحقق على الوجه الكافي، لا يزال هناك مركزية كبيرة جدا في أجهزة الاستخبارات من دولة إلى أخرى، فتجد الأخ المطلوب في تونس يستحيل إليه أن يدخل تونس، والأخ السوري والمصري كذلك، يتجول بحرية مطلقة في الدول الأخرى، ويقيم ويذهب ويأتي وأمره عادي، فهذا الهامش يجب أن نستفيد منه، خاصة أن توجهاتنا الآن في الجهاد ما عادت الأولوية في الانطلاق في جهاد الحكومات.

يعني التونسي ما عنده الآن ثورة يعمل فيها في تونس، والسعودي ثورته ليست موجهة للحكومة ليسقطها ويقيم أخرى، لكن رأس الأولويات من الناحية الشرعية ومن الناحية الواقعية ومن ناحية الاستفادة من القضايا الإقليمية أن نتوجه نحو اليهود والنصارى، فإذا توجهنا نحو اليهود والنصارى والغرب= ذابت كل هذه الفوارق، صار التونسي موجودا في سوريا، والسوري موجودا في السعودية، ولا السعودي الموجود في طاجيكستان، صار يستطيع ممارسة الأمر.

والحقيقة على رأس الأولويات: التحول في التفكير المنهجي والأسلوب الواجب طرحه في مرحلة الجهاد المقبلة في مواجهة الحملات الحالية هو أن يكون الجهاد أمميا ليس له علاقة للجنسيات، وأنا أقول: آن الأوان لأن تبدأ تتأسس جماعات جهادية دولية، تأخذ بعين الاعتبار العمل في كافة العالم الإسلامي والعالم، وتأخذ بعين الاعتبار تنوع الجنسيات، هذا أوانه الآن، وعلى الجماعات الأخرى أن تبدأ بتنويع الجنسيات، وخاصة إذا كانوا مقيمين في البلد، وهذا لمسته الحمد لله، وإن كان بنسب ضئيلة، بل أنا سمعت عن تجارب أمنية جميلة جدا وهي جماعات جهادية موجودة في غير أرضها، وجندت من مختلف الجنسيات في تلك الأراضي أناسا أنزلتهم إلى بلدها الأصلي نفذوا عمليات ورجعوا!

ولكن هذا في دفع الصائل ممكن، أما عندما نتكلم عن حرب عصابات عامة منظمة بالمفهوم الذي نخوض فيه، الغرض منها الإطاحة بالنظام وتجنيد الشعب وتجييشه، وبناء عمل حتى تقيم على أساسه نظاما، فهذا يبقى بحكم الواقع منوط بأهل البلد، لأن أهل مكة أدرى بشعابها، أدرى بالناس وكيفية تجنيدهم، وعندما نتكلم من العرب إلى العجم تصبح القضية أصعب بكثير، الإنسان حتى يتحرك يحتاج إلى دليل يرشده فكيف يجند الناس ويدخلهم وكذا. والله أعلم.

الشيخ: اللي بعده.

الأخ: ما هي أكبر مجموعة ممكن تعمل بتكتيك حرب العصابات؟ السؤال الثاني: كم عدد المجموعات التي يمكن أن نسيطر عليها بهذا التكتيك؟ أيضا: ما هي المرحلة التي تعقب حرب العصابات إذا تمت السيطرة على مناطق وخرج العدو منها؟ وهل نستخدم في المناطق المحررة الحرب النظامية، وفي المناطق غير المسيطر عليها حرب عصابات؟ ونريد مثالا لأرض في الوقت الحالي تصلح لحرب عصابات؟

الشيخ: هذا جزء كبير من الأسئلة إجابته ستأتي في باقي الكتاب. لكن نختصر بعض الإجابة.

السؤال الأول: ما هو عدد أكبر مجموعة ممكن تعمل بتكتيك حرب العصابات؟ تقصد من ناحية العمليات العسكرية ولا من ناحية التنظيم؟

الأخ: الاثنين.

الشيخ: بالنسبة لعمليات حرب عصابات من الناحية العسكرية هي إما إغارة وإما كمين، هذا هو العمل العسكري الأساسي لحرب العصابات في المرحلة الأولى برمتها، في المرحلة الثانية بالتوازن تكون معظمها إغارة على المواقع الثابتة الكبيرة، وهذا نتعرض له إن شاء الله في تكتيك حرب العصابات، ومعروف بالنسبة لكل من قرأ شيئا في حرب العصابات أنه في النموذجي تُقسم حرب العصابات من حيث المراحل العسكرية إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة استخدام الأسلحة الخفيفة والخلايا الخفيفة والإغارة ..، فتعتمد على الكمين والإغارة وضرب الأهداف المتحركة أو الأهداف الثابتة الصغيرة جدا، وتعتمد على نظام الإغارة والكمين بأعداد قليلة، وتبقى هذه القضية بحيث تغنم الأسلحة، وسنأتي لشرح مفهوم التفوق المحلي، وهو أن يكون أنت ١٠ والجيش ١٠ آلاف، يعني نسبتك له قليلة جدا، ولكن الهدف الذي تهجم عليه تكون أنت متفوق عليه، يعني تهجم بخمسة على واحد، فتكون أنت متفوق محليا في تلك المعركة، فهذا يستخدم في تكتيكات المرحلة الأولى.

كما أن المرحلة الأولى يستخدم فيها تكتيك إيقاع الدولة في (فخ: السيطرة والقوة)، أنت تقوم بعمليات منتشرة صغيرة صغيرة، فيفهم الجيش أنك في كل مكان، وأنت تنفذ بنفس المجموعة عشرات العمليات، فيقوم الجيش يتوزيع قواه على ساحة البلد كلها، حتى يحصل عنده سيطرة ويصير موجودا في كل مكان، طبعا الجيش حتى لو كان نصف مليون فهو محدود، فيتوزع على كل الدولة، ويصبح عدد الدورية الصغيرة الواحدة صغيرا جدا، فهي ضعيفة، فالجيش امتلك السيطرة ولكن فقط القوة.

هذا يجب أن تفهموه جيدا وللأسف لم يستخدمه أحد، الجيش لما انتشر سيطر على البلد لكنه فقد القوة، فأنت عند ذلك تغير بعدد أكبر على هذه القوات فتغنم كميات من الأسلحة وتحقق عمليات ذعر ورعب، يعني عنده ثكنة فيها عشرة آلاف وزعها على عشرة مخافر، فصار كل مخفر ألفا، وزعهم على طرق فصار كل مطرق فيه شخصان! ففقد القوة وكسب السيطرة، فأنت تقوم بعمل نوعي حتى تسلب هذه الأسلحة، فيشعر بالضعف.

فيقوم بعملية تجميع للحاميات، فيكسب القوة ولكن يخسر ايش؟ يفقد السيطرة، فلما يفقد السيطرة يعني مسافة بين حامية وأخرى أحيانا ١٠٠ كم ليس فيها دولة، فعند ذلك تخفف من العمليات وتلجأ إلى ايش؟ إلى عملية التنظيم وتوزيع المنشورات والتجنيد، يعني تقوم بكل العمليات التنظيمية الرديفة لحرب العصابات، فيرفع المخبر تقارير أن هناك حركة ونشاطا، فيرجع ينزل ليسيطر فيفقد القوة، فتظل تدوخه بين القوة والسيطرة، فإذا كانت رقعة الدولة كبيرة تقوم بإجباره على نقل القوات من الشمال إلى الجنوب، من الشرق إلى الغرب، وأنت تنتقل بخفة.

هذا في المرحلة الأولى لحرب العصابات، هذه مرحلة الخلايا الصغيرة، ليست كبيرة، ويمكن السيطرة عليها إداريا، غالبا بشكل هرمي أو هرمي خيطي مشترك، وإن شاء الله سنشرح التنظيم الهرمي والخيطي، فيمكن السيطرة عليها بصرف النظر عن الأعداد، بحسب قدرة التنظيم ووعي الناس.

أما المرحلة الثانية من حرب العصابات فهي مرحلة التوازن، يكون العصابات فَرّ لهم كمية من الخبراء العسكريين من أفراد الجيش، جاء لهم ناس تدربوا في أفغانستان وعندهم إمكانيات عسكرية، استطاعوا أن يغنموا أسلحة متوسطة، بعضها مضاد للهليكوبتر، بعضها مضاد للدروع، بعض الهاونات، فينتقلوا لمرحلة يسمونها مرحلة التوازن، يقومون بعمليات إغارات بأعداد كبيرة، وتجربة ماوتسي تونج لابد أن ندرسها، أحيانا كان يغير بـ ٢٥ ألف رجل! وأنا أتعجب من هذه القضية، طبعا إخواننا في الجزائر في عهد أبي عبد الله أحمد الله يرحمه كانوا يغيرون بـ ٣٠٠ شخص و٤٠٠ شخص، هذه مرحلة متطوة جدا تسمح بها الجبال، وطبعا ضبط اتصالات وإمكانيات.

في مرحلة التوازن يغيرون على أهداف ثابتة كبيرة، تستطيع أن تغير بـ ٣٠٠ شخص على ثكنة فيها ١٠٠ شخص، لابد أن تكون ثلاثة أو أربعة أضعاف الحامية، فيكون عندك تفوق من حيث القدرة النارية.

ومن حمق العصابات أن يهجم أربعة أشخاص على ثكنة فيها ألف شخص ولا مائة شخص حتى، العملية ليست عملية انتحارية فدائية، الأصل في حساباتك أن تخطط لمعارك ليس فيها خسائر، سواء في الإغارة أو الكمين، كمين نسفته بمتفجرات، أنت ليست عندك إمكانية لحرب استنزاف تفقد عناصر، وكل

عنصر تفقده في المرحلة الأولى يعتبر بمثابة خسارة كتيبة، ولو كنت قتلت ألف شخص من الجيش، ليس مكسبا أن يموت عندك واحد وألف من الجيش، أنت خسرت واحد من عشرة يعني عندك ١٠% من الجيش، هو خسر ألف من مليون يعني ١ في الألف، أنت خسرت ١٠% وهو واحد في الألف، لا مجال للمقارنة أصلا.

أما في المرحلة الأخيرة من حرب العصابات التي يسمونها مرحلة الحسم، ففيها ينضم لك كمية كبيرة من الناس وتحررت بعض المواقع ولم يعد فيها دولة، وصار هناك مؤن وإدارة مركزية ومستودعات وخطوط خلفية، فعند ذلك تصير الحرب مختلطة، عندك كتائب نظامية وكتائب شبه نظامية وكتائب عصابات، لا تزال تعمل بمنطق وإطار العصابات في مناطق دخول الدولة في المناطق المحرمة، بينك وبينهم، في حرب شبه عصابات شبه نظامية، وفي المناطق التي تدافع عنها دفاعا ثابتا هو قتال جيش نظامي، لابد أن يكون عندك خنادق واستحكامات وألغام وأسلحة مضادة للطائرات، فهذا قتال نظامي، وحتى هذا القتال النظامي يمكنك أن تتبع فيه تكتيكات حرب العصابات، بالالتفاف على القوى التي تتحرك بطرقة ميكانيكية، وهذا الموضوع استخدمه مسعود حتى أتعب الطالبان كثيرا جدا، يدافع عن مواقع ثابتة لكن بتكتيكات حرب العصابات.

الشاهد في الموضوع أنت تقول ما هو عدد أكبر مجموعة تعمل بتكتيك حرب العصابات؟ فهذا ليس له حد، يعني بحسب قدرتها على الإدارة، يمكن أن تغير بثلاثة أشخاص ويمكن أن تغير بـ ٤٠٠ شخص، ويمكن أن تنصب كمينا بشخصين لدورية، ويمكن أن تنصب كمينا بـ٣ آلاف شخص، حسب العدو، إذا كنت تنصب كمينا لفرقة عسكرية مدرعة تتحرك بـ ١٢ ألف رجل، فرقة ٣ ألوية مدرعة ما راح تنصب لها كمين بـ ٢٠٠ شخص، فهمت كيف؟

فهذه القضية متعلقة بطبيعة التسليح، بطبيعة تأهيلك، ولكن الغالب على حرب العصابات هو الإغارة والكمين بأعداد صغير نسبيا، وخاصة في حروب المدن، لا ترتفع الأرقام، في حروب المدن أنت تنصب كمينا من طرف الشارع إلى طرف الشارع يحتاج ٧ عناصر أو ١٠ عناصر، بالإضافة إلى أن حروب المدن تعتبر من الحروب الإرهابية بدل حرب العصابات العسكرية، يعني تعتمد على قضية الاغتيال كثيرا جدا،

الاغتيال والمتفجرات، والاستيعاض عن العناصر بعملية الإرهاب، الرعب بالنفس والتخريب وتدمير منشآت الدولة.

أما إذا كنت تقصد ما هي أكبر مجموعة ممكن تعمل تكتيك حرب العصابات كتنظيم فهذا أيضا ليس له حد، لأن التنظيم بكل خدماته فيه فِرَق لابد أن تكون كبيرة، ناس تعمل في الإعلام، وناس تعمل في الجهاز المكشوف، وناس تعمل في الجهاز غير المكشوف، وناس داخلة في نظام المندسين، يلزمك برمجة هذا كله، وهذا لا يمكن أن يكون إلا ضمن إطار شعبي مؤيد جدا، وإلا لم تستطع أن تختفي.

ولذلك في مدينة حماة لما بلغ التنظيم حدا كبيرا طفح على السطح، وفي مرحلة العز كما كنا نسميها نحن في سورية صار الإخوة من فرط الاستهتار يدخلون المساجد وجزء من أسلحتهم ظاهر كنوع من الخيلاء ورفع معنويات الناس، حتى كان بعض الأئمة المتعاطفين أثناء الدرس يدخل شخص يعرف أن هؤلاء من الإخوة، فيتكلم في الميكرفون طالبا من الإخوة تأمين أسلحتهم قبل الدخول إلى الدرس، والمسجد فيه مخابرات وهم مستخفون بهم! ففي هذا الجو ممكن تعمل حرب عصابات.

العدد حسب قدرتك على الإدارة، وحسب نوع وطبيعة العمليات، قلت لك عندنا حروب من الكمائن الصغيرة إلى تجربة ماوتسي تونج سنقرأها، كان يغير بآلاف، وعليهم أن ينسحبوا خلال الليل بكامل أسلحتهم، ولك أن تتخيل عملية الضبط والربط في ترتيب كمين أو إغارة بآلاف الرجال، وسحبهم من المدينة التي نزلوا إليها إلى الجبال مرة أخرى، ليست عملية سهلة.

بهذه العقليات الفوضوية التي أدرنا نحن بها الحرب العربية في أفغانستان= قطعا لا يمكن تنفيذ هذه الأعمال، لأن هذه الجيوش كانت منضبطة وفيها أحكام تصل للإعدام من أجل الضبط والربط، يعني كانوا يتصرفون كجيوش رسمية، أما عندنا نكات، مرة أخ دخل كمين وعملية بـ ١٢ شخص، فلما ذهبوا قعد يعدهم فوجدهم ١٣ شخص! فتخيل، فعدوا بعضهم فوجدوا أخا يمنيا رآهم ماشيين فدخل فيهم، قال له: كيف فعلت هذا؟ قال له: فزعة يا شيخ، تخيل لو كان داخل بألف شخص ولا ألفين، هيطلع له كام فزعة من هون؟!

هذا قلناه في البداية حرب العصابات وإن كانت حربا غير نظامية، إلا أن ذلك لا يعني أنها حرب فوضوية.

أما السؤال الثاني: كم عدد المجموعات التي يمكن أن تُدار من قبل هذه القيادة؟

فهذا تابع لعبقرية القيادة، في ناس لا يمكن أن يدير إلا زوجته وأولاده، ويا دوب إذا جات له زيارة فتخربط الدنيا، وفي عقليات ممكن أن يدير مصنعا، ولذلك الآن في الدول الغربية يعطون دورات في الإدارة، ومدير الشركة عنده ٦ آلاف عامل ولا ١٠ آلاف عامل، هذا لا يكون مديرا عاديا ولا راتبه حتى عاديا، مرتب هذا المدير يكون بمعدل مرتب ١٠٠: ١٥٠ موظف! نتيجة قدراته الإدارية، وغالبا يكونون دكاترة في الاقتصاد، وناس عندهم دورات في الإدارة ودكتوراة، وعندهم خبرات تنظيمية وقدم.

وقضية القدم قضية هامة جدا، رجل تربى في حركة إسلامية، ثم صار في حركة جهادية، ثم دخل في أكثر من تجربة، وكان مأمورا ومقودا أكثر من مرة، ثم صار أميرا أكثر من مرة، ثم مرة مدير معسكر، هذا كله بعد فترة يستطيع أن يدير، لكن كيف تأتي بشخص عادي تقول له: تعال امسك المعسكر الفلاني، وهو لم يمر بهذا من قبل؟

فالعصابات إذا نشأت نشوءا طبيعيا، والذي أسسها من البداية كان أمير رجلين، ثم صار أمير عشرة، ثم صار أمير مائة، لاحظ أنت طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام في تكليف الإمارات عجيبة جدا، بحيث ربى مجموعة من الكوادر، مرة يرسله قاضيا ومرة قائدا للجيش! مرة والي ومرة يخلفه على المدينة، فيتدرب على مجموعة من العمليات الإدارية حتى أصبح كادرا، وفي سن مبكرة جدا.

وقلنا في الدروس السابقة أنه من الجمل الجميلة التي نقلتها في كتاب "التجربة السورية": (المسئولية هي التي تصنع المسئول، وليس العكس). أن تلقي المسئولية على شخص فيتكيف معها، لما تلقيها على عشرة أشخاص تجد اثنين أصبحوا أمراء جاهزين، تجد أربعة أصبحوا عاديين، في اثنين لا يصلحون، فمن خلال المسئولية يصبحون كوادر عندهم قدرة على الإدارة، هذا الإنسان بعد ذلك يدير عشرة، يدير مائة، يدير

التنظيم، يدير البلد، يدير العالم الإسلامي، يصير صلاح الدين، معه المجال مفتوح، هو وقدراته على الإدارة.

أما السؤال الثالث: هل يستخدم تكتيك الحرب النظامية في حرب العصابات؟

هذا يستخدم في المرحلة الثالثة في المناطق المسيطر عليها، تصبح الحرب نظامية، ويجب أن يكون الناس مدربين على ذلك، لما كنا في جلال آباد كنا نستغرب جدا مع إننا لسنا عسكريين يعني، لكن بالبداهة واحد محقق نصر والإخوة احتلوا مواقع وثابتون فيها والقصف لا يتوقف وهم في الخنادق، أنت خلاص أحكمت الجبل، ومن أول الحرب ايش ناوي ستكون؟ هذه حرب نظامية الآن لابد من الاستحكامات لابد من الدشم إلخ، فما في عقلية في إدارة الحرب، حتى بعض الإخوة جاءونا ضباطا فارين من بعض الجيوش العربية لم يستطع أن يتصور كيف الناس قاعدين هنا، بيتحملوا قصف بيتحملوا قضية برحمة رب العالمين، ولكن كيف إنسان يمارس حربا نظامية ثم لا يأخذ بقواعدها!

حرب العصابات في المرحلة الثانية والثالثة إذا تحررت بعض المناطق تصبح حربا نظامية، وإذا فرت قطعة من الجيش والتحقت بالعصابات وأصبح هناك آليات عسكرية تتحرك معك= فأنت ستهاجم بقوانين حرب العصابات النظامية، والحرب الأفغانية في الآخر أصبحت حربا نظامية عمليا، الآن القتال في كابل قتال جيش نظامي، والحقيقة أنا قرأت بعض التقارير التي كتبها أخونا أبو الوليد عن معارك الشيخ حقاني، حقيقة هذا ماريشال كبير جدا، عملية تحرك الآليات والغطاء المدفعي وزحف المشاة وانسحابهم وكذا، الرجل ما شاء الله، الله ينفع به.

أما عن مثال أرض مناسبة لحرب عصابات، فالأراضي المناسبة لحرب العصابات، طبعا عامل الشعب ضروري جدا، حيث هناك شعب مؤيد، وهناك قضية عادلة، وهناك قيادة كفء وعازمة على أن تستمر، ففعليا مقومات حرب العصابات موجودة، ولكن عنصر الأرض عنصر استراتيجي جدا، فأفضل الأراضي الجبال المشجرة، التي فيها استغناء وكفاية ذاتية في الغذاء، وأهمها الماء، يعني ممكن تهرب الأكل تهرب التمر تهرب معلبات، الماء هو المشكلة، مناطق قاحلة من الماء لا تصلح لحرب العصابات، هذا هام جدا.

ولذلك إذا كان هناك إخوة يريدون خوض حرب عصابات في بلادهم، لابد أن يكون عندهم شيء من التخيل، منها أن يخرجوا في جولات سياحية إلى المناطق التي سوف يقاتلون فيها في المستقبل ويدرسون المناطق التي من الممكن أن يتحكموا فيها، ويدرسون المناطق القريبة من المياة والتي لا مياة فيها، وإذا قدروا ذهبوا لبعض الكهوف والجبال فيدفنون موادا غذائية من الآن، ويضعون استعدادت ويجهزونها.

فيجب أن يبحث عن الجبال ذات الغابات أولا، ثم الجبال ثانيا من غير غابات، ثم الغابات ثالثا من دون جبال، ثم مناطق الموانع الطبيعية أدغال أحراش أنهار، كل المناطق التي من الممكن أن تشكل ساترا وعائقا أمام حركة الجنود النظاميين، بما فيها الصحراء لأنها متعبة، في كتاب جميل أصدرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر اسمه "الحرب في الصحراء" يتكلم عن تجربة الحلفاء في إدارة حرب عصابات خلف خطوط الألمان في صحراء ليبيا ومصر، حتى كنت أريد أن ألفت نظر الإخوة الليبيين للكتاب فوجدتهم يعرفونه ودرسوه، الكتاب يتكلم عن طريقة العمل وكيف يكافح وغرز السيارات في الرمال، وكيفية تسليح المجموعات والآليات، وشوية أمور مفيدة.

بعد ذلك تعال نطبق على البلدان، فتكتشف مباشرة أن بلدا مثل تونس أو سورية بلدان سيئة جدا لحرب عصابات، بلاد مثل الجزائر مثل أفغانستان مثل المغرب مثل تركيا بلاد نموذجية لحرب عصابات، يمكن أن تمارس حرب مدن إرهابية –كما ستمر معنا النماذج– في بلاد فيها عواصم كبرى، مثل جدة مثل الرياض مثل دبي= مدن صالحة أن تختفي فيها عصابات إرهابية، إذا توفر عنصر الشعب كعامل حاسم معك، مدينة مثل القاهرة الآن ١٤ مليون، ولا اسطنبول ١٦ مليون، يختفي فيها عمليا ٦٠٠ تنظيم مافيا، ولا يحصل أحدٌ أحدا، فلو اختفت فيها مجموعات جهادية تضيع وسط الجموع، وتشكل الكتل البشرية والعمارات الأسمنتية حواجز طبيعية مثل الجبال والغابات لأنها كبيرة جدا.

الشاهد أن مناسبة البلاد وعدم مناسبتها لحرب عصابات= عامل الشعب أساسي جدا لا يمكن تخلفه حتى تعمل، وعامل الأرض والموانع الطبيعية التي تعيق الجيش، هي الأصلح فالأصلح، فبإمكانك أن تأخذ هذه العوامل وتقيس دولة دولة.

مرة واحد من إخواننا كان كفران من الوضع في مصر، قال لي: ما أدري ايش حرب العصابات اللي راح نعملها؟ فقال لي كلمة جميلة: أرض مسطحة وشعب مسطح!! مع إني لست معه في المثال، لا الأرض مسطحة ولا الشعب مسطح، وهناك أكثر من مفتاح للعمل في مصر، ولكن لما تكون فعلا الأرض مسطة والشعب مسطح= فمشكلة، الشعب إذا كان متحقق كل طلباته كما في الخليج فهو مسطح فكريا ومسطح منهجيا ومكعب شرعيا ومضغوط مناخيا= فهذا كيف بدك تعمل فيه حرب عصابات؟!

الأخ: فقط ملاحظة بسيطة (......).

الشيخ: ملخص طيب، يدل على أن أخينا حضر معنا من الأول إلى الآن، وأضاف أيضا أشياء لم أمر عليها، منها موضوع الاستفادة من التكنولوجيا إن شاء الله نحكي عليه، أما موضوع الإشاعة فموضوع هام جدا في حرب العصابات، حتى في كتب في الإعلام هناك كتب عن توجيه الرأي العام وعن علم النفس الجماعي، وتتكلم عن موضوع الإشاعة والإشاعة المضادة.

الآن المخابرات تستخدم ذلك بكثرة، أحيانا يطلقون بعض المساجين الذين عُذبوا عذابا شديدا حتى يتكلموا وينشروا نوعا من الرعب، وفي المقابل عندما يكون الناس مؤيدين لحركة عصابات تجد أن الشعب من تلقاء نفسه يطلق إشاعات كثيرة تتحدث عن الكرامات والأخلاق الحميدة، وربما افتعلوا قصصا خيالية كلها تدل على أن هؤلاء الناس متعاطفون جدا مع الحركة، فموضوع الإشاعة يجب أن يؤخذ بالاعتبار سواء لك أو عليك، وهذا سيكون له تفصيل إن شاء الله.

أيضا الموضوع الجميل الذي طرحه أخونا موضوع الخطب الجماهيرية المباشرة، حقيقة شريط الكاسيت الآن يحل إلى حد كبير مشكلة كل الأميين، لأن معظم شعوبنا سمّيعة الحمد لله، وليس هناك بيت إلا وفيه

أكثر من كاسيت، نسأل الله العافية لنا ولهم، فبدل من أن تُستخدم في الأغاني والضلالة يسمعوا لهم شريط مفيد، فموضوع الكاسيت نجح نجاحا كبيرا جدا.

ومرة كان هناك شريط رائع للشيخ عبد الوهاب الطريري في الجزيرة عن "حرب الكاسيت" التي حصلت في الجزيرة من سنة ١٤١١ هـ إلى يومنا هذا، طلع كثير جدا خطب الشيخ سلمان الشيخ سفر إلخ، وحدث به نفع عظيم جدا، وكان سبب خطبة الشيخ الطريري أن أحد العلمانيين في الكويت في مجلة "السياسة الكويتية" علق ونقل تخوفات الغرب من حرب الكاسيت التي تدور في السعودية، وقال أن الشاه في إيران أسقطه الكاسيت! وأن القصة تتكرر، وأن الكاسيت سيسقط الملك فهد وهكذا، فتكلم الشيخ الطريري أن الشاه لم يسقطه الكاسيت وإنما أسقطه أحواله، شريط جميل جدا، وتابعت أنا موضوع الكاسيت في السعودية فوجدت أنها فعلا جديرة بتسميتها "حرب الكاسيت"، والموضوع الذي عملته لجنة الحقوق الشرعية مرحلة "حرب الفاكس"، وكيف استُفيد من حرب الكاسيت وحرب الفاكس كوسائل إعلامية، وهذا مفيد لعموم الناس.

ولكن أخونا لفت إلى موضوع الخطابات الجماهيرية المباشرة، ويحضرني هنا مثالان حيان، واحد من بلاد أخينا وهو الشيخ عبد الكريم الخطابي رحمه الله، كان من أسلوبه خاصة في المناطق التي يسيطر عليها أن يأتي بـ "فقيه" و"شرطي" لكل قرية.

فيعلمهم الفقيه قضايا الصلاة والأمور البسيطة، وهذا مارسه الشيخ عمر المختار في ليبيا، بالإضافة يعلمونهم أصول الدفاع المدني، وكيف يساعد المجاهدين، وواضح أن هذا لا يمكن أن يكون إلا إذا ضعفت السلطة المركزية في تلك المنطقة.

في بلادنا نحن لم تضعف السلطة المركزية، ومع ذلك قام مجاهدو الطليعة بعمليات غاية في الروعة، طبعا بعد بداية الجهاد تحول عدنان عقلة إلى رمز خالد بن الوليد بالنسبة للشعب السوري وخاصة في الشمال، وأصبح يعني بعبع وأنه مطلوب ومبحوث عنه، في مرة من المرات في وسط المدينة في مقهى يرتاده المثقفون مثقفو المدينة: المتقاعدون من الموظفين الكبار، مدراء الشركات، الطبقة الراقية يعني، يلعبون الشطرنج، المهم

قاعدين هم بيلعبوا وإذ دخل ٤ من الإخوة مسلحين أغلقوا الأبواب، طبعا منظر السلاح في شعبنا شغلة عجيبة، وجاء رجل وعلى طاولة وكرسي وقال لهم: السلام عليكم ورحمة الله أنا عدنان عقلة، فالعالم بُهتوا، فكلمهم عن الجهاد والثورة وأهدافه واللي بده، وقال لهم: سنغلق الحي وأي واحد سيخرج من المقهى خلال نصف ساعة سيُقتل، طبعا خرجوا بعد ذلك، وتركت القضية صدمة عظيمة جدا، على الطريقة التي قالها أخونا.

وفي مرة من المرات نزل مجموعة من المسلحين علنا جهارا نهارا، ووزعوا المنشورات في أكبر سوق تجاري في المدينة علنا، وهكذا عملية مغامرة يعني يحتمل أن يشتبكوا ولكن مرت بسلام، لكن تركت أثرا عجيبا جدا، وحاوروا الناس وأعطوهم ودعوهم.

وفي مرة أخرى جاء أخ مطلوب جدا للأمن ومعروف في الحي هو ابن الحي بتاعه، فعملوا حشد لصلاة الجمعة، والإمام يريد أن يخرج إلى الصلاة فدخل عليه اثنان من الإخوة جلسوا جنب الإمام، فلما أراد صعود المنبر أمسكوا به، دخل هذا أخونا بسلاحه طلع على المنبر في صلاة الجمعة، وسدوا له منافذ المسجد، وألقى هو خطبة الجمعة، ووعظ الناس وحرضهم على الجهاد، ثم نزل من الخطبة، وترك المسجد وصلى بالناس إمامُهم.

فمثل هذه اللقاءات الجماهيرية والتماس المباشر مع الناس تأخذ طبيعة استعراضية، وذكرت مثالا المرة السابقة أكرره، أنهم أرسوا رسائل لبعض المخبرين أمروهم فيها بالتوبة في المسجد الفلاني بعد صلاة الجمعة، وإلا يُقتل في الجمعة التي تليها، وكان الإخوة حريصين جدا على تنفيذ التهديدات في مواعيدها، وفعلا وقعت الدولة في إرباك، لما قُتل بعض المخبرين تأدب بعضهم وقال: تأخذني الدولة تسجنني ولا يسلخوا جلدي أحسن من قتلي، صارت الدولة تعتقل إمام المسجد وضربت المصلين وحصل إرباك من أجل توبة هذا المخبر في هذا المسجد، حتى بعض المشايخ الكبار شتموا الدولة وشتموا المجاهدين وقالوا: هذا مسجد للصلاة والعبادة، ليس مكانا للتوبة، وسويتم لنا مشاكل وحصل إرباك.

فهذه الاتصالات الجماهيرية بين الثورة والحركة الجهادية والناس قضية مفيدة، أخونا لفت نظرنا لها فجزاه الله خيرا، فلمثل هذا فليعمل العاملون، الحقيقة أنا أفرح بالمداخلات أكثر من الأسئلة، ومع ذلك الأسئلة مفرحة أيضا لأنها تدل على أن الأخ مركز معنا، ولكن الذي أنا حامل همه أننا لم نقطع شوطا كبيرا، ومر الآن أربعة أو خمسة أيام، فإذا استمرت هذه الطريقة ستطول الدورة جدا، وإن شاء الله سنحل المشكلة، ونحاول أن نُسرع في الشرح، ولا أستطرد أنا، عموما بدأت المعاني تتكرر، لما نتكلم في كوبا وفي كذا سنجد مثلا ما قلناه في قضية الشعب، فسنحاول أن نضغط المسألة حتى نمرر أكبر قدر ممكن من المحاضرات.

الأخ: سؤال عن الانشطار بين القيادات السياسية والقيادات العسكرية الميدانية؟

الشيخ: هذه هي مشكلة كل الثورات في أمريكا اللاتينية، أن هذا الجهاد المديني —في مرحلة من المراحل– انفصلت مصالحه وتصوارته عن الجهاد العسكري الذي في الجبل والأرياف، ليش؟ لأن الرجل الذي يجلس في المدينة ضمن ظروف، يعني هو مترهل أصلا، عنده حدود لعملياته ومصالحه، وشيئا فشيئا الإنسان بشر، لو تقول لشيخ: أنت خليك في البرلمان —على فرض هذا جائز– أنت تناور الدولة بكذا وأنا في الجبهة، في لحظة من اللحظات أن هؤلاء الناس الذين كانوا يناورون، بدأوا يأخذون بعين الاعتبار مصالحهم وعدم إمكانيتهم على تجاوز ما عندهم، فبدأوا يعملوا تحالفات مع الأحزاب الأخرى، ويتصورونها نشاطا سياسيا، مع أنه هناك فارق هائل جدا بين العقلية السياسية والعقلية العسكرية، عقول العسكريين فيها تمايز عن عقول السياسيين، وفي الآخر كل واحد بيفكر بآلية معينة، أهم فاصل بين العقلية العسكرية والعقلية السياسية وهو فاصل مميت وقاتل= أن العقليات السياسية معظمها إصلاحي، هذا أهم مميز، والعقليات العسكرية معظمها جذري تغييري.

فعندما يكون هناك مؤسسات أنت تطلقها حتى تخدمك، المقتل الذي يحصل أن هذه المؤسسات في مجموعها تريد من العمل العسكري أن يكيف نفسه حتى تتابع مناوراتها فتنقلب الآية، هي أصلا أجهزة

وُضعت لتخدم العمل العسكري، هذه الجمعيات المنتشرة في أوروبا يقول لك: يا عمي ما تضربوا المدنيين الأجانب، لأننا بدنا نحكي في حقوق الإنسان، فنحن ما يناسبنا أن تضربوا فيهم، احنا ايش نقول، فتصير أنت أسير حاجات الأجهزة المدنية.

وهذا حصل عندنا، في قمة الجهاد في بلاد الشام، كان معظم الإخوان المسلمين خرجوا إلى الأردن، ثم خرجوا إلى العراق، وهذا الذي عشناه حصل بكامله في أمريكا اللاتينية، وهو الانشطار الذي حصل بين القيادات السياسية المشرفة على الثورة في سورية، وبين القيادات العسكرية الميدانية التي في الداخل.

في لحظة من اللحظات رأت القيادة السياسية التي في الخارج أنها لكي تعمل تكاتف دولي ضد النظام= يجب أن تعمل تحالف وطني! فدخلت الأحزاب الأخرى العلمانية في عملية الكفاح السياسي ضد حافظ أسد، فايش صار مطلوب من المجاهدين في سورية؟ صار مطلوب ينافقوا إعلاميا مع الخلايا الثورية التابعة لحزب البعث المعارض!! فصار تأتيك منشورات وأنت مجاهد لكي توزعها مكتوب عليها حقوق الإنسان والحرية والأحزاب وما أدري ايش وميشيل عفلق ومصايب، صرنا نوزع منشورات ميشيل عفلق!

فأنا لما جئت مرة بدي أنزل بعد حماة، بالاتفاق مع الجهاز العسكري، أنا كنت مقتنع أن رئيس الجهاز العسكري رحمه الله رجل مخلص جدا، قلت له: بعد كل الذي حصل ممكن نجدد وننزل، ولكن على شرط: أنا ما لي بمن وراءك من القيادات السياسية ولا أبايعهم، موجود سلاح في الداخل موجود قوة، ننزل نجاهد بما يرضي الله، إذا جاءت أوامر منهم نراها صحيحة نطبقها، نراها خطأ لا نطبقها، تقبل؟ فقال لي: أقبل، وهذه حصلت معي شخصيا بعد حماة.

ومع ذلك حاولنا محاولة أخيرة، أرسل لي واحد من القيادة قال لي: أنت تعلم الجهاز الأساسي لجماعة الإخوان، بعد ما كنت منهم وفي القيادة العسكرية العليا، وهذا معروف لهم وللمخابرات، قلت له: أنا أريد أمشي بسبب فساد القيادة، وبسبب التحالف الوطني مع الأحزاب البعثية والعلمانية، أرسلوا لي هذا الشخص وهو من مدينتنا وقال لي: المراقب العام الشيخ حسن هويدي أرسلني مرسولا خاصا لك

وللمجموعة التي معك، تنزل على ما تعلم من القيادة، وباعتراف منهجها وتحالفاتها واتفاقياتها وببيعة شخصية للمراقب العام والقيادة القائمة، هل توافق على ذلك؟

فقلت له: قبل ما أجيبك، فقاطعني: ما بدي تفصيلات، الجماعة قالوا لي: تأتيني بنعم أم لا؟ قلت له: أنا أسألك سؤالا: الآن إذا أنا نزلت على هذا الأساس، ثم أرسلتم لي بيانا من بياناتكم المشتركة مع التحالف الوطني، أوزع هذا البيان الذي يتكلم بالديموقراطية والأحزاب والاتفاق وحكم سورية، فجاءتني طلقة هكذا طايشة وأنا في حينها، هل تعتقد أنه أنا شهيد ولا ايش؟ فاصفر الرجل، وهذا الرجل أنا بعرف ماضيه لما كان في الطليعة، وهو من تلاميذ مروان حديد، وبعدين خرج.

فقال لي: إذا الأمر هكذا، أنا أتوقف، لأني أنا مقتنع أن التحالف حرام، قلت له: أنت عضو في القيادة العليا! وواحد من اثني عشر شخصا في القيادة، قلت له: تعتقد أنه حرام وأنت عضو في القيادة، تدلس على الناس؟ قال لي: أنا أنزل على رأي الجماعة، قلت له: لا طاعة لمخلوق في مصية الخالق، قال لي: لا أدري، ما موضوعنا الآن، أنت تنزل ولا ما تنزل؟ نعم ولا لأ؟ قلت له: السلام عليكم.

فلما حصرته هكذا، فصار هناك فصل هائل جدا بين العسكرية اللي جوة، وما لا يتناسب معهم من النشاط السياسي اللي خرج عن المنهج، ولابد أن يتجاوب مع النشاط السياسي.

الشاهد في الموضوع أن الجهاد العسكري بدو يكيف نفسه من أجل يوافق السياسي، أنت قد تفتتح جمعيات لحقوق الإنسان، وقد تفتتح مكاتب للإعلام، وقد تفتتح مركز ثقافية، ثم يصير مطلوب منك بصفتك مراكز لحقوق الإنسان أن تندد بعمليات المجاهدين ضد المدنيين الأجانب في بلدك، كما حصل الآن مع بعض الإخوة في الجماعات، بعد ما صار عندهم مشكلة أن جماعاتهم مارست القتل على بعض المدنيين الأجانب الموجودين في البلد، فراح تبرأ من العملية، فهذا من ضريبة أن تترك لك أذرع في الخارج، وتتحول طريقتها في التفكير لظروف غير ظروف الجماعة التي نشأت، لأنه هو بشر، فكما أن الأسير هو أسير السجن وضغوط السجن، فكذلك هذا هو أسير المحيط الذي هو فيه، فهذا من المطبات القاتلة لعملية اصطناع أجهزة أخرى.

فإذا كان بالإمكان أن يكون هناك تحكم مركزي لهذه القضايا، لئلا تتضارب سياسة واستراتيجية العمل العسكري مع مصالح الإغاثة ومصالح التعليم، ومصالح الأرامل والقضايا، هذه أجهزة خادمة للمركز، لا يمكن أن يتحول لخادم لها، هذه مسألة حساسة جدا.

هذه مسألة تحقق لك كثيرا من الفوائد وتخدمك، ولكن في لحظة من اللحظات إذا فقدت الضبط المركزي= ستتحول إلى عبء وإلى مقتل، وإلى ناس يتخلون عن المنهج، ثم عن كل العمل، نتيجة لظروفهم ومصالحهم.

ولذلك سنتعرض في كتاب "التجربة السورية" لشرط أساسي من شروط حرب العصابات لم يمر معنا هنا في الكتاب وهو: وحدة القيادة السياسية والعسكرية، المتمثلة في شخص القائد والأمير والقيادة التي حوله، هو يتخذ القرار السياسي، والقرار العسكري، ويقوم بالمناورة السياسية، ويقوم بالمناورة العسكرية، ولا يكون هناك جهاز سياسي وراء الحدود أو خارج القضية يتخذ القرارات العسكرية، وجهاز عسكري تابع له، يأتمر بأمره، هذا بصرف النظر عن حالات القهر التي ألزمت كثيرا من القيادات الإسلامية لأن تخرج، ولكن هذا الخروج شئنا أم أبينا سبب ظاهرة مرضية غير طبيعية، فكونه مضطرا ليس معناه أنه ليس هناك مشكلة، أصبح هناك مسافة بين القيادة السياسية والقيادة الميدانية.

يجب أن تكيف هذه القيادات نفسها أن تصطنع قيادة ميدانية لها هامش كبير في الحركة، ولها طريقة في الإدارة، وجزء من القيادة الخارجية يجب أن يتناوب على عملية الدخول والخروج، ليكون له شيء من النفس الميداني في الجماعة، وأن تتحول الرموز التي لا تستطيع أن تتحرك إلى رموز خمينية، تبارك عملية التبشير والإعلام والتبني، وتبقى محترمة للحظة النصر، يؤتى بها على وضع جاهز.

أما أن يمارس قيادته المركزية من خلال وجود غير ميداني= فهذا إحدى المصائب التي أورثنا إياها موضوع حروب العصابات في بلاد ظروفها غير مواتية، هذا كلام موجز كل نقطة فيه تحتاج إلى تفصيل.

هذا كله من قوله أنه يجب أن تكون هناك هياكل سياسية مدنية تخدم الجماعة، فنحن لا نأخذ هذه القواعد على علتها، فهناك قواعد لا تناسبنا.

بسم الله الرحمن الرحيم.. وصلنا البارحة إلى الملاحظة ٥٣، في الصفحة ٣٦ في كتاب حرب المستضعفين، يقول:

[إن كل التجارب الحاصلة منذ الحرب العالمية الثانية –وحتى قبلها بزمن بعيد، إبان حرب الاستقلال الأمريكية أو الحرب الاسبانية في زمن نابليون– تبرهن بأنه من المستحيل عملياً إخماد حرب عصابات في المناطق الريفية، التي تكفل مكاناً للتنقل والاختباء، منذ اللحظة التي تتمتع فيها الحرب المذكورة بمساندة السكان المحليين].

قلنا ومر معنا أن هناك مقومات للنجاح: حسن التوقيت، حسن اختيار المكان، القادة الأكفاء المصممون، تأييد السكان المحليين.

[وجلي أن عملية الإخماد يمكن أن تتحقق بإبادة السكان جميعاً، ولكن حتى هذه الطريقة لم تحقق للنازلين النجاح في أوروبا الشرقية، مع أنه لا يمكن اتهامهم بالتردد أو نقصان العزم والتصميم.

إن هذا لا يعني أن رجال العصابات يمكن أن يكسبوا معارك، ففي المراحل الأولى، يجب أن يشكل اجتناب المعارك قاعدة بالنسبة إليهم].

قلنا أن ذلك في المراحل الأولى سيشكل بالنسبة لها حرب استنزاف، والواقع البشري لها لا يساعد على تحمل خسائر كثيرة، فيجب أن تكثر من التخريب من التشويش من نشر المنشورات، ومن بعض العمليات العسكرية التي تعطيها مصداقية.

[**وتعتمد استراتيجيتهم في تلك الفترة على:**

الهجوم من أجل تحقيق أهداف محدودة، كاغتنام الأسلحة وفك الحصار والمشاغلة، وذلك عندما تبدو قوة النار وميزة الموقع وعنصر المفاجأة كافية لضمان النجاح].

إذا في المرحلة الأولى يقول أن أهداف الهجوم محدودة، وعلى رأسها: اغتنام الأسلحة، فك الحصار عن المناطق التي يحاصرها الجيش بقطع الطرق والإمداد، يعني ضرب مؤخرة الجيش في عملية الحصار، والإغارة عليهم ليلا، وذلك عندما تظن العصابات أن لها غلبة قوة النار في تلك الاشتباكات، وميزة الموقع وعنصر المفاجأة.

إذا شروط النجاح في عمليات الإغارة والكمائن الصغيرة هي: قوة النار، ميزة الموقع، عنصر المفاجأة، والأخيرة تعني مباغتة الجيش في الأوقات التي لا يظن أن يُباغت فيها، كأوقات آخر النوم، أول الصباح، أوقات الاستراحة، أوقات الغداء، أوقات البرد، أوقات العطش وقلة الماء، فتشكل هذه الأهداف لإرهاق العدو ميزة في المفاجأة.

كما أن اختيار ميزة الموقع أنك تكون مشرفا بوجودك، مستوى الأرض أعلى من وجود العدو، وليس أخفض منه، وقوة النار اللي عندك يجب أن تكون متفوقة على قوة نار المدافعة بنسبة لا تقل في الإغارة عن ٣ إلى ١ ، يجب أن يكون المغير ثلاثة أضعاف المدافع في القوة النارية، حتى يرهقه، أما في الكمين فلا يشترط هذا، لأنه الواحد فقط بنفسه أن يغطي بنيران محدودة جدا على رتل من الدبابات والآليات إذا كان موقعه ممتازا، كأن يكون في جبل والآخرون في وادٍ، فيستطيع أن يقطع عليهم الطريق شخص واحد.

ولكن عموما القاعدة التي شرحناها هي عملية "التفوق المحلي" في المعركة، يعني أن تكون قوتك النارية والبشرية في الإجمال إلى العدو لا تكاد تُذكر، لكن في المعركة الواحدة في هذا الهجوم، تُهاجم أنت دورية

للمخابرات مؤلفة من شخصين بأربعة أشخاص، فتسحقهم لتفوق العدد وتفوق النار، أنت في هذه المركة متفوق، في العدد والعدة وقوة النار.

الشرط الثاني يقول:

[- **استغلال الحملة لأهداف تعليمية..**].

في المرحلة الأولى من الجهاد في بلاد الشام، كانت هي عمليات الاغتيال والتصفية للمخبرين والمتعاملين مع الدولة ولبعض رؤوس النظام، وكان يؤخذ العناصر الجدد فقط يقول له: تواجد غدا في المكان كذا في الساعة كذا، فقط تواجد، ولا يقول له لماذا يتواجد، مرة يتواجد لينقل أسلحة، مرة يتواجد يُعطى سلة بطاطس ويقال له هذه فيها متفجرات انقلها، فيكون مرتبك، لكن حتى لو جاءت الدولة تفتشه لن تجد معه متفجرات هو معه بطاطس، فقط لتدريبه على عمليات النقل.

المهم هو يتواجد ويكون في المكان عملية كمين أو عملية اغتيال، وهو يرى ويشاهد على أرض الواقع كيف تتم عملية الاغتيال، ثم يفر مع الناس الذين ذُعروا وينسحب، ثم يُجرى له اختبار نفسي كيف كان انطباعه عن القضية، كيف كانت أعصابه، كيف لما شاف إطلاق النار، فهذه عملية تدريب.

ثم المرحلة الثانية يؤخذ كعنصر حماية، يُعطى سلاحا ويُقال له: لا تتدخل إلا إذا قُتل الأخ الذي يقوم بالعملية وحصل اشتباك، فتشتبك أنت مع الدورية التي تدخلت، وغالبا لا يحدث، لأنها عملية اغتيال، فلا يكون له شغل، لكن يشعر أنه مشارك في العملية.

في المرحلة الثالثة يكون هذا الرجل عنصر معاونة لمنفذ العملية، يعني حدث كثيرا أن السلاح عطب ولم تطلق الطلقة ولم يستطع الأخ أن يقوم بالعملية، فيتدخل هو كعنصر مرافق للمنفذ ومعاون له، وهذه تكتيكات لا قرأها الإخوة في الكتب، لكن هذا كما قيل: "الحرب فن يتعلم بالتجربة".

المرحلة الرابعة يؤخذ العنصر كي ينفذ هو العملية بنفسه ويكون قائد العملية مساعدا له حتى يساعده لو ارتبك، حتى مرة أخذوا شابا عمره ١٤ أو ١٥ سنة أطلق النار قتل شخصا ثم أغمي عليه، فحمله القائد معه في السيارة وانسحبوا!

كان أحد الإخوة قُتل رحمه الله كان اسمه أحمد من حلب من أول من بدأ الجهاد هو وعدنان عقلة اشتركا في أول كمين على المخابرات، سجل أنه نفذ ١٦٧ اغتيال بيده، هذا غير مشاركته في الكمائن، حتى كان مرة يمزح واحد صاحبه شافه يتقلب بالليل قال له: مالك؟ قال له: والله أرق اليوم ما قتلنا أحدا، المهم تتحول القضية إلى اندماج، مش القضية دموية أو شره أو عملية مرض نفسي، وإنما الرجل اندمج في المعركة لدرجة انتقل من مرحلة حمل نفسه إلى مرحلة الاعتياد ثم إلى مرحلة المتعة في الجهاد، مستمتع بالثأر الذي يأخذه للمسلمين، وإرضاء الله سبحانه وتعالى.

الشاهد في الموضوع أنه يقول: استغلال الحرب لأسباب تعليمية، يعني تعليم العناصر، لذلك لابد أن تكون عمليات خفيفة.

الأمر الآخر هو:

[**وكسلاح للدعاية..**].

وهذا تكلمنا فيه كثيرا، وهو استثمار العمليات بكثرة الكلام، بكثرة المنشورات.

[**يكشف عجز العدو، والبرهنة على إمكانية مهاجمته دون قصاص**].

وهذا قلته للإخوة في بعض الدول كالجزيرة والمغرب وبعض الدول التي لم تتعود على سماع قوة السلاح، قلت يجب أن نمارسه كثيرا حتى يثقبوا جدار الخوف، ويثبتوا للناس أن الرصاص الذي يخترق صدور المظلومين= يمكن أن يخترق صدور الشرطة والجيش والعملاء والأجانب، هو يقول: "البرهنة على إمكانية مهاجمته دون قصاص" تعود الناس أنك إذا تكلمت في الحكم= عليك قصاص، أنت تثبت لهم أنك يمكن أن تقتل ولا يُقتص منك، وهذا تحطيم لجدار الخوف.

[والتبشير بين سكان الريف بعد تبني تظلماتهم وطموحاتهم، وتحميل الحكومة مسؤولية إراقة الدماء..].

مع أن العصابات هي التي تبدأ، لكن تحمل الحكومة بأنكم لو كنتم استجبتم، لو كنتم طبقتم شرع الله، لو كنتم أخرجتم الأجانب، وكففتم الظلم= لما كان هناك حاجة لهذه الدماء، فترد الصاع للدولة، وتجعلهم مسئولين عن المصائب التي تحدث.

[وإظهارها كمعتدية، ولا بد أنها ستغدو كذلك عند متابعة عملية القمع].

سيثبت للناس أنها معتدية، لأن الدولة تأتي بعد العمليات وتقمع الناس، حتى أصبح هذا سلاح ردع للمجاهدين، لأ الحقيقة نجحت الدولة عندنا في كل المنطقة، إن شاء الله تعالى سأحاول أن أعمل ملخصا صغيرا لتكتيكات العمليات العسكرية في بلاد الشام كيف صارت.

أذكر هنا في قضية أن الدولة تصبح فعلا معتدية، لما كانوا يقمعون الإخوة بعمليات الحواجز الطيارة، يعني هم وضعوا مناطق للتفتيش فالإخوة يتجنبونها، فكانوا –لكثرة حركة الإخوة في مرحلة من المراحل– يأتون بمائة دورية مؤلفة كل واحدة من ثلاثة عناصر، ويطوقون المنطقة ويفتشون كل السكان، فلابد أنها

ستشتبك مع أحد يتحرك، فسموها "الدوريات الطيارة" يعني تنزل فجأة، وهذه استخدمت بعد ذلك في الجزائر، وأظنهم أخذوها من تجربة السوريين في عملية التمشيط.

فالدوريات الطائرة هذه أصبحت عملية ردع، وأصبحت مشكلة، فبدأ الإخوة يرصدون كيف يتم التمهيد لهذه القضية، ثم نصبوا كمائن لهذه الدوريات الطيارة بعشرات الإخوة، ولما نزلت الدوريات عملوا فيها مجزرة قتلوا حوالي ٤٧ شخص في نصف ساعة وانسحبوا، ثم بدأ الإخوة يقومون بعمليات دوريات طيارة على الدوريات الراجلة، ينزلون بمجموعات ويشكون في شخص أنه من الدولة فيجدون معه سلاحا، فيقتلونه مباشرة ويأخذون سلاحه.

فلما لم تجد الدولة حلا لجأت لعملية القمع هذه، صارت تأتي ببساطة إلى منطقة قُتل فيها اثنان من الدوريات الراجلة، ينزل الجيش يأخذ ثلاثين شخصا من المدنيين يضعهم على الجدار ويقتلهم! وأذكر مرة نجوت سبحان الله قدرا، كنت في مكان ولم أحس إلا بالجيش في كل حدب وصوب، ايش القصة؟ قالو أن الإخوة قتلوا دورية راجلة، فجاء الجيش أنزل الناس من الباص وسيلة نقل عام ووضعهم على الجدار وقتل حوالي ٢٠ شخصا، ثم أخذ يطلق النار في كل اتجاه، ووجدت نفسي أنا ومجموعة من الناس سامعين صوت رصاص قريب ولا نراه، وكنا نحن وسط خطوط النار، فهكذا على كل من هب ودب، مجزرة بشرية هائلة.

مرة في رمضان قبل المغرب قتل الإخوة اثنين من الدوريات في السوق، فجاءوا إلى سوق الخضار والناس تشتري أكياس العرق سوس هذا، فجاءوا وأخذوا السكاكين وبدأوا يذبحون في البشر بطريقة جنونية، والدولة لا تُخفي هذا بل يقولون أنهم سيفعلون هذا في كل مكان تحصل فيه عملية للمجاهدين.

فللأسف أن أدى هذا إلى قمع المجاهدين وتوقفهم عن عمليات التصفية، لأنهم رُدعوا في المسألة، الناس من جهلهم بدأوا يقولون أنتم سبب المصيبة، يا إما تقتلوا شخصا وتنتظروا حتى تقاتلوا الجيش، أو لا تجلبوا هذه المصيبة على الحي، في بعض المجازر قُتل فيها سبعون شخصا دفعة واحدة.

هم مارسوا كل الأشياء، حتى في مرة من المرات داهموا بيتا فأخرجوا امرأة ورجلا عندهم سلاح، وعروهم من الثياب، وصلبوهم على مقدمة المصفحة، وطافوا بهم في الشوارع قبل ربع ساعة من الإفطار، حتى يومها ما أحد أكل في المدينة من بشاعة العملية، لأنهم نصيريون فليس عندهم وازع أن يمارسوا أي شيء، هو سلطة غريبة عن البلد.

الشاهد هو يقول: (**وتحميل الحكومة مسؤولية إراقة الدماء..**) الذي حصل عندنا أن الناس حملوا المسئولية للمجاهدين، لعدم وجود دعاية معاكسة.

قال: [**ولا بد أنها ستغدو كذلك عند متابعة عملية القمع..**].

لاحظ فهم أهمية الإعلام الداخلي، الآن إعلام الجماعات الجهادية كله خارجي، كل نشراتهم تُوزع في أوروبا في العالم، ليس هناك إعلام داخلي كما ينبغي، مع أن الشعب الذي تريد أنت أن تقنعه هو في الداخل.

قال: [**ولا يمكن في البدء إجراء إلا بعض الأعمال، وفي قطاعات معزولة. وعندما يتزايد عدد الثوار، يقسمون قواتهم إلى مجموعات، بغية حمل رسالتهم إلى مناطق جديدة وإزعاج الجيش على نطاق أكثر اتساعاً**].

وهذا حصل عندنا، كان السلاح والعناصر في مدينة حماة، مدينة حمص ومدينة دمشق لا شيء فيهما، فصاروا يرسلون مجموعات إلى مناطق أخرى، حتى تبدأ بتجنيد الناس والعمل، ويجب أن تنتبه إلى مقتل كبير جدا، وهو أن دخول الأغراب إلى مدينة أخرى مكشوف، ومصيدة تستفيد منها الدولة، حتى طُلب من

مؤجري البيوت الكشف عن المؤجرين الجدد، يعني عملية تكتيك وتكتيك معاكس، فصاروا يرفعون تقارير بأسماء وصور المستأجرين، لا يؤجرون لشخص غريب وإنما يرسلون للمخابرات، طُلب من أصحاب التاكسي أن يبلغوا عن أي رجل غريب يركب معهم ليس من المدينة، طُلب من أصحاب الفنادق أن يرفعوا تقارير بأسماء وصور النزلاء، عملية حصر الأغراب.

هناك مدن باردة ومدن ساخنة، فهم يعرفون أنه سيأتي ناس من المدن الساخنة للمدن الباردة، فانتبه إلى هذه المسألة.

ثم يقول:

[**وإجباره على تمديد خطوطه، الأمر الذي يضعفه، ويمنح الثوار فرصة تدمير وحداته الصغيرة، واحدة تلو أخرى**].

أنت تُسخن منطقة ثم تُسخن منطقة أخرى، فهو يظن أنك نقلت عملياتك، فلما يأتي للانتقال تقوم بعمليات كمائن على الطرق، ثم ترجع للمنطقة الأولى، فيجد نفسه ذهب لمنطقة باردة ليس فيها عمل، مع كل التكاليف العظيمة لتنقلات الجيش بقطعات كبيرة، تكاليف كبيرة جدا جدا في الوقت والأعصاب والماء والبترول، فأنت تستغل هذه العملية.

وفي قوله: (**وإجباره على تمديد خطوطه، الأمر الذي يضعفه، ويمنح الثوار فرصة تدمير وحداته الصغيرة، واحدة تلو أخرى**) أنا شرحت البارحة كيفية إيقاع الجيش في فخ "القوة والسيطرة"، وسنشرحه مرة أخرى على اللوح على السبورة، لأنه مهم.

أنت تستفيد من تدمير الوحدات الصغيرة: تدريب العناصر، أخذ الأسلحة، الاستثمار الإعلامي لعمليات لا تتكبد مقابلها أي خسائر.

يقول: [**وفي أثناء الحملة كلها، يجب تجنب البحث عن الحسم العسكري**].

وهذا استعجال لقطف الثمرة يقع فيه كل الناس، أن الدولة ضعيفة والشعب معك ولك تجربة، تقول: خلاص ندخل في عملية الحسم، فتتمركز وأنت غير قادر على الدفاع، زادك وذخيرتك لا تكفي، فتقوم بعملية مجزرة واستنزاف لصالح العدو، بل يحاول الجيش استفزازك للتبكير في دخول عملية المواجهة، حصل أن الجيش نزل عندنا بكثافة ليمشط مدينة حلب بعشرين أو خمسة وعشرين ألف جندي، واستطاع المجاهدون أن ينسحبوا حتى كانوا ينامون في المقابر والبساتين والحمامات العامة، تجنبا لدخول اشتباك مع الجيش، فنجحوا في الشمال في تجنب الخروج المبكر للصدام.

مرة مشطوا منطقة كبيرة للتهريب وفيها أسلحة في المدينة والمخدرات وهذه القضايا، مشطوها تمشيطا شديدا، ولم يجدوا شيئا، فلما خرجوا منها وانسحب الجيش، فقام شخص من المهربين أو من المجاهدين تحديا لهم بإطلاق ٣٠ طلقة من الكلاشينكوف، يخبرهم أننا ما زال معنا سلاح هنا، فرجع الجيش مرة أخرى يمشط كل المنطقة، ولم يعثر على أحد، حتى ملوا وخرجوا.

الشاهد تجنب عملية الاصطدام المباشر والمبكر مع الدولة.

يقول: [**حتى اللحظة التي يتحقق فيها توازن القوى، ويصبح بالإمكان مواجهة الجيش الحكومي مع ضمان النجاح بشكل واضح**].

مرحلة التوزان قلنا هي المرحلة الثانية من حرب العصابات، أصبح هناك تكافؤ بالعَدد، تكافؤ بالعُدد، مش تساوي، أقول تكافؤ في النتيجة يعني، أنك تستطيع أن تواجه ثكنات فيها مئات الأشخاص، سواء بأخذ مستودعاتها، أو بعملية الإبادة البشرية أو الإزعاج.

[**ويكون التحدي في البدء كافياً**].

يعني يكفي في البدء أن يكون هناك قوى تحدت الدولة.

[**فوجود الانتفاضة في حد ذاته يُفقد الحكومة سمعتها ويساعد قضية الثوار**].

لاحظ: انفجاران فقط في الرياض والخُبر ماذا فعلوا في الانتفاضة في السعودية، وإلى الآن مربكين الدنيا، مع أنه بدأت تتخامد أثر العمليات، نتيجة طول الفترة، فلم يستفد المجاهدون لانقطاع التسلسل.

يقول: [**لكن الصعوبة تكمن في الاستمرار سياسياً، لتكوين رأس مال العمل الثوري، الذي يمكن أن يكون ضعيفاً جداً عند الانطلاق**].

يعني الصعوبة ليست في عمل عمليات أو لا، وإنما في الاستفادة من تلك العمليات في: تأييد الناس ومصداقيتك وشرعيتك في الانطلاق.

[كما أن على الحكومة أن تحفظ مظهر الاستقرار والتقدم، حتى تحافظ على بقائها، فإن العمل بالنسبة إلى قادة الثورة يشكل وسيلة إثبات صلابتهم واكتساب العون الشعبي].

وهذا تكلمنا عليه في قضية المبادرة، أنك محتفظ بزمام المبادرة السياسية، زمام المبادرة العسكرية، زمام المبادرة الإعلامية، الدولة تحاول أن تثبت أن كل شيء طبيعي وكل شيء مستقر، يجب أن تثبت أنت أنك موجود مستمر، وأن عملك لا يزال، ولو على سبيل المناوشات، ولو على سبيل قنابل صوتية توضع في بعض المزابل العامة حتى لا تؤذي أحدا، من باب إطلاق النار ولا اشتباك حتى.

ﻫﻫﻫ

يقول –وهذا الفصل يغلب عليه التكتيك العسكري–:

[لقد سدد ثوار العصابات ضربتهم الأولية. وبعد أن تتوقف ملاحقتهم، يجب أن يعودوا ليهاجموا من جديد مقدمة الحملة، أو أحد مراكزها المتقدمة، أو رتل إمداد، أو مستودع أسلحة.

فإذا كان التنظيم السري في المدن على مستوى دوره، فإنه يقوم عندئذ بأعمال إرهاب، وتخريبات المصانع، لكي يشتد تفاقم الأزمة. وتحظى الفظائع التي يمكن أن ترتكبها السلطات في خلال القمع بدعاية واسعة. فإذا سقط شهداء، نظمت لهم جنازات عظيمة، ومواكب تقودها أمهات الضحايا وتظاهرات للتعبير عن السخط الشعبي. وفي أنسب الأحوال، ينشب إضراب عام، تنشأ عنه أعمال انتقامية (منع التجول، الضرب بالهراوات، الاعتقالات) تبعد السكان عن النظام أكثر فأكثر، وقد تسبب بعض الضحايا، وتؤدي إلى وقوع حوادث أخرى].

يحكي عن عملية التكامل بين دور التنظيم في المدن والتنظيم في الأرياف والجبال، وهنا عندنا سلسلة من الملاحظات:

أولا: العلاقة بين التنظيم في الجبال والتنظيم في المدن، وعملية تنظيم المراسلين بين القيادة المركزية للملاحقين، تصبح الجبال والأرياف مستقرا ومستودع للمطاردين الذين كُشفوا والذين وُزعت صورهم وأسماؤهم ومواصفاتهم على الحواجز في المدن، فيصبح تحركهم في المدن صعبا وسيئا لأن اعتقالهم يؤدي إلى إعطاء مزيد من المعلومات عن التنظيم، فهؤلاء الناس ينتقلون من خلايا التنظيم غير المكشوف إلى خلايا التنظيم المكشوف في المدن إذا كان هناك أهمية لوجودهم لإدارة الحرب في المدن، أما الكتلة الأساسية من المكشوفين في المدن فتُرسل إلى الجبال والأرياف وتتحول إلى مجموعة من المطاردين المسلحين الذي يتحركون بسلاحهم ويختبئون في الجبال والأرياف وبين الناس، لأن هذا أقل خطورة عليهم من تجولهم في المدن.

ثانيا: لابد أن يكون هناك نظام للاتصالات والمراسلات بين تنظيم المدن وتنظيم الجبل، والآن ممكن أن تُستخدم فيه الاتصالات اللاسلكية فضلا عن الاتصالات السلكية، ويجب أن تتنبه لخطورة الهواتف لأنه أصبح في الإمكان مراقبة كل شبكات الهواتف، وإذا اضطررت فيجب أن يكون مُشفرا وبغطاء مناسب، ويمكن أن تستخدم الاتصالات اللاسلكية لمدة نصف دقيقة على الأكثر، لأن المدن كلها مغطاة بشبكة من الراشدات اللاسكلية يمكن أن تحدد مناطق البث، لم يكن في إمكان أجهزة الراشدات منذ عشر سنوات أن تحدد مكان البث إلا بعد مجاوزة دقيقة من الاتصال، فإذا كان أقل لم يستطع أن يحدد بدقة، فأنت تقوم بالاتصال نصف دقيقة أو ربع دقيقة، ثم تغير مكانك في السيارة، ثم تجري اتصالا نصف دقيقة أو ربع دقيقة، على موجة بث أخرى.

وأذكر لما كنا نحن نقوم بإعداد المجاهدين لقتال المدن، المواد كانت حوالي ٢٢ مادة إلى ٢٥، مواد منهجية ومواد سلوكية ومواد عسكرية، كان من ضمن المواد التي ندرسها مادة الاتصالات، ونتدرب على موضوع الاتصالات السلكية والاتصالات اللاسلكية والاتصالات بالمراسلة ووضع الرسائل في المراحيض العامة في ظرف سيء أو علب المهملات.

كل هذه التكتيكات داخلة في نظام الاتصالات، فقط من أجل ربط الجهاز المكشوف بالجهاز غير المكشوف، فكان الجهاز غير المكشوف يؤدي عمليات الرصد ونقل الأسلحة وشراء الأمور، ثم وضعها في أماكن ميتة، ثم يأتي الجهاز المكشوف فيأخذها، دون أن يكون هناك اتصال ومعرفة بين الشخصين.

هذه التكتيكات هي التي يتكلم عنها الآن، ويقول أنها لربط الجهاز غير المكشوف في الجبل مع الجهاز المكشوف.

نحن عندنا أربع أجهزة: جهاز غير مكشوف في المدن، وجهاز مكشوف في المدن، وجهاز غير مكشوف في الأرياف، وجهاز مكشوف في الأرياف.

الجهاز المكشوف يجلس في مناطق منيعة حصينة كغابات إلخ أو يختفي، ويكون دور الجهاز العسكري هو الإرهاب: تخريب المصانع، رفع مستوى الأزمة.

ننتقل، يقول: **وتحظى الفظائع التي يمكن أن ترتكبها السلطات في خلال القمع بدعاية واسعة**.. فهنا يأتي دور الجهاز غير المكشوف الذي مهمته تسعير الانتفاضة الشعبية، فيقول: **فإذا سقط شهداء، نظمت لهم جنازات عظيمة**.. البارحة ذكر لي أخ أنه قُتل واحد في "معان" بالانتفاضة، فذهبوا أهله إلى المستشفى وأخذوا الجثة وأخرجوا له جنازة كبروا فيها.. إلخ، هذه القلاقل يمكن أن تُستخدم في التعبئة.

في ملاحظة: "فخ الإرهاب المعاكس للحكومة" أي: بعمليات إرهاب المدن جررنا الدولة إلى الإرهاب المعاكس، حتى تفقد شعبيتها، نقوم بعمليات في مناطق ساكنة آمنة فتضطر الدولة إلى التفتيش وممارسة الفظاظة على السكان، فأنت تجند كل هؤلاء السكان لصالحك، بسبب إيقاع الدولة في فخ الإرهاب المعاكس.

الآن نتكلم عن "عمليات التهييج الشعبي وفوائده" سلسلة العمليات والدعايا المستهدفة للتأييد وإيقاع الدولة في فخ الإرهاب المعاكس يحدث عملية "تهييج"، هذا التهييج له إيجابيات كثيرة، تحدثنا عن بعضها في الماضي، ولفتنا النظر إلى مقتل كبير، وهو أنه إذا ازدادت عملية التهييج عن حدها فينزل الناس إلى

الشوارع ويطالبونك بتسليحهم، والانتقال إلى المرحلة الثالثة وأنت ما زلت في المرحلة الأولى، وهذا حصل عندنا في سورية.

فإذا لم تستطع أن تستوعب الناس في الانتفاضة= تنجح عملية الرعب والقمع التي تقوم بها الدولة، فثبت عليك العجز أنك لست أهلا لإدارة الناس، فيجب أن تكون عملية تهييج الشعب بمقدار القدرة على الضبط، وحتى لا يحصل انفلات تنظيمي، وهذا سيأتي معنا في قضية التجنيد، أنه لما ترى أنت التجاوب الكبير من السكان تفرح وتريد أن تكوم الناس وتقوم بعملية تنظيم تنظيم تنظيم، يدخل ناس ليست لك قدرة على تسليحهم ولا لديك قدرة على تربيته، فكنا نقول له: اجلس في بيتك واحفظ القرآن، هو لم يدخل للجهاد ليجلس في بيته، فلما لا تدخله في المعركة يحصل ملل يحصل تسيب فتقع اعتقالات كثيرة، فعملية التجنيد بأعداد كبيرة أنت حمّلت نفسك بما لا تستطيع حمله، وهذا من سلبيات التهييج الشعبي.

النقطة الأخرى: الإضراب فوائده ومخاطره.. دعوة الناس للإضراب من فوائدها أنها عملية استفتاء شعبي، تكسر فيها عين النظام وتثبت أن كل الناس معك، في البداية تعمل اختبارا وتنادي إلى إضراب ساعة فقط، وتنادي قبلها إلى اعتصام في المساجد ربع ساعة بعد صلاة الجمعة مثلا، تعمل عمليات اختبار لترى تجاوب الناس، فإذا لم تجد تجاوبا لا تورط نفسك، لأن الإضراب سيعطي استفتاء معاكسا، وتثبت للناس ولنفسك أنك ليست لك شعبية.

أنت يجب أن تمارس نوعا من الإكراه والإجبار للمسلمين أن يتجاوبوا معك، حصل مرة في رمضان أن قام المجاهدون في الشام بعملية ناجحة جدا، وطلبوا من كل المطاعم والمقاهي وكل دور السينما وكل دور اللهو أن تغلق في رمضان من تاريخ كذا بداية دخول رمضان، حتى قالوا أنهم سيحدثون تفجيرات لإعلان دخول رمضان وبداية سريانه، ووقفت الدولة مكتوفة الأيدي، ليلة رمضان ٦٠ انفجار في المدينة، احتفل المجاهدون برمضان وبدأوا المشروع، قنابل صوتية في العراء وتجنبوا فيها إصابة المدنيين وهذا هام جدا، في وقت ليس فيه مارة.

في اليوم الثاني لم يصدق الناس، هل ممكن؟ هل سيقدرون على غلق المطاعم؟ قالوا: عندنا مثلث في المدينة فيه أغلبية نصرانية، فهذا المثلث المحدود بشارع كذا إلى شارع كذا لا يسري عليه القانون، ويمكن للمقاهي والمطاعم الخاصة بالنصارى أن تفتح في رمضان، وسنقوم بارتياد هذه المقاهي للتأكد من عدم وجود مسلمين، فإذا عُثر على مسلمين فيها سيُقتلون، فضرب عشرين عصفورا بحجر:

أول شيء: حيد النصارى، وجعلهم مع المجاهدين ضد الدولة، مع أن النسبة في المدينة ليست صغيرة.

ثانيا: جعل هناك منطقة آمنة، فاكتشفت الدولة بعد ذلك أن هناك عدة قواعد في أحياء النصارى، لم يكن على بال أحد أنه من الممكن أن يتحركوا في هذه المنطقة.

لم يقل أننا إذا منعنا المسلمين فعلى النصارى أن يلتزموا غصبا عنهم، ولا يأكلوا ولا يشربوا لأننا لا نأكل ولا نشرب.

في اليوم الأول والثاني نُسفت عدة مقاهي ومطاعم مفتوحة، حتى حدثني أخ قام بعملية بنفسه قال لي: ذهبت إلى المقهى، وكان الأخ عنده جهل بالمتفجرات فهو متصور أن القضية بسيطة كيلو فقط، فتصور أن الفتيل البطيء هذا سينفجر بسرعة، فوضع فتيل ٢٠ سم، يعني ممكن يطول إلى ٢٠ أو ٣٠ ثانية، قال لي: دخلت إلى المقهى فقلت للرجل صاحب المطعم: اعمل لي عجة، بيضتين مع خضار وهكذا، وقعد هو يجهز العبوة والرجل بيسوي العجة، والناس تأكل، فلما أشعل الفتيل، قال لصاحب المطعم ببرود أعصاب وبصوت عال: لا تعمل عجة لأني أشعلت القنبلة وستنفجر خلال عشر ثواني وخرج، فقال لي: واحد كان في يده كأس شاي فسقط منه مما سمع، وخرج كل الناس، وكان الإنذار لأنه لا يريد أن يقتل الناس عقوبة على الإفطار، واحد مفطر كيف ستقتله لأنه مفطر؟! فهو أنذر كل الناس وأخرجهم، قال لي: كان هناك إخوة يراقبون العملية ليكتبوا تقريرا عن تنفيذ العملية، قال لي: انتظر الناس ١٠ ثواني ثم ١٥ ثانية، قال لي: طول يمكن دقيقة ونصف، فبعد ذلك رجل شرطي تشجع قال: هذا كذب عليكم لا في عبوة ولا في شيء، فراح يدخل، لسة بيخطو الخطوات الأولى قال لي الأخ: شفت كل الملاعق والصحون والكاسات خرجت من شباك المطعم، قال لي: أنا عامل عبوة صوتية أصلا.. بيعمل عبوة صوتية بكيلو ديناميت!!

أدت هذه الحوادث أن فرضوا نظام إغلاق المطاعم في نهار رمضان، طبعا دور السينما واللهو عاقبوها بطريقة شرسة جدا، دمروها تدميرا شديدا جدا، ومع ذلك كانوا يتجنبون إصابة المدنيين جدا، يعني في وسط السينما يخرج شخص يقول: وضعت عبوة وعلى الناس أن تخرج، ستنفجر خلال خمس دقائق، فيخرج كل الناس، وتنفجر العبوة ولا يحدث لأحد أي أضرار، هؤلاء الناس ما يستاهلوا حد القتل.

المهم العمليات التي مارسوها أشاعت في المدينة حملة إرهاب، فبعد ذلك طلبوا من الناس الإضراب، فلما طلبوا من الناس الإضراب استجابت بعض الدكاكين للإضراب، وبعض الدكاكين أصحابها فسقة فجرة ليسوا مع الجهاد لم يستجيبوا للإضراب، فأحرقوا هذه المحلات عقوبة لأصحابها، فربوا بهم المسملين الطيبين اللي خايفين من الدولة، فأعطوا لهم مبررا وأعذارا لغلق المحلات، فنزلت الدولة أصحاب الهراوات والمطارق الذين يضربون الدكاكين ويفتحونها عنوة، فصاحب الدكان يقول لهم: افتحوها ولكن أنا لا أدخل، هؤلاء سيأتون يحرقون المحل لأنهم أحرقوا عدة محلات، فصار هناك سلطتان في المدينة، سلطة المجاهدين وسلطة الدولة، وكل واحد يريد أن يجبر الناس.

فلما صارت الدولة تُزعج المضربين عمل المجاهدون عدة كمائن على دوريات الشرطة، وقاموا بتصفية عدد من الشرطة الذين يفتحون المحلات بالإكراه، فشجعوا المضربين أكثر على أن يدخلوا في الإضراب، فصار بعد ذلك لما يخرج نداء للإضراب، بدل نصف ساعة يكون طول اليوم، أو يومين أو ثلاثة أو أربعة.

فالإضراب له فوائد كثيرة جدا، ولكن العجز عن الاستجابة هو استفتاء معاكس، ولذلك لما تُوزع بيانات على الناس قوموا نجاهد اليهود والنصارى وعلى مستوى الأمة إلخ، وأنت لا تستطيع أن تعمل تتابع لعمليات عسكرية تثبت أنك ممكن أن تحقق هذه الأشياء، يتحول هذا النداء إلى استفتاء شعبي معاكس، يثبت للعدو أن هذه الأمة لم تتجاوب معك حتى في النداء للدفاع عن أغلى مقدساتها، فيشجع القوات الغربية واليهود والنصارى على أن يتمادوا في العدوان، لأنهم أَمِنوا، يقولون: هذا الرجل دعا الناس ولم يستجيبوا له، فنستطيع أن ندخل.

هذا من الأشياء التي يجب ألا تنادي بها في مكان ما، إلا إذا كنت حاسب حساباتك للأمام، في بلاد الشام حصل هناك نداء كبير جدا وتصور أن الجيش السني سينشق لصالح المجاهدين لأنهم أبناؤنا، ولكن ثبت أن أبناءئنا السنيين أُجبروا على تدمير مدينة حماة، وأُجبروا على تدمير بيوت أهاليهم، وأُجبروا على النهب، وهناك منهم في ضوء الفسوق والعصيان شارك في عمليات النهب والاغتصاب، وهو من المسلمين من أهل السنة، ضمن الجو العام، حصلت حادثتان أو حادثة من النوادر، أن بعض الجنود تمردوا ولم يقصفوا المدن بالصواريخ فقُتلوا، كل ما استطاعوا أن يعلملوه كما ذكر لي الناس من أهل حماة: كانت تسقط علينا صواريخ كثيرة جدا لا تنفجر، ننظر فيها فنجد أنها بدون صواعق، يعني يطلقها الجيش ليس فيها صواعق، هذا كل ما استطاعه.

وأنا مرة خرجت من البيت فوجدت جنديا، طلب مني ألا أذهب لصلاة الجمعة، فقلت له: أنا ذاهب لصلاة الجمعة ووالدي رجل مسن وذهب لصلاة الجمعة، فلما نزلت كان والدي أمامي قال له جندي: وين تذهب؟ قال له: للمسجد، فتركه، قال لي: وين تذهب؟ قلت له: على المسجد، قال لي: ارجع يا كذا شتمني شتيمة، قلت له: رايح أصلي، فأخذ الكلاشينكوف ووضع فيه طلقة، فأنا شفت القضية جد يعني فرجعت، فلما رجعت ورجع والدي بعد ذلك، قال لي والدي: هذا الجندي اللي سبك أفهم منك مائة مرة، قلت له: ليش؟ قال لي: لما أنت رجعت ناداني وقال لي: يا شيخ هؤلاء الشباب ما بيفهموا، الآن بيروحوا للمسجد، يأتي النصيرية يخرجوا كل الشباب تحت ثلاثين سنة يعدموهم في المسجد، فأنا واقف هنا لا أترك أي شاب تحت ثلاثين سنة يصلي في المسجد، مساهمة منه فقط كرجل من السنة.

الشاهد أنك يجب أن تقوم بعمليات جس نبض قبل أن تتورط في دعوات تعلم أنها لا يُستجاب لها، تعطي مفعولا معاكسا.

هذه الأمثلة نعيشها ردا على الفكر الزوابري الذي خرج في هذه الأمة بقضية التعامل مع الناس كالريح العقيم لا تبقي ولا تذر، الناس يُتعامل معهم بحيث على الأقل على الأقل يُنقلون إلى دائرة الحياد.

نتابع القراءة يقول:

[وعندما يصبح واضحاً أن الحكومة لا تستطيع الحفاظ على النظام أو قمع الانتفاضة، تزداد قوة المد الثوري، فيلتحق طلاب بصفوف التنظيم السري، وينضم إلى عملية الاحتجاج على الملاحقات وفقدان الحريات المدنية، الطبعة العاملة، والعناصر الليبرالية من الطبقة الوسطى –كربات البيوت والموظفون والمستخدمون، والقوميون الاقتصاديون، والمثاليون من كل الأنواع].

نركز هنا على موضوع الطبقة الوسطى، كل علماء الاجتماع الذين تحدثوا عن الثورة، يقولون أن الثورة يُولد معظم كوادرها من الطبقة الوسطى، لأن الطبقة الوسطى لا أعدمها الفقر حتى أفقدها القدرة على الحركة، ولا أبطرها الغنى حتى أفقدها القدرة على الحركة، معظم الكتاب والشعراء والمبدعين يخرجون عادة من الطبقة الوسطى، وقليل منهم يخرج من الطبقة الفقيرة، وأقل من الطبقة الغنية.

فأساس التغيير في المجتمعات يعتمد على الطبقات الوسطى التي ليست محتاجة وإنما تعيش على الكفاف.

(المثاليون): الذين يطالبون بالمثل العليا، سواء كانت دينية أو قومية أو وطنية، ولا يرضون بالوضع الخطأ.

[ويلتحق بصفوف رجال العصابات أعضاء التنظيم السري الملاحقون. كما أن الفلاحين، الذين يتعرضون لضربات الحملة العسكرية].

الحملة وهي تمر تهدم المزارع، عملوا مخططا في مصر لأن يحصدوا مزارع القصب كلها، ويبدلوها بالشمندر السكري، حتى يبقوا يحافظوا على محصول السكر، ولكن يمنعون مجاهدي الجماعة الإسلامية من الاختباء في حقول القصب في الصعيد، فصارت هناك مشكلة عند الفلاحين من مئات السنين وهم يزرعون القصب، والأرض لا تصلح للشمندر السكري.

على فكرة الثورة في كوبا استفادوا جدا من حقول القصب، معظم القواعد في كوبا كانت في حقول القصب السكري، لأنها تشكل إمكانية اختباء ضمن النباتات الطويلة.

يقول:

[**كما أن الفلاحين، الذين يتعرضون لضربات الحملة العسكرية التي ستصيب لا محالة الأبرياء المشكوك بانتسابهم إلى ثوار العصابات فإنهم ينضمون بدورهم إلى صفوف الثوار**].

أقول: أنه من الملاحظ هنا أن هناك مرحلة لالتقاط الأنفاس وجني الثمار، ليس توقفا علنيا لئلا يشعر النظام به، ولكن تخفض مستوى العمليات العسكرية لالتقاط الأنفاس وجني حصيلة هذا النجاح، عن طريق التجنيد، عن طريق الدعاية، عن طريق الأعمال التي تقوم بها باستثمار عملك العسكري.

نتكلم هنا عن نظرية الجنرال جياب، هذه التي قلت عنها في قضية القوة والسيطرة، سأؤجلها إن شاء الله، الجنرال جياب الذي قاد الثورة الفيتنامية العسكرية ضد الفرنسيين قبل الأمريكان، ثم تابع بعد ذلك ضد الأمريكان، هو تكلم عن إيقاع الدولة في فخ القوة والسيطرة، فنحن تكلمنا أنه إذا تجمعت قوات الدولة في مراكز حتى تستمد القوة= يكون هناك فجوات بين المركز والمركز، فيكون عندك متسع لالتقاط الأنفاس وعمليات الدعاية.

والانتباه هنا لمطبات الانفتاح التنظيمي، لا تحمّل نفسك ما لا تستطيع من الحشد البشري، ارتفع عدد المجاهدين في مدينة حلب أيام مدرسة المدفعية وانطلاق الثورة والعمليات الرائعة، كان العدد أولا ١٩ شخصا فقط، وعدد الناس في حماة لا يزيد عن ٦٠ شخص، وعدد الناس في بعض المدن أفراد لا يزيد عن أربعة أو خمسة، فلما حصل سلسلة من النجاحات قفز عدد المجاهدين خلال ستة أشهر إلى ألف وخمسمائة شخص، أكثرهم من أوساط الشباب ومن المساجد.

فلما بدأت الأزمة ونقصت القواعد ولم يعد هناك إمكانية لاحتواء العدد المتزايد وقُطعت الأموال التي قطعها الإخوان المسلمون من الأردن ومن العراق ومن كل التبرعات التي جمعوها باسم الجهاد والمجاهدين، اشترطوا على المجاهدين البيعة للتنظيم، فلما لم يبايعوهم ويدخلوا تحت قيادتهم قطعوا عنهم المال والسلاح، وتركوهم طُعمة للموت، فقتل في هذه المرحلة حدثني عدنان عقلة بنفسه قال: خلال سنة ونصف منذ عملية المدفعية لم يتجاوز عدد الشهداء ٦٠ شخصا، معظمهم قُتل في الحواجز الطيارة وفي الاشتباكات وقليل منهم في مداهمات القواعد، فلما قُطعت هذه الأموال وصل عددهم في الستة أشهر التالية إلى ٦٠٠ من الشهداء، معظمهم قُتل وهو يتجول بسلاحه ليس عنده قواعد ولا مأوى، لعدم وجود مال لشراء قواعد، وكثير منهم وقعوا فريسة للاعتقال.

وقد ترافق قطع الإخوان للمال مع خطأ للمجاهدين أنهم حمّلوا أنفسهم تنظيميا أكثر مما يستطيعون، فكثرت الخسائر، كان يُكتشف في اليوم الواحد ثلاث قواعد، نتيجة كثرة الاعتقالات، كل قاعدة فيها ثلاثة أو أربعة من الإخوة، مرة قُتل في قاعدة ١٦ أخ، حتى حدثني مرة رجل قال: كُشفنا وكنا مجموعة من ١٥ أخ فرحنا قلنا لعدنان: نحن ما عندنا إمكانية، الآن ١٥ شخص وليس عندهم حتى هاون! فقال لهم: تعالوا أعطيكم قاعدتي، القاعدة القيادية، وقال لي: عرفنا أنه تلك الليلة نام هو وفلان على شجرة، حتى ذهب لأحد معارفه وآواه عنده.

الشاهد في الموضوع أن ذلك كان بخطأ ذاتي أنهم حمّلوا أنفسهم أكثر مما يطيقون في جني الثمار، وهذا من الخطأ التنظيمي والمطبات في مرحلة جني الثمار.

يقول:

[**ومنذئذ، تستطيع القوة الثورية أن تعمل على مساحة واسعة، وأن تنشئ القواعد في مناطق يتعذر دخولها على الجنود**].

يا إما موانع طبيعية، إما أحياء ضيقة وأزقة وسكن من الصفيح والخيام والمخيمات، أو جبال وغابات، المهم موانع.

[**وتسمح هذه القواعد بإقامة حكومة ثورية، وتنظيم تموين ثوار العصابات بشكل مستقل عن الإغارات والتهريب**].

أي يستطيعون شراء مواد للتخزين –بعيدا عن الإغارة والتهريب–، ويشكلون شبه حكومة تضع نوعا من المكوس والضرائب كما يسمونها هم، ونحن نسميها: ضريبة المشاركة في الجهاد على أغنياء المسلمين المتبرعين بإرادتهم، أو على فساق المسلمين المتبرعين غصبا عنهم، أو على العاملين في إطار الدولة من باب الإتاوات وهذا نجح جدا في الجزائر، كانوا يحددون بعض الناس العاملين في إطار الحكومة ويضعون مبلغا على عدد أفراد عائلته، يقول له: عندك ١٠ فتدفع لنا ألف دينار على عشرة أشخاص ولا نَمسك الآن، ويكون عاملا في وظيفة شبه سلطوية أو أنه في الحزب الحاكم أو ينتمي إلى مؤسسة إلخ، فلا يقتلونه ولكن يضعون عليه نوعا من الإتاوة.

يقول أن هذا في المرحلة الأولى، أما إذا صار عنده بعض الاستقرار، فيشكلون شيئا من الحكومة الثورية ويستغنون عن المصدر السابق وهو: الإغارة والتهريب.

[**وتتوسع هذه القواعد في مرحلة لاحقة، فيزاول الثوار ضغطاً مستمراً على قوات الحكومة في المناطق المجاورة للقواعد، ويجبرونها على الالتجاء إلى مراكز محصنة**].

يعني يحيطون بها كدائرة للعمليات أوسع، حتى لا تفكر الدولة أن تأتي لعقر دارك، لأنه ما زالت عندها مشكلة في المحيط محيط المنطقة.

قوله: (**ويجبرونها على الالتجاء إلى مراكز محصنة**): هنا بدأت مرحلة التوازن.

[**ويتخذ الصراع منذئذ طابع الحرب الأهلية بين كيانين إقليميين للبلد نفسه، لكل منهما حكومة واقتصاد، وتظهر بين الكيانين اختلافات أهمها:**

١. **يبقى إقليم العصابات ريفياً، ذا اقتصاد زراعي بدائي، بينما يكون إقليم خصومهم صناعياً محصوراً في المناطق المدنية، ويقدم أهدافاً مناسبة للتخريب.**

٢. **تبقى الحكومة الشرعية خاضعة لكل الضربات، ولكل الضغوط السياسية والديبلوماسية والاقتصادية، وخاصة عندما لا تتوصل إلى قمع الانتفاضة التي تزداد هيبتها دون انقطاع**].

الملاحظة ٦٢ يقول: هذه هي مرحلة التوازن، وتَشكُّل نواة المناطق المحررة وشروطها.

المناطق المحررة لها شروط حتى تنجح، من أهم شروطها وهو شرط نموذجي: أن تستند إلى حدود دولة أخرى صديقة، يمكن أن تُشكل لها خطوط إمداد، كما كان الحال بين باكستان وأفغانستان، ولذلك كان أهم دور أساسي هو إغلاق ممرات جلال أباد، إغلاق ممرات جادي، إغلاق الممرات الأساسية التي يأتي منها الإمداد، شكل هذا الصراع على الممرات فترة طويلة، فهذا هو الذي أمّن المناطق المحررة.

وأيضا يمكن أن يكون هناك مناطق محررة إذا كانت واسعة شاسعة، لا يمكن حصرها عن طريق الطيران والإنزالات الجوية، بغير ذلك يصعب جدا المحافظة على المناطق المحررة إلا إذا ضعُفت الدولة لدرجة أصبحت فيها غير متحملة للكمائن، حتى لما يصبح أفراد الناس وأهل القرى واللي لهم علاقة معك واللي ما لهم علاقة معك يضربون الدولة ويغيرون عليها ويعرضونها لعملية استنزاف، وأنت متأكد أنها غير متفرغة

لأن تشن حملة بعشرات الآلاف من الرجال لفرض السيطرة على منطقة نائية يمكن أن تقع فيها خسائر كبيرة لو دخلوا.

هذا يسمونه في بعض كتب حروب العصابات مثل كتاب "حرب العصابات" لجيفارا يسميها "الدفاع الذاتي"، ويعتبرها من أهم المقاتل وسبب فشل أكثر من حرب عصابات في أمريكا اللاتينية أن الثوار لجأوا إلى الكهوف والمناجم وتحصنوا وأعلنوا أنهم يدافعون، وحكى لي إخواننا التركستان أنه قبل عشر سنوات قام الحزب الإسلامي التركستاني بعض طلبة العلم وبعض طلاب المدارس وشيوخهم بالانتفاضة على الصينيين، وحصروا أنفسهم في منطقة لمدة شهرين أو ثلاثة، ثم أُبيدوا عن آخرهم، وكان عددهم حوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ شخص، وإخواننا الآن يكملون بنفس الاسم وبنفس القضية استفادة من تلك التجربة، كانت تجربة أصحاب أخدود، خرجوا وتمركزوا بشكل مبكر فأُبيدوا عن آخرهم، هذا منذ عشر سنوات فقط.

الشاهد أن المنطقة المحررة لها شروط، ومن شروطها أن تحيطها بدائرة عمليات كثيفة وكمائن، حتى يعلم الجيش أنه لكي يصل للمنطقة المحررة سيتكبد خسائر كثيرة جدا، ولابد أن تحسب حسابا ضد الهجوم الجوي، بأن يكون عندك إمكانيات الدفاع ضد الإنزال وضد الهجوم الجوي.

꧁꧂

يقول:

[**لقد انتهينا من عرض التطور المميز لوضع ثوري، منذ بداية التمرد وحتى مرحلة التعادل النسبي للقوى. ويبقى أن نعرف ما هو الحل الذي سيتلو ذلك، وهل سيكون عسكرياً أم سياسياً؟**].

خلاص الجماعة فرضوا أنفسهم كتوازن، فطبيعة الحل هل هو مفاوضات بين الطرفين على رحيل النظام؟ أو على تقسيم البلد؟ أو على اقتسام النفوذ؟ أو على تحقيق حلول وسط حكم ذاتي؟ ولا إخراج مساجين وتعويض متضررين؟ وهذه كلها حلول سياسية.

ولا أن حل المسألة عسكري، فيتابع المرحلة الثالثة في تصفية أحد الطرفين؟

[**في الدول الصغيرة، نصف المستعمرة**].

هذا المصطلح أعجبني جدا وأنا أقرأ الكتاب ووجدت أنه يناسبنا جدا دول نصف مستعمرة، فدولنا مستقلة من وجه ومستعمرة من وجه آخر، نصف مستعمرة حيث قواعد أجنبية ونفوذ أجنبي، فهناك دول أقرب إلى المستعمرة مثل السعودية، وهناك دول أقرب إلى نصف المستعمرة مثل مصر والمغرب وسورية إلى حد ما، سورية مستعمرة بشكل بعيد جدا، يعني هناك تأثير على السياسة وإدارة خارجية ولكن ليس هناك أي شكل من أشكال التبعية للمخطط الخارجي، على العكس يعطونهم دورا بأنهم متمردون، ولكن مع ذلك لو تفحصت فيها لوجدتها نصف مستعمرة ولكن بأسلوب أكثر خفاء.

يقول: [**في الدول الصغيرة، نصف المستعمرة التي يتوقف اقتصادها وإلى درجة معينة حكومتها على جار غني وقادر (كوبا هي المثال الثوري)** -لأن حكومة باتستا كانت مستندة إلى حكومة الولايات المتحدة التي تدعم اقتصادها، وهذا هو حال دول الخليج الآن مرتكزة لأمريكا، ودول شمال أفريقيا مرتكزة لفرنسا-.. يقول الكاتب: **فإنني أميل إلى الاعتقاد بأن الحل السياسي، الأسهل والأقل كلفة، ممكن بصورة دائمة تقريباً، وإلا في حالة التدخل الأجنبي**].

يعني إذا تدخل النصير الأجنبي جهارا نهارا لدعم الدولة نصف المستعمرة فعند ذلك لا يبقى مكان للحل السياسي، لأن الناس تتمرد، مثل ما حصل لما تدخّل الروس سنة ١٩٧٩ في أفغانستان، كان من الممكن أن يتفاوض المجاهدون والحكومة الشيوعية على حل وسط، ولدينا وثائق عجيبة، كان منذ ذلك الوقت والناس لم يتنبهوا إلى حكمتيار، كان هناك اقتراحات حل وسط بين الشيوعيين وحكمتيار أن يستلم

حكمتيار رئاسة وزراء في دولة شيوعية! وفي عندنا بعض القصاصات الصحفية الباكستانية أن هذا كان مطروحا ويُتفاوض عليه مع الحكومة الباكستانية، وهو حل وسط.

ومن أخطر الحلول الوسط تكلمنا عليه البارحة مع الإخوة في الجزيرة واليمن، ان ايش شعار الثورة كله؟ الانتفاضة في الجزيرة إلى الآن ليست جذرية، وهو قابل لأن يكون ترقيعيا إصلاحيا: (الوجود الأجنبي، إخراج العلماء، إجراء إصلاحات، إطلاق حرية الدعوة) كل هذه الشعارات يمكن إذا عُكست الحكومة تماما، وذهب فهد وجاء إخوته الخنازير وعلى رأسهم عبد الله، الذي ذهبت كل أطراف المعارضة في السعودية إلى امتداحه أو ذكر بعض إيجابياته كحل وسط.

يمكن أن يُطلق العلماء ويجري إصلاحات ويقوم بتخفيض عدد القوات الأجنبية، وعلى أسلمة البنوك الربوية، وبعض الأمور التي ينفذون بها كل متطلبات الثورة، فيكون هناك حل وسط.

ولا شك —حسب فهمي لعقليات الإخوة في الجزيرة، معظمهم وحتى الثوريون منهم إن جاز التعبير، مع أنه لا أحد ثوري جذري انقلابي في الجزيرة إلى الآن– ممكن هؤلاء الإخوة وعلى رأسهم العلماء الذين يؤيدونهم يقولون: أحرزنا انتصارا مؤقتا، يمكن أن نبني عليه مرحلة من المكاسب، ونعود إلى الدعوة والمساجد والتعبئة، ويظنون أنفسهم كسبوا، وبكل طيبة يسحبون من تحت أرجلهم البساط ويعطونه للطرف الآخر!

هذا يسمى حلا سياسيا وسطا، أما لو ارتكبت الدولة حماقة، أنهم لم يقبلوا الحل الوسط وقالوا سننزل القوات الأمريكية جهارا ونقمع الناس في الجزيرة، عند ذلك سيدخل كل الناس في الجهاد، وهم متنبهون لهذه المسألة، فهذا الكتاب كُتب من ٣٢ سنة!

وهنا الملاحظة رقم ٦٣: هذا هو الحل كخيار الرمد بدل العمى، ودائما الحكومات الغربية تتعامل معنا كمجاهدين مسلحين على أننا العمى، ومع الإسلاميين المعتدلين على أنهم الرمد، ودائما يقولون: الرمد أحسن من العمى، فلما لا يكون هناك إلا رمد فهو بالنسبة لهم عمى، لما لم يكن هناك إلا الإخوان

المسلمون ودعوتهم اعتبروهم عمى ووضعوهم في السجون، فلما خرجت التنظيمات الجهادية أصبحوا رمدا، أخرجوهم من السجون ووضعوهم في البرلمان!

ولذلك طلقات خالد الإسلامبولي هي التي أدخلت الإسلاميين المصريين في البرلمان، وفي معظم الدول التي جلسوا فيها، لأن خيار الرمد كان أفضل من خيار العمى، وحتى راشد الغنوشي وله أشياء فعلا تُعجب وهو صريح جدا وهو يؤصل للضلال، ويعطيك أمثلة تريحك في الاستشهاد ولا يخفيها، مرة كان في مؤتمر في استكهولم في السويد في سنة ١٩٩٤ وكان جالس هو وعصام العريان وحسن هويدي واثنين ثلاثة من الشام من الأردن، وكان يتحدث عن مصير الدعوة، فسأل سائل من الجمع يكلم عصام العريان: لماذا الخيار الديموقراطي والبرلمان؟ فتكلم تكلم تكلم، وقال له: حتى الآن واضح أن أسلوبنا فرّغ السجون ولم يعد هناك سجناء للدعوة وأنهم استفادوا من هذه المرحلة، فضحك راشد الغنوشي لما تكلم وقال قولة حق يجب أن تُسجل له قال: أنا أريد أن أقول لأخينا عصام العريان أنكم لم تعودوا في السجون، لأن أصحاب الحراب الحامية قد ملأوها عنكم!

وقال: عندما تكون الدولة تختار –وذكر هذا المعنى الرمد والعمى– يجب أن نسجل لهم أن هؤلاء الإخوة الأغرار، ودافع عن الجهاديين دفاعا عجيبا جدا، والفيديو عندنا هنا، قعدت أتأمل فيه، الرجل قال الحق واشتبك مع عصام العريان وحسن هويدي، وانتصر للجهاديين، وقال: علينا أن نقدر أن هؤلاء الناس هم الذين أعطونا كل المكاسب.

فعندما يكون الرمد بدل العمى= يكون خيار الحكومة الأجنبية دائما اختيار الرمد على العمى.

نقول هنا: خيار الرمد بدل العمى هو الذي يطرحه الغرب دائما كأمر واقع، وعندها يجد أصحاب الحلول الوسط –حتى في أوساط الجهاديين أو الإسلاميين– أجواء لرفع عقيرتهم، يقولون: ها أخذنا مكاسب خلونا نبني عليها، ودائما النفس البشرية لا تتحمل المصادمة والضغط، فهي لا تكتشف دبيب الشيطان وهي تأخذ الحل الوسط، هي عمليا تبحث عن الراحة، وسيأتي معنا بعد قليل موضوع الحلول الوسط لدى بعض الجهاديين الذين تعبوا، وهم من الوسط الجهادي لا الإسلاميين العاديين.

فهذا يتناسب مع كلامه، أنك إذا وصلت إلى مرحلة التوازن فهناك فرصة كبيرة للحل الوسط، والحل الوسط يكون دائما على حساب المنهج ويكون أيضا على حساب الضحايا، قال اليهود لهم: غيروا الميثاق الوطني فغيروا، طيب الغوا الميثاق الوطني ألغينا، طيب حلوا منظمة التحرير، تبقى تدفع تدفع تدفع، وهو ما يشبع ما يشبع، لأن زمام المبادرة السياسية تحول إلى العدو.

وربما -وهذا نادر- حصل حل سياسي مشرف، ولكن ذلك لا يكون إلا عند تحطيم أنف العدو وكبريائه، وكان ظاهر أن نصرك السياسي يعادل نصرك العسكري، يمكن عند ذلك أن تقبل بحل سياسي، مثل رحيل الحكومة وأن تحتفظ بكل ما نهبته، وأن تُسقط الأحكام، وأن تعدم بعض المجرمين الذين يستحقون الإعدام، وقد يكون عندك بعض الإخوة المتطرفين في صفوفك يقولون لك: لا نقبل إلا بأن يُعدموا وأن يُصفوا وأن نأخذ ١٠٠% من النتائج، ولكن كقيادة حكيمة ترى أن المكسب حصل، بقي فرعيات النتيجة ليست ضرورية، ويجب عليك كقيادة أن تقمع التطلعات التي تريد أن تضيع فرصة الحل السياسي المشرف، وهذا نادر جدا أن يحصل الإسلاميون على حل سياسي مشرف بدون أن يحصل تحطيم لأنف العدو وكبريائه.

مثال على السقوط السياسي كحل وسط: إجهاض النجاح العسكري الساحق لنا في أفغانستان، لما حصل سقوط لكابل واستسلام للمدن دفعة واحدة ولم تُفتح مدينة عنوة إلا خوست، وكل المدن فُتحت صلحا واستسلاما وهذا مما حبب إلي في المكان الذي نجلس فيه الآن أن فيه بركة الفتح عنوة، ربما هي المدينة الوحيدة في المائة سنة الأخيرة من تاريخ المسلمين التي فُتحت عنوة، فتشعر فيها بالبركة.

هذا التسليم السياسي كان حلا وسطا وقبل به المجاهدون، وفوتوا فرصة رائعة في تدمير القوات السوفيتية، فكان من شروط الخروج مع المجاهدين وتولى أحمد شاه مسعود ومعه قادة الأحزاب هذه الخيانة التاريخية أن سُمح للقوات السوفييتية بالخروج، مروا من وادي بانشير ومن ممر سمند بأمان واطمئنان وسُحبت كل المدرعات، وخرج الجيش الأحمر من أفغانستان خروجا مشرفا لا يتناسب مع الهزيمة العسكرية الساحقة التي تعرض لها.

كان من الممكن أن تؤخذ كل هذه الأسلحة غنيمة، صواريخ سكود وطائرات ودبابات ومدرعات، خرجوا مبجلين وحُرسوا من قبل قوات المجاهدين، وخروجوا تنفيذا لاتفاق خروج الروس من أفغانستان، وقالوا: هذا كسب عظيم جدا لأننا سننفرد بالحكومة الآن، ولم ينفردوا بالحكومة وطالت المعركة بعد ذلك أكثر من سنتين أو ثلاثة حتى سقطت كابل.

فهذه خيانة عظمى نتيجة قبول حل وسط، ظن الثوار حينها أنهم حققوا نصرا عظيما جدا، كان من الممكن أن يأخذوهم جميعا أسرى وسجناء، ويفتحوا بهم ثغرات الألغام في المناطق التي تركوها.

هذا نموذج، ونتكلم عن نموذج الخيار الإيراني الناجح:

أن الثورة في إيران كانت ناجحة كثورة شعبية بأن لم تأخذ بالحل الوسط إلى آخر لحظة، بل أنها حطمت أنف الشاه وقبضت على معظم "السافاك" وصفّت معظم خصومها السياسيين، ثم طاردتهم حتى استخدمت الصفقات التجارية مع أوروبا لتصفية خصومها، وذُبح شابور بختيار في بيت معزول في فرنسا بعد ١٠ سنوات تقريبا، وكل الدلائل تشير إلى أن الحكومة الفرنسية سحبت من حوله الحراسة وسمحت للمخابرات الإيرانية بذبحه، ثأرا لما فعله، وتواطأت الحكومتان الفرنسية والإيرانية على قتله من أجل صفقات تجارية.

واليهود تابعوا تصفية خصومهم إلى آخر لحظة، وبعض الطوائف أيضا تابعت تصفية خصومهم إلى آخر لحظة، عندنا الدروز في الخمسينات جاءت حكومة عسكرية على رأسها رجل سني اسمه "أديب الشيشكلي" ضابط في الجيش عمل انقلابا برعاية المخابرات الأمريكية، لكن كان من حسناته القليلة أنه فتح النار على النصيريين والدروز والطوائف وأراد أن يصيفهم، ولما أُجهض انقلابه قال: (أوصي السوريين بحرق الجبلين جبل العلويين وجبل الدروز) وخرج، كان يرمي على الدروز براميل بنزين ويحرقهم، فلما أُسقط وذهب بما نهب من سورية، أرسل له الدروز شخصا وقتله بعد ١٢ سنة من خروجه.

وهذه المسألة اتبعها الشيوعيون في تصفية خصومهم، لما حصل تصفيات في الاتحاد السوفييتي بين القوى الشيوعية نفسها وفاز تيار على تيار قام بتصفيته.

يقول: [وتقدم الثورة الكوبية صورة رائعة للسياق الذي وصفناه].

الآن سيذكر التجربة الكوبية، سنقرأ وأنت تأخذ العبر منها.

[ففي كانون ثاني ١٩٥٦، نزل فيديل كاسترو مع واحد وثمانين نصيراً مسلحاً من قارب إنزال على شاطئ ناءٍ في (أورينت)، تلك المقاطعة الواقعة في الجزء الشرقي في كوبا، وكانوا قد أتوا من المكسيك. ولم يبق منهم في نهاية الشهر التالي إلا دزينة (اثني عشر) من الرجال، وقتل الباقون أو أسروا، من قبل كمين عسكري، قبل أن يلحقوا بالجبال.

وبقيت نشاطلت كاسترو العسكرية، ولمدة ستة أشهر، في منتهى الصغر. إغارات صغيرة على المراكز المنعزلة (لكنها زودت الرجال مع ذلك بما يكفي من السلاح لمضاعفة العدد عندما تقدم المتطوعون الجدد)، وعلى معاصر قصب السكر، وعلى القرى المجاورة لسلسلة جبال (سييرا مايسترا). وكان لد كاسترو عندما قابلته للمرة الأولى في السييرا، خلال شهر نيسان ١٩٥٧، حوالي مائة نصير، نصفهم كان قد وصل قبلي بخمسة عشر يوماً من (سانتياغو) العاصمة الأقليمية، حيث تشكلت نواة التنظيم السري المديني.

وكان أكبر عمل عسكري للكاستروويين خلال تلك الحقبة، هو هجوم ٢٨ أيار ١٩٥٧ على مراكز (أوبرو) الصغير الذي كان يشغله سبعون جندياً، وكانت خسائر الثوار ثمانية قتلى، وخسائر الجنود ثلاثين قتيلاً.

وكانت أعمال السنة الأولى كلها تقريباً على المستوى نفسه، إذ لم يزد عدد الرجال المشتركين في أي اشتباك، عن عدة مئات من كل جانب، وفي الحالات كلها تقريباً.

وكانت المبادرة من قبل الثوار الذين كانوا يرغبون في الحصول على الأسلحة، وإذا كانت الأعمال العسكرية، قد بقيت صغيرةً! فإن الانتصارات الدعائية أتت مبكرة، وأخذت صفة عالمية، وتلاحقت بدون توقف].

لاحظ الآن التطبيق العملي للقواعد النظرية التي كنا نخوض فيها.

[**وجعل هربرت ماتيوس، مراسل النيويورك تايمز، من فيديل كاسترو اسماً مألوفاً في الولايات المتحدة ونشرت الدعاية أنباء أعماله في العالم قاطبة**].

وهذا تكلمنا عليه، أهمية الصحافة الأجنبية، وهذا مثال تطبيقي.

هنا الملاحظة رقم ٦٥: مرة أخرى دور الإعلام، أي صناعة النتيجة.

[**وكانت هذه الأعمال العسكرية الصغيرة انعكاسات سياسية واقتصادية ضخمة: حظر الأسلحة على حكومة باتيستا، وتقييد التوظيفات والقروض مما خلق ضغطاً شديداً على النظام، لم يلبث أن سبّب نقص النشاط وانعدام ثقة الإدارة، وكانت نتيجة هذين الانعكاسيين، جعل الجيش عاجزاً، في وقت كانت غالبية جنوده لم تسمع قط طلقة واحدة**].

لم يسمعوا طلقة واحدة، لأنها عمليات عسكرية صغيرة، لكنها وُظفت توظيفا سياسيا صحيحا.

[**وكان فساد نظام باتيستا** –السياسي– **مماثلاً لعجزه** –العسكري– **وعندما سقط، بدا وكأن سقوطه ناجم من ذاته وبسبب الضعف. أما الصحافيون الأجانب الذين كانوا يتابعون المسألة، فقد قدَّروا بأن حفنة ملتحي كاسترو المسلحين لم يساهموا في إسقاط النظام إلا على مستوى الدعاية**].

واضح تطبيق الكلام الذي مر.

[ففي بالدء احتقر باتيستا تلك العصبة من المغامرين السياسيين، المعزولين نهائياً في السييرا ماسترا النائية. وبعد إجرائه المحاولات الأولى التي نُفذت بدون قناعة قوية، من أجل طردهم من الجبال، مال إلى التفكير بأنه لا خطر هناك إذا تخلى لكاسترو عن إقليم ناء، وعر، (قليل السكان)، وليس له أية قيمة اقتصادية ولقد تواجدت قبل ذلك عصابات مضادة للنظام في السييرا –قطاع طرق–، وحظيت بقليل من الاهتمام، وسببت ضرراً محدوداً.

أما الدعاية التي أثارتها في هذا النطاق، فلقد انطفأت بسرعة، هكذا أجري باتيستا محاكمته العقلية بدون شك، معتقداً أن الجوع سيطرد المغامرين مع الزمن من باتيستا محاكمته العقلية بدون شك، معتقداً أن الجوع سيطرد المغامرين مع الزمن من جحرهم، أو أنهم سيسأمون من حملة عقيمة.

ثم وصل إلى التفكير فيما بعد، بأنه بالغ في تجاهل أهمية التهديد، فأصبح يرى الثوار في كل مكان، حتى حيث لم يكن لهم وجود].

يقول هنا في الملاحظة: لاحظ أهمية سلاح الرعب في حرب العصابات.

[وبحيازته لقاعدته الجبلية، استطاع كاسترو تجنيد قوة غير نظامية كبيرة إلى حد ما، ونجح في أن يجعلها تبدو أكثر ثقلاً مما هي عليه، فشكلت دوريات سريعة الحركة، لا يتعدى تعدادها غالباً ستة أناس، وأخذت هذه الدوريات بالظهور في عدة أمكنة وفي وقت واحد، موسعة بذلك حقل عدم الأمن].

انظر إلى العقلية الإدارية الفظيعة لهذا البني آدم، كيف عمل بهذه القوة الصغيرة، سوى حكومة وإداريات بكل معنى الكلمة، من شوية الفلاحين اللي معه، لما استلموا السلطة كانت نواته جاهزة.

[وفي آذار ١٩٥٨، أعلن كاسترو بأسلوب بليغ (الحرب الشاملة)، وكشف عن أرتال تسعي إلى أهدافها الجوهرية في الجزيرة كلها وتصرف جيش باتيستا إزاء ذلك وكأنه أمام اجتياح. ولم تكن لديه أي وسيلة ليعلم بأن هذه (الأرتال) لا تعدُّ بمجملها أكثر من مائتي رجل، وإن ما يدعى (بالجبهة الثانية) التي أُعلن عنها في ذلك الحين، كانت قد افتتحت في شمالي (أورينت) بخمسة وستين من ثوار العصابات، كان أكثر أسلحتهم قوة رشاش (براونينغ – ٣٠).

وكان باتيستا قد دفع في بداية التمرد خمسة آلاف جندي إلى سييرا مايسترا ليضربوا نطاقاً حول المنطقة ويبيدوا الأنصار. ولكن طول السييرا أكثر من مائة وخمسين كيلومتراً من الشرق إلى الغرب، ويتراوح عرضها من خمسة وعشرين إلى أربعين كيلومتراً، وتكفي عملية حسابية بسيطة لتبرهن عن عدم كفاية القوات، وحتى لو ضوعف العدد، فإن المهمة ستبقى مستحيلة.

ولقد استُعملت الطائرات، لكن كثافة ورطوبة النبات (كما نوّه كاسترو)، حصرت أثر قنابل النابالم والقنابل المتفجرة لأقل من خمسين متراً. وحتى لو عرفت القاذفات بدقة مكان الثوار –وذلك لم يحدث– لما سببت لهم أذى كبيراً.. والحقيقة أنها لم تلحق الأذى إلا بأكواخ بين سكان الجبال، الذين يقطنون الفرجات المزروعة من الغابة.

وأصبحت السييرا بسرعة أول المناطق الحرة للثورة، وكُرّست السنة الأولى من الثورة لتنظيم قاعدة صغيرة –مشاغل لصناعة البزات النظامية –لباس موحد– **والتجهيزات وأدوات التفجير البدائية، ولتصليح الأسلحة، وتحضير الأغذية المعلبة... إلخ– ولإجراء عملية التبشير بين سكان المقاطعة].**

يعني في بداية البدايات أسس إدارية، وهذا عمله هنا أحمد شاه مسعود واستثمر حتى بعض المناجم، وكان عنده بعض مخططات الزراعة، كل هذا في مرحلة مبكرة من قتال الروس، ولسة الناس هنا قائمين على نظام الشحاذة، مع أنه كان يأتيه تبرعات هائلة جدا من الفرنسيين والإنجليز، ومرة تحدى العرب وأبرز لهم شيكات بعشرات الملايين من الدولارات، ولكن مع ذلك عمل اقتصاده وعمل لباسا موحدا وحاول يشغل معامل وأنشأ جيشا نظاميا وعمل إدارية.

[**وجاءت مناوشة المناطق المتاخمة واعتراض دوريات الجيش كنتيجة طبيعية لوجود القاعدة. وكانت هذه العمليات سهلة نسبياً، وبفضل تعاون السكان الريفيين أصبح ثوار العصابات أكثر حصولاً على المعلومات من الخصم، ولم تستطع أية دورية عسكرية الاقتراب من الفيدليين إلى مسافة تقل عن بضعة كيلومترات**].

بسبب تعاون السكان، فكان خبرهم يصل بسرعة فتُنصب لهم الكمائن.

[**وكان من أول أعمال كاسترو عند وصوله إلى السييرا، تنفيذ حكم الإعدام بمجرمين متهمين بالاغتصابات والقتل**].

لاحظ تجربة الطالبان، من أجل كسب الدعاية في نشر الأمن.

وهنا تنتبه إلى عملية تطبيق الشريعة في وقت مبكر، إذا أنت تمكنت من الأرض، وكان هذا في اتجاه إرادة السكان.

[فأقام بذلك، وبشكل مأساوي، حكومة ثورية، لها قانونها الذي يمكن أن يعتبر عنصر استقرار، في منطقة كانت دائماً مهملة من قبل حكومة (هافانا)].

بل غالبا حاميات الجيش والضباط والمرتشون هم رؤساء عصابات التهريب والمناطق، فجاء الآن مجموعة من الثوار لم يقصروا قتالهم على الحكومة وقالوا: نترك الآن الحرامية وقطاع الطرق، بل طبقوا عليهم القوانين، فلاحظ العقلية الإدارية في فتح معامل، جمع ضرائب، نشر الأمن= تشكيل نواة حكومة.

ولذلك لما يستلم بلدا بعد سنتين ثلاثة أربعة= عنده الكادر الإداري الذي يستطيع إحلال نظام ما خلفا للحكومة.

[أما الإجراء التالي الذي أكسبه أنصاراً سياسيين ومتطوعين، فقد تمثل في إصدار قانون للإصلاح الزراعي، جعل من المزارعين والعمال الزراعيين ومستأجري الأراضي مالكين لما يستغلون.

وقد اتبع التكتيك نفسه على الهضاب التي تقطنها كثافة سكانية أكبر، وحيث توجد مزارع البن الغنية فلقد افتتح راؤول كاسترو في هذه الهضاب ما سُمي (بالجبهة الثانية)، فرانك بايس –لفظة إسبانية تعني البلد الحر- **وفُرض فيها قانون، وجبيت منها ضرائب، ومُنحت بعض الامتيازات (مدارس ومستشفيات)، ودفعت أثمان المشتريات نقداً وبكل عناية].**

لاحظ الانضباط عند العصابات، حتى لا يتهموا بابتزاز السكان.

[ولقد عومل القرويون كما يعاملون من قبل أية حكومة، إلا أنهم خضعوا إلى توجيه سياسي مكثف وطلب منهم الانضمام الكامل إلى الثورة وأهدافها. -عملية تربية جماعية لكل الناس-.

ولقد أبيدت بسرعة المراكز العسكرية القليلة، المؤلفة من بعض الرجال. فلم تعد تشكل عائقاً (للجيش) المؤلف من خمسة وستين نصيراً بقيادة راؤول كاسترو، الذي صار بإمكانه تركيز الجهد على هدف واحد.

وأرسلت أرتال حكومية، ونصب لها ثوار العصابات الكمائن، عندما دخولها، وتركوها تمر، ثم هاجموها من جديد عند العودة.

وكان الثوار يتفرقون في الجبل عندما يتعرضون للمطاردة، ثم يجتمعون في مكان آخر، ويعودون إلى القرى بعد انسحاب القوات الحكومية. وبعد عدة أسابيع، تعب الجيش من إرسال الدوريات، واكتفى بتقوية الحاميات داخل التجمعات السكنية، الواقعة على حافة الإقليم الحر].

يعني فضّل العودة لخيار القوة بدل خيار السيطرة.

[لكن عندما ازداد عدد الأنصار عن طريق التطويع الداخلي، وتحسن اقتصادهم، اضطرت الحكومة إلى إنقاص هذه الحاميات لأسباب أمنية. فلقد أصبح احتلال عشرات القرى والمزارع، والقيام بدور الشرطي على مساحة قدرها عدة آلاف من الكيلومترات المربعة، أمراً باهظ التكاليف، ويتطلب مصروفات كبيرة ووحدات كثيرة].

يعني تخلوا حتى عن خيار القوة نتيجة الإجهاد.

[فتركت القرى للثوار، وانسحب الجنود إلى المدن، وازدادت بالتالي مساحة الإقليم المحرر تدريجياً، ونشأت حوله منطقة منزوعة السلاح -هذه هي المناطق المحرمة-، حيث جرت مناوشات عدة، ثم تنازلت القوات الحكومية عن هذه المنطقة المحايدة قطعة إثر أخرى، بعد أن رأت بأن

الدفاع عنها يكلف غالياً جداً، وبعد ثلاثة أشهر، ألفى الجيش نفسه عاجزاً عن حماية المناجم الأمريكية الكبرى للنيكل والكوبالت على التخم الغربي من (الأورينت)، إلا في ساعات النهار].

أصبحت الدولة لا تستطيع حماية المناجم والاستثمارات الخارجية للدولة التي تجعلها نصف مستعمرة.

[وقد سمح الثوار بتشغيل هذه المناجم لأسباب سياسية، لكنهم استعاروا منها العدة اللازمة لهم: عشرات من سيارات الجيب ومركبات النقل، ومعدات لشق طرقات جديدة وتحسين الطرق الموجودة].

مع أنه ما زال مطاردا، لكنه يحسّن مستوى الطرق لنفسه وللقرويين، في الوقت الذي تجد فيه هنا حكومة طالبان اقتصادها معتمد على عمليات التجارة الداخلية، الطرق متآكلة مهملة، بعد سنتين لن تصلح وسيضطر الناس لاستخدام الجمال والبغال والحمير، مرة أخرى يعودوا إلى عصر ابن آدم الأول.

قضية الطرق وعملية الإدراة من أهم الأشياء، مارسها كاسترو وهو ليس حكومة، فقط حتى تسهل له عملية النقل، هذا للجيش الذي عمله ٦٥ شخص!

[وأقيم مخفر حراسة للثوار على عدة أمتار من مدخل القاعدة الأمريكية الكبرى في (غوانتانامو). وكان الأمريكيون قد مونوا طائرات باتيستا بالوقود وجهزوها بالصواريخ في مناسبة أخرى –رغم الحظر على الأسلحة–. وأمسك ثوار راؤول كاسترو وبخمسين من البحارة ومن رجال مشاة البحرية الأمريكيين الذين كانوا يقومون برحلة، واستولى على عرباتهم ودخل بعض الثوار المنشآت المنجمية ومزرعة اختبارية تابعة (لشركة الفواكه المتحدة)، للقبض على عشرات المدراء والمهندسين].

لم يتحدث هنا ماذا عملوا بهم، ولكن يبدو أنهم لم يدخلوا في حرب استفزاز مباشرة مع الأمريكان، فقط عملية خطف لتحقيق مكاسب معينة.

[**وألفى باتيستا نفسه في وضع حرج، إذ عرف العالم لأول مرة بأن جزءاً كبيراً من أرضه خارج عن نطاق سيطرته**].

وهنا ندرك ونتأكد من عملية ضرب المنشآت كبوابة ومفتاح للصراع، لنقل القضية للرأي العام العالمي، وللتأثير على مصالح الدول الغربية.

عندنا ملاحظة رقم ٦٧: لاحظ البداية المبكرة للعقلية المنظمة لرجل دولة محترف، وليس مجرد ثائر هاوي للمغامرات.

الملاحظة التي تليها ٦٨: هذا نفس تنوذج تطبيق الأمن والقوانين وتجربة نجاح طالبان في إقامة الشريعة، وكذلك كان عبد الكريم الخطابي في مناطق الريف المحررة لما أقام "جمهورية الريف".

الخطابي شق الطرق وعمل مصانع أسلحة ومدفعية وأخرج الفقيه يعلم الناس الدين، وعمل إداريات، حتى لما وجد نفسه متمكنا أعلن جمهورية الريف التي دامت خمس سنوات، والتي سقطت فقط سنة ١٩٦٣، يعني قريبا جدا[١]، ولاحظ الآن عمليات الطالبان في نشر الأمن وتطبيق الشريعة، يجعل لها رأس مال.

فحتى لو كانت القضية مفتعلة من قبل توجيه خارجي= فهو توجيه صحيح وناجح، هكذا يُؤلف الناس حول حركة ما زالت جديدة.

يقول: وهذا لازم، وقد قال تعالى (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر).

---

(١) جمهورية الريف كانت (١٩٢١– ١٩٢٦)، وإنما في سنة ١٩٦٣ توفي المجاهد البطل محمد عبد الكريم الخطابي.

وقد ذكرت لك مثال قتل جيفارا لصاحبه الذي اغتصب بائعة الحليب، وهو نموذج لما يسمونه العدالة الثورية، وانتصر على ضغطه النفسي، وانتصر على حاجته لهذا الضابط، وللأسف فقد تشفّعت قيادة الإخوان المسلمين في واحد، وهذا المثال لم أذكره في "التجربة" لأنه فضيحة، في الأردن جاء واحد من إخوة القيادة اغتصب طفلا كان قد لجأ مع الشباب الذين جاءونا من مدينة أخرى، دعوه لدرس فلما جاء تأمروا واجتمعوا على اغتصابه، فلما قُبض على الرجل في الأردن حُكم عليه حسب القوانين الأردنية بثماني سنوات بالأشغال الشاقة، فلم يطبقوا عليه الشريعة، وكان في الإمكان أخذه للإعدام في المعسكرات، ولم يتركوا النظام الجاهلي يضعه في السجن، وإنما تدخلت بعض القيادات الإسلامية للإفراج عنه، فخرج من السجن وأُبعد من الأردن.

قارن بين هذا تحت اسم "إخوان" و"مسلمين" وبين رجل يقتل أحد أكبر قواده من أجل المحافظة على سمعة الثورة وهو شيوعي، ثم لا يفهم الناس لماذا نضرب نحن هذه الأمثلة؟ حتى نتعلم من هذه التجارب التي نقرأها، تجربة ناجحة حصلت نتعلم منها كذا وكذا وكذا، هؤلاء ثاروا على نفس نموذج الديكتاتوريين الذين عندنا، على نفس القوات الأمريكية الداعمة لمن عندنا، فنريد أن نتعلم من ظروف تجربة مشابهة، عدوهم نفس عدونا، والتكتيكات التي استخدمها عدوهم معهم هي نفس التكتيكات التي تُستخدم معنا، فنريد أن نأخذ بعض الدروس، ثم نطبق ما لا يتناقض مع منهجنا، ونخرج بسلسة من المقاومة.

الملاحظة التي تليها ٦٩: لاحظ كسب الناس بإنصافهم في معايشهم، مثل توزيع الأراضي، شق الطرق، قانون الإصلاح الزراعي، ولم يقل لهم: انتظروا حتى نكون دولة، بالعكس لما صار فيديل كاسترو دولة شيئا فشيئا تحول إلى ديكتاتور وأخذ بعض حقوق الناس، ولكن لما كان يسعى إلى كسب الناس كان عادلا جدا، وراعى معايش الناس في تلك المرحلة.

بالنسبة لعمليات التوعية وجمع الناس وإعطائهم تثقيفا سياسيا= أذكر بما قام به الشيخ عبد الكريم الخطابي من جمع الناس لإلقاء الروس الدينية والشرعية.

الملاحظة ٧١: لاحظ ما أوقعهم به من تناقض القوة والسيطرة، وهذا لفتنا النظر له.

الملاحظة ٧٢: لاحظ الاستفادة من وجود الأجنبي الداعم للديكتاتور، وهذا كتبت عليه: شرح أهمية ذلك في معركتنا المقبلة، إذا اعتبرناه الآن مفتاحا للصراع، شركات الاستثمار، خطوط الإمداد، خطوط نقل الغاز، أنابيب النفط، الممرات البحرية لمرور القوات الدولية، التجارة العالمية نفسها وعمليات القرصنة التي تضيق عليها، كل هذه الأشياء استثمار وجود المحتل الأجنبي، ثم لفت نظري أخ لشغلة بديعة جدا، وهي أن بعض الاستثمارات لم يقضوا عليها، مرة قال: اعتقلوا كل محصول الحكومة من البن، فايش كان لازم يسووا؟ يبيعوه هم ويأخذوا ثمنه، إذا لم يستطيعوا بيعه إذا يحرقوه، قالك ليش نحرقه؟ فبعد ما أخذوه قالوا للدولة: إذا ما أردتم أن تصدروه وتوفوا بالتزاماتكم التجارية= ادفعوا لنا فدية، فالدولة دفعت لهم فدية فأعطوهم المحصول يصدرونه بكل أمان!

الدولة تريد أن تثبت أن محصولها لم يُقطع، والثوار يريدون المال.

[والحقيقة أن قيام عدة مئات من الأنصار بتحدي الولايات المتحدة يعتبر درساً سياسياً قاسياً، واشتد على باتيستا كي يفعل (شيئاً ما). وبسبب الظروف فإن من المتعذر أن يرى المرء ماذا كان بوسع باتيستا أن يفعل، سوى إبادة السكان وإحراق قراهم.

وفي المرحلة الأخيرة، اتبع بعض القادة العسكريين سياسة الأرض المحروقة، ونفذوها لكن بعد فوات الأوان. ولقد أعدموا بعد ذلك واعتبروا كمجرمي حرب].

ᘓ ᘓ ᘓ

[وشكل الثوار قوات هامة، واقتصاداً قابلاً للاستمرار، في قواعد خلفية آمنة. ففي الأورينت الشمالية، سيطروا على كل محصول البن المقدر ثمنه بستين مليون دولار. ولم تستطع الحكومة أن تفعل شيئاً، فذهبت مضطرة لاستعادته، ودفع أتاوة للأنصار.

وحدث الشيء نفسه بالنسبة إلى منتجات زراعية أخرى، مما جعل الثوار يحصلون على الأموال، بالإضافة إلى سلع غير متوافرة في الأقاليم التابعة لهم].

يعني أحيانا قايضوا على سلع، تأتونا بمواد طبية تأتونا بكذا، شغلوا الحكومة عندهم، في عملية اختطاف المحصول.

[وكانت الحكومة بحاجة إلى هذه المحاصيل من أجل اقتصادها، كما توجب عليها الحفاظ على مظهر الموقف العادي، والادّعاء بأن الأمور تجري كالمعتاد (وقد لعبت الرشوة دوراً ما). لكل الأسباب تحملت الحكومة تلك التجارة، التي كانت تغذي الثورة].

أي أن الثوار دفعوا الرشاوي لبعض المسئولين الحكوميين حتى يقبلوا بهذه الصفقات.

هنا سجلت ملاحظة: لاحظ مبدأ الرزق تحت ظل الرمح، ولاحظ تبدل الأرقام من خانة المئات إلى عشرات الملايين، كان يتكلم أولا عن ٦٥ رجل وأخذ ضرائب ومكوس بالدولارت المحدودة، الآن يقايض بضاعة ثمنها ستين مليون دولار، فلك أن تتصور لو أخذ عشرة بالمائة فقط مقابل الإفراج عنها، هذا إذا لم يناصفهم إياها مناصفة لأنهم محتاجون، وهو لا يستطيع بيعها ولا تصديرها وليس عنده مكاتب، فجعل العدو يصدرها.

مثل ما يجب أن نسمح نحن لصادرات النفط ولكن مقابل أتاوات كبيرة جدا، وهذا من أهم مصادر التمويل، أن نتفق مع الشركات كلها أن الشركة التي تدفع لا تُضرب، ونختار الجنسيات غير المحاربة، فالشركات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية هذه ستُضرب على كل حال وستُمنع بضاعتها، وتعمل أنت

تنافس بينهم وبين الآخرين، ثم تقول: لا نسمح بتداول الدولار مثلا في سوق الصرافة، ونسمح بتداول المارك والجنيه الاسترليني ونمنع تداول الفرنك الفرنسي، فيضطروا كل الصرافين للتعامل بما قلت، وتعطي فرصة خلال ستة أشهر حتى يغير الناس ما عندهم، ثم سنسلب ونصادر كل المال المخالف.

فتتفتق عقليتك عن عشرات الإمكانيات التي يمكن بها أن تبتز الطرف الآخر، تقول مثلا: اليابان والصين والتايوان بالإضافة إلى ألمانيا إلخ ممكن أن تأخذ، فتخرجها من الحلف، وتحصل على موارد مالية وتكسب مكاسب اقتصادية وأخرى سياسية، وتوقع تشتتا في الأحلاف الدولية.

هذه الأفكار ممكن أن تخرج عندك من تتبع أساليب طُبقت على هذه الاستثمارات.

يقول:

[**وتتابعت أعمال حرب العصابات بشكل مبعثر، وعلى نطاق ضيق، وكانت تستهدف في الأساس تحقيق التشتيت، ومع هذا فقد كان لكل عمل منها هدف دقيق: الزيادة التدريجية للأرض الحرة، والاستيلاء على الأسلحة، وتدريب المتطوعين.**

وجرت الأمور بشكل مماثل في مركز الجزيرة، وفي جبال (إسكامبري) وفي مقاطعة (لاس فيغاس). ففي بداية أيلول ١٩٥٨، انطلق رتلان من سييرا ماسترا، والتحقا بالثوار في إسكامبري، بعد أن ساهما في حزيران بالقضاء على حملة حكومية بقوة فوج].

هنا ملاحظة: لاحظ العقلية الإدارية مرة أخرى وأهميتها، ولاحظ مبدأ "التفوق المحلي" في العدد مع اختلال الميزان، ولاحظ ضرورة معركة الروح المعنوية للعدو وتسخيرها لصالح الثوار أولا بأول.

الآن انطلقوا لمرحلة توازن:

[وتصاعد العمل العسكري تدريجياً على الجبهتين، وبدأت دوريات ثوار العصابات بقطع الطرقات الكبرى وبتدمير السكك الحديدية. ولم يمض وقت طويل، حتى أصبحت القوافل المحروسة فقط قادرة على التجول، ثم تعرضت بدورها إلى الهجوم بعد ذلك.

وتحولت العصابات التي كانت صغيرة في البداية إلى جيش، وتزايدت أعمال التخريب والإرهاب في المدن. وكانت سيارات الجيب التابعة للثوار تخترق هذه المدن بجسارة عند اللزوم].

عملية دعائية نفسية.

[ودمّرت حاميات القرى الممتدة على طول الطرق واحدة تلو الأخرى، وأصبحت سانتياغو معزولة. وفي مركز البلاد، خرج قطار مصفح عن سكته وأحرق. وكان هذا القطار ينقل الجند للدفاع عن سانتا كارلا وسقط الجنود في الأسر، وسمحت الأسلحة التي تم الاستيلاء عليها بتجهيز متطوعين عدة

وارتد جنود باتسيتا تدريجياً إلى ثكناتهم المحصنة، بعد أن فقدوا معنوياتهم. ولم تكن لديهم مصلحة بإجراء طلعات، فالثوار كانوا يتملصون من كل معركة إلا عندما يمتلكون التفوق الساحق].

شوف رغم كل التفوق، لا يزالون عصابات.

[وكانت كل واحدة أقل من سرية أو حتى كتيبة، عرضة للإبادة في كمين. واختفت الاتصالات بين الحاميات تدريجياً. وعندما دقت ساعة الحسم العسكري، كانت معظم الوحدات محبوسة في حصنها الخاص، ولا تمارس حتى الرقابة على المدن التي كانت معنية بالدفاع عنها.

وفي ذلك الحين، كانت الحكومة وهيئة الأركان العامة فريسة لأزمة معنوية خطيرة. وسيطر الحذر المتبادل داخل صفوفهما، واستعد كل واحد للهرب أو الانضمام إلى العدو (الثوار). ووصل فقدان الثقة في باتسيتا إلى درجة أن السفير القوي للولايات المتحدة الأمريكية كان يفاوض المعارضة السياسية، ويبحث عن بديل محافظ، (الآن تبدأ الحلول الوسط والبحث عن خيار) **عندما غادر باتسيتا البلاد مسرعاً مع جنرالاته ووزرائه الرئيسيين.**

ويهمل هذا الملخص للثورة الكوبية، الدور الذي لعبه التنظيم السري المديني وحركة المقاومة المدنية. ولقد كان دوراً كبيراً، استطاع بواسطة الإضطرابات والتظاهرات وأعمال التخريب والدعاية، هدم سلطة الحكومة، والنيل من الهيبة التي لم تكن الدولة بدونها قادرة على الاستمرار في توجيه الاقتصاد أو حتى على البقاء.

ومع ذلك، فإن العمل الحاسم تم على يد العصابات، التي خاضت حرب استنزاف، وقضمت المناطق الريفية، ووسعت المناطق المحررة، وحشرت الجيش النظامي في ثكناته.

وباستثناء بضع مئات الأسلحة ذات العيار الصغير، التي تم تهريبها من الولايات المتحدة، فإن كافة الأسلحة التي تجهز بها ١٥ ألف ثائر، قد تم الاستيلاء عليها من جند باتسيتا تباعاً، وبكميات صغيرة في كل مرة. وأدى الاستيلاء على سانتياغو عاصمة (الأورينت) إلى وقوع دبابات ومدفعين في أيدي الثوار كما أدى استسلام الثكنات في (لاس فيغاس) إلى إمداد الثوار بوسائل لمواجهة الأفواج التي بقيت لديها إرادة القتال.

لكن في هذه اللحظة، هرب باتسيتا، وأدى إضراب عام إلى سيطرة الثوار على العاصمة (هافانا) كما استسلمت الحامية الضخمة لمعسكر (كولومبيا) دون أن تطلق رصاصة واحدة، وانضمت البحرية إلى الثورة، وانتهت الحرب].

الشاهد، هذا نموذج جميل وممتع، ويشبه مشاهدة فيلم عسكري روائي.

هنا ملاحظة: لاحظ أن مرحلة حرب العصابات هنا كانت قصيرة، ولاحظ أن هناك قواعد وتطبيق صحيح للمراحل في هذه المعركة.

هناك أربع خمس كتب هامة حول التجربة الكوبية، منها كتاب جيفارا نفسه، وكتاب "ثورة في الثورة" للصحفي الفرنسي ريجي دوبريه المرافق لهؤلاء الناس، وله خبرة عظيمة صار مستشارا للحزب الشيوعي الفرنسي ثم صار مستشارا للرئيس متران، وعمره حوالي ٧٦ سنة، وقُبض عليه في منطقة في بوليفيا ثم حوكم وأصبح له ضجة عالمية لكي يخرج، له قصة جميلة، وكتابه بديع جدا "ثورة في الثورة"، لم أقرأ كتابا غير إسلامي استفدت منه مثل كتاب "ثورة في الثورة"، إن شاء الله تعالى لو جاء هو جدير بالشرح أكثر من هذا الكتاب.

وعنوانه "ثورة في الثورة" يذكرني بحالنا نحن، لماذا سماه "ثورة في الثورة"؟ يقول: الحركات الشيوعية واليسارية السلمية السياسية تمثل ثورة على الأوضاع الرأسمالية القائمة، أما الحركات المسلحة التي قامت داخل هذه الأحزاب السياسية فتمثل ثورة داخل الثورة، من أجل إصلاح مسار الثورة حتى تؤدي أهداف الثورة.

فسبحان الله نفس ولادة التيارات الجهادية داخل الجماعات الإسلامية، فهي تمثل ثورة داخل الثورة، حتى تتأهل الجماعات الإسلامية لمواجهة الحكومات، والآن نحن نقوم بثورة داخل الثورة، من أجل عملية إصلاح ذاتي داخل بنية وعقلية وأساليب التيارات الجهادية، حتى تتأهل مرة ثالثة للمرحلة الثانية من حرب العصابات، وهي النقلة العالمية في ما بعد ١٩٩٠، إن شاء الله إذا جاءنا الكتاب مع المكتبة نشرحه، وإذا تأخر فهو موجود عند أحد الإخوة في بيشاور في مرحلة أخرى إن شاء الله نقرأ فيه بعض القواعد.

المهم مما ذكر في كتاب "ثورة في الثورة" أنه في هذه المرحلة الثالثة من حرب العصابات بدأ بعض ضباط الجيش يتصلون بفيديل كاسترو يعرضون عليه الالتحاق بالثورة، أو إحداث انقلاب عسكري لصالح الثورة، ولو كان عقلية من العقليات العقيمة العادية الموجودة سيفرح بانضمام كتلة كبيرة من القوات المعادية له وسيضمها، ولكن كتب بخطه في "مذكراته" يقول: (كنت أعلم أن عددنا الصغير بحدود ألفين إلى ثلاثة آلاف ثائر سيذوب لو انضم إلينا ١٢ ألف جندي لم ندربهم وندرسهم منهجنا، فسنصبح أقلية ضمن

الأكثرية الموجودة المتغلبة علينا منهجيا، فسنذوب نحن أمام الجيش، ونجد أنفسنا أمام جنرال يخرج باتيستا بعد فترة ويحكم هو، ولن يكون عندنا أي مبرر للثورة).

هذا الكلام لا يمكن أن يُوصف إلا بأنه عبقري..

قال: [**وكنت أعلم أن علي أن أنتظر حتى أفكك هذه القطعات العسكرية، وآخذ منها زبدة الخبرات العسكرية كجنرالات وضباط أوزعهم على باقي القطعات التي عندي، حتى يتم دمجهم في فكر الثورة، فلما استوليت على الجيش كان قد تحطم وتفكك، ولم أقبل منهم قطعات متماسكة نذوب نحن فيها**].

وسجلت هذه الملاحظة في كتاب "التجربة السورية" كوصية من وصايا حرب العصابات، وعلى النقيض تماما وبصورة مشابهة لكن معاكسة أسند الإخوان المسلمون الثورة على الملك فاروق إلى الضباط الأحرار بزعامة عبد الناصر، ثم ذاب الإخوان المسلمون وجهازهم الخاص بعد أن قاموا بحراسة الطرق والمنشآت والقيام بكل مهمات الثورة، فتحول عبد الناصر إلى نموذج يُترحم معه على فاروق، ثم صفى هذا الضابط باقي القوات في موجات اعتقالات ١٩٩٥٤، ثم في موجات إعدام ١٩٦٥، ثم وضعهم في السجون، وانظر في كتاب صلاح شادي وكان من الجهاز العسكري للنظام الخاص للإخوان المسلمين، وكل الكتب التي أرخت لهذه المرحلة، لتعلم مدى الغباء -حسبنا الله ونعم الوكيل- الذي مارسه الإخوان، في أناس قادرين على أن يقوموا بالثورة، ولكن اختاروا ضباط ليقوموا بها وذابوا هم فيهم بدل العكس.

وحصل هذا مرى أخرى لانتفاضة الإسلاميين في اليمن من أجل الدستور، عندما قاموا وقاتلوا في جيش اليم، ثم سلموا نتيجة أعمالهم إلى الجيش اليمني، فتمكنت الحكومة من توطيد سلطان الكفر مرة أخرى بقوة الإسلاميين.

عملية التعبئة المنهجية من أهم الأمور، حتى تستفيد من ضباط عسكريين ومن قطعات يمكن أن تنصرك وترفع أرقامك، في حين أن بعض إخواننا يقولون: نعتمد على القطعات العسكرية، ونعتمد على دعم المسلمين الموجودين في الجيوش، ونعتمد على شيخ له أنصار نمده بالمال حتى يعمل معنا، ثم يجعلون لكل هذا الغباء السياسي والإدراي عنوانا اسمه: عدم الطموح للسلطة والتواضع وعدم طلب الإمارة.

لا تقوم الثورة إلا على أيدي الأكفاء العازمين المصممين، ولا يكون حريصا على هذا الولد إلا أمه التي ربته، لا تأتي لجماعات أخرى مهما كانت وتتنازل وتقول لها: تعال أنت قودي القضية!

نأخذ من فيديل كاسترو نموذجا لقائد وضع منهج الثورة، وقادها بنفسه، ثم حقق دولة، ثم حكم الدولة، وما يزال يشكل شوكة في خاصرة الولايات المتحدة، مع أن بعده عن الشواطئ الأمريكية ١٦٥ كم تقريبا، يعني مرمى حجر، يبدو مثل الشوكة في البحر الكاريبي، ومع ذلك استطاع ضمن عواصف عالمية أن يسخر توازن الدولة في الحرب الباردة، وكسب تأييد الصين والاتحاد السوفييتي لدعم دولته، وإلى الآن تجري انتفاضات ومظاهرات في إسبانيا لرفع الحصار الأمريكي عن كوبا، الحقيقة نموذج تاريخي جدير بالدراسة.

وهذا لا يغير أننا نعتبر أنه رجل كافر، وغني عن التعريف عن أن ندخل في تفصيلات عقدية مفروغ منها، حتى نقنع بعض الناس أن يا جماعة آسفين بناخد بعض النماذج التاريخية، فاسمحوا لنا وأعطونا إجازة على طريقتكم في هذه الأبحاث!

هذا نموذج ناجح جدا، عدوه هو نفس عدونا، تكتيكاته هي نفس تكتيكاتنا= فممكن نستفيد منها.

نتوقف الآن.. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك..

نأتي للتعليقات:

الأخ: .. ..

الشيخ: أضاف أخونا إضافة طيبة لم أنتبه لها، وهي: عدم الاستهانة بالخصم، وهذا الذي هدم باتيستا ونصر فيديل كاسترو، ثم عملية العدل التي أكسبت الثوار مصداقية، فجزاك الله خيرا، وحاولوا يا إخوة أن تشغلوا عقولكم معنا في استنباط ما لم نستنبطه من فوائد.

ونذكر بكتابة حسنات وسيئات وسلبيات العمل الإسلامي كله والعمل الجهادي خاصة، حتى لما نصل لمحاضرات هامة جدا وهي أهم ما في البحث وهي: "الدروس المستفادة وأخطاء لم تصحح في التيار الجهادي"، يكون عندكم شيء تساهموا معنا به.

فجزاك الله خيرا، وليتحول الميكرفون إلى أخينا الشيخ أبي سليمان فليتفضل مشكورا.

الأخ: .. ..

الشيخ: أولا لاحظت أن معنا هنا في الجلسة بعض العقليات الجيدة التي يجب أن تطور نفسها، وهذا ليس على سبيل المديح، ولكن على سبيل تذكير الإخوة بواجباتهم تجاه ما يسر الله لهم من إمكانيات، مثل تعليقات أخينا أبي سليمان، أخونا أبو طالب قبله، كذلك ابن الشيخ في القاعدة الخطيرة التي قعدها معنا، أخونا سالم، أخونا أبو طيب، و أخونا غياث.

وألاحظ أن بعضكم لا يتكلم، ولكن يكثر من الكتابة، فأرجو أن يكونوا ناوين أن يتكلموا في مرحلة لاحقة، ولا تأخذهم هذه الكتابة، فإذا كانت كتابة فقط فهم من النوعية الثانية، الإنسان يكتب لنفسه على الأقل.

وألاحظ أن هناك صنفا ثالثا من المستمعين لا يكتبون، فأحد ثلاثة أمور: إما أنهم مستغنون بالحافظة والذاكرة، أو غير مندمجين معنا، أو يعتبرونها علوما مساعدة غير مهمة، فإن كانوا لا يتعبرونها علوما مهمة فعليهم حتى بالكتابة والتقييد، والتقييد هو عبارة عن إثبات الفكرة على الورق حتى لا تضيع من صاحبها، فأرجو أن الكل على الأقل يكتب ويعمل لنفسه مذكرة في كل شيء يقرأه، حتى لما يقرأ كتابا في التفسير تتفتق عنده ملاحظات فيكتبها على الهامش يستفيد منها بعد ذلك، والتشبيه النبوي للعقول أنها مثل الأراضي، أراضي تمسك الماء ثم تنبت الكلأ والعلم مثل الفقهاء والعلماء، وهناك أراض تمسك الماء ولا تعطي فيستفيد الآخرون مما أمسكت، فجاء الناس فزرعوا ورعوا، وناس أراض قيعان لا أمسكت ماء ولا أنبتت كلأ، فهي أجادب، وهي عقول مجدبة.

حقيقة أقول لكم لا أعتبر نفسي من الكتاب، ولكن مع ذلك هذا الذي فعلته اكتشفته في بيشاور، لما جئت إلى بيشاور جئت بصفتي مدربا عسكريا، أريد أن أتابع تدريب الإخوة الذين جاءوا للجهاد هنا، لإعطائهم ما أخذناه في بغداد في مرحلة الجهاد في سوريا، ولم يكن يخطر في بالي لا من قريب ولا من بعيد أن أكتب أو أحاضر، وتم استدراجي للموضوع شيئا فشيئا حتى تركت الاختصاص الأول، والآن متفرغ للاختصاص الثاني، وهذا تم من خلال التجربة والممارسة.

فأنا أشجع الإخوة الذين يلمسون في أنفسهم هذه المبادرة، أن يبادروا للكتابة لأننا محتاجون إلى قواد يكتبون ويقرأون، من أحب الكتب إلي مذكرات الزعماء، مذكرات تشرشل، مذكرات ديجول، مذكرات الإسلاميين، مذكرات العلمانيين، مذكرات الملوك: مذكرات الملك حسين، مذكرات الملك الحسن، لأنها عصارة التاريخ، وعصارة التجارب، تقرأ مذكرات كيسنجر تأخذ كل السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.

المهم اكتبوا واقرأوا، والقيادة التي لا تكتب ولا تقرأ= لا يمكن أن تكون قيادة، هي قيادة متخلفة، أُثر عن جيفارا أنه كان لا يعثر عليه في المعسكر بعد القتال إلا قارئا أو كاتبا، وأنا رافقت الشيخ عبد الله عزام في بعض الجولات والتدريب كان لا يعثر عليه إلا يكتب أو يقرأ، حتى في السيارة مع أن القراءة فيها متعبة للبصر جدا، وكان يتابع الجبهات ويأخذ الملاحظات، وترك لنا تراثا عظيما رغم الجهد الرائع والضخم الذي

مارسه أولاد أخته لإخراجه أقول: لم يُعط إلى الآن تراث الشيخ عبد الله عزام حظه المطلوب من الدراسة، فالذي عملوه هو الإمساك الآن، وهو إعادة تصنيف ما كتب، لم يخضع للتحليل والدراسة، ومثل ذلك أحاوله الآن أن أدرس تراث الشيخ سلمان العودة لأنه عقلية عجيبة يمكن أن نستفيد منها.

الملاحظة الثانية: بعد القراءة والكتابة هناك عقليات فقهية، تستنبط من الحديث الواحد أو الآية الواحدة عشرات الأحكام، وأُثر عن الإمام الشافعي أنه بات ليلة يتفكر في حديث قصير لعله حديث: "يا عمير ما فعل النغير" فقال: أخرجت منه ثلاثين حكما، مثل مدح الرسول صلى الله عليه وسلم للأطفال، وهو من آدابه عليه الصلاة والسلام، جواز تربية العصافير.. إلخ.

أنا قرأت كتاب "حرب المستضعفين" هذا في سنة ١٩٨٣ أو ١٩٨٤، وقرأته مرة أخرى لآخذ منه بعض القضايا لكتاب "التجربة السورية" سنة ١٩٨٧، الآن بعد عشر سنوات حتى رجعت له مرة أخرى فاستنبطت منه أشياء جديدة، ومع ذلك في هذه الجلسات علق بعض الإخوة بأشياء لم تخطر على بالي، ثم من خلال تعليقاتهم انفتق عندي أمور أخرى.

وعلى هامش الحديث أقول في ملاحظة كان من المفترض أن تُقال في ملامح المرحلة المقبلة، ولكن حضرت الآن أريد تسجيلها لئلا أنساها، أقول:

من فوائد تجربة كاسترو هشاشة أمريكا، وهي واضحة جدا في تجربته، وأريد أن أضيف أن أمريكا في الستينات كانت في مرحلة العز دولة عظمى جدا، فثبتت هشاشة أمريكا في كوبا، وكذلك في بنما عندما استعصى عليهم رئيسها نورييجا، وبنما بينها وبين الولايات المتحدة فقط قناة، ولولا أنهم نزلوا بكل قوتهم العسكرية كدولة عظمى لسحق جيش صغير، حتى خطفوا الرجل وجاءوا به إلى دولة مجاورة، وأثبتوا على الأقل أن ما يُسمى الـ (CIA) والانقلابات والقدرة على التصفيات والاغتيال كان كلاما فارغا، رغم كل العمالة الموجودة والاختراقات، ولم يستطيعوا أن يُخلصوا الرهائن من إيران، ولم يستطيعوا أن يؤثروا على مجرى إيران.

وفشلوا في فيتنام، والآن هاييتي، لم يستطيعوا أن يصرفوا الانقلاب في جزيرة بجانبهم، ثم ذكّرنا أخونا بالصومال وخروجهم بعد عمليات بسيطة عسكريا تُعتبر سخيفة، وكذلك لبنان خرجوا منها بانفجار واحد لما كان ثمنه فادحا، ثم عدن لما حصل التفجير في قواتهم في عدن ألغوا قواعدهم بمجرد أن قُصفت بالصواريخ من بعض الإخوة، ومحاولة الانقضاض على الفندق الذي نزلت فيه القيادات الأمريكية، ثم البوسنة الآن أقول: لم تدخل قوات "دايتون" حتى اشترطوا خروج ٦٠٠ مجاهد عربي، حتى ينزل ٦٠ الف جندي ملعون أمريكي، يعني قدروهم ١ بالمائة.

فيجب أن نأخذ من هذه الهشاشة عبرة حقيقية، ليس فقط لرفع المعنويات، ولكن لكي يُؤخذ بعين الاعتبار.

الجبروت الأمريكي صناعة إعلام، قرأت تعليقا على انفجارات الخُبر يقول المعلق: ويجب أن نذكر القيادة الأمريكية والبنتاجون أنهم لم يربحوا معركة واحدة خارج الأراضي الأمريكية خلال مائة سنة! وهو أمريكي، قال: وحتى عاصفة الصحراء التي سُجلت انتصارا= هي ليست انتصارا عسكريا، هي عملية إلقاء لآلاف الأطنان من المتفجرات على شعوب لتدميرها، ولم يتحركوا على الأرض، وفي معارك "الخفجي" التي دارت فيها اشتباكات أرضية خسروها في الدفعة الأولى ولم يتدخلوا، وكان هناك عملية رعب.

الشاهد أن نستفيد من هذه القضية ونتذكر قول الله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم)، المهم "قاتلوهم"، وقوله (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) ثم (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) حتى تعرفوا أن مش دخولكم اللي نصركم. لا تستخف بحيث تُسقط من حساباتك قوة العدو، ولا ترتعب بما يقعدك.

الآن أجيب على سؤال أخينا سالم: ما مدى تأثير الدعم الروسي على نصر كاسترو؟ وما مدى تربية الكوادر الشيوعية في روسيا؟

أقول: هذا الكلام حصل، من خلال مطالعاتي، ولكن بعد أن أثبت وجوده، ولكن بعد أن بدأوا الثورة وبعد أن تحولوا إلى خيار اعتمدوا عليهم، وغالبا بعد نجاح الثورة كلها وكل المولد الذي حصل، وجد فيهم

الاتحاد السوفييتي خيارا يعتمد عليه في خاصرة الأمريكان، وتدخل خروتشوف وهدد بحرب عالمية لصالح موضوع أزمة صواريخ كوبا، ولكن هذا كله ايش؟ بعدين، مع أن بين الاتحاد السوفييتي وكوبا كما بين المشرق والمغرب، يعني المحيط الهادي بطوله وعرضه لو أردنا أن نأخذ الطريق القصير، لو أردنا أن نأخذ الطريق الآخر فبينهما كل المحيط الأطلسي والقارات الثلاث.

حتى الدول العظمى لما تختار عميلا على عميل، وأسرة حاكمة على أسرة حاكمة، وأخا على أخيه= تختار الكفء، يعني إنسان مؤهل لحفظ مصالحهم، فلا شك أن هؤلاء مؤهلون بأنفسهم، وبما اكتسبوا من خبرات، ومهما أيد الاتحاد السوفييتي رجلا وأعده، لا يمكن إذا كان إنسانا جبانا مخلوعا، على حالة معظم الموجودين الآن في العمل الإسلامي أن يقنعه بأن ينزل بقارب فيه ٨١ شخص، ثم يُقتلون فيبقى ١٢، ثم يعبرون الصحراء ويقومون بأول هجوم باثنين من الرجال فقط، ثم كذا، يعني عملية قدرات ذاتية طُورت.

أما عملية تدريب الكوادر الشيوعية= فهذا كله حصل لما قامت الثورة، في الدول التي قام فيها نظام شيوعي أخذوا أطفالا وأخذوا شبابا وأعدوهم ككوادر، وهذه تجربة رائعة جدا.

ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على أهل اليمن أن حصلت معارك، الفتنة التي حصلت بين الجناحين اليمنيين: سالم البيض والآخر، قبل مرحلة وحدة اليمن، أن الحرب الأهلية بين الشيوعيين اليمنيين في الجنوب طحنت ١٥٠ ألف كادر شيوعي، قتلوا بعضهم وأباد بعضهم بعضا، فأهلوا الجو للمسلمين، وإلا فالشيوعيون على مدى عشرين سنة صنعوا في اليمن ١٥٠ ألف كادر عسكري وإداري منظم، هؤلاء أهلكهم الله سبحانه وتعالى بدون أن نفعل شيئا، كانوا يأخذون الناس من ست سنوات وسبع يصنعون منهم كوادر.

فيديل كاسترو وجيفارا وقواد الثورة الكوبية كانوا طلابا في الأرجنتين والمكسيك، وكان لهم توجهات يسارية وتلقوا الرعاية من الحزب الشيوعي هناك، يعني هم أُعدوا قبل المسألة، ولكن ليس الإعداد الإداري الذي أعده الشيوعيون فيما بعد لكوادرهم.

دعم السوفييت لفيتنام أوضح بكثير جدا من دعمهم لكوبا، نتيجة الاتصال والإمداد البري، والدعم الصيني للثوار في كمبوديا نفس الشيء لأنه دعم مباشر.

أما هذه التجربة فكان الدعم بعد الانتصار في ضوء معلوماتي، تابع للانتصار وليس قبله.

وأريد أن أذكر، يا جماعة الفراغ المنهجي في الحركات الجهادية وفي الحركات الإسلامية وفي المعسكرات وفي المضافات= فراغ قاتل سنُحاسب عليه، ضياع وقت عجيب جدا، فهؤلاء الناس نريد أن نستفيد من تجارب الشيوعيين أنهم ليس عندهم إضاعة وقت، ويهتمون أول ما يهتمون بصناعة التربية المنهجية، وذكرت أنك إذا دخلت معسكرات منظمة التحرير والفئات الشيوعية الفلسطينية تجد أنهم يتدربون ساعتين ويأخذون عشرين ساعة من المحاضرات! وكل الجيوش العقائدية هكذا، وحزب البعث يأخذ الأطفال الصغار ويقول: طلائع البعث في المرحلة الابتدائية، وشبيبة الثورة للمرحلة الإعدادية، والمظليين والمظليات للمرحلة الثانوية والجامعية، ثم المليشيات.

كل خصم يقوم بعملية تربية منهجية حتى يحقق لنفسه صفة جيش عقائدي، إلا نحن:

أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا ** وأكرم من فوق التراب ولا فخرُ

نعتقد أننا بمجرد إرادة القتال والحمية التي عندنا استغنينا عن التربية.

فالإعداد حصل من قِبَل الروس الشيوعيين للكوبيين بعد ذلك.

الأخ: كيف نتعامل مع القيادات العسكرية في الدولة المنضمة لنا؟

الشيخ: الحقيقة الدورة فتحت لي شخصيا آفاقا جديدة للعمل، المهم يقول أخونا: كيف نتعامل مع القيادات العسكرية في الدولة المنضمة لنا؟ أقول: في المرحلة الأولى لابد أن نتعامل معها كما تعامل فيديل

كاسترو، أي: لا نقبل بالمشاركة في انقلاب عسكري لصالح الثورة، لأن كل جيوش الدول العربية والإسلامية جيوش علمانية، وجيوش بعيدة عن دين الله.

حتى حدثني أحد الإخوة الجزائريين أن دورات المظليين في الجيش الجزائري من الستينات إلى الآن قال لي: إزالة حاجز الخوف من الموت، يؤمر الجندي المظلي في الجيش الجزائري أن يسب الرب على باب الطائرة ثم يقفز بالمظلة!

وعندنا في جيوش النصيرية حدث ولا حرج أيضا التي ربيت على التربية العقائدية على الكفر، وحتى أفضل الجيوش التي لم تمارس تربية كفرية مثل بعض جيوش الخليج، لكنها رُبيت على ولاءات أخرى غير ولاءات الإسلام.

فأقول: من سابق معرفتنا بالجيوش العربية نرفض ونحن كميات صغيرة أن تتعاون معنا وأن تدخل معنا في عملية إدارة، وهنا يجب ألا نخلط بين أمرين:

نحن نتكلم الآن عن إدارة حرب عصابات في إسقاط نظام وإقامة نظام آخر، إذا كنا في هذه الحالة فهذه القاعدة صحيحة.

أما إذا كنا في عملية دفع صائل ضد احتلال الأمريكان واليهود لإسقاط النظام الدولي= فنعم نسخرهم في هذه القضية، وأن يساهموا في دفع الصائل، فهذا ليس إسقاط نظام وإقامة آخر، ولكن مع ذلك لا نقبلهم أن ينضموا إلى النخبة التي نعدها حتى نحصد فائدة مرحلة ما بعد إسقاط النظام الدولي، صراعنا مع النظام الدولي الله أعلم كم سيأخذ، ولكن في تقديراتي أعتقد أنه سيحتاج من ٣٠ إلى ٥٠ سنة، حتى يسقط النظام الدولي ويسقط الأمريكان في منطقتنا، إذا سارت الأمور على أحسن ما يكون.

بعد ذلك ستنشأ ظروف ناتجة عن سقوط النظام الدولي وانهيار الحكومات وقيام مراحل من الفوضى، في مختلف ربوع العالم الإسلامي، لا نحن دولة ولا عندنا سلطات إدارية، ولا الدولة التي دمرناها أو تدمرت بفعل سقوط النظام الدولي موجودة، فستنشأ مرحلة من الفوضى أحاول أن أكتب فيها شيئا الآن، كيف

يمكن أن نتحرك في مرحلة إدارة الفوضى، بعض الأبحاث التي يمكن أن يُستفاد منها بعد عشرة أو عشرين سنة، أو إذا حصلت عندنا بشكل مفاجئ فدخلنا في الحالة الصومالية أو الحالة اللبنانية أو في الحالة الأفغانية.

الشاهد في الموضوع أن استخدام المتعاطفين أو المسلمين أو المتفقين معنا على أصل رفض الظلم أو أصل لا إله إلا الله في دفع الصائل= يجب أن يكون، فلو استطعنا أن ندخل قطعات عسكرية أو ضباط أو انقلابات عسكرية لصالح قتال الأمريكان واليهود، فنعم يجب أن نعمل وندخلهم، على أساس تجييش كل الأمة في هذه المسألة.

أما إذا كنا بصدد حرب عصابات لإسقاط نظام والاستيلاء عليه وقيام خيار إسلامي= فلا ندخل معهم في اتفاقيات وانقلابات بهذا الصدد، إلا إذا كان على قاعدة ابن القيم في إسقاط الظلم الذي يعقبه ظلم مثله أو أكثر منه أو أخف منه، فقضية تابعة لعملية مصالح ومفاسد.

لكن عندنا تجربة مريرة، كتجربة عبد الناصر أو غيره، والآن هناك بعض الآراء خاصة في الجزيرة وما حولها، تريد أن تستفيد من بعض الصالحين كما يسمونهم أو المتعاطفين، حتى في جسد العوائل المالكة، أن بعض الأمراء مثلا كبعض الأمراء في الإمارات فيهم شيء من الصلاح، فيهم شيء من الإسلام يمكن أن يساعدنا.

أعتقد أن هذا ممكن أن يوقعنا في فخ الخروج من طاغوت إلى آخر، ثم ضياع مبدأ الصراع أصلا، يعني (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) هم ناس أصل البلاء وأصل المصيبة مهما كانوا ما هم منكم يعني، حتى ولو إذا نظرت إليهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ولكن الله سبحانه وتعالى قال (هم العدو فاحذرهم)، هؤلاء الناس هم العدو.

فقضية واحد صالح يعني في حكم النادر لا أجعله قاعدة وأبني عليها مشروعا، حتى لو استشهدت بأن فلانا من الأمراء كان له وقفة مشرفة، أو كان وقفة فيصل مع كيسنجر، أو فلان في قطر له وقفة مع الإسلاميين، أو فلان في الإمارات له وقفة مع العراق= لا يمكن أن أعتبر هذه قواعد أبني عليها، حتى وصل

السخف ببعض الإخوة أن قالوا: ابن القذافي يدرس على ابن باز وبعض العلماء السلفيين في الجزيرة، فنعتبره كمؤمن آل فرعون!!

الخلاصة نحن لا يمكن أن نعتمد على هذه الأجهزة، لأنها بُنيت بطريقة لا يمكن الاعتماد عليها، على الأقل في المرحلة الأولى، يعني سبحان الله مثل أحكام الفقهاء في الاستعانة بالمشركين، أجاز بعض العلماء الاستعانة بهم ولكن بشروط، منها: أن يكونوا أفرادا لا كثيرين، ومنها: أن يكون للمسلمين بهم حاجة حقيقية فعلا، ومنها: أن يكونوا لو أرادوا أن ينقلبوا على المسلمين –وهذا محل الشاهد– فهم قوة مستضعفة (يُؤكل ولا يَأكل)، يعني مثل الدليل في الطريق كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يؤثر.

لكن أن تقول: أنا عندي جيش مكون من ٤٧ ألف جندي سعودي، نصفهم متخوم من أكل الكبسات، ونصفهم مترهل من شرب الكوكاكولا، هذا إذا جمعنا عليهم قوات الإطفاء وشرطة السير والحرس الوطني وكل الناس، ثم أقول: هؤلاء يستنصرون بـ ٦٧٠ ألف جندي غربي من أجل الاستنصار؟!! حتى لو كان استنصارا صحيحا= فهو من أحمق الحمق، لأنه كما قال الشاعر العربي قبل قاعدة فيديل كاسترو:

ومن يجعل الضرغامَ كلبا لصيده ** تصيده الضرغامُ فيمن تصيدا

وهي مطابقة لشواهد الحس، أنت جايب أسد عشان تتصيد شوية أرانب؟!! هتاخد شوية أرانب، ثم بعد ذلك يلتفت لك الأسد ويجدك أطيب من الأرانب فيأكلك.

وهذا ما حصل للإخوان المسلمين لما جعلوا الضرغام جمال عبد الناصر كلبا لصيدهم= فتصيدهم الضرغام فيمن تصيدا، وقبل أن يأخذ الناس بقاعدة فيديل كاسترو، وقبل قول الشاعر، لو أنهم نظروا إلى قول الله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) لاعتبروا واستفادوا، ولكن نريد أن نسوق جميع أنواع الشواهد لجميع أنواع العقول، حتى نستكمل أبواب الحكمة.

هذا عن التعامل معهم، أما من حيث الاستفادة من القوات المزروعة في جسد العدو، فنستفيد منها بعدة أشكال من الاستفادة، أول شيء يجب أن تكون خضعت للتربية قبل تجنيدها، هناك فرق بين عنصر أنت أخذته في الثانوية العامة أو الإعدادية جندته ودربته، ثم قلت له: احلق لحيتك يا عمي، وخليك شكلك مش ملتزم، ولما تأخذ البكالوريا تطوع في الجيش لتكون ضابطا، هذا صنعته وزرعته على عينك، وبين رجل لمست فيه الخير فجندته وهو ضابط كما حصل وجندوا أخانا إبراهيم اليوسف وكان من خيار قوات المجاهدين فيما بعد، فهو جُنِّد وهو في الجيش، وخالد الإسلامبولي جُنِّد في آخر المرحلة الثانوية وبداية دخوله في الجيش فهو من النوع الأول، أُدخل في الجيش من قبل الجماعة التي جندته.

فهذا تستفيد منه، مرة تستفيد منه في تسريب المعلومات، ومرة تستفيد منه في إدخال العدو في كمائن كالمثال الذي ضربته أول البارحة عن أخينا الذي كان يعمل في "سرايا الدفاع"، ومرة تستفيد منه في لحظة من اللحظات أن يقوم بعمل انتحاري، ومرة تستفيد منه أن يعمل لك انقلابا لصالحك.. إلخ.

فستفيد منه بحسب قدرتك على الإدارة والضبط.

أما السؤال الثاني، بدأ أخونا بملاحظة: (هناك كلام منتشر أننا مجاهدون ولسنا عسكريين ولا نحتاج لبعض العلوم العسكرية)!

فالذي يقول هذا الكلام لابد أن يأخذ دروسا في اللغة العربية أصلا، لما يقول نحن مجاهدون ولسنا عسكريين، كيف؟!! المجاهدون عسكريون أصلا، إلا لو أراد أن يقول: لا يُطلب منا أن نكون عسكريين محترفين بالعلوم العسكرية، فإذا قال هذا الكلام= فهو إلى حد ما صحيح، بمعنى أن المجاهد ومقاتل العصابات أصلا رجل داعية مبشر، رجل أيدولوجي، رجل عقائدي يخوض حرب عصابات.

ولذلك من ضمن ما أطمح إليه من إحداث انقلاب في طريقة تفكير الإخوة الجهاديين، أو إحداث انقلاب وثورة في أسلوب عملياتهم.

أريد أن أضع بعض الدراسات بالتعاون مع بعض الإخوة لإعادة النظر في مناهج التدريب العسكري نفسها، فمناهج التدريب العسكري نفسها من حيث ساعات الإعطاء، ومن حيث نوعية العلوم فيها ضياع كبير للوقت وتخمة عسكرية عجيبة جدا، فيها علوم ومعلومات تُصرف عليها أموال شديدة جدا وخسائر ومصائب وقتلى وجرحى عند دروس التركيب وما أدري ايش هذا الكلام الفاضي اللي عم بيصير، أو بعض الأسلحة المتخصصة جدا مثل أنظمة الصواريخ وعلوم المساحة.

هذا الكلام ليس وقته، وليس مفيدا الآن وليس صحيحا، ولا هو الذي نحتاجه، هذا الكلام ممكن أن يتدرب عليه أناس معينون، ولذلك أنت قبل أن تخاطب قوما تقول: من أُخاطب؟ فيصير خطابك على قدر الموجودين.

إذا أردت أن تُدرب مقاتلين شيشان= فتأخذ بعين الاعتبار فهمك لطبيعة الحرب في الشيشان، ايش الأهداف اللي سويتوها؟ الأغذية، فتعطيهم موادا متعلقة بوضع الشيشان، بأسلحة الشيشان، آخر الأسلحة الروسية المتطورة التي لم نسمع بها، تدربهم على عمليات، إذا كانوا سيخوضون حروب عسكرية نظامية= فتدربهم على حروب نظامية، هل سيدخلون في عمليات ألغام؟ فتدربهم حسب واقعهم.

إذا كانوا إخوة من الفلبين فتدربهم على علوم بحرية، وهناك تجربة جميلة جدا للإخوة في الفلبين وشرق آسيا في القرصنة البحرية، وهناك عصابات إسلامية الآن تقرصن على التجارة العالمية في شرق آسيا وتأخذ وتغنم، تجربة جميلة جدا سمعتها من بعض الإخوة، لابد أن نستفيد منها في تهريب الأسلحة وتهريب المواد والقرصنة بالزوارق الصغيرة، فهذا يُدرب على السباحة وعلى الغوص وعلى ركوب القوارب المطاطية، أدربه على قضية بده يستعملها.

فتدريب الإخوة في البوسنة يختلف عن تدريب الإخوة الليبيين الذين يعملون في الصحراء، فكيف يتسنى لي أنا الآن أن آتي بكوكتيل هكذا مثل ما عندنا طبخة في سوريا يسمونها "مسقعة الخضر" يضعون فيها عشرين خضرة مع بعضهم، ومثل نوع سلطة في أوروبا يسمونها "السلطة الروسية" كل الأنواع مع بعضها، خمسين نوع من الفواكه.

لا يمكن تدريب كل الناس على نفس النوع نفس الـ system نفس الآليات، هذا يأخذ سلاحا لا يناسبه، وهذا يأخ تكتيكا لا يستخدمه، ولكن الذي أريد أن أقوله أن معظم حروب العصابات التي ستقوم في العالم العربي والعالم الإسلامي، والتي ستبدأ بطريقة كلاسيكية هي مرحلة أولى ثم ثانية ثم ثالثة= تحتاج فقط إلى تدريب على أسلحة مخابرات، وإلى تدريب على معارك أمنية، وليس على الأسلحة الثقيلة، وليس على أسلحة الدفاع، وليس على علوم المساحة، وليس على رمي مدفعية الميدان على الخريطة.

فهو لن يغتال دوريات المخابرات بصواريخ الهاون! هو يجب أن يتدرب على أنه في لحظة من اللحظات سيكون له -بعد الله سبحانه وتعالى- فقط إتقانه لاستخدام المسدس، فقط سيخرجه الله من الورطة وما أنزله عليه من السكينة ورباطة الجأش باستخدام سلاح فردي.

فلابد أن نركز على التدريب على أسلحة المرحلة الأولى، وهي: المسدسات بأنواعها، المسدسات الرشاشة الصغيرة بأنواعها، الأسلحة الآلية الخفيفة بأنواعها، إذا كان سيدخل كمائن فالرشاشات المتوسطة البيكا وما حولها، طبعا سلاح المتفجرات لم ندخله المعركة إلى الآن بشكل صحيح، وأقول متفجرات بمعنى هندسة متفجرات وليس كيمياء المتفجرات، استخدام القنابل، استخدام الألغام، استخدام الأفخاخ، لما ذهب أخونا أبو بكر عقيدة رحمه الله أحدث انقلابا عظيما في أسلوب القتال في الشيشان، بسبب استخدام سلاح المتفجرات والأفخاخ العسكرية.

بعد ذلك لما ينتقل إلى مرحلة التوازن في بلده فيفر إليه ناس من الجيش، وستأتيه خبرات عسكرية من مجاهدين عرب قاتلوا في جبهات= فيستثمر هذه الأمور ميدانيا، بدون أن يضيع وقتا، ولن نتكلم عن المرحلة الثالثة لأنه سيكون دخل فيها عسكريون وضباط واختصاصيون يدربون المجاهدين على هذه الأسلحة لاستخدامها، ويقوم المجاهدون فقط بإدارة قطعات عسكرية ضباطها وجنودها بالكامل جاءت من الجيش.

فنحن بحاجة إلى العلوم العسكرية الأولى والأسلحة الأولى، هذا إذا كان تصور الإخوة بهذا السبيل= فهو تصور صحيح، أما المجاهدون فهم دعاة مبشرون أصحاب خبرة ونهج عسكري.

يقول السؤال: (وفي فترة من الفترات ستكون لنا قوات نظامية) أقول: سنأخذها من العدو وممن لحق بنا من المسلمين، فلذلك يجب أن يُعاد النظر في التدريب ليكون مناسبا لكل قضية ومع أهل كل قضية، ولذلك أنا مع أن يكون ضمن التدريب العام، تقسيمات في المعسكرات لأهل كل بلد لأهل كل قضية، ويتجمعون مع بعضهم، فقط في قضايا التدريب، ولكن يجب أن نقوم بعملية تذويب للجنسيات كلها في المهاجع وفي النوم وفي الأكل، حتى نقوم بعملية عولمة الجهاد، وإذابة القضايا المركزية.

أما على صعيد التدريب العسكري فيجتمعون، وإذا كانوا جماعة واحدة ذات منهج واحد يتجمعون أيضا.

النقطة الثالثة تقول: (وهل هناك مراجع لتسليح حرب نظامية؟)

نعم الآن في المعسكرات على مدى ١٤ سنة، ولا تزال مكتبات المعسكرات التي يجب أن تكون أكثر الأقسام ترتيبا هي أكثر الأقسام فوضى، فيها كثير من النوت والكتب والمراجع ممكن تستفيدوا منها، وبإمكانك أن تأخذ الفوضى الموجودة في المعسكرات بدءا من الخلاء الذي لا يستطيع الإنسان إلا أن يقضي حاجته ويخرج فارا بنفسه من المكان، مسيطر على الإخوة قناعة أن الخلاء هذا يجب أن يبقى هكذا فوق الأرض وتحت الأرض! وهذا أذكره فقط من باب التربية والتهذيب أن الذي لا يرتب خلاءه= نفس الشيء لا يرتب مكتبة.

وتدخل على أي مستودع متفجرات تجد الصواعق مع البنزين، والبارود مع الأسلحة، وكثيرا ما دخلت بحكم اختصاصي في المتفجرات، أدخل المعسكر فأذهب لمستودع المتفجرات حتى أرى الويل، فنبعد الناس ونقوم بعملية ترتيب مرة أخرى، حتى عجزنا وصرنا ننام فيه على ما هو عليه.

فأقول هناك كثير من المراجع في مكتبات المعسكرات الآن يمكن الاستفادة منها، منها كتب في أسلحة متخصصة، تجد كتبا في الدبابات، وعلوم كذا.. إلخ.

أما في القضية الأخيرة –بخصوص الأفلام الوثائقية– فذكّرتني بقضية مأساوية أن هناك أشرطة فيديو كثيرة جدا، أذكر أني كنت في فرنسا ١٩٨٤ أو ١٩٨٥ تقريبا، فكنت آخذ الإجازة فنزلت مرة إلى باريس فرأيت أنهم فرغوا من إنشاء مكتبة مقروءة سمعية صوتية بصرية مكتبة كاملة يعني، مركز اسمه "مركز جورج بومبيدو" في باريس، على اسم الرئيس بومبيدو، وهو مجمع ثقافي تقول ضخم تقول هائل تقول عظيم، كل هذه المترادفات تؤدي المركز حقه، فمما فيه كتب بكل لغات العالم في كل شيء، فمثلا المكتبة الوطنية بدمشق عاملين مثلها، مكتبة في الصين عاملين مثلها، ورأيت في لندن أعظم مما رأيت في باريس.

فمن جملة ما في هذه المكتبات أرشيف لكل الجرائد بكل اللغات، يعني تقوم: أريد العدد ٣٤٠ من مجلة المجتمع يعطيك، حتى الصحف اليومية كالأهرام، مجلة الأزهر، مجلة المقطم التي انقطعت من ٦٠ سنة موجود كل أعدادها هناك، نشرات الإخوان المسلمين، مجلات الإخوان التي في الأربعينات والخمسينات كل أعدادها، ناهيك طبعا عن كتب ومؤلفات القوانين وما أدري ايش، وكله بنظام كومبيوتر وبنظام دلالة، إلى جانب ذلك لفت نظري وجود أشرطة كاسيت ومحاضرات في كل هذه القضايا.

والذي سألتني عنه أنت فاجعة، تأتي إلى مكتبة الفيديو، فوجدت حلقات من الناس جالسين يشاهدون، ووجدت موضوعا كان عن فيتنام، فتأخذ تسمع كان باللغة الفرنسية هو، إذا بدك أنت موضوع معين، فكنت أنا من الثمانينات مهتم بهذه العلوم، فقلت له: أعطني فيديو عن فيتنام، فقال لي: اجلس في المجمع رقم كذا، شغل شاشة تلفزيون، عنده ملخص من ٤ فيديوهات لكل ثورة فيتنام ومراحلها وتجربتها، ورأيت أناسا كانوا يسيرون اهتموا بالموضوع فجلسوا معي، ورأيت كيف أُديرت معركة ديان بيان بو التي أُخرجت بها فرنسا وقُتل فيها ١٦ ألف فرنسي في موقعة واحدة، طولت المعركة ٨ أشهر! ورأيت كيف فعل الفيتاميون.

ديان بيان فو عبارة عن جبل جاء الفرنسيون وقطعوا رأسه كله وعملوه هضبة فيها مطار وثكنات عسكرية حتى استوعب ١٠ آلاف رجل، وكان هو رأس القوات الفرنسية، وكان إلى جانبه مثل الآن لو شفت الخط في الجبهة في كابل، منطقة القتال هناك عبارة عن هضاب استراتيجية إلى جانبها سلاسل

جبلية عالية جدا، فلا مسعود أخذها ولا الطالبان أخذوها، فكان هناك مثلها بجانب المكان، ولم يتصور الفرنسيون أن الفيتناميين البدائيين هؤلاء يمكن أن يتسلقوا هذه الجبال، فعلى مدى أشهر أخرجوا المدفعية الثقيلة قطعة قطعة على البغال والحمير، ورأيت في الفيلم الوثائقي صورا من تصوير المصورين الصحفيين الأجانب كيف كان المدفع يدفعه ١٠ أشخاص ثم يضعون الحجر، ثم يتسلقون ويجرون الحبل بالحجر ثم يدفعون المدفع، حتى رفع المدفعية الثقيلة عن القمم المرتفعة عن معسكر الفرنسيين، في مرحلة الحسم كانت.

فقلت سبحان الله لماذا لا نأتي بهذه الفيديوهات؟ وفي سلسلة مجلات الآن تُسمى "كوماندوز" موجودة بعدة لغات في العالم إسباني إنجليزي فرنسي إلخ، فيها آخر أسلحة الكوماندوز وآخر تكتيكات الكوماندوز، حتى فيها كيف تعيش في الثلوج، كيف تأكل، كيف تخفي نفسها، مجلات عظيمة جدا، وتصدر كل شهر فيديو، مع أن فيه طابعا تجاريا لكن فيه فوائد، ثم هناك أفلام وثائقية، وهذه مهمة الإخوة في أوروبا، أن يشتروا هذه المواد ويرسلوها، وكان عندي ٤ أفلام عن كيفية تدريب فرق الكوماندوز في جيوش العالم، بعد ذلك عامل دراسة بالذخيرة الحية لحلف الناتو، وكيفية تضافر القوات البحرية والبرية، وهذه الفيديوهات متوفرة في المكتبات العامة.

المفروض أن نستكمل معسكراتنا في هذه الأمور، أنا أذكر مرة كنا نأخذ دورة في الدول التي نتدرب فيها مع الإخوان، كانت إحدى الدول تدريب جيشها لنا أن أعطونا فيلما –على أساس ان احنا قوات خاصة نخبة السوريين– يعطيك فيلما، وبعد الفيلم تدور مناظرة بيننا وبين بعضنا، وكان هناك أفلام في قتال المظليين عند العراقيين رائعة جدا، احنا أخذنا عند العراق وغير العراق، ثم يقول لك: لماذا تصرف بهذا التصرف؟

أذكر مرة جابوا فيلم اختطاف الرياضيين الإسرائيليين في ميونخ، فيلم دولي، لا أريد الدخول في الإشكالات الفقهية، قضايا تحتاج لبعض التحفظات لأنها أفلام تجارية، فعليها أخذ وعطاء، فممكن يحصل عليها نوع من المونتاج قبل أن تعرضها، حتى تزيل ما فيها من تضارب مثل الموسيقى وبعض الأمور،

ولكن دراستها مفيدة، والآن أتكلم عن أفلام وثائقية محضة، أي التي ليست تجارية، أفلام تعليمية عسكرية، فيها فوائد عسكرية جدا.

مرة عملوا سلسلة في تطور تكنولوجيا التجسس، عمليات تصغير الأفلام، والتطور الذي حدث بعد الحرب الباردة، وما أدري ايش، فالباب مفتوح جدا جدا لمن يريد أن يطور نفسه، بحيث يكون على مستوى المعركة، ولكن هذا طموح يعني آمالي بعتبر حالي من الآملين لم ندخل فيها إلى الآن، ليس عندنا كثير من الأمور البدائية العادية، بدءا من أن يا جماعة اعملوا محاضرات لحرب العصابات في المعسكرات، لسة الناس نعمل ولا ما نعمل، ولسة إخوة بتقول: هذا أسلوب طاغوتي أصلا! فلسة يعني في عملية غسيل مخ للتخلف عشان نتحول.

في بعض الأفلام السياسية في المعسكرات ممكن أن تشاهدوها، أما في هذه الدورة فأرى أن الوقت قد أكلنا، ولا أريد أن تطول الدورة أكثر من أسبوعين آخرين على الأكثر، فهناك أشياء لابد أن نعملها، ثم ستكون الدورة مرهقة ماديا للإخوة الذين يتحملون نفقاتهم فيها، وأنا ليس عندي وقت، فلن نستطيع أن ندخل فيها فيديو أو أشياء من هذا القبيل.

وين الدور كان؟ ارفع صوتك بس.

الأخ: ما هي جدوى أعمال الإضراب، والعصيان الشعبي والاعتصامات إلخ؟

الشيخ: يسأل أخونا ما هي جدوى أعمال الإضراب، والعصيان الشعبي والاعتصامات إلخ؟

سبق أن شرحنا جدوى عمليات الإضراب الرئيسية، وأنها عمليات استفتاء وعرض عضلات من قبل الثورة، الإضراب يبين حجم التأييد لديها في الشارع، ومن خلال الإشاعات وكلام الناس وأفعالهم وردود أفعالهم والاحتكاك بهم= يقدر جهاز الرصد لدى الحركة أن حجم التجاوب الشعبي جيد.

وإذا كان عندهم قدرة على الإدارة، وعندهم ما يسمى في بعض الثورات بـ "اللجان الشعبية" التي تتصل بالأهالي وتتابع أحوال الشهداء وكذا إلخ، فإذا قدرت أن هناك استجابة، ولها قدرة على ضبط الإضراب، وأنه لا يكون فاشلا بحيث تتغلب الدولة عليهم وتُفشل الإضراب.

فالإضراب يكون حينها جيدا جدا للثورة، ويحطم معنويات العدو، ويحدد حجم التأييد كما قلنا، ويبرز أن علاقة الثورة بالشعب علاقة متينة جدا، ويحرج الحكومة أمام الرأي العام العالمي، لأنه لا يمكن التعتيم عليه كما يمكن التعتيم على عملية محدودة، لأنه في البداية تنهار أعصاب السلطات فتقوم بالإعلان عن كل عملية، حتى كان لما كان يُقتل شخص ربما لا تسمع عنه، فيقومون هم بالإعلان أن الشهيد البطل الوطني الفلاني قتلته العصابة الإجرامية الآثمة، ثم بعد ذلك ينتبه النظام أنه سخر الجهاز الإعلامي لخدمة العصابات، وحصل هذا عندنا.

فلما صار عندهم تجربة، يأتون للمكان الذي قُتل فيه شخص من عندهم، تأتي الإطفائية يغسلون الأرض ويرمون نشارة خشب، ولا يشعر أحد أنه كان هنا عملية إلا أهل الحي نفسه، ولكن عملية الإضراب عملية جماعية لا يمكن إخفائها، خاصة إذا كان عندك اتصالات بوكالات الأنباء، وأبلغتهم بما حدث وبعض الصحفيين الأجانب.

الأمر الثاني، هناك أشياء لا تستفيد أنت منها من الناحية العملية كفائدة مادية، مثل جمع التبرعات من فقراء الأهالي، فهل لا تشكل لك موردا أساسيا، خاصة لما تصير حرب ولها تكاليف باهظة، ولكن هناك فائدة كبيرة من استمرار جمع التبرعات من الأهالي وهي: موضوع أن الذي يشارك بالفلوس يشعر بالانتماء، حتى لما يسمع إطلاق رصاص وعمليات يشعر أن فلوسه هي التي تطلق الرصاص وله مساهمة، فتقوم بعملية ربط عاطفي له، فيدفع فلوس أولا، بعد ذلك يشارك بالإيواء، إلى أن يصبح جزءا من القضية، فهذه عملية ارتباط نفسي.

الذي يشارك في الإضراب نفس الشيء، يشعر بأنه ليس في التنظيم ولا مسلح ولا يعمل شيئا، لأنه يخاف أن يتورط بشكل فردي، ولكن لما يشارك في الإضراب بعملية شجاعة جماعية، كما يقولون: (يضع

رأسه بين الرؤوس)، لو قُطعت كل الرؤوس خلاص هو في الجملة، فتتغلب الشعوب على خوفها بظاهرة الجماعية، هذه فائدة أيضا في عملية الاندماج بين الناس والحركة، وإشعارهم بالممارسة.

ولكن السلبية الأساسية للإضراب إذا كانت تقديراتك موهومة= ستأتي بنتيجة عكسية، لو أن الناس لم تستجب لك، فكأنك تقول للدولة أنك لا شعبية لك، ولذلك لابد أن نوجه نداء.

الآن الجماعات الجهادية أعلنت أنها ستجاهد وأنها ستضرب الحكومة، وأنها ستفعل وتعمل، فبعد ذلك لم تجد من الناس تفاعلا معها، فأعطت للدولة مبررا ودليلا على أن هذه الجماعات معزولة فتضربها، كذلك نحن في معركتنا المقبلة في جهادنا لليهود والأمريكان، لما توجه نداء للأمة كلها أن: تعالوا جهادوا معي وإلخ، لابد أن تكون عارفا أن المكان الذي ستوجه له النداء سيتجاوب معك، وأن وعي الناس في تلك البلد وصل لمستوى التجاوب في هذه المسألة، وأنه مفتاح صراع.

فإذا لم يتجاوبوا سيشعر العدو أن أهم قضية، كعبة المسلمين مقدسات المسلمين المسجد الأقصى إلخ= لا تجاوب معها.. فيتجرأون عليك بصورة معاكسة.

هذه سلبيات الإضراب فيما لو لم ينجح، أما إذا نجح فله إيجابيات كبيرة جدا، من الارتباط بالناس وإظهار العضلات وغير ذلك كما قلنا.

الأمر الآخر أنه عملية إشاعة للعصيان لإرباك الدولة، بعملية محدودة تقدر عليها، أما إذا تريد عمل إضراب وخاصة لو شمل عدة مدن كثيرة جدا فيشل الجيش، حتى يشعر الجيش أنه يدافع عن نظام ليس له وجود، يعني كل الأنظمة مهما بلغت من الديكتاتورية، فرعون أراد أن يناظر موسى أمام الناس، حتى يحافظ على مستوى الشعبية الذي بينه وبين الناس، مع أن هو أصلا شعاره (ما أريكم إلا ما أرى) ومع ذلك أراد أن يحافظ على جزء من شرعيته، لأنه لابد من جزء من قناعة الناس بجدوى النظام وسلطانه، يعني يا إما حد من الخوف أو حد من الحب.. هذا والله أعلم.

الأخ: ما هو التوقيت المناسب للإضرابات؟

الشيخ: التوقيت المناسب للإضرابات يجب أن يأتي على الأقل بعد قطع شوط من المرحلة الأولى من حرب العصابات، قلنا أول شيء تبدأ بعملية جهد صغير من الإعداد والتحضير والتخطيط وتضع لنفسك برنامجا، ومن هذا البرنامج يجب أن تضع خطة خمسية، خطة عشرية، فلما أنت تضع برنامجا عاما تحدد المراحل حسب معرفتك بالبلد، تقول: أنا سآخذ في طور الإعداد الآن خمس سنوات، وأختصر في خلالها كذا وكذا وكذا، مناحي عامة لخطة استراتيجية، وخلال هذه المراحل، تقول: أنا سأبدأ بالدعوة وأعلن العصيان وسأعلن المطالب الشرعية والشعبية، سأبدأ بالعمليات العسكرية لرفع معنويات الناس وإسقاط جزء من السلطة، بعد فترة من الفترات سأقوم بعملية كذا، فإذا وجدت تجاوبا فلابد أن أطلب من الناس اعتصامات جزئية.

كما حصل في "اعتصام بريدة"، الذي رآه بعض الإخوة سيئا، أحد الإخوة من المعارضة السعودية في لندن كان غير موافق على هذه القضية، قال لي: الإخوة في "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" أخطأوا في عملية التوقيت، وأنه لم يكن في صالح الحركة، وأنه اعتقل كثير من الكوادر إلخ، أما من خلال سماعي من الطرفين ومتابعتي لما أحدثه ورأيت الفيديو للاعتصام في المسجد= أرى أنه كان عاملا ناجحا جدا، سبب عدم الاستفادة من نجاحه أنه لم يكن ضمن البرنامج العام، كما كان انفجارا الخبر والرياض عملا ناجحا جدا، ولكن لم يكن ضمن برنامج للعمل.

فالاعتصامات والإضرابات أنت تضعها في برنامجك، حينما تعمل مجموعة من العمليات تكسر هيبة الدولة، ولابد أن تكون بعد ما يُثقب جدار الخوف، والناس ترى فقدان الحد الأدنى من هيبة السلطة، وهناك حد أدنى من حب الجماعة الجديدة التي ظهرت، هناك حد أدنى من حب المساهمة، وتفتعل أنت في البادية الكتابة على الجدران وكتابة الشعارات، وبعد فترة تتحول هذه القضية لعمل شعبي، وتحس أن

هناك عددا كبيرا من الناس يكتب ويندد ويضع الشعارات التي وضعتها جمل قصيرة: أخرجوا الأمريكان، أخرجوا اليهود، لا لآل سعود، نعم للشريعة، لا للربا، لا للملك، لا للظلم.. إلخ حسب الدولة.

أو تضع شعارا موجزا ثلاثة أحرف بالعربي، فلما تشعر أن الناس بدأت تكتبها وتحبها.

فتقول: آن الأوان لأن أطلب اعتصاما محدودا، بعد صلاة جمعة مثلا، لما توزع المنشورات في الشارع ترى هل الناس تأخذ المنشورات؟ كان الإخوة في "الطليعة" يوزعون ١٠٠ نسخة فقط من المنشور، بعد أربعة خمسة أيام تصير آلاف النسخ، حتى أذكر أن الذي لا يستطيع تصويرها كان يدونها بيده، فحجم المشاركة أنت تحسها.

فإذا وصلت مستوى أن نجح معك اعتصام صغير= تطلب إضرابا محدودا، في مكان هو أفضل شعبية لك فيه، تختار مدينة أو منطقة تعرف أن الناس لن يسمعوا للدولة فيه، فإذا نجح تبني عليه وتقوم بعملية رصد.

فأنت تكون عامل سلما زمنيا لعملياتك، والقيادة تتابع على الورق وعلى الخريطة مدى نجاح هذه العمليات، مثل مدرب كرة القدم الذي يجلس ليرى اللاعبين كيف مدى نجاحهم في تنفيذ الخطة التي شرحها لهم، ثم لما استدعاهم في الاستراحة غيّر في تكتيك الخطة، فالعملية عملية إدارة.

ثم أنت تقوم بالتعديل على التوقيت تبعا لذلك، فأنت في البداية قلت: أنا بعد سنة سيكون عندي حجم التجاوب كذا، فبعد ستة أشهر وجدت التجاوب الذي كنت تنتظره في سنة، وحصل فتوح وتيسير من الله سبحانه وتعالى، فتقوم بتعديل التوقيتات والمخطط.

إذا لم تجد أنه قد حصل ما تطلبه، يعني لما صار نداء الجهاد في الجزيرة والمقدسات وكذا، أنا واحد من الناس كان تقديري أنهم لن يتجاوبوا، بصرف النظر لو أردنا أن نُقيم لماذا لم يتجاوب الناس، لكن الذي حصل كان أقل من الذي كان مرجوا.

أردنا أن نعمل عملية ونوجه نداء للتضامن مع الدكتور عمر عبد الرحمن، والغرض منه أن نوجه بيانات ومنشورات، فشل المشروع طبعا لأن الشيخ سرور وغيره من الإسلاميين اشترطوا ألا يحضر فلان والتنافسات والتباغض بين العمل الإسلامي، قلنا لهم: تعالوا نتفق على إخراج أسلوب ومع ذلك فشلوا، الأصل أنك توجه النداء فوجدنا أن حجم التأييد في الشارع حقيقة هو أطمع الأمريكان فينا وأخذوا فلان وخطفوا علان، لأن عندهم مراكز دراسات تتابع هذه المسألة.

في حرب الخليج وضعوا تصورا وخطة بأنه إذا بدأت المعركة وضرب العراق لابد أن يكون هناك عمليات إرهابية لصالح العراق، لكن ألا يحصل عملية إرهابية واحدة في العالم الإسلامي على المصالح الغربية، باستثناء بعض المفردات كالرجل المغربي في طنجة الذي قتل مجموعة من الفرنسيين، وواحد قتل مجموعة من الأجانب في الأردن، ووُجد إيطالي مطعون في دبي، يعني عمليات على مستوى أمة مترامية في ٥٠ دولة تعد ١٢٠٠ مليون مسلم= موات مطلق.

فأنت إذا رأيت الوضع بهذا الشكل فلا تتجرأ على طلب إضراب، فأحيانا تطلب الإضراب من مجموعات لا تستطيع الدولة أن تجبرهم، تقول للطلاب: لا تذهبوا إلى المدرسة، لا يمكن أن تذهب للبيوت وتقول للطالب: تعال احضر، لأنه ممكن أن يعتذر: أنا كنت مريضا أو خفت أو كذا، بعد ذلك تطلب من العمال، تطلب من المصلين، تطلب من الناس، ضمن خطط لك، أنت ترى الوضع عندك وما يناسبه من الواقع.

الأخ: سؤال عن اعتصام بريدة؟

الشيخ: قلت لك: الاعتصام ناجح، لكن ذهبت كل آثاره لأنه لم يُوظف ضمن برنامج، من الأفكار التي خطرت لي اليوم أن يصبر كل واحد منكم على الكتابة ويكتب لنا تقريرا عن التجربة التي عاشها هو،

يعني هو في مصر فيكتب لنا رأيه عن تجربة الجهاد في مصر، إذا عملنا إن شاء الله مركز دراسات وعملنا نشرة، نعمل أرشيفا نكتب: ملف مصر، ملف أريتريا، ملف تونس، ملف كذا، حتى لو أردنا أن نعمل بحثا أو مقالة فعندنا مجموعة من التقارير والقصاصات الصحفية إلخ، فأفضل ما سيكون عندنا: التقارير التي كتبها الإخوة وتجاربهم الشخصية، مثل كتاب "التجربة السورية" على نموذج مصغر، ايش هو رأيه في تجربة العمل الإسلامي في هذا البلد، وليته يبدأ بالتاريخ القديم، يكتب كيف بدأت الحركة، كيف تطورت الأمور في بلده، فممكن نحصل على أبحاث صاحبها نفسه لا يتوقع أن يكتب شيئا كهذا.

يعني لو واحد من الناس قال: كيف نعمل في اليمن؟ فعمليا لا أمتلك حجما من المعلومات يؤهل أن أوظف خطة أو تصورا للعمل، في المغرب نفس الشيء، لكن لما يعطيني عشرة عشرين واحد من الإخوة تصوراتهم وايش حصل وكذا كذا كذا، يستطيع الواحد أن يعطي رأيه بناء على هذه المعلومات، فكل واحد منكم حضر تجربة.

واحد مثلا حضر تجربة البوسنة ورأي فيها كذا وكذا، ثم آخر ثم آخر، مجموع ما يأتيك من التقارير يكوّن لك تصورا، كان الناس يرفعون تقارير إلى الشيخ سلمان والشيخ سفر حتى تتوافر عندهم كميات هائلة من المعلومات فيأتي إلى الدرس ويعطي الدرس حول مادة معينة، فتجد عنده كمية هائلة من الوثائق والمعلومات يستشهد بها.

فنريد أن نعمل نواة لمركز معلومات، حتى لو عملت نشرة سأضع فيها عنوانا بريديا وأطلب من كل قراء النشرة أن يتحفونا بهذه القضايا، وكذلك موضوع العلماء لو سمع بفتوى شاذة يرسلها لنا وصورة من الفتوى وكذا إلخ، فأنتم من الآن ابدأوا اكتبوا تجاربكم والقضايا التي يمكن أن تعود فائدتها على المسلمين، ولو بلغة عربية ركيكة جدا، لا تهمنا اللغة ولا الصياغة، الذي يهمنا الفكرة أي طبيعة التجربة.

فالآن إذا ذكرت أن هذه القضية أنت حضرتها أو كنت في الاعتصام، فممكن أن تفيدنا جدا، الاعتصام أنا جمعت عنه أخبارا، ثم شاهدته بالفيديو، وانطلاقا من معرفتي بأن الوضع في السعودية عبارة عن ركود مطلق، بحيرة ساكنة آسنة من أربعين سنة لم يحصل فيها شيء، فيعتبر عملا ناجحا من هذا

الوجه، ولكن لم يُوظف أبدا ولم يُستثمر فأُجهض، كان ممكن يتحول هذا العمل ضمن برنامج إلى انتفاضة، لأنه كُسر حاجز والناس تكلمت في المظالم.

وكذلك انفجار الخبر والرياض مع أنه أهم بكثير من اعتصام بريدة، لكن لم يُبن عليه، ولكن لما حصل اعتصام بريدة من أجل المعتقلين واعتقل سفر بعد ذلك، ثم اعتقل سلمان نفسه الذي ساهم في الاعتصام من أجل هذه المسألة، لما اعتقل في "لقاء الإمارة" ما تهيأ مجموعة من الفدائيين أن يبيعوا أنفسهم ويُعتقلوا لتحصل انتفاضة بعد ذلك، ومرت السنين والرمضانات والأعياد وفرص كان من الممكن أن يُبنى عليها دفع مظالم أو اعتصامات أو شيء من هذا القبيل.

ثم لابد أن تميز في الاعتصامات والإضرابات والمظاهرات أنه مطلوب من الناس أن تخرج إلى الشارع، تُكبر تصفق تشجع تعيش، وتكسر وتحرق وتسوي تخريب، وهذا مساهمة في العنف ولو بشكل شعبي، لابد أن تنتبه إلى طبيعة السلطة نفسها، هل هي سلطة دموية ممكن أن تفتح النار فتقتل ألف ألفين شخص؟ يعني هل وضع النظام يحتمل مجازر في المدنيين ولا ما يحتمل؟ عندنا في سورية النظام مستعد يعمل مجازر، وثبت عندنا بالتجربة أن الشعب قابل للردع، يعني هناك شعوب ممكن يعمل فيها مجازر وتخرج، النظام الإيراني كان لا ينقصه قدرة على المجازر، ولكن طبيعة المعتقدات الشيعية وطبيعة التركيبة الدينية غير قابلة للإرهاب، يعني لم يُردعوا بل خرجوا، هناك شعوب في أمريكا اللاتينية: مظاهرات وقتل، مظاهرات وقتل، ويخرجون مرة أخرى.

في الأردن، النظام العشائري فيها والقبائل والثأر لا يسمح للنظام أن يغالي في العقاب، لأنه نظام عشائري وتركيبة فلسطينية أردنية ووضع اجتماعي متخلخل، فممكن تتحول إلى ما لا يحب، فهذه نقطة ضعف للنظام، فممكن أن تعمل كثيرا من الاعتصامات والمظاهرات لأنه سيضطر للإفراج.

فالسعودية وهذه الدول يجب أن يُمارس فيها هذا العمل لأنك تعرف أنك محمي، وأقصى ما يمكن أن تتوقعه الاعتقال، فلابد للناس أن لا يدخلوا في دوامة الإرهاب، الناس في السعودية دخلوا في دوامة الإرهاب وقُمعوا وهو لم يبدأ أصلا، فقط لإشاعة الرعب.

ولذلك يجب أن تجري عدة اختبارات على الشعب، كما يضعون الأرانب في المختبرات ويرون كيف تتصرف، فتطلق ما يسمى بالون اختبار، وترى مدى التجاوب ثم تبني عليه.

من الملاحظات الهامة التي يجب أن تُؤخذ بعين الاعتبار: قدرة النظام على القتل والقمع، وطبيعة قابلية الشعب للانضغاط، هذه يجب أن تنتبه إليها في موضوع الإضراب والمشاركة الشعبية.

الأخ: أرجو أن توضح لنا قابلية الحل السياسي الوسط في بعض الدول، وعدم قابليته في دول أخرى؟

مثل ما في مصر: كانت أمريكا والغرب اقترحوا في ظل سياسة القمع التي يمارسها مبارك على التيارات الإسلامية والجهادية، اقترحوا دعوة الإسلاميين المعتدلين والتيار الإخواني للمشاركة في حكومة ائتلافية مع النظام، لتخرج القرارات الحكومية منسوبة لكل الأطياف في البلد وتشارك فيه الأحزاب المختلفة، ويتم امتصاص حماس الجماهير وذوبان قضية الإسلام، وكان ذلك الاقتراح والإلحاح على النظام بعد ضرب السياح وتنامي التيار الجهادي في مصر.

الشيخ: هنا في نقطتين: نقطة متعلقة بالدول الخارجية أنها في بعض البلدان لا تريد هذا الحل الوسط، وفي نقطة متعلقة بالنظام نفسه، أنه يهدده هو إن قبل بهذه المقترحات، في مرحلة السبعينات والثمانينات إلى حرب الخليج كان الخيار الغربي –وصرح به مسئولون كبار– هو ضرب الإسلام المتطرف بالإسلام المعتدل، فلذلك أُطلقت فترة الحريات للعمل الإسلامي الديموقراطي في كل العالم الإسلامي، حتى بما فيها مصر والجزائر وتركيا، وكل البلاد التي وُجد فيها تنظيمات جهادية، فمثلا في السعودية والخليج لم تُطلق هذه الحريات لأنه أصلا لا خيار مرعب هناك، لأن هذا يشكل بنفسه خيارا مرعبا، وهو أن هناك إسلاميين يفكرون في السياسة، فهم بنوا هذه الأنظمة على أنها أنظمة دينية، فليس هناك مبرر لوجود أحزاب دينية.

فوقعوا في المشكلة التي شرحناها المرة الماضية، أنهم إذا فتحوا للتيار المعتدل انتشر الإسلام أفقيا وانتشرت الحركات الجهادية من خلال الأجواء ونظمت نفسها وهذه مشكلة، ووصلت بعض هذه الخيارات إلى بلاد مثل الجزائر وتركيا أصبحوا يشكلون تهديدا وخطرا على النظام السياسي، وأنا متأكد أن الفرنسيين وهؤلاء الناس يعضون أصابعهم من الندم على أنهم لم يتركوا الفرصة للإنقاذ تأخذ الفرصة إلى الآخر، فسوف تسقط كما سقط أربكان، وكان سيُقضى على إمكانية حمل السلاح، ولكن غلب عليهم الحقد الأعمى على كل ما هو إسلام.

فأصبحت سياسة الغرب العامة في التسعينات أن أي شكل من أشكال الإسلام السياسي= غير مقبول، إلا في بلاد أثبت العمل الإسلامي فيها أنه خانع لمرحلة لا يمكن أن يشكل خطورة، ومن ذلك مؤسسات الإخوان المسلمين في بعض الدول كالجزائر والأردن ومصر، يعني حجم التخاذلات التي قدمها الإخوان المسلمون في الجزائر تُخرِج زعيمهم على الأقل حتى عن دائرة الإسلام، يعني الإخوان المسلمون في السعودية على شدة خنوعهم لما محفوظ النحناح زار السعودية شتموه وبهدلوه وقالوا له أنه تجاوز كل الحدود الممكنة في نطاق العمل الإسلامي.

في الأردن أثبتوا أنهم أضعف الخانات وأنهم من أكثرها استعدادا للعمالة للملك والمشاركة له وإنقاذه من الأزمات، ففي بلدان مثل هذه تنصح الدول الغربية بفتح هذه الخيارات، ولذلك في عمان هناك لوحة كبيرة جدا مكتوب عليها: دار جماعة الإخوان المسلمين، جهارا نهارا علنية هكذا، في حين أن كلمة الإخوان المسلمين في بلد مثل العراق وسورية= تأتي بالإعدام.

وهناك دول الخيار الصلب فيها خَطر، والخيار المسالم فيها مجرب ومفيد مثل مصر، فثبت للحكومة المصرية أن المخابرات الأمريكية اتصلت بالإخوان المسلمين في مصر وأرادت فتح حوار وعلاقات بينهما، ليروا تصوراتهم عن علاقتهم مع أمريكا والغرب إذا ما وصل أحدهم للحكم، فخطب حسني مبارك خطابا فحواه أن السفارات الأجنبية في مصر مهمتها أن تتصل بالدولة فقط.

هناك نقطة تحتاج من الشباب أن يزيلوها من رؤوسهم وهي: أن حكامنا عملاء هذا لا يعني أنهم مربوطون بمفتاح: افتح افتح أغلق أغلق، بل لهم هامش، يختلف هذا الهامش من عميل إلى عميل، فتجد واحدا مثل سحنون ولا طحنون هذا بتاع البحرين ما عنده ولا هامش، وكذلك بتاع الكويت، يعني عملية محافظ ومدير بلدية حطوه في الكويت، ولكن هناك أنظمة كبيرة لها هوامش، يعني صدام حسين كان عميلا، وغالب التحليلات أنه تضاربت الهوامش بينه وبين الهوامش الدولية، والشاه كان له هامش.

أذكر هنا في فقرة ذكرتها في وقت مبكر وأثارت مشكلة كبيرة جدا في كتاب "التجربة السورية" في الملحق عن القضية الفلسطينية، ذكرت أن جيمي كارتر -وذكرت هذا الخبر جريدة "القبس" الكويتية- أنه أشار على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية أن تقبل مجموعات من "حماس" عندها في المجلس الوطني الفلسطيني، وقال أن الحل هو دعوة هؤلاء الناس ليكونوا ضمن المؤسسات الرسمية، وليس هناك من حل لضرب الجماعات المتطرفة إلا هذا.

ولم يكن الخلاف بين "حماس" ومنظمة التحرير وأنا هذا ذكرته وللأسف بعدين طلع والآن شايفين التصريحات لقيادات "حماس" السياسية تجاه ياسر عرفات، وتجاه موضوع "أوسلو"، تجاه المخطط كله، يعني لم يمثلوا منتهى الراديكالية، وهناك فرق كبير سنشرحه بين الجهاد العسكري لـ "حماس" كتائب عز الدين القسام التي شكلت إشكالية حتى على التنظيم نفسه يسحبها باتجاه الجهاد، وحتى لا ينقسم التنظيم قعدوا مرة هكذا ..، هناك شرخ.

ولكن لما وجدوا أن "حماس" ممكن تدخل في البرلمان الفلسطيني لم يكن مبدأ حماس أنها لا تدخل في البرلمان أصلا، وإنما كان الخلاف على نسبة الأعضاء، قالوا: نريد ٥١ % وياسر عرفات عرض ٤٠ % فقط في المجلس الوطني الفلسطيني.

فالشاهد لما يكون الخيار مجربا ويؤدي لنتيجة كما هو الحال في مصر، ترحموا على السادات وبايعوا حسني مبارك مرتين وشتموا المجاهدين وقالوا مليون مرة أنهم ضد العنف في مصر، هذا محمود الزهار لما صار انفجار الخبر قال: (هذا عمل إجرامي ونحن مستعدون أن نتعاون مع السلطات السعودية في كشف منفذي

هذه العمليات، وأننا نعمل ضد اليهود ومع الحكومات العربية في خندق واحد ضد إسرائيل)، وهذا الناطق الرسمي باسم "حماس"، ومرة تكلم محمد نزال بكلام أسوأ من هذا، بل أضرب لكم مثلا لما كان معتقلا في أمريكا صرح بنفس التصريحات ضد العمليات الجهادية، فهم ناس مجربون.

إذا كان العمل الإسلامي الديموقراطي أو المتراخي أو المعتدل مجربا لدرجة أنه يمكن الركون إليه كخيار ليس خطرا= فتجد أن اتجاه الدول الغربية هو الاعتماد عليه.

والعثرة التي تقف أمامهم هي أن الأنظمة أحيانا التي بلغت حدا من الديكتاتورية= هي أدرى بما يهددها من الأمريكان، فعند ذلك تنظر لهذا العمل الإسلامي وكأنه ينافسها على العمالة لأمريكا، ولا تنظر إليه على أنه خطر يهددها بالزوال، فالإخوان المسلمون علنا يعرضون خدماتهم على الغرب، مثل النحناح عرض خدماته على الغرب وأننا لو استلمنا الحكم في الجزائر فنحن مبادئنا كذا وكذا.

ولما بادر راشد الغنوشي –وهو كما يقول أصحابه أنه يريد أن يضحك على الغرب ويناور– ولكن بالغ فيما كتب من عملية الحقوق للغرب في بلادنا، حتى ألغى مشروع الشريعة، وألغى مشروع الإسلام، وأن مشروعه مشروع حريات، فالآن يُسمح له بإلقاء بعض الخطابات في البرلمانات الأوروبية! ويشترك في ندوات يكون فيها مفكرون أوروبيون ووزراء وأجهزة شبه حكومية، ومع ذلك زين العابدين رفض السماح لأي عملية مناورة مع هذا، لأنه يعتبره خطرا عليه.

فهناك بعض الأنظمة لها هامش على الدول الكبرى أن تحترم هذا الهامش، الآن حسني مبارك وقف ضد مؤتمر الدوحة، لأنه صار هناك تنافس وكأنه هناك بلد حقير صغير مثل قطر منافس يُعطى دورا أكبر من دوره في العمالة قياسا بدور مصر من قبل إسرائيل واليهود!

فهناك تنافس بينهم في هامش العمالة، كما يقولوا عندنا: تنافس الحمير من حظ الركاب، فتبقى الدولة الأجنبية تراعي هذه المصالح، وهذا قائم ضمن النظام نفسه، فتجد نظام حسني مبارك وزراؤه يتنافسون مع بعضهم على العمالة لحسني مبارك، فالآن طوابير العملاء ممتدة أرتالا، لدرجة أن الخيارات أمام الغرب كثيرة

جدا في مواجهتنا، فتجد الحلول الوسط والانقلابات، إذا قام نظام فأطيح بالملك يأتي العميل فيدخله السجن.

فهذا ما يعطي بعض الجماعات الإسلامية هامشا في مكان ولا يعطيها في مكان آخر، وإلا حسني مبارك قام بعملية ردع للسياسة الأمريكية في التعاون مع الإخوان المسلمين أن أخذهم من الحملات الانتخابية ومن البرلمان ووضعهم في السجن نكاية هكذا، وكانت عملية مبادرة من طرف حسني مبارك أو مستشاريه على الأقل، ونحن نبالغ جدا في أن رؤوسائنا مجموعة حمير وبقر لا يفهمون شيئا، الحقيقة هذا ليس صحيحا، لأنهم مؤسسات أي الأنظمة مؤسساتية فهو بمجموع مستشاريه يشكل نظاما متمرسا وصاحب تجربة.

واحد مثل عمرو موسى، ولا واحد مثل بطرس بطرس غالي، ولا واحد مثل أسامة الباز، ولا واحد مثل إسماعيل فهمي سابقا، ولا واحد مثل محمود رياض، ولا واحد مثل عصمت عبد المجيد= هؤلاء ناس عتاة مش لعب.

النظام السعودي في اللحظات التي يصحو فيها من الزنا والخمر= يا دوب يفكر في السياسة، ولكن واحد مثل فهد الآن، قبله خالد، قبله فيصل، قبله كل هؤلاء الناس، واحد من مستشاريه فقط وهو "معروف الدواليبي" كان رئيس وزراء في سورية واستلم الوزارة عدة مرات، وماسوني كبير، وكان في فترة من الفترات من الإخوان المسلمين في سورية فترة قصيرة، وله كتب إسلامية في التشريع القانوني، وله كتب في التشريع الدولي والفقه القانوني المقارن، عقل ضخم جدا، فكان لما خرج استوعبه عبد العزيز فصار مستشارا لعبد العزيز، بعد ذلك صار مستشارا لسعود، ثم فيصل ثم خالد، هو مستشار الملوك كلهم من عبد العزيز إلى الآن، فأنت متصور حجم التجارب المتراكمة عنده! فزبدة المستشارين، حتى لما صرفوا زكي بدر من وزارة الداخلية المصرية صار مستشارا لنايف بن عبد العزيز في تدريب جهاز الأمن السعودي.

فهي أجهزة مؤسساتية وعندها قدرات لا يمكن بحال من الأحوال الاستهانة بقدراتهم، لا نريد أن نقدر قوتها إلى حد الفزع، ولا نريد أن نستهين بقوتها إلى حد التهور.

ولما نشرح محاضرات السياسة سنأخذ "شبكة القوى السياسية" وشبكة العلاقات، وكل عقدة فيها تضع عليها دولة، هناك دول عقدها كبيرة: الولايات المتحدة فرنسا الصين، هناك دول عربية عقدها أكبر من دول عربية أخرى: مصر أكبر من البحرين وقطر مثلا، فأنت تضرب عقدة واحدة فتهتز العقد ومن ثم تهتز الشبكة كلها، وطبعا كل العقد يربط بينها خيوط وأطراف، وهي تمثل طبيعة العلاقات بين هذه الدول، هناك عقد بينها اتصال مباشر فاهتزازها يؤثر في الأخرى مباشرة، وسنشرح ذلك تفصيلا، لكن يجب أن تفهم أن التوازنات الموجودة الآن توازنات معقدة جدا، ولذلك تجده يقول لك: مستشار الرئيس الأمريكي لشئون أفريقيا، ثم هذا المستشار لشئون أفريقيا عنده عشرين مستشار للدول، فهذا مستشار لشئون الكاميرون، وهذا مستشار لشئون وسط أفريقيا إلخ.

حتى في الآخر تجد المخابرات الأمريكية تدفع ٢٥٠ ألف راتب شهري بدءا من كناس وانتهاء برئيس دولة، في منطقة الشرق الأوسط فقط! ولما أخذوا وثائق السفارة الأمريكية في طهران وقاموا بعمل عجيب جدا في توصيل القصاصات العملية العجيبة هذه، قبل أن يأخذوا الرهائن، كان الأمريكان بواسطة ماكينات الفرم فرموا كل الوثائق الموجودة في السفارة حتى لا تقع في أيدي الإيرانيين، فقام الإيرانيون بأخذ كل القصاصات الصغيرة وجمعوا مجموعة من الخبراء في السياسة والاستخبارات فأعادوا الوثائق مثلما كانت!

فلما قُرئت الوثائق خرجت بعض أسماء العملاء في الحكومات العربية والبلاوي في المنطقة= مصائب، ونُشر بعضها، فمما نُشر عدد العملاء المرتبطين بالسفارة الأمريكية في طهران، إدارة مركزية في كل منطقة الشرق الأوسط، الآن تحولت إلى مصر، تحولت إلى الرياض وفتحوا مكتبا لـ (FBI) وفي عدة عواصم، فنظام العمالة نفسه أصبح معقدا جدا.

وعملية العبقرية السياسية هذه، لو أنت تنظر في الأفغان= تجدهم من دهاة السياسة، على كل بدائيتهم والرعاة الذين تراهم، انظر إلى مجموعة التحالفات وتبدل خريطة القوى بين الأحزاب والشيوعيين والقبائل في مرحلة الجهاد هذه، مرة سياف مع الشيعة ضد فلان، مرة فلان ضد الآخر، لو أتيت تحسبها تجدها معقدة جدا، ولكن الناس تعرف مصالحها بهذه الصورة ويعرفون التوازنات، حتى صارت الصورة الحالية.

فعملية السياسية عملية ممارسة ودهاء وذكاء ومعلومات، خلاصة التفكير البشري حتى يتخذ الناس قرارات، فهذا الذي يفسر لنا لماذا بعض الدول قَبِل الغرب فيها بخيار، ثم لم يقبل شبيه هذا الخيار في دولة أخرى، ثم تجد نفس الخيار في نفس الدولة يقبله في فترة زمنية، ولا يقبله في فترة زمنية أخرى، ولذلك قالوا: (في السياسة ليس هناك علاقات دائمة، ولكن هناك مصالح دائمة)، ليس هناك مبادئ ولا أخلاق ولا علاقات ولا موازين ثابتة، هناك دائما ميزان مصالح ثابت، ترهيب وترغيب.

وللأسف هذه القاعدة كان المفروض ألا توجد بين المسلمين، ولكنها أصبحت الآن بين الجماعات الإسلامية المختلفة، وكان مع الأسف يجب أن تكون العلاقات الجهادية على الأقل لا تضخع لهذه القاعدة، ولكن حتى العلاقات بين التنظيمات الجهادية تضخع كثيرا لهذه القاعدة، التي ليست بمنهج ولا أخلاق وإنما مصالح إلى حد كبير جدا، وينتشر هذا المرض حتى داخل الجماعة الواحدة وأعضاء القيادة الواحدة وداخل الأتباع والمحاور.

طبعا هذا خطأ وغير مقبول ولا يجب أن يكون، وهو موجود بنسب تتفاوت، ولذلك تجد أن معظم الأتقياء والصالحين وأصحاب الدين في التاريخ الإسلامي تركوا كل هذه المصائب، اعتزلوا الحكم ومشاكله ومنافساته ومعارضات الخصوم وتفرغوا لشئونهم، فأصبحت مشكلة أن تنحى الأتقياء وبقي فقط الحيتان الكبيرة، نحن نحتاج إلى قضية: "لست الخب ولا الخب يخدعني"، إنسان تقي، ولكن لا يسمح لأحد أن يعدو عليه.

مونتجمري القائد العسكري الجنرال الذي خاض الحرب العالمية الثانية، له كلمة أستعيرها، قال: (الحرب عمل قذر، أما السياسة فيا الله) فلم يجعل لها وصفا لفرط قذارتها، طبيعة العلاقات والتحالفات والمتشابكات، عمليات ربط مصالح.

لم تعد تجد شيئا –إلا النادر– يكون لله تعالى، في حدود معينة يكون هذا مشروعا، كأن تدعم جهة جهادية ولك مصلحة في دعمها، هذا مشروع، ماشي؟ ولكن يبدأ يتحول هذا لأن يكون مصلحة للإسلام ولا مصلحة لك أنت= فلا تدعم! هيك صارت القضية.

السياسة تحتاج إلى تقوى مضاعفة جدا عن كل الأعمال الأخرى، تختلف تماما عن العملية العسكرية التي تفرض عليك الإخلاص تلقائيا، فهذه القضية تقسي القلب، وتجعلك تقع في دائرة المؤمرات والمؤامرات المضادة، والحيل والحيل المضادة.

الأخ: .. ..

الشيخ: أخونا يعني عنده أشياء جديدة لأن نفكر فيها بشكل جماعي، أسئلة جوهرية في system تفكيرنا كله، لكن الساعة ٥:٢٠ نريد أن نترك وقتا للأذكار، هناك اعتراضات وتساؤلات تأتينا من أطراف كثيرة، فأخونا خدمنا بأن عرضها بهذه الصورة ومكننا من أن نجيب عنها.

الشيخ: فتحب أن تقرأ علينا التساؤلات ونرجع نتابعها غدا فقط حتى يكون الإخوة في الصورة؟

الأخ: أقترح أن يكون فيها جواب، ما ممكن تكون صورة ممكن تكون فيها تعقيدات .. ..

الشيخ: أنا أقول تقرأ فقط، وتكون الإجابة غدا حتى يفكر الإخوة فيها، وأنا نفسي أفكر فيها، وغدا نترك لك الجلسة من الصباح لأنها مهمة جدا، لأنها تساؤلات مش بسيطة، لدينا إن شاء الله الردود عليها،

ولكن أقصد ليست بسيطة بقيمتها، قيمتها كبيرة جدا فهي ترد على كثير من الشبهات التي نتعرض لها في هذا الطرح الجديد في التفكير والمنهج الجهادي.

الشيخ: وصلتني رسالة من أخينا أبي الوليد فيها كلام يتعلق بالوضع العام ويتعلق ببحثنا، يقول بعد الصلاة والسلام، وبعد السلام علينا وعليكم جميعا:

(المناخ عندي رغم التحليل الهادئ جدا والبارد مثل جو شباط –يعني فبراير- يؤكد أسوأ الاستنتاجات التي توصلت إليها سابقا، ببساطة إننا في حاجة إلى معجزة حقيقية لنخرج من هوة سوداء ما زلنا نهبط – أي نهوي- فيها بلا كابح، بالمناسبة هل سمعت آخر نكتة؟ اسمعها إذن: مولانا ابن عثيمين أفتى بضرورة الجهاد في بورما، وعنده ٣ مليون دولار لتمويل الشباب المتطوع، وقد فتح المضافات ويوزعون التذاكر.. إلخ –نفس السيناريو القديم-، لم تنته النكتة بعد، والتكملة أن الذي أخبرني بها هو شاب من الجزيرة أنهى تدريبه هنا ثم توجه إلى بورما، كل عام وأنتم بخير ودامت لنا بغال التحميل ومشايخ البنتاجون.. والسلام عليكم).

الشاهد في الموضوع، طبعا لا شك أن المسلمين في بورما عليهم صائل ولا شك أن عليهم أن يجاهدوا ويدفعوا الصائل في بورما ولا في أراكان ولا في التركستان ولا في الهند ولا في الفلبين ولا في كل البلاد، الحمد لله ليس هناك بلد إلا وهو محتاج مباشرة أو غير مباشرة، وليس هناك بلد إلا وفيه ثورة جهادية أو دفع صائل أو حركة أو محاولة أو نواة ناس يعدون للجهاد، لا شك أن هذا حقهم بل واجبهم الشرعي، ثم لا شك أن على المسلمين أن يقدموا يد العمل، ويدعموهم في قضاياهم.

ولكن المشكلة أن هناك مشاكل وبؤر أساسية تتفرع عليها كل البلاوي الأخرى وهو النظام الدولي وتحكم اليهود والنصارى وعلى رأسهم أمريكا في توجيه كل هذه الساحة، والمشكلة الأبشع من ذلك هي تطوع علماء أهل بلد معين —هنا المشكلة- لا زال فيه الصائل وأصبح فيه معركة كبيرة تهمهم وتجب عليهم بصفتهم أهل البلد، ثم تهمهم وتجب عليهم لوجود مقدسات المسلمين عندهم، وتهم كل المسلمين وتجب عليهم بحكم أن لكل واحد منا في الكعبة حصة، في حين أن حصة أهل بورما على أهل بورما، وعلى المسلمين بالتبع، وهم هنا على المسلمين أن يجاهدوا أصالة عن أنفسهم في الجزيرة.

على المسلمين أن يُجاهدوا أصالة عن أنفسهم في فلسطين بسبب القدس والمعركة مع اليهود، وليس دعما لأهل فلسطين، وليس دعما لأهل الشام، وإنما أصالة عن أنفسهم.

في فترة من الفترات يتطوع مفتي الديار والهيكل العلمي لأن يوجهوا الجهد الأساسي لأهل بلده وللمسلمين إلى التحرك، ثم تأتي أموال الحكومة للدعم وتفريغ الساحة من المعركة الأساسية، هذا مثل رجل امرأته عارية أو أبناؤه جياع وسوأته وسوأة أهله مكشوفة، ثم يذهب ليعمل حلي تتزين بها ناس ما عندهم لباس، حتى العوام في مصر يقولون: اللي يعوزه البيت يحرم على المسجد! بل الرسول عليه الصلاة والسلام "جاءه رجل ببيضة يتصدق بها وليس عنده إلا هي ومحتاج لها، فرده فأصر، فرده فأصر، فأخذها وضربه بها يقول الراوي: لو أصابته لآذاته"، وفي الأثر: "لا يقبل الله صدقة قاطع رحم"، لأنه لو بده يتصدق كان أول شيء بدأ بأرحامه فما تصدق على الناس.

فواحد نزل به البلاء، صدقني كان عندي في إسبانيا ٤٤ فيلم عن حرب الخليج، وأكثر من ٦٠ فيلم فيديو عن البوسنة، في حرب الخليج كان عندي شريطان يتكلمان عن وضع النساء الأمريكيات في الجيش الأمريكي في الجزيرة، ويتكلم عن إقامة دورة كرة قدم لفرق نسائية في الجيش الأمريكي، يعني الجيش الأمريكي في السعودية فيه أكثر من منتخب كرة قدم، أكثر من فريق نسائي، وكان الفيلم يدور حول حياتهم في التجمعات الخاصة، ومباريات كرة القدم، واللباس الذي يلبسنه وبإمكانك أن تتصوره، والرجال واقفون يشجعون ويصفقون، مصيبة يعني، فيلم جنسي وليس فيلما عسكريا.

هذا كله على بُعد مرحلة من الحرم ومن الكعبة ومن الناس، ثم بعد ذلك يخرج رجل يقول: اذهبوا جاهدوا في بورما، ثم توجيه المسلمين، أموال المسلمين، إعلام المسلمين، اهتمامات المسلمين إلى خارج هذا الملعب!! ثم نقول كما قال أخونا: كل عام وأنتم بخير كما قال، مشايخ البنتاجون.

طبعا في الوقت الذي يقول فيه: حتى لو كفر الحاكم، هذا ليس مبررا مش للخروج عليه ولا لقتاله، يقول: ليس مبررا لأن نوغر عليه الصدور! ثم يستدرك حتى لا يظن ظان أن الذي عنده كفر، فيقول: أنا لا أتكلم عن بلادنا، فعندنا الحمد لله الشريعة قائمة وولي الأمر قائم فينا ظاهرا وباطنا، إنما أتكلم عن باقي البلاد الأخرى التي ظهر فيها كفر الحكام، فليس هذا بمبرر للخروج، والآن ترامت الأطراف وأصبح أمراء مختلفون للمسلمين وهم متباعدون، فعلى أهل كل بلد أن يطيعوا ولي أمرهم فيه..!

فهو لم ينافح عن رؤساء البلد الذي هو فيه، بل ينافح عن كل رؤساء الأمة في كل البلاد، فكل حاكم بلد هو أمير شرعي يُطاع في بلده، ويأتي هذا المعتوه الأهبل ليجعل هذه القاعدة تنجر على لبنان، على "إلياس الهراوي" النصراني لأنه ولي أمر اللبنانيين، ولا على "مناحم بيجين" ولي أمر الفلسطينيين، ولا على "ياسر عرفات" وكل الكفرة، ولا على النصيرية عندنا، ولا على "القذافي" الذي حرف القرآن وبدل السنة؟!

في هذا الوقت يشتعل حماسا لدفع الناس للجهاد في بورما!

يجب أن نشك ابتداء في أصحاب كل دعوة تريد أن تُخرج الكرة من الملعب الأساسي، يجب أن نشك ابتداء في نواياهم ثم في دينهم، ثم إذا سلم لدينا أن نواياهم صحيحة ودينهم سليم فيجب أن نشك في عقولهم، هناك ملعب أساسي الآن للجهاد ضد هذا الصائل لأنه ينعكس على كل الملاعب، هناك جهاد ضد الأمريكان واليهود في الجزيرة أولا، وفي الشرق الأوسط أيضا أولا لا أقول ثانيا، لوجود اليهود في فلسطين وفي بيت المقدس.

الجهاد حول المقدسات هو الملعب الأساسي، ثم حيث نزل النصارى بمشاريع أساسية، تأتي البؤر الثانية مباشرة شمال أفريقيا، ثم تأتي البؤرة الثالثة مباشرة في وسط آسيا: أفغانستان والباكستان والتركستان وهذه المنطقة، ثم تبعد تبعد تبعد حتى تعم كل القوائم.

الذي يريد أن يُخرج جزءا من المسلمين من الملعب الأساسي= مثل رجل حشد ونادى الناس لحشد فاجتمع عنده في الملعب ١٨٠ ألف متفرج ومشاهد، ثم جاء الحكم أخذ الكرة وطلع من ملعب نادي الزمالك ونزل في ميدان التحرير وقال للجماهير: يلا نلعب! ستخرج الكرة من حي إلى حي والناس تصفق وتبهدل بتبيع كازوز وتأكل ساندويتشات، أنهي المبارة إذا استطعت أن تنهيها!!

هذا نشك فيه، كل المشاكل فرعية، هناك مثلث فيه ٩٠ % من تاريخ المسلمين، ونحن كلنا مسلمون، ويجب أن نتكلم عندما نتكلم عن هذه القضية لأن خط القومية ارتفع إلى حد كبير جدا، الآن تأتي إلى رجل مغربي تقول له: أنت في جماعة ستجاهد في تطوان وسوف تنطلق فتذهب للدار البيضاء فيشعر أنه عائق، رجل في لبنان تقول له: اتفضل أنت في بيروت وجماعتك خرجت تنطلق تقاتل في الجنوب أو في طرابلس، حتى ناس داخل المدينة نفسها إذا خرج من قطاع إلى قطاع، ولكن نريد أن نحيي في المسلمين أنه إذا أردنا أن نتصرف كأمة نقول له: الأمة تريد أن تنقلك من ساحة جهد فرعي إلى ساحة جهد أساسي فتقاتل في الجزيرة وتقاتل في بلاد الشام وتقاتل في شمال أفريقيا، خاصة بعد الكلام عن الجيش الأوروبي الموحد الذي ربما ينزل شمال أفريقيا، والعبور إلى الشرق الأوسط مرورا بالمغرب وتونس والجزائر، هذه الجبهة مهمة جدا.

فيأتي شخص لينقلنا عن هذا الملعب ويقول: تعال نقاتل في قضية فرعية، على الرغم من أني أقول أن أصحابها يجب أن يبذلوا ويجب أن ندعمهم ويجب أن تفتح الساحة حتى تشمل مواجهة كل الناس، ولكن يجب أن ترتفع الحزازات من رجل أقول له: الآن القتال في أريتريا فرعي، يجب أن ترتفع من نفسه كل الحساسيات، أنت يجب أن تقاتل لكن هذا بالنسبة لجهد الأمة كأمة= فرعي، يجب ألا يحزن إذا قال له قائد الجبهة: قررنا نقلك لشمال أريتريا أو جنوب أريتريا.

كمثال: القتال في أريتريا وتحريرها الآن، هو دفاع عن النظام السوداني، لكن يتغلف بكل المغلفات الشرعية، الآن هو في كل المعطيات السياسية والعسكرية دفاع عن النظام السوداني، ولو كانت السودان مهتمة بتحرير أريتريا وتحكيم الشريعة في أريتريا= لفتحت الحدود لها وتخطتها، وعلى مدى الأيام كلها مش

من سنة ونصف قبضوا على قيادة المجاهدين ووضعوهم في السجن، ثم أخذوا من لم يلتزم بتصورات حكومة السودان وأسلموهم جهارا نهارا لحكومة أفريقيا النصرانية والحلف الأمريكي اليهودي للإعدام، فلما ازداد الضغط في الجنوب أخرجوا الناس من السجون وقالوا: تعالوا تابعوا القضية، ثم مع ذلك نجد شيوخ الطريقة السلفية وبتوع السعودية وابن باز، الإخوة اللي جاهدوا في أريتريا قالوا لي: هناك الإمداد والتوجيه والتصور كله ومعظمه عن طريق هؤلاء علماء السلفية المدعومة من الجزيرة وهيئة كبار العلماء.

هذا ليس طعنا في الإخوة، افهموا بدقة، وليس صرفا للناس عن جهادهم، ولكن أقول: عندما تتحول القضية إلى انتقال من الملعب الأساسي وتذهب لتجاهد في أريتريا، أو نترك الملعب الأساسي وننتقل إلى التركستان وفتح معركة مع الصين الشعبية، ونريد نقل ألف ومائتين مليون مسلم ليقاتلوا ألف ومائتين مليون صيني، وأنا أول من نادى بدعم الإخوة التركستان، وندعمهم فعليا وإلى الآن.

توجيه الناس إلى الجبهات الفرعية وصرف الناس عن القتال ضد الحلف اليهودي الأمريكي مع الحكومات المرتدة، بدعم من المنافقين بما فيهم أمثال ابن عثيمين= هذا الحلف هو الأبدى بالقتال الآن، وحتى لا يُساء الفهم أقول: قتال أهل السلاح بالسلاح، وقتال أهل الحجة والفتن والإعوجاجات والكلام بالكلام والدليل الشرعي، مفهوم؟

يجب أن نقاتل اليهود والأمريكان الآن ونبدأ بهم بالسلاح وبكل أنواع السلاح الممكن، ثم ننتقل لقتال من وقف في وجهنا معهم من المرتدين بدرجة ثانية، إلى أن يفهم الناس أن قتالنا للمرتدين تبع لقتالنا لليهود والنصارى، فنستطيع أن نُجيش المسلمين في هذه المعركة، ثم بعد ذلك نقف ومنذ الآن ونشرع كل أسلحة القتال المنهجي والفكري والدليل الشرعي في وجه علمائهم ومنافقيهم والإسلاميين الذين يدافعون عنهم وبشرعنون عملهم ويضفون عليهم الشرعية، بالحجة وبالبينة وبالدليل الشرعي، وهذا حقنا ولا ينكر علينا هذا الحق إلا مجادل بالباطل، أو أحمق لم يستطع فهم أبعاد المسألة إلى الآن.

هذا ما أريد إفهامه إلى الناس، وهذا كنا نقوله لمن يقول لنا: قال الله تعالى (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) فنحن سنبدأ قتال الحكومة إلزاما شرعيا، وبعد ذلك نقاتل اليهود والأمريكان، هذا الخطاب وجهه

رب العالمين لأمة المسلمين، يا أمة المسلمين قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وأمة المسلمين بمجموعها من يليها من الكفار هم اليهود والنصارى، بالإضافة إلى البعد المعنوي (قاتلوا الذين يلونكم) مش يعني يلونكم حيطة على حيطة بالضرورة، أنت قد تقاتل موقعا في آخر الجبهة ولا تقاتل الموقع الذي في أول الجبهة كتكتيك عسكري، (قاتلوا الذين يلونكم) يعني قاتلوا الذين يلونكم بالأهمية.

إذا أنت وضع لك العدو للمشاغلة ثلاث دوريات، وراح ناصب المصيبة الكبرى الثكنة العسكرية هناك، هل الله عز وجل أمرني أن أقاتل الذين يلونكم بأن لازم فرضا جزما أقاتل الثلاث دوريات قبل أن أهاجم الثكنة؟! مين قال بهذا الفهم؟! (قاتلوا الذين يلونكم) خطاب للأمة بمجملها، يا أمة الإسلام قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، وعلى مدى التاريخ الذين يلوننا من الكفار هم الأمريكان واليهود، ثم من تحالف معهم بعدين من المنافقين ومن المرتدين ومن الطابور الخامس الممتد في كل البلاد.

فإذا ثبت لنا —وهو ثابت بالدليل العسكري والسياسي والشرعي والمنطقي- أننا يجب أن نقاتل المرتدين لأنهم واجهة البلاء، وثبت لدينا أننا أجدى لتكتيكنا العسكري والسياسي أنه لعدة أشهر لعدة سنين لعدة أيام بحسب البلد، نبدأ فقط بالطُّعم الأساسي، نضرب اليهود والنصارى فيضربوننا نيابة عن اليهود والنصارى، فنضربهم تلقائيا لأننا عندما سنهاجم الأمريكان لن يطاردنا الأمريكان ولن يطاردنا كلينتون، بل سيطاردنا الحرس الوطني في السعودية والأمن المركزي في مصر وسرايا الدفاع في سوريا واللجان الثورية في ليبيا والحرس الملكي في المغرب، فعند ذلك تأخذ المعركة أبعادها الطبيعية.

شامير جهارا نهارا يقول: (نحن نشكر للملك حسين جهوده التي يبذلها في حماية حدودنا الشرقية يعني الغربية للأردن، ومع ذلك جهوده المشكورة هذه غير كافية، إذا لم يقم بواجبه كما ينبغي سنحتل الأردن)، ثم يأتي ابن باز والجزائري يقول: جلسنا نبتهل إلى الله أن يوفق المؤتمرين للسلام في مدريد، فيخرج بريز يقول: (نثني على هذا العالم الجليل المعتدل من علماء المسلمين ولا أدري لماذا لا يأخذ المتطرفون من حزب الله بفتاويه؟!).. والله سبحانه وتعالى يقول (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) ثم نرى شهادة بالرضا طول بعرض من بريز لسماحة الأب الوالد عبد العزيز بن باز.

المجاهدون العرب في البوسنة لما أرادوا أن يخرجوهم تعنتوا قليلا معهم، فاغتالوا قياداتهم بالتعاون مع الحكومة البوسنية، ثم بعد ذلك: يا جماعة فكروا شوي بس خلونا نخرج من هذه الحالة اللي نحن فيها، فلما لم يرض المجاهدون العرب أن يخرجوا أخرجوا معظمهم بطريقة ذكية جدا، قالوا: جاءت فتوى من ابن عثيمين بأنه انتهى الجهاد الآن في البوسنة، وعلى المجاهدين العرب أن يخرجوا حتى لا يورطوا المسلمين في البوسنة في أشياء لا يتحملونها، وسنقبل باتفاقية "دايتون" لأنها في مصلحة المسلمين، فجاءت فتوى ابن عثيمين لإخراج المجاهدين العرب من البوسنة، وتبرع حرامي الحرمين الشريفين بـ ٢ مليون دولار لتسهيل خروج العرب المتطوعين من البوسنة، فلم يخرج المجاهدون العرب من البوسنة إلا بمجموعة من الإجراءات: أولا تآمر الحكومة البوسنية عليهم لإخراجهم، ثانيا: تصفية قياداتهم العسكرية.

أقول: خرج الإخوة من البوسنة بعدد من المراحل:

المرحلة الأولى: تصفية قياداتهم العسكرية التي رفضت الخروج.

المرحلة الثانية: الضغط على الموجودين هناك والتضييق عليهم.

المرحلة الثالثة: فتوى من ابن عثيمين.

المرحلة الرابعة: أموال من الملك فهد.

المرحلة الخامسة: من بقي منهم حولوا كل أموال الجهاد إلى استثمارات تجارية بعشرات الملايين، وجاءوا بناس من أمثالي وأمثالكم لسة إلى الآن بيفكروا ياكلوا بيض ولا بطاطا من أجل المصاريف، وقالوا لهم: خذوا هاي ٢٠ مليون دولار ما تبقى من الجهاد للاستثمارات التجارية، ففتحت المؤسسات وتحول المجاهدون إلى تجار!

ولابد أن تفهم عندما تجد ناس يحولون المجاهدين إلى تجار وإلى زراع وإلى عاملين لازم نفكر ايش بيحصل في الدنيا؟ هؤلاء مقاتلون جُمعوا بالواحد تأتي أنت تحولهم إلى هذه الأعمال الاقتصادية والزراعية والتجارية وتفرقهم في الأرض، فبعد ذلك عمت الفوضى وتنافسوا على الدنيا والتحاسد والتشاتم وصاروا

يتقاتلون على التجارة وعلى الأموال وعلى توزيع الجوازات البوسنية وأخذ الجنسية البوسنية وعلى المحسوبية البوسنية، ففتنوا معظم من بقي.

ثم من ركب رأسه من هؤلاء، قالوا لهم: تعالوا اخرجوا= اعتقلوا الأسبوع الماضي ووضعوا في السجن!!

فكان عماد المخطط ابتداء في توجههم إلى البوسنة: فتاوى ابن عثيمين وعلماء الجزيرة وأموال الملك فهد، وكان عماد إخراجهم: فتاوى ابن عثيمين وأموال فهد! وكان العقاب من قتل وفتنة وأموال إلخ كل بحسبه.

فهذا أقوله لأنه جاءتني ورقة من أبي وليد يكلمني يقول أن: كل عام وأنتم بخير ابن عثيمين أفتى بوجوب الجهاد في بورما ولديه ٣ مليون دولار للانطلاق في المسألة وأنه فُتحت معسكرات ومضافات لتسفير الناس إلى بورما، فلذلك أقول: "إن الجاهل ليصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر" وهذا الحديث يتردد كثيرا في كتب السير والتاريخ.

في الآخر بتقول لي: قصدك كافر يعني؟ مش كافر ولا كافر ولا يجوز مش كافر، قصدك عميل يعني؟ يا عمي مش بالضرورة عميل ولا مش عميل، وصف العمل بأنه خيانة وأنه سحب البساط من المسلمين= هو في أحسن حالته "حمق"، ألا يجب أن ننذر المسلمين من الحمق؟

يأتي واحد يقول: تعالوا تغدوا عندي وجايب لي مصيبة أعشاب أنا أعرف أنها سامة، وهو يريد أن يبين مدى الكرم! ما تقول للناس: يا عمي كريم،كريم على حاله الأعشاب سامة؟

فهذا توريط للناس مرة أخرى في هذه القضايا الجانبية، فأقول حتى لا نُفهم خطأ: الإخوة يستنصرون بنا في بورما في أريتريا كل الناس، الله سبحانه وتعالى قال (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) صحيح؟ ولكن أنت الآن يستنصرك واحد في الدين، وكل المسلمين كعبتهم ومقدساتهم كل البلاد محتلة، بل إذا أنت قاتلت في المعركة الأساسية سيُنصر هو بطريقة غير مباشرة، لأن حكومة أريتريا لن تجد من يدعمها، لأنه سقط النظام العالمي سقطت أمريكا سقط اليهود.

أما الآن القضية خطيرة: دعوا القتال في الجزيرة، دعوا القتال في فلسطين، دعوا القتال في الشرق الأوسط، واذهبوا للقتال في أريتريا ولا في بورما، خاصة لما تعرف تدخل يقول لك الأخ جهارا نهارا: من يريد أن يشارك في أريتريا يأتي الآن، لأن الحكومة السودانية دأبت دائما على إغلاق الحدود وتصفية المسألة، فالقتال في أريتريا الآن هو لرفع الضغط عن النظام السوداني، ولتثبيت النظام السوداني، وأنا لست مع إسقاط النظام السوداني فهو أخف أسوأ أنواع الشرور! يعني هو ليس أخف الشرين لأ، هو شر أخف من كل ما حوله من الشرور.

والذي لا يصدق هذا هم سلموا الإخوة الليبيين، هذا الذي ذهب إلى ربه الآن لا أدري ماذا سيجد الزبير البارحة الذي سقطت من الطائرة، أخذ خمسة من الإخوة الليبيين فروا إلى الحدود السودانية، قُبض عليهم وسجنوا فترة، هربوا من السجن، ثم أُعيدوا إلى السجن، ثم أخذوهم ولم تفلح كل التوسطات وسلمهم إلى ليبيا في ليلة الوقفة قبل عيد الفطر من سنتين.

والإخوة الأريتريون سلموا منهم ١٥ واحد للإعدام، وقرأت خبرا أنهم سلموا ثمانية من "الاتحاد الوطني الإسلامي للمقاومة الإسلامية لحكومة تشاد" ٨ ضباط، سُلم منهم ٣ على وجه السرعة بالطائرة، و ٥ منهم برا، وأُعدموا.

وطردوا الإخوة المصريين: جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية شر طردة، حتى أخذوا رجلا مقعدا لا يتحرك وقالوا: وهذا يخرج، وأخذوا النساء والأطفال وأخرجوهم، وأُخرج الشيخ أبو عبد الله بن لادن، وأُخرج كل الناس، فهذه الحكومة السودانية.

تقول لي: نظام إسلامي؟ إذا كان النظام السوداني نظاما إسلاميا شرعيا= فلا وجه للجهاد في أريتريا، لأنه على الأريتريين أن يبايعوا هذا النظام الإسلامي الشرعي بصفتهم مسلمين متاخمين له، ويتمتعوا بحقوق المواطنة في هذا النظام الإسلامي، ثم يتوجهون هم والسودانيون لتحرير أريتريا أو تشاد أو غيره، بصفتها بلاد كافرة متاخمة لهم غُلب عليها أمر المسلمين فيساعدوهم.

ذكرنا بكل هذه المقدمة الفرعية موضوع أن هؤلاء العلماء المنافقين الذين أصبحت أشك أنهم يؤدون دورهم على حمق، فالأمور تشير إلى أنهم يؤدون دورهم على بصيرة، الحمق له نهاية، يقول أخونا أبو وليد: (المناخ عندي رغم التحليل الهادئ جدا والبارد مثل جو شباط –يعني فبراير- يؤكد أسوأ الاستنتاجات التي توصلت إليها سابقا، ببساطة إننا في حاجة إلى معجزة حقيقية لنخرج من هوة سوداء ما زلنا نهبط –أي نهوي- فيها بلا كابح، بالمناسبة هل سمعت آخر نكتة؟ اسمعها إذن: مولانا ابن عثيمين أفتى بضرورة الجهاد في بورما، وعنده ٣ مليون دولار لتمويل الشباب المتطوع، وقد فتح المضافات ويوزعون التذاكر.. إلخ – نفس السيناريو القديم-، لم تنته النكتة بعد، والتكملة أن الذي أخبرني بها هو شاب من الجزيرة أنهى تدريبه هنا ثم توجه إلى بورما، كل عام وأنتم بخير ودامت لنا بغال التحميل ومشايخ البنتاجون.. والسلام عليكم).

نعود إلى موضوعنا: والفصل الرابع من الحرب الطويلة الأمد التجربة الصينية

الفصل الرابع

الحرب الطويلة الأمد

(التجربة الصينية)

"الحرب الطويل الأمد – القوى الشعبية ضد الجيوش النظامية –

ثائر العصابات يقوم بدور المبشر – أقوال ماوتسي تونغ عن

حرب العصابات – دروس من الصين"

كانت الحرب في كوبا تجربة تعتمد على إسقاط العدو بالدعاية السياسية، باستغلال شيء من التكتيك العسكري، وتضافر بين القتال في المدن والقتال في الأرياف، وكانت حربا قصيرة الأمد، سقط فيها نظام متآكل، لم يكن فيها تدخل خارجي واضح، لم تكن هناك دولة استعمارية واضحة، سنأتي الآن إلى نوع آخر ثم ثالث ثم رابع، لنتعلم مجموعة من الأساليب نكيفها ثم نستخرج الأسلوب المناسب لنا في قضيتنا نحن.

يقول:

[**الحروب الثورية طويلة بالضرورة، ولا تنبت بذور الثورة إلا ببطء، وتنتشر الجذور بصمت تحت السطح، ولمدة طويلة قبل ظهور النبتة الأولى، ومن ثم يطول ساق القمح فجأة، ويصبح الثوار في كل مكان** -فهمت التشبيه الزراعي الأدبي البليغ؟- **كثيراً ما يقال بأن حرب العصابات هي حرب استنزاف، وليس هذا التعبير صحيحاً تماماً، ففي الموضوع تفتيت مثلما فيه من هدم، وتخترق النبتات الشقوق في بناء نخر، وتنتهي بأن تجعله ينفجر.**

وتبقى الحكومة خاضعة في المجال السياسي لضغط دائم، سببه اتساع النفقات، والوساوس الناشئة عن حملة القمع، والجلبة الدائمة من المعارضة والمصارف، وعالم الأعمال: متى ينتهي كل هذا؟ ماذا تنتظرون لتصفوا ذلك؟

لقد تحدثنا عن الاستنزاف الاقتصادي، الذي يشكل التخريب واحداً من أشكاله. والمظهر الآخر والأكثر أهمية، هو فقدان الهيبة، الذي يتحمله بلد في حالة حرب أهلية. ولا تستطيع أية أمة صغيرة، كما لا تستطيع بعض الأمم الكبرى، الصمود أمام هذا الاستنزاف، إلى أجل غير مسمى، على حين يستطيع الثوار ذلك إلى ما لا نهاية.

وليس للثوار أي مصلحة مالية، وليس في صفوفهم معارضة، وليس لديهم مشاكل اقتصادية لا يمكن حلها عن طريق اتساع الحرب والاستيلاء على ما هم بحاجة إليه].

لماذا وقعنا نحن في أزمة اقتصادية لم يمكن حلها إلى الآن؟ وظهر نظام الجهاد بالشحاذة في كل أقطار العالم الإسلامي؟

لأنه سقط هذا العامل يقول: (**عن طريق اتساع الحرب والاستيلاء على ما هم بحاجة إليه**)، وهذا ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام: "وجعل رزقي تحت ظل رمحي"، لما غاب شرعية التمويل الأساسي أصبح هناك أمراض ليس لها حل.

قال: [**لذا فليس لديهم ما يفقدونه، بل لديهم أمكانية كسب كل شيء بمتابعة الصراع، كما أنهم لن يربحوا شيئاً وسيخسرون كل شيء، إذا ما تخلوا عن الصراع**].

سأقف هنا وقفة خفيفة أرجع لها إن شاء الله في أمراض التيار الجهادي، طبعا كل التيار الإسلامي طول عمره يقول: لا تقاتلوا توقفوا عن الصراع، الآن المشكلة لم تعد في الجماعات الإسلامية الأخرى التي تطالبنا بالتوقف عن الصراع، حتى لا تدخل هي في المصيبة ولا تؤدي ضريبة هذا الدين.

المصيبة الآن أنه نتيجة الهزائم والانتكاسات التي حصلت لبعض الجماعات الجهادية في بعض البلدان= ظهر في تلك الجماعات أو حتى في غيرها وعلى مستوى عموم التيار الجهادي من يفكر أصلا أن أصل

الانتكاسة هي بسبب رفع السلاح! فعلينا أن نراجع إذن مبدأ حمل السلاح نفسه ونتخلى عن حمل السلاح؟!

يقول هذا الكاتب عن خبرة وتجربة: (**كما أنهم لن يربحوا شيئاً وسيخسرون كل شيء، إذا ما تخلوا عن الصراع**) جاء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه إلى أمه -والحادثة مشهورة جدا- أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام وبنت أبي بكر الصديق وأم هذا البطل، وكان قد حاصره الحجاج إبان خروجه على عبد الملك بن مروان في الكعبة وهدد الحجاجُ بضرب الكعبة وفعلا ضربها وهدم جزءا من بنائها، فلما كان القتال في شوارع مكة دخل عبد الله بن الزبير يودع أمه، فقبل رأسها وقال أن الحدث وصل لكذا وكذا، ماذا ترين؟ هل نقف ونستسلم للجماعة ونتفاوض معهم، فقالت: يا بني إن كنت قد خرجت على حق فامضِ على ما خرجت إليه، وإن كنت قد خرجت على باطل فقد هلكت وأهلكت من كان معك، قال: يا أماه أحببت أن أتقوى برأيك، لأنه عارف أنه مين وايش هتقول، قال: ولكن أخشى إن قُتلت أن يمثلوا بي، قالت: يا ولدي الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ، فلما خرج وقُتل، صلبه الحجاج على باب الكعبة أياما، فلما مرت أمه به نظرت إليه وقالت: أما آن لهذا الفارس أن يترجل؟! فظن الحجاج أنها ضعفت، قال: إن كان لك حاجة يا أماه؟ قالت: لست بأمك، ولكني أم هذا البطل.

هذا نموذج من تاريخنا قبل أن نأخذ هذه التجارب، وفي السيرة كثير، وفي التاريخ كثير، وفي العبر كثير، ولكن حتى تأخذ تجارب وعبر شعوب.. يقول: (**كما أنهم لن يربحوا شيئاً وسيخسرون كل شيء، إذا ما تخلوا عن الصراع**) ايش سيخسرون؟!

سيخسرون المنهج الذي قاموا من أجله، لأنهم سينسبون له الضعف والتراجع والخسارة، لا يشك أحد في منهج قُتل كل حامليه عن آخرهم واستشهدوا واحدا تلو الآخر، أبدا، ولا يقول أحد أن أصحاب الأخدود منهجهم غلط فقد حُرقوا، على العكس تصبح مثالا في التاريخ للصمود، وكما قال سيد قطب:

(إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع، حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح وكُتبت لها الحياة) فتتحرك لأنه قُتل أصحابها عليها.

فأول شيء تخسره هو المنهج والروح التي في المنهج، ثم خسرت كل الشهداء الماضين لأن من بعدك عليه أن يبدأ من الصفر، وخسرت كل التراث، وقدمت مثلا لكل القاعدين يقولون: (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم)، وبعد ذلك: شوفوا وقلنا لكم وقد قلنا وقد حذرنا وقد نبهنا وها هم أصحاب السلاح رجعوا إلى ما كنا نقوله في الخمسينات.

فكلمة (**وسيخسرون كل شيء**) ممكن نحكي فيها كثيرا جدا: منهج، تاريخ، شهداء، قدوة، عزة، كرامة، رجولة.. قلت لك أن أبا جهل لما كان ابن مسعود يذبحه قال له: "بلغ محمدا أني ما زلت على عداوته إلى ساعتي هذه"، وهذا الرجل فيه مواصفات حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما رأى من مواصفاته في الجاهلية تمنى إسلامه، فلما هلك وبلغ قوله الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "هلك فرعون هذه الأمة"، لما لم يكن لديه دين لم تخنه الرجولة.

واليوم في وسط التيار الجهادي، ونعم أريد أن أعمم، أني لا أكاد أعرف حركة جهادية إلا وفيها بعض من يفكر الآن: لعلنا استعجلنا، لعلنا قلنا، لعلنا قمنا، لا أعرف من الجهاديين –لا أقول حركة إسلامية عادية– إلا وفيهم من يراجع مبدأ حمل السلاح الآن بسبب النكسة التي نحن فيها منذ عام ١٩٩٠، وجاءتنا صفعة البوسنة وركلة الجزائر حتى تضيف إلى هذا التيار برهانا على برهان، ولذلك عندما نشرح يجب أن نُشير إلى الأخطاء ولكن لا نتناول المنهج أن أصل رفع السلاح غلط، بل أصل رفع السلاح صحيح وفريضة وواجب وركن ويجب أن يُرفع ويجب أن نستمر على رفعه في الجزائر وفي غير الجزائر، ليس مبدأ حمل السلاح الذي جاء بالنكسة، الذي جاء بالنكسة أشياء أخرى سأتكلم عنها إن شاء الله.

وأؤكد أن الكلام ليس موجها لجماعة بعينها، لأني أقول لك: ونحن في السويد أخ من إخواننا، ومن أقرب الناس لنا وجاء معنا إلى أفغانستان، وحاولنا أن نبني الجهاد في بلاد الشام مرة أخرى، وخرج من أنياب الموت أكثر من مرة وقُتل كل من حوله من الإخوة أكثر من مرة وخرج هو، نسأل الله العافية وأن

يغفر له ويصلحه قال لي بالحرف: علينا أن نبدأ من الصفر، ونريد أن نؤسس مكاتب تجارية ونعمل اقتصادا إسلاميا، وندعو ومساجد ونتابع ما أدري ايش، لما تأثر في أوروبا من الغنى الذي حصل عليه، والآن تقول: نريد أن نرجع للجهاد، يقول لي: أنا لو أعرف أن هناك طائفة ستعود للقتال في سورية كما بدأنا القتال ودمرنا كل مكاسب الدعوة وأغلقنا كل فرص المساجد وآذينا كل المسلمين، لو أعرف أن أحدا سيكرر ما فعلنا= أنا أول واحد سأبلغ عليه السلطة!!

فهذا ليس في بلد بعينها وليس في قضية بعينها، لا أعلم حركة جهادية اليوم سلمت من فرد أو أكثر يريد أن يراجع نفسه في حمل السلاح، الآن تتجلى بعض الأمور، مجموعة من السجناء في بلد يقولون: الآن نريد أن نضع السلاح ونوجه جماعتنا لوضع السلاح، هذا لا يعني أن هذه الجماعة وضعت السلاح، وهذا النداء لا ندري إن كانوا رفعوه حقا، وإذا كانوا رفعوه أو لا= فهو لا يعنينا.

ولكن عندما يبدر هذا النداء من سجين أو أسير لا نتكلم عليه إلا بالخير ولا نقول فيه إلا خيرا، لأنه رجل مغلوب على أمره، هو دون التكليف الشرعي بأن تأخذه بما يقول، سواء كان الدكتور عمر، ولا كان أحمد ياسين قبل أن يخرج، ولا أسرى الجماعة الإسلاميةولا كان عباس مدني، ولا كان مين من المسلمين ممن ابتلي بهذا، بصرف النظر عن مبادئه وما هم عليه وما نحن خلافه.

ناس ابتليت في سبيل الله وأُسرت، فإذا قالت ما قالت في الأسر= يلزمنا الإسلام بأمرين اثنين: أولا عذرهم شرعا والدعاء لهم بالثبات والمغفرة، ثانيا: طرح آرائهم جانبا، هي لا تلزمنا نقول: معذور مأسور غفر الله لنا وله، ربما الآن أنا عامل عليه عنتر قاعد بصيف هنا لو أُسرت –لا سمح الله ولا قدر- يؤخذ بهذه القاعدة، ما يأتي أحد يقول: شوف كان يقول لنا ولا ما كان يقول لنا، أُسر: الله أعلم بما يدور عنده، مصائب يشيب لها الولدان، هو معذور الله يغفر له الله يفرج عنه، ولكن تُطرح أقواله ونداءاته وآراؤه جميعا.

فإن بلغ العقم من المسلمين أنهم يفوضون الأسرى، كما حصل في الجزائر أن تُفاوض الحركة كلها من خلال الأسير، نكمل نعمل كذا، الأسير هو الذي يتحكم فيهم، العيب ليس أن يُطلق أسير دعوة لوقف الجهاد، وهذا ليس الثبات، الثبات هو ما فعله أحمد بن حنبل، هذا نقص وعدم كمال ولكن معذور، أما

العيب أن يخرج من ناس ما زالوا رافعين السلاح، ويخرج من قيادات أو قواعد تفت في عضُد من يريد أن يستمر، ومعظم الحركات تريد أن تستمر، ممكن لا تستمر ميدانيا، لا تستمر عسكريا، هذا ليس عيبا هذا عجز، فريضة سقطت بالعجز، ولكن العيب أن نحول هذا الواقع العسكري الضعيف إلى إعلان وقف، وإلى تراجع عن منهج، وإلى تخطئة مبدأ.

يقول: "ما ندمت على عداوته ولا لحظة"، نقول: ما ندمنا على عداوتنا للأسد، خسرنا؟ جرحى قتلى مشردين إلخ، حرمنا سورية؟ لعنة الله على آبائك، وعلى كل الكفر الذي في هذا البلد، لا نريدها، ومن بقي من أولادنا نذكرهم بما حصل ونطلب منهم أن يستمروا ولا نندم على عداوتنا هذه، هذا أقل شيء، مبدأ من مبادئ الرجولة، حتى بعض الكفرة ثبتوا عليه إلى آخر حياتهم.

بإمكانك يا أخي أن لا ترفع السلاح تريث، أعد التفكير وخذ الوقت الذي يلزمك وكل الوقت الكافي، ولكن إذا رفعته بخيارك أو رفعته قسرا غصبا عنك كما حصل في معظم البلاد، السلاح رُفع في بلاد الشام خيارا، قرر مروان حديد أن يرفع السلاح، رُفع في مصر قسرا، رُفع في ليبيا قسرا، في الجزائر قرروا رفع السلاح، ولكن الحال واحدة لا يغير من الأمر شيئا، إذا رفعت السلاح مختارا أو رفعت السلاح مكرها مجبرا تريد الجهاد= فإنك تحت طائلة هذه القاعدة (**أنهم لن يربحوا شيئاً وسيخسرون كل شيء، إذا ما تخلوا عن الصراع**).

والتخلي عن الصراع كما قلت ليس وقف عمليات، وإنما إعلان تخلي، وقف العمليات: حالة عارضة عسكرية تحصل.

يتابع فيقول:

[**ففي كوبا، كما رأينا في الفصل الماضي، انهارت حكومة باتسيتا قبل المواجهة العسكرية الحقيقية. ولم ير الجيش سبباً لمتابعة النضال بعد هرب قادته، فاستسلم في حين أن الاضراب العام**

في هافانا –أي الانتفاضة الشعبية فيها– جعل العسكريين يفهمون بأنه لم يعد لهذا الصراع معنى وبعد فرار باتسيتا، كانت الحكومة الثورية وحدها قادرة على الحلول مكانه].

نقف وقفة صغيرة، أقول: إذا الثورة تدار على طريقة البدو الرحل والعصابات الفوضوية وقطاع الطرق= لن تتمكن من أن تحل مكان النظام ولو نجحت في إسقاطه، لأن عناصرها إلى الآن بتبوس ايده يرتب مكتبة ما بيرتب، كل المحاضرات تبدأ بموعد: ما تبدأ، بتعمل كل الإمكانيات حتى ينظفوا المستودع= ما ينظفوا، مجموع هذه الأمراض الداخلية كلها بالإضافة إلى عقليات غير إدارية تدير المعركة، ولا إعلام ولا مؤسسات ولا تصور ولا إدارة، هو لم ينجح في ثورة إداريا، هل ينجح في دولة إدرايا؟! والله أعلم لا ينجح، وأمامك نموذج الطالبان.

ولعلمك نموذج الجهاد الأفغاني كله، نجحوا في إسقاط دولة عظمى، صحيح توفرت ظروف كذا ولكن كان لهم دور أساسي جدا في إسقاط الاتحاد السوفييتي، أما دولة بمعنى الدولة لم تقم، لا على يد الأحزاب ولا يد الطالبان، هذه ليست دولة بالمفهوم السياسي والإدراي للدولة، هذه محاولة لأن يكون هناك دولة، الله سبحانه وتعالى يعينهم، قلبنا معهم ونساعدهم، فيهم عقليات دولة موجود، ولكن ككتلة الدولة غير موجودة –وسنتكلم عليها في السياسة تفصيلا، حتى لا نخرج عن موضوعنا–

الدولة: سلطة عسكرية تحمي نظاما، ومن الأعمال العبقرية للترابي على كل متناقضاته أنه لما استلم الحكم في السودان إلى الآن يدربون ٤ مليون من ميليشيا الجيش الشعبي، من وحي كلمة الكاتب: (كانت الحكومة الثورية وحدها قادرة على الحلول مكانه)، لأنه لما كان مطاردا لما كان ما زال قاطع طريق= كان عامل مصانع لتصنيع الأسلحة كما رأينا، ومعامل لتعليب الأغذية وأصلح الطرق، وتعامل مع الناس وجمع وخطب وحاضر، فهو قطع شوطا في التدريب على إدارة الدولة وهو ما زال بينه وبينها كثير، لا يعرف هل سيصل بنفسه إلى الدولة أم لا.

فلما تستلم السلطة أنت أول شيء يجب أن تفعله= ميليشيا، حرس ثوري، سمها ما تشاء، مسئولة على الحفاظ على تفوقك العسكري لضبط الأمن وقمع الخصوم عسكريا، إذا لم يكن عندك هذه القدرة، معناها

أنك لا تستطيع إدارة دولة، فأول شيء تأخذ الجيل الذي عندك أبناؤه وعوام الناس الذين بين ١٥- ١٦ سنة ممن يستطيعون حمل السلاح، تجري له عملية مسح مخ للأفكار على طريقة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرغنا ثم يلمؤنا)، تجيش الناس، أول شيء نواة مركزية ٥٠٠ رجل، ثم تعطي كل واحد ١٠ رجال، عندك ٥ آلاف في السنة الأولى، تأخذ الخمسة آلاف تقول لهم: سأعطيك عشرة تعطيني مثلك، عندك ٥٠ ألف في السنة الثانية، الترابي درّب ٤ مليون شخص من ميليشيا الدفاع الشعبي، وهم العشرة الأساسية أمام كل الذين أرادوا الإطاحة بالنظام، لا يمكن الإطاحة بنظام الترابي إلا بحرب أهلية كاسحة، ومع ذلك فهو المرشح الأول لأن يكسبها متى حصلت، سقطت كل خيارات الانقلاب العسكري عليه، سقطت كل خيارات الغزو الخارجي.

إذا انهار نظام الترابي فالسبب الأول أنهم لم يطبقوا شرع الله سبحانه وتعالى، ولم ينصروا المسلمين حتى ينصروهم، ولم يقيموا القسط والعدل في الأرض فلم يستأهلوا الوجود، وأما من حيث المادة فإذا سقطوا فسيسقطون نتيجة ضغط دولي مركز جدا، وانهيار اقتصادي لن يتحملوه، وليس لأنهم ليس عندهم من يحارب.

فالشاهد الدولة هي سلطة عسكرية تحمي الدولة، ثم ومباشرة جهاز إداري يوفر موارد للدولة، أفغانستان مليئة بالوارد، أفغانستان أرض من أغنى دول العالم، حتى بدون ما تذهب للشمال والمناجم، عندك المزارع والإمكانيات الزراعية وخطوط الترانزيت والبوابات والتجارة وحركة الطرق، الآن الطالبان بشيء من الأمن قفز الميزان التجاري ٢٥ ضعف، لم يمر في كل أفغانستان استقرار تجاري مثل الذي حصل مع الطالبان، بسبب الأمن فقط، بدون أي توجيه إدراي.

فهذه ليست دولة، هذه محاولة للإمساك بالسلطة، هم يمسكون لأن كل خصومهم فاسدون، وليس لأنهم صالحون للإمساك، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم الصالحين ويهدينا ويهديهم.

يقول: [**والمثال نموذجي للبلدان نصف المستعمرة، حيث يمكن للثورة أن تتحقق بدون خوض تجربة دموية في حرب حقيقية. وفي مثل هذا النوع من البلدان، يكفي (إذا لم تتدخل الدولة المستعمِرة) أن تخلق حرب العصابات الشروط التي تنهار فيها الحكومة**].

هذا الشرط –عدم تدخل الدولة المستعمِرة- لا ينفعنا، لأن كل حكوماتنا أثبتت أنها تتدخل الدول المستعمرة لصالحها، أعلن "ميتران" بعد الفوز الجزئي للإنقاذ قال: (إذا استلم الأصوليون فسندخل الجزائر عسكريا، كما دخلت الولايات المتحدة هاييتي)، وهذا إذا حصل في المغرب سيدخلون، وإذا حصل في تونس سيدخلون، بل إن إخواننا بعض الجماعات الجهادية في مصر قالوا: بعد حرب الخليج نظرنا كليا في مسألة الانقلاب واستلام السلطة، لِمَا أثبت إمكانية التدخل العسكري الخارجي في دعم الأنظمة من نجاح، الجيش المصري دخل الخرطوم أكثر من مرة لإعادة جعفر النميري بعد خلعه، وهي دولة جربوعة إلى جانب دولة جربوعة أكثر منها، ومع ذلك نظامها ساند نظامها، فما بالك بتدخل القوى العظمى.

فهو يقول إذا لم تتدخل الدول العظمى يمكن خلق هذه القضية، الآن الحشد العسكري في الجزيرة حشد مليوني، لا حشد لعبة يعني، الحرب العسكرية له مئات الآلاف، والقوى الاقتصادية والإدارية الواقفة وراء هذا الحشد العسكري قوى مليونية مش قوى بالآلاف، إنفاق عجيب تسليح عجيب، هذه الأنظمة لا يمكن أن تسقط بحروب عصابات من هذا النوع، سنتكلم عن نموذج ينفعنا إن شاء الله تعالى أن نقتبس منه، من الآخر لن نستطيع إلا أن نطور أسلوبا خاصا بنا، لا نقرأ أسلوب كوبا حتى نعيده، ولا أسلوب الصين حتى نعيده، لأن ظروفنا غير ظروفهم، ولكن سنقرأ مجموعة من عوامل النجاح نفهمها ثم نهضمها ثم نصوغ طريقة خاصة بنا نتيجة امتلاكنا للعلم.

يقول: [**وتفقد اعتبارها (لأنها لم تعد قادرة على حفظ النظام أو تأمين الفائدة لملاكي الوطن)، فتسقط تلقائياً بسبب فقدان الدعم، ويسدُّ الثوار عدنها الفراغ السياسي. وتدخل كل الدول التابعة للولايات المتحدة في أمريكا الوسطى، ومعظم جمهوريات أمريكا الجنوبية، التابعة لأمريكا اقتصادياً وسياسياً، في نفس فئة كوبا، وتستطيع حكومات البلدان المذكورة أن تقرأ قدرها على الحائط الكوبي، كما تستطيع واشنطن ذلك. لذا كانت الجهود شبه الهستيرية المبذولة طوال ستة أعوام، لعزل كوبا، ومنع انتشار العدوى**].

ولك أن تقارن الهيستريا التي اجتاحت العالم العربي حتى لا يتحول النموذج الإيراني إلى قضية تطبق في بلدان المسلمين.

[**فإذا ما انتشرت، ويبدو أن ذلك قد حدث بقدر معين، فإن الظواهر نفسها ستحدث، إلا إذا تدخلت الولايات المتحدة عسكرياً، ولكن التدخل سيخلق موقفاً جديداً تماماً: فقد نرى أمريكا اللاتينية وقد تحولت إلى فيتنام**].

هنا نريد أن نستفيد من تخوفه في حالتنا نحن، الآن تتدخل القوى العسكرية العظمى جهارا لمساندة الأنظمة في العالم العربي، الجزائر مع متيران، السعودية فيها.. إلخ، الآن قارن هذا بحال العالم الإسلامي وانتشار الجهاد، قارن قضية الرعب الذي حصل بفكرة انتشار الجهاد من مصر ولا سورية، أول محاولة جهاد لاقتلاع الأنظمة كانت في سورية في ١٩٦٥، ثم تبعتها مصر في سنة ١٩٦٥ أيضا على يد سيد قطب والتنظيم رحمهم الله، ثم تتابعت أعمال الجهاد فظهرت بؤر، حتى في أواخر الستينات في المغرب لما ظهرت الشبيبة المغربية، وهي محاولة مسلحة للإطاحة بالملك، ثم ظهرت في أوائل السبعينات تجربة مصطفى أبو علي رحمه الله في الجزائر محاولة لإسقاط النظام بالسلاح والخروج بناء على الردة، ثم تبع ذلك محاولات فرعية أخرى كما في تونس في الثمانينات، ثم حصلت وتتابعت عمليات الجهاد في مصر على يد الجماعة

الإسلامية وجماعة الجهاد، ثم خرجت الجماعة المسلحة في ليبيا، ثم تكاد تقول ليس هناك بلد إلا فيه أو يحضر له بشيء شبيه.

هذه العدوى بعبارة انتشار لأفكار معينة أوجدت واقعا معينا، حالة الهيستريا التي يعيشها الغرب تجاهنا مثل حالة الهيستريا التي عاشوها لانتشار الفكر اليساري في أمريكا اللاتينية، لأنه أثر على اقتصادهم.

يقول –وهو يصنف فئة أولى وفئة ثانية وفئة ثالثة من الدول-:

[**أما المستعمرات التي تحتفظ بها القوى الأوروبية، فهي تدخل في فئة أخرى**].

هذه الفئة تهمنا جدا لأننا مقبلون على مواجهة استعمار، بالدرجة الأولى قبل مواجهة حكومات.

قال: [**أما المستعمرات التي تحتفظ بها القوى الأوروبية، فهي تدخل في فئة أخرى، وهنا أيضاً يمكن للحل السياسي أن يمنع العمل العسكري. بيد أن القضية في المستعمرات لا تتعلق بتجريد الدولة الاستعمارية أو حكومتها من اعتبارهما، بل تتعلق بتجريد الاستعمار من مكاسبه وهيبته**].

إذا خسر الاستعمار مكاسبه من الاستعمار وخسر هيبته بصفته مستعمرا= يسقط ويخرج، الهدف التركيز على ضرب المكاسب، فيشرح بطريقة واضحة جدا يقول:

[**وتقدم لنا قبرص مثالاً جيداً عن انتفاضة نجمت فقط لأن الإرهاب والتخريب والفوضى الدائمة قد انتهت بأن جعلت الجزيرة، لا تقدم أي مكاسب، ومربكة لإنكلترا سياسياً، ولقد ذهب الإنكليز منها، ليس لأنهم طردوا، بل لأنه لم تعد لهم مصلحة من البقاء فيها**].

الدول المستعمرة مباشرة مثل تركستان مثل الجزيرة العربية الآن، مثل عموم دول شمال أفريقيا المستعمرة اقتصاديا بشكل كامل، طبيعة مقاومة المستعمر فيها يجب أن تأخذ هذين المنحيين: إلغاء المكاسب وإسقاط الهيبة.

الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، ناس جايين ياكلوا جايين يهبشوا من هذا اللحم الذي في القصعة، خذها أنت بالطبيعي: متى يترك الآكل وجبته؟ متى تنقطع شهيته؟ عندما يحدث أحد أمرين: إما شبع، لم يعد بحاجة للأكل، إما أنت افتعلت حدثا أقمته من على الأكل، يقول لك: سمع كلمة قال صامت نفسي ما عدت أريد الأكل، ضُرب ضربة يقول لك: ما عدت آكل.

الآكل لن يترك القصعة إلا إذا شبع، هل نحن مستعدون لأن نترك لهم القصعة حتى يشبعوا؟! إذا تركناهم حتى يشبعوا —على معصية الله سبحانه وتعالى- معنى ذلك أنه لم يبق في القصعة ما نطعم به أولادنا وأحفادنا، فضلا عن أننا نحن لم نأكل أصلا، ونسأل الله أن يحفظ لنا الأجر في الجنة، نحن لن نأكل ولن نرى نصرا بمعنى سقوط كل هذه الأنظمة وقيام دولتنا الإسلامية والتمتع بالخلافة الراشدة وارفة الظلال على منهاج النبوة، إلا إن يشاء ربي أنا أتكلم على الأسباب.

فإذا تركناهم يشبعون فما نحن ولا أولادنا ولا أولاد أولادنا، الذي جلس على القصعة يجب أن يقوم، تقلب الطاولة، تسمم القصعة، تلغي القصعة كلها لا يأكلون لا هم ولا نحن، هذا البترول أنت ستحرقه إذا أحد أخذه، لا أنت ولا أنا، يعني علي وعلى أعدائي.

بهذا المفهوم إذا انتهت مكاسب الاستعمار، يقولون لك: نخرج ويبقى الاستقرار وتحصل تجارة متوازنة بين الشرق والغرب، نأخذ المواد ونعطي تكنولوجيا، فممكن يقنع نفسه ألا يتدمر كل شيء، ويبدو أن المسيطرين على الغرب واليهود لا يقبلون ولا يفهمون هذا المنطق، يريدون أن يشربوا هذه البيضة وهي الكرة الأرضية بكاملها، وأظن أن النخبة عندهم يشربونها عن الباقي، حتى الشعب الأوروبي والأمريكي نفسه لا يشربون من البيضة إلا لحسة، الذي يشربها على الكمال النخبة أو أعلى طبقة في الرأسمالية، الذين واحد

منهم فقط تصل أمواله إلى أرقام وأصفار لا تستطيع قراءتها، في حين أن ربع الشعب الأمريكي ينام تحت خط الفقر، ناهيك عن الشعوب الأوروبية وغيره، ناهيك عن شعوبنا نحن ماذا نقول؟!

الاستعمار يخرج إذا غلب الثمن مجموع المكاسب، لأنه لم يعد عندهم نعرة صليبية دينية تكفي لأن يستمروا من أجل الصليب، هي موجودة لكنها لا تكفي وحدها، هناك نهب يجب أن يتحقق، هناك وازع ديني يهودي عن طريق جر الآخرين إلى الاستمرار في المعركة، ولكن البعد الاقتصادي جزء هام جدا في استمرار هذا المستعمر.

يقول: [**وتتضمن الفئة الثالثة، الحروب الثورية التي يجب أن تُربح في النهاية فوق ساحة المعركة. وتشكل الصين النموذج الكلاسيكي لهذه الفئة، فلقد كانت المخبر الذي صيغت فيه المبادئ المطبقة حالياً، وفي كل المناطق النامية من العالم**].

لا تستطيع بالانهيار الاقتصادي أن تخرجه، ولا تستطيع بالدعاية السياسية، يجب أن يُسحق على الأرض، ويبدو أن طبيعة معركتنا مع الغرب واليهود هي هذا النوع الأخير.

يجب أن نحقق إرباكا سياسيا، نحقق تحطيما اقتصاديا، ننهي شهيتهم عن القصعة، ولكن قال الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث: "تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله عليكم، ثم تغزون فارس فيفتحها الله عليكم نطحة أو نطحتان –يعني معركة أو معركتان وفعلا كانتا القادسية ونهاوند–، ولكنها الروم ذات القرون تقاتلونهم إلى قيام الساعة".

فنقول لإخواننا المسلمين في كل مكان: كل عدو عندكم الآن هو عدو الساعة، ولكن الروم هم أعداؤنا إلى قيام الساعة، وكل المؤشرات الاقتصادية تشير إلى أنهم سيقاتلون إلى الآخر، وكل المؤشرات العسكرية تقول أنهم سيقاتلوننا إلى الآخر.

كان في كتاب "الإرهاب الأمريكي" أقرأ لك الآن نصا لترى البعد الصليبي الحقيقي غير الاقتصادي لهذه المسألة، أننا سنقاتلهم إلى قيام الساعة، هذا الكتاب أخرجته الحكومة الليبية كتاب سخيف مثلها وكله كلام فارغ ويحتاج الإنسان إلى صبر حتى يقرأه، على فكرة الإنسان يحتاج إلى صبر حتى يقرأ الأشياء الشهية، ويحتاج إلى صبر أكثر حتى يقرأ أشياء عقيمة مثل هذه، ويحتاج إلى صبر عجيب عندما يقرأ كتابات خصومه ضده ولا يرمي الكتاب، هذا الكتاب الفائدة الوحيدة فيه أن ليبيا كلفت نفسها بجمع بعض الإحصاءات والأرقام عن أمريكا بسبب حالة العداء المصطنعة فيما بينهم، فنحن نستفيد من بعض النصوص كاستفادة وثائقية، يقول في ص٩:

(ذلك أن أمريكا لا تحارب المسلمين لخلافات سياسية، بل لأنها تعادي الإسلام ذاته –هيك يقول القذافي تصور يعني– وتعمل بكل الوسائل للقضاء عليه، ولأنها قائمة على المبادئ الصليبية التي تعادي الإسلام والمسلمين، وهو ما أكده "أيوجين روستو" رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧، حين قال:

يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهي مستمرة حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي، إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي، بفلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدتها متمثلا في الدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام، وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إذا فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها). انتهى.

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردونكم عن دينكم إن استطاعوا)، فنحن نتكلم عن البعد الاقتصادي للمعركة لأنه موجود، ويغذي المعركة ويزيد أوارها ويدخل فيها أقواما، لو خرج هذا العامل سيخرج أقوام ويبقى آخرون، ونتكلم عن البعد المصلحي للمسلمين، لأن مصالحهم وما ذهب من دنياهم بسبب بعدهم عن شرع الله= هي قضايا شرعية يجب الدفاع عنها، لكن أصل المعركة وجوهرها هو هذا، هذا الكلام في سنة ١٩٦٧، الآن مستشار الرئيس الأمريكي قال نفس الشيء قال: (نحن ورثة الإمبراطورية الرومانية، وأعداؤها التاريخيون هم أعداؤنا)، ورفضوا دخول تركيا السوق الأوروبية المشتركة لأنها تجمع مسيحي.

الشاهد أننا أمام معركة من النموذج الثالث الذي يتكلم عنه الآن، ليست معركة مع نظام على شكل كوبا، وإن كان هناك شبه، وليس نظام قتال مع مستعمرين مباشرة وإن كان هناك شبه، وإنما النموذج الثالث والذي يقول فيه: (**وتتضمن الفئة الثالثة، الحروب الثورية التي يجب أن تُربح في النهاية فوق ساحة المعركة**) يجب أن تحطم قوة الخصم العسكرية فوق أرضك حتى تنتهي المعركة، ولذلك هي معركة طويلة جدا.

ولدينا آثار من الرسول عليه الصلاة والسلام عن الملاحم والفتن، مع الروم الذين ينزلون جزيرة العرب والذين ينزلون في دابق، على مسافة ٤٠ كم من حلب جنوب تركيا، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "تنزل الروم بالأعماق أو بدابق، يأتونكم تحت كذا وكذا راية"، وفي روايات أخرى في الجزيرة، فوصف الرسول عليه الصلاة والسلام المعارك فقال: "تخرج لهم خارجة من المسلمين يتواثقون أنهم لا يعودون إلا منتصرين، فيستشهدون جميعا" ووصف أجرهم، أول ناس يفرون قال: "فأولئك لا تُقبل لهم توبة"، ثم ناس تُقتل ثم تُقتل، ثم يُفتح لهم في اليوم الرابع، فوصف قتلى المشركين قال: "حتى لا يغادر الطائر الساحة الممتدة فيها جثثهم إلا يخر ميتا" من فساد الجو وحجم القتلى وفساد الجثث، وهذه الأحاديث كلها موجودة في الملاحم والفتن.

على هامش ما يجب أن ندرسه لمواجهة هذه المعركة يجب أن تتفرغ من عندنا لجنة شرعية أو ناس مختصون سيبحثون في كل أحاديث الملاحم والفتن التي وصف فيها الرسول عليه الصلاة والسلام معالم

وصفات هذه المعارك في آخر الزمان، حتى نستعين بها ونستضيء بها ونقيم عليها، يذكر أساليب يذكر مواصفات يذكر أمور، نحن هنا بصدد دراسة علوم عسكرية ومعطيات سياسية.

يقول : [**وتتضمن الفئة الثالثة، الحروب الثورية التي يجب أن تُربح في النهاية فوق ساحة المعركة. وتشكل الصين النموذج الكلاسيكي لهذه الفئة، فلقد كانت المخبر الذي صيغت فيه المبادئ المطبقة حالياً، في كل المناطق النامية من العالم**].

أقرب النماذج إلينا وأكثرها غنى وأطولها وأكثرها دروسا= هي التجربة الصينية حقيقة، والتجربة الفيتنامية فرع قريب جدا من التجربة الصينية كأسلوب حرب عصابات.

وإذا أردنا أن نقارن كاسترو بكل الميزات كرجل –على كل كفره وضلاله ومصائبه- إذا أردنا أن نقارنه ومن كان معه، بالميزات التي تحلى بها هذا الكافر المجرم الذي ذبح المسلمين بصورة عجيبة ماوتسي تونج= نجد أن كاسترو لا يشكل سوى تلميذ بجانب شيخ عبقري، في علومه العسكرية واستنباطاته الاجتماعية وتنظيره للحرب، ومعظم ما ذكره تكتيكات عسكرية.

وكان لدى ماو مكتبة ضخمة، طورها حتى أصبحت مكتبة وطنية، فلما استلم الحكم كان فيها ٦ملايين كتاب، حتى تعلموا تقدير الناس، لما استلم الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر في الأندلس الحُكْم عن أبيه عبد الرحمن الناصر –الذي أنشأ جامع قرطبة وكان من كبار الخلفاء الذين وحدوا إسبانيا إلى نصف فرنسا، حتى يئس النصارى من القتال في عهده- فلما مات عبد الرحمن ترك لولده ٦ آلاف ألف دينار ذهبا نقدا في الخزانة، غير ما ترك، فتولى الحَكَم المسألة فأنشأ جامعة قرطبة وأنشأ أكبر مكتبة في تاريخ أوروبا كلها وكان خليفة عالما قرب العلماء والشعراء والكتاب، وكان مثالا للخليفة والحاكم المثقف، ولذلك ما تزال إسبانيا بعد حرق كل الذي حُرق من المخطوطات= أكبر ترسانة للمخطوطات الإسلامية في العالم أجمع، في مكتبة الاسكوريال قرب مدريد فقط ٥٠ ألف مخطوطة عربية، لم يُحقق منها إلا مئات!

الشاهد كان ماوتسي تونج نموذجا من هذه العقليات التي تقرأ وتكتب.

كان ماو يقول في كتبه: من أهم الأساتذة الذين تعلمت منهم حروب العصابات عبد الكريم الخطابي في المغرب، قرأتُ ذلك في كتاب "٦ مقالات عسكرية لماوتسي تونج"، والدول التي لا يزال فيها مراكز ثقافية صينية يمكن أن يُرجع إليها ويؤخذ كتب لماوتسي تونج مترجمة للعربية، فإن عثرتم عليها فهي جيدة.

قال: [**تستطيع القوى الثورية قهر الجيوس النظامية، هذا هو الدرس الذي قدمته الصين**].

لأنها دولة شعبية زراعية ليس فيها صناعة، وقهرت تحالف من اليابان الدولة الصناعية الأولى مع الحكومة العميلة التي كانت برئاسة تشانغ كاي تشيك، والتي في الآخر خرج وذهب لتايوان لما خسر المعركة، ثم ورثت هذه الحكومة بعدما سقطت اليابان، هذه طبيعة الحرب التي صارت.

[**وبالأصح يمكن للقوى الثورية أن تصبح جيوشاً، محولة بذلك حرب العصابات إلى حرب حركة، حيث تكون لها الأفضلية على الجيوش النظامية المثقلة بالأسلحة الحديثة.**

كيف يمكن لأمة غير صناعية أن تقهر أمة صناعية؟ هذه هي المعضلة التي فرضت على ماوتسي تونغ كما قال كاتزنباخ، معاون وزير الخارجية السابق. ويبقى الجواب واحداً لكل الثورات: إنه حرب العصابات.

ويرى كاتزنباخ، أن، ماو قد حل المعضلة، بتطبيق النظرية العامة للحرب على حالته الخاصة. لكنه بدّل مكان شارة التشديد التي توضع عادة على العناصر الرئيسية، فالأمم الصناعية تشدد على العناصر المحسوسة: الأسلحة، الشؤون الإدارية، عدد الجنود، في حين شدد ماو على العناصر غير المحسوسة: الزمن والمجال (ساحة الأرض) **والإدارة.**

ولم يكن لديه التسليح الضروري لمواجهة الجيوش المجهزة جيداً، فتجنب المعركة متخلياً عن الأرض.

ويقول كاتزنباخ: بعمله هذا قايض المجال بالزمن، واستعمل الزمن لخلق الإرادة : القدرة النفسية للشعب الصيني لمقاومة الهزيمة].

كان الشعب الصيني خانعا جدا، وتعرض لحرب الأفيون، شعب ليس مقاتلا وليس فيه ميزات، فأخذ ماو يستعمل طول الحرب وطول المعركة لخلق إرادة القتال عندهم، قال: [**القدرة النفسية للشعب الصيني لمقاومة الهزيمة. ذلك هو جوهر حرب العصابات**].

الملاحظة ٨٨: السؤال الذي يجب أن نستفيد من الجواب عليه وهو: كيف تقاتل أمم غير صناعية أمما صناعية؟

الملاحظة ٨٩: انتبه لدراسة تحليلية عسكرية ستأتي، هذا لأن الغرب يعتمد هذه الاعتمادات العسكرية.

لماذا الغرب يعتمد على هذه الاعتمادات العسكرية، وماوتسي تونج اعتمد على قضايا كلها معنوية وليست مادية؟ أقول: والله أعلم لأن الغرب أصلا فلسفة مادية، عقلية مادية، دين مادي، تراث مادي، كل شيء مادي، فتصوره عن الحرب مادي، كتل من التكنولوجيا، وكتل من البشر، وكتل من الأجهزة الإدارية، وهذا عكس الشرق بكل أديانه وحضاراته، الشرق حضاراته روحانية مادية فلسفية، الهند الصين كل الأديان الكافرة هناك والمعوجة والشركية كلها ليست أديانا مادية، بل هي أديان مغرقة في الروحانية، حتى على حساب المنطق المشروع لبشرية البشر، الإسلام حصل فيه توازن مادي روحي فلسفي.

فالغرب كحضارة مادية يستخدم تكتيكا حربيا ماديا.

الملاحظة ٩٠ لما يقول: وذلك هو جوهر حرب العصابات، نلخص فنقول: جوهر حرب العصابات في التكتيك العسكري هذا سنأتي عليه، وقد مر جوهره في كوبا على صعيد التكتيك السياسي والإعلامي، والآن سنقرأ تكتيكات عسكرية لحرب العصابات.

الذي مر معنا أن المقاتل داعية وينشر ثورة، هنا سننظر إلى المقاتل في حرب العصابات بصفته ثعلبا، يناور عسكريا بهذا الأسلوب.

[ويقول كاتزنباخ: (ومع أن ماو لم يعبّر عن نظريته بهذا الشكل، **فإن نظريته الأصلية هي أن التعبئة السياسية، يمكن أن تحل محل التعبئة الصناعية، للوصول إلى نتيجة عسكرية ظافرة.** وبتعبير آخر، إن الذين يقبلون الهزيمة، هم وحدهم يمكن أن يُقهروا. **وبالتالي، إذا أمكن جعل السكان بأكملهم يرفضون فكرة الاستسلام، فإن هذه المقاومة يمكن أن تتحول إلى حرب استنزاف ظافرة حتماً)**].

هذا كنا نقوله للإخوان المسلمين، ويجب أن نقوله للجماعات الإسلامية القاعدة، أن (الذين يقبلون الهزيمة، هم وحدهم يمكن أن يُقهروا)، لأنهم امتلكوا قابلية الهزيمة، هذا تحدث عنه غفر الله لنا وله ورحمه الله مالك بن نبي وأسس على أساسه نظرية هامة جدا في علم الاجتماع في مجتمعات المسلمين، قال: أن ورق الشجر لا يسقط بفعل الريح، الريح تقوم بالعمل الأخير، ورق الشجر سقط لأنه اصفر وذبل وصار متعرضا للسقوط، ولو لم تأت ريح= لسقط وحده. ثم استنبط من هذا فقال: وهذا ما أسميه "قابلية الاستعمار".

مالك بن نبي تقريبا هذه نظريته في كل كتاباته يدور حولها، مع أن عنده مصائب، على الهامش عنده أفكار سياسية ومصائب كارثية من الناحية الشرعية، ولكن ألفت النظر إلى شيء صحيح عنده، "قابلية الاستعمار" الشعوب الإسلامية لم تُستعمر لأن المستعمرين أقوياء، بل الشعوب الإسلامية ضعُفت وذبلت ونخرت ومرضت حتى لو لم يستعمرها الغرب لاستعمرتها أي أمة موجودة.

فالإخوان المسلمون والسلفيون والصوفيون وكل هذه الحركات التي قُمعت وملئت بها السجون وقُهرت، لم يفعل فيها هذا لأن حكوماتنا فقط ديكتاتورية ومستعدة لأن تفعل هذا الفعل، فُعل بها هذا لأنها دخلت تحت طائلة هذه القاعدة: (الذين يقبلون الهزيمة، هم وحدهم يمكن أن يُقهروا)، لما تقرأ عن اعتقال ١٧ ألف رجل في ليلة واحدة من قبل عبد الناصر، ويفتخر كاتب من الإخوان المسلمين يقول: علمت أنهم آتون لاعتقالي فحرصت على أن أتواجد في البيت، حتى لا يؤذوا الجيران ويعبثوا بأثاث المنزل!! هو هذا ثمنه، هو حدد ثمنه أساس المنزل.

وقلت مرة في شرح كتاب "التجربة السورية": لو أراد إنسان منا أن يحشر ١٧ ألف عنزة قرناء في مجموعة من الاصطبلات وأقول له عندك ليلة، جيب مجموعة من الرعاة واحشر ١٧ ألف عنزة وخروف، أنا متأكد أنه لن يصبح الصباح إلا وهناك عدد من القتلى والجرحى من الناس الذين سيحاولون حشر هذا العنز كله في اصطبل، لا يمكن لهم أن يحشروهم بدون ثمن، ولكن أرتال بشرية عجيبة قالوا لهم: موتوا فماتوا، ادخلوا فدخلوا، هذا اسمه "قابلية الهزيمة".

نحن نتكلم عن هذا، ليس لأن هؤلاء ناس يجب أن نتكلم فيهم، بل لأنهم أخزوا بصورتهم الإسلام والمسلمين، فيجب أن يُذكر هذا الخزي على كل أشكاله: الصوفية والسلفية المدعاة أو الإخوان أو غيره، كلها مسميات جميلة: إخوان مسلمون اسم جميل جدا، سلفية سلف اسم جميل جدا، صوفية وأخلاق وسلوك على محمل من المحامل اسم جميل جدا، لكن كل هذه الأسماء تحولت إلى نكبات في الدين والدنيا.

لماذا نعالج هذه القضية؟ نعالجها لأننا نريد أن نتكلم مع أمة، فنحيي الأمة أُميتت فيها كثير من إمكانيات النصر، وزُرعت فيها كثير من قابلية الهزيمة وقابلية الاستعمار، فنريد أن نقول لها: القابلين بالهزيمة فقط هم الذين يُهزمون، مفهوم؟

قال: (**إذا أمكن جعل السكان بأكملهم يرفضون فكرة الاستسلام، فإن هذه المقاومة يمكن أن تتحول إلى حرب استنزاف ظافرة حتماً**) وهذا ما يجب أن نفعله، إذا أمكن تحويل السكان بأكملهم، ولكن أنا رأيت كلمة (بأكملهم) ليست صحيحة وليست لازمة ولا تحصل أصلا، إذا أمكن تحويل المسلمين بأغلبهم لأن يرفضوا فكرة الاستسلام، الآن نحن لا نتكلم عن تحويل المسلمين بأغلبهم إلى عقائد صحيحة، هذا لم يحدث ولن يحدث، ولا عن تحويل المسلمين بأغلبهم إلى نخبة نوعية في الإيمان التي نرجوها لأنفسنا، نحن نريد أن نحمل غالب المسلمين إلى رفض فكرة الاستسلام، هذا ممكن.

(**فإن هذه المقاومة يمكن أن تتحول إلى حرب استنزاف ظافرة حتماً**)= نعم، لو تحول غالب المسلمين وكما حصل في العصور القديمة مع الصليبيين ومع التتار لما تحول غالب المسلمين إلى المقاومة الإيجابية وتركوا المساهمة السلبية التي كانوا عليها أيام الغزو والذي سبب الغزو، فعند ذلك يمكن أن يحصل نصر ونقول حتما بإذن الله، ولكنها شروط إذا حققوها بإذن الله= أخذوا النتيجة بإذن الله.

يقول: [**إن هذا كله يقودنا إلى تذكر قول ماو المشهور: (إننا بتعبئتنا لكل شعب الوطن، نخلق بحراً بشرياً واسعاً سيغرق العدو فيه)**].

هذا من الحكم التي يجب أن يلتقطها المسلم، عندنا أمم من المسلمين في هذه المعركة، ونقول: إننا بتعبئتنا لعموم وغالبية جماهير المسلمين، يمكن أن نخلق بحرا بشريا سيغرق العدو فيه، خطوط الإمداد بين الغرب والشرق طويلة جدا، برا وبحرا وجوا طويلة جدا، وإمكانيات المرتدين والمنافقين ستنهار حتما إذا أحسنا اختيار مفتاح الصراع في قتالنا مع اليهود والنصارى، سيخرج الطرفان من المعركة حتما، سنبقى في مواجهة اليهود والنصارى والتكنولوجيا الخاصة بهم، إذا أدخلنا هذا العدو مهما كان في بحر من المسلمين

فإنه سيغرق حتما، وبالمقابل أقول: إذا أدخلناهم في مواجهة مراكب صغيرة تحمل نخبة من الجهاديين فسيخنقونهم حتما، والله أعلم.

نحن أمامنا أسباب، عندما يتكلم القرآن (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) ليس هناك أي تناقض بين الآية وبين هذا الكلام، لأن أهل الإيمان وأهل الجهاد بمجموعهم دائما وعلى مر التاريخ كله أهل قلة في مواجهة الكثرة، ولما قال الله تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) فأكثر الناس كافرون، ولما الرسول عليه الصلاة والسلام تكلم أنه: "يدخل آدم من ذريته من ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وبكى الصحابة، قال إنما أنتم مثل الشامة البيضاء في الثور الأسود"، وتكلم عن هؤلاء الصين وهؤلاء الناس قال معنى كلامه ولقد جاء الله بيأجوج ومأجوج لا يدخلون في شيء إلا كثروه، فمنهم سيخرج الرقم الكبير، وقال في الحديث: "يأتي النبي ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد، ويأتي النبي ومعه الرهط من الناس، ويأتي النبي صلى الله عليه وسلم وقد سد سواد أمته الأفق"، ولما كلمهم قال أن الحوض مسيرة كذا وكذا وهو .. من الزحام، لأن هذه الأمة ونخبتها والمجاهدين والمؤمنين فيها كثر وليسوا قلة، ولكن إلى المجموع العام (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين).

فإذا جئت إلى أهل الحق في كل قوم، في المسلمين أنفسهم هم أهل قلة، أهل بدر قلة، جماعة طالوت قلة، هذه القلة هي القلة النخبوية التي على يدها تم التغيير، وهي تقود مركب الحق، فعموم أهل الإسلام لكل البشرية قلة، وعموم أهل حقائق الإيمان إلى أهل الإسلام قلة، وعموم المجاهدين في سبيل الله وحملة الحق في أهل الإيمان قلة، وعموم أهل الإحسان لأهل الإيمان قلة.

هذا موضوع نؤمن به ونعلم أنه إذا جاءت القلة= فستنصر من الله سبحانه وتعالى، ولكن هذا أمر، وأمر أننا نحشد جماهير المسلمن ليكونوا خط حرب كبير خلف القلة حتى نحقق توازن مع الكثرة البشرية للعدو، لما نحشد المسلمين في مواجهة الأمريكان واليهود لن يُسلح كل المسلمين ولن يخرج للجهاد كل المسلمين، وسيكون غالب المسلمين ناكصين قاعدين عن الجهاد، ولكن ايش؟ يدعون للنخبة، يقفون

معهم، يحمونهم، يمدونهم، يشكلون موجا وبحرا لهم، عند ذلك (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة)، وهذه النخبة التي ستقاتل هي قلة.

ولكن إخبار الرسول عليه الصلاة والسلام بأن أهل الحق قلة هي هذا أمر لأهل الحق بأن يكونوا قلة؟!

هناك أمر بأن يكونوا كثرة، أنت مؤمر بأن تكون كثرة ومخبر بأنك ستكون قلة، مأمور بأن تكون كثرة مأمور بأن تدعو الناس مأمور بأن تحشد الناس، وهنا يزول التناقض بين أننا نريد النخبة ونحاول جمع السواد الأعظم من المسلمين.

السواد الأعظم من المسلمين رغم أنه السواد الأعظم وصف الرسول عليه الصلاة والسلام أنهم لا يجتمعون على باطل، الأمة لا تجتمع كلها على ضلالة إن لم يبق فيها ناس هؤلاء هم النخبة، الذين يردون الباقين إلى الصواب، خرج أحمد بن حنبل فحفظ الله به مذهب أهل السنة كله، مش قلة ولا نخبة، بل رجل، والحقيقة للإنصاف لم يكن أحمد بن حنبل وحده، كان هناك أسماء لامعة لكن خبا ضوؤها بجانب اسم أحمد بن حنبل، ولكن حتى الفتنة الكبرى لأحمد بن حنبل لم تنتهِ إلا على يد رجل مغمور سبحان الله لما قرأت في "السير" كان يشار إليه: شيخ من أضنة، حتى لم يرد اسمه.

أريد أن نقف وقفة قليلة في موضوع النخبة والكثرة:

أحمد بن حنبل كان نخبة، أعراب المسلمين لم يكونوا نخبة، ولكن سأسوق لك ثلاثة أمثلة من سيرة أحمد بن حنبل حتى ترى العلاقة بين النخبة وسواد المسلمين الذين يجب أن نحشرهم في هذه المعركة، وهذا رأيناه في بلاد الشام بين النخبة وبين الرجل الذي حكينا عنه البارحة، وهو من جنود السلطة ردني عن الصلاة حتى لا يُقتل الشباب.

في السير أن أبا علي الأنباري وهو من علماء المسلمين روى فقال: لما سمعت أن أحمد بن حنبل حمل إلى القاضي ليعرض على المأمون، عبرت الفرات إليه، فقال: يا أبا علي تعنيت يعني تعبت حتى جئت، قلت: ما هذا بعناء! ثم قلت: يا هذا إنك تأتي هذا الرجل ليطلبوا منك كذا وكذا، فلا تجبهم إلى ما أرادوا، فإنك

إن لم يقتلك تمت، وإن أجبتهم أجاب بإجابتك خلق كثير، قال: فبكى أحمد وجعل يكفكف دموعه ويقول: ما شاء الله، ما شاء الله، أعد علي هذه الكلام، فأعدت إليه.

فهذا رجل لم يكن من الذين وقفوا في وجه المحنة، ولكنه من السواد الذي أيد وساعد، هذا عالم آتيك برجل آخر، قال أحمد بن حنبل: فلما حملوني جاءني رجل يمشي في سواد فتبينته إذا هو أعرابي، فقال لي: يا أحمد إنما هي ضربة بالسيف هكذا ثم تدخل الجنة هكذا، قال: فما ثبتني مثل قوله، فسألت عنه، فإذا هو فلان رجل من الأعراب يصنع الحُصُر ويُذكر بخير، فهذا من السواد الأعظم، ولكنه يذكر بخير، سأحكي لك عن رجل يُذكر بسوء:

قال: فلما دخلت السجن أرسل إلي فلان العيّار —واحد حرامي قاطع طريق- فقال: يا أحمد لقد ضُربت ألف حد في المعصية، وفي رواية: ألف سوط، لأنه ألف حد شغلة كبيرة ٥٠ ألف سوط! فما يضيرك أن تُضرب في طاعة الله، وإنما هو الأول والثاني تعدها ثم لا تشعر، قال: فثبتني قوله وقوى من عزيمتي.

الشاهد، هناك نخبة، ولكن هل كل هؤلاء عرابيد مناكيد ما في أمة؟! لأ، بدءا من أبي علي الأنباري إلى هذا الذي ضرب ألف مرة في المعصية، كلهم شاركوا في التثبيت، فلما جاءه أخوه —أخو أحمد بن حنبل- يرده قال له: تعال معي، قال أخوه: فكشف الستار فرأيت سوادا من الناس كلهم قد أخذ الورق والقلم يريد قول أحمد، قال: أأنجو بنفسي وأضل هؤلاء، قال أخوه: فآيست منه.

فالشاهد كان هناك سواد أعظم يريد الحق، وكان هناك علماء تابعوا الدعوة وتابعوا حمل الإسلام وكان هناك رواة حديث وكان هناك كذا، ولكن أريد أن نصفع هذه الوجوه التعيسة من علماء المسلمين الذين يقفون مع المرتدين بأن أحد كبار علماء الحديث لعله ابن معين، أجابهم إلى قولهم تُقية، فلما خرج أحمد كان لا يكلمه وقاطعه، قال ابن معين: طرقت عليه الباب أكثر من مرة فما رد علي السلام، فلما عجز منه جاءه لحظة الوفاة ولا يستطيع الكلام، فسلم عليه فأشاح الإمام أحمد بوجهه عنه، فقال: أما قال الله

تعالى (إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان)، فلم ينظر إليه فخرج يبكي، فلما خرج قال أحمد: يقول أُكره ولم يُضرب في سبيل الله سوطا واحدا.

ايش ضُرب ابن عثيمين؟ وايش ضرب ابن باز؟ ضرب الله قلوبهم، وايش ضرب شيخ الأزهر؟ وايش ضرب النيلة هذا بتاع الشام البوطي؟ ايش ضرب شيوخ المغرب؟ ايش ضرب شيوخ السند والهند وكل الناس؟ ايش ضُربوا في سبيل الله؟ ما ضربوا في سبيل الله.

طيب، لعلهم كانوا شياطين خرس؟ ما كانوا شياطين خرس، ولا سكتوا عن الحق، إنهم أبواق للباطل، ولكن السواد الأعظم من المسلمين يبقى رصيدا للنخبة، ويجب ونحن نقاتل أمما أن نزج بهذا الرصيد الأعظم في مواجهتهم ولن يقاتل في النهاية إلا النخبة، وسيتحقق لهم قول الله سبحانه وتعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة)، حتى في آخر الزمان لما يقول الله لعيسى: "حرّز عبادي إلى الطور" يعني اجتمعوا في الطور، الطور كم حجمه؟ كم بني آدم يسع؟ والطور هو جبل الزيتون في بيت المقدس على أصح الروايات، وليس طور سيناء.

النخبة التي تقاتل كما قال أخونا الطائفة الظاهرة على الحق قلة من الناس في كل مكان متناثرين، ولكن هل هذا يعني بأن لا نجمع الناس؟ مأمورون بأن نبقى قلة؟ مأمورون بأن نبقى طائفة؟ نحن مأمورون بأن نظل نجمع سواد المسلمين، ولكن نحن مخبرون بأنه لن يجتمع لنا إلا النخبة ولا يقاتل معنا إلا النخبة.

يحصر الدجال أهل الشام حصارا شديدا، حتى يجهدهم، تقول الروايات: "حتى يكون رأس الثور أحب إلى أحدهم من كذا وكذا دينار"، من قلة الطعام، فلما يجهدهم البلاء يجتمع بعضهم ويقولون: ما لنا لا نخرج إلى هذا الرجل، فنقاتل فإما نهلك وإما نستريح. فشوف الكلمة ونحن محتاجون جدا لأحاديث الملاحم حتى نستقرئ قتال آخر الزمان هذا. قال: "فيتبايعون بيعة يعلم الله فيها من قلوبهم الصدق فينزل عليهم عيسى". امتى نزل عيسى؟ لما العالم اجتمعت، انحصرت، قلة، جاهدت، ثم قرروا يحلوا المشكلة. "وبيده الحربة التي يقتل بها الجدال.." إلخ.

الشاهد أننا يجب أن نفهم فهما تاما العلاقة بين النخبة والسواد الأعظم من المسلمين، لن يكون أهل حقائق الإيمان إلا نخبة، وأهل حقائق الأخلاق إلا نخبة، بل لن يكون عبّاد المجاهدين وخيار الشهداء إلا نخبة داخل هذه النخبة، كم واحد في المجاهدين الآن أخلاقه وعبادته مثل صلة بن أشيم؟! التابعي الذي استشهد قريبا منا هنا في كابل، فهؤلاء نخبة النخبة، ثم النخبة، ثم السواد الأعظم من المسلمين: نخبة البشر ونخبة أهل الأرض، "ألا ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة، نصف أهل الجنة، إني أطمع أن تكونوا ثلثي أهل الجنة"، فهؤلاء المسلمون يجب أن يُزج بهم.

عندما أقول هذه حكمة، ولكن عندنا في تراثنا كثير يجب أن نحفظه ونفهمه قبل وإلى جانب هذه الحكمة التي نقرأها، الله المستعان.

مع أنها جاءت خاطرة على هامش الكلام، نكون أزلنا شيئا من الإشكال الذي يمكن أن يخرج في موضوع توجيه الخطاب إلى عموم سواد المسلمين.

يقول: (**ذا أمكن جعل السكان بأكملهم يرفضون فكرة الاستسلام، فإن هذه المقاومة يمكن أن تتحول إلى حرب استنزاف ظافرة حتماً**).

وفي قوله: (**إننا بتعبئتنا لكل شعب الوطن، نخلق بحراً بشرياً واسعاً سيغرق العدو فيه**).

مع أنه مو ممكن يغرق في الشعب الكويتي، ولو دخل كله في المعركة، ولكن الشعب الكويتي ليس هو سواد المسلمين، في الشعب الكويتي ما نسأل الله المستعان، حتى من مسلميهم وصالحيهم وأهل الحركة الإسلامية فيهم، إلا من رحم ربي وهم قليل، لا يزال تسمع هذا استشهد في البوسنة من الإخوة الكويتيين، فإن من أعظم الفرية غيبة القوم، هو ليس ختما نختم به كل من دخل في هذه الحظيرة، ولكن برمته أمة تواطئت على الاستعمار، رحبت بالأمريكان، وقيل أن بعض النساء ذهبوا وكشفوا عن صدورهن حتى يوقّع

الجنود الأمريكان لهن على صدورهن اتوجراف، ولك أن تتصور، ورُفعت أعلام الكويت وعليها صور مارلين مونرو، والناس سموا أسماءهم ببوش إلخ، هذا موجود ولكن هل هذه أمة الإسلام؟

خرج رجل في مجلة "السياسة الكويتية" يقول: ولماذا ندخل في نظام مقاطعة الجامعة العربية؟ وماذا فعل لنا اليهود حتى نقاطعهم؟ لقد كانوا معنا في معركتنا، حتى الإخوان المسلمون حتى القطان حتى كل الناس، مواقفهم مقطرة من ألعن ما يكون، أصبح الولاء والبراء، رجل فر من لندن قال لي: أريد أن أربي أولادي على الإسلام وتعاقد في الكويت وهو خبير كبير في البترول، ثم رجل، قال لي: رأيت أن الإسلام في لندن أكثر من الكويت، قلت له: يا رجل انظر ما تقول، قال لي: تدخل إلى المساجد الناس تصلي معك خمسة أوقات، فإذا خرجت إلى الشارع فالولاء والبراء بينك وبينهم هو هذا العقال الأسود فوق رؤوسهم وموقف بلدك من حرب الكويت مش أنت، الرجل ليبي، أنت ليبي: إذا عليك اللعنة إلى يوم الدين.

هذا شعب نسأل الله عز وجل أن يهديهم، ومن لم ينصلح منهم أن يزجه في النار، ولكن هؤلاء ليسوا الأمة وليسوا السواد الأعظم من الأمة.

[**يقول كاتزنباخ: عن عامل الزمن:**

(يعتبر ماو أن النجاح العسكري ينبع من التحويل السياسي، لكن علينا الانتباه إلى أن التحويل يتطلب زمناً).

(وتتألف مشكلته العسكرية إذن من تنظيم المجال حتى يكسب الزمن، وكانت المشكلة السياسية تنظيم الزمن لخلق الإرادة، وأوضحت هذه الميزة شعاراً لقبول التضحيات وأعلى درجات البسالة في القدرة على تحمل الآلام بجذل].

يعني كان سلاح ماو إطالة المعركة، لاحظ العلاقة عندنا: مجال وزمن وإرادة، يريد أن ينظم المجال وهو ساحة المعركة حتى يكسب الزمن، يعني يمد المعركة أطول زمن ممكن، ثم يريد أن ينظم الزمن حتى يخلق

الإرادة عند ناس ليس عندهم إرادة، بدل ما عنده تكنولوجيا جنود القضايا المادية، يريد أن ينظم المجال حتى يكسب الزمن، ثم ينظم الزمن حتى يخلق الإرادة.

وتحول هذا شعارا لقبول سلسلة الآلام والعذابات، لأن إطالة المعركة ما هي شغلة لعبة، المستعمر تكنولوجي سيقوم بعمليات إبادة، وأنت تقول: مخططي أنا أن أطيل المعركة، وهدف العدو حسم المعركة.

مفهومة هذه النقطة؟ لأنها ستلزمنا في نفس السياق في تحريك الأمة، كون مساحتها قريبة من مساحة الصين وأكثر، وأعدادها قريبة من أعداد الصين وأكثر، وعدوها تكنولوجي صناعي مثل العدو الذي كانت تقاتله الصين بهذا الأسلوب.

يقول:

[**ولم تكن المشكلة العسكرية الحقيقية عند ما أن ينهي الحرب بأقصى سرعة ممكنة –وذلك ما يجذب أنظار المفكرين الغربيين قبل أي شيء آخر– بل كانت مشكلته على العكس كيف يؤمن استمرار الحرب). فلقد كان المقصود إذن تجنب الحسم العسكري، ولتحقيق ذلك: اضرب وتملص، قاتل لتبقى حياً، تراجع أمام تقدم عدو مصمم، وأطبق عليه من خلفه كالبحر**].

يعني لا تشتبك اشتباكا حاسما أبدا، الهدف أن تبقى فقط على المقاومة لا أن تنتصر لا جزئيا ولا كليا في هذه المرحلة.

تراجع أمام تقدم عدو مصمم: ٩٦٠ ألف جندي نزلوا في حرب الخليج لا يمكن أن تأخذهم بالصدمة، نعم الحسم النهائي حسم بالصدمة كما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام، جيش لجيش، ولكن ذلك بعد سلسلة طويلة من تهيئة الناس لحروب طويلة.

وأطبق عليه من خلفه كالبحر: وبالمناسبة هذا التكتيك تجده في فلسفة الصين ومناطق شرق آسيا حتى في رياضات الصين، أخونا يعرف هذه القضية سمعت أنه يلعب كونغ فو، ويسر الله له أن يلعب الجودو في مرحلة من المراحل، الجودو فيها كذا وستين حركة أساسية، كلها تعتمد مبدأ واحدا: أنك صغير الحجم قليل الوزن، لا يمكن أن تحمل الخصم، ولكن إذا اندفع في اتجاهك، فخرجت من أمامه، ثم دفعته في نفس اتجاه تقدمه= فإنه سيسقط على رأسه، وكل الجودو يقوم على هذا المبدأ، والآن يكلمنا عليه في حرب العصابات.

هو جاء فتسمح له أن يمر، تركله فيعطيك ظهره، فممكن أن تخنقه ساعتها، أو أنك تتحول إلى صخرة صغيرة ثابتة أمامه، فيدوس عليك، فتنهض أثناء تقدمه، فينقلب على قفاه، فالتكتيك كله يقوم على: تسخير قوة الخصم ووزن الخصم وعضلات الخصم ضد الخصم، وليس كالمصارعة الحرة: مواجهة عضلات الخصم بعضلاته، عندك عضلات؟ خلاص لا تحتاج هذا الفن، واجه الخصم بقوتك، أما إذا أنت عادي وجاءك عدو ساحق= فهذا التكتيك هو المطبق بكل الرياضات اليابانية والشرقية الآتية من هذه المناطق، وهو نفس تكتيك حرب العصابات هذا، وهو استخدام كتلة الخصم في نحر الخصم.

نرجع إلى مجموعة من التعليقات السريعة:

أقول هنا: عامل الزمن والصبر والدأب والإصرار وطول النفس والأمل بالله سبحانه وتعالى قبل ذلك، والتفاؤل والقناعة بإمكانية النصر والتهيؤ لدفع الثمن= عوامل أساسية جدا في الانتصار في هذا النوع من الحروب -أقصد حروب المستضعفين-، وفي كل الحروب.

هذا كله استنبطناه من تسخير عامل الزمن، فأقول: عامل الزمن والصبر والدأب والإصرار وطول النفس والأمل بالله سبحانه وتعالى قبل ذلك والتفاؤل، قائد يتبسم على طول الخط رغم الخسائر، لا انكسر ولا ضعُف.

والقناعة بإمكانية النصر: القناعة بأنك مهزوم تهدك في أحسن الانتصارات، وجدت كتابا كان أحد الإخوة يقرأه اسمه "الذكاء والقيم المعنوية في الحرب" لجنرال عسكري فرنسي، فيه من العبر من معارك هذا

الرجل في الحرب العالمية الثانية، هو تجربة شخصية لا حروب ولا شيء، فقط يعطيك عِبرا فيصمد الإنسان في المعركة، وتكلم كلاما رائعا جدا عن: تسبب القناعة بالهزيمة في الهزيمة، إذا اقتنع القائد بأنه مهزوم خلاص تنسحق القطعات العسكرية، وإذا اقتنع بأنه منصور غالبا يخرج بدون خسائر كبيرة.

والتهيؤ لدفع الثمن: مش مجانا، (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)، ما ترك لهم شيئا ثم لم يحرمهم شيئا (لهم الجنة)، ما ترك لهم شيئا، ما حرمهم شيئا.

تعليق على الفقرة ٩٥: لما تكلم عن عامل الزمن، كانت مشكلته الأساسية أن يطيل زمن المعركة، أقرأ عليك هنا خواطر سريعة، ستلزمنا في أبحاث أخرى إن شاء الله تعالى:

*هذه الآلية الاستراتيجية في التفكير تلزمنا: إطالة زمن المعركة مع الغرب ومع اليهود.

*الصبر والاستعداد لنفس طويل لأن لدينا ضرائب متراكمة منذ مئات السنين، وفي عشرات السنين الأخيرة خصوصا، وفي العقد الأخير على وجه الخصوص.

لدينا تخلف وضياع ونكوص طويل عن الأخذ بدفع ثمن هذا الدين طويل جدا مئات السنين، ثم خلفه قهر استعماري وغزو فكري استشراقي، حصدوا ثمرته بعد ١٩٩٠، الثمرة التي حُفظت لكل المستشرقين وصانعي الخيام والمنصرين والتعب الذي تعبوه، والطرق الصوفية والخزعبلات وإماتة قلوب الناس= كله حُصدت ثمرته أن دخل نصف مليون جندي، فلم تُطلق طلقة مقاومة واحدة!! فهذا "نصر بلا حرب".

*ولذلك يجب أن تكون الحلول لدينا، متفهمين أن معركتنا ستشغل - تطول والله أعلم، وهذا قابل للأخذ والعطاء، مجرد فكرة كنت أثبتها حتى نتحاور فيها-، أن معركتنا ستشغل والله أعلم النصف الأول من القرن الواحد والعشرين.

كتب نيكسون صاحب كتاب "نصر بلا حرب" أنه يجب أن يكون القرن أمريكيا، والآن بدأ بدايات أمريكية، يريد أنه لن يكون أوروبيا ولا صينيا ولا شرقيا ولا بشريا ولا إنسانيا، سيكون بنظره قرنا أمريكيا، القرن لن يكون أمريكيا، أتصور كتحليل سياسي وعسكري أن النصف الأول من القرن الواحد والعشرين

حتى نصل لمرحلة الهجوم المعاكس الكاسح في ظني والله أعلم سيحتاج لنحو عشر سنين حتى نحدث التحول الفكري المطلوب في بنية وعقلية وآلية النخبة الموجهة للجهاد في العالم الإسلامي، وما هذه الدورة إلا بداية محاولة، أن نحدث تحولا نوعيا في أسلوب التفكير، نحتاج عشر سنوات حتى يصبح رأيا عاما عند الجهاديين.

وسنحتاج إلى عشر سنوات أخرى حتى تهضم جماهير المسلمين وشعوب المسلمين هذه الوجبة الفكرية والعقدية الدينية الشرعية والنفسية، وتتحرك مع النخبة.

هذا إذا أحسنت النخبة نظرية دينية شرعية عقدية صحيحة، في أسلوب أممي وجماهيري شعبي، الآن هي صحيحة ولكن تفتقر إلى البعد الثاني، فنحتاج إلى عشر سنوات إذا استطاعت النخبة أن تصوغ هذه النظرية، واستطاعت زج الأمة في الحرب.

في حين ستكون السنوات التي تليها، يعني بعد عشرين سنة والله أعلم مسارح عمليات واشتباكات كبرى بين بؤر الجهاد والمقاومة في طول وعرض العالم الإسلامي، حيث تكون إدراة الحرب لا مركزية حتما.

لن يكون هناك إدارة مركزية للحروب في تركستان والمغرب، لن يكون.

وستكون العمليات ثلاثة أنواع:

١- عمليات للأفراد تحت شعار (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك).

٢- وعمليات للفئام والرهط من الناس.

٣- وعمل تحت قيادة جماعات وإمارات مركزية منظمة كبيرة.. مثل الجماعات الجهادية الكبرى، الجماعات الإسلامية، القبائل، الأقوام.

ثلاثة أنواع من المقاومة، ويمكن أن يكون لدينا كتل بحسب ظروفها وطبيعتها وطبيعة بلادها، أتصور والله أعلم أن هذا سينشئ انهيارا وتفككا لبنية الدول السياسية، قبل أن نسحق الخصم ستسقط الأنظمة التي

أقامها الغرب في بلاد المسلمين، وربما في بعض دول العالم الثالث أيضا ستسقط أنظمة، بسبب شغلنا نحن، كما سيرافق هذا التفكك لعموم الدول القومية في أوروبا -وهذا بدأت ملامحه منذ الآن- وربما أمريكا، وسيعود العالم الغربي إلى نظام الإمارات والإقطاعيات الصغيرة، الموحد جملة في نظام الوحدة الأوروبية، وهذا هو عودة الإمبراطورية الرومانية.

الآن ينادون بتفكيك فرنسا إلى خمس دول، تفكيك إسبانيا إلى خمس دول، تفكيك إيطاليا إلى أربع دول، ولكن يقولون: نقبل الوحدة في إطار الوحدة الأوروبية كأوروبيين روم، ولكن لا نقبلها بحكومة مركزية في مدريد، وايش اللي ربطنا في مدريد؟ وايش اللي ربطنا في باريس؟

فإذا ضُرب العالم الغربي ضربات موجعة= سيسرع هذا في تفكيكهم بهذه الصورة، كلهم داخل نظام وحدة أوروبية وغربية، أي: عودة للإمبراطورية الرومانية، يقولون الآن: ممكن أن تكون روما عاصمة لنا، وهي عاصمة دينية، ونختار عواصم: عاصمة فكرية، عاصمة فنية، عاصمة سياسية، عاصمة اقتصادية لندن باريس بروكسل إلخ، ولكن العاصمة الدينية مقترحة وهي روما.

مدعومة بأمريكا، الخط الرومي مدعوم بأمريكا، لكن أتوقع أن أمريكا ستزول وستخرج من المعركة في البوادر الأولى، وستتتابع المعركة بين المسلمين وأوروبا وليس بين المسلمين وأمريكا، وهذا له دواعٍ كثيرة، لأن أمريكا حضارة انتفشت بشكل اسفنجي سريع جدا ليس لها مقومات، دواعي التفكك الداخلي فيها، والصراعات الداخلية، ثم بعدها وراء المحيط عن ساحة العمليات، فإذا حصل ضربات حقيقية في منطقتنا أو في أمريكا= فسينهار النظام العسكري فيها، وعند ذلك سيتحول النظام الدولي.

نتابع فقط هذه الصورة والفكرة الخيالية للمسألة لننقاشها، ونتعود فكرة من التصور المستقبلي لتخطيط العمليات الخاصة بنا.

يقول: وستنهار أنظمة الاقتصاد والنظم المركزية وستلغى العملات المحلية، لأنه لم يعد هناك مرجعية لضبطها فتسقط، وستقوم تجمعات مسلحة مختلفة، بدءا من عصابات النهب والسلب وقطع الطريق

والحرامية، إلى الكتل العميلة بقايا الجيوش وبقايا الأحزاب العلمانية، إلى التجمعات الدينية المذهبية والعلمانية والعرقية، التي يمكن أن يستغلها الخصم لصالحه.

مثل البربرية: كتل بشرية قطعوا معها مسافة في الفرانكفونية فيسلحونها في مواجهة العروبة والإسلام في شمال أفريقيا، فهذا ممكن بعد أن ينهار النظام الدولي وتنهار الدول، ولكن لن نكون وحدنا بل سيكون هناك تجمعات كثيرة جدا مسلحة وبقايا جيوش وأقليات إلخ.

أقول: قد يحقق بعض المسلمين وأمراؤهم انتصارات مركزية في مناطق ما تتحول إلى إمارات إسلامية أو شبه دول في أماكن معينة، بشكل مبعثر، وتقوم فيها الشريعة والسلطة إذا تمكنوا في تلك المناطق، وتبدأ تتشكل نويات على نموذج دول الأتابكة أو الأيوبيين في مرحلة نهاية الصليبيين، لأن المسلمين قاوموا الصليبيين ١٧٠ سنة حتى ظهرت أول دولة للمسلمين تقاتل بصفة جيش ودولة.

ويمكن أن يظهر أكثر من صلاح الدين في أكثر من مكان، وعندها ندخل في مرحلة التوازن مع الخصم، لننتقل إلى الهجوم المعاكس المنظم في ظل مشاركة المسلمين عموما في الهجمة، منظمين كدول وإمارات وعصابات كجماهير مسلمين يعملون ضد الخصم، وتبدأ عملية نهوض الأمة ثانية في تصوري، والله أعلم.

هذا تصور تحليلي واستقرائي ممكن في ظل المعطيات الحالية، وهو قابل للنقاش والتطوير، وعلينا في كل ذلك أن نعد قوى من الآن منضبطة منهجيا ودينيا، ومتآلفة بنيويا فيما بينها، ومعدة نفسيا ومؤهلة إداريا، وهذا مهم جدا الإدارة من أجل إدارة مرحلة الفوضى، والتمهيد للتحول التاريخي الأخير.

أعتقد أن هذا هو التحول التاريخي الأخير ثم تنتهي المشكلة، فهذا الصراع بين المسلمين والنصارى هو الذي سيكون الفصل الأخير حسب الاستقراء الذي عندنا.

إذا لابد أن نعرض كل هذه المسرحية الخيالية حتى أقنعكم من أنه لابد من عامل الزمن، أنا التحقت بالمنظمة المسلحة للجهاد في سورية في رجب ١٤٠٠ وكل تصوري أن المعركة إلى رمضان ٣ أشهر فقط!

هيك تصورنا هنخرج يا إما نسقط الدولة يا إما نستشهد، هنقيم دولة إسلامية في ٣ أشهر!! كان عندي ٢١ سنة، فلما طلعت للأردن رأيت أن القضية ستأخذ سنتين حتى نحرر سورية ونقيم الدولة الإسلامية، هذا كان في سنة ١٩٨١، ثم لما أتينا إلى أفغانستان والشيخ عبد الله عزام قلنا: قيام الدولة الإسلامية ثم زحف نحو بكين ثم زحف نحو موسكو ثم زحف نحو ما أدري ايش، ثم جاء النظام العالمي الدولي الجديد.

أمامنا الآن استعداد نفسي للتفكير، عندنا نصف قرن، ممكن أن نلحق بتربية أبنائنا وجزء من أبناء أبنائنا حتى نؤهلهم بهذه الخبرات التي تراكمت عندنا، لابد أن نكتب لابد أن نقرأ لابد أن نعطيهم تصورات، على كل الأصعدة العسكرية والسياسية وكل الخبرات تسجل، في الوقت الذي ينادي فيه بعض العقلاء عندنا: لا تكتبوا لا تقرأوا لا تحاضروا لا تتكلموا بهذه الأمور، لأن هناك بعض الإخوة من الذين رضعوا حليب ابن عثيمين يرفضون الجهاد، فالمشكلة ليست مشكلة خمسين واحد.

في أمة يجب أن تعي المسألة حتى تُجيش، لأن نظرية التجييش ونظرية الحشد تقوم على هذا الفهم، وأنا مقتنع تماما بحسن نوايا الإخوة الذين يقولون: ترفق به، أنا أقول ترفق به، خذ ما تريد شهر شهرين ثلاثة أربعة على مستوى عقله وفهمه، ولكن هذا لا يعني أن أوقف حالة الفهم العام في الأمة كلها، حتى تسير على فهم هذا الرجل المكبوس قاعد تحت الجذر التكعيبي لهيئة كبار العلماء، وقل مثل ذلك في الدول الأخرى.

الآن عندنا معركة ستأخذ نصف القرن القادم، القرن القادم لم يبدأ بعد، بقي له ثلاث سنوات، ثلاث سنوات فقط سنأكل فيها ضربات قياما وقعودا وعلى جنوبنا، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: "تطارد اليهود فلول المسلمين إلى مشارف المدينة"، في سحق للمسلمين في بلاد الشام سيطرد المسلمون إلى شمال المدينة، ولك أن تتصور القتلى والجرحى والصورة البوسنوية الآن حاضرة في ذهني عن بلاد الشام، نسأل الله العافية والستر على المسلمين، ثم قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "يوشك ألا يحمل إلى العراق درهم ولا دينار" حصار.. "تمنع الأعاجم مدها وصاعها" هؤلاء الأتراك، الكل مِسَكّر علينا، "ثم يوشك ألا يحمل إلى الشام دينار ولا مدى".. "تمنعه الروم"، "ثم يوشك ألا يحمل إلى مصر إردبها ولا دينارها".

سيُهدم المسجد الأقصى قريبا والله أعلم، الآن أُطلقت كل فقاعات التجارب وأثبتت أن الأمة ميتة لا حراك فيها، وأن الصالحين فيها يُقعِد بعضهم بعضا يقولون: لا تحكي ولا تطلع ولا تخرج ولا تقول والخروج والفتاوى وكذا، وجاءنا هؤلاء المجرمون من العلماء حتى يكملوا المصيبة، فعند ذلك إذا بدأ القرن الواحد والعشرون سيبدأ بمزيد من الضربات ومزيد من السحق، وكذلك سنة التاريخ ينهض جزء من الأمة، لا يرضى هذا السحق، دنياه كلها ذهبت يقول: على الأقل أعمل لآخرتي، فتولد طوائف الحق الأولى في ربوع مختلفة، وهذا تصوري لطبيعة الصراع.

ولذلك أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "يكثر الهرج. قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل القتل"، هذه صورة لا تبشر إلا بالقتل، الناس يقتل بعضهم بعضا، هل نحن اخترعناها؟ هل نحن سببناها؟ هل نحن ندعو إلى القتل؟ صورة حصلت، نريد فقط ألا نكون المقتولين، وإذا قُتلنا ألا نُقتل مجانا، ذكرت في كتاب "التجربة السورية" أن الحركات الإسلامية تخاف من سفك الدماء، فقلت: ستسفك كثير من الدماء، ولكن يجب أن تُسفك بمقابل، وليس دون مقابل.

نرجع إلى هذه القضية عامل الزمن، يقول:

[**ولقد صُممت جيداً معادلة التخلي عن المجال في سبيل الزمن، لكن ماو ذكر في (مختارات من كتاباته العسكرية) بأنه لا يمكن أن نكسب شيئاً، ما لم نستعمل الزمن لتحقيق نتائج سياسية، ولإيقاظ الوعي الثوري وإرادة الجماهير**].

لا أكسب شيئا إذا لم أقم بتعبئة الناس، وهذا تكلمنا فيه طويلا.

[**لا يقاتل الجيش الأحمر من أجل القتال، بل لإثارة الجماهير وتنظيمها ومساعدتها على إقامة السلطة السياسية الثورية، وبدون هذه الأهداف يفقد القتال كل معنى، كما يفقد الجيش الأحمر مبرر وجوده**].

مرة كنت أكلم الإخوة كيف نخاطب المسلمين، لا أقول لهم: قال ماو تسي تونج كذا فتعالوا نعمل كذا، ولا أخاطب المسلمين بقولي: إن المد الثوري كذا، هذا ليس خطابا للمسلمين، هذه آلية ندرسها حتى نفهمها، هذا النص الذي قرأته الآن أصيغه بهذه الطريقة للمسلمين:

نحن لا نمارس القتال من أجل القتال، بل هو جهاد شامل، وذلك من أجل تحريك وتنظيم جماهير المسلمين، ومساعدتهم على إقامة حكوماتها أو حكومتنا، بصفتها السياسية الشرعية، وبدون هذا الهدف العريض يتحول هذا الجهاد الشامل لا نقول دون معنى، ولكن يتحول إلى عمليات دفع صائل ذات معنى ومغزى كبير، وبشيء من الإدارة يمكن توظيف هذا الجهد.

يعني حتى لو لم يكن لنا هدف الدولة والسلطة المركزية لا نقول كما قال هو: يفقد كل معنى، بل يتحول لمعنى كبير وهو دفع الصائل، ولكن نقول: لا تؤدي للنتيجة والهدف الكبير الذي نريده، وسيكون الثمن الذي يدفعه المسلمون من المصائب كبيرا جدا، رغم شرعية هذه المحاولة، إذا كانت فقط لدفع مجموعة صوائل.

فهمت كيف نعيد نحن صياغة خطابنا وعباراتنا، مستفيدين من هذه الآلية؟

يتابع ويقول:

[**ويؤمن ماو بأن الحرب الثورية هي الجامعة التي يتعلم الثوار فيها**].

بقلب مجروح أقول: لا كل الجهاد الأفغاني ولا كل الجهاد السوري وظلت القواعد سنة وسنتين، وبعضنا قعد في أفغانستان ٢٠ سنة و١٤ سنة و١٥ سنة، وأقل واحد ٥ سنين ٦ سنين=

ولم تولد فكرة الجامعة في الجبهة والمعسكر، فكرة الجامعة التي تُدرس فيها أصول العقيدة، وأصول الدين وعلوم الحديث وعلوم القرآن، والفقه على المذاهب المعتبرة وعلوم الخلاف، وقراءة القرآن والتعبد والسلوك

والأدب، كل هذا ونعطي جزءا من الوقت للتدريب العسكري، وجزءا للمعارك حتى نكون كما وُصف الفاتحون الأوائل: كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار.

ايش قال هذا الرجل: (**ويؤمن ماو بأن الحرب الثورية هي الجامعة التي يتعلم الثوار فيها**)= هذه الجامعة هل سيعلم فيها الجيش الأحمر؟! بل هو يضع عينه على الشعب الصيني، الشعب الصيني أدخله كله الجامعة، ولذلك قام بالثورة العسكرية، ثم قام بعدها بالثورة الثقافية فمحى كل أثر لأي فكر آخر غير الفكر الشيوعي، محى الإسلام والكبير والصغير ولم يترك شيئا، لا أديان ولا أفكار ولا تبعيات ولا ارتباطات، ثم قام بالثورة الاقتصادية وقضى على كل النظام الاقتصادي وأدخل وسائل إنتاج جديدة، ثم قام بالثورة الزراعية.

فتجد التجربة فعلا أنت أمام جامعة، أمام كتاب طويل عريض تقول كيف تفكر في إقامة أمم من الحضيض كما هو حالنا، ولما تدرس تجربة هتلر، ولو كان عندنا وقت لدرست للشباب كتاب "كفاحي" بتاع هتلر، وكيف نهض رجل بأمة محطمة خرجت من الحرب العالمية الأولى مهزومة وعليها شروط مثل العراق الآن، فحولها لدولة عظمى، والآن أرى محاولة صدام للنهوض بالعراق مثل ألمانيا بعد الحرب العالمية والهزيمة الكبرى.

فهو يقول أنه يريد أن يحولها إلى جامعة وأن هذه الحرب ستولد دروسها ومبادئها الخاصة، الدروس لم تأت من قبل والمبادئ لم تأت من قبل، بل ولدتهما الحرب.

[**وإن هذه الحرب ستولد دروسها ومبادئها الخاصة:**

(–**ن طريقتنا الرئيسية أن نتعلم الحرب بخوضها**.]

مش يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ** لعلمت أنك في العبادة تلعبُ

كلهم جاءوا تعلموها وذهبوا، يأتون للجبهة يسمّعون البيتين ثم يرجعون على السعودية، كتب واحد منهم لعله سعد البريك ولا ما أدري مين: هيك زيارتي لأفغانستان، حدثني أخونا أبو عنتر لما كان الأخ المصري ينقل الإمدادات للجبهة قال: كان أحد العلماء منفعلا جدا في زيارته للجبهة، مش للجبهة يعني الخط الأول بل للمعسكرات، منفعل ويحدث والشجاعة إلى آخره، ثم اكتشف حركة طيار شيوعي بدأ قصفا على السيارة نفسها، بدأ يطاردهم في السيارة، قال: ما حسيت حصل انفجار ولا كان الشيخ تحت الكرسي، قال الشيخ: ايش هذا؟ قال له: بدأ الجد اللي كنت بتحكي عليه من شوية، قال: فأخذت السيارة يمينا وشمالا والقذائف تنزل يمينا وشمالا، وهذا الله أكبر يكبر يسبح وساعة يتشهد، حتى وصلنا وهو مصفر، فلما نزلنا وكنا قطعنا الحدود، سوى بدلته ودخل المضافة وألقى فيهم خطابا عن الغزوة العظيمة هذه، ولما رجع إلى الجزيرة سوى شريط عنها..!!

قال: (**إن طريقتنا الرئيسية أن نتعلم الحرب بخوضها، ويستطيع الذين لم تسنح لهم فرصة الذهاب للمدرسة أن يتعلموا الحرب بهذا الأسلوب، فالحرب الثورية مشروع جماهيري، وغالباً ما تفترض هذه الحرب التعلم لغرض الفعل، لكنها تتضمن الفعل لغرض التعلم، واستخلاص المعرفة من العمل. وهناك هوة بين المدني العادي وبين الجندي، لكنها ليست بعائق كالسور العظيم[٦]، إذ يمكن ردمها بسرعة. أما أسلوب الردم فهو المساهمة في الحرب الثورية**).

هو يقول أن الأصل أن الإنسان يتعلم لكي يفعل، ولكن في طريقتنا هذه هو يفعل من أجل أن يتعلم، وهذا الدرس جدير بأن نلقيه على العمل الإسلامي بطوله وعرضه، الناس حتى الصادقة تزعم أنها تتعلم تنظر تدرس تفتي تتفقه تكتب من أجل أن تعمل، هذا صحيح يأتي في الإعداد، صحيح نحن نعد (قبل)، ولكن أساسيات علمنا وتجاربنا وتطويرها وتطوير خطتنا يكون (بعد).

[٦] المقصود سور الصين العظيم.

[وهناك هوة بين المدني العادي وبين الجندي، لكنها ليست بعائق كالسور العظيم، إذ يمكن ردمها بسرعة. أما أسلوب الردم فهو المساهمة في الحرب الثورية].

ولذلك نحن نقول هناك فرق بين المسلم العادي المدني غير المجاهد، والرجل المجاهد العسكري الجنرال، ولكنها فجوة ليس مستحيلا ردمها، وردمها يكون بدخول الجهاد، وأولئك الذين لم يتسن لهم دخول المدارس ولم يتعلموا لا الدين ولا الدنيا= يمكن أن يدخلوا المعسكرات والجامعات وعن طريق حرب طويلة المدى كالتي أفكر فيها خمسين سنة، يمكن تخريج أجيال من العلماء، وأجيال من المختصين في فروع أخرى، وكلهم عسكريون وكلهم مجاهدون، وهذه كانت تربية الجيل الأول بهذه الطريقة.

نقف هنا والله المستعان، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلنا إلى قوله: (إن طريقتنا الرئيسية أن نتعلم الحرب بخوضها، ويستطيع الذين لم تسنح لهم فرصة الذهاب للمدرسة أن يتعلموا الحرب بهذا الأسلوب، فالحرب الثورية مشروع جماهيري، وغالباً ما تفترض هذه الحرب التعلم لغرض الفعل، لكنها تتضمن الفعل لغرض التعلم، واستخلاص المعرفة من العمل. وهناك هوة بين المدني العادي وبين الجندي، لكنها ليست بعائق كالسور العظيم[٧]، إذ يمكن ردمها بسرعة. أما أسلوب الردم فهو المساهمة في الحرب الثورية).

يتابع فيقول: [وأول واجبات ثوار العصابات هو التعبئة السياسية –رفع مستوى الوعي السياسي للشعب، ومساهمة الشعب الفعالة في النضال– وتتطلب طبيعة هذا الجهد فسحة من الزمن، وذلك ما يفسر طول أمد الحرب الثورية. ولكن أقوال ماو تكشف شيئاً آخر:

[٧] المقصود سور الصين العظيم.

(لا بد من الزمن، ليس فقط لتحقيق التعبئة السياسية، لكن أيضاً للسماح لنقاط ضعف العدو الداخلية بأن تتفاقم تحت تأثير توتر الحرب)].

هو يريد الزمن حتى يربي جماعته، ولكن يقول أيضا ليس فقط أن يربي جماعته، ولكن العدو بصفته مؤسسة صناعية أو بلدا صناعيا لا يمكن أن تظهر عيوبه فجأة من خلال حرب قصيرة تؤثر عليه، فلابد أن نعطي العدو فسحة طويلة من الوقت من خلال المعركة تتكشف عيوبه.

يقول: [**(لا بد من الزمن، ليس فقط لتحقيق التعبئة السياسية، لكن أيضاً للسماح لنقاط ضعف العدو الداخلية بأن تتفاقم تحت تأثير توتر الحرب)**.

ولقد قالها في عدة مناسبات، في كتاباته العسكرسة. ففي الحرب الصينية – اليابانية مثلاً، كانت اليابان قوة صناعية تمتلك ميزة ضخمة، بفضل آلتها الحربية القادرة على كيل ضربات مدمرة لقوات الصين، نصف الاقطاعية، نصف المستعمرة، وغير المصنعة، وإذا لم تكن هذه الميزة حاسمة بشكل مباشر، فإنها لم تعوَّض السلبيات، التي كان لا بد أن تنكشف خلال الحرب الطويلة].

بلد صناعي قوي استطاع تدمير الجيش المعادي له، ولكن البلد الآخر ميزته أنه بلد زراعي نصف إقطاعي نصف مصنع، ولاحظ وجه الشبه بحالتنا الآن.

[**وكانت اليابان تفتقر إلى الموارد الطبيعية، والملاكات لتعهد آلتها الحربية في الخارج، وفي بلد شاسع ومأهول، في خلال حقبة طويلة. ولقد شنت الحرب في الواقع لتلافي هذا العيب. ولكن الاجتياح أدى بالضرورة إلى تفاقم الحاجة إلى الموارد الأولية.**

في هذه الحالة، كانت الحرب عملاً يائساً، وتناقضاً وُضع المحراث فيه أمام الثيران. فماذا يحدث إذا لم تُربح تلك الحرب بسرعة، ولم تُمتص الثروات المكتسبة وتُستغل بلا تأخير؟]

يعني كان من مصلحة اليابان كما من مصلحة الغرب الآن حسم المعركة العسكرية معنا بسرعة، لأن تطويل المعركة يعبيء الخصم ويمكنه من تربية قواته وتربية الشعب على المقاومة الطويلة، وفي نفس الوقت تظهر عيوب المجتمع الصناعي كدول لا تستطيع خوض حرب طويلة، وهذا في الحرب العالمية يعني في الأربعينات، والآن أصبحت عيوب المجتمع الصناعي أكبر وضغوطه الداخلية أكثر على عدم تحمل حرب طويلة المدى.

ففي حالة مواجهة قوات صناعية بهذه الصورة، يكون إطالة أمد الحرب أحد أهداف العمل العسكري.

قال:

[**ومن باب الحاجة، كان على اليابان أن تبحث عن حسم سريع. وكان الحل الصيني يتضمن منعها من تحقيق هذا الحسم، وذلك بالتملص من كل مواجهة عسكرية، واللجوء إلى أساليب حرب العصابات، والعمل المتحرك، ومبادلة المجال الصيني الشاسع مقابل الزمن اللازم في البداية، لإعطاء نقاط ضعف اليابان الداخلية الفرصة للنمو تحت تأثير حرب طويلة، والضروري بعد ذلك لإعطاء المقاومة القدرة على التنظيم اللازمين لمواجهة آلة الحرب اليابانية المنهكة تدريجياً**].

الرجل قاعد يحسب حسابا استراتيجيا بفارق الميزان الشعبي والاقتصادي بينه وبين الخصم.

[وها هو تحليل ماو:

(لقد قادت اليابان الحرب تبعاً لعظم قدرتها العسكرية والاقتصادية، ولقوة تنظيمها السياسي، إلا أنها كانت في الوقت نفسه تملك إماكانات طبيعية غير كافية. وكانت هذه الدولة عظيمة من حيث الكيف، لكنها ضعيفة من حيث الكم. فاليابان بلد صغير نسبياً، ينقصه الرجال والموارد العسكرية، والمالية والمادية، ولا يستطيع تحمل حرب طويلة الأمد. لذا حاول مسؤولوها حل هذه الصعوبة بواسطة الحرب، فكان لا بد للنتيجة أن تكون بعكس رغباتها. أقصد أن جهدهم لحل الصعوبة قد فاقها، وانتهى بأن أنهك مواردهم الأصلية).

وظهرت عيوب أخرى:

أدت التناقضات الداخلية والخارجية للإمبريالية اليابانية، ليس للتورط في حرب مغامرة فحسب، بل إلى تقريب الانهيار النهائي أيضاً. ومن وجهة نظر النمو، لم تعد اليابان بلداً يتقدم، فالحرب لن تجلب الرخاء المقصود من طبقاتها الحاكمة، بل ستؤدي على العكس إلى انهيار الإمبريالية اليابانية. ذلك ما أردنا قوله بكلامنا عن الصفة الرجعية لحربها (اليابان). إن تلك الصفة الرجعية، المقرونة بالطبيعة الإقطاعية والعسكرتارية لتلك الإمبريالية، قد أعطتا الحرب همجيتها الخاصة. كل ذلك سيؤجج حتى الدرجة القصوى تناقضات الطبقات داخل اليابان، بين اليابان والصين ومعظم الدول الأخرى].

وهذا التناقض واضح الآن في الغرب، أنك عندما تدخل في حروب خارجية، لا سيما أمريكا، مباشرة الضغوط الداخلية تتفاقم ، نتحمل ولا ما نتحمل والمصروف والناس إلخ.

يقول:

[(... يمكن لليابان أن تلقى دعماً من البلدان الفاشية، لكن المعارضة العالمية التي ستصطدم بها ستكون أشد قوة من الدعم، وستتعاظم المعارضة تدريجياً وستنتهي ليس فقط بإلغاء هذا الدعم، بل ستصل أيضاً إلى اليابان نفسها.. وبالخلاصة، إن لدى اليابان ميزة القدرة على شن حرب كبرى، ولديها كذلك السلبيات التي تنجم عن الصفة الرجعية والهمجية للحرب التي تخوضها، ونقص الرجال والموارد الأولية، ولعدم اتساع سندها العالمي)].

في الوقت الذي كان يقاتل اليابان بعقليته على أرضه، كان قاعدا ليفكر في السياسة الخارجية وتأثيرها على علاقات اليابان في العالم الخارجي، وقد يتصور إنسان –وهذا لحد ما صحيح– أننا في قتالنا مع اليهود والصليبيين شيئا فشيئا يفقد هذا العامل أثره، لم نعد نفكر في قضية خارجية لأن العالم قد توحد وأصبح نظاما عالميا جديدا، وأصبحت كل الدول مع الغرب في هذه المعركة، هذا إلى حد ما صحيح، ولكن على التفصيل ليس صحيحا، لا يزال هناك تناقضات سياسية سنتعرض لها في دراسة إن شاء الله تعالى، ولا يزال هناك تطاحن في المصالح ضمن المجتمع الغربي والدول الغربية (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) هذه قاعدة دائمة.

ثم إذا أخذنا أوروبا والعالم الغربي إذا توحد في هذه المعركة، فلا تزال قوى رئيسية كبرى مثل الصين ومثل اليابان ومثل بعض دول شرق آسيا ومثل بعض الدول الأوروبية المحايدة الخارجة عن النظام الدولي، لا تزال نقطة تأثير عالمي على هذا الوضع، ولا تزال الدول الموصوفة بعدم الانحياز لها ثقل في الميزان الدولي، وكيف أن دولة ضعيفة مثل جنوب أفريقيا أصبحت تمثل وزنا في السياسة العالمية، جاء نيلسون مانديلا لزيارة ليبيا، ونددت الولايات المتحدة بالزيارة بسبب الحصار، فقال مانديلا ببلاغة أدبية عظيمة جدا بلغة إنجليزية يفهمها الإنجليز والأمريكان:

(إن أولئك الذين يعيبون علينا أن نزور بلدا صديقا وقف معنا خلال الحرب، في حين كانوا هم في المعسكر الآخر أناس لا أخلاق لهم)، وراح أعطاهم درسا في الأخلاق وبهدلة وفضيحة من أعظم ما

يكون، وأننا لسنا بلدا تابعا لأمريكا، حتى تحدد لنا أمريكا طبيعة علاقتنا وطبيعة صداقتنا ومع من يجب أن نكون.

وكان على الجرابيع من رؤساء وملوك بلادنا أن يتعلموا درسا من دولة تعتبر مصنفة في العالم الثاني، ليست من العالم الثالث ولا من العالم الأول.

إذا يجب أن يكون لنا لحركة المقاومة التي نتصور أن تقاوم اليهود والنصارى والحلف الغربي في منطقتنا سياسة خارجية أيضا، نحسب فيها حسابا للتوازن الدولي، وما هي طبيعة القوى التي يمكن أن تجعلها في صفك دوليا، محايدة أو مؤيدة؟ وما هي الشعوب التي يمكن أن يحدث فيها إشكالات وضغوط على مصالح الدول التي نحن في حالة حرب معها؟

يجب ألا نغسل يدنا بأننا الآن في نظام عالمي جديد وموحد ومركزي لصالح اليهود والصليبيين، أنه ليس هناك مجال مناورة في السياسة الخارجية أبدا، بل يجب أن يكون هناك علاقة بهذه الدول وتصورات ومكاتبات ومصالح تدفع أنت النظام الدولي كله لأن يكون العدو تحت ضغوط خارجية أثناء المعركة، وهذا ما يزال إلى الآن ممكنا.

قال:

[وقد كان للصين أثناء النزاع ميزة المجال والزمن والإرادة. وقد قال ماو بأن النضال الطويل للتحرير الوطني قد عرّك الشعب الصيني وقوّاه، وخلقت المكاسب الاجتماعية السياسية إرادة قادرة على تفجير أعظم التضحيات، والمقاومة لمدة طويلة من الزمن.

(وعلى العكس من اليابان، كانت الصين بلداً كبيراً ذا مساحة شاسعة، وموارد هائلة، وعدداً كبيراً من السكان، ووفرة في الجنود، وقادراً على خوض حرب طويلة جداً)].

هذه الميزات التي تكلم عنها في حربه مع اليابان موجودة كلها في الأمة الإسلامية.

[**لقد كانت ميزات الصين تتمثل في المجال للمناورة، والأعداد الوفيرة، والمساعدة العالمية الفعالة، والإرادة لمقاومة العدوان. وكانت هذه الميزات أيضاً السبب التي دفعت الصين للمراوغة إلى الابتعاد عن الحسم السريع، لصالح حرب طويلة تتضاءل فيها ميزات اليابان**].

هنا كتبت تعليقا طويلا لن أقرأه، ولكن سآخذ منه رؤوس أقلام فقط:

في قضية تعبئة الجماهير هناك لفتة يجب أن نتحدث فيها فيما بعد، وهي: الانتباه ونحن نقول أننا نأخذ من الكتاب والسنة، وأننا نتأسى بالرسول عليه الصلاة والسلام، أننا نأخذ مجمل معطيات الشريعة ومجمل الدين، ويجب أن ندرك الفوارق بين حالات أحكام معينة، وفي موضوع الجماهير على رأسها أن الرسل جميعا والرسول عليه الصلاة والسلام بُعثوا في كفار مشركين لا يقولون لا إله إلا الله، وأن هذه الحركة الجهادية الآن بُعثت في ناس هم على العموم وفي الأصل مسلمون ويقولون لا إله إلا الله، فهناك فارق جوهري إذا انطلقنا من هذين المنطلقين، في أننا ونحن نحمل عملية التصحيح وإعادة الدين لهذه الأمة والدفاع عنها= نأخذ كليات الشريعة من كل الدين، ولا نحصر أنفسنا بأن يقول إنسان: الرسول عليه الصلاة والسلام لما بُعث فعل كذا وكذا مع قريش.

لابد أن نعرف أن بعض الأحكام يتغير المناط كله كونه يتعامل مع مشركين أصليين من كوننا نتعامل مع مسلمين، فقط أردت أن ألفت النظر لهذه القضية بدون تفصيل.

الأمر الآخر: عندما نتأسى ونقول نحن نتبع السلف، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كلام صحيح ولكن لابد أن ننتبه إلى أن السلف الذين نأخذ أقولهم كانوا في ظروف يُحكم فيها بما أنزل الله وجيوش المسلمين تفتح البلاد وملوكهم جور وعصاة لكنهم ليسوا كفارا، وكانت المشكلة الأساسية أمام السلف بدعة المبتدع، وفسوق الفاسق، وعصيان العاصي، في حين أن المشكلة الأساسية أمامنا ليست

بدعة المبتدع وفسوق الفاسق وعصيان العاصي، وإنما اعتداء دول عظمى وصائل عظيم متحالف مع سلطة محلية مرتدة هي الخط الأول للحرب وهي الخط الأول للجند.

ثم يأخذ الإخوة بعض كلام قالوه السلف في ظروف كان المسلمون فيها أن هارون الرشيد يبعث كتابا إلى نقفور حاكم الروم يقول فيه: (من هارون الرشيد إلى نقفور كلب الروم، الجواب ما ترى لا ما تسمع)، حالة عزة للإسلام وعزة للمسلمين يريد بعض الإخوة أن يحملوا قيادتهم ويحملوا المسلمين ويطالبون الجماعات الإسلامية أن تقف مواقف العزيمة، في حين أننا ما زلنا أقرب إلى حالات الفئران التي تهرب من جبل لتختبيء ونطارد من مكان إلى آخر، أحكام العزيمة هذه لا يمكن أن نأخذ بها.

يقول لك: تفعل كذا وكذا وهارون الرشيد فعل كذا والإمام أحمد قال كذا، ويصرف النظر عن المناط الأساسي في حالات بعينها، فهناك أحكام استضعاف وأحكام قوة، وأحكام ممكنة وأحكام غير ممكنة، ونحن نعامل مسلمين والآخر كان يعامل مشركين، وعالم موجود في ظرف يُطبق فيه الشريعة، ونحن كذا، تغير كل هذه الأشياء تجعل الهامش مختلفا، ولكن تبقى الأصول التي نستند إليها في كل أعمالنا مستمدة من ايش؟ من كليات وأصول الشريعة، كل حلولنا نأخذها من الدين، ومن فعل الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن ننتبه إلى فارق المناطات بين حالة وحالة.

قد يقول لي إنسان مثل ايش؟ أضرب لك مثالا صادقا جدا ومؤلما جدا:

أن جريدة ونشرة "الأنصار" التي كنت أكتب فيها مع الإخوة في الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، فلما انحرف الوضع أنا توقفت بشدة وتعرضت لضغط شديد جدا لمتابعة الكتابة، وهذا الموضوع سأشرحه في تجربة الجزائر، ولكن أضرب لك مثالا أن أبا قتادة الذي تحول إلى فقيه لندن الهمام كتب في مجلة "الأنصار" بعد ذلك ما يلي:

قال: (وهكذا تهب علينا رياح السلف وأفعال السلف، بل فقه الصحابة وفعل الصحابة، فهذا شاب من الجماعة الإسلامية المسلحة جاء إلى بيته فوجد أن أمه وأباه قد زوجوا أخته من رجل يعمل مع الدولة، فنهاهم فلم ينتهوا، فقتل أباه ثم ثنى فقتل أمه، وهكذا يعيد إلى الأذهان ذلك الصحابي الجليل أبا عبيدة

الذي قتل أباه في المعركة، وقول عمر بن الخطاب: ادفع لي أخي حتى أقتله، وادفع لفلان أخاه حتى يقتله.. إلخ).

فلاحظ أنت القياس مع الفارق والفقه العقيم والشاذ والغلط، تأتي إلى مجتمع مثل المجتمع الجزائري وتأخذ بمثل هذه الأحكام، وتتحول المعركة من قتال فرنسا وقتال المرتدين إلى رجل جاء فقتل أباه وقتل أمه!! وحتى لا تقول أنني أتقول، ذهبت بنفسي له وهذا مثال فقط على الفقه، قلت له: أنت كتبت كذا كذا كذا، ولندن قامت ولم تقعد كيف يقتل أمه؟!!

حتى جاءني رجل وقال لي: لم يثبت في السيرة كلها أن رجلا قتل أمه الكافرة، بل ثبت العكس أن رجلا جاء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام قال: إن أمي تسبك فدعا لها عليه الصلاة والسلام، ثم قال له: إن أمي تسبك فدعا لها عليه الصلاة والسلام، ثم قال: إن أمي تسبك فدعا لها عليه الصلاة والسلام، ثم أسلمت.. في حين جاءه رجل فقال له: إن جاريتي تسبك فقتلتها، فأجازه.

فقضية الأم لها معاملة خاصة جدا في الإسلام، بل إن الذي قتل أباه ثبت في السيرة أن أباه هو الذي كان يطارده في المعركة فيفر منه، ثم لم يجد بدا من قتله، وهي معركة مفاصلة بين كفر مطلق وإيمان مطلق، والأب مقاتل في جيش العدو.

فقلت له: ايش تقول في هذا الكلام؟ قال لي: والله حمير -بالحرف والله شهيد على ما أقول- قال: هم أجبروني على كتابة هذا الكلام، قلت له: كيف أجبروك على كتابة هذا الكلام؟ قال بزعمه: من ثلاثة أسابيع بعد أن أرسلوا لنا الخبر وهم يقولون: هل نشرتم هذا الخبر؟ أقول: لا، فيقولون: انشروه الأسبوع القادم، يقصد هذا الذي كان يكلمه مين؟ مسئول العلاقات الخارجية الذي ظهر فيما بعد أنه مخابرات مندس في صفوف الجماعة المسلحة، يقول: يصر علي اكتبوا، يصر علي اكتبوا، يصر علي اكتبوا. قلت له: على فرض أنه هو الذي أصر عليك، وأنك كما تقول لست أنت الذي كتبت الخبر، ايش رأيك تصر بكرة فيك، وإلا كفرنا برب العالمين: اكتبوا، كتبتم؟ اكفروا برب العالمين. ايش تقول له؟!

واحد قاعد في آخر الجبل، ايش وجه الإلزام عليك الذي يحملك على هذا المنكر؟ ثم قلت له: ألا تتبين أنت إذا كان كلامك صحيحا، يقول لك: اكتب اكتب اكتب، هذا الإلحاح على خبر فرعي، أما يدلك أنهم يريدون أن يكتبوا شيئا حتى يحملوا الناس على أن تنفض عن الجماعة المسلحة؟! أليس واضحا أنه يريد أن يكتب كلاما تجعل كل الناس تشمئز من هذا الجهاد والمجاهدين؟

أريد أن أفهمكم أن هناك مناطات جعلت هذا الجهاد يتحول في الجزائر من جهاد فرنسا وجهاد المرتدين إلى جهاد المسلمين، حتى صار يُتفاخر برجل مجرم قتل أمه وقتل أباه، ثم يُقال ليس فعل السلف وفقه السلف، بل فقه الصحابة وفعل الصحابة!

قضية التعامل مع المسلمين وطريقة ان نحن ايش هي المناطات التي تحركنا فيها، فهو أي أبو قتادة أنكره، يعني أبو قتادة أنكره وقال: خطأ ولست أنا صاحب الخبر، وليس المجال هذا هو كتبه ولا هو كذا، المهم أنه مرره بإشرافه وصاغه وقدم له!

الشاهد هناك فرق بين تعبئة الجماهير، والتعبئة ضد الجماهير، ولا أريد أن أقرأ كل الذي كتبته لأنه طويل، ولكن عندما نقول سنعبئ مسلمين في وجه الصائل: في هذا فرق كبير جدا أننا سنصول على المسلمين، بالإضافة إلى صيال الدولة والأجانب عليهم.

الزمن اللازم لإنهاك العدو، ولا يبدو الإنهاك إلا بعد بدء الانتفاضة، فيجب أن تبدأ انتفاضة ثم تعمد إلى تطويرها.

طيب الأب زوج بنته، ماشي قُتل لأنه ولي أمرها.. ايش دور الأم المسكينة في الزواج؟! ثم لا تستطيع أم أن تمنع زواج بنتها إذا الأب زوجها.

حتى كان واحد من الإخوة في لندن المؤيدين لهم الأخ -يعرفه معظمكم- جزائري، بعدين سمعت أنه توقف وما أدري ايش صار فيه، ناقشته بنفسي وهو يقول لي: الآن مشكلتنا ليست مع "زروال"، والله بالحرف في بيت الشيخ أبو الوليد الفلسطيني، وأبو الوليد جالس يسمع، يقول: الآن بيننا وبين زروال هناك

القطبية وعدّد كل الجماعات الإسلامية، قال: هؤلاء كلهم بيننا وبين زروال، يجب أن نصفيهم جميعا حتى لا يبقى في المعركة إلا نحن وزروال!! عند ذلك تصفو الراية قتال إيمان مع كفر!

فقلت له: يا ابني كلامك هذا من الناحية العسكرية والسياسية يعني أنك تقتل التبليغ، والتبليغ يقتل التحرير، والتحرير يقتل الإخوان، والإخوان يقتلون القطبيين، والقطبيون يقتلون الآخرين، حتى في الآخر لا يبقى من المسلمين إلا شخصين من جهتكم يبصق عليهم زروال فيموتوا، قال لي: وليكن.

قلت له: بدل ما تضرب لي خمسين ضربة على الطاولة، هذا الكلام الرسول عليه الصلاة والسلام صاغه أوجز منك بكثير قال: "يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل القرآن"، وأبو الوليد قاعد يسمع وهذا واحد من تلاميذه وطلابه.

الشاهد في الموضوع أن هذه العقلية وهذه كرة الثلج التي تدفقت جعلت المعركة ضد المسلمين، وإذا كنا سنفكر بهذه العقلية أعوذ بالله، خلاص على الدنيا السلام، أننا بجانب أكداس العدو وأرتال المحتلين= وضعنا أكداس من عندنا صاروا يذبحون المسلمين.

يقول في الملاحظة: التملص من المواجهة، لأن العدو هو القادر على الحسم، هذا واضح.

الملاحظة السادسة: لاحظ حسن فهم نقاط ضعف العدو وطبيعة المعركة.

الملاحظة السابعة: الأخذ في الحسبان الضغوط الضغوط الدولية وتأجيجها في وجه الخصم، وهذا هامش ضعُف الآن لتوحد النظام الدولي في وجهنا، ولكن ما يزال هامش المناورة موجودا.

الملاحظة الثامنة: قضية أن طول المعركة عرك الشعب الصيني.

أقول: وهذه ميزة للأمة الإسلامية، أن الجهاد وطول المقاومة ستعرف هذه الأمة وستخرجها من حالة الموات، إلى حالة إخراج أبطالها وبطولاتها وقصصها مرة أخرى، إذا لم تطل المعركة فلن تخرج القصص، ولاحظ كل البلاد التي حصل فيها جهاد سورية الجزائر، والله حكى لي أخ قال لي كانت أمه فاتحة البيت مطعما لقيادات المجاهدين، حتى حكى لي كان يتغدى عندهم القاري سعيد رحمه الله اللي كان هنا، وكانت

قيادة الجماعة المسلحة كلها عند امرأة عجوز، وقلت لك حكاية المرأة التي قذفت نفسها من الطابق الرابع عندنا في بلادنا.

كان نظام المخابئ عندنا في البلد أن تأتي إلى رجل فتقنعه أن تعمل عندك خلية، فهو يضع مجموعة من المجاهدين في بيته يستتروا أن في عائلة، فإذا كُشفت القاعدة تدمرت القاعدة على من فيها هم، فكان أحيانا يأخذون أخا فيزوجونه من أخت ويفتحون بيتا حتى يكون قاعدة في المدينة يختبيء عنده الناس، فحكى لي رجل قال لي: كان في أحد الإخوة من شدة طاعته وقتاله جاء له صاحب البيت قال له: يا ابني أنا معجب فيك جدا، أريد أن أزوجك بنتي، وهو يعرف أن كل يوم والتاني ميت واحد، مقتول واحد من الإخوة، قال له: أنا مش فاضي أتزوج الآن ولا شيء احنا مختبئين فترة، قال له: لا والله ستتزوج بنتي، جيبوا واحد منكم كاتب واتنين شهود وأخذ البنت من عنده فزوجه، وضمها للقاعدة، فأعطاه غرفة، وقال له: خلاص أنت هنا.

هذه الطاقات لم يكن من الممكن أن تنفجر لولا أن حصل جهاد، فهو لما يقول أن القتال عرك الشعب الصيني، أقول: طول فترة الجهاد المقترحة لقتال الصليبيين واليهود وحلف المرتدين معهم هي التي ستعرك الأمة وستخرج هذه العينات.

في الملاحظة: لاحظ طبيعة الشبه في طبيعة المعركة بيننا وبين الغرب كما كان بين الصين واليابان.

يقول:

[**ولقد حددت المبادئ نفسها سمة الصراع ضد (أسياد الحرب) الكومنتانغ بعد ذلك. وعند تحليل ماو للموقف، لاحظ التناقضات والنزاعات على المصالح التي تتقدم على مختلف المستويات: مثل النزاعات بين القوى الإمبريالية الساعية إلى السيطرة على الصين، والنزاعات بين الطبقات الصينية الحاكمة، أو الموجودة بين هذه الطبقات وجموع الشعب**].

لاحظ أنت الآن الخلافات القائمة بين أوروبا وأمريكا هي محور فرنسا ومحور أمريكا، ثم بين أوروبا من ناحية وإنجلترا من ناحية، ثم بين محور ألمانيا- فرنسا الصناعي وباقي أوروبا، ثم بين الدول الداخلة في الناتو وغير الداخلة في الناتو ضمن أوروبا، ثم بين الأحزاب والمعارضات والضغوط الداخلية داخل كل دولة من هذه الدول، ثم بين أوروبا وأمريكا من جهة، واليابان والصين ومنطقة شرق آسيا من جهة أخرى، ثم وجود روسيا التي لم تتحلل سياسيا على الموقف الدولي إلى الآن.

هذه التناقضات لما أنت تفهمها: تحيد، تضرب جهات، تترك جهات، تغازل جهات، فتعمل نوعا من السياسة الخارجية تحاور تكتيك قوة الخصم، دولة دولة وداخل الدولة نفسها، حتى إذا لم تكسب أنصارا لك، تكون فتت قوة الخصم وجعلته عاجزا عن متابعة لمعركة.

يقول:

]

١. أن النزاع بين (أسياد الحرب) والحكومة الوطنية يزيد من عبء الضرائب.

٢. إن زيادة الضرائب تجبر ملاك الأراضي على نهب مبالغ أشد كبراً من الفلاحين، فتزيد من حقدهم ضد هؤلاء.

٣. إن تخلف الصناعة الصينية بالنسبة إلى الأجنبية والامتيازات الأجنبية في الصين تسبب استغلالاً بشعاً لليد العالمة الصينية وتغرس أسفيناً بين الشغيلة والبورجوازية.

٤. بسبب تدفق السلع الأجنبية، ونقصان القوة الشرائية التي تملكها الجماهير العمالية والفلاحية، وازدياد الضرائب، يتزايد عدد المفلسين من صناع السلع الصينية وبائعيها. ولأن الحكومة الرجعية قد زادت عدد جيوشها إلى حد بعيد، ووسعت الحرب باستمرار، رغم فقدان المؤن والأموال، فإن جموع الجنود تتعرض إلى حرمانات دائمة. وبسبب زيادة الضرائب والإيجارات والفوائد المطلوبة من قبل ملاك الأراضي نتيجة ويلات الحرب، يسيطر الجوع واللصوصية في كل مكان، وتجد الجماهير الفلاحية وفقراء المدن صعوبة في الحفاظ على البقاء. وتفتقر المدارس

للمال ويخشى كثير من الطلبة من انقطاع دراستهم، ونظراً لتخلف الإنتاج، فإن الكثير من حملة الشهادات لم يعد لهم أي أمل بالحصول على عمل].

وننبه هنا إلى أن معدل الجريمة رغم كل التطبيق المشوه لأحكام الشريعة في السعودية= ارتفع ارتفاعا هائلا جدا في السنتين الأخيرتين، على مستوى جرائم الاغتصاب والنهب والسلب وقطع الطريق والسرقات العادية، هذا كله نتيجة الفجوة التي نشأت بعد حرب الخليج، وانتقال السعودية من الدول الغنية إلى دولة تدفع ٣٠٠ مليون دولار ربا سنويا على قروضها من الولايات المتحدة.

كانت ميزانية السعودية وحدها في الخزينة الأمريكية في البنوك الأمريكية ٣٠٠ مليار دولار، لما أراد فهد أن يسحب منها قال له ريجن أن خزينة أمريكا لا تسمح بإعطائكم أموالكم! قال له: خزينتنا لا تسمح بسحب كميات كبيرة، فرصيد السعودية كله لم يستطيعوا تحريكه لما أرادوه، ولكن أمريكا تخلصت من كل هذا العبء، في حرب الخليج كلفت دول الخليج ومنها السعودية ٥٦٠ مليار دولار، فانتقل الميزان المالي بين الغرب وبين هذه الدول من ٣٠٠ مليار لك إلى ٢٦٠ مليار عليك، وأصبحوا يأخذون ربا على هذه القروض التي وضعت على السعودية.

حتى قال الأمريكان أن الكويت لا تستطيع أن توفي هذه الديون فيجب أن نبحث موضوع شراء آبار النفط، تخيل شراء، أو استئجارها لمدة مائة سنة!

هذا سبب انخفاض مستوى الرفاهية، الآن السعوديون ولله الحمد والفضل والمنة حتى يتجهوا لربهم ويتذكروا، كانوا في جدة في الصيف يصفون طوابير لأخذ الماء من صنابير الجمعية في جدة، وكان التيار الكهربائي ينقطع ثماني ساعات في اليوم، هذا الانهيار جعل الناس لا تتحمل، حتى صرت تجد سعوديا الآن يعمل سائقا، وظهر بعض المتسولين من حملة الجنسية السعودية، وقد كانوا لا يرتضون أن يقوموا بالأعمال العادية قبل ذلك.

هذا الانهيار الاقتصادي أصبح يشكل عبئا شديدا على الحكومة، وهذا سببه ايش؟ حالة الحرب التي أدخلتهم فيها حكومة عميلة لحكومة أجنبية خارجية، نفس الكلام، أشياء تتكرر بنفس العوامل فتأتي لك بنفس النتائج.

قال: [**وتجد الجماهير الفلاحية وفقراء المدن صعوبة في الحفاظ على البقاء. وتفتقر المدارس للمال ويخشى كثير من الطلبة من انقطاع دراستهم، ونظراً لتخلف الإنتاج، فإن الكثير من حملة الشهادات لم يعد لهم أي أمل بالحصول على عمل**].

لما تسمع هذا الكلام كأنك تقرأ عن المغرب، شيل كلمة الصين وقل المغرب، والآن:

[**بسبب تدفق السلع الأجنبية، ونقصان القوة الشرائية التي تملكها الجماهير العمالية والفلاحية، وازدياد الضرائب، يتزايد عدد المفلسين من صناع السلع** (المغربية) **وبائعيها**].

بس شيل كلمة صين حط مغرب، وشيل السلع الصينية وحط المغربية! نفس الشيء، وقل مثل ذلك على مصر، التي أصبحت مشكلة السكن فيها سببا أساسيا لمشكلة العنوسة فيها، حتى ضايقوا الإمام الشافعي في مقبرته رحمه الله، تحولت المقبرة إلى مجمع سكني، الناس سكنت القبور، تنبش القبور وتضع عليها سقوفا وتسكن، وهم ساكنيه ولا في طعام ولا في شيء والرجل يجامع أهله وأولاده وراء الخيمة! ومع كل ذلك تجد الدشوش فوق هذه المقابر..!!

نحن لما نتكلم في هذه الأمور، هذا خطاب شرعي وديني وتعبئة للناس، لأن الله سبحانه وتعالى أمر بالعدل والقسط، هذا حال لم يرتضه الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، فنقول لهم: كل الذي أنتم فيه تابع لغياب شرع الله، وتبع لأننا لا نُحكم بما أنزل الله، وتبع لوجود محتلين أجانب يشفطون البلد، وتبع للفراخ السمينة هذه التي شفطت الأول والآخر حتى يستوردوا مرض جنون البقر هذا الذي في بريطانيا، وهو مرض يسبب الوفاة القطعية تقريبا، ولكن على مدى ١٤ سنة من الإصابة، فُقد من بريطانيا ٤ آلاف رأس، فتتبعت بعض الصحف أين ذهبت هذه الأربعة آلاف، فوجدوا أنها بيعت لمصر وروسيا!

هذه مشكلة من صميم الخطاب الجهادي، أن الناس تأكل جراثيم، يُباع لهم جراثيم، الأدوية الفاسدة والمنتهية الصلاحية، كل هذا يجب أن ندخله في الخطاب الجهادي، فهمت النقلة النوعية التي نرمي إليها في طبيعة الخطاب؟ هذا يثري ويغني الخطاب ولا يخرجه عن شرعيته، هذا هو الكلام الذي أريد أن أقوله.

صحيح هناك جنس من الناس تقول له: ودفع الصائل وقال الإمام ابن تيمية لا أوجب بعد توحيد الله منه، وقال الحاوي في شرحه على الصاوي..إلخ، هذا تفهمه نخبة من الأمة فقط، ثم تأتي إلى باقي الأمة فتقول لهم: الله سبحانه وتعالى جعل لكم نصيبا في هذا المال ولكن الناس أخذوه فأنت حالك كذا وكذا وكذا إلخ، فهذا يفهمه عموم الأمة، ثم نقول له: وهذا البلاء لا يرفع عنك إلا بطاعة الله سبحانه وتعالى ورفع الصيال وإنزال هذه الدشوش وعودتك إلى الله سبحانه وتعالى، ثم تجاهد في صفوف مقاومة جهادية شعبية تريد أن تدفع هذا الصائل، فتربط الكل بالجزء، وتضع فلسفة تربط بين النخبة والعموم.

يتابع فيقول:

[**والنتيجة:**

(عندما نفهم كل هذه التناقضات، يمكن أن نرى أي موقف وأية فوضى كانت الصين فيها، كما يمكن أن نرى أيضاً أن المد ضد الإمبريالية وأسياد الحرب وملاك الأراضي، أمر حتمي وسيأتي عما قريب. إن أكوام الحطب الجاف منتشرة في الصين بأكملها، ولن تلبث هذه الأكوام، أن تلتهب. ويقول المثل: تكفي شرارة واحدة لإشعال حريق في الغابة. وذلك ينطبق تماماً على الموقف القائم. فيكفي أن نلاحظ الاضطرابات العمالية، وانتفاضات الفلاحين، وعصيانات الجنود، وتظاهرات الطلبة، لنفهم بأن هذه الشرارة ستأتي سريعاً لتشعل حريق الغابة)].

هذه نظريته في التعبئة، وهي نفس نظريتنا في التعبئة، الناس منكوبة في كل جزئيات دينها وفي كل جزئيات معاشها اليومي وفي كل جزئيات دمها، ويجب أن ندخل عليهم بأننا نريد أن نعيد القدس إلا كل

هذه الأمور دفعة واحدة، وأن هذا لا يكون إلا بأن تحمل السلاح وتمضي مع المجاهدين، فتدفع طبقات العدو طبقة وراء طبقة، حتى ترضي الله سبحانه وتعالى، فالميت يذهب إلى جنة أفضل من بيته هذا الذي في قبر الشافعي، والحي يحصل بيتا له ولأولاده أفضل من هذه الحال.

حدثني أخ من الجزائر –فرج الله عنه، موقوف في أوروبا الآن– قال لي: كنا نتناوب النوم ١٢ أخ، بعضنا في البيت اللي هو من الصفيح، وبعضنا في سيارة والدي وهو حمال، فالذي ينام في السيارة ويبرد يقوم في الليل ويوقظ الذي في الصفيح ينام فوق والآخر ينام تحت، في دولة من أكبر دول الأوبك يا جماعة، من أكبر الدول المصدرة للنفط والغاز، ينامون في السيارة ويُحشرون حشر السردين!!

هذه الحال بدها ثورة بطبيعة الحال وآلت إلى ثورة، في حين لما قُتل المجرم "قاصدي مرباح" اللي كان مسئول المخابرات في مرحلة هواري بومدين وما بعده، ايش في الأخبار قيل؟ قيل: قُتل وهو عائد من منتجعه الصيفي على ساحل المتوسط! هذا ابن الكلب من أين جاء له منتجع صيفي، والناس تنام في سيارات كالسردين، هو ضابط في الجيش كم راتبه؟ من أين جاءه المنتجع الصيفي؟!

الآن تنظر في كل مجتمعاتنا، التجار الضباط المرتبطون بالملك والآن دخل معهم خط العلماء وللأسف، كلهم في الفيلات، الآن في بلاد الشام العلماء لا يرضون بجمع تبرعات لبناء مسجد، في حلب مدينتنا جاءتني الأخبار من شهور، لا يرضون أن يجمعوا التبرعات لبناء مسجد أو لإعالة فقير أو لإعطاء أيتام إلا باشتراط ٣٠% على التبرعات!!

وتحدثني أهلي قالت: الآن انتهت الموضة أن الناس تدهن البيوت، ظهرت الزركشة والفسيفساء، وقالت لي: الشيخ الفلاني تعرفه؟ زوج ابنه فمد جدران البيت مخمل إنجليزي، مش دهان مخمل، مش البلاط مش الشبابيك، البيت جدرانه كلها مخمل، والناس تموت من الجوع.

فهذه الحالة التي وصفها هي عندنا أن أكوام الحطب في كل مكان، ويكفي شرارة حتى تشعل الغابة، فلابد أن نصنع هذه الشرارة، ونعبئ الناس في اتجاه صحيح، هذا الكلام قاله أبو ذر رضي الله عنه حتى في

عهد معاوية، أنه ما في عدالة في القسمة فأراد أن يعمل ثورة، وفي عهد حكومة صحابي، لأنه رآها حقا للناس.

التناقض الاجتماعي والطبقي ومصائب الفقر الآن شغلة عجيبة جدا، والظلم والقهر، هذه كلها مناطات جعلت أكوام الحطب تنتشر في كل مكان، فلا نريد أن نطيل كل واحد منكم يعرف ما جرى في بلده، والذي جاءنا من بلد بترولي لا يعيش أهله هذه المشكلة، قال لي أخ سعودي: والله أتذكر عندما نفتح المطبخ كان عندنا براد بأربعة أبواب وأربعة سحابات مصمم في المطبخ خصيصا، كان مصمم أن نضع فيه سحارات الفاكهة، سحارة موز سحارة مانجو سحارة تفاح سحارة برتقال، هذا لما تدخل البيت، المطبخ جدار أربعة أمتار، براد من الزجاج تفتح وتسحب، في نفس الوقت.

وفي نفس المدينة تنتشر كل بيوت الصفيح للقادمين من نيجيريا، والقادمين من تركيا، والقادمين من سوريا واليمن، يعيشون على بعد أمتار من هذه البيوت التي تعيش بهذه الصورة، لا يجدون ما يؤويهم، حتى أن السعوديين في جدة وما حولها تعودوا إذا أراد بعض الفسقة الفجرة أن يخطفوا الأطفال للاغتصاب والزنا واللواط= يذهبون إلى بيوت الصفيح هذه، حيث البنجلاديش والباكستان والنيجيريين والأفارقة، الذين إذا اغتصب عرض ابنه ولا بنته لا يستطيع أن يرفع دعوى لأنه ليس له أن يقف أمام القاضي بدون إقامة.

ونشرت المعارضة السعودية حالات كثيرة من هذا الشكل، حتى رجل باكستاني قال: ابني أُخذ فاغتصب وهو ماشي ليحفظ القرآن، ولد عمره ١٤ سنة كان حافظ ٢٠ جزء من القرآن، ونشرت هذه الوثيقة المعارضة السعودية، ثم وجد الولد مخنوقا في سيارة، حتى يزعموا أن الولد دخل سيارة فأغلقت عليه فاختنق، فلما طالب الوالد وأخذ ابنه من المشرحة وجد تقرير الطب الشرعي مكتوب فيه: أُغلق من الأمير، أمير منطقة الرياض سلمان.

هذه قضايا شرعية في صميم الخطاب الديني، وليس فقط الثورة من أجل تصحيح عقائد الناس، وهي جزء من المسألة.

فإذا كنت أنت بلد بترولي لابد أن تفكر إذا لم يكن أهلك وآباؤك لا يعيشون هذه المشاكل، فعلى مسافة قصيرة منك جموع المسلمين يعيشون خدما، بل تحت مستوى الخدم في تلك البلاد، بل إن السعوديين وأهل الإمارات الآن يفاضلون بين المسلم الذي يحمل لا إله إلا الله وبين الهندوسي لأنه قليل الأجر، فدخل الهندوس وصاروا واقفين على قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، ودخلوا الحرم لأن أجرهم أقل، والله رأيت بعيني وشممت بأنفي الحادثة التالية:

تشاجر إمام المسجد في مدينة برشلونة مع مدير المسجد الذي كان مرتبطا بالسعودية، قلت له: ايش المشكلة؟ قال لي: تعال أحكي لك المشكلة وتنظر بنفسك، فشممت رائحة خمر في المسجد، قلت له: ايش القصة؟ قال لي: انظر هؤلاء، جاءوا المسجد يعلنون إسلامهم، قال لي: تحكي إسباني؟ هو ما يحكي إسباني، قلت له: نعم، قال: اتفضل، قلت له: ليش تسلم؟ قال: نحن عشنا في السعودية ونريد أن نسلم، طيب ماذا تعرف عن الإسلام؟ لا يعرف شيئا، قال: أنا جئت بس عشان أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

نحن في برشلونة ومدير المركز من الإخوان المسلمين معين من رابطة العالم الإسلامي، وفيه تقوى فتشاجر مع الرجل، فقلت له: ايه القصة؟ فقال لي: يا أخي القصة ببساطة أن هناك شركة إسبانية تعمل في التنقيب عن النفط في الخُبَر انتقل مجال عملها إلى المدينة، فطلبت منهم السلطات في المدينة أن لا يشغلوا إلا مسلمين، فيريدون أن يحافظوا على عقود العمال، فنصحهم واحد فلسطيني مستشار للشركة هناك أن يبعثوا عمالهم للحصول على شهادات إسلام من إسبانيا، فرجّع من يريد أن يحصل على هذه القضية فيقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيأخذ شهادة بالإسلام وينزل إلى المدينة ليعمل!

اتفضل، مدير مركز محشش على مسلم سكران على شهادة لواحد كافر داخل على قبر الرسول عليه الصلاة والسلام! فهذا أنا بنفسي رأيته.

الشاهد في الموضوع: الدين يُباع والعرض يُباع وكل شيء يُباع، حكى لي واحد من الفسقة قال لي: كنا جالسين قبل أن نلتزم –أستغفر الله العظيم– وجالسة معنا إنسانة من الساقطات جاءت من شمال أفريقيا،

وكنا نحن نتحدث معها فظهر على شاشة التلفزيون الأمير عبد الله، فقالت المرأة: والله ما البلاء الذي أنا فيه إلا من هذا التعيس، أخذوني في ضيافة ملكية له لما كان يزور بلدنا، ثم بعد ذلك لم يجد أهلي مفرا إلا أن أرحل، فرحلتُ.. وهي تعمل في أوروبا في نفس المهنة!

فهذا كله خطاب ديني، وهذا كله أكوام من الحطب، ولا أريد أن أخرج عن الموضوع حتى أسرد لك مصائب العرض على مصائب الظلم على مصائب الجوع، ليحتفظ الواحد بأعصابه وقدرته على الكلام.

المهم أننا يجب أن نحدث هذه الشرارة، لأنه لم يعد عندنا ما نخسره، فضيلة الشيخ ابن عثيمين الجرام من عطر العود اللي بيتعطر به يطعمنا أربعة أشهر هنا في أفغانستان، بس العود اللي يضعه على ذيله حتى يغطي ريحة نتن من يؤاكله من السلاطين.

دخلت مرة إلى الحرم، ولم أكن أعرف أن هذا هو المنحوس، دخلت إلى الطابق العلوي فوجدت شيخا قاعدا ليحدث الناس، كان هذا في سنة ١٤٠٣، وكنت أزور أخا معتكفا وكنا في رمضان، بحثت عنه فوجدته، وأنا بحكي معه سمعت شيخا قاعدا هكذا وشكله كاريكاتير وبيحكي، فقلت أشوف ايش بيحكي، وأنا طول عمري الحمد لله ما شفت مشايخ ولا حبيتهم إلا بعض الناس اللي الله سبحانه وتعالى هدانا على أيديهم.

فقلت أسمع، فوجدت الشيخ بيبهدل في المسلمين اللي جاءوا من بنجلاديش وكذا: هؤلاء المبتدعة الضالون الذين جاءوا من أندونيسيا وكذا يأخذ أحدهم دفتر يقول: دعاء الشوط الثالث، دعاء الشوط الثاني، دعاء الشوط الخامس، هذه الأشواط ما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام أن فيها دعاء، وهذا من البدع، فقلت لصاحبي هذا: مين هذا السخيف اللي قاعد بيحدث هذا الدرس؟ قال لي: اسكت هشش هذا ابن عثيمين. قلت له: هذا ماسك المسلمين نازل بهدلة فيهم، وهم لا يعرفون البدع من الشوط من الخامس، أصلا هذا الكتاب اللي بيقرأوا فيه مكتوب على ظهره: طُبع في الرياض، طبعته مطابع الرياض حتى يتاجروا في الحجيج، فإذا هو شايفه شغلة مش جائزة يروح يتكلم مع طويل العمر، يقول له: خلاص يا طويل العمر يقول لك طويل البال أنه يجب أن تنهي هذه الأمور.

والله هذا الأندونيسي هذا قال لي واحد: يكون وارث عن أبوه أرض، يجوع أهله، يقول فقط أريد أن أبيعها حتى أجيب ثمن الحج، ثم يدخل في مكة فيُسلخ جلده من المطوف إلى الحكومة إلى الفيزا إلى الجوازات، حتى يتركوه مثل الفروز يرجع منتوف على الآخر، حتى أن كثيرا من الفقهاء قال: لا يجوز إيجار البيوت في مكة، مكة لم يكن على بيوتها أبواب، بل كان عليها سُتُر، حتى يدخل الحجاج والمعتمرون أين شاءوا ومتى شاءوا، صارت الآن تجارة، ثم يأتي هذا ترك المملكة وترك كل الطامة وكل القضية ما عنده مشكلة إلا أن الحجيج واقفين بالكتاب يقولون: اللهم اللهم.

فلما صليت التراويح وجدت أن الصف الأول أمام الكعبة كان من أكابر المجرمين من العلماء والأمراء، والله رأيتها بعيني ما تحملت حتى أتأكد أنه صحيح الذي رأيته وأنا واقف في الصلاة، بين الركعة والركعة في استراحة، يأتي رجل والله يمكن عمره ٨٠ سنة مسن ماسك كشاشة وقاعد بيكش على وجوه هؤلاء اللي بيصلوا التراويح، بيهوي لهم، لأنه ما يتحمل من ركعتين إلى ركعتين، وكل آية وآية الراجل خاشع في الصلاة بيظبط الغطرة وبيمسح البشت ويجهز حاله كأنه رايح عرس، ما كأنه واقف في التراويح!

فما هذا الإسلام الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، ما هذا هو الإسلام الذي قرأناه في الكتب، فهذا كله أكوام مكومة من الحطب في ربوع العالم الإسلامي، تحتاج شرارة حتى تنطلق وتشتعل، فيجب أن نجيش كل هؤلاء المسلمين في قضاياهم، عن طريق نخبة، وليس أن نجيش النخبة فوق ما تنيلوا بين فهد وبين ابن عثيمين وبين الأمريكان وبين اليهود، نجي نحن ننيلهم احنا ونعملهم مصيبة لأنهم ما يعبدوا الله كما نحب نحن.

طبعا غدا هيقول رجل: قال أبو مصعب هذا الكلام، وتمسخر على ابن عثيمين وغيره= لأنه درس الدين على ماوتسي تونج، هكذا ستسمعون!

كتب لي أبو قتادة هذا في "بين منهجين"، كتبوها الحمد لله، وراح مطلع لي أبو الخير بيان، المشكلة مش مشكلة أبو مصعب ولا أبو علي، المشكلة أنهم يريدون أن يقمعوا طريقة في التفكير وعقلية نحن نحتاجها حتى نخرج من هذه القضية، حتى نحتاجها حتى نستطيع أن نعيش الإسلام بكليته.

يقول:

[وفي نظريته عن حرب العصابات ضد الأعداء الداخلين والأجانب، يميز (ماو) بعناية عدة مراحل من النمو، ويشدد خاصة على الأولى منها والتي يسميها مرحلة (الدفاع الاستراتيجية)]:

الآن سيتكلم في تكتيكات عسكرية.

[قد تدوم هذه المرحلة عدة أشهر، وليس للأرض في البداية أي أهمية، والاستنزاف هو كل شيء. لذا يُسمح للعدو بأن ينتشر كما يشاء، بل يشجع على ذلك].

الحمد لله جاءتنا الـ (FBI) وفتح مخفرا للشرطة في القاهرة، مع أن الاف بي آي شرطة محلية، يعني لو جاءت السي آي ايه نقول ماشي استخبارات خارجية، جاءت الاف بي آي وكأن القاهرة حي من أحياء كاليفورنيا، وفي الرياض مثل ذلك.

[ويتخلى ثوار العصابات عن الأرض، ويكتفون بعمليات الإزعاج عاملين دوماً على المؤخرات، دون أن يقدموا للعدو جبهة مستمرة في أي مكان].

لا تفتتح أي جبهة عسكرية مع العدو، أي إطلاق نار سيتأخر أكثر من أربع دقائق لابد أن تعلم أنك دخلت في نطاقه، أي معركة مفتوحة ستطول عن خمسة عشر دقيقة لابد أن تعلم أن الهليكوبتر ستصل، وستصل كل إمكانيات التطويق، وتحولت من عملية عصابات إلى عملية استشهادية انتحارية.

[خلال هذه المرحلة، يشن العدو هجوماً استراتيجياً يستهدف القضاء على ثوار العصابات، ويتميز نشاطه بمجموعة من أعمال التطويق والإبادة، التي تتضمن احتلال إقليم وتنظيفه مساحة بعد أخرى من الطاعون الذي سببه الأنصار].

كل تكتيكات مكافحة حروب العصابات تندرج تحت هذا العنوان: (التطويق والإبادة)، حصر العصابات في زاوية، حصر المجموعات، إغلاق منافذ الشوارع، محاولة تفتيش الناس= كل هذا تطويق.

فمهما حصل من خسائر في العدو في هذا الاشتباك= فاعلم أنك أنت الخاسر في هذه المعركة.

(**احتلال إقليم وتنظيفه مساحة بعد أخرى من الطاعون الذي سببه الأنصار**) وهذا التمشيط حصل في المدن عندنا في مرحلة بلاد الشام، جُمع الناس وأُمروا أن يشتروا طعاما وشرابا ولا يسمح لأحد أن يخرج لمدة أسبوع، ثم امتد الحصار أربعة عشر يوما، تمشيط من بيت إلى بيت، من بيت إلى بيت، فهذه عملية تطويق وإبادة، فتشوا مدينة عدد سكانها ٢ مليون نسمة، فتشوا كل الناس، وهذا شهدته بنفسي، كنت فيها.

[ويطرح هذا الجهد تناقضاً ضمنياً: إذ يتحول جزء أكبر فأكبر من أرض الوطن إلى (منطقة مؤخرة) بالنسبة إلى الجنود الحكوميين، وهنا تحقق حرب العصابات أفضل تأثيراتها.

وتطوق قوى القمع كثيراً من مناطق النشاط –دون أن تتمكن من إيقافه– لكنها تتطوق في الوقت نفسه من قبل ثوار العصابات، الذين يستطيعون الإفلات من الطوق بالانتشار وذلك ما لا ينطبق على الجيش. أين الجبهة؟ إنها غير موجودة.

وتتوسع تحركات الرجال والمعدات، وتصبح أكثر كلفة، وتمتد خطوط الاتصالات وتصبح أشد حساسية وعرضة للقطع. ويقدم الجيش بانتشاره أهدافاً أكثر عدداً، ويمكن ضربها بسهولة، ويزيد مصادر الأسلحة والذخيرة بالنسة إلى الأنصار].

لاحظ هذا موضوع آخر، مختلف عن كوبا تماما ولكنه رائع أيضا.

[ولا تتغير استراتيجية ثوار العصابات خلال هذه المرحلة، لكن التكتيك يختلف بتباين المواقف. وتتضمن هذه الاستراتيجية إجبار العدو على الامتداد ما أمكن، وعلى إزعاجه في كل نقاط ضعف خطوطه، وعلى التجمع، لتصفية —وليس فقط هزيمة— الوحدات الصغيرة واحدة تلو الأخرى.

يقول ماو: (إن تكتيكنا هو تكتيك حرب العصابات، وأهدافه الرئيسية هي:

1. **تقسيم قواتنا لاستنهاض الجماهير، وتركيزها للعمل ضد العدو.**
2. **إذا تقدم العدو فإننا نتراجع، وإذا خيّم نناوش، وإذا تعب نهاجم، وإذا انسحب نطارد.**
3. **توسيع مناطق القواعد، والتقدم بموجات، وعندما يهاجمنا عدو قوي، فإننا نتسلل على أجنابه لنصل إلى مؤخرته].**

هذا يلزمه شرح، يقول أنه يفتح منطقة جديدة، ويتقدم بموجبات يعني يرتكب أفعالا توجب مجيء العدو. ثم هو يستهدف المؤخرة لأن فيها التموين، فيها الخدمات، فيها قوات دفاعية أقل، فيها قيادة الأركان، فيها كل الإمكانيات التي توفر لك غنائم أكبر وهي أكثر سهولة في ضربها.

هذا تكتيك يجب أن يُدرس، اليوم قالوا لي: في دورة في المعسكر وفي المعسكر الآخر نفس الشيء، دورة تكتيك حرب عصابات، قلت: والله جيد، فسألت فاكتشفت أنها دورة مركزة على استخدام الأسلحة الفردية! هذه ليست دورة تكتيك، هذه دورة رماية مركز على أسلحة حرب العصابات، وإنما هذا هو تكتيك حرب العصابات، كيف تجر العدو؟ كيف تناور؟ كيف تلتف عليه، كيف تدخل؟ كيف تخرج؟ كيف تعمل الكمائن؟ نظام الكمين نفسه.. هذا هو التكتيك.

التكتيك هو: (إدارة حرب العصابات عسكريا)، كيف تُدخل العدو في كمائن وفي أفخاخ وفي مصائد؟ وكيف تدخله في حقول ألغام موجهة؟ يعني تُفجر كهربائيا، بتكون فاصل الكهرباء وهذه مشروحة عندنا في الهندسة، تعمل مجموعة من الألغام الأرضية التي تعمل بالكهرباء وبالبطارية، مربوطة كلها على التفرع بالسلك الأساسي، فكونها مربوطة على التفرع= إذا قطعت الفرع الأساسي في الكهرباء فهي لا تنفجر، فإذا أنت أدخلت العدو وطاردك، فأدخلته في منطقة بساتين، بعد ذلك وأنت طالع تغلق الدائرة وتظل ماشي، لأنه بعد ذلك لما ينسحب العدو يدوس على ألغام كهربائية فتنفجر، فهو يستغرب هو دخل ولم ينفجر شيء، وهو طالع انفجرت كلها. فهذا تكتيك من تكتيكات حرب العصابات.

هو يقول: أنك تتسلل على جنبات العدو، بصفة فلاحين، بصفة ناس، بصفة حجاج، فلما تصبح على مؤخرة العدو= تغير عليها، فصار مطلوبا منه أن ينقل الرأس إلى المؤخرة، فإذا حالفك التوفيق أن تعمل في مناطق جبلية أو مناطق زراعية حرجية أو في مناطق سيئة= فستدخل العدو في كماشة مميتة، وكل الأراضي حتى الصحراء تعطي ميزات، قلة الماء الأغذية إلخ، فأنت تناور مع العدو حسب طبيعة الأرض، مستخدما أن السكان معك وليسوا معهم، السكان سيسممون الآبار حتى لا يشرب هو، أما إذا كانوا معه فسيدلون عليك أنك مررت من الطريق كذا، فخلاص انتهى الموضوع، لأنك أنت لا تتحرك في بحر لصالحك، وإنما تتحرك في مجموعة من المصائب.

٤. إثارة أكبر كتلة جماهيرية ممكنة، في أقصر وقت ممكن، وبأفضل الوسائل الممكنة. ويعادل هذه التكتيك – رمي الشباك، فيجب أن تستطيع في كل لحظة قذف الشبكة أو سحبها، إننا ننشرها على أوسع نطاق ممكن، لنكسب الجماهير، ونضيقها لنمسك بالعدو)].

الشبكة هي مجال عملياته.

[ونرمي الشبكة في المناطق حيث تكون المقاومة ضعيفة. وينتشر ثوار العصابات للقيام بالتوجيه السياسي (يعني: التعبئة والدعاية والتنظيم)، **وتحسين الاقتصاد الداخلي للحركة الثورية، وإقامة قواعد خلفية. قواعد قد تنتشر، أو تتقلص، بل قد تترك من لحظة لأخرى]**.

هذا كله حسب القاعدة الأساسية، أنك سريع الحركة تنزلق كالريح وتتملص من كل مواجهة.

[وتسحب الشبكة عندما تكون المقاومة قوية. ويتركز رجال العصابات – كما يقول ماو – بمعدل اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو ستة ضد واحد، ويركزون جهدهم على نقطة معادية ضعيفة].

وهذه نظريته في موضوع "التفوق المحلي" الذي سبق وأن تكلمت عليه، أنك في المعركة الواحدة متفوق بغزارة النيران وبعدد الأشخاص، لأنك تقوم بهجوم صاعق على خلية ضعيفة فتسحقها، والذي قام بالهجوم يستطيع أن ينتقل إلى خلية ضعيفة أخرى، وخلية ضعيفة أخرى، وكل مرة هو متفوق عليها عدديا، ولكن لو عندك ١٦ نفر فقسمتهم على ١٦ مركز، في كل مركز ٣ أشخاص، ستهاجم بواحد مقابل ثلاثة، ولكن لو أخذت الـ ١٦ شخص فقسمتهم مجموعتين، كل ثمانية يهاجمون مركزا فيه ٣ أشخاص فيسحقوهم، ثم ينتقلون إلى ٣ فيسحقوهم، فترتفع معنويات المهاجم، لأنه ينتقل من نصر إلى نصر ويتدرب ويتزود بالسلاح، فهو "يتفوق محليا" بالعدد والعدة وغزارة النيران في كل معركة جزئية.

يقول:

[ولا تدوم المعارك طويلاً. ولقد تصوَّر ماو على العكس هجوم (الخمس دقائق) الذي يتضمن انقضاضاً مفاجئاً، وقتالاً قصيراً، عنيفاً، وانسحاباً سريعاً وبنفس الدرجة من الفجائية، بعد أن يسبب الهجوم أكبر ضرر، ويؤمن الاستيلاء على أكبر عدد ممكن من الأسلحة، ولكن دون أن يكون هناك أي تأخر.

إنها عكس الاستراتيجية الغربية، فالجيش المدعوم بصناعة قوية، يستطيع أن يجعل من كل معركة اختباراً تكنولوجياً، حيث يؤدي تفوّق التسلح واللوجيستيك في النهاية إلى تحقيق النجاح.

لكن العصابات لا تستطيع الاعتماد إلا على السرعة، وميزة الموقع، والتفوق العددي المحلي، وعليها أن تقطع الاشتباك قبل أن تتمكن الأسلحة الثقيلة من التدخل].

(ميزة الموقع) لأنه قد يستغني عن التفوق المحلي، كما في كمين تنصب رشاشا على مفارق ممر جبلي تبيد مجموعة وأنت اثنان وهم خمسة، وليس عندك داع لفرق العدد، لأن ميزة الموقع لعبت دورا حاسما جدا واستثنائيا جدا.

(وعليها أن تقطع الاشتباك قبل أن تتمكن الأسلحة الثقيلة من التدخل) يعني يقطع الاشتباك وينهي المعركة ولو لم يحقق أهدافه، ويصدر أمرا بالانسحاب قبل أن تتدخل الأسلحة الثقيلة يعني طيارات هليكوبتر مدرعات .. إلخ.

[تلك هي كما قلنا (حرب البرغوث). فهو يخز، ويقفز، ويعاود الوخز، ويتحنب بحذق القائمة الساعية إلى سحقه، إنه لا يستهدف قتل خصمه، بل إنهاكه، والحصول على الغذاء منه، وإزعاجه، وإثارته، ومنعه من الراحة، وإتلاف أعصابه، ومعنوياته، ولتحقيق ذلك لا بد من الزمن، اللازم أيضاً للتكاثر. إن ما يبدأ وكأنه عدوى محلية، يجب أن يصبح وبائياً، عن طريق تقارب المناطق المهاجمة واندماجها، وكأنها بقع حبر على ورق النشاف].

لك أن تتخيل مجموعة نخبوية كيف ستنتشر في كافة البلد حتى تؤمن قائدا وضابطا شرعيا لكل هذه الخلايا في كل العالم الإسلامي؟!

لما الحركة الإسلامية في أفغانستان سُحقت من قبل الشيوعيين قبل الثورة، صار المجاهدون الأفغان بمئات الآلاف، ٢٠٠ ألف عند حكمتيار وعند رباني و٧ آلاف عند ما أدري مين و٢٠ و٥٠ وكذا، الكادر

القيادي لهم معدوم، يعني على مستوى قائد جماعة، قائد كتيبة، قائد سرية= ما في قائد، فافتتحوا أكاديمية، فالأكاديميات تخرج ٣٠٠ شخص في سنتين، فلك أن تتخيل ١٠ سنوات يعني يخرجوا ٣ آلاف شخص في الحزب الواحد، يتآكلون من خلال المعركة.

ولما قامت الجماعة المسلحة في الجزائر وأحبت أن تضع ضابطا شرعيا لكل عشرة عناصر= لم تستطع، لكل خمسين عنصرا، لكل مائة عنصر، صار المرشح لأن يكون ضابطا شرعيا هو الذي يحفظ (قل يا أيها الكافرون)!!

وهذه المشكلة حصلت أيضا حتى مع "إخوان من أطاع الله" لما عبد العزيز أراد أن يجهز قواته، أراد أن يضع ضابطا شرعيا من طلبة العلم في كل مجموعة من المجموعات، فأنشأ ما يسمى "الهجر" وهي مجموعات مدنية حضرية يوطن فيها البدو الذين سيقاتلون معه، ويضع لهم موجها شرعيا يربيهم على التربية الشرعية اللازمة والعسكرية والتدريب، فقال لي شخص: لو كان واحد حافظ (لإيلاف قريش) يعتبر شيخا ويذهب ليدرس!

الشاهد أنك إذا كنت ستتمدد فعلا على مستوى البلد وعلى مستوى الأمة، فموضوع إعداد الكوادر قضية هامة جدا بالنسبة إليك، وإلا تتفلت الأمور ويصبح عندك كثير من المقاتلين ولا توجيه شرعي لهم ولا معنوي ولا منهجي، فيتحولون مع الوقت إلى قطاع طرق وعصابات.

يقول:

[**إن ما يبدأ وكأنه عدوى محلية، يجب أن يصبح وبائياً، عن طريق تقارب المناطق المهاجمة واندماجها، وكأنها بقع حبر على ورق النشاف**].

يعني أنت تواجه في أول البلد ثم تواجه في الوسط، تفتح خلية هنا وخلية هناك، شيئا فشيئا تتداخل مناطق المهاجمة، فتصبح أنت تهاجم هنا والمجموعة الثانية تهاجم بعدك، فيكون انتشار العصابات أشبه

بالوباء، لكثرة الإنهاك، فكل الطرق مقطوعة، وكل الجسور منهارة، فتنسحب الدولة إلى المجمعات الرئيسية، وتترك لك الباقي.

قال: (وكأنها بقع حبر على ورق النشاف).. سبحان الله، قضية الأمثال مفيدة جدا، واستخدمت في القرآن وفي الحديث النبوي كثيرا، فهي توضح الصورة، عندما تحدث أنت بؤرا للانتفاضة أو لحرب العصابات= تنتشر تلقائيا، فتغطي مساحة المكان، حتى تغطي كامل البلد كما تنتشر بقع الزيت.

هذا كله مجموع تكتيكات في مرحلة أولى على مساحة جغرافية ممتدة.

يقول:

[**وفي خلال المرحلة الثانية –مرحلة التوازن– تقوم هدنة**، عندما تتأكد الحكومة بأنها لن تستطيع القضاء على ثوار العصابات، **فتكتفي عندها وقتياً باحتوائها، ريثما تحضِّر الهجمات الجديدة. ولا يستطيع ثوار العصابات القضاء على الجيش، فيتابعون إزعاجه، مستفيدين من الجمود العسكري لتنمية قواعدهم الثورية، وقضم المناطق المنزوعة السلاح التي تحيط بكل منطقة محررة، وتحسين تنظيم الإمداد والتموين ومشاغل تصليح الأسلحة، وتشديد تحريضهم للشعب، وشن حرب الدعاية، وإضرام النزاعات الداخلية التي يعاني منها المعسكر الآخر بالضرورة، نظراً لأن نهاية النزاع تتباعد أمامه أكثر فأكثر**].

هذا الكلام الذي كتبه الرجل مارسه عبد الكريم الخطابي كله وأحسن منه لكن لم يُكتب، ومارسه عمر المختار ولم يُكتب، ومورس في كل ثورات المسلمين ولم يكتب، الفارق أنه جاءت عقلية كتابية مارست نفس الشيء واستفادت من علوم من قبلهم وتجارب من عندهم، ثم كتبوا هذه الكتب.

هذه مواصفات مرحلة التوازن، يقوم معظمها على استمرار وخز الجيش، ولكن يصاحبها عملية استفادة من التجنيد والتربية والتصنيع والإداريات والانتشار في الناس والدعاية والإعلام.

أنا ذكرت أن الناس الذيم لم يتلقوا تربية إسلامية ووضوحا في العقائد وفهما في الدين= لا يُنصح بأن تُوضع تحت أيديهم مراجع عسكرية وسياسية في حروب العصابات أو غيرها، مترجمة من عند الكافرين وخاصة من عند الشيوعيين، لأنه يقع عنده لبس بين ما هو فكر كفري وعقائد لا تناسب الإسلام، وبين ما هو أساليب وتكتيكات عسكرية وتنظيمية يمكن أن نستعيرها منهم.

وإنما ينصح بايش؟ الذي عنده قدرة على القراءة والتلخيص يأخذ هذه الأبحاث، ثم يعيد صياغتها بأسلوب إسلامي، وهذا ما أتيت شيئا منه في بحث حرب العصابات في كتاب "التجربة السورية"، وأنا للأمانة أحببت أن أكتب مراجع البحث كذا وكذا.

ولكن لعلمي أن العقليات لا تتحمل ذكر أسماء كافرة أو كتب مترجمة أو شيء من هذا، وسيقولون: هذا البحث مراجعه شيوعية فخلاص ما تقرأه، وإلا فهي علوم مجردة وبحتة ويمكن كما رأيت أن نستفيد منها، ولكن على اقتراح أخينا في ذهني إن شاء الله إذا يسر الله أكتب نقطة في تنظيم وحدات وإدراة حرب العصابات الإسلامية بأسلوبنا ولهجتنا، بصرف النظر عن قال فلان وفعل فلان، هذه المادة كما قال أخونا غائبة عن الساحة، ولذلك نحن لا نخرج من هنا مقاتلي عصابات ولا حصل ولا مرة، وحتى الجماعات الجهادية، يعني النادر منها عمل لبعض أفراده معسكرات مثل جماعة الجهاد المصرية والجماعة المقاتلة الليبية.

نحن حتى الآن نعمل حشو عسكري، يعني تدريب عسكري وأسلحة، ونظرا لأننا أعطيناهم كمية كبيرة من العلوم، أعتقد أنهم اختلط عليهم الأمر وصار عندهم تخمة عسكرية، حتى العلوم العسكرية كعلوم عسكرية أخذوها ليسوا قادرين على الاستفادة منها، ونحن حتى الآن ننصر بفضل الله تعالى وببركة لا إله إلا الله، وإلا والله ليس هناك تأهيل بمعنى التأهيل والإعداد أبدا.

سرايا الدفاع عندنا في سورية، عندهم فقط على عشرات ومئات المشاريع اليومية باليوم والليلة والأسبوع وكذا اللي بيعملوه، عندهم في النهاية مشروع التخريج أن يمشي بأسلحة ميدان كاملة ويقوم بسلسلة من المشروعات من دمشق إلى تدمر إلى الساحل، ١٢٠٠ كم، يسير فيها في كل أنواع الطبيعة، صحراء بادية مدن كذا، يعني إعداد إعداد بمعنى الكلمة، هذا على مستوى جيش في دولة متخلفة، فما بالك بالدول الأخرى، وأنا رأيت -قلت لك- أشرطة عن تدريب وحدات الكوماندوز في الدول الغربية، الإعداد له أصول سنحاول من جملة حملة الإصلاح التي نفكر فيها أن نصلح هذه الأمور، أن هناك مجموعة مقترحات تقدم إلى إدارات المعسكرات وإدارات الجماعات، ومن جملتها وضع مادة تكتيك حرب العصابات كأسلوب للتعبئة والدعاية والتكتيك القتالي في مذكرة واحدة، إن شاء الله سبحانه وتعالى.

الشيخ: حد عنده سؤال؟

الأخ: .. ..

الشيخ: هو يضع قاعدة أساسية وهي أن كل العصابات تبدأ ضعيفة في المستوى العسكري، قليلة العدد، وضعها وبنيتها الداخلية لا تمكنها من هجوم قوي أصلا، يكون هو تنظيمه المديني ٢٠ شخص، إذا هجم على ثكنة فيها ألف شخص سيبادون حتما، الآن كتفجيرات عن بعد ممكن، أما كاشتباكات فلا، فكل حروب العصابات مراعاة لأن عندها بعض الأفراد وبعض الخبرات العسكرية مع ضعف التسليح= تبدأ بضرب المراكز البعيدة والدوريات الصغيرة حتى تعمل عملية مشاغلة، ثم تستفيد من عملية الدعاية السياسية في عملية التعبئة.

ولكن نخرج عن هذه القاعدة في أمر واحد وهو: حال وضع مخططات لاستهداف الدماغ العسكرية للعدو، مخ العدو القيادة المحرك الكبير، وزير الدفاع، المسئول الأمني إلخ، شل القدرات العقلية للعدو يعني (فقاتلوا أئمة الكفر).

لما أرادوا أن يحلوا التجمع العربي هنا= توفي الشيخ سمير العدناني في قضية هي أقرب إلى الاغتيال من الوفاة والله أعلم، قُتل الشيخ عبد الله عزام، استهدفوا رؤوس التجمع العربي فانفلت التجمع، في البوسنة كذلك قتلوا شخصا واحدا.

هذه كما قلت علوم عسكرية وواقعية، لا يأتي رجل يقول: (أنا لن أفعل ذلك لأني قرأت في مذكرة حرب عصابات لفلان الفلاني أن هذا لا يفعل)، هذا يحكي عن تجارب قامت بظروف معينة، وأنت تأخذ العلوم الكلية والخطة.

سأشرح إن شاء الله في محاضرات السياسة أن أي قرار لابد أن يخضع لثلاث محاكمات:

أولا: هذا القرار الذي سنقوم به مهما كان عسكريا سياسيا إلخ= هل هو حلال أم حرام؟

فإذا كان حراما فلا نكلف أنفسنا بحث السياسة والعسكرية ممكن ولا غير ممكن، وإن كان حلالا ننتقل إلى

ثانيا: المحاكمة السياسية، هل هذا العمل مضر أم مفيد؟

فإن كان مضرا فنقف، وإن خرج حلالا مفيدا= فننتقل إلى المحاكمة الثالثة والأخيرة

ثالثا: هل هذا العمل العسكري عمليا ممكن ولا غير ممكن؟

فعمليا لا تأخذ الخطة مجراها إلا إذا أخذت ثلاث محاكمات، وهذا قلته في سنة ١٩٨٨ في الأشرطة، أنه يجب أن يكون العمل: حلالا مفيدا ممكنا. ونضرب أمثلة:

يأتي مسئول كبير والتجمع العربي على أشده في بيشاور والناس والجماعات كلها تعد، يأتي شخص يقول: ايش رأيكم في قتل الصليبيين؟ حلال ولا حرام؟ بالإجمال حلال، حتى الأمان الذي أخذوه من الحكومة الباكستانية ولا من الأحزاب= يمكن تعتبره يعني كلام فاضي، طيب ننتقل إلى مفيد ولا مضر، كان

الإجماع في ذلك الحين أنه مضر، الآن تضرب مسئولا باكستانيا هنا فتغلق علينا وعلى الطالبان كل المعابر، فهذا مضر، فسقطت العملية عند المحاكمة الثانية.

مثال آخر: يأتي رجل الآن يقول لك: ايش رأيك نغتال وزيرة الخارجية الأمريكية في عبورها لإسلام آباد؟ حلال واجب، وبعدين الناس تختلف مفيد ولا مضر، فإذا خرج معك مفيدا= تأتي إلى المحاكمة العسكرية تجده غير ممكن، فحتى لو كان مفيدا وحلالا لكنه غير ممكن.

فلا تنفذ من الخطط إلا الذي يكون: (حلالا، مفيدا، ممكنا)، فأنت تناقش الخطة التي عندك، لكن عموم العصابات تبدأ ضعيفة، قوتها العسكرية ضعيفة، أسلحتها خفيفة، أما إذا كان بإمكانها -لسبب ما كاختراق ووجود ضابط موال لها- فهذه القضايا متوافقة فيها إيذاء الخصم أكبر إيذاء ممكنا، وهي ممكنة.

على هامش اليوم الكلام اللي ذكرت لكم إياه عن حالة الزفت الأسود المسيطرة على العالم الإسلامي، أخصص كل ما أعرف عن مبررات حمل السلاح في محاضرة واحدة بعنوان: لماذا الثورة الإسلامية أو لماذا الجهاد المسلح، وكيف؟! فاللي عنده أي شاهد من الشواهد من مبررات الخروج ومبررات الدفع يلزمنا في هذا البحث.

الأخ: كيف يكون الجهاد؟ ومتى؟ وما علاقة الجهاد بالإعداد؟ ومتى ننتهي من الإعداد؟

الشيخ: هذه المسألة إذا لم تكن هي أكثر المسائل إشكالية في العمل الإسلامي كله= فهي من أكثرها إشكالية، أذكر مرة في لقاء بيني وبين الشيخ سرور، واستاء جدا من أني تكلمت بهذا الكلام واعتبره من الأسرار، ثم هو نفسه تكلم به أو بفحوى ما قال لي في جريدة سياسية، في لقاء مع جريدة "الرأي العام"، فذكر نظريتهم في العمل، وعندما بحثت عن لقاء الشيخ سرور كان لأني قرأت مجلة "السنة" و"البيان" ووجدت أنهم بالإجمال منهجهم في فهم السياسة الشرعية كعقائد سلفية منقحة وكفهم للواقع= جيد جدا،

في حينها قبل أن ينتكسوا هذه الانتكاسة الأخيرة في مواجهة الجهاديين، في حينها قبل التسعينات كان الوضع جيدا.

فكنت أبحث عن ناس استكملوا الفهم ويقولون بالجهاد، فرحنا نتعرف عليه، فعرض الرجل منهجه قال: نحن نقوم على مبادئ أربعة:

أولا: لا يقوم جهاد ولا أي عمل إسلامي إلا على أصول منهج أهل السنة.

ثانيا: كل الجماعات الموجودة عندها نقص ما في تطبيقها وفهمها لمنهج أهل السنة، مما اقتضى النقطة الثالثة.

ثالثا: يجب الدعوة إلى كيان إسلامي جديد غير الموجود يكون على الكتاب والسنة.

رابعا: هذا الكيان يجب أن يهدف لإقامة شرع الله، ولا يقوم شرع الله إلا بالجهاد.

فقلت له: ما شاء الله، تبارك الله، مفيش أحسن من هذا الكلام، فدخلنا في التفاصيل، وهو أصلا بدأ الحديث جديا، كان في خمسة من الإخوة، ورآنا مجموعة من الشباب كوادر في العمل الإسلامي، فطمع أن يقنعهم، كان واحد فقط له علاقة به، فاحنا بدأنا بكل براءة: طيب هذا تصور كله صحيح، ننتقل إلى النقطة الأخيرة، قضية الجهاد في سبيل الله، كيف يكون؟

أنا ضربت هذا المثال لتعلقه بالإجابة، هذا الموضوع دار ويدور في كل الدنيا وفي كل العمل الإسلامي، كيف يكون الجهاد؟ ومتى؟ وما علاقة الجهاد بالإعداد؟ ومتى ننتهي من الإعداد؟ ومتى يكون الإعداد عبارة عن واحد بيضحك على نفسه؟ ومتى يكون فعلا إعدادا جديا؟

لأن كل الجماعات الجهادية متهمة بأنها ضُربت لعدم كفاية الإعداد، وهذا صحيح، وإن كان بعضها أُكره على الخروج، ولكن عامل الإعداد واضح أنه لم يستكمل.

قلنا له: ايش حليت أنت هذه المشكلة؟ قضية الإعداد وارتباطه بقرار الجهاد؟

فقال: نحن نقول أن الجهاد لا يمكن أن يقوم إلا بوجود مؤسسة، وهذا الكلام لما ذكرته أول مرة خرج يقول: هذه أسرارنا يقولها للناس، والآن هو يقوله.

على فكرة الرجل بصرف النظر عن موقفه الشنيع منا ومن الجهاد كله، إلا أن عنده قدرة إدارية فذة ممكن يستفاد منها، يعني يأتي ضمن النوادر في العمل الإسلامي كله.

المهم، قال: يجب أن يكون هناك مؤسسات مالية مستقلة حتى لا تقع في عملية الطلب والتسول، فلابد أن يكون عندك مجموعة من الأموال وفرتها أنت، واستثمارات واقتصاد وشراكة منتشرة في كل العالم.. تصور رومانسي.

شبكة مالية متكاملة، شبكة من المحللين السياسيين متكاملة، شبكة من الإعلام والصحف ومراكز إسلامية في الخارج متكاملة، شبكة داخل البلد، ونحن نسمع.

قلنا له: طيب كيف ستبدأ؟

قال: نحن يجب أن نبدأ في الناس، في المساجد، في المعاهد، في الجامعات، فيكون لنا نشاط وكذا، يعني تكتيكه شبيه بتكتيك الإخوان المسلمين، أنه على مستوى المجتمع كله.

قلنا له: طيب ومتى يكون؟

قال: عندما نجد أننا قادرون فعلا على أن نسقط نظاما ونحل مكانه= عندها نبدأ الجهاد، يعني مش فقط القدرة على إسقاط النظام، بل بناء مؤسسات تكفي لإسقاط النظام، ثم بناء مؤسسات تكفي للحلول مكانه.

فقلت: في ظل الفارق الشاسع في وضعنا الأمني ووضع الاستخبارات، فثبت لنا أنه من المستحيل القطعي الجزمي على أي جماعة إسلامية، وأمامنا تجارب من المحيط الثائر إلى الخليج الهادئ، جماعة إسلامية تستثمر كل هذه البرامج في غفلة عن المخابرات!!

بل برامج أكثر تواضعا بكثير مما أنت تقول لم تغفل عنها المخابرات، فطبقت عليها النظام الاحتياطي فحطت لها الخط الأحمر والخط البرتقالي والخط الأصفر، وتتركك تلعب بين الأصفر والأزرق، فإذا وصلت إلى الأصفر والبرتقالي، تبدأ عملية الحصر، ثم لما تنتقل إلى التحرك بين البرتقالي والأحمر فتأتي عملية ضربة وقائية من قبل النظام، فيُقتل الدعاة والشيوخ ويُسجن الكتاب ويُفرق الشباب وتعاد الدعوة عشر سنوات إلى الوراء!

فالإخوان المسلمون قبلوا بهذا المنطق، حتى قال قائلهم وكتب فيه كتابا عنوانه "من السجن إلى الدعوة"، قلت له: أنا أكمل له هذا العنوان: ومن الدعوة إلى السجن! من السجن إلى الدعوة ومن الدعوة إلى السجن حتى تقوم الساعة!! لم يستطيعوا أن يحلوا هذه المعضلة، والدعوة لما تخرج من السجن تسجل تراجعات منهجية، الإخوان المسلمون اليوم ليسوا إخوان حسن البنا وليسوا إخوان سيد قطب.

فهذه الضربات كيف ستحلها إذا اكتشفونا فجأة، وهذا سؤال منطقي جدا، هل حللت هذه المشكلة؟ مشكلة الضربات الوقائية؟

سؤالي بكل بساطة يعني بالبلدي، لو اكتشف المخطط العظيم هذا في ربع الطريق، أو نصف الطريق، هل نرجع إلى الصفر على طريقة الإخوان المسلمين، وأمامك مئات التجارب في كل العالم الإسلامي، وفي مصر بالذات وفي سوريا؟ أم أنك تقاتل حتى لا نخسر، ثم تتابع نظرية الجهاديين وهي البناء من خلال المعركة؟

فاستغربت أنا جدا أن السؤال استثاره جدا واستفزه، واكتشفت فيما بعد أن السؤال ليس عليه إجابة!

رد علي قال: خلاص خلاص خلاص، أنا اكتشفت أنتم جماعة جهاد، ومخكم جهاد، وتصوركم كله أن أربعة خمسة يجيبوا قنابل وينسفوا نفسهم وينسفوا الآخرين، وأنهى اللقاء لمجرد السؤال، وقال لي: نحن لسنا طامعين في أمثالكم، بل في ناس ليس عندهم هذا التشويش.

الشاهد ليس هناك جواب عند أحد من الإسلاميين ولا الجهاديين ولا غيره على هذا السؤال، وليس هناك إلا سؤال واقعي أن: متى الإعداد؟ وكيف؟ ولكن أنا أقول قواعد عامة، الذي يعد للجهاد ليس لك أن تحرج عليه شرعا وتقول له: يا عمي قم ابدأ، هو أمام الله سبحانه وتعالى وأمام نفسه إذا كان فعلا يعد، مثلا عندي مجموعة من الأسلحة لابد أن تخزن، مجموعة من الناس لابد أن تُربى، اختراقات في الجيش والشرطة لابد أن أنتهي منها، فهو وصدقه، لا تستطيع أن تقول له: أنت آثم لأنك لا تبدأ، لأن كل إنسان يعد إعدادا صحيحا= هو جدي.

أما كلامنا فهو على أناس قالوا: لا نريد أن نعد لأننا لو أعددنا= -وهذا شعار العمل الإسلامي كله بما فيه محمد قطب حكى كلاما عجيبا في قضية القاعدة الصلبة، وأنا رددت عليه في بحث "القاعدة الصلبة" في مجلة الفجر، ليتنا نعثر عليه ونقرأه هنا. ومحمد قطب رجل عاقل حكى كلاما عجيبا جدا-

قال: نحن إذا أعددنا سنتهم بالإطاحة بالنظام فتُضرب الدعوة في مهدها، يجب أن نقدم دليلا وأن هذا الشباب الطاهر من الدنس إذا أثبت للدولة أنه لا يريد أن يعمل عملا معينا= فليس أمام الدول مبررات أمام مجتمعاتها أن تقضي على هذا الشباب!

مع أن المثال التاريخي ضده في كل البلاد، ايش المبررات اللي عملوها الإخوان حتى يُذبحوا ظاهرا وباطنا في مصر؟ فقال بعدم الإعداد، واخترع نظرية "القاعدة الصلبة" وأنا نقدتها في عشرين صفحة في البحث، وخلاصة نظريته أن نبتعد عن الإعداد العسكري ويكون إعدادا منهجيا فكريا فقط، فهذا ليس بإعداد، نحن أمام مذبحة، وأمام أنظمة، وأمام حلف دولي، وأمام مصائب، فالإعداد أن تنظر في مناهج جماعة فتجد: قراءات في التفسير، وقراءات في الفقه، ودروس في الكراتيه وفي المتفجرات، نقول: هذه جماعة تعد فعلا، أما رجل يقول لي: أنا أعد في الكتب وعلى طريقة الوادعي والألباني والتصفية والتربية= فهو رجل بنيته وله أجره، ولكن نحن نقول: هذا تفكير عقيم.

والذي ثبت ويجب على كل جماعة جهادية تريد أن تعد= أن تأخذ بعين الاعتبار أنها لن تستكمل خطتها، وستكشف في ربع الطريق في نصف الطريق في أول الطريق، وثبت لدينا أن المقاومة والبناء من خلال المعركة أجدى بكثير من أن تعود إلى الصفر ويُقضى على كل شيء، حتى ترجع بعد ثمانين سنة.

فليس حجة للحركات الإسلامية أن الجهاد الذي بدأ ضَرَبَهَا، وهذه مسألة أخرى، المسألة الأولى مسألة الإعداد، والمسألة الثانية هي فهمنا جميعا لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام أن العمل الإسلامي كـ: "سفينة استهم الناس عليها فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها" الحديث المشهور، وفيه أن الذين في الأسفل أرادوا إحداث ثقب ليشربوا منه ولا يؤذوا من فوقهم، فقال الرسول عليه الصلام والسلام: "فلو تركوهم لهلكوا وهلكوا جميعا، ولو أخذوا على أيديهم لنجوا ونجوا جميعا".

فالآن كل خطاب بين الجهادين وبين الإسلاميين أننا نقول لهم أنتم عملتم الخرق لأنكم لا تجاهدون وواليتم الحكام وفتنتم المسلمين وسنأخذ على أيديكم، وهم يقولون: أنتم عملتم الخرق فتحتم الجهاد فأغرقتم المسلمين .. إلخ، ولا يزال التشاتم بين الجهاديين والجماعات الإسلامية الأخرى، بين الطابق العلوي والسفلي.

فنحن نقول: ماذا يقول الذي لا يريد أن يُجاهد لرجل يدفع الصائل، لا في حركة جهادية ولا كذا في الجزيرة، ايش يقول لرجل يريد أن يُفجر الخبر؟ أنت آثم؟ أنت لم تعد؟ وقد يكون هذا الرجل عمليته محدودة جدا، لا تنظيم ولا أهداف ولا شيء، مجرد دفع صائل، ليس لك أن تحرج عليه شرعا، ولو كنت جماعة جهادية تعد برامج ومخططات طويلة الأمد، ثم تعرضت جماعة الجهاد لضغط ضرب في السفارة، وتكشف كل شغل الناس في باكستان، هل تحرج عليه شرعا، وتقول له: لا تدفع عن نفسك؟!

هذا من البلاءات التي حصلت بسبب تشرذم العمل الإسلامي ككل، ولن يكون هناك جماعة واحدة إلا أن توجد حكومة إسلامية ترشد العمل، لن يكون لا على مستوى العالم الإسلامي ولا على مستوى البلد الواحد، لن يكون، إلا أن يشاء ربي، هذا تدل عليه طبائع الأشياء، والذي نستطيع أن نعمله بالأكثر هو توجيه الجهد بأن يكون منسقا وموحدا في نفس الاتجاه.

وسؤالك هذا ينقلنا لمصائب في العمل الإسلامي والجهادي، لماذا لا يكون؟ الآن طُرحت مسألة الشرعية، ما هي الجماعة الشرعية؟ أنت عندك جماعة، بأي دليل تحجب الشرعية الدينية عن جماعة أخرى؟ طُرحت عدة نظريات:

قالوا: نحن أقدم، طيب هذا في بلدك، في بلد بجانبك توجد جماعة أقدم، لماذا لا تبايعها والحدود ليس لها اعتبار شرعي؟ إذا القدم ليس مناطا شرعيا، بل القرب والبعد من الحق.

قال واحد: نحن أكبر، طيب في جماعات أخرى أكبر، والكبر ليس مناطا شرعيا، لأن كل أهل السنة اتفقوا على أنت الجماعة تكون على الحق ولو كنت وحدك، قيل كذا، قيل كذا، قيل كثير.

لم يحسم أحد قضية الشرعية إلى أن جاء أبو عبد الرحمن أمين وقال: نحن جماعة المسلمين واللي بره نذبحه!! فانتقلت المعركة حتى على قضية الجماعة مين شرعي ومين غير شرعي!!

هذه مسألة شائكة إلى الآن، لم يحسمها أحد ولن تُحسم، وأنا تصوري أنها حُسمت لما جماعة من هذه الجماعات الجهادية حققت نصرا على العدو، فصار لها شوكة وأرض وأعوان، فتحولت من جماعة إلى إمارة شرعية، فلما تحولت من جماعة إلى إمارة شرعية جاز لها أن تقول للناس: نحن شرعيون وأنتم لستم شرعيين، فاللي فيه خير منكم تعال انضم إلينا، واللي ما فيه خير سنجد له حلا، وهذا حصل مع صلاح الدين، مع كل المراحل التاريخية، لما تغلبت خلافات شرعية وطبقت حكم الله وكذا، فتحولت.

ولا يفهم أحد مني كما فهم بعض الإخوة، جاء لي كثير من الإخوة لما كنا نتكلم بهذا الكلام في لندن، جماعات جهادية تريد أن تقول: نحن الشرعيون الوحيدون في البلد والباقي بره، مش بره يعني ما له حق، بره الشرع، قلت له: هات لي دليلا وأنا أقتنع، قال: يتفرق المسلمون، قلت له: صحيح يتفرق المسلمون، قال لي: أنت هكذا تفرق، قلت له: لا نحن لا نفرق ولا ندعو للفرقة بل ندعو للوحدة، ولكن نحن في واقع قائم غصبا عني وعنك، يعني هل بسبب كلامي صار في جماعات كثيرة؟ مش بسبب كلامي، الجماعات الكثيرة موجودة في البلد وفي كل البلدان، نريد جوابا شرعيا.

يجب أن تسعى لأن تكون جماعة واحدة، تسعى للوحدة، تمد الخيوط تمد الجسور، سؤالي هو إذا لم يحصل هذا، هل تشطب جماعة شرعية جماعة أخرى بما يبرر لها أن تقضي عليها ونحن ما زلنا في معركة مع العدو؟ لا أحد تجرأ أن يقول هذا، إلا أبو عبد الرحمن أمين قاله.

فهناك مسائل في العمل الإسلامي معضلات ليس لها حلول، نحن لا يوجد عندنا خلافة شرعية ولا إمارة شرعية بمفهوم الإمارة، وبالتالي كل أحكام السياسة الشرعية متوقفة على هذا، دار الحرب، دار الإسلام، بغاة، .. إلخ أحكام متسلسلة مبنية على وضع طبيعي صحيح، ولكن الوضع الآن لا طبيعي ولا صحيح، يريدون أن يأتوا بالأحكام الشرعية التي قيلت في جماعة الإمام، وكل أحاديث البيعة والإمامة وجماعة المسلمين، نريد أن نسحب هذه النصوص إلينا، ونطبقها على جماعات لا تملك من مواصفات جماعة الإسلام شيئا، فصار عندنا لغط، وهذا من أكبر الإشكاليات الموجودة.

تنتقل من قضية الإعداد ومراتبه، إلى التحريض الشرعي على من لا يعد، إلى: هل تبدأ ولا لا تبدأ؟، إلى: هل أنت مذنب إذا ضربت مشاريع جماعات أخرى؟، إلى: هل أنت شرعي وغيرك ليس بشرعي؟، مشاكل تسحب بعضها الواحدة وراء الأخرى، ولذلك الآن مواجهة اليهود والنصارى تحل معظم هذه الإشكاليات، والله أعلم.

نكتفي بهذا.

نتابع في كتاب "حرب المستضعفين" في التجربة الصينية، شرحنا مواصفات المرحلة الأولى من الحرب الثورية الشاملة، ثم تكتيكات المرحلة الثانية، والآن ننتقل إلى المرحلة الثالثة، والتكتيكات المتوقع أن تحصل لو شارك المسلمون جميعا في مواجهة الأمريكان والغرب في بلاد المسلمين.

يقول:

[وتبدأ المرحلة الثالثة، مرحلة الهجوم الثوري العام، عدما تصل القوى المتواجهة إلى التوازن، فيأخذ ثوار العصابات زمام المبادرة، ويعملون منذئذ كجنود قادرين على شن معارك نظامية. فيهاجمون بدلاً من اللجوء إلى التملص، مركزين على نقاط العدو الأشد حساسية وضعفاً].

النقاط الأشد حساسية: مثل خطوط الاتصالات، خطوط التموين، خطوط الإمداد، المخازن، هذه النقاط عادة تكون متعبة للجيش الذي يتحرك بخدمات لوجيستية كبيرة جدا، فيركزون في هذه المرحلة على هذه الخطوط، ومع أنه انتقل للمرحلة الثالثة لا يهاجم القوات القوية ولا التجمعات، حتى لا يتعرض لنكسات عسكرية تؤثر على معنوياته وعلى تتابع العمليات.

[ولا ينتشرون، فإذا حوصروا عند التعرّض للتطويق، فإنهم يحاولون اختراق الطوق بالقوة –ربما بتغطية عمل تشتيتي يتم في مكان آخر].

يعني يلجأ لمهاجمة الطوق، لا بالفرار والانسحاب من الاشتباك كما كان في المرحلة الثانية، فإذا لم يستطع اختراق الطوق، يشاغل العدو بهجمات جانبية على إطار الطوق، فيضطره أن يستخدم جزءا من قواته في المعارك الجانبية، من أجل فك الطوق، بدأنا الآن نلحظ مواجهات مباشرة، وخلط بين الحرب النظامية ذات التمركز، وتكتيكات حرب العصابات التي فيها انزلاق وسرعة وضرب على جنبات القوات.

[ويؤدي تصرفهم هذا، واستخدامهم لتكتيكهم القديم تارة والجديد تارة أخرى، إلى النجاح في قطع خطوط المواصلات، وبتطويق المفارز المعادية وتدميرها واحدة تلو أخرى، ويحتلون بدورهم أقاليم شاسعة، ويوسعون قواعدهم، ويجعلون العدو عاجزاً عن البقاء في الأرياف].

الملاحظة ١٧: لاحظ سياسة القضم، قطعة قطعة من الأرياف نحو المدن، وهذا نفس أسلوب كاسترو رغم اختلاف طبيعة الجغرافيا والمساحة وكل المعطيات، إلى أن الانتقال في المرحلة الثالثة إلى قضم قوات العدو هو نفسه، سواء في التجربة الكوبية أو هنا.

[ثم يهاجمون المدن الصغيرة دافعين الجيش المعادي إلى نقاطه المدينية القوية، التي يمكن القضاء عليها بالتتابع.

وبقدر ما تتقلص القوة البشرية المعادية، بسبب الأسر والإبادة والهرب، (تزداد حالات الهرب عندما يكون في جيش العدو المستعمر وحدات من السكان المحليين يكتسب الثوار أسلحة ثقيلة —دبابات ومدافع— تسمح لهم بمهاجمة مواضع ذات قوة أعظم، إلى أن تؤدي هجمات الثوار، المدعومة بالانتفاضة الشعبية، إلى استسلام الجيش وانهيار الحكومة].

الملاحظة ١٨: نلفت النظر إلى موضوع معاملة الأسرى من أهل البلد الذين سبق أن عملوا مع العدو، وهذا يحتاج منا إلى وقفة جميلة جدا وهامة.

هو يقول هنا: (وبقدر ما تتقلص القوة البشرية المعادية، بسبب الأسر والإبادة والهرب، (تزداد حالات الهرب عندما يكون في جيش العدو المستعمر وحدات من السكان المحليين)

يجب أن نلفت النظر ضمن السياق العام الذي شرحناه كله، وهو الاهتمام بجماهير المسلمين والاهتمام بشعبية الثورة والحركة الجهادية من ضمن الناس، إلى أن الشريحة العظمى من هؤلاء المسلمين إما الجاهلين وإما المجبرين، الشريحة العظمة مجبرة أو جاهلة، والقلة منهم على صعيد الأفراد متورطون قلبا وقالبا بالوقوف، نحن شرحنا وقلنا أن حالات الجوع وحالات الحاجة وحالات الإجبار هي التي جعلت قسما كبيرا من المسلمين يعملون لصالح العدو.

فألفت النظر هنا وأقول أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما أخذ أول كتلة بشرية كان من الممكن أن يعاملهم معاملة أسرى، أو يطبق فيهم نظام جرائم الحرب، قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، لما أخذ أول كتلة بشرية في المرحلة الثالثة وسقط العدو ودخل واحتل المدينة والناس احتشدت تنظر: هل سيضرب أعناقهم أم ماذا سيفعل بهم؟ قال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، حتى سموا مسلمي الفتح أو الطلقاء.

وفي قاموس "المنجد" لفتة من لفتات المشركين يشرح كلمة "الطلقاء" وهو كافر نصراني من الحركة التي قامت على الدولة العثمانية، قال: الطلقاء هم الأسرى الذين أُجبروا على الدخول في الدين الإسلامي عند فتح مكة! لاحظت هذه، لا تفوتها، والناس لم يُجبروا على الدخول في الإسلام، بل أطلقهم فدخلوا في دين الله أفواجا، وكان ذلك لأسباب منها معاملة الأسرى في الجملة.

ولكن ألفت النظر إلى أنه إلى جانب هذا، فقد أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بعشرة أشخاص، رغم أن المعاهدة الأساسية للكتل البشرية التي استولى عليها الرسول عليه الصلاة والسلام وصار أمرها في يده كانت "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، إلا أنه خص عشرة أشخاص قال: "اقتلوهم ولو وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة"، هؤلاء الناس يمكن وصفهم بالاصطلاح المعاصر بأنهم مجرمو حرب، يعني الرحمة هي الأساس، ولكن في محل لا تكون هي الصحيح، تكون الشدة هي الصحيح.

ومع ذلك من هؤلاء دخل اثنان أو ثلاثة على الرسول عليه الصلاة والسلام أذلاء مستعطفين فعفى الرسول عليه الصلاة والسلام عنهم، منهم ابن عمه أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه، وهي قصة مبكية، وكان شاعرا وصاحبا للرسول عليه الصلاة والسلام، فلما ظهر الرسول عليه الصلاة والسلام حاربه وكتب شعرا كثيرا جدا في ذلك، ثم دخل أبو سفيان بن الحارث في صحبة امرأة قالت له: يا رسول الله ابن عمك فلان، فنظر إليه ثم أشاح بوجهه وقال: ابن عمي .. .. ، ولم يقبله، فجلس الرجل على باب بيت الرسول عليه الصلاة والسلام يوما يومين، ثم في الآخر لما عجز أتى بولديه الاثنين الصغار ليستعطف الرسول عليه الصلاة والسلام وأدخلهم أمامه، وقال: يا رسول الله تعفو عني أو أهيم على وجهي مع هؤلاء

الأطفال حتى تأكلنا الوحوش في الصحراء؟ حتى في الآخر لما تأكد أن الرجل نادم تماما، فخرج مع الرسول عليه الصلاة والسلام في غزوة حنين التي جاءت بعد فتح مكة، وكان فيها ألفان من مسلمة الفتح، وحتى لا يقول أحد: كيف نقبل إسلامهم على ظاهره؟ هؤلاء كان إسلامهم ضعيفا وكان فيهم سهيل ابن عمرو وكان فيهم أبو سفيان، فلما انكشف المسلمون قال أبو سفيان بن حرب رافعا صوته: الآن بطل السحر، والله لا يردهم إلا البحر، ومع ذلك لما ثبت الرسول عليه الصلاة والسلام وانتهت المعركة، جاءوا مرة أخرى هؤلاء الناس يطالبون بحصتهم من الغنائم، فكان أكثر ما وزرع الرسول عليه الصلاة والسلام من الغنائم فيهم.

أنا آخذ هذا الجزء من السيرة لأنه يهمنا هنا وهو قمة السياسة في التعامل، واحد أسلم مجبرا، ثم لما خرج ورأى هزيمة وانكشافا شمت فيك وبدأ يفرق الناس وقال: الآن بطل السحر وانتهى الموضوع، فلما رجع جاءه أبو سفيان يقول: يا رسول الله نصيبي؟ قال: مائة من الإبل، قال: ولابني معاوية؟ قال: مائة من الإبل أخرى، قال: ولابني يزيد؟ قال: مائة ثالثة!

ثم جاء الأقرع بن حابس وكان من شعراء الجاهلية، وفر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فأنشد قصيدة جميلة جدا أذكر فقط الشطر الأخير منها قال يخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام: (ومن تضع اليوم لا يُرفعِ).

يعني الذي تضعه اليوم أنت لا ينفعه شيء، غنم الرسول عليه الصلاة والسلام في حنين غنائم فظيعة عجيبة جدا، قال: غنم ستة آلاف من السبي، لأن هوازن خرجت بكل شيء، ثم غنم آلاف من الإبل وآلاف من البقر، ثم لما جاء لذكر الغنم لم يذكر آلافا، وإنما قال: من الغنم ما بين جبل كذا وكذا، فكل هذه الغنائم لم يوزعها الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار ولا على الكتيبة الخضراء ولا كذا، بل وزعها على ضعفاء الإيمان والمسلمين الجدد الذين فروا وانكشفوا وقالوا: بطل السحر، أعطاهم حتى خرج واحد من الأعراب يصيح وقد فقد عقله، جاء للرسول عليه الصلاة والسلام ويقول: زدني زدني زدني، فزاده حتى شبع، فلما جاء يقوم لم يستطع أن يقوم بما أعطاه، فضحك الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: احمل

ما تستطيع، فخرج يصيح: أيها الناس أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، عليه الصلاة والسلام.

فلاحظ أثر السياسة في عملية التعبئة، وهنا لفتة جميلة جدا وهي أن هذا قد ترك أثرا في نفوس السابقين، حتى جاء سيد الأنصار سعد بن عبادة قال للرسول عليه الصلاة والسلام: إن الناس قد وجدوا في أنفسهم وقالوا: رجل لقي قومه، فالرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يطمئن على عمق هذه المقولة، قال: كيف تجدك أنت؟ فشوف الصدق العجيب جدا، قال: إنما أنا رجل من قومي، يعني أنا أقول أيضا هذه المقالة، قال له: اجمع لي الأنصار، فجمعهم وهذا مقطع لا يملك الإنسان إلا أن يبكي فيه، قال: جئتكم ضلالا فهداكم الله بي، ومتفرقون فوحدكم الله بي، فامتن عليهم، امتن عليهم، وكل ذلك يقولون: الله ورسوله أمن، ثم قال: ولو شئتم لقلتم: جئتنا وحيدا فآويناك، وجئتنا فقيرا فأغنيناك، فتأثروا جدا، وبعد ذلك قال: أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى رحالكم؟!

مقطع من أجمل ما يكون، نريد أن نأخذ منه كثيرا من العبر، العبرة السياسية كيف تعامل الرسول مع ناس، وكيف سنتعامل نحن الآن، حتى الأنصار لما جاء سعد بن عبادة على رايتهم واقتربوا من مكة قال: اليوم يوم الدم، فسمع الرسول عليه الصلاة والسلام مقالته وكانت خطته أن يكون الدخول سلميا واحتواء للناس، فأراد أن ينزع عنه الراية لكن حتى كسياسة أخذ منه الراية أعطاها لابنه، وبذلك لا يشعر أنها أخذت منه لأنها طلعت منه وذهبت لابنه، لكنها طلعت منه لأجل المقولة ففهم الناس أن اليوم ليس يوم الدم.

من ضمن البرامج التي نشير إليها أن نعمل في المعسكرات إعادة قراءة سياسية للقرآن، وقراءة سياسية للسيرة، وقراءة سياسية للحديث، لأن فيه توجيهات عقدية، ثم فيه كنوز من التربية، فيمكنك أن تقرأ هذه الآثار كلها قراءة تربوية، تستخرج منها دروسا في التربية، ثم تقرأها قراءة سياسية، فتخرج منها تصورا سياسيا، ثم تقرأها قراءة إدارية، فلما نقرأها هكذا نكون قد أخذنا الدين بكل أبعاده، ونكون هكذا لم

نفصل الدين عن الدولة، ونكون طبقنا القول المشهور: (الإسلام مصحف وسيف)، ونريد أن نقرأ السيرة مرة أخرى قراءة عسكرية.

فهذا المقطع الذي ذكرته الآن، بناء على هذه القضية في معاملة السكان لفت نظرنا إلى موضوع: كيف نقرأ نصوص الإسلام، فنخرج منها دروسا كلا على حدة؟

ولو أردنا أن نعمل هذه القراءات، كم من الوقت يبقى للرمي وكم من الوقت يبقى للرياضة؟ لابد ألا يزيد عن ٢٠%، و ٨٠% كلام وتوجيه وقراءات بهذه الصورة.

فالشاهد في الموضوع معاملة السكان، لما قلتُ أول معاملة مع كتلة من الأسرى، قلتَ: كان هناك أسرى في بدر، صحيح، لفتة جميلة، ولكن توجيه القرآن نفسه في أسرى بدر كان أن عليكم أن تقتلوهم، في حين كان توجيهه في الفتح أن عليكم أن تحتووهم، وهذا ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى الأقرع بن حابس في فراره هو شاعر فبدأ يصف نفسه في المعركة، قال: ولما وقعت المعركة كنت بين فلان وفلان وعمل بطولات في الشعر.. إلخ، فقال واحد من الصحابة الرسول قال: "اقطعوا عني لسانه"، قال الشيخ عبد الله عزام في تعليقه على هذه الرواية، وعلى فكرة الشيخ عبد الله عزام قرأ تفسير سورة التوبة بهذا الأسلوب، وسجل ٤٨ شريط وهو قراءة وتفسير حركي لسورة التوبة، فلما جاء إلى هذا المقطع في موضوع حنين قال: لو قلنا لبعضكم الآن اذهبوا لفلان واقطعوا لسانه، لقال: هاتوا الشفرة الرسول عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نقطع لسانك، قال: اقطع لسانه يعني أعطوه من العطاء ما يقطع لسانه عنا، ويجعل لسانه لنا لا علينا، وأعطوه حتى قُطع لسانه فعلا وصار معهم.

فأما في بدر فنزل الأمر بمعاتبة الرسول عليه الصلاة والسلام وأبي بكر رضي الله عنه على عدم قتل الأسرى، فكان الأصل القتل والإثخان والإبادة، ليش؟ لأنه لا تزال القوة العسكرية للخصم قوية، وإذا رددت هذا الكم من القادة العسكريين له فسيتقوى بهم، لأنه كما نقول في حرب العصابات لا يزالون في المرحلة الأولى، وفي تفسير سورة القتال سورة محمد قرأنا حكم التعامل مع الأسرى، ونقل رحمه الله عن كتاب "أحكام القرآن" للجصاص نقل حكم الأسرى والخلاف الفقهي، وخرج إلى نتيجة أن الأسرى النص

الأصل في القرآن (فإما منا بعد وإما فداء)، وميز أن كل القتل الذي حصل في الأسرى حصل لأسباب خاصة كالرجل الذي أفحش في الرسول عليه الصلاة والسلام فأسر لما قُتل، فالأصل هو الإطلاق والمن، وغيره كالقتل فرع، وهذا يمكن أن نعود إليه ضمن وجوب معرفتكم جميعا بأحكام الجهاد الفقهية.

لما الإنسان يكون فقيرا، فليس عليه أن يفهم أحكام الزكاة ولا أحكام الصدقات، لما يصبح تاجرا يجب عليه أن يعرف أحكام الزكاة، لما يكون أعزب زي حالاتكم، ليس ضروريا عليه أن يعرف أحكام الحيض والنفاس وطهارة المرأة وكذا، فلما يتزوج يصير فرضا عليه أن يعرف هذه الأمور، فمثل هذا لما يكون الإنسان غير مجاهد ويدخل في الجهاد يجب أن يتعلم أحكام الجهاد، يقول علي بن أبي طالب: "من اقتحم التجارة ولم يتفقه= اقتحم الربا ودخل النار على بصيرة"، ولما ابتلانا الله بشيء من هذا وجدت أن ٩٠% من المداولات التجارية ربوية محرمة والتي تدور بين المسلمين، بيوع لا تجوز شرعا، بيوع ما لا تملك وبدون حيازة السلعة إلخ، نتيجة الجهل بأحكام البيوع، فالآن نحن في الجهاد وجهل مطبق بأحكام الجهاد، أحكام الأسير وأحكام الغنائم والفيء والقضايا والتوزيع، فمن الأمور التي يجب أن ندرسها في المعسكرات كما قال لي الدكتور فضل كتاب "السير الكبير"، أكبر مجموعة فقهية في أحكام الجهاد يجب أن تدرس.

نعود لموضوعنا، الأصل في معاملة الكتل البشرية من المسلمين عندما تستولي عليهم وتسقط قوة الدولة، أنك تحتويهم وتكسبهم، وحتى المرتدين الذين قاتلوا المسلمين وقتلوا منهم، حتى لو قلنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام أوحي إليه هذه العظمة من السياسة، طيب عمر وأبو بكر كيف تعاملوا مع المرتدين لما انتهت حروب الردة، منعهم أبو بكر من أن يمتلكوا السلاح ويركبوا الظهور لمدة سنة حتى تحسن توبتهم، ثم لما تولى عمر بن الخطاب دفعهم في الفتوح، لأنه ما من شيء يمكنه أن يغسل الخلل العقدي والتفكير والمشاكل إلا قضية الجهاد، من مرتد إلى فاتح!

حتى كان واحد منهم كما في كتاب "مصارع العشاق" كان يقول للصحابة وقد حسن إسلامه جدا، يقول: (زوجت ثمانية عشر رجلا منكم للحور العين في حروب الردة)، يعني بطريقة ظريفة يقول: أنا كنت السبب في إدخال ١٨ واحدا منكم الجنة، حتى لما جاء قاتل زيد بن الخطاب من المرتدين الذين أسلموا،

جاء يأخذ عطاءه من عمر بن الخطاب، فجاشت نفس عمر، وقال له وهو يعطيه العطاء: والله إني لا أحبك، فقال له: أوينقص ذلك من عطائي شيئا؟ قال: لا، قال: إنما يبكي على الحب النساءُ.

لما عمر بن الخطاب شعر أن قاتله أبا لؤلؤة المجوسي يخطط لاغتياله، لما طلب منه صناعة طاحون، قال له وهو غلام المغيرة بن شعبة، قال: لأصنعن لك طاحونا يتحدث به العرب والعجم، فقال عمر: إنما يتهددني العلج، ولكن مع ذلك لم يأخذه بجريرة قبل أن يحدثها.

الشاهد هناك طريقة لمعاملة الناس، ولكن لا تصل لحد التسيب بحيث يأكلون الناس، يعني هي حكمة:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى ** مضر كوضع السيف في موضع الندى

الشاهد أن السيف سيف والكرم كرم، ولكن كسياسة عامة عندما تستولي على كتل بشرية تفعل هذا.

وهناك تجارب جيدة جدا أخبرنا بها وعلى رأسهم الشيخ حقاني، في معاملة أسرى الشيوعيين من المسلمين المجرمين أو المكرهين أو الجاهلين، كانوا يدخلونهم في النظام خدمة سنة، ثم يعلمونهم الدين، ثم يزوجونهم ويرحلونهم إلى أهليهم، فيكون بوقا للدعاية حتى قبل أن تنتهي المعركة، ما زالوا في مرحلة التوازن، بوق للدعاية أن هكذا يعامل المجاهدون الأسرى، فكان هذا سببا كبيرا في فرار كميات كبيرة من الناس، في الوقت الذي كانت فيه طائرات الهيليكوبتر تنزل على القرى وعلى القبائل فتجمع الشباب بالسلاسل فتجندهم وترمي بهم في المعركة.

فعندك جندي هنا يقف أمام ماوتسي تونج جائع وعاري ومجبر وعطش وبده كل لحظة يهرب لعندك، فما الذي يبقى منك الذبح وكذا، فتكون أنت والعدو في معاملته نفس الشيء، فيميل إلى العدو، لأنك إذا تساويت أنت والعدو= فالعدو أقدر على حمايته منك.

ꕥ ꕥ ꕥ

نتابع هنا:

[يتبين في كل هذا السياق مبدأ هو: كلما احتل العدو أرضاً كلما ازداد ما يتوجب عليه الدفاع عنه، وما يقدمه من أهداف للهجمات. ومن جهة أخرى، كلما قاتل رجل العصابات ونجح، ازداد حصوله على وسائل القتال والنجاح من الأسلحة، والمقاتين والموارد المادية].

يعني نجاحات العدو عبء، ونجاحات العصابات كسب.

نجاحات العدو تعني مزيدا من الأراضي والأهداف والسكان، مزيدا من المصانع، مزيدا من الحراسة، إلخ، بينما العصابات نجاحاتها كسب، مزيد من الأسلحة، مزيد من العمليات، مزيد من الدعايا.

[وهكذا فإن أهداف الحكومة وأهداف الانتفاضة متناقضة كلياً. فالعسكري يسعى إلى انتهاء الحرب بأسرع ما يمكن بغية تحديد خسائره، وفي حين يسعى الثائر إلى إطالة أمد الحرب، لأن المجال أمامه مفتوح لكسب كل شيء].

عامل الزمن الذي اعتمد عليه ماتوسي تونج، والذي سينفعنا جدا في معركتنا مع الأمريكان والغرب واليهود، إطالة أمد المعركة ضروري جدا بالنسبة لنا، وعدم تعجل نصر حاسم هدف بالنسبة لنا، على عكس العدو الذي يريد أن يضرب الكتل العسكرية وينهي الانتفاضة ويرتاح، نحن بحاجة لإطالة مدة المعركة، وذكر ماوتسي تونج أن أحد أهم أسبابها فينا حرك الشعب وتعويده على القتال بعد فترة طويلة من القعود، وإعطاء فرصة لتناقضات العدو ونقاط ضعفه أن تظهر، لأنه لا يمكن أن تظهر في معركة خاطفة، بعكس ما تنتفض على حكومة محلية، يجب أن تسعى لانهيار الحكومة بشكل مفاجيء، وهذا غير ما تواجه قوى مستعمرة.

يقول إذا: **[فالعسكري يسعى إلى انتهاء الحرب بأسرع ما يمكن بغية تحديد خسائره، وفي حين يسعى الثائر إلى إطالة أمد الحرب، لأن المجال أمامه مفتوح لكسب كل شيء].**

في ملاحظة هنا: لاحظ جيدا واستفد من نقاط ضعف العدو التي سببها تكتيكه ووضعه، ولاحظ عامل إطالة أمد الحرب.

[ومن المؤكد أن الانتفاضة لا تستطيع تحقيق أهدافها بين يوم وليلة، ولا حتى في فترة زمنية محددة مسبقاً].

نلفت النظر إلى أنه قال: (ولا حتى في فترة زمنية محددة مسبقاً) أنا سبقت أن قلت أنك لازم تعمل خطة استراتيجية وسلم زمني، ولكن هنا يلفت النظر إلى ما كان يجب أن نقوله أن الاستراتيجية ثابتة في المناحي العامة العريضة لا تتغير، أما السلم الزمني فخاضع لقدرتك على تنفيذه، إذا وجدت بتيسير الله أنه قد حُرقت مراحل فتضغط السلم الزمني، بدل خمس سنين يكون ثلاث سنوات مثلا، ثم تدخل في المرحلة التي بعده، وإذا وجدت أن هناك تلكؤات وعدم نجاحات فتوسع السلم الزمني، فهناك مرونة في التعامل مع الخطة من حيث الزمن.

أنت تريد أن تعمل إضرابات على مرحلة معينة، تسبر الناس وتسبر الإشاعة= تجد الناس جاهزين للإضراب قبل الوقت الذي حددته أنت، فتنادي لإضراب عام.

وقلنا أنك لو ناديت لإضراب عام قبل الوقت، فعدم الاستجابة للإضراب= هو استفتاء شعبي ضدك أنت، ويعطي العدو حقا أن يقول أنك ليس معك جماهير، وهذا يجب أن ننتبه إليه ونحن نحشد المسلمين ضد اليهود والنصارى على أشرف قضية وأخطر قضية وهي الدفاع عن المقدسات والدفاع عن المسلمين، فإذا بالغنا في النداء الإعلامي دون قدرة على تحقيق فعل عسكري، بدون قدرة على تحريك الناس، نكون أعطينا العدو مؤشرا وإنذارا أن تستطيعوا أن تضربونا لأن أشرف قضية لم يتحرك لها المسلمون، فعند ذلك لابد من توسيع السلم الزمني، فهو عملية مرنة.

يقول:

[وهناك نقطة أساسية في نظرية (ماو)، وهي أن المراحل قد تتشابك، وأن حالات الفشل يمكن أن تقع، وأن تضطر وحدات للتحول من جديد إلى عصابات، وأن تتناقل الأيدي بعض الأقاليم عدو مرات].

القضية مرنة، وليست قوالب متحجرة في الخطة، لكن غالبا إذا انتقلت إلى المرحلة الثالثة لا تحتاج إلى الرجوع إلى المرحلة الثانية، أما التداخل بين المرحلتين الأولى والثانية فوارد جدا.

يقول: **[وأن تضطر وحدات للتحول من جديد إلى عصابات، وأن تتناقل الأيدي بعض الأقاليم عدو مرات]** لأن الأصل في مواجهتك المرونة والحركة والانزلاق كالريح وعدم التمسك بالأرض، قلنا التخلي عن عامل الأرض مقابل عامل الزمن والإدارة.

[وتأخذ نشاطات العصابات، على الخارطة في البداية، شكل نقاط، وتكبر هذه النقاط شيئاً فشيئاً لتصبح بقعاً، ثم يتصل بعضها مع البعض الآخر لتغطي باللون الأحمر كل أرض الوطن. لكن فلننتبه: إن التلوين لا يتقدم من الشرق إلى الغرب، أو من الجنوب إلى الشمال، بل من الجبال والغابات نحو المناطق المزروعة، ثم إلى قرى

هذه المناطق، ثم إلى المدن على طول الطرقات الكبرى، دون أن يطغى على هذه المدن، إلا في المرحلة النهائية.

ويبدو هذا السياق بوضوح، في الحرب التي شنها الشيوعيون على قوات تشانغ كاي تشيك الوطنية، بعد الحرب العالمية الثانية. ودامت الحملة سبعة عشر شهراً وفقد الوطنيون ٦٤٠ ألفاً بين قتيل وجريح، ومليوناً وخمسين ألف أسير. ويوضح (ماو) مختلف نقاط استراتيجية كما يلي:]

سيذكر استراتيجية للقتال مع الحكومة الوطنية بعد اندحار المستعمر الياباني، وهذه الحالة يمكن أن نتعرض لها إذا انكسرت شوكة الغرب في رقعة ما، وأبى أن ينسحب لعدم وجود مبررات مقاومة حتى الآن مثل منطقة الجزيرة والبترول، قد ينسحب من منطقة مثل الصومال أو الجزائر أو المغرب، فعند ذلك أمام حكومة غير مدعومة من قوات عسكرية خارجية، وهو يتكلم عن هذه الحالة.

نقول هنا: لاحظ ضرورة فهم عامل الجغرافيا، وقد ذكرت في كتاب "التجربة السورية" أن من مقومات وضع خطة استراتيجية إلمامك بعلوم الجغرافيا والجغرافيا السكانية، فلاحظ هنا خطة الانتقال هي من الوعر إلى السهل، وهذا هو القاسم المشترك، قد تكون أنت في بلد ليس فيها وعر لا مرتفعات ولا جبلية ولكن فيها موانع طبيعية أخرى، فتنتقل من هذه الموانع الطبيعية الأخرى إلى غيرها.

وهناك دول مدنية، فايش الوعر بالنسبة لك؟ أن تنتشر في المدن الصناعية الكبرى وتضع فيها قواعد مدنية، مدينة مثل اسطنبول أو القاهرة ١٤ مليون، فتشكل غابة من الأسمنت المسلح بالنسبة لك، فتستطيع أن تختفي فيها، ولكن يختلف نوع التسليح على نوع العمليات على نوع التكتيك رأسا على عقب، ليس له علاقة بتكتيك حرب الأرياف، وإنما هو حرب مخابرات وأسلحة مخابرات، ولكن مع ذلك استفدت وحولت طبيعة البنية المدنية إلى غابة وموانع تستفيد منها، وخاصة إذا كان هناك جزء من الصفيح وأحياء فقراء وتشعبات وأزقة إلخ.

فنحن نتكلم عن الانتشار من الوعر إلى السهل، الإخوة الآن في جنوب مصر يستطيعون الاستفادة من حقول القصب إلى المدن الصغيرة نفس التكتيك، في أفغانستان كانت حرب أرياف.

نتكلم الآن عن تكتيكات المرحلة الثالثة من حرب العصابات في المساحات الكبيرة:

[أولاً: مهاجمة القوى العدوة المشتتة والمعزولة، ثم القوى المجمعة].

أول شيء (القوى العدوة المشتتة والمعزولة) لأنه يسهل قضمها والاستيلاء على أسلحتها.

[ثانيا: الاستيلاء أولاً على المدن الصغيرة والمتوسطة، مع مناطقها الريفية، ثم الاستيلاء على المدن الكبرى.

ثالثا: الهدف الرئيسي، هو تدمير قوات العدو، وليس الاستيلاء على مدينة أو مكان، فاحتلال مدينة أو مكان ينجم عن تدمير قوات عدوةٍ، ويمكن أن تتناقل الأيدي المدينة أو المكان عدة مرات.

رابعا: في كل معركة، علينا أن نركز القوى التي تتمتع بالتفوق المطلق (بمعدل اثنين، ثلاثة، أربعة، وحتى خمسة أو ستة ضد واحد)، ونطوق العدو تماماً، ونبيده كلياً، دون أن نسمح لأحد بالهرب].

نحن قلنا أننا بالنسبة الكلية ليس عندنا تفوق مطلق، لكن هذه كما شرحنا نظرية ماو "التفوق المحلي".

[ونستعمل في بعض الظروف طريقة تتضمن التحشد لتحقيق هجوم جبهي، مع هجوم على مجنبة أو مجنبتين، بغية تدمير جزء من قوات العدو، وإلحاق الهزيمة بالجزء الآخر، حتى نستطيع الانتقال بسرعة إلى نقطة أخرى، لسحق قوات أخرى].

لاحظ أنه هنا في المرحلة الثالثة، وهي يهجم هجوما نظاميا، ومع ذلك لا يزال يفكر بعقلية العصابات، ولذلك كان ماو ينفذ إغارة وانسحابا وانزلاقا سريعا بقطعة تتألف من ٢٥ ألف رجل! ولك أن

تتصور القدرات الإدارية والاتصالات والآليات وخفة الحركة واستخدام كل ما تحت يده، حتى كانوا يسمونه "صاحب المسيرة الكبرى" لأنه كان يهجم وينتقل على طول مساحة الصين.

[وأن نحاول تجنب معارك الاستنزاف التي نفقد فيها أكثر مما نكسب أو التي نخرج فيها متعادلين].

يعني حتى المعارك التي نخرج فيها متعادلين ليس مرغوبا فيها ولا في المرحلة الثالثة، لا ندخل معارك إلا التي نخرج منها منتصرين.

[وبهذا الشكل ولو كنا أقل من العدو عدداً بشكل عام، يمكننا أن نتفوق في حملة معينة، وأن نحقق بالتالي انتصاراً. وسنتوصل مع الزمن لنصبح متفوقين عددياً (بشكل عام وليس محلياً)، فنكنس عندها العدو].

يعني مع الوقت سيتحول التفوق المحلي إلى تفوق كلي، نتيجة الهروب والتحاق القوات وانضمام السكان، لأنك تقاتل على أرضك، وهذا نحن مرشحون له إذا كسبنا المسلمين، ولو أنزل العدو نصف مليون، مليون، ٢ مليون جندي، لن يفعل شيئا مع مليار مسلم، إذا نحن وسعنا رقعة الجبهة، ونحن لا نريد أن ننظم في الجيش ولا نستطيع أن ننظم مائة مليون في العملية، ولكن يمكن إذا دخل هو في مليون أن يكون مجموع المنتسبين إلى عملية الجهاد على طول العالم الإسلامي ١٠ مليون، مش ١٠ مليون يحملون السلاح، ممكن لا يحمل السلاح إلا مائة ألف، ولكن الذي ينقل المعلومات والذي يدعو لك بالليل، والذي يؤويك والذي يعطيك الفلوس، والذي يغلق الفنادق في وجه العدو، والذي يضع له السم في إحدى المقاهي التي ينزلها جنوده، هؤلاء جميعا لا ينتسبون إلى العمليات، فإذا تفوقنا بهذه الصورة= يرتفع التفوق المحلي إلى تفوق كلي.

ومع هذا النص المفيد لنا ثلاث وقفات:

أولا: يقول في لفتة أننا هدفنا التطويق والإبادة وليس تركه للهرب، هذا نفس قول الله تعالى الذي أرشدنا إليه من قبل (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) (فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم) (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) وبعدين ايش؟ (حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء) يعني شد الوثاق وأخذ الأسرى لا يكون إلا بعد الإثخان.

ففي هذه المرحلة الأصل ذبح الكتل البشرية للعدو حتى لا يبقى عنده شوكة، وتنقل بعض أسرار التاريخ التي كتمت أن أيزنهاور أحرق ٥٠ ألف ضابط وجندي من القوات الألمانية بعد انكسار الألمان، وقال: الآن أستطيع أن أستريح إلى أن ألمانيا لن تجد قوة شبابية تفتعل بها المشاكل مرة أخرى لعشرات السنين!

فعملية الإبادة للعدو وكسر القدرة العسكرية له مهمة، خاصة للقوات العسكرية المعادية المحمولة إلينا المستعمرة، أو المخلصة له، أو الأقليات العرقية والدينية المتعاملة معه والتي ارتبطت به تاريخيا، ومعروف أنها ستكون معه تاريخيا، عندنا طوائف في بلاد الشام: الدروز النصيرية الموارنة الإسماعيلية القاديانية عبدة الشيطان إلخ، هذه الطوائف تاريخيا وعلى طول الخط كانت مع التتار لما كان هناك تتار، وكانت مع الصليبيين لما كان هناك صليبيون، والآن مع اليهود، ومعظم السجانين والجلادين في إسرائيل دروز!

فهذه الطوائف إذا أمكن تحييدها وأنت في حاجة لتحييدها= تحيدها، فإذا لم يمكن تحييدها وهي داخلة في قطعات العدو البشرية فيجب أن تتعرض للإبادة، هذا كله ضمن حسابات المصلحة والقدرة، فهذه لفتة لفت إليها القرآن وفعل الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى مدار التاريخ الإسلامي، وهي إبادة الكتلة البشرية للعدو، ثم التعامل مع أسرى المسلمين بشكل حسن.

ثانيا: في قوله: (تجنب معارك الاستنزاف التي نفقد فيها أكثر مما نكسب أو التي نخرج فيها متعادلين) يقول هذا حتى مع التوازن أو التفوق كمبدأ عام تبقى المعركة لإحراز نصر عسكري وأحيانا معنوي، يعني هناك عمليات استشهادية فيها خسائر بشرية، فهذه لا تدخل تحت هذه القاعدة، ففيها إلى جانب الخسارة البشرية أخذت كسبا معنويا كبيرا جدا، أو أحرزت خسارة بعيدة المدى في صفوف العدو، يمكن

أن ندخل بنصف التنظيم مائة جندي مثلا للقضاء على موكب رئيس الدولة في بلد مثل ليبيا، لأننا نعرف أن النظام رأسي هرمي مقلوب على قفاه، وليس نظاما مؤسسيا مثل مصر، في بلد مثل الأردن في كل تاريخه قائم على شخصين ليسا من أهل البلد ولا يمكن تعويضهما، الملك وولي العهد، وبعد ذلك خليت البلد.

فهناك ضربات مركزية لا بأس أن يحدث لك فيها خسائر بشرية، لكن الأصل أنك لا تدخل معركة إلا إذا كان هناك كسب، لا تعادل ولا خسارة.

نقول النقطة ٢٦: نتوصل مع الزمن إلى أن نصبح متفوقين عدديا، هذا في النهايات ضد الحكومات، يعني في النهاية ضد الحكومات نكون أغلبية كما رأينا مع كاسترو، لم يصر أغلبية إلا لما سقطت الدولة، فدخلت حتى القطعات العسكرية معه، أما في القتال ضد المستعمر فأنت في المرحلة الثانية يمكنك أن تدخل في مرحلة الأغلبية.

يقول:

[**خامسا: ألا نشن معركة بلا تحضير، وألا نشتبك في معركة إلا إذا كنا واثقين من كسبها، وأن نبذل كل جهودنا من أجل الاستعداد لكل معركة، وحتى نضمن الظفر في الشروط المتوافرة**].

في قوله: (ألا نشن معركة بلا تحضير) لفتنا النظر إلى أن أحد أهم سلبيات انتاج المجاهد العربي في أفغانستان، أنهم متصورون أن المعركة عملية تواكلية، هم يسمونها "توكلا"، وينفذونها تواكلا، وأنه بمجرد أن يجتمع ١٠ أشخاص ويأتون ببعض الذخيرة، خلاص ستنزل عليهم الملائكة مردفين! وهم لم يعدوا ما استطاعوا من قوة، ومن أهم الإعداد هو أن تدخل المعارك بتحضير.

لما كان ندرس مادة المتفجرات، نقول لهم لما تريد أن تقوم بعملية نسف جسر، وفي هنا في المذكرة السورية نموذج لهندسة المتفجرات، فتصور أنت بخيالك الواسع مع الذي يدير العملية أنك الآن ستتحرك إلى هناك ما الذي يلزمك؟ ممكن ببساطة أنك جهزت كل شيء، فلما وصلت إلى الجسر الذي ستضع

بعض العبوات في الماء، على الأعمدة التي داخل النهر أو داخل البحيرة، في شيء اسمه جدول لوازم العملية: قوارب مطاطية، عبارات خشبية، حبال، مغاطس، سلالم حبلية، سلالم عادية، بطاريات.. إلخ فتخيل أنك بعد أن جهزت كل شيء أنك نسيت المسامير، فقط المسامير التي ستثبت بها الحبال والحشوات على الجسر، انتهت العملية كلها، ترجع بخفي حنين!

فلابد من عملية مراجعة وتحضير شامل لكل شاردة وواردة ستلزمك في المعركة، إذا كانت المعركة فيها جبال، والجبال فيها ثلج، معناها تحتاج إلى ألبسة واقية، وتدفئة، ومعدات، وتحتاج وتحتاج، إذا كنت ستدخل صحراء فتحتاج إلى الماء واحتياط للماء.. إلخ، هذه العقلية الكلية الإدارية لم نتدرب عليها، وكل هذه الأمراض نبحث لها عن سبب من الدين أننا صح، نحن بدليل شرعي، وهو التوكل والزهد والاعتماد على الله، وكل هذه الكوارث توضع لها عناوين شرعية حتى نبرر هذا العجز الذي نحن فيه، هذا ليس صحيحا، بل حرام أصلا، حرام أن تأخذ مجموعة من الناس وتضعهم في المهلكة، ونكتشف أن المهلكة هي أن أخانا كان متوكلا، لم يحسب حساباته!

الشاهد في الموضوع أنه يقول: (ألا نشن معركة بلا تحضير) عندك عملية الغرض منها أن تهجم على مطار لكي تنسف المدرجات والطائرات لأنها لما تكون في السماء كارثة على العصابات، فأنت هدفك أن تهدم مدرجات المطار وتدمر بالمتفجرات ٣٦ طائرة على مدرجاته، فتصور هذه الحملة التي سيشارك فيها من طرفك مائة مثلا، تحتاج إلى: الإسناد وقطع الطريق وقطع الاتصالات والتشويش إلخ، إلى المتفجرات إلى العبوات اللاصقة إلى التموضع في نفس الطائرات التي أنت فيها، إلى كل هذه القضية، فتضع جداول أمامك فتحسب وتضرب وتجمع وتعد.

عملية عبور القناة الناجحة التي تمت في قناة السويس، وهي من الدروس التاريخية العظيمة في التاريخ العسكري الحديث لكل البشرية، حتى تُدرس الآن في كل الجامعات العسكرية، الشاهد أن التحضير لها جرى أكثر من مرة، وكان تقديرهم حتى كان في مقابلة على الجزيرة مع المشير محمد فوزي الذي كان رئيس أركان الحرب ساعتها، قال: سألني السادات كيف تصورك عن الخسائر الممكنة؟ فقلت له: أنا حسب

دراساتي لعمليات العبور ستكون الخسائر من ٨ آلاف إلى ١٠ آلاف شهيد، فقال لي: هذا ما لا أستطيع أن أتحلمه، وبعد ذلك أقنعوه أنه ثمن مناسب للمسألة، ولكن لما عبروا قال: لم يكن عندنا إلا ٩ شهداء فقط! فهذا إن دل إلى شيء بعد توفيق الله عز وجل، فإنما يدل على تحضير ممتاز جدا، وتجارب وتمارين على هذه العملية قبل أن يقوموا بها.

والآن كل قوات الكوماندوز وكل قوات الشرطة ومكافحة الإرهاب قبل أن تهاجم مكانا فيه مختطفون ورهائن= تبني نموذجا معماريا كاملا للمكان الذي ستجري فيه العملية، وتجري عليه عمليات الإقتحام عدة مرات حتى لما يدخل جندي الكوماندوز إلى منطقة العمليات يجد دهليزا مكان الدهليز الذي رآه، وبابا مكان الباب الذي رآه، فإذا لم يكون النموذج كاملا ضمن إمكانياتك يجب أن تعمل ماكيت على الأقل، فهذا كله تفصيلات يجب أن تتدربوا عليها عملياتيا، حتى نستطيع أن نقوم بعمليات اقتحام.

يجب أن تتدرب أنت وتدرب القوات أنك أحيانا تفتح لإنسان رمانة يدوية تسحب الصاعق، تسمع الضربة ضربة الصاعق الأساسي، ثم ترميها لشخص ويأخذها هو يرميها وهي مفتوحة، وإذا لم يستطع سيقتل هو والمدرب، كنا نتدرب عليها لكن مع الناس الذين قطعوا مراحل طويلة في التدريب، والغرض في ذلك أنك عندك أربع ثواني أو خمس ثواني لانفجار القنبلة، وتعرف أن العدو الذي أمامك متحصن ومدرب، فلا يمكنك أن تخطئ.

فعمليات من التدريب كهذه دقيقة جدا، هذا كله في التحضير وفي التدريب لابد أن يُدرب الشباب على آلية التحضير لمعركة، وليس مجرد العزم والتوكل بمفهومنا الغلط كافيا لكسب معركة، فهذا من الإعداد الشرعي الواجب (ما استطعتم من قوة)، وممكن أن أتكلم ساعتين ثلاثة تحت هذه الكلمة ولكن تكفي الإشارة، والأمثلة كثيرة، ألا نشن معركة بلا تحضير، وألا نشتبك في معركة إلا ونحن واثقون من كسبنا وهذا مر معنا، وأن نبذل كل جهدنا من أجل الاستعداد لكل معركة، وحتى نضمن الظفر في الشروط المتوافرة.

[سادسا: أن نستغل تماماً طريقتنا في القتال –الشجاعة في الصراع، بلا أي خوف من التضحيات أو التعب، والقتال المستمر (ويقصد به فوضى معارك قصيرة متلاحقة، دون اللجوء إلى الراحة بينها)].

لابد أن نستغل نقاط قوتنا، فيبدأ يعدد نقاط قوته بصفته صيني:

(بلا أي خوف من التضحيات أو التعب) العدو خائف من التضحيات، البارحة حكيت لكم عن بعض الجنود والطيارين الإنجليز كيف انهارت معنوياتهم ويتحدثون عن التضحيات والخوف منها والتعب.

(القتال المستمر) من نقاط قوة العصابات أنه ممكن يقاتل بلا توقف، بينما الجيوش النظامية تحتاج إلى استراحات إلى مدار الـ ٢٤ ساعة، يبرد الآليات وينظف الأسلحة ويضبط الاتصالات ويجهز التنسيق ويطعم الجنود في كل الجيوش الحديثة لابد من وجبات ساخنة، لكن العصابات ليست كذلك بل قتال مستمر ويفتح قوسا يقول: (ويقصد به فوضى معارك قصيرة متلاحقة، دون اللجوء إلى الراحة بينها)، ولذلك من التحضير أن تدرب الناس على مسير ٦٠ كم ٧٠ كم ١٠٠ كم، السباحون الذين يعبرون المانش في السباحات الطويلة ٤٢ كم سباحة في بحر هائج جدا، ومن تدريباتهم أنهم يأكلون وهم يسبحون، القوارب ترمي له الأكل على مسافة فيسبح ليأخذها ثم يأكلها.

فإذا كنت أنت تقوم بتأهيل مقاتل عصابات ليقاتل بلا راحة، فمعناها أنه مطلوب منه قوة نفسية، وقوة ذهنية، وقوة صبر وتحمل، وهذه لا تكفي إذا كان جسمه ضعيفا، ثم عنده قدرة على التضحيات وقدرة على القتال باستمرار بلا راحة، وهذا القتال الذي بلا راحة يجب أن يسبقه إعداد طويل المدى، إعداد جسمي بدني، إذا كان سيتعرض للقتال في مناطق مائية فقطعا لابد أن يعرف السباحة، لو كان سيقاتل في الصحراء فلا مشكلة، فهناك تدريب عام جدا كل الناس لابد أن يخضعوا له، ثم هناك تدريب خاص لنوع هذا المقاتل تبعا لبلده ومعركته فيختلف سلاحه، فرجل يقاتل في المدينة فسلاحه سلاح مخابرات، لا يحتاج إلى علوم مساحة ولا مدفعية ولا صواريخ أرض أرض، لا علاقة له بذلك، فلابد أن يتدرب على معركته هو.

أما التدريب العام فمنه اللياقة والقدرة، النقطة التي يقول فيها: (دون اللجوء إلى الراحة)، ألفت النظر إلى مسألة، قبل أن تبدأ المواجهة تنظر إلى أوراقك القوية، أستخدم هذا المثال لأني أظن معظم الحاضرين سبق ولعبوا ورق الشدة، فأستخدم صورة معروفة لكم، الذي يلعب الورق (الكوتشينة) يعرف أن هناك أربعة أصناف من الورق، في كل صنف هناك أربعة أو خمسة أنواع بحسب قوة الورق، بمجرد أن تفتح ورقك تعرف نقاط ضعفك ونقاط قوتك، فلا يأتي أحمق يلعب الورق كما يفعل بعض المبتدئين معذورين بالجهل يلعب في نقاط القوة للعدو والخصم، أنت تختار طريقة للعب تبرز فيها قواتك لتحطم العدو، لا أحد يلعب بورق خصمه، صحيح؟

الآن العمل الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه يختارون أوراق العدو القوية ويلعبون فيها، بصرف النظر عن الشرعية حتى من الناحية السياسية، هل هذه ورقة قوة للمسلمين، ولا ورقة قوة للكفرة؟ ورقة قوة لهم، تعتمد الكذب، ولا نستطيع، نقض العهد، لا نستطيع، الالتفاف والخديعة، لا نستطيع، كل هذه نقاط قوة للعدو، وهو يلعب في أرضه، فهذا ليس أسلوبنا.

الآن الصراع الأمني، والتجسس، والتجسس المعاكس= هل هو قوة لنا؟ ليس قوة لنا، لأن أجهزة التنصت والتكنولوجيا والقدرات الأمنية أصبحت ليست قوة لنا، وبالتالي لا نستطيع أن ندير حربا أمنية مع العدو، ولذلك فشلت كل التنظيمات التي تعتمد العمل السري، الاضطرار إليها هذا أمر آخر، لكن لابد أن تعلم أن العمل السري والصراع الاستخباراتي ليس مجالك، ليس مجالك، الآن مخابرات موريتانيا ولا مخابرات اليمن ولا أحقر وأكثر الدول العربية تخلفا هي أفضل في أجهزتها الأمنية من أفضل الجماعات الجهادية في العالم العربي والإسلامي، ولاحظ التدرب والإمكانيات والاختراق وشراء المخبرين وزرع العملاء والمصائب التي حصلت.

فإذا العمل السري والتنظيمي لابد أن تعرف أنه ليس مجال صراع بينك وبين العدو، هو نقطة للعدو ليست لك، فلابد أن تعرف النقاط التي لك والنقاط التي للعدو.

فايش نقاط القوة التي عند المسلمين؟ هي نفس النقاط التي ذكرها هنا، الميزة الأساسية للعصابات أنها تستمد قدرتها من الفقر، والعدو يستمد قدرته من الغنى، ليس عندك ما تخسره، فإذا نقطة القدرة الأولى وأول ميزة للمسلمين ايش هي؟ هي "جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة"، هذه الورقة لابد أن نلعب بها، لأنه لا يمكن لكافر ولا ضال ولا عميل أن يحب الموت كما يحب الحياة، لا بالدين ولا بالدنيا، فهذه الورقة نلعب بها، والتي سماها هو ايش؟ (الشجاعة والبسالة والقدرة على التضحية بلا خوف).

هذه نقطة قوة للمسلمين، ثبت إلينا أن إخواننا من الجزيرة جاءوا إلى أفغانستان فكانوا من أبسل المقاتلين، ذهبوا إلى البوسنة فكانوا من أشجع أصحاب العمليات، كل الجزيرة اليمن والخليج والسعودية، نزلوا إلى بلادهم فتحولوا إلى مجموعة من النعاج والخرفان يأتيهم من الأمن ورقة أنك تحضر للتحقيق= فيمشي ويحضر التحقيق، ويعرض للانتهاك وأهله للمصيبة والانتهاك، وين راحت البسالة والقوة؟!

إذا فعندما أختار لهذه المنطقة أسلوبا للمقاومة، يجب أن أدفعهم إلى جبهة مكشوفة مفتوحة، جبهة مواجهة، لأن إمكانياتهم في الشجاعة والبطولة ثبت أنها في الجبهات المفتوحة عالية، وفي قتال العصابات والأعمال السرية ومواجهة المخابرات ضعيفة جدا، فأنا أعرف أن هذا نقطة قوته هكذا فأستفيد منها هكذا.

الآن الضعيف فيه نقطة قوة، لأن هناك عشائر وقبائل وثأر وارتباط قبلي، فهذه نقطة قوة، سمعت مرة في إذاعة القاهرة مقابلة مع معاون وزير الداخلية والله عجيب جدا، قال: المصيبة عندنا يجب أن نعترف ببساطة أن المعركة في الصعيد فيها ارتباطات قبلية وعشائرية لابد أن نفهمها، لأن كل رجل من أهل الصعيد مستعد لأن يخفي ابن عمه الإرهابي ولو قُتلت نصف الحكومة، فذكر أن الإرهابيين يتسترون بأصول عشائرية ليسوا في أصل المشكلة، فهو يخفي ابن عمه لأنه عيب أن يسلمه، فهذه نقطة قوة.

فقبل أن تدخل في المعركة في بلدك وحسب عاداتك وحسب تقاليدك وحسب أمتك= لابد أن تبحث عن نقاط القوة وتكيف مخططا يتناسب مع هذه النقاط، وتتجنب اللعب في نقاط قوة العدو ومجاله، هذا

على الصعيد العام مجاله الجهاد، وليس الألاعيب السياسية في البرلمان، لأن هذه نقاط ضعف لك وقوة له، عدا الحلال والحرام.

وضمن الجهاد نفسه مجالنا وضح، مجالنا أنه عندنا ضعف الجهاد بالتربية صح ولا لأ؟ ضعف العبادات، ضعف الارتباط بين القائد والمقود، ضعف البنية التنظيمية، ايش سببه؟ سببه أنه ليس هناك تماس مباشر بين الأمير والجندي لأن العمل سري فلا يراه، ليس هناك ارتباط عاطفي بينهما، ليس هناك قدرة على التربية، فإذا العمل السري عدا عدم القدرة على العمل في الجبهات، ليس هناك قدرة على تربية العناصر ولا توجيههم توجيها منهجيا.

ولذلك يجب أن نسعى إلى استحداث جبهات مكشوفة بيننا وبين العدو، نستطيع تفجير طاقات الشباب المسلم واستخدام قواتنا بهذه الطريقة، جبهات مفتوحة: تماس بين القيادات والقواعد، تماس بين الجهاديين والشعب، فهذه كلها نقاط قوة، لا أن نلعب في نقاط قوة العدو.

أوراقنا القوية:

أولا: "يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة".

ثانيا: البسالة في المواجهة العملية، والشجاعة الجماعية.

عمل العصابات في المدن يحتاج لشجاعة فردية، تأخذ السكين بفمك، تتسلق الجدار تقفز، أصبحت في موقع العدو وحدك، كم واحد من الناس يستطيع أن يخوض فيها؟ ليس كثيرا، لكن عندك في قطعة قصف مدفعي وجبل وغابات، فهذه شجاعة جماعية، فهذه ميزة من ميزاتنا نحن.

قضية إفشاء الأسرار، عندنا عادة مسخرة، لما تحدث بدر الدين الجمالي رئيس اتحاد الكتاب العرب في كتاب أظن "ميزات الشخصية العربية"، يحلل الشخصية العربية تحليلا نفسيا، فتكلم عن مقومات الرجل العربي العادي وأخلاقه، فذكر حب التدمير: الكراسي مشققة بالسكاكين، الأنابيب مخلوعة، الشبابيك مكسرة، الحدائق العامة، أسلاك التليفونات، عملية حب الدمار، فيحلل لماذا هذا؟ فخرج بنتيجة أن العرب

تعرضوا إلى الاحتلال من ٥٠٠ سنة حسب وجهة نظره أن الاحتلال التركي ثم الأجنبي، فتصور العربي للسلطة دائما أنها باغية، فكل شيء تعمله الدولة عنده حب أن يكسره، ثم تحولت إلى مرض نفسي.

وتكلم عن قضية سماها "حب الإدهاش"، أن الشخصية العربية تحب أن تكون أول من ينقل الخبر، فيتناقلون الأخبار ليست صحيحة من أجل حب الإدهاش، ثم يزيدون عليها من واحد إلى الثاني، ثم وصلنا إلى حالة من الاستحالة في موضوع الأسرار، حالة استحالة، يعني أنا واحد من الناس سلمت أنه لن تكون هناك أسرار في الوسط بتاعنا، فإذا سلمنا نحن بهذا وهو نقطة ضعف، فأين نحن من التنظيم السري؟!

صدام حسين في تصوري كان صادقا جدا في نصرة الإخوان المسلمين على النظام السوري، لأن هذا في مصلحته، فهو يتعرض للهجوم على الجبهة الإيرانية، في مرة من المرات أخذ حسن هويدي وأخذ اثنين معه أو واحد من القيادة، وخرج بهم من مكتب القصر الجهوري إلى آخر الحديقة وقال له: أنا أريد أن أقول لك كلاما، لا أستطيع أن أقوله لأني أعتقد أن هناك من يتنصت علي بشكل كامل داخليا وخارجيا، وأفشى له بعض الأسرار والترتيبات في موقف العراق معهم.

من الذي روى هذه الرواية؟ رواها مراسلنا الذي اعتقل قبل أحداث حماة، كان يحكي أمراض التنظيم على التلفزيون السوري! قال: هؤلاء الناس ما أدري كيف يسوون ثورة؟ إذا قرأتم في كتاب "التجربة السورية" كيف كُشف مخطط الحسم، وهو الترتيب بين انقلاب عسكري للإخوان المسلمين والجبهات، فاعتقل المراسل واعترف بكل شيء، ومن جملة ما اعترف قال: أنا اكتشفت أن هؤلاء الناس سفهاء، لا يديرون حربا، حتى صدام حسين لما جاء لهذه القضية قال ما خرج الرجل إلا يسب ويشتم، هذا هو المراقب العام، فتكلم مع زوجة رجل من القيادة العامة، وبعد يوم كان قد انتشر في كل التنظيم، ثم عرفت عند كل الناس، ثم عرفها المراسل فخرجت على التلفزيون السوري!

فقضية تفشي الأسرار عندنا موجودة، فلا تعول كثيرا على مخططات سرية وتدريبات في هذه الأمور، الناس تحشر أنفها فيما لا يعنيها، واحد شاف ناس نازلين طالعين، يا إما لازم يعرف، يا إما يضع تصورا معينا في ذهنه عما يدور، ثم ينقل الخبر، ثم تصبح قضية! وهذا مذكور في القرآن في التوجيهات القرآنية

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) يعني كل أمور الدنيا إما أمن وإما خوف، أذاعوا به: شوشرة ودعاية وما أدري ايش، الرسول عليه الصلاة والسلام كان يعطي لرجل مهمة –لفتة عسكرية جميلة جدا– فلا يقول له: أسر هذا الكلام، بل إذا مشيت مراحل كذا فافتح الرسالة فيها مهمتك، حتى يقضي على احتمال أن هذا الرجل ممكن يحدث أحدا بالمهمة.

الكلام كثير والشواهد كثيرة، المهم لابد أن تعرف نقاط قوتك فتستخدمها، ونقاط قوة العدو فتتجنبها في كل التكتيكات السياسية والعسكرية، وعلى رأس ما نلفت النظر إليه وهو قدراتنا وقدرة إخواننا على المواجهات الجبهوية وفتح الجبهات، واستثارة الناس بالأدبيات وبالشعر وبالشواهد وبالخطابات وبالتأثير، كان عمر بن الخطاب يعين لكل جيش قائدا وخطيبا وشاعرا، لأنه ممكن ببيتين شعر قبل المعركة يستميت العرب في القتال من ارتفاع المعنويات.

(والقتال المستمر) من نقاط قوة العصابات، لأن العدو يحتاج إلى خطوط إمداد، صحيح؟ للطعام على الأقل، أما مقاتل العصابات طعامه فين؟ في جيبه، الماء يحمله في المطر، مقاتل الجيش يحتاج في البرد إلى تدفئة وكذا، مقاتل العصابات حراراته فين؟ حرارة الإيمان معه، رجل شجاع ويهجم وساخن ولا يحتاج نفسيا وبدنيا إلى تدفئة، فهذه كلها نقاط قوة للعصابات، نقاط ضعف للجيش، فأنت تختار نقاط القوة عندك بدءا من القضايا الدينية والمعنوية والنفسية، وانتهاء بالتدريب والسلاح، ثم تجمع نقاط القوة عندك كلها فتبتدع منها أسلوبا للقتال، تبرز فيه نقاط قوتك وتتجنب نقاط ضعفك وعللك وأمراضك، وتأخذ نقاط ضعف العدو وتجعل منها خطة للهجوم عليه.

[سابعا: محاولة إبادة العدو عندما يكون متحركاً، دون أن نهمل في الوقت نفسه تكتيك مهاجمة الموقع، وانتزاع النقاط القوية والمدن].

بالرغم من أنه في المرحلة الثالثة وعنده قدرة على مواجهة المواقع، ولكن العدو ضعيف عندما يكون متحركا، فكتبت هنا ملاحظة في موضوع اغتيال الشخصيات الرسمية، هذا مبدأ أساسي.

لو إنسان يريد أن يأمن على نفسه، يعمل تحصينات في مكان سكنه وأكله وشربه وحواجز وألغام وما أدري ايش، يكاد يتعذر أن تصل إليه، فإذا تحرك حتى ولو كان رئيس أكبر دولة، لاحظ سلسلة الاغتيالات الأخيرة، ومن الثقافة التي تلزمكم أن تقرأوا في العمليات الإرهابية العالمية، كيف نُفذت وايش أخطاؤهم، الحمد لله كل الصحف تتكلم فيها:

البابا تعرض لعملية اغتيال وأصيب، وفي ليبيا تعرض لاغتيال وأصيب، الشخصيات الكبيرة، حسني مبارك تعرض لاغتيال ولم يقتل، أظن هذا قدر الشعب المصري عقوبة له على أن يستمر ما هو فيه، لم يصل السلاح المضاد للدروع في الوقت المناسب، كان هذا سبب فشل العملية فيما قرأت في الصحف، فأطلقوا على السيارة المصفحة بالرصاص، حافظ الأسد ألقي في حضنه قنبلة يدوية لكن لم تنفجر، القذافي مرتين دخلت القنابل في حضنه ولم تنفجر، ست عمليات اغتيال تعرض لها القذافي من الجماعة الليبية المقاتلة، كل الشخصيات الأشد حراسة تعرضت لعمليات اغتيال، قدر الله سبحانه وتعالى لكل أجل كتاب فلم تحصل النتيجة، ولكن من ناحية التنفيذ العسكري كلها نقاط ضعف في الخارج.

من اللفتات المهمة في عملية اغتيال حسني مبارك أنه حتى لما صار متعذرا في مصر وهو متحرك، استطاعوا الوصول له في الخارج، لأن الاستعدادات الأمنية في الخارج لم تصل للاستعدادات الأمنية في الداخل، فعملية الحركة نقطة ضعف.

وما نقوله عن الشخصيات نقوله عن المؤن والأسلحة والذخائر، لو أنك ستهاجم ثكنة حتى تأخذ سلاحا= متعذر، في حين تعلم أن هناك قطعة عسكرية معزولة سيأتيها إمداد، فهم جاءوا بالأسلحة في السيارات وكأنهم يقولون لك: تعال خذهم!

فالحركة نقطة ضعف، ومقتل للقوات النظامية والشخصيات الرسمية، فأي هدف لا تستطيعه ثابتا، يجب أن تفكر فيه متحركا.

[ثامنا: أن نعيد تكوين قوانا بكل ما نغنمه من أسلحة وبالجزء الأعظم من أفراد العدو الأسرى. وتشكل الجبهة موردنا الرئيسي من الرجال والمعدات].

كلام جرئ جدا، كلنا نعرف أن الغنائم تشكل لك موردا من المعدات، ولكن هذا الآن يبدأ مبدأ أن تشكل خطوط العدو موردا من الرجال أيضا!

يعني أن تجند أسرى العدو في صفوفك، هذا متى يحصل؟ يحصل عندما يكون أسرى العدو من أبناء الشعب المتعاطف معك، إما جاهل أو مكره، فأنت أخذت حتى من رجال العدو، ليس فقط من انضموا إليك طواعية، بل الأسرى وجعلته موردا للتجنيد، ليس فقط موردا للخدمة، مورد للتجنيد.

هؤلاء لو تعرضوا لدورات غسيل نفسي وغسيل شرعي وديني= يرجعون إلى أصولهم، يرجعون مسلمين، فإذا ثبت لك أنه ما زال بين بين، تضعه في الخدمات الخلفية، ولكن يخرج منهم ناس مخلصون أكثر من الناس الذين دخلوا طواعية.

ملاحظة: لاحظ لفتة رائعة، وهي تجنيد أسرى العدو، لأنهم من أبناء البلد، فانظر إلى اختلاف السياسة بين هذا الرجل وبين فلسفة الزوابري الذي ظهر في الجزائر.

كان الزوابري يذهب إلى مسلمين في المسجد يريد أن يذبحهم، وهذا يذهب إلى أسرى الجيش يريد أن يجندهم! يعني شرق وغرب.

فنحن نريد أن نلفت النظر إلى أن أحد موارد التجنيد في قتالنا ضد اليهود والنصارى والغرب وأمريكا= هو الشعب المسلم، حتى العامل في القطاعات الحكومية، لا بعد أن تخترقه وتجنده، بل بعد ما تأسره وتنقله إلى مناطقك وتخضعه لعملية غسيل نفسي وديني وشرعي، هذه النقطة تحتاج إلى أكثر من هذا، لكن نكتفي الآن بالإشارة.

[تاسعا: الإفادة من الفواصل بين الحملات، لإراحة جندنا وتدريبهم وتقويتهم. ويجب أن تكون هذه الفواصل قصيرة إلى حد ما، وعلينا أن نفعل ما نستطيع القيام به، لمنع العدو من الحصول على فواصل مماثلة].

لما تقرأ في كتب المدفعية، تجد رمايات التمهيد، أنك ترمي أو يرمي العدو من أجل التمهيد لهجوم، ورمايات التدمير، القصد منها إحداث تدمير، ورمايات الإزعاج، ليس لها هدف عسكري، ولكن غالبا تكون في وقت الطعام والنوم، الغرض منها ألا يستريح الخصم، لتتوتر الأعصاب فلا يستطيع القائد أن يخطط، ولا الجندي أن يستريح وينام جيدا.

فهو يقول هنا: (الإفادة من الفواصل بين الحملات، لإراحة جندنا وتدريبهم وتقويتهم. ويجب أن تكون هذه الفواصل قصيرة إلى حد ما، وعلينا أن نفعل ما نستطيع القيام به، لمنع العدو من الحصول على فواصل مماثلة).

كما أن هناك رمايات إزعاج مدفعية، هناك رمايات إزعاج سياسية، ورمايات إزعاج نفسية، ورمايات إزعاج إعلامية، ورمايات إزعاج بالإشاعة، ورمايات إزعاج بالاغتيالات، ورمايات إزعاج بالقنابل الصوتية، ولو كانت فقط في صناديق الزبالة للإرباك وإحضار الدوريات، فتضعه في عملية استنزاف مستمر وجهد مستمر وحراسات مستمرة، وتفتعل كل الأشياء التي تسبب ضغطا.

لما كنت في بريطانيا من سنة ونصف، اتصل الجيش الجمهوري الإيرلندي بالأمن البريطاني وقال: وضعنا عبوة بزنة ١٥٠٠ كجم على جسر لندن أكبر جسر في بريطانيا كلها، والذي لو دُمر لا تستطيع أن تتخيل الخسارة الاقتصادية التي من الممكن أن تحصل، وقالوا لهم لن نفجره، ليش؟ حتى لا يرفع نسبة تهمة الإرهاب ويستفز حتى جماهير الخصم، يستفز الشعب الإنجليزي لدرجة يقف فيها مع حكومته ضدك، ولكن لماذا إذا عمل كل هذه العملية؟ حتى يقول للحكومة: لو أردنا أن نكسركم نستطيع، فروحوا فكوا العبوة وخذوها، لأنه يعرف أن كل وكالات الأنباء ستذيع الخبر.

مرة وضعوا بعض العبوات واتصلوا بهم قالوا: ستنفجر الساعة ٢:٣٠ في لحظة ازدحام المترو الذي ينقل حوالي ١٠ مليون إنسان ما بين الساعة ٦ إلى الساعة ١٠، فتوقف المترو لمدة ساعتين ونصف ممنوع أن ينزل أحد المترو حتى يبحثوا عن العبوتين، لم يجدوهم أولا ثم اكتشفوا أن العبوتين خارج لندن على إطار المترو، يعني واحد ماشي فقط بالسيارة فرمى كيسا فيه قنبلة على بعد ٤٠ كم من مركز لندن، هذه كانت كل القضية، ولكنهم لا يستطيعون ألا يأخذوها بعين الاعتبار، لأنه لو حصل انفجار وقُتل ناس سيتهمون أنهم استهانوا بأرواح الناس، المهم خسرت الحكومة البريطانية ٥٨ مليون جنيه استرليني يعني حوالي ٧٠ مليون دولار، لتعطل المترو لمدة ساعتين.

فهذه كلها نماذج إزعاج، أحيانا تتصل بهم تقول: الطائرة الفلانية فيها عبوة، وهي ليس فيها شيء، بس، تتوقف الطائرات ويتوقف المطار وتفتيش وإلغاء رحلات، بهدل كل الدنيا، المجتمع الصناعي فيه مَقاتل لا تعد ولا تحصى، ولما أقول لك لا تعد ولا تحصى فليست مبالغة، فيه فعلا مقاتل لا تعد ولا تحصى.

فعملية الإزعاج أنت تجعله لا يرتاح ولا يتنفس ولا ينام ولا يأكل، لكن لابد لها من مبادرة، وعلى الرغم من أن جندي العصابات المفروض يقاتل بلا توقف ويضحي بلا توقف، ولكنه بشر يحتاج إلى لحظات تنفس، نحتاج ونحن نفكر في هموم المسلمين وإزعاج السياسة والدروس العقدية إلى جلسات للرقائق، إلى فواصل للعبادة، إلى حفلة، إلى مسابقة زي اللي عملها أخونا أبو طارق، هذه كلها عمليات شحن، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلّت عميت"، فلابد أن تكون هناك فواصل للاستراحة، ولو نظرنا إلى السيرة لوجدنا كثيرا من هذه الأمور.

فيقول الرجل أن هذه الفواصل لابد أن تكون قصيرة، وألا تتحول إلى راحة توقف.

يقول الكاتب:

[قد يبدو كثير من ذلك بديهياً. لكن علينا الإشارة إلى نقاط هامة، يتصادم بعضها مباشرة مع العقيدة العسكرية التقليدية].

رغم أن هذا بديهي ولكنه ككاتب أمريكي يذكر نفسه، أن هذه الفلسفة تتصادم مباشرة مع عقيدتهم القتالية كترتيبات جيوش غربية، ويهمنا جدا لما يتكلم واحد غربي عن نقاط ضعفه، لأنه يكشف لنا سوأته ويدلنا كيف نعمل، وهذا الكتاب أهم ما فيه هو هذا، أنه يكشف نقاط ضعف المجتمع الغربي الصناعي تجاه حرب عصابات.

فيقول الكاتب مبرزا أهم نقاط التناقض مع الأسلوب الغربي:

[مع أن الحرب المتحركة التي يقوم بها الثوار (في المرحلة النهائية) تشابه حرب القوات النظامية، فإنها تبنى على استراتيجية حرب العصابات، وتسعى إلى أهداف مختلفة، إلى حد ما عن أهداف الحرب النظامية. فالثوار يندفعون من المناطق الريفية نحو التجمعات السكنية ثم نحو المدن، وهم يحتلون المرتفعات والأحراج قبل أن يستولوا على الطرق.

ويختلف تصرفهم هذا كلياً عن الاستراتيجية الغربية التي تسعى أولاً إلى مسك النقاط القوية (مراكز صناعية، عقد المواصلات، التجمعات السكنية الكبرى) ولا تنظف الأرياف إلا متأخرة. وليست النقاط القوية مما يهم الثوار، بل الأرض التي لا يستطيع العدو منازعتها عليها، دون أن يتعارض مع مبادئه، أي دون أن يمدد خطوطه، ويضعف قوته الهجومية.. وهكذا فالتسلسل عند الثوار هو الأرياف أولاً ثم المدن].

يعني العصابات ليس عندها خطوط إمداد، بل تكاد تكون معدومة خطوط الإمداد، لأن كل واحد أخذ إمداده في جيبه وتحرك.

إذا عند العصابات: الأرياف ثم المدن، عند الغرب: المدن ثم الأرياف، الحكومات: الطرق والمناطق الصناعية أولا.

تعليق: هو أسلوب عصابات ولو كان نظاميا، فما زال يعتمد الخفة والسرعة وعدم التمكن من الأرض، ثم هو يعدد الفوارق، شعارنا: (من السطح نحو المركز)، وهم: (من المركز نحو السطح)، نحن: (من الوعر إلى السهل)، هم: (من السهل إلى الوعر)، نحن: (خطوط إمداد قصيرة أو معدومة)، هم: (خطوط إمداد طويلة)، أما نقل التكتيك فهو المسيرة الكبرى التي تتميز بسرعة الهجوم والحركة.

الآن لماذا في الأرياف؟ أقول: لأن وعورة الطبيعة مناسبة، وهناك عامل آخر لم يتكلم عنه ينفعنا جدا، فكرت فيه اليوم أناقشه معكم، وهذا العامل هو: وعورة الناس، وعورة الناس في الأرياف وعدم تعودها على الحياة المدنية مناسب للعصابات، تجنيد أهل المدن سيء بالنسبة للعصابات إلا في مراحل متأخرة، الناس الذين عودوا حياة البادية وتقشف البادية والزراعة= أنسب للمقاومة الطويلة من أهل المدن، لأن أهل المدن فسد كثير من فطرة الرجولة عندهم نتيجة الاسترخاء.

وهذه استنبطتها لما سألت نفسي: لماذا نحن نستخدم وعورة المسالك؟ لأنها في صالحنا، أيضا وعورة الطبيعة النفسية لسكان الجبال أفضل من سكان المزارع، وسكان المزارع أفضل من سكان القرى وهي الحضر، وسكان الحضر أفضل من سكان المدن الصناعية المرفهين، وهذا من فوائد تحركاتنا نحن في مجال الأرياف والجبال، وأخونا عنده محاضرة "العلاقة بين الجبال والرجال" إن شاء الله يلقيها علينا، اكتشف كثيرا من اللمسات بين الرجال والجبال، بما جعل العلاقة بيننا وبين الجبال علاقة طبيعية ومحببة.

فيقول هنا: نحن نتحرك من الوعر إلى السهل، لأن سكان الوعر أصلح لنا في عملية القتال.

[يشكل جيش العدو عادة المصدر الرئيسي للذخيرة، كما يشكل في الصين مصدر القوة البشرية للثوار].

لو حذفت الصين في هذا المقطع ووضعت أي دولة لصح المعنى، كالمغرب ومصر وسوريا.. إلخ.

[**فالجنود الصينيون المجندون إلزامياً، كانوا يتقاضون أجوراً قليلة أو معدومة، وكانوا غالباً سيئي التغذية واللباس. وهم أيضاً من الفلاحين، وكان توقع فرارهم سهلاً. ولم يجد (ماو) حرجاً في تجنيد الخارجين عن القانون**].

وهنا لنا وقفتان:

تجنيد عموم الجيش النظامي، ثم الآن ينتقل لتجنيد المجرمين، أقول: عودة تفصيلية لمواجهة الجنود التنظيميين، وتكلمنا عن تجربة مفيدة للأفغان، ولاحظ أوجه الشبه بين مواصفات الجندي الإلزامي لجيش الصين، والجندي الإلزامي في بلاد المسلمين.

ثم عندما ينتقل هو ليتكلم عن الخارجين عن القانون، أقول نتكلم نحن عن تجنيد العصاة والفسقة من المسلمين في الجهاد العام، العصاة والفسقة نحسب حسابا لأن يكون لهم دورهم في إطار المعركة، وليس في صميم النخبة.

أتكلم هنا عن لفتة قد تكون صعبة بعض الشيء، قال تعالى (إلا الذين تابوا وأصلحوا)، والرسول عليه الصلاة والسلام قال: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ،إذا فقهوا"، والرسول عليه الصلاة والسلام تمنى تجنيد أبي جهل، وقال: "اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين"، ولكن كان الشرط لتجنيده ايش؟ الإسلام، أن يدخل في الإسلام حتى يجند.

وفي زمن عثمان بن عفان كان أحد قطاع الطرق المشاهير نسيت اسمه لكنه مذكور في تاريخ ابن كثير، كان إذا خرج إلى القافلة يقول: ويلكم أنا فلان، فيضعون الأرزاق ويمشون، من شدة بأسه، فوعظه أحد الوعاظ فقال أتوب، ولكن كيف أدخل على الناس؟ عندي ثارات كثيرة جدا، فقال له: الله سبحانه وتعالى أمن المفسدين في الأرض الذين تابوا قبل القدرة عليهم (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم)، قال له: تدخل مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام تقول: أيها الناس أنا فلان وقد تبت، فتدخل معهم في الصلاة، فجاء إلى المسجد وقال: أيها الناس أنا فلان، فهمّ بعض الناس بالفرار منه، وهمّ بعض الناس أن يقتلوه بما أخذ منهم، فقال لهم واحد من الناس: ليس لكم عليه سبيل، لقد جاء تائبا، فلما تاب قال له عثمان: ماذا تريد؟ قال: أن توجهني في الفتوح، فذهب في غزوة قبرص، فقال أحد المجاهدين: بينما كنا في السفينة كان صوت هذا الرجل يصل إلى الروم، فلما اقتربت سفينتنا من سفينة للروم، قفز إليها ففر الروم إلى جانب السفينة فاختل توازنها، فغرقوا وغرق معهم، واستشهد رحمه الله.

واقرأ قصة في كتاب "مصارع العشاق" إن شاء الله سيكون من الكتب التي تأتينا من قندهار، قصة حصلت في زمن الحسن البصري من ستة مشاهير من قطاع الطرق، خرجوا بيقطعوا الطريق فلقيهم الحسن في طريقه، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: فلان وفلان وفلان، فوعظهم فجاءوا تائبين معه، وخرجوا للغزو وكان لهم بطولات شديدة في بلاد الروم بعد ذلك.

القصة الثالثة المشهورة قصة أبي محجن الثقفي وكان في جيش سعد بن أبي وقاص يسكر، ويعتبر في حكم التابعين، الشيخ عبد الوهاب الطريري الذي سجنه آل سعود وحرموه من الخطابة له تعليق جميل جدا على هذه القصة في شريط أظن اسمه "همّ الدعوة"، فقال: أن الناس لما كان همّ الدعوة في بالهم كانت عقوبة سعد لأبي محجن بعد أن جلدوه، عاقبه بعقوبة هي أبلغ من الجلد، فحرمه من شرف القتال في المعارك، فلما ذهب سعد للعريش جعل أبو محجن ينشد القصيدة التي يقول فيها:

كفى حزنا أن تدخل الخيل بالقنى *** وأترك مشدودا على وثاقيا

وأن أشهد الإسلام يدعو مغوثا *** فلا أنجد الإسلام حين دعانيا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة *** وقد تركوني واحدا لا أخا ليا

ثم يتعهد أنه إذا فكوا وثاقه ألا يفر، فسمعته أم ولد يعني جارية لسعد اسمها سلمى، فقال لها: ويحك أطلقيني؟ فقالت: لو أطلقتك تعود؟ فقال: نعم، وكان سعد مريضا، فأخذ فرسه البلقاء ودخل المعركة، فكان سعد يراه من بعيد ويقول: سبحان الله، الطعن طعن أبي محجن والكر كر البلقاء، ولولا أني سجنته لقلت أنه هو، فلما رجع ربط نفسه، وحكى لسعد القصة فاستتابه وأعاده.

وعلى هامش أبيات أبي محجن أذكر فاصلا ظريفا، لما كنا في الجهاد في بلاد الشام، الإخوان المسلمون دأبوا أن يزوجوا من يستطيعون ويؤمنوا عقودا للعمل في الخليج لمن يستطيعون، ويرسلوا للجامعات من يستطيعون، حتى يتركوا المعسكرات، حتى جاءنا رجل هو المسئول العام فقال لي: ستدرس، وسجلني في جامعة البصرة كلية الهندسة، وكان بقي لي سنة حتى أتخرج، فقال لي: أنت ستتخرج وتصير مهندسا وكذا، فقلت له: الواحد منا جاي طارد الشياطين وأنت جاي مع الشياطين، فردا على ممارساتهم شكلنا لجنة سميناها "جمعية المضربين عن الزواج والعمل والدراسة"، وصرنا نضم إليها الشباب في مواجهة القيادة ونضعهم في المعسكرات، فبعد ذلك طال الأمد وسقطت حماة وتبهدلت الدنيا، فتزوج كل الناس ورجع أعضاء الجمعية للزواج.

حتى مرة رحنا اسطنبول فكنت أنا أعزب وصاحب البيت، فالمهم كنت أتذكر قصيدة أبي محجن، فقلت له أعطني ورقة أكتب لك قصيدة نعلقها على الباب، فكتبت له:

كفى حزنا أن تلتقي بالنسا *** وأترك مشدودا علي حفاضيا

وقد كنت ذا صحب كثير وإخوة *** فقد تركوني عازبا لا مرة ليا

وعهدي إن صرت يوما بزوجة *** أن أقوم فلا أنام اللياليا

المهم تزوجنا بعد ذلك، وانحلت الجمعية كلها.

إذا تكلمنا عن موضوع تجنيد العصاة والفسقة من المسلمين، وأن هؤلاء الناس خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وسنتكلم بالتفصيل في الفارق بين النخبة والعموم، هؤلاء عموم، ومعركتنا مع الغرب ومع اليهود والنصارى ستكون معركة عموم، ويمكن توجيه الناس فيها بالنخبة.

قلنا أن الفاسق لم يسقط بفسقه واجبه وفريضة الله عليه بأن يجاهد، وكما قال أخونا لا يغمط حقه أيضا بأن يشارك في الجهاد ولم يشترط العدالة للجهاد إلا المبتدعة من المسلمين، العدالة ليست من شروط الجهاد، هذه لفتة فقط نفصل فيها فيما بعد.

يتابع فيقول:

[**فقد كان لهم نفس منشأ جنود الجيش الوطني وجنود (أسياد الحرب) ويعيشون في الشروط نفسها، وينخرطون بسهولة في سبيل القضية الشعبية**].

حتى المجرمين والذين سُجنوا وضربوا هم نتجوا عن عدم تحكيم الشريعة، وكل المصائب الاجتماعية التي نتجت هي جعلتهم في عالم الجريمة أو الفسوق أو العصيان، ونحن يمكننا تربيتهم من خلال المشاركة في الجهاد كما تربى أبو محجن وتاب أبو محجن من خلال المشاركة في الجهاد.

[ولا شك أن (ماو) كان يعتقد بأن الفلاحين الذين حصلوا على بعض التدريب العسكري، هم أكثر قابلية للانخراط في الثورة من الآخرين. أما عن التموين، فإن مبدأ حروب العصابات كلها، صينية كانت أم لا، هو أن العدو يشكل المصدر الرئيسي للأسلحة والذخائر، ذلك لأن الذخيرة ذات العيار المناسب تكون في متناول الأيدي، ومن ثم تتناقص المشكلة اللوجستيكية، وتأخذ شكلاً بسيطاً. فخطوط التموين العدوة تغذي المعسكرين، وتخدم الثوار بشكل أفضل في بعض الأحيان].

وهنا لنا وقفة قليلة، وهو موضوع مصادر التمويل ومصادر الرزق عند المجاهدين:

أقول أن الأصل في تمويل الجهاد وفي تمويل المسلمين أفرادا وجماعات= قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "وجُعل رزقي تحت ظل رمحي"، حتى دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى بيت فوجد سكة محراث فقال: "ما دخلت هذه بيت قوم إلا دخل معها الذل"، وكما قلت أن عمر بن الخطاب سمع أن المسلمين وزرعوا سهول فلسطين بعد الفتح فأحرق المحصول وقال: "إنما بعثتم أمراء وأجنادا، ولم تبعثوا جامعين، هذا شأن الموالي"، المجاهدون أمراء وطبقة أولى في المجتمع.

وأقول: من الخيارات المعاصرة لحرب العصابات المقبلة أن السلاح والمال والطعام والمواد الأولية كلها متوافرة في أيدي العدو، ويجب أن نأخذها من العدو، ومن المصادر: جبي الزكاة عن طريق اللجان الشعبية إذا أعلنا الحرب على اليهود والنصارى، فيمكن عن طريق أئمة المساجد واللجان الشعبية والمنتشرين في طول البلاد وعرضها أن نقوم بجباية الزكاة، فإذا قمنا بجباية الزكاة فهي مصدر، ثم نقوم بوضع ضرائب مساهمة في الجهاد على الذين يرضون من أغنياء المسلمين.

أذكر لما قام الجهاد في بلاد الشام اعتمد في البداية عندنا في المدينة على التجار، فمرة ذهب أخ –شوف ارتباط الناس بالجهاد– قال لهم: نريد منكم تبرعات، قال: حتى أطمئن أنك فلان، وكان مشهور عندنا اثنان من المجاهدين إخوة توأم، واحد اسمه جمال والآخر ماهر عطاران، اشتهروا جدا وصاروا رموزا في المدينة، فقال: إذا أتاني فلان وفلان أراهما فقط يقولان لك السلام عليكم أعطيك ١٠ آلاف ليرة، يعني ٣

آلاف دولار، وفعلا حصل أن جاء الإخوة ورأوا الأخ وسلموا عليه فأعطاه الرجل المال. فهؤلاء الناس يدفعون طواعية.

وأما المصدر الآخر فهو مكوس توضع إجباريا على فسقة المسلمين والمتعاونين مع النظام، وهذا الأسلوب نجح في الجزائر في المرحلة الذهبية للجماعة الإسلامية المسلحة، وُضعت ضرائب ومكوس على التجار الفسقة.

ثم تُوضع أتاوات عن طريق نظام المافيا على كل العاملين في أجهزة الدولة السلطوية، ولكن ليس هناك فائدة من التعرض لهم عسكريا، تعرف أنه في الحزب ولا في اللجان الشعبية ولا اللجان الثورية ولا في حاشية الملك، كانوا يأخذون مكوسا على عدد أفراد عائلته، تقول له: عن كل شخص من جماعتك كذا ونتركك في حالك، فهذا مصدر آخر.

ثم انتبه هنا لعدم العدوان على الناس، وتحول جباية الأموال إلى عامل إثارة سخط الناس، فهذا خط أحمر يجب ألا تنتقل إليه.

ثم من المصادر "الفيء" وهو ما أخذ بالحيلة وبدون قتال من العدو، والفيء سمي فيئا لأنه فاء إلى أصله، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، قال: هذا المال أنزله الله سبحانه وتعالى للمؤمنين به، ولعباده الطائعين، وليس لعبيده العصاة حق فيه، فالكافر ليس له حق في رزق الله، وليس له حق في هذه الأموال، ووجب على المسلم أن يأخذ هذه الأموال ويعيدها إلى أصلها، وهو حق المؤمن، فسميت فيئا، وقال: إذا لماذا يجعل الله سبحانه وتعالى الكفرة والفسقة والعصاة يأكلون من رزقه، وهو قادر على أن يمنعهم منها؟ فقال: هذا من هوانهم عليه، وهذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "لو أن الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء"، فلهوانها يتنعم بها، ولكن الأصل أنها لنا وليست له.

فهذا الفيء كما قرأت في حكمه عند العلماء، إذا أخذه المسلم أميرا كان أو جماعة أو فردا أو أنت بصفتك أحمد رحت وأخذت فيئا= فهو لك مطلقا، والخلاف بين العلماء، هل يخمس أو لا يخمس؟ قال

النووي وغيره: الصحيح أنه لا يخمس، إذا ذهبت أنت الآن إلى بلاد الكافرين أو دخلت إلى المجرمين وقمت بعملية احتيال وأخذت مالا= فهو لك ولا يخمس، وهذا له تفصيل.

إذا حصل الفيء لجماعة مسلمة فهو لبيت مال الجماعة ولأميرها، وليس لأفرادها حق فيه، لأن الله سبحانه وتعالى قال (ما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب)، الناس خافت فتركت المال، فأخذه الرسول عليه الصلاة والسلام ووزعه في مصالح المسلمين، ولم يأخذ المقاتلون منه شيئا.

فالفيء هذا له تفصيل فقهي وسياسي وواقعي نتكلم عليه الآن في بلادنا وفي بلاد الغرب، في بلادنا على الكفرة وعلى المرتدين وعلى باقي العصاة والفسقة الذين نهبوا أموال المسلمين والأمراء الذين نهبوا البترول وصرفوه على الزنا والفسوق والعصيان .. إلخ.

ثم المصدر الآخر هو الغنيمة، والغنيمة ما أخذ من العدو قسرا وقهرا بالقتال القوة، فهذا يخمس، فخمسه لبيت مال المسلمين أو لبيت مال الجماعة المجاهدة أو لبيت مال هذا الفصيل الذي خرج يجاهد، يرسل خمسه إلى مصالح المسلمين، فإذا لم يجد بيت مال للمسلمين صرفه في مصالح المسلمين، يعني الخمس وهو ٢٠% يجب أن يصرف على المسلمين، ثلاثة أو أربعة إخوة هجموا على بنك وأخذوا الفلوس، لا تنظيم ولا يحزنون، الحكم الشرعي فيه أن الغنيمة أربعة أخماسها لكم، والخمس يجب أن تبحثوا على مصرف شرعي للمسلمين وتصرفوه فيه، فإذا أخذتموه حيلة فهو للذي أخذه، لو أراد أن يخمسه فهو صدقة له.

ولذلك يجب أن نتكلم هنا، وهذا تفصيل آخر للموضوع أتركه لحينه، لما سألت الدكتور فضل وغيره: كيف الآن نتصرف كتنظيمات؟ أرسل مجموعة تأتيني بغنيمة تقول: هذه الغنيمة لي أربعة أخماسه؟ يعني لو تنظيم أرسل ٤ غنموا مليونين، نعطيهم مليون و ٨٠٠ ألف دولار للإخوة الأربعة، ثم يأخذ التنظيم ٢٠٠ ألف؟ هذا إجحاف، ففصل الدكتور قال لي: أن الغنيمة المنصوص عليها في القرآن وهي أربعة أخماس وخمس، والمنصوص عليها بفعل الرسول عليه الصلاة والسلام هي لولي أمر المسلمين في حنين وضعها في المصالح، وهذا كتاب وسنة ولك أن تتراوح بين هذا وذاك، ولكن أنصح أن يكون هناك اتفاق مسبق.

هناك فصل بين بني أمية وبني العباس لما صار الجنود لهم رواتب، سواء هناك غنيمة أو لا، وهؤلاء يخرجون بسلاح الحكومة وبخيل الحكومة، فليس لهم سهم في الغنيمة مثل المتطوع بسلاحه وفرسه، هناك تفصيل يجب أن نقرأه، ولكن أقول أن الحل الذي قاله لي جيد جدا، وهو أنه إذا دخل إنسان في جماعة مجاهدة يقبل شرطا بالاتفاق أن يتخلى عن حصته الشرعية في الغنيمة لتصرف في مصالح المسلمين بحسب قيادته في الجماعة المجاهدة، ولكن ننصح أن الفريق الذي وجد الغنيمة لأنه دخل بيده وتخلى عن المال= أن يعطى نسبة تشجيعية، حتى تطيب نفسه، وهذا حل جميل جدا.

موارد الجهاد يجب أن تخرج عن نظام الشحاذة الإسلامي هذا الذي دخلنا فيه في هذا القرن الأخير، الآن من المصادر: الاستيلاء على أموال الفجرة والفسقة الكبيرة من المسلمين الذين يصرفونها في الفسوق والعصيان الذي يعود في نهايته إلى الكافرين، مثل الأمراء والأغنياء وفسقة المسلمين الذين يخرجون إلى أوروبا بملايين الأموال المغصوبة أصلا، ثم ينفقونها على العاهرات وعلى الدعارة وعلى غيره، هؤلاء الناس أصبحوا مجالا خصبا للمافيا وللحرامية ولقطاع الطرق من كل الأجناس حتى بعض العصابات العربية من الحرامية، إلا أن المجاهدين لا يفكرون بأن لهم حصة في هذا المال.

وأريد أن أكشف سرا، لأنه لا يضير صاحبيه الآن، أما الأول فهو الشيخ عبد الله عزام سألته عن حل الاستيلاء على أموال فجرة أمراء وتجار العرب الذين يأتون إلى أوروبا ويصرفون هذه الأموال، فهل نستولي على أموالهم؟ فقال: نعم، استولوا عليها، ولو بالعنف، فيما لا يصل إلى القتل، لأن السفيه يحجر على ماله، وترد إلى مصالح المسلمين، لكنه لا يعاقب بالقتل، والشيخ عبد الله عزام لا تضيره هذه الفتوى، لأنه نسأل الله أن يكون الآن بين الحور العين.

أما الدكتور عمر عبد الرحمن فحكم عليه بـ ٢٤٠ سنة، لا أظن أنها ستزيد سنة بهذه الفتوى، سألته نفس السؤال وكان في زيارة عندنا، وعلى المرض الذي هو فيه لم يترك قيام الليل سبحان الله، وكان يقوم يوضئه أخونا أبو ياسر رفاعي، كان عندنا ونحن نحرس المكان فسألته عن أموالهم؟ فقال: خذوها بالإكراه بالإجبار، ولا تصل إلى القتل.

فهذا من الموارد، ثم من الموارد أيضا تجارة السلاح، وهي من أغنى مجالات الموارد، وكنا ونحن عاملون في الجهاد أيضا، السلاح بين أيدينا نستطيع أن نبيع منه لمختلف الناس، وتجارة السلاح تجارة مشروعة، بصرف النظر ايش بده يعمل بيها صاحبه، إلا إذا علمت أنه يستخدمها في مضار المسلمين فلا تبيعه سلاحا، أما العصابات والمافيا والمحاربون والناس الخارجون عن الدولة إلخ= فبيعه السلاح، أنت تبيعه زجاجا، ايش هيعمل بالزجاج؟ الله أعلم، فلا تتورع ورعا باردا في بعض القضايا، ممكن الإنسان يأخذ الخبز ويأكله إلى جانب الخمر، فلا يحرم بيعه الخبز.

ثم تجارة التهريب، تهريب المواد العادية، تهريب الأجهزة الإلكترونية، الآن تشكل أحد أهم موارد المهربين، من أغنى الناس هم، فنحن نسافر ونزوّر الجوازات ونهاجر إلخ، فخذ معك شوية بضاعة تهربها من مكان إلى مكان، وتستغني عن السؤال.

الاستثمارات التجارية المحدودة، وهذه للتنظيمات، يأخذون جزءا من أموال التي جاءت من أي مصدر من المصادر يعطونها لشخص، ويكون هناك تنظيم اقتصادي سري جدا جدا أكثر من الأجهزة العسكرية، لأنه لو كُشف مصدر اقتصادي يمول المجاهدين سيعامل معاملة الإرهاب وسيخسف بأوله وآخره، ولأن احنا ناس تعودنا إفشاء الأسرار فأقول: هذا من أضعف الجوانب في التمويل، لأن كل المشاريع الاقتصادية تفشل، ولكن إذا كنت تستطيع أن تقيم مشروعا اقتصاديا استثماريا= فهذا من الموارد، ويجب أن تعرف أنت والذي وظفته بالتجارة أنه له نفس أجر المقاتل، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "إنكم خلفتم أقواما لم تسلكوا واديا ولا شعبا إلا شركوكم في الأجر، حبسهم العذر"، هؤلاء لم يحبسهم العذر، بل هم يجاهدون بالفعل بصفتهم تجارا، ولكن يجب أن ترسل أناسا متربين تربية جيدة حتى لا يفتنوا.

بعد ذلك في آخر شيء تأتي التبرعات من محسني المسلمين، ليست مشروطة وليست حكومية، تأتي في ذيل السلم.

ويجب أن ننبه إلى سياسة الإغراق المالي، العدو يعطيك أموالا، سواء دول أو أحزاب أو جهات تأتيك بصفة ملتحي ورجل مجاهد ورجل متطوع، فيغرقك بالمال، حتى إذا تمكن منك هذا المال، تبدأ الانتكاسات

حتى تخرج عن المنهج، ثم تخرج عن الأسرار، ثم تباع بسبب التبرعات، وهذا حصل في أفغانستان، وحصل في كل الجهاد العربي، وآخر ما سمعنا ابن عثيمين يجهز للجهاد في بورما فأكيد أن الناس بصرف النظر عن المشكلة سيحتاجون إلى الإمداد بالزاد، وبالتالي ستأتيهم دائما الدولارات مغلفة لورقة عليها فتوى، والفتوى في صالح البنتاجون وفي صالح السلطة طبعا، وهذا عليه أكثر من شاهد.

لاحظ أنه حتى الأموال التي جاءت بنوايا طيبة من الخليج، كيف فعلت بنا وبالناس، أقل مفعول سلبي لها أنه حولتنا إلى مجموعة من العاطلين عن العمل، أقل شيء للذين يسألون الكفالات ولا يجاهدون بأنفسهم، أول ما أردت أعمل الدورة أول سؤال طُرح علي: من أين سيأكل الناس؟ ومن سيتكفل بالدورة؟ قلت: سيتكفل كل واحد بنفسه، فكثير من الناس أحجموا عن الخير، لأنه لا يوجد تمويل.

أكتفي بهذه الوقفة، لأنه سيكون لها محاضرة.

يقول:

[**إن استراتيجية حرب العصابات ديناميكية، فلها أهداف عسكرية وسياسية إيجابية. فالدفاع الاستراتيجي لماو دفاع فعال فهو قائم ومبني على الهجوم الدائم . أما عمليات الإزعاج، التي تشبه عمليات المؤخرة لجيش عادي، فإنها تسعى إلى غاية مختلفة، وتستهدف إنهاك العدو، وإجباره على تمديد خطوطه إلى أقصاها، حتى يمكن مهاجمته منعزلاً.**

ويقول ماو: (يستطيع الثوار العصابات أخذ زمام المبادرة، إذا تذكروا نقاط ضعف العدو)].

أذكّر بقولنا أن الحرب بيننا وبين العدو إما على الشرعية والمباديء أو على المبادرة العسكرية، إذا خسرنا معركة الشرعية أنه شرعي ونحن بغاة خسرنا كل شيء، وإذا خسرنا المبادرة العسكرية خسرنا عسكريا، وهناك فارق هائل بين خسارة كل شيء والخسارة العسكرية، فحتى لو خسرنا عسكريا يجب ألا نخسر الشرعية، مفهوم؟

[(وبما أنه لا يملك أعداداً كافية من الجنود، فإن بوسع الثوار أن يعملوا على مساحات شاسعة. وبما أنه أجنبي وهمجي، فإن بإمكان الثوار اكتساب ثقة الملايين من مواطنيهم)].

نرجع لموضوع المسلمين والكلام الذي حكينا في كثيرا، لأن العدو همجي ويقتل الناس بلا رحمة فيجب أن تسخر هذا في سبيل المسلمين لأنه أجنبي، نذكر أن الأفغان لم يدخلوا الجهاد إلا لما دخل الروس، والآن يفكر الغرب في دخول شمال أفريقيا، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يفعلوها، ويكون ذلك خيرا إن شاء الله.

قال:

[لقد كان يتحدث عن اليابانيين، ويؤكد بأن مبادئه تنطبق على الصين بشكل خاص. لكن قد تأخذ الكلمات معنى أكثر تعميماً، إذا استبدلنا كلمتي (الأجانب والهمجيين) بكلمتي (المعتدين والمستغلين)].

يعني حتى الكاتب الأمريكي يوسع المجال الذي تكلم فيه ماوتسي تونج، ونحن نوسعه أكثر لو بدلنا كلمتي (الأجانب والهمجيين) بكلمة (الحلف الغربي اليهودي المرتد المنافق) وهي الجبهة التي نواجهها الآن، يهود وغرب نصراني ومرتدون من الحكومات ومنافقون من العملاء والعلماء المنافقين، فهذه الجبهة يمكن أن نبدلها هكذا، المعتدين والمستغلين الذين يعتدون على مصالح الناس ومقاصد الشريعة الخمسة المعروفة.

[**ويقول ماو: ففي تكتيك حرب العصابات تظاهروا بالقدوم من الشرق عندما تهاجمون من الغرب، تجنبوا القوي وهاجموا الضعيف، هاجموا، انسحبوا، وجهوا ضربة مذهلة، وحاولوا الحصول على حسم خاطف**].

(قيل لعنترة: كيف أصبحت عنترة؟ قال: كنت أبحث عن الضعيف فأضربه ضربة يطيش لها قلب الشجاع)، عندما تنهد معنويات الشجاع مما رأى نزل بالضعيف، هو لا يفكر هذا ضعيف أو لا، فقط أمامه بشر فتح رأسه، فيتصور رأسه هو مفتوحا فلا تعود له قدرة على المقاومة.

نعيد قراءة الجملة: (**ففي تكتيك حرب العصابات تظاهروا بالقدوم من الشرق عندما تهاجمون من الغرب، تجنبوا القوي وهاجموا الضعيف، هاجموا، انسحبوا، وجهوا ضربة مذهلة، وحاولوا الحصول على حسم خاطف**) هذا يصلح أيضا في الملاكمة والجيدو نفس التكتيكات.

[**ومآل حرب العصابات إلى الفشل، إن لم يكن لها هدف سياسي**].

اعتبروا يا أولي الأبصار، كل هذه التكتيكات التي يقول أنها جميلة ورائعة يحكم أن مآلها إلى الفشل إن لم يكن لها هدف سياسي، ايش الهدف السياسي لتوجيه شباب الجزيرة إلى بورما؟ الله أعلم.

ايش الهدف السياسي لما تتوجه إلى جبهات فرعية، وقد نزل الصائل الذي يجب أن تحشد كل المسلين حول عموم المقدسات؟ الله أعلم.

وقلت البارحة أنك بكل جرأة عليك أن تشك بدين ثم في نوايا ثم في عقل أي إنسان يدعو الآن إلى جبهات جانبية، تخرج أبناء المنطقة التي فيها البلاء الأساسي إلى المناطق الفرعية، أقولها بكل جرأة هكذا، يا

إما نيته يا إما دينه يا إما عقله= خربان، واحدة من الثلاث، وقلت عقله لأن هناك كثيرا من الناس يدخلون تحت طائلة القول والأثر ولا أظنه حديثا: "إن الجاهل ليصيب بجهله= أعظم من فجور الفاجر".

يقول:

[**أو كان هذا الهدف لا يتطابق مع تطلعات الشعب**].

ومرة أخرى اعتبروا يا أولي الأبصار، يجب أن تبحث عن مفتاح صراع شرعي يتطابق مع منهجك، وشعبي يقنع المسلمين، شرطان لازمان، شرعي يتطابق مع منهجك، وشعبي تقنع به المسلمين.

[**أو لا يستطيع اكتساب تعاطفه وتعاونه ومشاركته. فحرب العصابات إذن سياسية في جوهرها.**

ومن جهة أخرى، وفي حرب ذات طبيعية مضادة للثورة، تكون أساليب حرب العصابات في غير محلها، لأن حرب العصابات تنبع أصلاً من الجماهير وتتلقى منها الدعم، ولا يمكن أن تتواجد وتزدهر إلا بفضل تعاطفها وتعاونها].

إن القواعد المعطاة من قبل ماو ذات صفة بلاغية، وهي في الغالب أقل وضوحاً مما نرغب، وتترك كثيراً من الأسئلة بلا جواب. ويجب أن نتذكر بأن كتاباته هي مراجع سياسية وليست نظاماً لتعليم الثوار. ولا تشكل كتاباته سوى أبجدية حرب العصابات، ولكن دراسة حملاته، التي انتهت بهزيمة جيش يضم ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف رجل (أكبر جيش عرفته الصين حتى ذلك الحين) تعلمنا كثيراً من الأشياء الممكن استعمالها في بلاد مثل الصين، لا تمتلك أسلحة أو صناعة، ولكنها تمتلك المقومات الأساسية للحرب الثورية ألا وهي: المجال والزمن والإرادة].

أما (المجال) فهو رقعة بلاد المسلمين كاملة، ونضيف أسلوبا سنبتكره إن شاء الله من عندنا وهو ما حصل في حروب العصابات السابقة، يجب أن نفتح خطوط للعمل خلف خطوط العدو، يجب أن يكون

عندنا مجال لحرب عصابات كوماندوز خلف خطوط العدو، مستخدمين الأقليات الإسلامية الكثيرة الموجودة في بلاد الغرب، ومستخدمين المسلمين الأصليين من تلك البلاد الذين هداهم الله للإسلام، ومستخدمين مجموعات انتحارية أو استشهادية تعمل خلف خطوط العدو، وهذا إذا عملناه نكون قد أضفنا لتاريخ حرب العصابات أسلوبا لم يسبقنا إليه أحد.

(الزمن) طول الحرب في صالحنا، والبارحة تكلمنا أنه عندنا على الأقل نصف القرن المقبل، يعني عندنا ثلاث سنوات الآن من التفكير والاستعداد، هي ستبدأ مع سنة ٢٠٠٠ ومع هدم المسجد الأقصى.

ثم قضية (الإرادة) وأذكر بقول الله تعالى (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) من البعد العسكري لهذه الآية أن مجالات الانطلاقة الثلاثة:

(ولو أرادوا)= الإرادة.

(لأعدوا)= الإعداد.

(ولكن كره الله انبعاثهم)= انبعاث.

فمجالات عملنا هي: (إرادة، إعداد، انبعاث).. حيث جعل الله سبحانه وتعالى الذي لم يعد دالا على نفاقه أصلا، حتى لو أردت أن تتزوج أو تتاجر يجب أن يكون هناك إرادة، فإذا تكونت إرادة تحتاج للإعداد يعني فلوس وبيت وقضايا، إذا لم تعد فلن تتزوج، ثم انبعاث بمعنى تتحرك فيفتح الله عليك.

انتهى الفصل، وهو التجربة الصينية، ونذكر فقط أن الفقرات التي مرت معنا فيها كثير من التكتيك، وأن أهمها: موضوع المبادرة، والصراع على الشرعية.

نقف هنا سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

نستقبل بعض الأسئلة:

الأخ: .. ..

الشيخ: قال شامير حسبنا كل حساباتنا إلا أن ظاهرة الرجل القنبلة، يقصد العمليات الاستشهادية، أمر لم نبنِ عليه أي استراتيجية من خططنا.

الأخ: في التجربة الصينية وكلام ماوتسي تونج، لي اعتراض بسيط على قضية إطالة أمد المعركة، فإطالة مدة المعركة فيه سلبيات، منها: إفراغ شحن الناس، وكثرة القتلى والجرحى، ونقص الإمداد، ثم هو يكلف الجماعة ما لا تطيقه، فتعرض نفسها للتمويل المشروط الذي قد يمس عقيدتها ومواقفها، لكن هذه الحالة يصلحها لو كانت هناك دولة صديقة مستفيدة من المعركة، كما رأينا في أفغانستان وباكستان، ووقوف باكستان إلى جانب أفغانستان في معركتها، فهذا ساعدهم على ألا يشعروا بسلبيات طول المعركة، ووقوف الدول العربية كمخطط عام لصالح القضية الأفغانية سواء النفقات والصدقات والتبرعات، فهذا كان من عوامل بقائها إلى الآخر، فأرجو التوضيح؟

الشيخ: أما بالنسبة لأن عملية طول المعركة يؤدي إلى تراجع صبر الناس ونفاده بما يتكبدون من جراح ومشاق= فهذا بحسب الهدف النهائي من المعركة، الناس حتى هنا في أفغانسان، لم يكن هناك شعور بفراغ صبر الناس أثناء وجود الروس، لأن الناس قناعاتها أن مبررات المعركة أصلا بلاء من الله سبحانه وتعالى وفريضة واجبة.

أقول: ابتداء من التوضيح، أبتدئ من النهاية، الباكستان لم تكن على طول الخط إذا حللنا الأمر، لم تكن صديقة للجهاد الأفغاني دائما، الباكستان وجهت الجهاد الأفغاني لصالحها كدولة لها مصالحها

الإقليمية، ثم لصالحها كناس أباطرة حرب تحولوا إلى مليارديرات، جنوا ثمار كل شيء ما قبل الحرب وما بعد الحرب، ولم يكن إمدادها للمعركة الأفغانية إلا في هذين المجالين: إما مصالح إقليمية في مواجهة الهند ومشاكلها معها، أو لمصالح شخصية عملت فيها، وفي الحالتين: أثر دور باكستان في كثير من الأمور تأثيرات سلبية جدا.

وحتى تصنيفها صديقة أقول: في معاركنا المقبلة تجاه الغرب وتجاه اليهود، هامش وجود دول صديقة بمعنى صديقة تساعدنا في هذه الحرب طويلة الأمد= هو هامش ضيق جدا، وإن كان ممكن أن نعتمد على تناقضات دولية موجودة، مثل كتل شرق آسيا.. إلخ.

فليس الذي يساعد في صبر الناس وجود دولة صديقة يمكن أن تتحمل معهم هذه المشاق، وإنما قدرة الجماعة المشرفة على الجهاد على تحقيق أن لا يصلوا لمرحلة الانهيار والانقطاع، ألا يصلوا لانقطاع بحيث تتحول موجة المعركة لصالحهم، ولكن من خلال تجربتنا، فيما رأينا في كل الأمور، حتى في القضية الفلسطينية في بلاد الشام، أنه إذا كان هناك إعلام داخلي وتوعية مكثفة من قبل الجماعة التي تدير الجهاد لاستمرار إذكاء القناعة العقدية والشرعية والواقعية للناس في هذه التضحيات، فإن حجم التضحيات يتحول إلى عامل إيجابي وليس سلبيا.

وهذا ظهر في التجربة الإيرانية كثيرا، بقدر ما هناك قتلى وجنازات بقدر ما هناك مردود إيجابي، وبقدر ما هناك تضحيات بقدر ما تحول هذا إلى فعل شرعي، خاصة وأن مفهوم البلاء في سبيل الله والأجر عليه والصبر عليه موجود حتى عند عوام الناس، فإذا تحول الناس عندك إلى شريحة مؤيدة نتيجة توجيه مكثف، فيحصل معنا كما حصل مع ماوتسي تونج، أن طول أمد المعركة عرك الشعب الصيني وأهله، فالذي نتصوره أن طول التضحيات مفيد، بشرط وجود إعلام داخلي وتوعية للمسلمين وحسن اختيار للقضية، ونحن نظن أننا أحسنا وضع يدنا على موضوع اليهود والنصارى الغرب وأمريكا.

الآن الناس في فلسطين والأردن وحتى مصر والأزهر تبحث عن البلاء والمشاركة لمجرد أن موضوع صدام حسين وضرب العراق يشفي غليلها، لأنها تعرضت لمرحلة سحق كبيرة جدا، وهم يعلمون تبعات هذه القضية من الآن، وحتى ما في عندنا نكاية، فقط نتعرض للنكاية من قبل العدو.

لاشك ان هناك شرائح من الناس سيضيق ذرعهم بالمعركة منذ البداية، ولكن الملموس كدراسة نفسية للمجتمعات عموما وللمجتمع الإسلامي خصوصا= أنه عندما يكون هناك قضية بها قناعة عامة وهناك إعلام وتوجيه داخلي متناسق مع هذه القناعة ويصب فيها، عندنا في بلاد الشام كان الفدائيون يأتون من فلسطين متطوعين عندنا، فترتفع الزغاريد والحفلات وتدق الطبول حتى تحتاج تنظر هل هذا عرس أم قتيل؟! فتحولت البلاءات إلى عرك الناس، وكان لها رد فعل إيجابي وليس سلبيا.

أستفيد من سؤالك في قضية أن طول الأمد سيعرض الناس لأن يتحملوا تبرعات وصدقات من جهات معادية، فهذا الأمر مع وجود خلايا جهادية صحيحة يجب ألا يُسمح به، ومن أول مجالات الحاجة يجب أن تقطع يد أي مؤسسة إغاثية صليبية عن الدخول في مجال المعركة، ثم يجب أن تُقطع وتكسر رجل أي مؤسسة إغاثية عميلة تحت شعار إسلامي تتحرك في صفوفنا، يجب أن تعامل بحزم، وهذا من أهم الدروس التي خرجنا بها من الجهاد الأفغاني، أن أفغانستان كما لخص أخونا، وقاله لي في سنة ١٩٩٠ نستطيع أن نلخص الجهاد الأفغاني في ثلاث كلمات: (انهزم الروس، مات المسلمون، انتصر الصليب!)، وهذا الكلام رأيناه واضحا، وحتى الآن مع حكومة الطالبان تسعى على الظاهر في إنهاء هذه الظاهرة، نجدها لا تزال مغلوبة على أمرها.

وأذكر أننا كنا في خوست في هذه المدينة التي نسكنها الآن، كما في خوست أثناء الهجوم وبعد الفتح الذي صار، سقطت خوست وفُتحت في آخر الليل، الساعة العاشرة صباحا كانت هيئة الصليب ترسم صليبا بطول أربعة أمتار وعرض أربعة امتار على مكتب جهزوه، وحل الصليب الأحمر مكان المنجل والمطرقة الحمراء، ولم يكن هناك قاسم مشترك بين هذا وذاك إلا الكفر وأنه أحمر في الحالتين، وحُصدت الثمار.

هذه الهيئات الصليبية هي مكملة لعملية الاستعمار، كل ما هنالك أنه يشنقك بخيط من حرير، بدل ما الآخر يشنقك بسلسة من الفولاذ، هذا يشنقك بخيط من حرير، لا تحس بأنه يشنقك إلا مع الموت.

فأستفيد من سؤال أخينا في هذه اللفتة، يجب ألا يُسمح للمنظمات الصليبية أن تقوم، يعني مثلا منظمة إغاثية ألمانية تغيثنا ونحن نقاتل الأمريكان= هذا يجب ألا يُسمح به، المنظمات والدول التي تريد أن تقوم بمساعدات غير مشروطة، إذا احتجتها يمكن أن تتسلمها على الحدود، ولا يكون لها تواجد، يجب أن يكون هناك دراسة فعلية لهذه الأمور.

وتجربة المنظمات موضوع بحثي يحتاج إلى مجلد بأكمله، كيف لعبت دورا في قطع أيدي وأرجل المجاهدين الجرحى بدون حاجة؟ وكيف وُزعت أدوية فيها تعقيم للمسلمين؟ والبارحة كلمني أحد الإخوة أن إخوة كيميائيين حللوا الدقيق الذي يُوزع= فوجدوا فيه موادا معقمة للجيل الثاني، يعني تبدأ فعالية العقم بعد ٥ أو عشر سنوات، يعقم الأطفال فيخرج طفل لا نسل له، ثم نشر الصليب، ثم بلاوي، ثم مصائب ليس لها آخر، تحتاج إلى بحث حقيقي هو خارج عن مجالنا.

الأمر الآخر أن المنظمات الإسلامية: رابطة العالم الإسلامي، الهلال الأحمر السعودي، الهلال الأحمر الكويتي، لجنة البر، لجنة الإغاثة الإسلامية، كل هذه الهيئات التي جاءتنا من هناك كان لها دور مدمر عشرة أضعاف الصليب الأحمر، والسبب في ذلك أنها إسلامية، وأن الناس لم ينتبهوا إلى دورها، مسلمون ولحى وجلابيات وشباشب، والمصيبة العظمى أن معظم القائمين على هذه المشاريع إخوة طيبين مسلمين مجاهدين يريدون الخير، وهذا تلبيس على المسلمين.

تنظر إلى الدكتور الفلاني لا أريد ذكر اسمه الآن مدير هيئة الإغاثة مجاهد كان يحضر القتال، وفلان الفلاني كان من المجاهدين وخاض المعارك ودخل كابل وما أدري ايش ودخل النفق وطلع من النفق وقصص بطولية طويلة عريضة، ومع ذلك فالأثر السلبي الذي قاموا به بكل نية سليمة، وأنا لا أشك أنه كان هناك ناس نواياهم سليمة، وكان فيهم ناس نواياهم سيئة، كان هناك ناس برتب عسكرية في أجهزة المخابرات السعودية والمصرية وغيرهما.

وأذكر حادثة على سبيل المثال، أن لجنة البر في بيشاور وكان يرأسها رجل اسمه "أيمن خياط" جندت مجموعة من العرب فيهم رجل سوري اسمه "أبو محمود السوري الأرناؤوطي"، هذا الرجل استغل تاريخه لأن أخاه "بسام الأرناؤوطي" كان من كبار مجاهدي وشهداء حماة في سورية، فسمعة طيبة ومشاركة في الجهاد، جاء إلى هنا وكان يعمل في لجنة البر، ثم حصلت الفضيحة التالية:

اثنان من الإخوة الفلسطينيين جندهم أبو محمود لصالح لجنة البر، على أن يقوموا بمشروع إغاثي، -هذا نموذج من مئات النماذج، أحكيه لأنه كُشف بكامله وهو جميل للعبرة-، جندهما بعقد عمل بألف دولار وكانت المهمة مكتوبة وعليها قسم غليظ، والإخوة لأنهم أذكياء كان قد جند قبلهم عددا من الناس، عرفوا أن القضية فيها مصيبة فقبلوها ومشوا فيها إلى نهايتها وقعدوا أخذوا فكرة عن الموضوع، ثم نشروا الموضوع في بيشاور جزاهما الله خيرا.

كانت المهمة من أجل توزيع البطانيات والأحذية، فقالوا لهما: يجب عليكما أن تدخلوا الجبهات وأن تعملا مع قادة مختلفين، ومن الشروط: لا تدخلا معارك حاسمة تغررا بنفسيكما، لا تدخلا في خلافات بين الأحزاب، ومطلوب منكما جمع المعلومات التالية: عدد المجاهدين، شكل الخنادق، شكل التحصينات، الخلافات بين المجاهدين، أسماء القادة، علاقتهم بالأهالي، علاقتهم بجهاز الاستخبارات المعادي، معلومات من أفظع ما يكون، استخباراتية كلها، ومن أجل ايش؟ يقولون لهم: حتى نعرف أي الجبهات محتاجة وأيها غير محتاجة، أن يوزعوا البطانيات!

ومن الشروط أن تقسم على سرية المشروع، لا تعطي المعلومات إلا للمركز الذي أعطاك المهمة، وهو غير مرتبط بمدير لجنة البر، لا تعطي هذه المعلومات إلا لصاحب الاختصاص، ولا تنشرها للآخرين ولا تعلم أحدا بمهمتك.

موجود عندي في الأرشيف، إذا جاء أرشيفي أريكم القضية، الشاهد ثلاث صفحات ومع ذلك يكتب لك على طريقة الاستخبارات الراتب الثابت ٥٠٠ دولار ولا ألف دولار لا أذكر، وهناك علاوات حسب جودة التقارير، مخابرات رسمي.

وجُند هؤلاء الإخوة، فبعد ما جاءوا نشروا هذه القضية، وقالوا: جندونا وذهبنا لكذا وكذا، فأما "أيمن خياط" فغادر بيشاور بعد يومين، وجاءوا بمدير آخر للجنة البر، وباع أغراضه على عجل، وبالمناسبة أنا اشتريت سيارة من سياراته بثمن بخس، لأنها بيعت على عجل، فغادر بعكس ما استقبل به من حفاوة وتكريم، كرجل مسلم يريد أن يخدم الإسلام والمسلمين، طبعا هذا ليس خروجا من الموضوع، ولكن فتوح من سؤال أخينا.

طبعا "أبو محمود السوري" تابع، وقال: ما أردنا إلا إحسانا وتوفيقا، واستوعبته جهات أخرى، والغريب في الأمر أن أبا محمود السوري لأني أنا سوري وهو سوري اتصل بي لما كنت في إسبانيا، وقال لي في بداية الجهاد في البوسنة: نحن نعد للجهاد، وكان قبل ذلك عمل مع حكمتيار، من أجل تأسيس جيش عالمي لصالح حكمتيار، وبدأ يجمع المتطوعين من صفوف العرب والمدربين حتى يعمل حكمتيار جيشا أمميا من البنجلاديش والهند وغيرهم، ويكون المدربون عربا، وعرض عليّ بصفتي مدربا: تعال اعمل معنا في المسألة.

أنا كنت أحكي معه بصراحة أقول له كانوا يدفعون لك راتبا، ومرة رأيت معه مسدسا أمريكيا جديدا، قلت له: هذا المسدس وصل لك من FBI، أقول له هكذا علنا، فيقول لي: لا تثقل علي، يعرف أن أنا أحدّث هكذا في كل الجلسات.

الشاهد اتصل بي وقال: نحن فتحنا مكتبا للجنة البر في "زغرب" –عاصمة كرواتيا– ترك لي الخبر عند أخ إسباني قال لي: اتصل بك أبو محمود يبحث عنك، ويقول إذا كان عندك استعداد أن تعمل مدربا براتب كذا وكذا بالدولار، لأننا نريد أن نعمل كتائب عربية للجهاد في البوسنة، قلت له: ما شاء الله، من معك؟ قال لي: عبد السلام السوري الأخ الذي كان في لجنة البر.

هذا الكلام ليس تحقيقا الآن أني أجزم على القطع بأنه مخبر ولا عميل ولا كذا، أنا أرويها لك وحللها كما تشاء، المهم ذهب إلى هناك وكان أبو محمود السوري وعبد السلام السوري من المطاعن التي رفعت إلى الشيخ عبد الله عزام هنا عليهما حتى أبعدهما عنه، أنهما يسهرون مع السفير الأمريكي في القنصلية في بيشاور، وجاءني خبر أنهما نقلا عرضا من السفارة الأمريكية لبعض مشايخ العرب هنا أنهم ممكن أن

يزودوهم بجوازات أمريكية حتى تسهل عملية الحشد والدعوة لصالح الإفغان في الأوساط العربية، ورفضها في حينها المشايخ وتشككوا بهم.

هذه الخطوط الخلفية للاستخبارات كانت كلها: هلال أحمر، وصليب أحمر، وما أدري ايش، إسلام أحمر وكفر أحمر، كله تحت بعضه.

الشاهد في الموضوع: يكفي، يكفي ما حصل، بعد ذلك هذا أبو محمود السوري واجه كل الإخوة العرب والذين يريدون أن يشيعوا التدريب على الأسلحة التي تفيد العصابات، لأن سياسة الكتيبة العربية بالإجمال أنها مفتيها الأساسي ابن عثيمين وتوجيهاتها الأساسية تأتي من هذه اللجان، وهذه اللجان كانت أسماء كبيرة لامعة هنا مشهورة في البوسنة، سببت مقتل بعض الإخوة في البوسنة، حتى أن الإخوة المجاهدين هددوهم إذا لم يخرجوا سيقتلونهم، فخرج فلان وعلان من الأسماء الكبيرة السعودية التي كانت تعمل في الإغاثة هنا، ثم ذهبت تعمل في الإغاثة هناك، ولو قارنت وجه الشبه بين دور هذه المؤسسات هنا وفي البوسنة= لوجدته متطابقا.

حتى أن هذا أبا محمود والآخرين واللجان كانت تشترط على المجموعات العربية في البوسنة ألا تتكلم في الحاكمية، لا تتكلم في العلماء، لا تتكلم في الحكام، لا تتكلم في الحكومة السعودية بدعوى استمرار مجيء المساعدات، ثم بعد ذلك جاءت الشروط لا تتدربوا على الأسلحة الخفيفة، لا تتدربوا على المتفجرات، فقط حمير تحمل حجارة الغرب، لأن أمريكا تريد أن تضرب الوحدة الأوروبية بتفكيك البوسنة فلا ينتصر المسلمون، ولا يتوحد الأوروبيون، حتى تبقى ذراع الأمريكان طويلة على الأوروبيين إلى الآن، ولم تنته المشكلة إلا عندما كسر الأمريكان أنف أوروبا وأدخلوا ٦٠ ألف جندي في اتفاقية "دايتون"، حتى يخرجوا في وقت محدد، والآن يقولون: لن نخرج لأنه ما زال لنا حاجة في البوسنة.

ملف البوسنة ملف طويل، نستفيد منه من بعض الإخوة هنا عندنا، ولكن أقول أن الدور الأساسي الذي لعبته هيئات الإغاثة العربية والإسلامية كان قاسيا وخبيثا مئات المرات عن المنظمات الصليبية، بسبب أن المسلم لا يخاف من المسلمين ولكن يحذر بعض الشيء من الكافرين.

وإذا استمرت الأمور في أفغانستان على النحو الذي نحن فيه، اليوم الصليب الأحمر والأمم المتحدة تطعم نصف الشعب الأفغاني، وهذا الإطعام يمر عبر معابر الباكستان، ويمر بإرادة الملك فهد، حتى أن كل الناس تجمع أن خادم الحرمين الشريفين لا تزال فضائله علينا اليوم كما كانت طول القضية الأفغانية.

إن شاء الله نتكلم عن عيوب وثغرات العمل الجهادي في العالم، ولكن أقول تعليقا على سؤالك أنه إذا طالت مدة المعركة يؤدي هذا إلى دخول جهات مشبوهة تمد المسليمن، أقول: يجب تقطع عينه وتكسر رجله منذ اليوم الأول، وخير للمسلمين أن يموتوا جوعا من أن تطعمهم الإمارات والسعودية، مفهوم؟ يا إما نغنم فنطعمهم، يا إما يموتون من الجوع فيخرجون للبحث عن أرزاقهم، ولا تطعمهم الأمم المتحدة، ولا يقرؤون القرآن في كتاب مكتوب عليه طبع في مطابع الملك فهد، نبحث عن طبعة أخرى، وإذا جاءتنا هذه النسخة نمزق هذه الصفحة.

الرجل يطعمنا من معامل الملك فهد، ويكفينا بدولار الملك فهد، ويقرئنا قرآن الملك فهد، ويعطينا الفتاوى من عالم الملك فهد، لا نريد فهد ولا كل ما جاءنا من عنده.

فالمشكلة يجب ألا نقع في هذا الفخ، أن من طول الصبر تدخل المنظمات، لا يجب أن تدخل المنظمات أصلا.

طبعا كل هذا في قتال المستعمرين، نحن قلنا أنه في القتال ضد الحكومات يجب أن يكون هناك سرعة وحسم، لأن الشعوب لا تحتمل قتالا طويلا ضد الحكومات، فشكل هذا القتال أنه فتنة بين المسلمين بالنسبة لهم، ستقتل الشرطي وسيصير بكاء على الأيتام .. إلخ، أما إذا كانت المعركة ضد اليهود والنصارى فطولها مفيد، ولكن قبل أن يكون طولها مفيدا هو طويلة بطبيعتها، شئنا أم أبينا، ولكن نريد أن نَفهم ونُفهم المسلمين أن طولها في صالحنا.

الأخ: .. .. ..

الشيخ: بالعكس أنا تعجبني معارضة الفكرة أكثر من موافقتها، لأن لها فائدة مضاعفة.

الأخ: أرى أن باكستان وقفت من وجهة سياسية لا عقائدية، وقفت بجانب الحرب من منطلق سياسي، لئلا يتخطى الجيش الأحمر أفغانستان ويصل إلى باكستان، فوقفت من أجل هذا، دفع الروس عن تجاوز أفغانستان والدخول عندهم، وباكستان وقفت بجانب الجهاد الأفغاني بعدة شواهد:

أولا: سمحت بفتح المخيمات للمهاجرين، وانتقل حوالي ٣ أو ٤ ملايين مهاجر أفغاني إلى الحدود الباكستانية دون أدنى اعتراض.

ثانيا: استقبال قادة الأحزاب، وفتحت لهم مكاتب، وسمحت لهم بالكلام على مستوى الصحف الدولية.

ثالثا: لا يخفى علينا أن باكستان باعت سلاحا وأدخلت سلاحا إلى الجهاد الأفغاني، وكان منها أسلحة متطورة لم يستطيع الأفغان فكها وتركيبها واستعمالها، فدخل مجموعة من الفنيين والمستشارين لهذه المهمة، وكان منهم صواريخ سام، وبعض الصواريخ المتفجرة.

رابعا: أن باكستان وقفت دوليا على مستوى دولي لتؤيد الجهاد الأفغاني، وأعلنت ذلك في المؤسسات والأمم المتحدة وغيرها من التجمعات المتحدة.

خامسا: فتحت الباب أمام الإغاثات الإسلامية، لمساعدة المجاهدين الأفغان، وأنت حضرتك لما تعرضت للهيئات تعرضت لها بالنسبة للمجاهدين العرب، وأنا قصدت بها الأفغان، فهنا فعلا هذه الإغاثات ساعدت الأفغان بشكل ما في قضيتهم.

والله أعلم.

الشيخ: طيب، سنحاول أن نجيب بإيجاز على هذه المسألة لأننا سنعود إليها بالتفصيل، هناك ثلاث تجارب سندرسها باستفاضة إذا يسر الله وأسعفنا الوقت، وهي:

١- التجربة الجهادية الأفغانية من وجهة نظرها الأفغانية والعربية، يعني الجهاد الأفغاني كجهاد أفغاني ثم دور العرب فيه.

٢- التجربة الثانية الجهاد في الجزائر، وهي الصفعة الأخيرة التي تعرضنا لها.

٣- الجهاد في بلاد الشام.

والسبب أن هذه القضايا الثلاثة كان لي فيها مشاركة ميدانية سأستطيع أن أتكلم فيها كشاهد، ثم سنلخص من خلال وجودكم المتنوع تجارب جهادية أخرى، كالبوسنة ومصر وليبيا.. إلخ، كتقييم عام للقضايا.

فعندما نتعرض لقضية أفغانستان يجب أن نتعرض لهذا الحوار الذي يدور بيني وبين أخينا بالتفصيل، ولذلك فقط أوجز الآن لئلا ينقطع الحديث.

أقول أولا أن باكستان ساهمت في دعم الجهاد الأفغاني بهذه المظاهر التي عددها أخونا وأكثر منها، وليس المجال هنا لمناقشتها، ولكن دور باكستان كما قلت كدولة صديقة كان له سببان: سبب قوي أن باكستان تدافع عن نفسها ضد حلف الهند، وهذا ذكرته، والسبب الجانبي أن الأباطرة الذين قاموا هنا كان لهم مصالح كبيرة جدا في المسألة.

وفارق بين هذا وبين أن الدعم الباكستاني للأفغان كانوا محتاجين له بعض الأهداف الاستراتيجية الكبرى الأساسية للجهاد الأفغاني، أولها: قيام دولة إسلامية في أفغانستان بعد الجهاد، وإلى الآن لو أن تجربة الأحزاب استمرت وهو ما خططت له باكستان، وقادة الأحزاب قد تربوا على عينها، منذ عهد "بوتو" وهو ثابت في السياسة الباكستانية، الذي استقبل حكمتيار هو "بوتو" قبل ضياء الحق، وورثه ضياء الحق من "بوتو" واستعمل معه نفس السياسة، والآخرين رباني وغيره، هذا محور ثابت في السياسية الباكستانية، بصرف النظر عن من يحكم الباكستان.

ولكن هؤلاء الأحزاب لما وصلوا إلى النهاية لم يخرج المخطط عما أرادته أمريكا، مستخدمة قائمتين مخلصتين جدا، وهما: باكستان والسعودية، نفذت السياسة الباكستانية مآرب السياسة الدولية في أفغانستان، فحرمت المسلمين من أكبر نصر، وهذا إن شاء الله سنفصل فيه، حرمت الأفغان ثم حرمت العرب والعالم الإسلامي من حصاد النتيجة.

ولولا أن الله سبحانه وتعالى قيض أن ظهرت ظاهرة الطالبان وهي إلى الآن ظاهرة تحت البحث، هل هي ظاهرة طبيعية أو ظاهرة مفتعلة؟ وعلى الروايتين سواء كانت ظاهرة مفتعلة، أو ظاهرة طبيعية، وأنا أرجح أنها طبيعية= إلا أن السياسة الباكستانية لم تفقد أملها حتى في احتواء ظاهرة طبيعية، وما تزال الباكستان والسعودية هي الأخرى تحاولان أن تستوعبا هذه التجربة لردها في نحر الأفغان أولا، ثم في نحر المسلمين ثانيا.

يعني أن الباكستان أيدت= نعم، فعلت= نعم، لها مصالح خاصة= نعم، بل هناك ما هو أكثر من ذلك، هل هناك من حكومة باكستان من هم مخلصون في دعم الأفغان والمسلمين؟ نعم، موجودون وهناك شواهد على هذا، ولكن لما أنت تدرس في النهاية نتيجة دخول قوة نسميها صديقة لصالح قضية= نقول أنه في المآل جُوفت المسألة في مهدها من أهدافها الأساسية، ولدينا تفصيل كثير جاد.

هناك لفتة جميلة أخونا قالها، أنا تكلمت عن دور هيئات الصليب مع الأفغان والمسألة الأفغانية، وأنت تكلمت عليها في العرب، فهذا صحيح، وهو شطحة مني خارج الموضوع، أنا خرجت عن الموضوع وإن كان خروجا مفيدا، لأن عندي ألما خاصا في هذه المسألة، ولكن أخونا لفت النظر إلى المسألة وأن هيئات الصليب فعلا خدموا الأفغان، فما أقوله عن الباكستان أقوله عن الهيئات، فعلا خدموهم وفعلا سدوا ثغرة، وفعلا نصف مليون يوميا في كابل الآن يأكلون ويشربون من مخابز الأمم المتحدة، إلا أن نفس الشيء، في المآل كان دمارا على الإسلام ودمارا على المسلمين، وتدميرا للمنهج، وسحبا للراية، يكفي اعترض بعض إخواننا في جلال آباد وفي عقر الطالبان اللي واضح أنهم يريدون أن يتخلصوا من الضغط الصليبي، اعترض

على رفع رايات الصليب واشتبك مع بعض الصليبيين= فسُجن ثلاثة أيام، ثم عاملوه بالحسنى وقالوا له: جزاك الله خيرا، هذا أمر بالمعروف ونهي عن المنكر نقوم نحن به.

فهذا في عهد الطالبان الذين عندنا أكثر من دليل أنهم صادقون في إرادة التخلص من الضغط الصليبي، بل إن الملا عمر أخرج بيانا رسميا بمنعهم من رفع الأعلام، ولكن سبحان مقدر الأحوال أن كل قرارات الملا عمر في المسلمين نُفذت، أما قراره في إنزال الأعلام إلى الآن لم يُنفذ.

الشاهد في الموضوع هناك مصائب كوارث ترتبت على هذه المسألة، يكفي أنه هناك أخطبوط من الاستخبارات الغربية الآن، من ناس أفغان، إذا خرجوا عن الصليب لا تستطيع أن تميز من منهم كان عميلا ومن ما زال يعمل.

فأقول قضية الهيئات صحيح نحرتنا نحرا نحن العرب هنا، وأيضا نحرت الأفغان نحرا، وهذا الدولار الغربي الأمريكي المطبوع صليب على وجه ونجمة إسرائيلية على وجه آخر ومغلف بنوع من التذهيب أو الميكاب الإسلامي السعودي، والذي نتداوله عن طريق مصرف باكستاني، في نهايته لا يحمل إلا (الموت)، بقدر ما تأخذ من الدولار تسلخ من دينك وتسلخ من ثوابتك، خير لجزء من المسلمين أن يموتوا جوعا ونضحي بهم جوعا من أن يموت كامل المسلمين فينسلخون عن دينهم كلهم بسبب هذا الغذاء الذي يأتي، هذا حتى لا يدخل تحت نطاق (وإثمهما أكبر من نفعهما) في الخمر، يعني في وجه لذكر النفع إلى جانب الإثم، هنا لو ذكرت المنافع إلى جانب المضار= تكاد لا تجد.

أحببت فقط أن أذكر المسألة، وعلى كل حال أعتقد أن الموضوع لم يكتمل، ولكن سنرجئه لأنه سيكون له وقفة أخرى.

الأخ: حضرتك لم تذكر السلَب؟

الشيخ: السلَب داخل في الغنيمة ولكن له حكم خاص، وهو أن الذي قتل واحدا من الكفار يأخذ متاعه، وهناك خلاف بين العلماء، هل هو حكم بإطلاق، أو لابد أن ينادي مناد بأن من قتل قتيلا فله سلبه؟ ولم أدخل في التفصيلات.

بارك الله فيكم.

الأخ: .. .. ..

الشيخ: هذه لفتة جميلة لم يسبق أن تعرضنا لها، وهي أن تستخدم أسلحة حتى لو لن تشتري، تستخدم عيارات السلاح الموجودة في البلد، ولا تتورط أن تأخذ أسلحة من تجار سلاح بعيارات مختلفة، لأنك ستكون دائما في حاجة إلى تلك الجهة، جزاك الله خيرا.

أما موضوع السؤال الأول، فعمليا كل تكتيكات العدو في مكافحة العصابات تدور في إطار: التطويق والإبادة، ولكن هناك حالات فرعية بحسبها، من التكتيكات التي استخدمت ضد الجماعات الجهادية اغتيال الرؤوس، اغتيال مشايخهم وقياداتهم ومنظريهم الذين يديرون المسألة، وكذلك من التكتيكات: الاختراق، وهذا إن شاء الله سنبحثه في مشاكل العمل الجهادي، موضوع الاختراق الأمني ليس تكتيكا عسكريا وإنما تكتيكات مبتكرة، اخترعوها لما عجزوا وفشلوا عن المواجهة العسكرية مع العصابات، السلاح الأول الآن لتدمير العصابات وخاصة الجماعات الإسلامية هو: اختراقها من قبل المخابرات.

سبق وأن تعرضت لهذه القضية فلا أريد أن أطيل، لا أدري إن كنت معنا ولا ولأ، الاختراق كان في البداية بوضع جاسوس يتجسس عليك من بعيد، ويتنصت على أخبارك، المخبر العادي التقليدي، فهذا صار مكشوفا ولم يعد يؤدي نتيجة، فطوروه إلى مرحلة جاسوس يخترق الجماعات ويكون واحدا من الأعضاء أكثرهم عبادة صلاة صيام ..إلخ، حتى ممكن يدرس في كليات الشريعة.

ثم بعد ذلك تطور الموضوع إلى مثل ما حدث في الأردن، أن يتوقعوا أن الوضع السياسي ممكن يكون فيه ثورة، فيزرعون رجلا هو القائد من الأصل وهو الذي يحرض وهو الذي يجمع وهو ضابط مخابرات، يرون ما هو الطرح العام للتذمر، فيأتي شخص ويطرح نفس الطروحات ويؤلف الناس على نفس القضية، ثم يجر المجموعة من خلفه وهو القائد أصلا، ويسلم قوائم بالملتحقين معه، وهذا أسلوب متطور جدا.

والأسلوب المتطور أكثر منه هو الذي حصل في الجزائر، وهو أن يتم دراسة مناهج هذه الجماعات، ودراسة نقاط الضعف المنهجية والتكتيكية فيها، ثم زراعة ناس يدفعونها لأن تمشي إلى الانهيار من خلال انحرافات المنهج، ويأتي على رأس ذلك الآن استخدام كل المخابرات العربية، وتبني مشروع ضرب الجهاديين بالتكفير، هذه آخر موضة، كان أول شيء ضرب الجهاديين بالمعتدلين، أما الموضة الآن ضرب الجهاديين بالتكفير، حتى يصل كل من حمل السلاح لأن يكون تكفيريا في المنهج خارجيا في المعتقد وأنه قاطع طريق دموي ليس له رسالة وإنما قتل الناس، فهم بهذه العملية زرعوا أناسا واستفادوا من ثغرات منهجية موجودة وتطرف بعض الناس وتعرضهم لأوضاع سيئة، فاستطاعوا أن يجروهم لإصدار مجموعة من البيانات وتبني مجموعة من الآراء، من خلال هذه الآراء استطاعت الدولة وأجهزة المخابرات تنفيذ مجازر في الناس إلخ، كما رأيتم في الجزائر، حتى تضع حاجزا بين الجماهير المسلمة وبين قيادة الجماعات الجهادية.

فهذه كلها تكتيكات أمنية وليست تكتيكات عسكرية، أما التكتيكات العسكرية فكلها تدخل تحت عنوان: التطويق والإبادة.

طبعا سنستعرض تجربة كل بلد، وأريد منكم من الإخوة الذين عندهم قدرة على كتابة تقارير عن الوضع الإسلامي العام في بلادهم، وعن تجارب جهادية يعرفونها، وعن خبرات قديمة حصلت لهم يستطيعون أن يضيفوها إلى معلوماتنا= فحبذا، أي إنسان قادر على أن يكتب تجربة، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، يعطينا نوعا من التقرير عن الحالة التي هو فيها.

فأقول مثلا عندنا في بلاد الشام اتبعوا أسلوب التمشيط، وهو تطريق مجموعة من الأحياء السكنية الكبيرة جدا، ثم تمشيطها من بيت إلى بيت، من بيت إلى بيت، بحثا عن الأسلحة، فهذه تكتيكات فرعية،

وحتى هذا التمشيط يعد نوعا من أنواع التطويق والإبادة، واستخدموا كما ذكرت "الحواجز الطيارة" للمخابرات، كانوا يقيمون حواجز تفتش الباصات والسيارات بشكل كلاسيكي، فالناس تأخذ احتياطاتها الذي يحمل موادا مهربة، منشورات، سلاحا.. إلخ، أيضا كانت هناك دوريات تنزل هكذا فجأة فوق منطقة وتبدأ في تفتيش كل الناس، واتبعوا أساليب التعذيب الجماعي، وهذه أساليب استخدمها الشيوعيون في أوروبا الشرقية، تشيكوسوفاكيا خاصة لما صار فيها انتفاضة.

يأخذون ألف رجل في اليوم يعذبونهم تعذيبا شديدا، فيلتقطون من خلالهم الاعترافات، طبعا هذا أسلوب همجي لا تفعله إلا دولة تعامل الناس كدولة مستعمرة، ومن خلال الألف يصفونهم إلى مائة، ثم يصفون المائة إلى عشرة لهم علاقة بالقضية، خاصة إذا كان التنظيم منتشرا في مناطق صغيرة في عدد سكانها، كانوا يستخدمون أبناء مناطق في مناطق بينهم وبينهم مشاكل، يعني يستخدمون الشيعة في مناطق السنة والسنة في مناطق الشيعة، العرب في مناطق البربر، والبربر في مناطق العرب، أهل الشرق في الغرب، أهل الغرب في الشرق، فيستخدمون كل هذه التكتيكات حتى يحصلوا على أكبر معدل من المعلومات.

فهناك تجارب كثيرة الحقيقة، ولذلك نريد أن نكتب، أي إنسان عنده خبرات سمع بها، أو تقارير من تجربته يكتبها، فبذلك يكون عندنا مجموعة من التقارير، تساعدنا في النهاية على صياغة حرب عصابات مستمدة من التجارب التي خضناها، ولكن إجمالا هي موضوع التطويق والإبادة، إلا إذا كان هناك اختراق أمني.

أما السؤال الثاني: هل يستطيع الجيش أن يشكل أجهزة عصابات معاكسة؟

فهذا سبق ومر لصاحب الكتاب، وأنهم فشلوا فيه فشلا ذريعا، وأنه يختلف تكتيك الجندي المقاتل المعاكس للعصابات عن جندي العصابات، لأن هذا يعتمد على الشعب والآخر لا يعتمد على الشعب، حتى تهكم عليهم قائلا أنه حتى لو حلق رأسه فلن يصبح من الهنود الحمر، بمجرد أن حلق رأسه ولبس ريشا، ففشلوا تماما.

ويبقى مكافحة العصابات عن طريق قوات الكوماندوز، أو الأمن وقضية الاختراق.

أما السؤال الثالث: ما هي الوحدات العسكرية التي سنواجهها في البداية؟

أرجع وأقول أن هذا حسب البلد، ولكن إجمالا أول ما تبدأ الانتفاضة تظن الدولة أن القضية خفيفة فتواجه العصابات بسلاح الاستخبارات، هذا غالبا أول ما يحصل، يعني أمن الدولة والمخابرات العامة، تتعامل معها كظاهرة جنائية في البداية، ثم تفرض لها شعبة معينة، في بعض الدول تجد مثلا الأمن العسكري والأمن السياسي والأمن الما أدري ايش، ثم ينشئون قيادة مركزية لكل أجهزة الأمن هذه، ويديرون العمليات، وتوضع خطة استراتيجية.

لما ثبت العجز، يستعينون بعدها بقوات الشرطة العادية، فطبعا العصابات تستطيع أن تتفوق على جندي الأمن السياسي والاستخبارات أو الشرطي، فبعد ذلك الدول العقائدية تحاول أن تدخل ميليشيات الحزب أو الحكومة، يعني اللجان الثورية في ليبيا، عندنا مثلا شبيبة الثورة، ميليشيا الجهات الحاكمة.

بعد ذلك لما يشعر بالعجز يبدأ ينزل بقطعات الجيش، ابتداء بالقوات الخاصة، معظم الحكومات عندها قطع عسكرية خاصة بحماية النظام، يعني الأمن المركزي في مصر، سرايا الدفاع في سورية، اللجان الثورية في ليبيا، التدخل السريع في المغرب، مكافحة الشغب، فرق خاصة هذه مهمتها.

لكن غالبا كل هذه الأجهزة غير العسكرية تُسحق بشكل مبكر من قبل العصابات، فيضطر في النهاية أن ينزل الجيش وآلياته.

أما السلاح الذي يجب أن تستخدمه ضد هذه القوى= فحسب صراعك التكتيكي، لكن إذا كان القتال قتال مدن، إن شاء الله سنستعرض كل العالم الإسلامي أو الدول الرئيسية ونحاول أن نذكر طرفا من تجربتها، ثم تصوراتنا لطريقة العمل فيها، حتى إذا انتشرت هذه الأشرطة في كل الدنيا فيجد أهل كل منطقة يريدون أن يعملوا نبذة عن طريقة عملهم ونصائح لهم، ويجدون فيما تكلمنا عنه من الدول الأخرى دروسا لهم يستفيدوا منها.

فالتسليح إذا كان القتال قتال مدن كما هو متوقع في بلاد مثل الخليج العربي ونجران والمناطق المتاخمة لليمن، أو حتى البلد التي فيها قتال عصابات قتال أرياف في مناطق، وقتال مدن في مناطق، وفي بلاد مثل: لبنان سوريا تونس الأردن مصر ليبيا، هذه كلها القتال فيها مدني إجباري، في بلاد فيها جبال وضع نموذجي مثل المغرب.

ولذلك في كل منطقة كل إقليم إذا نحن نجحنا في المواجهة وفي وضع مخطط استراتيجي ونجحنا في أن نطور العمل الجهادي والعلاقات بين الجهاديين إلى أن يكون تكتيكيا عالميا، على الأقل في اتجاه واحد، فلابد أن يكون لنا بؤرة حصينة في كل منطقة إقليمية جغرافية، يلتجئ إليها الفارون من كل المناطق، وتكون خطوطا خلفية على مستوى كل منطقة.

يعني يتحول مثلا شمال أفريقيا المغرب الجزائر إذا أصلحهم الله، واستتب الوضع لبعض الصالحين فيها، فتكون هذه حصونا حتى لمن مارس الجهاد في ليبيا أو في مصر أو في تونس، يعني تكون خطوطا خلفية له في تلك الدول، ويجب أن نحطم مفهوم الحدود هذا، حتى من الناحية العسكرية لصالحنا أن نحطم الحدود.

لما حصل الجهاد في الشام، أصبح الانتقال من قطاع إلى قطاع داخل نفس المدينة، ومن مدينة إلى مدينة أخرى من حلب إلى حماة، أصعب مائة مرة من العبور من سوريا إلى الأردن، الحدود العربية ليس فيها مشكلة، عندك بوابة للحدود، ثم بعد ذلك إذا كان في منطاق فيها شوية حقول ألغام، وبعدين صحراء.

فليش الإنسان مضطر أن يضع قواعده في سوريا وهو مذبوح في سوريا؟ ليضع قواعده في الأردن، فإذا كُشف له مخزن في الأردن، فليدافع في الأردن وكأنه كُشفت له قاعدة في أي مكان آخر، وهذه فكرة مبتكرة جدا، نتجاوز الحدود بمرونة كبيرة، لأن وضعنا متداخل، الاستخبارات العربية نتيجة التناقضات السياسية بين الأنظمة لم تستطع أن تتجاوز هذه الإشكاليات بسهولة، وستشعر كل دولة بأن الدولة الأخرى هي التي سببت لها مشكلة.

فالشاهد في الموضوع أن أسلحة القطعة التي تواجهك هي بحسب البلد، ولكن غالبا بالتسلسل الذي ذكرت، يعني مخابرات ثم شرطة ثم ميليشيا المدافعة عن النظام ثم نخبة الجيش ثم الجيش ككل، وإذا كان هناك

دولة مستعمرة فهي تدعم جيش الحكومة نفسه، وسمعت أن الطيران الفرنسي شارك في قصف بعض المواقع في الجبال في الجزائر، هذا تدخل مباشر طبعا، ووجد بعض العناصر من الجيش التونسي، وبعض الاستخبارات المصرية والسورية ليساعدوهم، فإذا صارت القضية أممية بهذا الشكل فنجد أنفسنا أمام تنوع في الأسلحة، وتنوع في القطعات العسكرية، وتتحول المشكلة فعلا إلى مواجهة عالمية، وهذه المشكلة مرشحة جدا لأن تكون بهذا الاتجاه.

السؤال اللي بعده.

الأخ: ماذا عن مشكلة السياحة في المغرب؟

الشيخ: هذه المنطقة التي تتكلم عنها أعرفها بشكل جيد جدا، وأعرف أن فيها مشكلة، وكنت قد كلفت أحد الإخوة بوضع دراسة عن السكان والبيئة والمشاكل هناك، إنما لابد أن تأخذ بعين الاعتبار المصالح والمفاسد، وتحاكم هذا العمل الذي ستقوم به إلى الكلام الذي قلناه البارحة، حلال ولا حرام؟ مفيد ولا مضر؟ ممكن ولا غير ممكن؟ لا تقدم على أي عمل إلا إذا كان حلالا مفيدا في مصلحتك ممكنا عسكريا، إذا كان هناك عمل حلال لكنه مضر بمصلحتك أو غير ممكن عسكريا= فتؤجله الآن.

الأخ: يعني ضرب وجود الأجنبي المتمثل في السياحة. . . .

الشيخ: هكذا كان ليس كقرار نهائي، ولكن كتصور ابتدائي أقول: العبث في تلك المناطق الآن خطأ، لأنك ستتحول في أعين الناس وكأنك أنت الذي جئتهم بالفقر، سأضرب لك مثالا: أهل الخليج مثلا عندهم سياحة الاستجمام، شوف سياحات الطبقات الغنية كلها في لندن، يحجوا إلى لندن، وأنا عشت في لندن وأعرف هذه النوعيات من الناس، الطبقات الأقل والطبقات المتدينة تذهب إلى تركيا تذهب إلى

سورية، ولكن هناك طبقة من أثرياء الخليج، بل من أثرياء العالم العربي وخصوصا الخليج عندهم نوع من سياحة الدعارة، يذهبون للسياحة والدعارة في آن واحد، حتى مجلة "المسلمون" لما بدأت تتكلم عن ما يسمى زواج السفر ولا ما أدري ايش، شيء يعني نكاح المتعة، بدهم يذهبوا إلى مناطق الهند والباكستان والبنجلاديش لكثرة المسلمين، يعني هو جنابه داعر بس داعر شرعي، يعني بده يزني بطريقة يوهم نفسه أنه يلعب فيها على رب العالمين، وأنه له صفة وشكل زواج شرعي.

مرة كنت بسمع الشيخ الطحان قال أن الذي يقوم ببيع محرم لأجل أن يلتف على الربا جريمة المرابي أهون عند الله سحانه وتعالى من جريمته مائة مرة، يقول لك: أعطيك هذا الدفتر نقدا بمائة ألف، وبرجع أشتريه منك بالتقسيط بمائة وخمسين ألفا، وهذا منتشر في التجارة، نهاية المسألة أنه أخذ مائة ألف وأعاد مائة وخمسين ألفا، ربا، فذكر الشيخ الطحان قال: هذه جريمة مضاعفة، لأن المرابي يظن أنه يلعب على الله سبحانه وتعالى، يحتال عليه بحيث لا يشعر أنه يرابي، فهذا هزء منه بخالقه سبحانه وتعالى، وكأنه ستنطلي عليه.

فنشأ عندنا نوع من الزنا والدعارة باسم ايش؟ باسم أنه يلتف على الأحكام الشرعية، فيذهبون إلى الهند حيث تُزوج المرأة فتاة صغيرة في السن، وهو عجوز أكل الدهر عليه، يتزوج فتاة ١٤، ١٥ سنة، يدفع ألف دولار ولا ألف وخمسمائة دولار، يجلس في الهند شهرين ثلاثة، ثم بعد ذلك يترك لها ألف دولار ويسافر، ولا يريها وجهه مرة أخرى، وإذا كان يعني عنده أخلاق يبعث لها بورقة طلاق.

ناهيك عن أنه في بلاد أخرى كثيرة من بلاد المسلمين يذهبون إلى الدعارة الصريحة، فهذه القضايا أثرت عند كل أهالي تلك المناطق وأصبحت بابا للاستفزاز، فهؤلاء الناس يجب أن يشكلوا أهدافا مبكرة لحروب العصابات في تلك المناطق، خاصة وأنهم محملون بالأموال، يبحثون عن من يأخذ منه أمواله ويقومون له بعملية خصي ويعيدونه إلى بلده.

هذه الأشياء شكلت إشكالا للمسلمين، قال لي رجل في تركيا: أخذت رجلا عجوزا جاءنا من الخليج يعمل له جولة سياحية، قال له: أنا أريد بنات، فقال لي: أخذته طوفته بالسيارة أربع خمس ساعات حتى

نعس وتعب وجاع وكل شيء، في الآخر أخذته إلى الشاطيء، شاطيء رملي بعيد، ودخلت بالسيارة على الشاطيء حتى وصلنا إلى شاطيء البحر، كان وقع على أخ من بتوعنا، فنزل فقال له: لماذا جئنا إلى هنا؟ قال له: لأ بس أذكر أنه كان هنا دارة ولا كذا، فظل يسخر به على الشاطيء، وتركه حتى أراد منه فقط أن يعيده إلى هناك، قلت له: كان يجب أصلا أن تسلبه ما معه.

تصور مرة واحد أوقف رجلا في إسبانيا لا يعرفه، فقط لأنه توسم فيه أنه عربي، فقال له: أنت تتكلم عربي؟ قال له: أيوة، قال له: أنا بس بدي تساعدني في كذا، يريد الفاحشة.

فهؤلاء الناس في البلاد الإسلامية التي يريدون القمار فيها، ويريدون الدعارة، ويريدون المصائب، أنا لا أقول فقط من أجل الأموال، ولكن لأنها تشفي صدور الناس، كما أخذوا رجلا هناك كما قلت لك وقتلوه ورموه على المزابل، لأنه كان عامل مشكلة مع الناس.

فتأتي في هذه المسائل، وتأتي في قضايا في نفسها فقر، وتسلب وتوزع على الفقراء، وتشعر الناس أنك أنت أسعدتهم، فإذا كان المنحى العام كله أنك تجاهد النصارى، تجاهد اليهود، تدافع عن أعراض المسلمين، تقوم بكل هذه المسائل، إذا أردت أن تنقل رياح ثورتك بعد ما صار لك شعبية كبيرة في كل تلك المناطق، يصير المسلمون يتعاملون معك بمنطق: يا عم اضرب النصارى ولو جعنا.

كما قال الدكتور أحمد نوفل: (يقولون أن صدام حسين ممكن يخطئ بالصواريخ وينزلها على المسلمين في الضفة الغربية، أنا من هنا أقول لكم: دعوا صاروخا ينزل على اليهود وثلاثة على رؤوسنا)، يعني هو يريد من القهر أن تتحقق أي نكاية.

الشاهد لا تبدأ بهذه المناطق، لأنه لن تُفهم المسألة.

الأخ: .. ..

الشيخ: نهاجم مناطق ممكن أن تعتبر محطة للاستراحة، لأن فيها حكما غربيا، ففيها شيء من الحرية، ممكن أن تعتبر بابا للمراسلات، بابا لتهريب الأسلحة، كل هذه المناطق: الخليج العربي، مناطق شمال أفريقيا المحتلة، مناطق تركيا، بعض المناطق الحرة في كثير من المناطق.

الأخ: ليس السكان فقط الذين يسكنون هذه الأماكن يعيشون منها، بل الإحصاءات تقول تقريبا ثلث البلاد يعيشون منها.

الشيخ: أنت لا تأتي تقطع على الناس هذا لأنه سيستخدم ضدك، فهمت أن الحكومة هي التي سببت إفقارهم، وسيفكرون أنك أنت الذي سبب إفقارهم.

وهذا له حد، يجب أن يكون عندك توجيه منهجي يذكر الناس بالبعد الديني لعملية الجهاد ضد النصارى وضد اليهود، أليس هناك تاجر يهودي يطعم الناس ويرابي مع الناس؟

فأقول أنك إذا كان عندك مندوحة متدرجة، تدخل من البوابات المتدرجة، تأجيل مسألة إلى وقت آخر، وهذا له دلائل كثيرة، الرسول عليه الصلاة والسلام لم يقتل رأس المنافقين وكان الغرض سياسيا بحتا، لئلا يقال أن محمدا يقتل أصحابه، فأُجلت المسألة حتى بعد ذلك انحلت بالطريقة المعروفة في السيرة.

فهناك أشياء بوابة، ولكن إذا وجدت أنها ستلغي كل أصل المسألة، فهؤلاء الناس تضرب بمصالح الجزء لمصالح الكل، وهذه قضايا خاضعة لفهم أهل المنطقة، إذا كان هناك واحد فتح الله عليه سيعرف كيف يدخل.

الأخ: بعض الناس يفكرون في القضاء على هؤلاء المفسدين في الأرض، كبائعي المخدرات والمهربين في بلاد المغرب.

الشيخ: هناك تدرج، هذه المسائل ليست سهلة، أما موضوع تطبيق الأحكام الشرعية كأحكام شرعية، لأنك أنت مسئول عن القضاء على المخدرات، ومسئول عن القضاء على الدعارة، ومسئول عن القضاء على الخمر والمفسدات، فهذا شرعا ليس مسئوليتك، لأنك أنت لست ممكنا، ولست مطالبا شرعا بتنفيذ هذه الأحكام.

الآن أنت عندك أحكام شرعية إذا أنت نفذتها، تضرب بها عصفورين بحجر، هدف جماهيري تكسب به المسلمين وتطبق به حكما شرعيا، أما أنت تأتي لتطبق كل هذه الأشياء فستثير عليك كل الناس، لابد أن ندخل بعملية متدرجة الآن، اليهود والنصارى فالحكومة فالمتعاملون مع الحكومة وصولا إلى آخر درجة، فتتسلسل المسألة تسلسلا طبيعيا، بل أكاد أقول أن الدول مثل المغرب أنعم الله عليها بوجود اليهود والمصالح الغربية الكثيرة.

في حين بلد مثل ليبيا ليس فيها هذا الأمر، يعني لو أرادوا أن يجاهدوا سيبحثون في كل ليبيا فلن يجدوا لا يهودا ولا غربيين ولا أحد، هناك لجان ثورية استحكمت تؤدي كل الدور، فهو مضطر أن يبدأ من هناك، البلاد التي فيها مثل هذه القضايا كالمغرب هي البوابة.

البلاد التي فيها نصيرية مثل عندنا طائفة أخرى تحكم المسلمين وتلقائيا الناس يعني هم ضدها، فجاء الإخوان المسلمون وأضاعوا المفتاح الأساسي للدخول في المعركة، وقالوا هؤلاء النصيريون مواطنون، فيهم ناس مع الطواغيت وفيهم ناس مع الشعب، فضيعوا المفتاح الأساسي.

الأخ: كيف نجمع بين: (الغاية لا تبرر الوسيلة) و(الضرورات تبيح المحظورات)؟

الشيخ: هو في شيء في الشريعة عندنا اسمه ضوابط المصلحة، وكُتبت فيه أبحاث كثيرة جدا، وهناك قاعدة أن (الضرورات تقدر بقدرها)، فعندنا الضرورة باب من تسهيل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة

أن جعل للضرورات أحكاما، أما أصحاب مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) فهم عندهم مبدأ الضرورة لا حد ولا ضابط له، وهذا هو الفرق بيننا وبينهم.

البارحة كنت أكلم أخانا أبا عبد الله المهاجر في بعض الضرورات في أبواب التمويل، فقال لي سبحان الله في أشياء يعني الإنسان يقع عليها تلفت نظره، أن: في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام امرأة ورجل من الفقراء مات لهم بعير في الشتاء، وليس لهم إلا هذا البعير، فكان الرجل يقول لها: لا نأكله لأنه مات، والله حرم الميتة، وهي تقول له: ليس عندنا إلا هو، فلما اختلف مع زوجته وكانت زوجته أفقه منه قالت له: اذهب فاسأل الرسول عليه الصلاة والسلام، فذهب وقص عليه القصة، فقال: هل لكم غيره؟ قال: ليس لنا غيره، فقال: تزودوا به شتاءكم هذا. فأحل له أن يأكله، حالة خاصة، ايش ظرفك ايش قصتك.

فقضية الضرورات بحث طويل عريض جدا، والحقيقة هنا يبدأ يخرج الموضوع عن اختصاص الإنسان العادي، ليدخل في اختصاص الناس التي تستطيع أن تقدر الضرورة بقدرها، فمهمتي ومهمتك أن تأتي إلى ضابط شرعي وتقول له: أنا عندي الحالة كذا وكذا وكذا توصفها كما هي، توصف له الواقع ثم تستفتي: هل أنا داخل في إطار (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) ولا لأ؟ فلها ضوابط، المصلحة لها ضوابط.

وأذكر أن هذا المجرم البوطي، الدكتوراة بتاعه التي أخذ فيه مرتبة الشرف من الأزهر مع التوصية بنشر البحث وما أدري ايش، اسمه "ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية" كتاب جيد، فضوابط المصلحة وضوابط الضرور شرعا معروفة ومفصلة.

أما الذي يقول أن الغاية تبرر الوسيلة فهو يريد أن يفتح لنفسه مجالا مفتوحا، فمثلا الإنسان الآن يريد أن ينفذ عملية تجسسية، فهل تبيح له الشريعة أن يأخذ معه امرأة زانية، ويمارس الزنا حتى تنطلي أموره على العدو، ثم يتجاوز كل خطوط الشريعة، حتى يقول أنا عندي غرض في النهاية أن أقتل طاغوتا؟! لا، لأن عنده حدودا، في الهدي الظاهر ممكن يعلق صليبا، ممكن يتظاهر بقضايا، ممكن يفطر في رمضان، ممكن يصلي إيماء، فهذه الأمور الحقيقة أنا كنت طرحت مجموعة من الأسئلة، أريد أن أعطيها لبعض أهل العلم، أين نهاية الرخصة عندنا حتى نتحرك؟

يعني أذكر أن الإخوة في تونس لم يكن لهم حل إلا الانقلاب العسكري، فتطوعوا في الجيش وانتظروا في الجيش بعضهم حوالي ٢٠ سنة وبعضهم ١٥، فطلع قرار في الجيش أن الذي يصلي يُفصل فصاروا يصلون إيماء، ثم الذي يصوم يُفصل فصاروا يفطرون ويقضون، في الآخر صار الذي زوجته تحتجب يُفصل من الجيش، وقد اقترب موعد الانقلاب، فأفتى لهم مفتي الجماعة قُتل سبحان الله، راح فر للسعودية فسلموه السعوديون فأُعدم رحمه الله، قال لهم: نساؤكم تحتشم ولا تحتجب، يعني تلبس لباسا لا تبرج فيه، ولكن تكشف رأسها، فطُرح عليهم موضوع: وين نهاية ما هو ممكن؟

فدائما هناك ضرورة وهناك مصلحة ولها ضوابط في الشريعة، يقدرها أهل العلم، وهذه فتاوى ميدانية لرجل خاص بظرف خاص في مكان خاص، فكل أصحاب مسائل يعرضون ضروراتهم على الفقهاء، فيأخذون فيها فتوى.

أما أصحاب (الغاية تبرر الوسيلة) فليس عندهم سقف للغاية ولا للوسيلة، هو عنده هدف معينا فيتبع، مثلا نحن في الشريعة ليس عندنا سماح بأن ننقض العهود، بينما السياسة الدولية قائمة على نقض العهود بمبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)، نحن لا نستطيع أن نقول للأمريكان: إذا سلمتم لنا الموقع الفلاني سنعمل كذا وكذا ثم لا نعمل، إذا فعلوا يجب أن نفعل، بل مصداقية المسلمين قامت على هذا، وليس من "الحرب خدعة" نقض العهود.

ولذلك لما عملوا تحالفا وطنيا مع الأحزاب عندنا، أنا ناقشت الشيخ منير الغضبان بنفسي، ثم جاء بعد ما رجع عن مبدأ التحالف الوطني واعتبر أنه زلة وخطأ من الإخوان إلخ، وكتب ذلك في "المنهاج الحركي للسيرة النبوية"، زارني في البيت فقلت له: أنت كيف أفتيت للناس وكذا؟ قال: أنا رجعت، قلت له: ومع ذلك، هذا الرجوع لا يغنيك، لأنك لما أفتيت في التحالف كتبت كتابا كبيرا اسمه "التحالف السياسي في الإسلام"، ولما رجعت، رجعت بسطر ونصف في ثنايا كتاب عام لا يهتدي إليه أحد، أنا أعتبر نفسي قارئا، ولو لم تخبرني أنت لما عرفت بهذا التراجع، فيجب أن ترجع.

قال لي: ومع ذلك أنا التحالف الذي أفتيت له غير الذي حصل في سورية، أنا قلت للإخوان: هذا التحالف جائز بشرطين، عندكم مسألتان لا تستطيعون أن تتجاوزوهما:

الأولى: أنك لا تستطيع أن تعد الأحزاب بالمشاركة في الحكم أو بأي قضية، ثم تبطن النقض.

الثانية: لا تستطيع أن تعدهم بالمشاركة في الحكم بعد سقوط السلطة، وتبطن أنك ستوفي.

يعني لا يحل لك أن تقول له: أنا سأشاركك في السلطة، أقصى شيء مسموح لكم هو أن تقول: نتعاون معكم على إسقاط حافظ الأسد، بس وبعد ذلك (لكل وجهة هو موليها)، ليس لنا علاقة بكم، ولكن أن تقسم وتبطن النقض فلا يحل لك.

فهذه كلها حواجز شرعية عندنا على (الغاية تبرر الوسيلة)، هذه المسألة متشعبة، ولكن افهم هذه المسألة، الفارق الأساسي أن الضرورات والمصالح وهي الحالات التي نخرج فيها عن الحكم العام لها ضوابط شرعية وحدود وسقف يحدده أهل العلم، بينما الغاية تبرر الوسيلة= ليس فيها سقف وليس فيها حدود.

الآن سنقرأ فقط قليلا، من خلال قراءتي للبحث اليوم هو تكرار، بدأت الأمور تتكرر، فسيكون التعليق أقل.

الفصل الخامس

المقاومة ضد الفرنسيين في الهند الصينية

(التجربة الفيتنامية)

"الحرب الاستعمارية والتجربة الفرنسية – استراتيجية وتكتيك

فونغوين جياب –كيف انتصر الفييتمينة في الهند الصينية"

[**كيف طُبقت (قوانين الحرب الثورية)، المبينة من قبل ماوتسي تونغ، على مستعمرات الدول العظمى؟**]

أريدكم أن تصغوا لكل التجارب التي فيها محاربة استعمار، لأنها شبيهة بما سيأتي.

[**لقد سجل التاريخ النتيجة، فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ولم يخسر أي شعب حرباً شنها على الاستعار (لا تشكل ماليزيا والفلبيين إلا استثناءات ظاهرية، وسنتحدث عنهما في الفصول التالة).**

ففي أكثر الحالات ملاءمة، سلمت القوة الاستعمارية سلطتها في الوقت المناسب، منحنية أمام رياح التاريخ. وفي الحالات الأخرى، لم يُكتسب الاستقلال إلا بالارهاب والفوضى المدنية، كما في قبرص والمغرب، أو بقوة السلاح، كما في الجزائر والهند الصينية].

هو يقصد بالحرب الإرهابية يعني قتال المدن، حرب عصابات المدن، ويسمي الحرب الثورية (بقوة السلاح): الحروب التي أخذت مجال اشتباكات واسعة في الأرياف.

[**ويقدم النضال الذي جرى ضد الفرنسيين في الهند الصينية أهمية خاصة تماماً، إذ نجد فيه المثل المزدوج لحرب ثورية استمرت حتى الحسم العسكري (على عكس الانتفاضة التي تؤدي إلى الحل السياسي)، وأُديرت بوعي حسب تعاليم (ماو). يقول كاتزنباخ:**

(إن الحرب التي شنها الفييتمينة في الهند الصينية الشمالية، اتبعت التعاليم (تعاليم ماو) مرحلة تلو أخرى، مع أن قادتها ادعوا بأنهم حسنوا العقيدة القتالية)].

لاحظ أن كل أمة تعتمد على تجارب الآخرين، لكنها تصيغ لنفسها شيئا خاصا بها.

[لقد دامت من العام ١٩٤٦، في اللحظة التي حمل فيها هوشي منه السلاح ضد الفرنسين (ان هوشي مينه في الواقع يسيطر عملياً على فيتنام لعام مضى، منذ استسلام اليابان) وحتى عام ١٩٥٤، العام الذي قسمت فيه البلاد إلى جزئين، يفصلهما خط العرض ١٧، في مؤتمر جنيف العالمي، بعد سقوط موقع (ديان بيان فو الحصين)].

هوشي منه، ينطقها بعضهم هنا: هو شيء منه! قائد فيتنامي يعتبر الملهم الروحي والعسكري للمقاومة، بينما المسئول العسكري له في تلك المعارك هو الجنرال جياب.

[وإن لم يكن هذا الانتصار كاملاً لشيوعي الفيتنمية، فقد كان هزيمة كاملة للفرنسيين، حددت نهاية سيطرتهم في الهند الصينية. لقد بقيت الكتلة الرئيسية للقوات الفرنسية المؤلفة من خمسمائة ألف رجل سليمة من الناحية العملية (١١٢ ألف قتيل وجريح في خلال ٨ سنوات)].

نصف مليون عدد كبير جدا سبحان الله، هم نفس الضباط الأساسيين هؤلاء نقلوا بعد ذلك إلى الجزائر فيما بعد، وساهموا في قمع الثورة الجزائرية، التقيت مرة مع جنرال كنت سافرت مرة من باريس إلى مدريد فطلع معي واحد عجوز كان عقيدا في الجيش الفرنسي، قاتل في الهند الصينية وفي الجزائر، ولما ركب معي كان معبوثا من "جان ماري لوبان" من أجل الحملة الانتخابية التابعة له في الجالية الفرنسية في مدريد، فقعدنا نتكلم طول السفر عن تجربته في الحروب، الرجل موسوعة عمره ثمانين سنة، تكلم عن تاريخ فرنسا

على مدى ٦٠ سنة وهو فيها كولونيل وسياسي، من قبل ديجول إلى الآن، فهؤلاء الضباط نقلوهم بعد ذلك لموقع آخر.

ولكن ألفت النظر أنهم ٥٠٠ ألف رجل، قال: بقيت الكتلة الرئيسية للقوات الفرنسية المؤلفة من خمسمائة ألف رجل سليمة من الناحية العملية (١١٢ ألف قتيل وجريح في خلال ٨ سنوات) ايش عبر عن هذه الخسائر؟ قال: سليمة عمليا، يعني اعتبر ١١٢ ألف قتيل وجريح سليمة عمليا، فتصور مدى الاستعداد الاستعماري للتضحيات.

قال:

[لكن معنوياتها كانت محطمة، ولم يستر الحل السياسي حقيقة أن الأسلحة الفرنسية عانت هزيمة مهينة، من قبل ما كان معتبراً بمثابة جيش محلي، يمكن سحقه في أقل من عشرة أسابيع].

دائما العسكريون يظنون هكذا، سنقضي خلال عشرة أيام، سنقضي خلال أسبوع، يعني أنا قعدت في إسبانيا عشر سنوات سمعت يمكن ٦٠٠ مرة في الإعلام أنهم قضوا على العصابات التابعة للباسك، وأنهم قتلوا آخر واحد.

[وفي خلال تلك السنوات الثماني، أضحى ما كان في البدء عصابات تقوم بعملياتها على مستوى سرية أو فصيلة، عبارة عن جيش نظامي، منظم في فرق تمتلك المدفعية الخفيفة، وقادر على مجابهة أفضل الجند الفرنسيين. ومع أن هذا الجيش قد قاتل خلال المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة الهجوم الاستراتيجية المحددة من قبل (ماو)، فإن الجزء الأعظم من الحملة الطويلة كان من عمل حرب العصابات.

ولقد عرّف الجنرال فونغوين جياب، بطل ديان بيان فو هذه الحرب مستخدماً تعابير ماو نفسها:

(إن حرب العصابات هي شكل النضال الذي تتبناه جماهير بلد ضعيف سيء التجهيز، للصراع ضد جيش معتد يمتلك تجهيزاً متفوقاً ومستعملاً تقنية أفضل. إنه الأسلوب الملائم للثورة. ويعتمد ثوار العصابات على بطولتهم من أجل الانتصار على الأسلحة الحديثة، وتجنب العدو عندما يكون الأقوى، ومهاجمته عندما يكون الأضعف، إنهم يتفرقون أو يجتمعون، لاستنزافه تارة ولإبادته تارة أخرى، ولكنهم يمتلكون دائماً إرادة القتال في كل مكان، بحيث يجد العدو نفسه أينما ذهب غارقاً في بحر من البشر المسلحين، الذين يهاجمون، ويدمرون معنوياته وينهكون قواه)].

قلت هنا: استقرئ أساليب ربما لزمتنا والله أعلم في مواجهة الصليبية مرة أخرى، نفس تكتيكات ماوتسي تونج.

[ولحسن حظ قضيته، كان جياب قد تمثل الحكمة التطبيقية لمعلمه، وتعلم بلاغته وقد كان يدرك ما يقول عندما كتب:

(إذا كان من الواجب الانتشار لاستنزاف العدو، فإن من الضروري أيضاً تشكيل قوى هامة، في الأوضاع الملائمة، للحصول على التفوق في مكان وزمن محددين بغية إبادته].

يعني وإن كان أنت هدفك من ناحية عسكرية أنت تنشر قواتك ولو بسرية قتالية منخفضة، ولكن من المفيد أن يكون لك رؤوس حربة عسكرية قد تلزمك في عمليات نوعية، تحتاج فيها إلى قوات مدربة أو قوية بشكل حسن، غير التي تنشرها في عموم العصابات.

[وعندما تتراكم النجاحات الصغيرة، فإنها تستنزف جنود العدو تدريجياً وتزيد عدد قواتنا، والهدف الأساسي هو إبادة قوات العدو، وعلينا ألا نعرض قوانا للدمار من أجل الاحتفاظ بأرض أو احتلالها)].

نفس المفاهيم التي تسبق وشرحناها.

[إن هذا التعريف للهدف عسكري بحت، ففي إطار القتال ضد المستعمر، يكون للآثار السياسية لحرب العصابات ولا شك أهمية أقل من أهميتها في حالة الانتفاضة ضد حكومة بلد نصف مستعمر، مثل كوبا].

الانتصارات السياسية ليس لها كبير أهمية في مواجهة الاستعمار، والناس لا يحتاجون لدعاية كبيرة حتى تقنعهم بعدالة المسألة.

[وكذلك فإن لها أهمية أقل عندما يتعلق الأمر بالدفاع ضد جيش أجنبي يجتاح البلاد، كما كانت حالة الجيش الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية. لكن إذا كان الأمر يتعلق بالتأثير على معنويات الحكومة وعلى الرأي العام العالمي].

يعني هو الهدف من مواجهة المستعمر ايش؟ التأثير على معنويات الحكومة العميلة لهم، أو التأثير على الرأي العام العالمي.

[فقد كان للعمل السياسي، المتضمن تعبئة الشعب في فيتنام نفس الأهمية الحيوية كما في كل مكان].

إذا رجعنا إلى عملية التوجيه والتوعية السياسية والعقدية للشعب.

[ويعترف بذلك جياب نفسه، فيقول في معرض الحديث عن السنوات الأولى للحرب:

(في البداية كان هناك ميل بألا نأخذ في الحسبان كما ينبغي دور العمل السياسي، ولم يعترف المكلفون به فوراً، بأن التثقيف السياسي والتوجه الأيديولوجي كانا يشكلان المهمة الأساسية)].

أقول: هذا الخطأ القاتل كان وما زال قائما عندنا في أفغانستان وفي البوسنة، الأولى أفغانستان ١ والآن أفغانستان ٢، لأننا بدأنا في التجربة الأفغانية العربية الشوط الثاني، أقول هذا الكلام الذي يقوله أن الناس مستهينين بأهمية التوجيه السياسيي والتعبوي، واكتشف النخبة في الآخر أنه كان خطأ قاتلا، ونحن هنا في القواعد والمعسكرات كانت هناك أوامر صارمة من أصحابها غفر الله لنا ولهم بحسن النوايا، أن التوجيه السياسي والعقدي في القتال يسبب لنا إرباكات جانبية ضد مصلحة القتال بجانب الأفغان، فكان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله يقول، وأنا لما أذكر خطأ فحتى نستفيد منه، وأكرر ما قلته أني أذكر خطأ رجل اجتهد وله أجر في خطئه، بينما نحن نأثم لو كررنا الخطأ، مفهوم؟

كان يقول في خطبة جمعة: يريد مني فلان وفلان أن نتكلم في الحكومة السعودية، وماذا نستفيد من الكلام في الحكومة السعودية؟ من أين تأتي الخيام وتأتي الأموال ونطعم الجياع إذا كنا نحن نسمع كلام جنابه، ونجعل حديثنا الأساسي: قالت السعودية، وكفرت السعودية وعملت السعودية؟

الأخ: هو ممكن يكون متشكك؟

الشيخ: هو أنا لا أريد أن أنحى بهذا الشكل، هو ليس تشككا، هو الرجل عامل حسابات بتصوره أن دفع مفسدة أعظم بمفسدة أصغر، أنه أنا الآن أتكلم عن السعودية، فلا أستطيع أن أجند ولا أحشد ولا آتي بالأموال، لأن الكلام في السعودية صار عبئا بالنسبة لمعركته هنا، يعني لا أريد أن آخذ الحديث في المنحى العقدي والقضية، وإن كان لا شك أن في طياته شيئا من هذا الخطأ، ولكن أقول أنه حصل توجيه عام: لا تتكلموا في هذه المسألة، من كل الجوانب، وفي كل المستعمرات: لا تتكلموا في السعودية.

السعودية هي التي نحرت الجهاد الأفغاني والعربي، ولا أريد أن يفهم علي غبي أني أطعن في الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، من أحب الناس إلي، بل أعتبر أننا سائرون على قدمه وأننا بعض فضله رحمه الله، ولكن الرجل اجتهد في اجتهادات فأخطأ وأصاب مثل كل البشر، فلما نضرب مثالا عرضا في قضية مثل قضية تشبيهه للقيادات الأفغانية بأنهم بين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، كان خطأ، ودُفع ثمنه باهظا لما جاء هذا عمر بن عبد العزيز (مسعود) ودمر كابل بالصواريخ وقتل المسلمين.

فالشاهد هناك أخطاء يجب أن نستفيد منها حتى لا نكررها، وليس هذا طعنا على أصحابها، لأنهم كانوا رجالا عاملين مجتهدين في حينها، فأرجو أن يكونوا بين الخطأ المأجور بأجر، أو الصواب المأجور بأجرين، ولكن أقول أن هذا من الجهل السياسي.

ثم تطور الموقف لأن يقول: لا تتكلموا في المعسكرات على موضوع الحاكمية برمته، وليس على موضوع دولة بعينها، ثم لا تتكلموا في العلماء، ثم لا تتكلموا ضد الحركات الإسلامية التي تحاربنا جهارا نهارا، ثم ثم ثم.

ففي الآخر فقدنا أساس التنظير المنهجي لتعبئة ناس مقاتلين عقائديين، فماذا كانت النتيجة؟ أن أكثر من أربعين ألف شخص تدربوا في أفغانستان، بقي منهم في الجهاد، سواء هنا أو في كل الدنيا ما لا يجاوز

ألف شخص، و٣٩ ألف شخص، فيهم نسبة ذهبت إلى المخابرات المعادية، ونسبة توزعت في الجيوش المعادية، ونسبة أصبحوا من تلاميذ العلماء الذين يحاربوننا جهارا نهارا بسلاح الفتوى الذي هو أمضى من أسلحة الدمار الشامل، ونسبة كبيرة جدا عادت إلى بيوتها فعافست النساء والأولاد وخرجت من كل المسألة.

ذكرني بهذه القضية قوله في البداية: (في البداية كان هناك ميل بألا نأخذ في الحسبان كما ينبغي دور العمل السياسي، ولم يعترف المكلفون به فوراً، بأن التثقيف السياسي والتوجه الأيديولوجي كانا يشكلان المهمة الأساسية) بدل قوله (تثقيف سياسي) نحن نقول: توجيه سياسي شرعي، التوجيه السياسي الشرعي الذي يشمل مناحي المنهج برمتها، وينشئ عند المقاتل العقائدي يعرف القوى ومن عدوه ومن المحايد وكل هذه التصنيفات.

أنا أذكر هذه القضية لأنه ما تزال هناك آثار لهذه الدعوة، في البوسنة كانت هناك نفس التعليمات، بل تمادى المجرمون هناك لأن يخططوا لتصفية التجمع العربي.

الذي أريد أن أقوله استطرادا في موضوع الشيخ عبد الله عزام، الشيخ عبد الله عزام بنى فلسفته كلها على أصل صحيح جدا، تخلله بعض التطبيقات الخاطئة.

حدثني شخص بشيء أثلج صدري، وفهمت كثيرا من تكتيكات الشيخ عبد الله عزام لما سمعت هذا الحديث، قال لي أن الإخوة جاءوا الشيخ عبد الله عزام يقولون له الأفغان الأفغان، وفيهم وعندهم شرك انحراف فساد قادة إلخ، فلما أثقلوا عليه قال: هل تظنون أني لا أعرف هذا؟ أعرف ما تقولون وعشرات أضعافه مما لا تعلمون، ولكن كل الذي أريده أن أتجاوز مرحلة، أريد أن يأتيني من عشرين بلد عربي عشرين شاب من كل بلد، ويصبح عندنا ٤٠٠ مجاهد عربي يستشهد نصفهم هنا، ثم يعود النصف الباقي ليشيعوا الجهاد في كل العالم الإسلامي.

فأعتقد أن هذا التكتيك أرجو أن يشفع له في كل ما حصل من مطبات في العمل، والحقيقة الإنسان الذي يعمل لابد أن يكون له أخطاء، كما قال الشاعر:

كم في السماء نجوم لا عداد لها *** وليس يخسف إلا الشمس والقمر

ليه؟ نجوم السماء كثيرة وتكسف وتنطمس، لكن لا أحد يشعر بها، لأنها صغيرة الضوء، أما القمر والشمس فلما ينكسفان كل الناس تنتبه، ولذلك قالوا: (كفى المرء نبلا أن تعد معايبه).

ولكن ايش نقول؟ نحن علينا أن نذكر هذه الأخطاء التي ربمت أُجر صاحبها فيها، حتى لا نكررها نحن فنكون موزورين، الشيخ عبد الله بنى موقفه في قضية السعودية على أن هناك إمدادا بالمال والرجال والعتاد، ثم لأن الرجل كان طيبا أكثر من الحد المطلوب، في لعبة سياسية قذرة بهذا الشكل.

فلست في معرض استعراض أخطاء الشيخ عبد الله ولا غيره، ولكن آخذ منها فقط فائدة واحدة وهي أنه كان مطلوبا من الناس أن تكف عن التعبئة السياسية والتوجيه السياسي الشرعي والحديث في هذه المسائل، فأورث هذا أن العدو تمادى حتى طلب من الإخوة مش فقط ألا يتكلموا في السياسة، بل حتى ألا يتدربوا على أسلحة العصابات الأساسية التي ستلزمهم في البلاد العربية، فمنع التدريب على المتفجرات وغيرها، ولا تتدرب إلا على أشياء ستلزمك في معركة البوسنة، لأنك مطلوب منك أن تؤدي خدمة للغرب في البوسنة، ثم ترجع ولا تستفيد.

فهذا الذي أريد أن أتكلم عنه أن التوجيه السياسي الشرعي والمنهجي يجب أن يعبأ به المقاتل المجاهد، حتى يعرف أنه أمامه معركة ضد الصليبيين طويلة ستلزمنا فيها هذه التعبئة.

يقول:

[**لكن (تبين الخطأ، ووجه الانتباه اللازم للمشكلة السياسية الأساسية، المتمثلة في صهر كل القطاعات الإجتماعية للأمة، وتوحيد كل المجموعات الإتنية (العرقية) لبلد متعدد القوميات**].

أي عندنا بلد متعدد القوميات وعندنا مشاكل فلابد أن نتكلم فيها بالتوجيه السياسي حتى نحل مشاكلنا، فانتبهنا أنه من الخطأ ألا نتكلم فيها.

والآن أقول أنا أنه عندنا جماعات مختلفة وتيارات إسلامية مختلفة ومشاكل متعددة كثيرة، يجب أن نتكلم في هذه الأمور حتى نخرج من إشكاليات ستتعرض لها إن لم نتكلم فيها وأوجدنا لها الإطار الصحيح.

يقول:

[**في النضال ضد التسلط الأجنبي. وقد سعى الحزب للإمساك بكل الفوضى الملائمة لدفع الشعب في ذلك الصراع) لقد كتب جياب ذلك، كما كتب أيضاً: (يجيب على جبهة الاتحاد الوطني أن تكون تجمعاً لكل القوى القادرة على الاتحاد، وذلك بتحييد أو تجزئة كل القوى الأخرى)**].

وهذا من عمليات التنسيق التي نفكر فيها.

[**ولقد أهملت الطبقة الفلاحية في البدء، لكن هذه الغلطة الفاحشة في بلد من الفلاحين، اكتشفت بسرعة وأصلحت، وأصبح شعار الثورة (الأرض لمن يزرعها)**].

يعني في الأول اعتمدوا على نخبة الاتحاد، وأهملوا الفلاحين مع أن الأصل الجماهير، فسماها غلطة فاحشة، وقال أصلحناها وطرحنا شعارا يؤلف الناس على مصالحهم ومعايشهم.

لا يزال التيار الجهادي يعاني من هذا المقتل وهو: إهمال جماهير المسلمين، وعدم الالتفات إلى تحقيق مصالحهم.

[وكتب جياب أيضاً: (كانت الإمبريالية العدوانية تشكل بالنسبة إلى الأمة الفيتنامية عدواً يجب إسقاطه. وبما أن مصالح هذا العدو قد تلاقت منذ زمن بعيد مع مصالح ملاك الأرض من الإقطاعيين، فإن الصراع ضده لم يكن منفصلاً عن الصراع ضدهم. ومن جهة أخرى، وفي بلد مستعمر ومتخلف كبلدنا، حيث يشكل الفلاحون أغلبية السكان، فإن حرباً ثورية هي في جوهرها حرب الفلاحين بقيادة الطبقة العاملة، ولم تكن التعبئة العامة للشعب، وإلى حد بعيد، سوى تعبئة الجماهير الريفية)].

هنا نقطتان:

النقطة الأولى موضوع تكلمنا فيه كثيرا وهو تعبئة جماهير المسلمين، وموضوع أريد ان أقف وأشرحه هنا وأتوقف عنده أنه يقول أن مصالح ملاك الأراضي كانت مرتبطة بالمستعمر، فكان تلقائيا أن نقاتل ضده، وأقول: أن مصالح الحكومات المرتدة وتحالف المنافقين بكل طبقاتهم مرتبط مباشرة بالاستعمار اليهودي الصليبي، ولذلك فإن القتال ضده تلقائي وطبيعي وإجباري، ولا يمكن فصل القتال ضد المرتدين عن القتال ضد الصليبيين واليهود، وفي الوقت الذي ننادي فيه أن شعار الجهاد ومفتاح الصراع هو قتال اليهود والنصارى ليس لقناعتنا أن قتال المرتدين خطأ تكتيكيا أو سياسيا أو شرعيا، لا، ولكن البدء به كبوابة= خطأ، فالبوابة الصحيحة هي قتال اليهود والنصارى ولكن صولا إلى قتال الحلف المتكامل: يهود، نصارى، مرتدين، منافقين.

فالذي يبدأ من بوابة المنافقين أو من بوابة المرتدين يخطئ خطأ استراتيجيا فاحشا جربناه في بلاد المسلمين.

وقوله (كانت الإمبريالية العدوانية تشكل بالنسبة إلى الأمة الفيتنامية عدواً يجب إسقاطه. وبما أن مصالح هذا العدو قد تلاقت منذ زمن بعيد مع مصالح ملاك الأرض من الإقطاعيين، فإن الصراع ضده لم يكن منفصلاً عن الصراع ضدهم).

يعني الصراع مع العدو الخارجي ليس منفصلا عن الطابور الخامس العظيم الطويل من العملاء، الذين ربوا في بلادنا عن طريق الأحزاب العلمانية، وعن طريق المدارس التبشيرية، وعن طريق الجامعات وعن طريق البعثات التي ذهبت إليهم، الآن نقف تقريبا على رأس ٤٠٠ سنة من الجهد التبشيري في بلادنا.

الحملات الصليبية الأولى على مستوى التبشير، وهذا معروف في التاريخ، لما تقرأ في الحملات الصليبية في القرن الحادي عشر والثاني عشر، ظل الغرب قرنين من الزمان يفكر في أسباب فشل الحملة، بعد أن اكتشف حضارة المسلمين ونقاط قواهم فبدأ يستفيد منها، فمما استفاده منها كما قالوا وعندنا كتاب شهير لعمر فروخ اسمه "التبشير والاستعمار" تجدر قراءته لفهم الحملات الفكرية التبشيرية على العالم الإسلامي.

وجدوا أن الإسلام كعموم وعبادة الجهاد على الخصوص هي التي وقفت حائلا بينهم وبين تنفيذ المشاريع، فأجلت الحملات الصليبية مرة أخرى حتى تأخذ الحملات الفكرية والتبشيرية لمسح عقيدة المسلمين مداها، بحيث يضعفون من الداخل، وهناك كثير من التصريحات في هذا الكتاب لبعض رؤوس الغربيين السياسيين والعسكريين، فحواها كلها يدور حول أنه ما دام هذا القرآن حيا في هذه الأمة فلا يمكن الاستعمار، فيجب أن يحطم الإسلام في نفوس المسلمين، فأقاموا حملات تبشيرية وكانت منطقة جزيرة العرب من أوائل المناطق التي تعرضت لذلك، وذلك في مطلع القرن السادس عشر.

هذه الحملات الفكرية التي أخذت، والشيخ سلمان العودة له بعض الأشرطة الطيبة الجيدة في هذا المجال، هذه الحملات آتت أكلها إلى أن أوصلت العالم الإسلامي إلى حالة من النفرة والتشتت والتشرذم فأسقطت الخلافة، وأقامت كثيرا من رؤوس الجسور لها.

وأسفرت في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر عن ملاحظة الغرب أن العالم الإسلامي أصبح مجهزا للحملات العسكرية الصليبية مرة أخرى، بعد أن فتوا البنية الفكرية والذهنية للمسلمين، فدخلت الدفعة الثانية للحملات الصليبية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وجزء من القرن العشرين.

فهذه الحملات الصليبية وجدوا أنهم سوف تكلفهم كثيرا لأنها استفزت المسلمين، فتفقت عبقريتهم في حينها عن الاستعمار الحديث، فالاستعمار الحديث ايش هو فحواه؟ هو عبارة عن ارتباط قواعد خلفية للمستعمرين من الذين تربوا على أعين الاستعمار وحملوا مناهجه، فهؤلاء الناس قاموا بمهمة متابعة مهمة الاستعمار، بدءا من الاستثمار الاقتصادي والنهب والثروات، ووصولا إلى عملية القمع العسكري بل إنهم أجادوا الدور وقاموا بعمليات أبشع من البشاعة بكثير من التي كان الاستعمار مستعدا للقيام بها، فما مارسته حكومة جبهة التحرير الوطني على المسلمين كان أشد مما تفعل فرنسا، وما مارسته اليوم السلطة الوطنية في فلسطين أشد مما مارسه اليهود، وما مارسه الحسن الثاني وأبوه وأحفاده الآن من بعده أشد بكثير مما فعله الإسبان والفرنسيون، وما فعله عبد الناصر كان أكثر بكثير مما فعله الاستعمار الإنجليزي، وما فعله عبد العزيز آل سعود كان أكبر بكثير مما فعل من قبل، وهكذا.

فهذه المرحلة من الاستعمار الحديث خلقت طبقة أوجدت طبقة ارتبطت مصالحها تماما كما تحدث أخونا البارحة وطرح سؤالا: هناك شعوب ومناطق ارتبطت مصالحها بالاستعمار، فهي لن تقبل الثورة ولن تقبل التغيير لأن مصالحها مرتبطة بالاستعمار، هناك بعض المناطق تنطبق عليها هذه الحالة حكومة وشعبا مثل الكويت، كل هذه الأمة المسماة كويتية ويقولون: دولة الكويت ودولة البحرين، ويحاولون أن يفهمونا أنها دولة، لأنه من السخف أن يقولوا مناورات بحرية بين الجيش البحريني والقوات الأمريكية، مناورات عسكرية بين البحرية البحرينية والبحرية الأمريكية.

هذه الهياكل وجدت بهذه الصورة ووجدت طبقة ارتبطت مصالحها بالاستعمار، هذا ككل، لكن الغالب تجد في كل أمة نزر يسير من الشعب، في المغرب في مصر في سورية في لبنان في ليبيا، نزر يسير فقط من الأمة ارتبطت مصالحها بالاستعمار، وهم الحكومات القائمة والأحزاب العلمانية التي لها مناهج تريد أن تنافس الحكومات القائمة، إذا ذهب عميل أتاهم الآخر، على الصعيد الفردي عندهم طابور طويل من العملاء، يذهب أنور السادات يأتي حسني مبارك، يذهب حسني مبارك ممكن يأتي أبو غزالة ولا غيره، وهكذا، هؤلاء خيارات موجودة.

فهو ايش يقول هنا؟ : (كانت الإمبريالية العدوانية تشكل بالنسبة إلى الأمة الفيتنامية عدواً يجب إسقاطه. وبما أن مصالح هذا العدو قد تلاقت منذ زمن بعيد مع مصالح ملاك الأرض من الإقطاعيين، فإن الصراع ضده لم يكن منفصلاً عن الصراع ضدهم).

فإذا انتقلنا من هذه الجملة إلى واقعنا نحن نقول أن الصراع ضد اليهود والنصارى كمقدمة للحلف وجسد للحملة الصليبية= لم ينفصل في مراحله التالية والأخيرة عن مجموعة القوى التي ارتبطت مصالحها بمصالح الاستعمار.

ولذلك قلت إننا إن شاء الله سنفصل في مراحل المعركة المقبلة، أننا أمام حلف يبدأ باليهود والنصارى ثم بالمرتدين والمنافقين، والمرتدون والمنافقون طبقات نستعرضهم في حينها، وقد استعرضت ذلك في محاضرة "الخارطة السياسية أو المعادلة السياسية للنظام العالمي الجديد"، وذكرت أننا في النظام العالمي الجديد نصارع عدة طبقات:

١-تبدأ باليهود.
٢-فالنصارى الغرب وعلى رأسهم أمريكا.
٣-ثم الحكومات المرتدة.
٤-ثم الأحزاب العلمانية التي تشكل خيارات للحكومات المرتدة.
٥-ثم الطوائف التي ارتبطت تاريخيا بالاستعمار مثل الدروز والنصيرية والقاديانية إلخ.
٦-ثم المنافقين من علماء المسلمين.
٧-ثم المنافقين من قيادات الحركة الإسلامية التي تحولت من العمل الإسلامي إلى التجارة بدماء المسلمين، وأصبح وقوفها لصالح مصالحها في النهاية يصب في مصلحة المستعمر.

وقلت أن عندنا جبهتين: بالسلاح والسنان وهي مع اليهود والنصارى والمرتدين، وجبهة القتال بالبينة والحجة الشرعية لدحض شبهات المنافقين والمنتسبين إلى الإسلام الذين يقفون في طريقنا، فهو يذكرنا هنا بهذه المسألة.

ولذلك قلت البارحة أن بدء المعركة الآن بالمرتدين أو بالمنافقين= خطأ، ليس خطأ من الناحية الشرعية، فمقاومة المرتدين واجبة من الناحية الشرعية وقتالهم فريضة، ومواجهة المنافقين بالحجة والبينة واجب وفريضة، ولكن أقول خطأ لأنه ثبت لدينا وكلفنا كثيرا في ضياع مفتاح الصراع وضياع مفتاح الجهاد على فهم شعوب المسلمين الحالية، فجاءنا هذا البلاء من اليهود والنصارى فأصبح يشكل بوابة.

فنحن أمام ثلاث فرق، نحن نأخذ الوسط ونقول خطأ من قبلنا وخطأ من بعدنا على صعيد الاستراتيجية والله أعلم، من يعتقد أن القتال هو بدءا من المرتدين وصولا لقتال اليهود والنصارى= فهو مخطئ لأنه أخطأ البوابة، ومن يعتقد أن قتالنا لليهود والنصارى نقطة انتهى عندها = فهو أيضا مخطئ، لأن قتالنا لليهود والنصارى حكما سيجر حسب الحالات وحسب البلاد وحسب الناس وحسب طبيعة الأنظمة وحسب طبيعة أعوان الأنظمة وبعدهم وقربهم من الإسلام= سيجر بصورة أو بأخرى إلى قتال المرتدين وقتال جيوشهم، ثم بعد ذلك مواجهة علمائهم وكل المنافقين الواقفين معهم.

فهذه المصالح مرتبطة، ولا أزيد على هذه اللفتة، لأننا سنعود إليها عندما نفصل الوضع بالتفصيل.

نتابع يقول:

[ولم يكن ممكناً تشكيل جبهة شعبية واسعة، تضم مختلف الشيع الديينة، وخاصة البوذية].

كان عندهم في فيتنام طوائف دينية كثيرة، أقول لم يكن من الممكن توحيد الشعب الفيتنامي في مواجهة الفرنسيين، لأن هذه الشيع الدينية فتتت ووزعت جهود الشعب الفيتنامي، وهذا يذكر عندنا تماما بحالة التشرذم القائمة بين مدارس العمل الإسلامي وبين طرقه من الصوفية إلى السلفية إلى الإخوان، وطبعا كل واحدة فيها طبقات وطرق مختلفة، طبقات وطرق مختلفة من الصوفية، طبقات وطرق مختلفة من مدارس السلفية العلمية البيزنطية، طبقات من العمل السياسي الإسلامي إلخ، طبقات كثيرة.

فهذه الفرق الدينية شكلت عندهم عقبة في سبيل الناس، وهي تشكل عقبة عندنا الآن في تآلف الناس وتوحيد الجماهير، من عجائب الأقدار وهي سبحان الله لفتة كما قلت تستأهل الوقوف أن الصوفية من غلاتهم ومتطرفيهم إلى معتدليهم، والسلفية بكل طبقاتهم، اختلفوا كما قلت على أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته، هم مختلفون على فهم رب العالمين، لم يتفقوا لا على الأسماء ولا على الصفات ولم يتفقوا على الفروع ولا أي شيء في الدين، وإنما اتفقوا على حقيقة واحدة في كل البلاد أن الحاكم مسلم يجب طاعته وأن من خرج عليه كذا، فلك أن تتأمل!!

الصوفية يكفرون السلفية في المغرب والعكس السلفية يكفرون الصوفية، وكلاهما متفق على أن أمير المؤمنين حامي حمى الملة والدين! وقل مثل ذلك في كل البلاد.

حتى أن الحكومات أتقنت الدمج، ثم أطلقت الآن العنان للمدارس الصوفية تجدد الأضرحة من المغرب إلى سوريا نفس الأسلوب، والمدارس السلفية تفتح لها الكتاتيب وتقول لها اشرحوا البحوث واسحبوا المسلمين عن طريق الجهاد بهذه المبادئ التي جئتونا بها.

فتشييع الدنيا وتفرقنا كان دائما في كل البلاد سبب لعدم توحيد الأمة في الاتجاه العام واتجاه المصيبة الخارجية والداخلية التي حلت بنا.

ويفصل أكثر فيقول: (وخاصة البوذية) وهم عموم كهان الدين الرئيسي هناك، منعوا تأليف الناس على مقاومة الفرنسيين.

يقول:

[**ولقد دفع الفييتمينة ثمن ذلك غالياً في بداية الصراع في جنوبي فيتنام، وكما ذكرنا سابقاً، فإن أنصار هوشي منه كانوا يسيطرون عملياً على البلاد كلها بعد استسلام اليابانيين إلا أن فرار الشيع**

الدينية، كان من الأسباب التي جعلت القوات الفرنسية، التي نزلت في جنوبي فيتنام لم تلاق أية معارضة، وسرعان ما استولت على الكوشنشين وعاصمتها سايغون].

أن انكفاء علماء دينهم عن أخذ الناس لمواجهة الفرنسيين ولذلك سماهم "البوذية"، الدين البوذي دين كهنوتي لا يعتني بالسياسة ولا يعتني بأمور المادة، وإنما هو دين روحاني يسلب الإنسان بشريته ويحوله إلى هلام من الأفكار الروحانية.

وعندما خرجت علينا طوائف في الإسلام قريبة من هذا الطبع= كانت مساهمة كثير من الصوفية في الجزائر إشاعة فتوى بسيطة جدا، وشجعت الفرنسيين وأثنوا على من أشاعها، قالوا أن نزول الفرنسيين بالجزائر هو قدر الله، فمحاربتهم محاربة لقدر الله وعدم رضا بما قسم الله، بس كلمتين!

فشجعوهم وسحبوا من الناس من كثير من أتباع هذه الطريقة وهذه الفتوى فكرة مقاومة الفرنسيين، في حين قامت حتى طرق صوفية أخرى ومسلمون عموم لم يأخذوا بهذه القضية فقاوموا الفرنسيين، إلا أن هذه الفكرة هي التي جمدت نشاط المسلمين حتى في الهند وباكستان في مقاومة الإنجليز، وأنشئت أديان وطرقا مثل القاديانية وغيرها كان فحواها أصلا وسبب قيامها إسقاط فريضة الجهاد.

فلك أن تتامل في أي مدرسة تتسمى بما تتسمى به: صوفية ولا سلفية وتحتل أي اسم من الأسماء الشريفة هذه، إذا رأيتها تسحب فريضة الجهاد وتضفي الشرعي على أولياء الأمور وعلى دخول النصارى واحتلال بلاد المسلمين= فلك أن تتشكك في دينها أصلا، وتعلم أنها أسلوب لسحب فكرة المقاومة من الناس، وبهذا البعد يصح على هؤلاء الناس ما أطلقه الكفرة الشيوعيون عندما قالوا: (الدين أفيون الشعوب)، لأن الدين بهذه الطريقة تحول إلى أفيون فعلا يسكر الناس، ويدخلهم في عماية عن أداء فروض دينهم وما يجب عليهم، بهذه الصورة أصبح هذا المصطلح صحيحا على هؤلاء الناس.

قال: (فرار الشيع الدينية، كان من الأسباب التي جعلت القوات الفرنسية، التي نزلت في جنوبي فيتنام لم تلاق أية معارضة، وسرعان ما استولت على الكوشنشين وعاصمتها سايغون) لك أن تقابل فقط أن

القوات الأمريكية والغربية التي نزلت في الجزيرة لم تلاق أية معارضة لأنه تواتر قصف الفتاوى من كل العلماء بالاتجاه السعودي، ومؤتمر مكة حشد إليه ودعي إليه ٤١٣ عالم حضر منهم ٣٨٩، نزلوا على البساط الأحمر واستقبلوا استقبالا دبلوماسيا وحملوا بالسيارات الروزفلت إلى الضيافات الملكية واجتمعوا في مكة، وكان منهم كل علماء المسلمين المشاهير وغير المشاهير، كل قيادات العمل الإسلامي، كل قيادات الجهاد الأفغاني، كله راح، وأطلقوا جميعا على هذا الأمر.

والذي لم يأت برغبته استغل ظرفه مثل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة توفي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر له ولجميع المسلمين، لم يذهب إلى المؤتمر -كما وردتنا الأخبار الصحيحة- فجاءته رسالة من نايف بن عبد العزيز قال له: تصدر فتوى بجواز الاستنفار أو ١٥٠٠ أسرة سورية لاجئة في السعودية سنحملها بالباصات ونوصلها إلى دمشق.

فذهب الشيخ عبد الفتاح لأنه وقع في جريرة ما قدم من الإجرام ومن الفتاوى الشاذة عن الجهاد في سورية أو لصالح السعودية، فاضطر وأصدر فتوى عجيبة خرجت في الشرق الأوسط يقول: أن ما أقدمت عليه حكومة المملكة العربية السعودية من استنصار بالقوات الأجنبية= هو ضرورة يلجئها الواقع ويجيزه لها، ونحن مع دولة التوحيد الوحيدة في العالم في خندق واحد، ضد أي عدوان مهما كان! أملوا عليه الصيغة التي يريدونها ويضع تحتها اسمه، وسوف نتعرض إن شاء الله مرة أخرى لهذا الموضوع بشكل آخر.

يقول:

[وقد كان الضعف العددي -أربعون ألف رجل بقيادة الجنرال لوكير- السبب الذي منع الفرنسيين من مد سيطرتهم على الأراضي المنخفضة لمقاطعتي (آنام) و (تونكين).

ويقول الدكتور (برنارد فول) في كتابه (شارع بلا فرح والفيتناميين) : (لم يخطط الفرنسييون في العام ١٩٤٦ إلا لحملة استعمارية تقليدية لإعادة الغزو كالحملة التي قادها المارشال ليوتي في منطقة القبائل التابعة لعبد الكريم الخطابي في العشرينات)].

يعني عبارة عن حملة بسيطة محدودة في الأساس.

[وكانت الطريقة المختارة، هي المسماة (بقعة الزيت)، وتتضمن إقامة نقطة قوية في منطقة ما، تنطلق منها قوى (التهدئة) لتمشيط البلد، والاقتراب من الثوار وإبادتهم. لكن ما أزعج لوكلير أنه لم يكن لديه عدداً من الشرطة كافياً لتنفيذ هذا التمشيط، مما جعل مجمل الخطة متهافتاً].

نلفت النظر ونقول أن هذه الطريقة قد تكون آخر الطرق: نزول المستعمر في بلادنا، أن ينزل في منطقة له فيها تأييد شعبي فيجعلها رأس جسر، ثم ينطلق منها إلى بقعة بقعة، وعندما ظهر العمل الجهادي في الجزائر نسأل الله أن يصلح حاله وينفعنا به، هرع مباشرة جاك شيراك في أول رئاسته إلى تونس وأبرم اتفاقيات تتيح للقوات الفرنسية أن تعتبر تونس رأس جسر تعبر منها إلى باقي شمال أفريقيا، لأن الحركة الإسلامية في كل البلد قد ضربت ضربة قاسية جدا، ولأن الشعب التونسي من أقل شعوب المنطقة: زراعي سهلي مدني، من أقل شعوب المنطقة شكيمة واستعدادا لأن يقاوم هذه الحملة، ولانتشار العلمانية إلى حد كبير، ولانتشار الفسوق والعصيان في كثير من طبقات الناس، عدا الصالحين طبعا الموجودين في كل مكان.

فهذه الخطة يسموها "بقعة الزيت" أن ينتشر انطلاقا من مركز قوي.

[وتصرف الفرنسييون تماماً كما يتوقع من قوات نظامية، تعامل ثوار العصابات إما كعدو تقليدي، وإما كقطاع طرق تستطيع أرتال طائرة (خفيفة سريعة الحركة) إبادتهم واحد إثر آخر].

أنه وقع في نفس الخطأ الذي وقعت فيه كل الجيوش النظامية التي قاومت العصابات.

[وقد توغلت مدرعات لوكلير في العمق، واستولت على الطرق الرئيسية، والمدن الموجودة على مفترقات الطرق، وقدرت بأنها حققت بداية حسنة، بدليل أنها لم تلق مقاومة حازمة في أي مكان.

ولم يفهم الفرنسيون بأن عدوهم، الذي لا يمتلك المدفعية ووسائل النقل، لم يكن بحاجة للطرق، وبأن المراكز المحصنة لا تشرف على شيء، لأن عددهم المتحرك لا يتمسك بالأرض، ولا ينوي الصراع من أجلها].

وهذا سبق شرحه، هذا تكتيك أساسي، يعني جوهر البعد السياسي لحرب العصابات: كسب السكان، وجوهر البعد العسكري هو هذا الكلام، أنك لا تتمسك بالأرض ولا تعتمد على نقاط ثابتة ولا تعتمد إلا على الخفة والحركة.

[وكان الفرنسيون يسيطرون على الطرق، وثوار العصابات يمرون بشكل خفي، عبر الأدغال أو مزارع الأرز، على بعد مائة متر من الطرق. وكان الفرنسيون يحتلون المدن دون أن يحفل أعداؤهم بذلك، وكانوا يسعون للإشراف على الأرض عن طريقة إحتلالها، بينما انصب اهتمام أعدائهم فقط على اكتساب السكان].

الجيش النظامي رايح يأخذ أحجار وتراب وأرض ومواقع، والعصابات بالعكس تعمل على كسب المواقع في قلوب السكان.

[وهذا هو التباين الجوهري بين الحرب التقليدية وحرب العصابات. فالجيش يقاتل للاستيلاء على الأرض والطرق والمرتفعات الاستراتيجية والمناطق ذات الأهمية الرئيسية، في حين يقاتل ثوار

العصابات لتحقيق إشرافهم على السكان، الذين بدون تعاونهم تصبح الأرض عديمة الفائدة لمن يحتلها].

لذلك يجب أن نشك ابتاء بدين أو بعقل أي طريقة تريد أن تعمل حرب عصابات جهادية في بلد من بلاد المسلمين مستبعدة عامل السكان المسلمين أو معلنة الحرب عليهم ابتداء، إما أنها موجهة من الاستخبارات كما حصل في الجزائر، أو أن سيطر عليها مجموعة من الناس ذوي العقول السقيمة المسطحة، سيأخذون الجهاد إلى حتفه، لأنهم أخذوا العامل الأساسي للقتال من ساحة المعركة.

يتابع فيقول: (السكان، الذين بدون تعاونهم تصبح الأرض عديمة الفائدة لمن يحتلها) أن الأرض عديمة الفائدة لمن يحتلها، إذا كان السكان الذين عليها ضد هذه القوة التي هي فيها.

يقول:

[**إن تكتيك بقعة الزيت، الأكثر فعالية ضد عصابات المجرمين مما هو ضد العصابات الثورية، كان بوسعه أن يعطي نتائج في الهند الصينية، لو استطاع الفرنسيون أن يكرسوا له قوات أكبر. لكن في الوضع الثوري –وخاصة عندما يجد الجند النظاميون أنفسهم في مواجهة مع ثوار محليين– فإن القمع لا يمكن أن يؤثر إلا محلياً، ولا توجد إلا طريقة واحدة لمنع الانتقاضات الجديدة: ألا وهي: إبادة السكان قاطبة. وخلال ثماني سنوات، كانت خسائر الفيتناميين كبيرة، ويقدرها الدكتور (فول) بثلاثة أمثال الخسائر الفرنسية، لكنها أصابت على الأرجح المدنيين الأبرياء أكثر من ثوار العصابات (انظر الفصل السادس)**].

هذا النص الأربعة أسطر مهم جدا، سبب الفشل الفرنسي.

[**وكان الجهد الفرنسي محكوماً بالفشل منذ البداية. فالبلد شاسع، والكثافة السكانية عالية**].

ولذلك بلد مثل ليبيا بين المدينة والمدينة ١٢٠٠ كم خالية من السكان، لا قرى ولا تجمعات ولا طرق، تشكل أسوأ المعطيات لمقاومة جيش نظامي، على العكس لما اجتاح الألمان فرنسا كبلد زراعي منتشر فيه القرى آلاف الكيلو مترات يكاد لا ينقطع العمران، لا تخرج من قرية إلا تدخل في أخرى، ثم مدينة ثم مدينة، يعني السكان منتشرون جدا في الرقعة الجغرافية، فسبب هذا إشكالا كبيرا جدا لتقدم القوات الألمانية، لأنك كل ما تدخل بدك تنظيف، وهي محتلة والسكان رافضون.

[**وكانت هنالك ملاجئ طبيعية كثيرة لثوار العصابات. وكانت القوات العسكرية أضعف بكثير مما ينبغي. فالخبراء يقدرون أن من الضروري وجود جنود مقابل كل ثائر، وقد يقفز الرقم إلى عشرين، وحتى مائة، في بلد يشكل كل مواطن فيه ثائر عصابات محتمل**].

إذا وصلت إلى حالة البلد كل مواطن فيه يشكل مقاتل عصابات محتمل= فتحتاج القوات النظامية إلى مائة مقابل كل ثائر، وإذا كان كل مواطن ثائرا، معناها أنك ستحتاج إلى مائة ضعف عدد السكان وهذا مستحيل، ومن هنا تفهم أهمية إقناع السكان بالثورة.

أما في بلد كل مواطن فيه مخبر= فالعملية بالعكس، ولذلك الآن لما تأتي إلى بعض الدول التي مسخت شعوبها وتحولوا إلى منتفعين يبيعون دينهم بدنياهم، لأنهم استولوا على خزينة المسلمين من النفط، وتحولوا كلهم إلى أدلاء وإلى أبي رغال الذي قاد جنود أبرهة باتجاه الكعبة، أبو رغال هذا كان عربيا، وأصبح أسوأ مثل على العملاء الذين يقودون طلائع المستعمر في بلادهم، لما يكون العكس وكل مواطن مخبر فتنقلب الآية.

ولذلك يسعى علماء السوء صراحة جهارا نهارا لأن يحولوا المواطنين إلى مخبرين، يقول الشيخ الشعراوي لا حفظه الله وأهلكه وأمثاله أن: (ما يحصل في مصر أعمال إرهاب ليست يمت للدين بصلة، بل نحن لا

نعلم أن حكام مصر قد ردوا لله حكما)، ثم يتابع في فتاوى أخرى فيقول: (ويجب على كل مواطن أن يكون عينا ساهرة للأمن، يتعاون مع الحكومة في القبض والقضاء على هؤلاء المفسدين).

وهنا تتحول الفتوى من بعد ديني إلى بعد سياسي ثم إلى بعد عسكري ثم استخباراتي أمني!!

فهو يقول أننا نحتاج إلى مائة مقابل واحد عندما يكون كل مواطن ثائر محتمل.

نقول هنا في التعليق رقم ١٠٥: هذا هو الشرط الذي ذكره أن كل مواطن نتيجة التوعية= ثائر ممكن محتمل.

[وقد نُظمت قوات الفييتمينة في ثلاث فئات، وفق النموذج المتبع في الصين]

هذا التقسيم مفيد جدا لو قامت حرب شعبية ضد الأمريكان في بعض البلدان:

١. **المحاربون النظاميون الدائمون (تشولوك)، الذين يمكن استخدامهم استراتيجياً في أي مكان**، لأنهم كتل نخبوية مدربة، **ويؤلفون كبد القوات في عملية كبرى.**

٢. **ثوار العصابات الإقليميون، المحاربون في مقاطعتهم، والقادرون في كل لحظة على العودة إلى حالتهم كفلاحين أو عمال عند الضرورة.**

٣. **رجال الميليشيا الريفيون (دوكتيش). وهم رجال عصابات في الليل، وفلاحون في النهار.**

ومن الجدير بالذكر أن الفيتناميين استمروا على هذه الحالة ١٧٠ سنة، قاتلوا الصين ثم الفرنسيين ثم الأمريكان ثم الما أدري ايش، ١٠٠ ألف مشكلة، حتى أصبح من العادي في حياتهم مع هذا أن الناس تأكل وتشرب وتزرع وتحصد و تتزوج وتحتفل وتموت وتدفن، كله في آنية طبيعية، فأصبحوا شعوبا محاربة بالفطرة.

[ويقع على عاتقهم تنفيذ المهمات المحدودة: تخريب جسر، نصب الكمين، زرع ألغام على الطرقات، نقل الرسائل والأموال، ولكنهم يعودون إلى قراهم عندما تظهر أول بوادر رد الفعل العسكري].

ولذلك الذي شاهد بعض الأفلام الأمريكية عن الحرب في فيتنام يجد أنهم كانوا يقومون بعمليات تمشيط للقرى، ويخرجون المزارعين من بيوتهم، ويفتشون في بيوت الدجاج والكلاب، ويخرجون السلاح، لأن المدنيين كلهم متعاونون، إما يخبئون الثوار، أو يمارسون حتى القتال مباشرة.

وهذا أسلوب جدير حقيقة بالوقفة معه، فهو مخطط يستوعب كما كبيرا من المتعاونين وإتاحة الفرصة للمشاركة له، ولاحظ العلاقة هنا بين النخبة ثم نخبة الوسط ثم عوام الناس، هذا التقسيم هو تقسيم: نخبة، ثم نخبة وسط، ثم عوام الناس.

عندنا نحن الآن طلائع جهادية ممكن نربيها منهجيا ونعدها عسكريا تربية نخبة، ثم المسلمون الملتزمون الموجودون في كثير من الحركات الإسلامية غير الجهادية، ولكن يمكن أن يدخلوا في مواجهة المستعمر، ولا يدخل في مواجهة حكومة، يدخل في قتال الغرب واليهود، ولا يدخل في قتال الحكومة، فهؤلاء الناس قواعدهم تشكل دائرة لاصطياد الناس وإدخالهم في عملية الجهاد تدريجيا، وصولا إلى نقلهم إلى النخبة، ثم عموم المسلمين الذين يجب أن يشعروا أن مشاركتهم تبدأ من الدعاء بظهر الغيب في الليل، ومرورا بأنه لا يبيع ولا يشتري من الغزاة، ووصولا إلى أنه يبصق عليهم في الشارع، بعد ذلك الاختفاء وإعطاء الإمداد وبعض الأسلحة إلخ.

[يقول جياب: (عند بداية الاجتياح الإمبريالي، قدَّر الجنرال لوكلير بأن إعادة احتلال فيتنام لن يكون سوى نزهة عسكرية. وعندما واجه المقاومة في الجنوب، تخيلها ضعيفة وذات سمة عابرة، واستمر في الاعتقاد بأنه لن يلزمه أكثر من عشرة أسابيع لاحتلال كل جنوبي فيتنام وتهدئته].

تصورات العسكريين دائما بهذه الصورة.

[(لماذا قام الاستعماريون الفرنسيون بهذا التقويم؟ لأنهم فكروا بأنه لا بد من وجود جيش لمقارعتهم عند الاجتياح. وكان من المستحيل عليهم أن يفهموا الحقيقة الأساسية الحاسمة، المتمثلة بأن الجيش الضعيف مادياً، كان جيشاً شعبياً... وعندمل بدأ العدوان، فقدوا محبة أمة بكاملها].

وضعت هذه تحت خط أحمر، أن من أسباب خسارة الفرنسيين أنهم فقدوا محبة أمة بكاملها، ومن هنا نفهم عملية عزم الهياكل الدينية الحكومية عندنا على تحبيب الغرب للشعب، ووصفه بأنه مؤمّن ووصفه بأنه ذمي ووصفه بأنه جاء لفائدتنا، حتى يذهب أبو بكر الجزائري يقول: تسخير الله للأمريكان يستأهل منا سجودا لا نرفع رأسنا منه، لأنه نعمة! حتى يبقى منبطحا هو في هذه الحالة.

ولما ذهب إلى فرنسا وقلت لك: ضربه الإخوة بالأحذية وأخرجوه من المسجد، قالت له إدارة المسجد: لا تتكلم في هذا الموضوع، موضوع حرب الخليج، فقال: خلاص أتكلم في المواعظ، قال: حتى مجيئ إليكم هنا لنشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بفضل الله في حماية الأمريكان لنا في الجزيرة، ولو لم يحمونا لم آتكم!

فهذه القضية لأنهم يريدون أن يكسبوا حب أمة بكاملها، وقد نجحوا، الشعب الكويتي بغالبيته يحب الأمريكان هذا واقع مخجل ولكن واقع، ليش؟ لأن العمل الديني في هذا المكان عمل بنفس الاتجاه، وفي كثير من المواقع المستعمرة حصل محبة أمة، بل إن الاستعمار ليش سمى نفسه استعمارا؟ لكي يوحي للناس

أنه جاء ليحضرهم، جاء ليعمر بلادهم، جاء ليصلح لهم الطرق، جاء ليثقفهم، فتنطلق هذه على كثير من أبناء هذه البلدان، ولذلك نجد أن التأثير الفرانكفوني في الجزائر كبيرا جدا وضخما جدا، للنجاح الجزئي الذي عملته عملية الفرنسة في الجزائر، وتجد الكثير منهم لو عملوا انتخابات يفضلون الانضمام إلى فرنسا وليس الاستقلال.

فيقول: (فقدوا محبة أمة بكاملها) من هنا نفهم أن علينا أن نثير الكره في الأمة بكاملها، ولو لم تساهم في القتال، ولكن نثير الكره في الأمة بكاملها، ولذلك حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: "من جاهدهم بيده فهو مؤمن" أي النخبة، "ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل" يعني ايش يدخل الإنسان في دائرة الإيمان؟ أن يبغض الكفر والكافرين، فما بالك إذا دخل بدل البغض حب، فهذا من أول أولويات انتقاض الإسلام لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "إن من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله"، فلما يكون الحب في الملك والبغض في الملك، والحب في البترول والبغض في البترول، والحب في الدولار والبغض في الدولار، فانتقضت أوثق عرى الإيمان، فمن أهم مبررات وأساليب الثورة أن يحولها إلى أنهم فقدوا محبة أمة بكاملها.

[والواقع أن الأمة الفيتنامية كلها، الشعب الفيتنامي بأسره ثار ضدهم. وبما أن الجنرالات الفرنسيين لم يكونوا قادرين على فهم هذه الحقيقة العميقة، وآمنوا بانتصار سهل، فإنهم ساروا على العكس نحو هزيمة محققة).

فإذا أسقطنا المبالغة اللفظية، وجدنا أن هنالك كثيراً من الحقيقة في أقوال جياب. فالقوات الفرنسية المتمسكة بالاستراتيجية التقليدية، ألفت نفسها (غارقة في بحر من البشر المسلحين)].

فعندما تتحول الأمة إلى بحر من البشر المسلحين= لك أن تتصور مصير المستعمر.

[ولقد أتى معظم الأسلحة من الحملة (الفرنسية) نفسها، التي قال جياب عنها أنها أصبحت (المزود بلا تعمد لجيش الشعب الفيتنامي بالأسلحة الفرنسية، الأمريكية أصلاً)].

يعني هذا لم يسلح ثورة ولم يسلح كتائب من العصابات، بل سلح شعبا كاملا، أي أن العدو كفى لتسليح شعب، انتبه إلى هذه اللفتة، تسليح شعب بعشرات الآلاف جاء من الحملة.

[أما عن تنظيم المقاومة، فإن جياب يلاحظ، بأنه كان قبل كل شيء سياسياً، ثم عسكرياً:

(لقد طالب حزبنا، من أجل خوض الحرب الشعبية، بإنشاء ثلاثة أنواع من القوات المسلحة، وأولى كثيراً من الاهتمام لتشكيل وتنمية وحدات الدفاع الذاتي ووجدت حرب العصابات، وأُنشئت الميليشيا في كل مكان. وبفضل توطيد الإدارة الشعبية في الريف كله، ولوجود فروع الحزب في كل مكان، فإن الميليشيا توسعت كثيراً ونهض الشعب للقتال].

إذا ايش اللي قام بعملية التعبئة؟

أن هناك تماسا مباشرا وحقيقيا بين النخبة والناس، فروع الحزب لم تكن علنية في دولة مستعمرة، بل كانت خلايا سرية، ولكنها جهاز هرمي له مسئولون، ومسئولون شعبيون يتصلون بالناس ويجندون الميليشيا.

يقول: (فإن الميليشيا توسعت كثيراً ونهض الشعب للقتال)

أقول هنا أن الحزب شكل الطليعة النخبوية ثم جند الناس، وهذا يعيدنا إلى تكتيكات العلاقة، يجب أن نكتب بحثا بعنوان "العلاقة بين النخبة وعموم الناس"، كيف طبيعة العلاقة بين النخبة وبين عموم الناس؟ وما هو منهج تربية النخبة ومنهج تربية الناس؟ وما هو شعار توجيه النخبة وشعار توجيه الناس؟ ومواصفات كل فئة؟ هذا البحث إن شاء الله تعالى يجب أن نسوي فيه.

قال:

[وقامت وحدات من العصابات بالاشتراك مع الجيش النظامي بالعمل على مؤخرات العدو وإرهاقه، وثبتته في قواعده، وسمحت بذلك لجيشنا النظامي بالقيام بعمليات متحركة لإبادته. وقد تحولت هذه المؤخرات إلى جبهة بالنسبة إلينا، وانتظمت قواعد استطاع الجيش النظامي الانطلاق منها لشن هجمات في قلب المناطق التي يسيطر عليها العدو].

نقول هنا، كمثال عسكري: يعني مساعدة العصابات للكتائب النظامية، هذا يذكر بحرب الأنصار التي قامت بها المقاومة الفرنسية ضد خطوط الألمان في المناطق المحتلة، العصابات وكتائب الحزب الشيوعي لضرب قوات الألمان، فيما كان الجيش الروسي يقاوم الألمان جيش إلى جيش، فالعصابات كانت تقوم بحرب أنصار خلف خطوط العدو، ولما احتل الألمان نصف فرنسا ووصلوا إلى خط ما قبل ليون في وسط فرنسا كان هناك مناطق محررة لم يدخلها الألمان، أصبحت خطوطا خلفية لتجنيد المقاومة الفرنسية، وهناك أفلام كثيرة تحدثت عن هذا الموضوع.

تكتيك عصابات شعبية تعمل إلى صالح الجيش النظامي للبلد الذي ما زال يقاتل قد يفيدنا نحن في بعض الحالات لأننا قد نحرز انتصارات في بعض المناطق تتحول إلى مناطق محررة وتتشكل فيها كتائب تدخل المرحلة الثانية أو الثالثة وتقاوم القوات الغربية في مرحلة متأخرة، يفيد هنا أن عصابات لا تزال تعمل من خلايا شعبية وميليشيا خلف خطوط العدو، وهناك بعض الكتب التي تحدثت عن فوائد هذه العمليات وقواعدها، فقط لفتة تاريخية.

وهناك نقطة موجودة عندكم هنا، جزى الله خيرا من قام بها، هذه النقطة ترجمها الإخوة عندنا في الأردن لما كنا نعد للجهاد في سورية في سنة ١٩٨١ والنقطة سميت في حينها بـ "النقطة السويسرية"، تحدث صاحبها وهو ضابط في الجيش السويسري، مفترضا مستفيدا من ظروف الحرب العالمية الثانية، أنه لو

حصل هجوم في وسط أوروبا وأدت إلى أن ينكسر الجيش السويسري وتحتل سويسرا، ولا تزال قطعات من الجيش سليمة، وقطعات من الشرطة سليمة، وقطعات من بعض الأجهزة شبه العسكرية مثل الإطفائية وشرطة المرور والجمارك، يعني هياكل شبه عسكرية سليمة، ثم الناس تريد أن تقاوم، كيف ننظم المقاومة بين كل هذه الكتل؟

النقطة مفيدة جدا، لأن فيها تكتيكا سياسيا للتجنيد والتعبئة، وفيها تكتيك عسكري لعمليات المقاومة الشعبية، وفيها أصول قواعد التخزين ونقل الأسلحة والمراسلات والتخريب، نقطة جامعة فيها بانوراما مشكلة.

هذه النقطة ترجمها الإخوة عندنا في الأردن، ثم جاءت مع بعض الذين جاءوا إلى الجهاد الأفغاني هنا في ١٩٨٧، ثم انتشرت في أوساط الإخوة العرب، ولم تلق الاهتمام الكافي لأنها بحاجة إلى شرح، وهي مفيدة جدا، وعندكم نسخة منها هنا، سأحاول إن شاء الله أن أصور منها حوالي ٤٠، ٥٠ نسخة ننشرها في المعسكرات لأنها مفيدة، فهذه لفتة من فكرة حرب الأنصار خلف خطوط العدو.

وكذلك من مهمات العصابات والميليشيا، التي تقاتل إلى جانب كبد القوات النظامية:

[**كما حمت هذه القواعد الأشخاص وممتلكاتهم، وحفظت الإنتاج، وأحبطت نية العدو الساعية إلى تغذية الحرب بالحرب، وباستخدام الفيتناميين لقتال الفيتناميين**].

نفس الأسلوب الذي تجند فيه الآن الحكومات أبناء الشعب لقتال المجاهدين، فتحول المعركة بالنهاية إلى قتال بين المغاربة والمغاربة، والمصريين والمصريين، ناس يقاتلون في سبيل الله وناس يقاتلون في سبيل الطاغوت، هذا من ناحية التوصيف الشرعي، ولكن من ناحية الواقع أنه شخص كسب العدو منه أنه لم يعد يصرف وينفق من أفراده، بل أصبح يقتل أبناء الشعب المسلمين بأبناء الشعب الجاهلين أو الكافرين أو المجبرين، ولكن في النهاية الإنفاق صار من خزان الشعب وليس من خزان العدو.

فهو يقول أن انتشار الميليشيا ومشاركة الشعب في القتال قمع الطريق على الفرنسيين أن يسعروا طريقة قتال الفيتناميين بالفيتناميين.

طبعا أقول هذا غير التوصيف والضرورات الشرعية التي نعرفها منهجيا، نحن نريد أن نخرج أكبر كمية من المسلمين فلا يقاتلون في صفوف العدو، نخرجهم إما إلى دائرة الحياد فيخرجون من المعركة، أو دائرة الأنصار فيقاتلون معنا، ومن يبقى في الصف المعادي هذا الذي أصبح يستأهل الحرب والقتل والقتال، بصرف النظر عنه هل هو كافر ولا جاهل ولا مجبر، حتى لا يسيء أحد الفهم في هذه المسألة.

[**ففي المناطق المحررة، قاتلت وحدات ثوار العصابات العدو بفعالية، وراقبت الخونة، وكانت الأدوات الفعالة للإدارة وللأحزاب المحلية. كما كانت في الوقت ذاته، القوة الضاربة في الإنتاج والنقل والتموين**].

في انتاج زراعي حتى يكتفي الناس في ظروف حرب محلية، ثم في النقل والتموين لاستمرار معطيات المقاومة داخليا.

في ملاحظة يقول: هذه فقرة هامة، لاحظ مهام الشعب أثناء المقاومة: الانتاج والنقل والتموين.

[**ومن خلال القتال والعمل، أصبحت وحدات ثوار العصابات منبعاً ثميناً لا ينضب لاختيار متطوعي الجيش النظامي وصارت تمده بالجنود والضباط والمثقفين سياسياً، والحائزين على خبرة قتالية ثمينة)**].

شوف هذا يفيدنا في علاقة النخبة بعموم الشعب المسلم، ايش تستفيد النخبة من هذا الغلاف الكبير من المتعاطفين، أصبحوا منبعا ثمينا لا ينضب لنقلهم إلى النخبة.

[وقد ارتكبت المعسكران أخطاء فادحة في المرحلة الأولى، فلقد كرس الفرنسيون خمسة أشهر من العام ١٩٤٧ لمحاولة فاشلة تستهدف إلقاء القبض على هوشي منه وهيئة أركانه، معتقدين أن ذلك سيؤدي إلى اختصار مدة الحرب].

تفكير –إجمالا– سليم، ولكن في واقع الفيتناميين الصحيح صار غلطا، الفرنسيون حاولوا القبض على هوشي منه وهيئة أركانه وكانوا سيرتاحون، ويبقى الفيتناميون بدون دماغ مفكر، وهذا توجيه صحيح (قاتلوا أئمة الكفر)، لما تضرب الدماغ المفكر للعدو تشله عن الحركة، ولكن لم يكن هذا صحيحا للتفسير التالي قال:

[وحتى أنهم لو نجحوا في ذلك، فإن مجرى الحرب ما كان ليتأثر، إذ أن النتيجة لم تكن تتوقف على عبقرية عسكرية فردية، بل على استراتيجية أملاها الموقف السياسي – العسكري، ولأن كل مسؤول شيوعي تعلم الدرس الصيني، كان بإمكانه تطبيق تلك الاستراتيجية تلقائياً].

هذا درس عظيم جدا سأقف معه وقفة مؤلمة وحسبنا الله ونعم الوكيل وأرجو ألا تفهم خطأ، ولكن وقفة هامة جدا.

ولك أن تتألم وتفكر في واقعنا نحن، يقول أنه لو أخذت القيادة فهي مشكلة لكنها لن تؤثر، لأن كل فرد من أفراد الجماعة تعلم أن يكون، أول شيء ايش المنهج؟ ايش المعتقد؟ عرفه، ايش الأسلوب؟ ايش آلية حرب العصابات في مواجهة المحتلين؟ عرفه، لأن الدرس الصيني بالنسبة لهم درس عقائدي عسكري، ليس فقط مجموعة من الناس يعرفون البعد الأيدولوجي للثورة، أو ناس يعرفون التكتيكات العسكرية للثورة، كل فرد من النخبة تعلم هذه وتلك.

فوقفت هنا وقفة مع هذه المسألة في ملاحظة يقول: لاحظ الفرق بين هذا وبين بنية كثير إن لم يكن غالب إن لم يكن كل الجماعات الجهادية، بل والإسلامية عموما حتى الدعوية والإخوان وكذا، فرق هائل جدا في فهم المنهج وأسلوب الحركة بين القواعد والقيادات، وهذا الفارق يصبح عظيما في الجماعات الجهادية، يعني يمكن أن تأخذ واحدا من الإخوان المسلمين فتجد فيه نسبة بينه وبين قيادته نفس الفهم نفس الآلية، تأخذ واحدا صوفيا مريدا فتجد فيه نسبة بينه وبين الشيخ، أما لو أخذت واحدا من أفراد الجماعات الجهادية ثم تأخذ القيادة، في فهم المنهج في فهم الخطة في فهم ايش نريد في فهم آلية المواجهة= فوارق مرعبة.

الجماعات الجهادية والإسلامية التي تختزل العمل والجهاد كله في أشخاص معدودين، لو ذهبوا لسقط وانتهى كل شيء، فهو القائد والموجه ومصدر الارتباط بالدعم المالي الخارجي، وغيره مقاتل فرد إنسان عامي، انظر تجربة الطليعة في سورية.

مروان حديد خلّف مدرسة، مجموعة من الأفراد، قُتل هو فاستمرت الثورة أفضل من زمنه ووقته، قادها عبد الستار الزعيم رحمه الله وكان ضابطا في منظمة التحرير سابقا فله خبرة عسكرية، وهو تلميذ من تلاميذ مروان حديد، وعضو سابق في الحركة الإسسلامية من عشرات السنين، قام ومسك المسألة، فانتشر الأنصار وتابعوا المعركة إلى مرحلة أخرى، فلما تطورنا وتحولت تلك القيادات نفسها إلى قيادات فردية ليس لها مثال وهي ضرورة لم يعد هناك إدارة مثلها، لما قُبض على عدنان عقلة في الفخ الأمني الذي حصل= سقطت الطليعة وانتهى كل شيء، كل شيء.

مرة عدنان عقلة قال هذا مسئول المنطقة الشمالية، فرحت أحكي معه، شاب عادي صغير في السن لا يعرف حتى يجود القرآن، لا عنده أي ثقافة دينية ولا أي معلومات عسكرية، فقط هذا أفضل واحد من أهل المنطقة الشمالية وجده، فصارت هناك فجوة هائلة جدا، فراح القائد= سقط كل شيء.

المثال الآخر الذي أضربه الشيخ عبد الله عزام والتجمع العربي في أفغانستان، قُتل الشيخ عبد الله عزام فانفرط كل شيء، حتى النخبة التي هي مكتب الخدمات أقبل بعضهم على بعض يتقاتلون، ليه؟ لأنه ما في

منهج يربط الناس، ما في فهم لطبيعة المعركة، وسوف ندرسه بالتفصيل عندما ندرس تجربتنا في أفغانستان، لم يكن هناك الوضع كوضع هوشي منه كنموذج والناس الذين تحته، يعني البناء ليس هرميا.

وقد كان هذا الأسلوب هو أسلوب تربية الرسول عليه الصلاة والسلام، تبديل بين الصحابة تارة يرسل شخصا قاضيا، وتارة داعيا، وتارة قائد جيش، وتارة يخلفه في المدينة، وتارة وتارة، الناس كلها تفهم طبيعة الدين، كلها تربت على القرآن والسنة وتعلمت من الرسول عليه الصلاة والسلام، كلها بينها حالة من الحب والإيثار والتربية المطلوبة بين أناس يعملون مع بعضهم البعض، كلها تعرف مَن العدو ومَن الصديق ايش الهدف ايش العمل، فأصبحت مدرسة استمر أثرها قرونا، رغم الانهيار السياسي في التاريخ الإسلامي وسقوط هيكل السلطان في الخلافة العباسية والأموية، إلا أن حيوية الإسلام استمرت بفهم السلف الصالح أربعة خمسة قرون، وهذا رقم عظيم جدا، ٥٠٠ سنة هو رقم عظيم جدا، من الصحابة فالتابعين فتابعو التابعين فتابعوهم بإحسان فالمدارس والعلماء.

وصلنا الآن إلى حالة أقرب إلى ايش؟ إلى المؤسسة، مؤسسة اقتصادية ولا مؤسسة دعوية ولا مؤسسة عسكرية، كلها تدور وقائمة على طريقة النواة والإلكترونات، نواة مركزية تشد إلكترونات إليها بفعل كهربائي ثم الناس تتحرك بدون ما تعرف، وتسأل في كل تجمع من التجمعات لو اغتيل القائد؟! أغلب الإجابات تضحكك، لا يعرفون أنه لما اغتيل الشيخ عبد الله عزام مئات الشباب العرب لم يجدوا من يعطيهم فقط تذكرة يرجع إلى بلده، فقط تذكرة لم يجد.

لا أريد أن أطيل، وهذه القضية ظواهرها واضحة من جماعة إلى أخرى، على كل جماعة جهادية وعلى كل تجمع وعلى كل بؤرة من بؤر المقاومة التي ستقوم لمقاومة الغرب من اليهود والنصارى وحلفهم من المرتدين والمنافقين، عليها أن تهيئ كوادر، وهذا ليس صعبا، أقول بكل أسف بعض القيادات لا يريدها أصلا، لأنها تحد من سلطانه الفردي، كما كان يفعل حكمتيار، المحبون لحكمتيار والمدافعون عنه كانوا يقولون أنه بلغ من فرديته أنه لو عنده قائد أو شاب يبعده عن الجبهات العسكرية ويرسله إلى مكتب من

مكاتب بيشاور، ليش؟ لأنه ممكن ينافس الزعيم الأوحد، ممكن يقول له لأ في الجلسة، ممكن يراجعه صح وغلط.

الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "لا تكونوا إمعة"، وهذا حضرته بده كل الناس إمعة، هو الواحد والباقي أصفار، لو واحد بجانبه اربعة أصفار كم يطلعوا؟ ١٠ آلاف ، هو والأصفار الأربعة ١٠ آلاف، بجانبه مجموعة اصفار لا تسمن ولا تغني من جوع، هذا نماذجه كثيرة جدا.

عندنا من القصص في ذلك قصة عجيبة جدا قصصتها للإخوة، يقول: أن رجلا زعيم عشيرة هو شيخ مشايخ العشيرة عنده في المجلس شيوخ العشائر وشيوخ القبائل كان رجلا ديكاتورا على طريقة (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)، وهذا الأسلوب الفرعوني ليس ضروريا أن يقترن بالكفر، بل هو أسلوب إدارة، والله شبابنا في الجهاد في سورية كانوا يحتجون على قياداتنا في الإخوان المسلمين، مع أن القيادة عندنا شعارهم: "لا تفكر لا تدبر نحن أصحاب العقول"، فكنا نهزأ بهذه القيادات سعيد حوى وعدنان سعد الدين، نقول هؤلاء جماعة يريدون إدخالنا في حالة: "لا تفكر لا تدبر نحن أصحاب العقول"، فهذا شيخ العشائر كان في المجلس عنده ولي العهد بتاعه، كان واحد من شيوخ العشائر يقول رأيا ليسعى بالنصيحة يقول له: اسكت أنت لا تفهم، فيبتعد ولا يأتي الجلسة الأخرى، ولي العهد يقول له: يا شيخنا لم يأت فلان، يقول له: عنه ما جاء اجعل مكانه بعرة، يعني خذ بعرة من بعير الإبل وضعها مكانه، فيضعون له بعرة، الثاني ضع له بعرة، الثالث ضع بعرة، الرابع ضع بعرة.

في يوم من الأيام صاح النفير قال له: يا شيخنا هجم العدو، فقال له: اجمع الشيوخ، فجمع سبعة ثمانية، قال له: وين الباقي؟ فجاء له بسلة فيها سبعون بعرة!!

هذا المثال البليغ جدا يلفت النظر، هم أرادوا أخذ هوشي منه، ولكن لو أخذوه لم يحدث ذلك أي مشكلة، لأن البنية هيكلية، الآن انظر في كل الجماعات الجهادية كلها مصادر التبرعات المالية كلها علاقات شخصية يحبون هذا الشخص، أو علاقات تجارية بينه وبين الناس فيودونه، فإذا قُتل لم يعرفوا ماذا يفعلون من بعده، هذا من ناحية عصب الوجود أصلا.

الخطة العسكرية نفسها، لا يفهمها إلا ثلاثة أو أربعة، هذا إذا كانت أصلا موجودة، إذا راح الثلاثة ولا الأربعة لا أحد غيرهم يفهمها.

الهياكل الإدارية من حيث الشخص، تدخل لا تجده، تقول: فين فلان؟ يعني بدك منه شغلة، يقول لك: راح يجيب بنزين، راح دورة متفجرات.. إلخ، هو شخص لإمكانياته العالية وعلاقاته بالقيادة يحمل ٧٠٠ ألف وثيقة بيده! وباقي الإخوة ببساطة جالسون بلا شغل، ليس عندهم عمل.

هذه الحالة من أصغر جماعة إلى الإخوان المسلمين، كان "عبد الله سلطاوي" الأمين العام للإخوان المسلمين في سورية، عنده شنطة صغيرة فيها أوراق، كان يجلس في مكتبه ويجلس الإخوة في المضافة أرتال أرتال أرتال، وكل واحد عنده طلب، بدءا من الذي يريد أن يتزوج والذي يريد أن يشتري سلاحا والذي يريد أن يدرس في الجامعة والذي عنده مشكلة مع زوجته بده يحلها له، لكل المسائل جالس من الصباح إلى المساء، وتجد بسمته العريضة، يخلص جزءا من الأشياء ويمشي، هذا أنا شفته من فلان ومن فلان ومن فلان.

فلما جئنا إلى أفغانستان جلسنا مرة عند الشيخ سياف، والناس واقفة طوابير، فوقّع لشراء سيارة، ثم شراء دواليب، ثم توزيع بطاطين، ثم أسر، ثم سلاح ثم صواريخ، ثم علاقة بالدول، وهو وحده!

ثم جئنا إلى حالة الشيخ عبد الله عزام نفس المشكلة، تكاد لا تستثني أحدا، في العمل الدعوي في العمل العسكري في العمل الجهادي في الجماعة من بلد إلى آخر، لا أريد أن يقول أحد يقصدني أبو مصعب لأني أكاد أقسم لك أنها إن لم تكن كل الجماعات فهي غالبيتها.

هل لأنه لم يأت غيره؟ ليس صحيحا، لأن غيره موجود وهناك من يفكر أحسن منه، وليست المشكلة لأنه هو وحده، الإنسان أي إنسان عنده شعور فطري ومرض بالإمارة، أنا لما تزوجت عانيت كثيرا حتى تدربت ألا أحشر نفسي في المطبخ مع أهلي، شيلي البطاطس حطي كذا، نفس الشيء، كان فيديل كاسترو يقول في مذكراته نقله عنه كتاب "ثورة في الثورة": (إن أسوأ القواد أولئك الذين يظنون أن من

مهمتهم التأكد من عدد الطلقات في جيب كل جندي)، وإن شاء الله سنقرأ بعض الفقرات في كتاب "دروس في القيادة".

لو أردت ان أقول لك المقاتل المترتبة على هذا الوضع لا تتصورها، نحن رأيناها لما اختطف عدنان عقلة وسجن، الآن لو قتل زيد وعمرو وبكر من القواد في الجماعات الإسلامية لانتهت المسألة كلها برمتها، ثم تقول ايش الحل؟ الحل بسيط جدا، أن يأتي سعادته بمجموعة من أفضل الكوادر الذين عنده يعكف عليها ويعمل لها دورة تدريب منهجي، ثم تحدد المناحي العامة للمعركة.

ما هي المناحي العامة للمعركة؟ والله نريد أن نقاتل اليهود والأمريكان على مستوى العالم الإسلامي، نريد أن نقاتل اليهود والأمريكان في المغرب، قررنا أن نبدأ المعركة بهم، نريد أن نقاتل اليهود والأمريكان في دبي، وهكذا، حددت القضية، فينطلق الناس لوضع مخططات في هذه المسألة، الناس تعودت عادي جدا أنه هو جالس الآن ايش نريد؟ نريد أن يهاجر إلى اليمن، نريد أن نخرج إلى كذا، الجماعات الجهادية تفرقت شذر مذر في كل الجماعات، وهذه حالة كل جماعة تحديدا، فهذا وضع مرير نعيشه، دفعنا ثمنه ودفع المسلمون ثمنه، وهذا أحد بوابات الإصلاح التي يجب أن نفكر فيها نحن على مستوى كل الجماعات وفي كل المعسكرات.

لا تظنوا أننا نتكلم عن جماعة بعينها، تأتي على معسكر الآن، المعسكر نفسه إدارة المعسكر نفس الشيء، تخيل أنه راح –مات– ابن فلان وابن علان أو أبو فلان وأبو علان للمعسكر ايش يحصل في المعسكر؟ يتحول المعسكر إلى ولا شيء، مصادر تمويل المعسكر، تبرعات للمعسكر إلخ، كله يذهب معه، فهذه وقفة يجب أن نفصل فيها كثيرا.

أرجع أقرأ كلامه لأنه موجز جدا قال:

(كرس الفرنسيون خمسة أشهر من العام ١٩٤٧ لمحاولة فاشلة تستهدف إلقاء القبض على هوشي منه وهيئة أركانه، معتقدين أن ذلك سيؤدي إلى اختصار مدة الحرب.

وحتى أنهم لو نجحوا في ذلك، فإن مجرى الحرب ما كان ليتأثر، إذ أن النتيجة لم تكن تتوقف على عبقرية عسكرية فردية، بل على استراتيجية أملاها الموقف السياسي – العسكري، ولأن كل مسؤول شيوعي تعلم الدرس الصيني، كان بإمكانه تطبيق تلك الاستراتيجية تلقائياً).

قُتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في أمس لحظات الحاجة له عمليا، وأمثاله من القواد، قرأت أن الله سبحانه وتعالى قدر ذلك ليفهم المسلمين أن قضية الاستمرار غير منوطة بشخص، ثم كان خالد بن الوليد الذي ما دخل معركة إلا انتصر، فصار كثير من المسلمين يحبون أن يقاتلوا تحت راية خالد في الجيش، فكان من عبقرية عمر أنه لما تولى الخلافة عزل خالد بن الوليد، حتى يفهم الناس أن القضية نصر الله لا نصر خالد، والمستشرقون يعتبرونها خصومة شخصية بينهما، كان عمر يريد أن يفهم الناس أن القضية غير مرتبطة بشخص.

والحمد لله حتى عندنا في بلاد الشام كل الطبقة الأولى قُتلت لما كان القتال في الداخل، طبقة تربي طبقة، طبقة تربي طبقة، وكان أفضل جناح عسكري عندا في شمال سوريا في حلب جناح إبراهيم اليوسف، لأنه ضابط فدرب بناء على هذه القضية، قُتل فاستلم الجناح ابن أخته، قُتل فاستلم الجناح شاب عادي، قُتل فانفرط الجناح وتحول إلى ثلاث مجموعات: مجموعتين من قيادات ضعيفة، ومجموعة أمسكها شاب اسمه أبو عمير عمره ١٨ سنة، تحول إلى جنرال في يوم وليلة ماذا يصنع؟!

العمليات العسكرية التي قادها شاب عمره ١٨ سنة عجيبة، أول عملية عملها راح هاجم معامل الخياطة التي تخيط بدلات عسكرية، فاستولى على كمية كبيرة من لباس القواد، ثم استولى على أربع خمس سيارات من سيارات شركة الكهرباء التي تشبه دوريات المخابرات، ثم ابتكر من نفسه ولأول مرة عملية حواجز باسم الوحدات الخاصة، أخذ قوائم المخبرين وبدأ يفتش الباصات وينزل اللجان العمالية ويعدمهم في الشوارع، ويركب ويمشي محترم وكأنه من الوحدات الخاصة.

هذا الرجل هل كان يعلم أنه قائد؟ لا لم يكن له خبر، ولذلك نعود إلى القول العظيم والحكمة البليغة فعلا التي نقلتها في كتاب "التجربة السورية" والموجودة أصلا في كتاب "ثورة الثورة" قال: (وكذلك المسئولية هي التي تصنع المسئول)، إعطاء المهمات هو الذي يخرج قادة، (والمسئول هو الذي يصنع التاريخ) يعني بأعماله يصنع التاريخ، (فإذا صُنع التاريخ ألقى بمسئوليات جديدة على الناس) فهذه المسئولية تصنع مسئولين، والمسئولون هم الذين يصنعون الدولة، العلاقة بين التاريخ والمسئول والمسئولية.

الآن في الجيش الأمريكي لكي يكتشفوا الكوادر القيادية عندهم يرسلون بعثات من الجنود في مهمات ومعهم ضابط استخبارات ليس قائد القطعة، يرسلونهم في مكان منقطع لا أكل فيه ولا ماء، يعني ظرف صعب، ممكن يهلكوا، ويكلف ضابط الاستخبارات بمراقبة تصرف الناس ويسجل الكوادر القيادية في القطعة، يقول لك: تتحول القيادة من الرتبة الأعلى المعينة من الجيش إلى أصغر واحد قد يكون جنديا يستطيع الخروج من الأزمة، تسقط الهياكل المعينة من الجيش فتبرز القيادات الطبيعية، وضابط الاستخبارات يسجل ذلك: من هي العناصر القيادية المؤهلة، فيتم سحبهم من القطعة ويقام لهم دورات خاصة ويتحولون لقادة.

في فرنسا في قرية تسمى قرية العباقرة قريبا من غابة من الغابات الكبيرة في باريس، فيها جامعات ومختبرات ومعامل في كل شيء، يأخذون في البحث عن الطلاب الذين أتوا بعلامات عالية جدا، فيتابع بعثاتهم ويصرف عليهم حتى يتخرجوا من الجامعات بدرجات عالية جدا، ثم يدخلون القرية الأكل مجانا ثم المكتبات موجودة بلا مال، الناس متفرغة للبحث، تجمع عباقرة: علوم السياسة، التاريخ، الذرة، الكيمياء، الفيزياء، البترول، فيخرجون نخبة، عملية تأهيل النخبة.

على عكس العقول العقيمة، التي إذا رأت عند أحد بادرة صغيرة= أراد تحطيمها.

لما أراد هتلر أن يعمل الشبيبة الألمانية نفس العملية، اختار مجموعة من الشباب ووزعهم ووضعهم في الشرطة والهياكل المسموح بها ضمن القانون الذي وضعه، فلما أراد أن ينشئ ألمانيا حولهم إلى ضباط، وهم الذين قادوا جنرالات الحرب العالمية الثانية.

القائد أمامه أحد حالتين وهذه نصيحة لكل قائد من خلال قراءتنا وتجاربنا في عشرين سنة، القائد أمامه أحد حالتين:

إما يكون قائدا عبقريا فذا، مجتهدا في الدين، عظيما في الإدارة، خالد بن الوليد في القتال، بروس لي في الكونغ فو، فيه كل شيء، ماشي؟ هذا القائد في هذه الحالة لا يحتاج إلى أحد، لكنه إذا مات ذهبت كل القضية، فهو يحتاج إلى وضع مجموعة من الناس حتى تستمر المسألة، فهذا القائد لا يضيره وجود كوادر عظيمة بجانبه لأنه هو عظيم أصلا، ولا يؤثر عليه لمعان أي نجم حوله، لتفوقه الواضح على كل واحد بمفرده، لو في قائد ميداني عنده بطولات فهو في سجله بطولات، لا يمكن أن يشعر بالغيرة من أي كادر يمكن أن يلمع، هذه حالة نادرة.

وبالتالي يترك حوله مجموعة من القواد، لأنه لا يشعر بالمنافسة بينه وبينهم.

وقائد ليس هو هذه الحالة، وهو عموم القيادات في كل التاريخ، فنحن أمام أحد حالتين:

إما قائد يريد الصالح العام ولا يريد صالحه الخاص، فلا يضره أن يربي قيادات كبيرة ويطلق المجالات، فتجتمع مجموع القوى كلها هذا باثنين وهذا بثلاثة وهذا بخمسة وهذا بسبعة وهذا بعشرة، فتصير ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعة وسبعين، رقم كبير، ولكن مطمئن أنه إذا راح هو يصبح الناس رقما، رقم مئوي، راح الرقم المئوي بقي للناس رقم بالعشرات لم يصيروا آحادا مفرقة.

أما النموذج الثاني: فرجل يشعر بالغيرة من هذه القيادات الموجودة التي ممكن تنافسه على صناعة القرار، وتحد من سلطانه وشعوره بالإمارة، الشعور بالإمارة والسلطان ولو على دجاجتين هو الذي تخوفه الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه" يعني حرص الإنسان على الشرف والمال أفسد للإنسان من ذئبين في غنم، الشرف هو السلطة والإمارة، وقالوا أن هذا آخر ما يخرج من قلوب الصديقين، وكان الخوف على السلطة سبب قتل ملوك لأبنائهم وأبناء قتلوا آبائهم على الملك وأمهات فعلوا كذا.. إلخ.

فهذا النوع الثاني من القادة يشعر بالمنافسة فلا يسمح لأحد أن يخرج، ولكن يعرف أنه ينحر الإسلام والمسلمين، لما جنابه يرتاح المسلمون منه= سينهدم كل شيء.

فاللي شايف حاله عبقري يسمح للآخرين لأنه لا يؤثر عليه، واللي ما شايف حاله عبقري يعمل مجموع عبقريات صغيرة ممكن تصنع منه عبقريا كبيرا، ولا أنت متصور أن مونتجمري صار مونتجمري لوحده، عنده إمكانيات ولكن هيئة أركان الحرب الذين معه موجودة، قيادة جماعية تستفيد من كل إنسان بحسبه.

نكتفي بهذا، مع أنها تستأهل أن يكتب فيها كتاب.

يقول:

[**ومن المناسب أن نلاحظ مرة أخرى، أن أهم ما يدفع ثوار العصابات لأن يقاتلوا بطريقتهم تلك، هو أنهم لا يستطيعون فعل أي شيء آخر. إن وضعهم يحدد طريقة تصرفهم، فلأنهم لا يمتلكون أسلحة ثقيلة، ولا فرقا مؤهلة لشن حملات تقليدية، فإنهم يجدون أنفسهم مجبرين، كما يقول كلاوفيتز، على قضم أطراف الجيش المعادي، والقتال على مؤخراته. ولأنهم لا يمتلكون القدرة المادية لتحقيق الحسم العسكري، فلا بد لهم بالضرورة من انتظار الحسم السياسي**].

يقصد بـ "الحسم السياسي" حالة الإنهاك التي توصل إليها العدو، بحيث لا يستطيع الإكمال.

[**ففي وضع ثوري، لا بد أن يأتي الحسم السياسي لمصلحتهم، لأنه نتيجة لحرب طويلة لا يستطيع العدو دعمها سياسياً أو نفسياً، مهما كان وضع قواته العسكرية**].

نقول هنا أن الصراع يتحول إلى عملية عض أصابع بين الثورة والمحتل، من يصبر أكثر على الاستنزاف، فإذا كانت الثورة ثورة نخبوية فستصمد السلطة والمحتل أكثر، لأن مستودع النخبة لا يكفي، لا بالأفراد ولا

بالمادة ولا بالأموال، وإذا كانت الثورة مستندة إلى شعب، إلى ناس مسلمين يعتقدون عقيدتها ويؤيدونها قلبيا= فمعركة عض الأصابع ستنتهي لصالح الشعب والله أعلم، كل ذلك بأقدار الله، وهذا فصلنا فيه سابقا.

[ويحلل الجنرال جياب موقف الفرنسيين بقوله:

(يتحول العدو ببطأ من الهجوم إلى الدفاع، وتتحول الحرب الخاطفة إلى حرب استنزاف، ويلفى العدو نفسه أمام مأزق: إن عليه أن يستمر في الحرب لمدة طويلة حتى يكسبها، وهو لا يمتلك الوسائل السياسية أو النفسية لدعم قتال طويل الأمد).

ولقد كان جياب على حق، فالضغوط السياسية التي وقعت فرنسا تحتها، وتدني مستوى معنويات السكان الباقين على الولاء لفرنسا، وتناقص معنويات القوات مع الزمن، أعاقت جهود الحملة بشدة.

وكثرت المليشيا الثورية في البلاد، وتشكلت عملياً وحدات منها في كل قرية، وأجرى نظاميو الفييتمينة مسيرات طويلة في الأدغال لمهاجمة رتل هنا وموقع صغير هناك، وكانوا يجهزون في خلال مسيراتهم وبسرعة وحدات جديدة، بفضل الأسلحة المستولى عليها من العدو، والمعدات الثقيلة المهرَّبة من الصين[٨]].

[٨] كان الصراع بين الثوار الصينيين وجيش تشانغ كاي تشيك على أشده، ولم يكن ماو قد حقق انتصاره، عندما كان القتال في فيتنام محتدماً ضد الفرنسيين، لذا فإن الدعم الصيني لثوار الفييتمينة بقي محدوداً نسبياً، ويقتصر على التهريب من المناطق الصينية المحررة إلى مناطق الفيتنامية المحررة، ولم يتحول إلى دعم حكومي واسع، إلا بعد انتصار الثورة الصينية في العام ١٩٤٩، وفرار تشانغ كاي تشيك من البلاد، وظهور دولة الصين الشعبية (المعرّب).

ألفت النظر هنا إلى احتمال ممكن وهو أن يحصل لو فتح الله على طلائع جهادية في مكان ما واستطاعت أن تدحر العدو وتشكل نواة إمارة على حسب ما توقعنا خلال السنوات العشر أو العشرين القادمة، أن يحصل انهيار في بعض المناطق فيحصل فيها فوضى ليس هناك سلطة، وبعض المناطق جماعة منظمة أحدثت سلطة وقامت إمارة.

فهذه يمكن أن تدعم باقي المناطق، لأنه يجب أن يسيطر عليها الفهم العام والأممي بطبيعة المعركة، وإذا فكرت كتفكير دولة محصورة بأن عليها أن تتعامل مع النظام الدولي وتؤمّن النظام العالمي، وتتصرف كما تتصرف الآن السودان وإيران= فإنها تتنكر للمنهج الأممي أصلا للإسلام، وتتنكر للمناهج التي قامت عليها هي كثورة وتتحول إلى فئة تريد مصلحتها إقليميا وقطريا، ونقع في نفس المصيبة!

لو حصل فتح على إحدى الجبهات فغنيت من الأسلحة، غنيت من الموارد، غنيت بالأفراد، غنيت بأي مقوم من مقومات القتال= يجب أن تدعم في ذلك الجبهات التي لم تغن بذلك في مواجهة الصائل بشكل أممي ودولي، وهذا من أهم ملامح تكتيكاتنا في المرحلة المقبلة، وسنعود إليه إن شاء الله في ملامح المعركة المقبلة.

أقول هنا: يجب أن تفكر بأسلوب أممي، لأن التفكير بالأسلوب القطري ينحط بأصحابه إلى مستوى الحيوانية التي تفكر في دائرة العلف في الحظيرة نفسها، ولا تفكر في الموارد الكبيرة جدا، في فهم هذا الدين وفي فهم السياسة على حد سواء.

سأضرب لك أمثلة حمقاء من العمل الإسلامي:

صرح الزهار مسئول حماس بعد انفجار الخبر أن هذا عمل إرهابي، تنكره الحركة حركة حماس، وأنها مستعدة للتعاون مع الأمن السعودي في القبض على هؤلاء المجرمين، وأنها تقف مع الحكومات العربية ضد إسرائيل في خندق واحد!

فتأمل العظمة في الدين والعقيدة والولاء والبراء والفهم السياسي والتكتيك الأمني والعسكري لهذا الدابة الذي يصرح تصريحا بهذا السوء في فهم دينه أو السياسة أو الدنيا كلها.

وايش يظن هو؟ أنه يقوم بعملية تكتيك من أجل كسب مواقع، مثل ذلك صدر عن واحد اسمه نزال، وصدر كذلك.. لما كان معتقلا في أمريكا من أجل الصفقة التي تمت بينهم.

لا يمكن أن نقبل بحال من الأحوال مصالح جزئية ومكاسب وقتية نتاجر فيها على هذا المحور، صراعنا أممي وعدونا واحد، والصائل اتحد بكل أبعاد كلمة الوحدة، صائل اليهود والنصارى والمرتدين والمنافقين، تناسق أمني بين المخابرات الأمريكية والمخابرات المصرية والسعودية والمغربية، تناسق إعلامي بين وكالة الأنباء الفرنسية والإذاعات وكل الناس وحتى الناطق الرسمي باسم هيئة كبار العلماء، تناسق أمني في تحقيق نفس الفحوى، ومع ذلك يأتي واحد يفكر أنه حقق مكسبا فيريد أن يستقل محليا.

النموذج الثاني: الإخوان المسلمون السوريون في السعودية.

الإخوان المسلمون السوريون في السعودية لم يكونوا يريدون الوقوف مع النظام السعودي في حرب الخليج، الإخوان السوريون تشردوا في كل أقطار الأرض، فتوزعوا على معظم الدول العربية ولا سيما الأردن والعراق والسعودية، تأزم الوضع السياسي أثناء حرب الخليج، وخرجت في الشكل التالي:

أن السعودية أجبرت الشيخ عبد الفتاح أبو غدة أن يقف هذا الموقف الذي حكيته لكم، العراق فيه كتل أساسية لبقايا المعسكرات وقيادة الإخوان، مسئول الإخوان في العراق والأردن على صدر الدين البيانوني الذي هو المراقب العام الحالي، لم تكن السعودية قد ضغطت بعد على الشيخ عبد الفتاح، فالإخوان وقفوا حينها الموقف الطبيعي أنهم مثل التنظيم الدولي في مصر، حل عبقري فعلا، أصدر المرشد العام بيانا بمناسبة حرب الخليج صفحتين ونصف، قرأته خمس مرات مع أني أعتبر نفسي قارئا وكاتبا إلا أني لم أفهم ماذا يريد!

هل يُفهم منه أنه عراق؟ ما ممكن، هل يفهم منه أنه خليج؟ ما ممكن، مع المسلمين؟ ما ممكن، مع الكافرين؟ ما ممكن، فهذه كارثة السياسة العامة للإخوان المسلمين في حرب الخليج.

فجاء الإخوان السوريون يريدون أن يطبقوا نفس السياسة، لكن عندهم حالة خاصة أنهم محتاجون للعراق، فكان بيانهم: رفض احتلال الكويت، وتأييد العراق ضد غزو الأمريكان، يعني نوعا ما أوضح.

فاستاء صدام حسين جدا، قال: نحن نطعمكم ونكسوكم والمعسكرات وكل شيء، ثم هذا التأييد الجزئي المشوب بالحذر= فخسروا العراق.

والسعودية والكويت قالوا لهم: أنتم قاعدون عندنا، وموظفون وتبرعات وما أدري ايش، ومع ذلك مع صدام حسين= فخسروا الخليج.

فهذا أول نجاح لهم أن خسروا الطرفين، الأمر الآخر أن الحملة السعودية كانت شديدة جدا، طبعا البيان الذي أصدروه روى لي عضو مجلس الشورى من قيادة الإخوان قال لي: كتبنا البيان وأرسلناه لقيادتنا المشايخ بالفاكس في السعودية فقرئ على عبد الفتاح أبو غدة فقرأه وأصلح ما يراه ثم أرسله لنا، فخرج البيان، فموقفهم كان بين القيادة السياسية والعسكرية في العراق والمشايخ في السعودية.

عند ذلك جاءت السعودية وضغطت على الإخوان المسلمين وقالوا لهم: ايش هذا البيان المخزي؟ لا نقبل إلا أن تصدروا بيانا لا عراق ولا كويت ولا يحزنون، نحن مع نظام التوحيد الأوحد على الأرض في خندق واحد ضد كل عدو مهما كان شكله، واستخدام الأمريكان شرعي ومشروع وأمر به الكتاب والسنة، فأخرج لهم عبد الفتاح أبو غدة بيانا فيه ذلك، وليس فقط ذلك، صارت المشكلة أنه كتب: ولم يصدر عني شخصيا أي بيان سابق، فكذّب كل القاعدين في الأردن والعراق، وطلعهم طراطير طلعوا بيان من وراء المراقب العام.

عند ذلك قالوا له: أنت مضغوط عليك بدك تكذب، بس ما تشتمنا، فانشق الإخوان بين السعودية والعراق، وكانت هذه بوادر الإنشقاق الرابع في الإخوان المسلمين، هم أخرجوه بحذاقة سياسية إخوانية

عجيبة جدا، عند ذلك خشية انشقاق الطرفين وبدأ التشاتم وعمليا هناك قياداتان ناس مع الخليج وناس مع العراق.

خرج فوزي حمد -سمعت أنه توفي، من قيادات الإخوان في السعودية من سنوات عديدة-، خرج وحل المشكلة، جاء وقال بعد أن اجتمع بحسن هويدي قال: قررنا أن على الإخوان المسلمين أن يؤيدوا سياسة كل بلد هم مقيمون عليها في حرب الخليج، فقال له شاب بسيط ولكن طلع فهمان بالسياسة أكثر من المراقب العام: أنا بس بدي أسألك سؤال واحد؟ قال له: نعم، قال: في سنة ١٩٨٠ كان مطلوب منا أن نأسف لفرعون واحد، ونحن في بيوتنا وندرس في مدراسنا، فقلتم لا نقبل فسوينا ما سوى، الآن كلامك معناه أن نأسف لـ ٢٣ طاغوت في ٢٣ دولة عربية نحن موزعون فيها.

هذا نتيجة أن الأخ انسلخ عن التفكير الأممي لقضية الإسلام والمسلمين، وراح يفكر في مشكلة جزئية صغيرة، ويا ريته طلع منها، ما طلع منها لا في الأولى ولا في الأخرى.

تجارب كثيرة يفكر فيها الإنسان بشكل إقليمي محصور، ونرجع إلى السودان، لأن تجاربنا مع السودان مميتة، الحكومة السودانية افتتحت خطا -والله لا أدري هل كان هذا طبيعيا أم مفتعلا- افتتح خط الخرطوم -كراتشي مباشرة ولأول مرة، طيب هنأخذ بحسن النوايا، القنصل السوداني في بيشاور وإسلام آباد كان يجوب على كل المجاهدين العرب زرافات ووحدانا جماعات وأفرادا، ويحرضهم أن يذهبوا لدولة الإسلام والمسلمين التي فتحت في السودان، وكان من جملة الجماعات التي ذهبت للسودان الإخوة الليبيون، فقعدوا في السودان، وكذلك جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية وأبو عبد الله بن لادن والإخوة السعوديون، وبعض الأفراد ذهبوا وحدهم.

بعد ذلك ما الذي حصل؟

أول ما حصل كان على رأس الأريتريين، قبضوا على القيادة وسجنوهم، والذي استمر قبضوا عليه ووضعوه خلف الحدود، ومما حصل الضغط وترحيل الجماعة الإسلامية بعد عملية أديس أبابا، بعد ذلك

رُحلت جماعة الجهاد بأسوأ صورة، رحلوا الرجال فقالوا لهم: عندنا نساء، قالوا: لا نستطيع، قالوا لهم اليوم أخذ النساء ورجل مقعد بكرة يخرجوا للمطار أو نحملهم بسيارات الأمن.

الجماعة الليبية ضُغط عليهم حتى يخرجوا، وكان هناك مجموعة من خمسة أشخاص هربوا للحدود فقبض عليهم ووضعوا في سجن "كوبر" في الخرطوم، ثم فروا من السجن فقبضوا عليهم وأعيدوا إلى السجن ووكل لهم محامي، ثم جاء الجبير النائب الأول للرئيس السوداني والذي هلك في حادثة الطائرة الأخيرة، فأخذهم ليلة عيد الفطر قبل السابق وهم في يده للإعدام هدية معه في نفس الطائرة، فالإخوة سلموني أسماء الإخوة فلان وفلان وفلان وأعمارهم ومتى اعتقلوا وكيف والتفاصيل لكي نذيعها في المركز الإعلامي الذي كان عندي في لندن، فكل الإخوة نصحوني أنه سيحصل هجوم لأمريكا على السودان ولن يفهم أحد أنك تدافع عن المسلمين، وإنما تهاجم السودان في نفس وقت الهجوم الأمريكي، فقلت لهم: أما رأيي أنا، فإن هؤلاء الذين سُلموا للقتل فلهم علينا حق أهم بكثير من تحليلاتنا السياسية، من يقف مع هؤلاء في مصيبتهم؟! يقول لك أن سُلمت وقتلت، ايش بدي الآن في المصيبة الدولية؟

وبعدها بأسبوع أرسلوا لي على الهاتف أسماء ثمانية من "الاتحاد الوطني الإسلامي" الذي يقاتل الحكومة في تشاد، واللي كل الإسلاميين داخلين فيه، سلمت الحكومة السودانية لتشاد ثمانية ضباط من مرتبة رائد إلى ملازم، ثلاثة منهم على عجل بالطائرة لحاجة الحكومة الشديدة للتحقيق معهم، والباقي برا.

ثم تعرفون الذي حصل من قصة الشيخ أسامة.

هذا لو أخذناهم واستعرضنا هكذا وما أردنا أن نسيء الظن، ونقول ليش ترتبت عملية الدعم بهذه الطريقة والوليمة المفتوحة ثم عملية الإخراج.

على ظاهرها الناس في السودان يفكرون من هذا المنطلق، شكل المصلحة الإقليمية المتحققة لهم، فيريد أن ينصر الإسلام والمسلمين ولما تقوم دولة الخلافة في السودان تطلعون، جاء مسئول الاستخبارات بتاع الجبهة جبهة الترابي مع ضابط الأمن للإخوة الليبيين وقال أمهلك تخرجوا ومعكم ٤ أيام، وهذه القصة أصبحت مشتهرة معروفة، فقال له الأخ: كيف نخرج؟ قال له: كل الناس خرجت، قال له: كل الناس

خرجت .. نحن جئنا إلى هنا عبر وليمة استمرت ٤ سنوات تعالوا تعالوا، فنخرج في ٤ أيام؟ نحن لا نخرج في ٤ أيام، ولو أكرهتني أن أخرج في ٤ أيام سيسجل في تاريخ السودان يوم أسود اسمه يوم خروج الليبيين، نخرج ولكن نخرج بالراحة.

الشاهد بدون تفاصيل، أن هذا كان يفكر بهذه الطريقة لو أحسنا الظن، يفكر بطريقة أن عنده مصلحة سياسية، فلهذا سميت حركة الترابي أصلا الجبهة القومية السودانية، وكلمة القومية عند كل أهل السودان وأنا سألت فيها لا تعني القومية العربية، تعني القومية السودانية، الجبهة القومية السودانية تعني الخاصة بحدود السودان، بعد ذلك يُضرب بعرض الحائط كل المباديء الأممية وبكل المنهج الأممي وبكل الدين الأممي.

فأقول هذا إذا كان البلاء مستشريا في كل الجماعات الإسلامية، فهو للأسف مستشر وإلى حد بعيد ضمن التيار الجهادي أيضا، هناك كثير من أبعاد التفكير القطري على حساب التفكير الأممي، فنريد أن نقول أن هذا مما يجب أن نتخلى عنه، ونفكر بطريقة شاملة.

لو فتح الله على قطعات لابد أن تحسب حسابها أن لها معركة أممية أخرى، وأن عندنا جبهات أخرى، وكأننا في نفس البلد.

يقول:

[**وفي نهاية العام ١٩٤٩، فقد الفرنسيون المبادرة، التي انتقلت إلى الفييتمينة، واستطاع الثوار شن هجوم محدود بخمس عشرة كتيبة، لاحتلال دلتا نهر توكين في مرتفعات (التي) العالية.**

وفي الربيع وقع هجوم أشد اتساعاً أدى إلى احتلال دفاعات وادي (النهر الأحمر) وعندما أتى الصيف، كان كل الجزء الشمالي الشرقي من تونكين قد تحول إلى قلعة فيتنامية. ووقع ما كان من الواجب توقعه، إذ بدأت الضغوط السياسية في فرنسا].

انتبه هنا إلى أثر عملك على ضعف الجبهة الداخلية للعدو، وهذا سنستفيد منه في وضع أمريكا والغرب، لأن وضعهم متفتت جدا، والإخوة الذين أقاموا في الغرب يعرفون هذا الموضوع.

[وفي آب ١٩٥٠، أمرت حكومة باريس بإنقاص قوات الهند الصينية بمقدار تسعة آلاف رجل، مبرهنة بذلك عن جهلها التام للحقائق العسكرية. وتجاوب المجلس الوطني الفرنسي (مجلس النواب) مع الشعور العام في البلاد والمناهض للحرب، فطالب بألا يرسل جندي من المجندين لخدمة العلم إلى الهند الصينية، أي أن ما يجري فيها يجب أن يتم بعمل جهاز الشرطة، ويُنفَّذ من قبل الجنود المحترفين، وخاصة أفراد الفرقة الأجنبية، ووحدات المغاربة، ووحدات أخرى غير فرنسية].

يقصد بـ (المغاربة) كل أهل شمال أفريقيا، الغريب أن المعركة الأساسية بين روميل ومونتجمري كانت بأهل شمال أفريقيا من طرف الحلفاء والمستعمرات الألمانية من طرف الألمان، وقُتل فيها فقط ٩٠٠ جندي من الأوروبيين، وكانت الكتيبة الأساسية التي أحرزت النصر هي المغاربة.

فنحن في تحولنا –على اصطلاح أخينا– إلى بغال نقضي حاجات الآخرين، لنا في ذلك سلف عريق ما هي أول مرة، ما أول مرة نحمل مهام الآخرين، عندنا سلف عريق جدا طويل عريض.

في الملاحظة ١١٧: هذه الضغوط الداخلية على العدو تؤثر في بنيته السياسية داخليا في بلده، ووجود معارضات وتناقضات سياسية والأقليات والأعراق.. إلخ، للذي يعرف بنية أوروبا.

فهذا يجب أن نستفيد منه ويجب أن نحسب حسابها ونسعرها، وأظن إذا وفقنا الله ممكن نكون قد ابتكرنا شيئا وأضفناه إلى حروب المستضعفين لم يسبق أن مارسه أحد، كما قلت البارحة.

الله عز وجل وصفهم (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة)، فلما تكثر خسائرهم البشرية مباشرة سترتفع الضغوط أن: يكفي، ليس لنا ناقة ولا جمل في هذه الحرب.

ومن ناحية اقتصادية، تجدهم أحرص الناس على دنيا أصابوها، ودنياهم التي أصابوها للذي عاش في الغرب فعلا دنيا ليس سهلا أن تبكي عليها، يعني احنا الدنيا اللي عندنا أصلا نتخلى عنها سهل الواحد يبكي عليها، الدنيا اللي عند الغرب مش سهل لصاحبها الذي أعددها أنه يبكي عليها، حالة الرفاة والتمدن والنظام والنظافة والغذاء، أن تخرج مسيرة في السويد لانخفاض نسبة الدسم في الزبدة!

تمشي الآن على المجمعات الكبيرة لشبكات الطرق، وفي قسم كبير منكم كان عايش في أوروبا يعرف هذه القضايا، مش فقط جسور، مش فقط محطات وكافيتريا ومطاعم إلخ، على كل ميل تجد تليفون لمن ينقطع بالسيارة ليخبر من يأتيه بالبنزين، فلا ينقطع لأكثر من مسافة ميل، في بريطانيا وجدت أن اللوحات على بعد نصف ميل، يعني كل مسافة على بعد نصف ميل عندك إمكانية.

هذه الدنيا التي ارتاحوا فيها، الناس وصلوا إلى حد غير مستعدين إلى التضحية مش بالأنفس، ليسوا مستعدين بالتضحية ببعض الرفاهية التي حصلوا عليها، كل الفقراء يحصلون على مساعدات اجتماعية، كل العاطلين على العمل، المرأة إذا حملت أجنبية ولا من البلد، من الشهر السادس تأخذ فلوسا على الجنين، ولما يولد تأخذ عليه أيضا، نظام في كثير من هذه الدول.

هذا الوضع أتى نتيجة شلالات الأموال التي صُبت عليهم من مستعمرات العالم الإسلامي وغير العالم الإسلامي، المكتبة الوطنية لجامعة الدراسات الشرقية في لندن من أعظم المكاتب قلعة، ذهبت أطلب كتبا عن الجزائر، فطلبت من الكمبيوتر أن كام كتاب عندك لشمال أفريقيا فطلع رقم ظننته خطأ، فطلبته مرة أخرى فطلع رقم بـ ٣٠ ألف كتاب في كل اللغات، فقلنا نخصص قلنا باللغة العربية، فظهر ٥ آلاف كتاب، فقلنا له عن الجزائر، فظهر ٣٠٠ كتاب، وين موجودة؟ فأعطانا المكان على الخريطة بالكمبيوتر، مكتبة عظيمة جدا كلها عن الجزائر فقط باللغة العربية.

هذه المكتبة طبعا أخرجت منها الاتفاقيات وكل اللازم للبحث، المهم الشاهد انخفضت ميزانية المكتبة فتبرع خادم الحرمين الشريفين في سنة ١٩٩٥ بمليون جنيه استرليني لدعم المكتبة.

الشاهد كلام طويل عريض لوصف حالة الغرب، أتركه إن شاء الله لبحث حالة المسلمين في الغرب بكل تفصيلات المشكلة.

أقول: هؤلاء الناس ليسوا مستعدين، الأحزاب الحاكمة تتنافس مع المعارضات ظاهريا على الديموقراطية، كيف تقول أمام الناس أنها جديرة بالحكم؟ لابد أن تقنعهم بالمكاسب، يعني برغد العيش، فتستخدم كل معارضة ضغوط الحرب القائمة على حكومة البلد القائمة بأنها بذلك تدمر مكاسب الناس، وتبدأ الفضائح السياسية والضغط والإعلام المسيطر هناك.

لما قُتل واحد من الجنود الإسبان في حرب الخليج، كان أول قتيل للغرب، أن هناك صاروخ يدور بشكل هيدروليتيكي فهذا الجندي مش منتبه فضربه الصاروخ على رأسه فقتله، في إحدى السفن الإسبانية، الحكومة كلها رئيس الحكومة والوزراء ووزير الدفاع ذهبوا إلى القرية التي يتبعها هذا الجندي الجربان الذي لم يكن أحد يسمع به، وعزوا الأهالي، وأظهروا للرأي العام أنه لم يكن هناك قتلى آخرون ولم يكن هناك مشاكل، وأن القضية خطأ تكنولوجي.

فتصور هذا جندي صار كل هذا له في الإعلام، فتتصور لما تبدأ مئات القتلى تأتي إلى هذا المجتمع.

وهذا حصل في فرنسا، في معركة عجيبة جدا آلاف القتلى والجرحى، المجتمعات الغربية لما كانت مجتمعات عسكرية استعمارية، هذا كله في ١٩٤٥ و١٩٤٦ لما كانت المجتمعات عسكرية استعمارية مستعدة لهذه الأعمال= ومع ذلك لم تتحملها، وأُسقطت الحكومات، وأجبر ديجول على استقلال الجزائر بضغط داخلي، ولما تمرد العسكريون الجيش الآخر بزعامة الجنرال هذا الذي لم يكن يريد أن يعطي الجزائر استقلالها، خرج ديجول وقال إذا أردتم فأنا أستقيل، ولما جاء الطيران الذي يحمل الضباط هؤلاء الناس في باريس حتى يُسقط ديجول خرج الشعب الفرنسي وتمدد على مدرجات الطائرات نصرة لديجول، ومنع العسكريين الآخرين من فعل شيء، وكان الكل واقفا مع ديجول في استقلال الجزائر، لس حبا في الجزائر ولا الجزائريين، ولكن لم يعودوا يتحملون القتلى.

فيتنام قصة مشهورة، وما أحدثت في المجتمع الأمريكي تغني عن التفصيل، لما سُحل طيار في الصومال وأخرجت وسائل الإعلام شكله عاريا يُسحل في الشوارع تتقطع أعضاؤه، فعند ذلك صار ضغط في الكونجرس وقالوا لكلينتون: لا نريد صومال ولا صوماليين، ارجعوا.

أقول هذا ليس سببا حتى نفرح كثيرا، لأنه كانت الأغراض الاقتصادية في نهب جبال اليورانيوم من جنوب الصومال قد أتمت، فهم نقلوا جبالا برمتها، وقال بعض الإخوة: كان هناك مناطق فيها جبال، مررنا لها وليس بها جبال.

إسبانيا نقلت سلاسل جبلية من الفضة من بوليفيا وجنوب أمريكا، حتى تعرف أن قتال وجهاد كل أمة ماذا يدر عليها من الأموال، وما بقي منها أخذته أمريكا.

حكى لي شخص كنت التقيت به في معرض تجاري كنت أبيع فيه كان عندي دكان، فقعدت معه، كنا في مدينة على الشاطيء الإسباني على المحيط الأطلسي، نفس السبب كساد وقاعدين نتكلم في السياسة، فاكتشفت أن الرجل كان أبوه يخبيء جيفارا في ثورة بوليفيا في بيته، فحكى لي عجائب عن الإمبريالية الأمريكية وما فعلته في جنوب أمريكا لا يذكر معه ما فُعل بالمسلمين.

قال لي: كانوا يريدون أن يبنوا سدا، فأسقطوا الحكومة وأخرجوا حكومة أخرى من أجل بناء سد، فعملوا السد وفتحوا مدرجات طائرات لحمل الطائرات الأمريكية من أجل مساعدة الشعب البوليفي على بناء السد، فلما انتهت الأمور قالوا أن السد غير مناسب فألغي السد وألغيت المدرجات، واكتشفوا بعد ذلك أن هناك أنفاقا نُقل منها كميات هائلة من اليورانيوم، الإسبان أخذوا ما فوق الأرض، وهؤلاء قلعوا ما تحت الأرض، فوجدت أن تكتيك الأمريكان عجيب جدا.

اكتشفوا سراديب كانت قائمة بين دير الراهبات الإسبان في الأرجنتين في القرن الخامس عشر والسادس عشر والكنائس التي كان يقيم فيها الرهبان، وهذه السراديب على طرفيها مقابر جماعية يئدون فيها الأولاد الذين جاءوا من الزنا، وذكروا في التاريخ أن كاردينالا كان يحبس عنده ٥٠٠ امرأة من أجل تغيير الجنس

البشري في أمريكا اللاتينية، عامل عليهم ديك تلقيح فقط، لأنه أنجب ألفين ولد خلال فترة خدمته في الكنيسة، ولذلك تجد الشعب في شمال أمريكا اللاتينية أُبيد الجنس الأصلي.

هذه الحكومات في زمنها الاستعماري كانت قادرة على أن تضحي وكانت قادرة على الكسب، والآن لا الكسب مثل الماضي، ولا هي تتحمل التضحية وشعوبها مرفهة، الآن حسب نظرية ابن خلدون مضى الجيل الأول العسكري الذي أقام الحضارة، ومضى الجيل الثاني الذي ترفه بهذه الحضارة واستمتع بها وفهمها، وجاء الجيل الثالث الذي لا عصبية فيه ولا نخوة ولا قدرة على القتال ولا استعداد للتضحية.

فهذه التناقضات السياسية والاقتصادية والاجتماعية يفهمها من عاش من الإخوة في الغرب، وتحتاج إلى بحث مفصل لأنها ثغرات نستطيع أن ندخل منها، أنا كنت في فرنسا أدرس اللغة الفرنسية استعدادا للجامعة، لما حصل المعروف في أمريكا ولبنان وقُتل الفرنسيون، ٢٦٥ جندي مظلي فرنسي، وقدرا سبحان الله كنت ساكن في بيت ضابط مظلي فرنسي، ولما فتحنا التلفزيون نشاهد خرج واحد أخ لقتيل شتم الحكومة الفرنسية وقال لهم: نحن لا حقوق إنسان ولا شيء، أنتم ذاهبون لتجارة الأسلحة، تريدون أن تصدروا أسلحة لدول العالم الثالث، وفضح الدنيا والكاميرات تتفرج عليه كيف يسخر من الحكومة الفرنسية، والرأي العام كله قالوا لا نريد تورط فرنسا وانسحبوا، فانسحبت فرنسا وانسحبت أمريكا.

فهذه الضغوط الاجتماعية هي أعمال فرعية جزئية حصلت في بلادنا، فلو حصلت جيدا وفي كل العالم الإسلامي وليس في منطقة الشرق الأوسط فقط، واستطعنا أن نمدها إلى خلف خطوط العدو= لأحدثنا مجازر ليس بالثلاثة والأربعة والخمسة، وإنما يعني نستمد أرقامها من الكوارث الطبيعية، في انفجارات في سيول في سدود في مصائب في جسور، في أسلحة إذا استخدمت تحدث حسب استخدام السلاح وحسب مكان الهدف وحسب تجمع السكان، تحدث آثارا اقتصادية واجتماعية وبشرية لا يمكن بحال من الأحوال أن يحتملها الغرب، فتنسحب تلك الدول من المعركة.

ألفت النظر إلى هذا الكلام من هذه النقطة التي قال فيها أن الحكومة خفضت الجنود وهم يتعرضون إلى هجوم معاكس وبهدلت الدنيا: (وفي آب ١٩٥٠، أمرت حكومة باريس بإنقاض قوات الهند الصينية بمقدار تسعة آلاف رجل، مبرهنة بذلك عن جهلها التام للحقائق العسكرية. وتجاوب المجلس الوطني الفرنسي (مجلس النواب) مع الشعور العام في البلاد والمناهض للحرب، فطالب بألا يرسل جندي من المجندين لخدمة العلم إلى الهند الصينية، أي أن ما يجري فيها يجب أن يتم بعمل جهاز الشرطة، ويُنفَّذ من قبل الجنود المحترفين، وخاصة أفراد الفرقة الأجنبية، ووحدات المغاربة، ووحدات أخرى غير فرنسية) والآن سترى النتيجة العسكرية للقرار الفرنسي.

يقول:

[ونتج عن ذلك طبعاً وهن جديد للجهد (العسكري)، وهجوم فيتنامي جديد. وانقطعت سلسلة من حاميات تونكين الغربية عن قواعدها، ووقعت مجموعة مؤلفة من ٣٥٠٠ مغربي، و ٢٦٠٠ جندي من جنسيات أخرى من المظليين و ٥٠٠ مدني]. بس دول ما كان عندهم مفتين يفتون بحرمة قتل المدنيين الفرنسيين.

[في كمين أسفر عن إبادة المجموعة، كما أبيدت ٣ كتائب أُرسلت لمساعدة المجموعة].

على التقدير الغربي الكتيبة ٥٠٠ جندي يعني حوالي ١٥٠٠ جندي أبيدوا أيضا، قلنا نتيجة قرار سياسي أحمق بتخفيف الدعم العسكري عن الهند الصينية.

هنا ذكرت وقفة صغيرة جدا، أقول: لاحظ كيف يُستخدم المسلمون ومنذ قديم الزمان، وليس فقط الأفغان العرب والبوسنويون العرب وبورما العرب وإلى آخر قائمة العرب.

ولكن هؤلاء الناس الآخرين كان حالهم أحسن من حالنا، هؤلاء الناس خرجوا في جيوش الغرب فقط وكانوا مجندين مرتزقة بالمال، لا هو طالع عقائديا ولا يظن أنه يرضي رب العالمين في هذه المعركة، مرتزقة فقراء عذرهم مفهوم معروف عندنا يعني ولا يبرر لهم، رغم أن علمائنا في ذلك الزمان في تونس أفتوا بكفر من يتجند في القوات الفرنسية وأفتوا بكفر من يحمل الجنسية الفرنسية ويأخذها وهو ليس محتاجا إليها، ولكن ماذا تقول الآن عن عمليات السخرة التي نقوم بها؟ لنا وقفة معها إن شاء الله فيما بعد.

نعود فيقول:

[وقد كتب (برنارد فول) في (الفيتناميين) :

(في نهاية شهر تشرين الأول ١٩٥٠، أضحى النصف الشمالي من فيتنام كله تقريباً معقلاً للفييتمينة، لا يمكن للفرنسيين اختراقه – استثناء إغارة قام بها المظليون على (لانغ سون) في تموز ١٩٥٣.

(وعندما انقشع الدخان، كان الفرنسيون قد عانوا أكبر هزيمة استعمارية لهم منذ موت (مونكالم) في كيبك].

يقصد ما حصل لهم في كندا في مقاطعة كيبك.

[إذ فقدوا ستة آلاف رجل، وثلاث عشرة قطعة مدفعية، ومائة وخمسة وعشرين هاوناً، وأربعمائة وخمسين شاحنة، وثلاثة فصائل من المدرعات، وتسعمائة وأربعين رشاشاً، وألفاً ومئتي رشيشة، وأكثر من ثمانية آلاف بندقية، وتركوا مستودعات كافية لإعداد فرقة فييتمينة كاملة)].

يعني تركوا أسلحة وذخائر تكفي لتجهيز جيش من ١٢ ألف جندي.

[(وعندما فقد الفرنسيون حرب الهند الصينية، وكان استمرارها بعد ذلك أربع سنوات، دليلاً على قصر نظر السلطات المدنية، المكلفة باستخلاص النتائج السياسية من موقف عسكري يائس. أما العون الأمريكي –الذي ظهر في حزيران ١٩٥٠ بعد اندلاع الحرب الكورية، على شكل سبع طائرات نقل– فلم يكن ليغيّر أبداً من نتيجة النزاع)].

لاحظ هذه القضية الآتية لأنها ليست في صالح الثور ومفيدة لنا لأنها أخطاء تتكرر، ونقف عندها:

[إلا أن القرار الذي اتخذه الجنرال جياب بشكل سابق لأوانه في نهاية نيسان ١٩٥٠، وقرر فيه القيام بهجوم عام، أدى إلى إضعاف تقدم الفييتمينة. إن تلك المحاولة لدخول المرحلة الثالثة الحاسمة من حرب ماو الثورية (الهجوم الاستراتيجي)، قبل نضوج الموقف كلفت الفييتمينة غالياً.

فخلال معركة واحدة في دلتا النهر الأحمر، في يومي ١٦ و ١٧ كانون ثاني ١٩٥١، فقد جياب ستة آلاف رجل. وفي آذار ١٩٥١، انهزم من جديد، عندما أراد الاستيلاء على ميناء هايفونغ، كما أخفقت أيضاً محاولة ثالثة في حزيران.

وركّز الفييتمينة جهودهم بعد ذلك بتعقل].

لاحظ الثمن الذي دُفع للوصول إلى (بتعقل).

[وركّز الفييتمينة جهودهم بعد ذلك بتعقل على أهداف تسمح بتحقيق نتائج أفضل، وخاصة السيطرة على الهضاب المرتفعة، حيث لا يمكن للفرنسيين التدخل بمدفعيتهم أو طيرانهم أو مدرعاتهم، بل كان عليهم أن يقاتلوا بالشروط التي حددها الفييتمينة لهم.

وكـان علـى الفرنسـيين مواجهـة معضـلتين أساسـيتين: الأولـى عسـكرية، وتتمثـل فـي عـدم كفايـة القوات، والثانية سياسية، وتتمثل في عدم الحصول على دعم الوطن الأم. وتفاقمت المعضلات بسبب الضغوط الديبلوماسية. وبقيت استراتيجية الفييتمينة مرنة، في حين حافظت الاستراتيجية الفرنسية على جمودها، وهذا ما جعل الحملة تجر نفسها غالباً في وضع غير متوازن.

ونتيجة لنقص القوات، كانت الحملة تسيطر بضعف على أقاليم شديدة الاتساع، وتقاوم بشكل سيء الضربات الموجهة من الفرق الفيتنامية المركزة. وعندما كانت الحملة تتجمع للقيام بالهجوم وأخذ المبادرة في قطاع، كان ثوار العصابات يمارسون نشاطهم في مكان آخر، لإجبارهم على التفرق من الجديد. ومن جهةأخرى، وبسبب استراتيجيتهم السياسية والعسكرية، استطاع الفييتمينة الحصول على نجاحات كبرى، عن طريق ممارسة الضغوط، السياسية والنفسية على العدو].

فسُخّر العمل العسكري من أجل إثارة ضغوط وصفها بأنها سياسية ونفسية.

[ويوضح اجتياح لاووس من قبل جياب، وفي بداية ربيع ١٩٥٣، هذه النقطة بشكل جيد. فلقد قام به بواسطة ثلاث فرق معززة بزهاء ٤٠٠٠ من الباثيت لاو ضد ٣٠٠٠ فرنسي، يدعمهم جيش لاووسي يضم عشرة آلاف رجل. وحتى لا يضحي القائد الفرنسي بحامياته الحدودية الضعيفة، أمرها بالانسحاب، على ألا تترك إلا كتيبة واحدة للعمل كمؤخرة. ولم يبق على قيد الحياة من هذه الكتيبة، إلا أربعة رجال. وعندما هوجمت إحدى هذه الحاميات أثناء انسحابها، فإنه لم يعد منها إلا ١٨٠ رجلاً من أصل ٢٤٠٠ رجل].

تذكر كلام ماوتسي تونج عن المرحلة الثالثة: (نهاجم ليس لتحطيم القوات، وإنما لإبادتهم)، وذكرنا قول الله تعالى (حتى يثخن في الأرض).

[وقد استطاع التعزيزات، الآتية من فيتنام عن طريق الجو، إيقاف الاجتياح على سهل (الجرار). لكن ذلك أوجب أخذ الاحتياطات من قطاع العمليات الرئيسية، واستنفار كافة وسائل المواصلات الجوية لمدة من الزمن، ولقد تم صد الفيتناميين، لكنهم اعتبروا أن الحملة لم تكن جهداً مبدداً.

ويعلن كاتزنباخ: (إن نتائج هذه العملية، مع أنها لم تبلغ كافة غاياتها. كانت مماثلة لنتائج انتصار كبير، ونادراً ما حُققت أشياء عظيمة بمثل الوسائل القليلة.

والأمر الأكثر غرابة في العملية، والذي لم يؤخذ في الاعتبار إلا بعد فوات الأوان، هو أنها كانت منذ البداية مناقضة للمثل القائل: من لا يخاطر بشيء لا يخسر شيئاً. فلم تكن هنالك أية مخاطرة عسكرية حقيقية، وكانت العملية مضمونة بمقدار ضمان نجاح غزو التيبت من قبل الصين.

ومع ذلك، فإن الشيوعيين بغزوهم الذي استمر ثلاثة أسابيع، حصلوا على النتائج التالية:

١. نشروا الرعب لدى السلطات العسكرية والمدنية في الهند الصينية وفي فرنسا.

يعني (فشرد بهم من خلفهم) الناس اللي قاعدين وراء.

٢. أجبروا قوات الدفاع على تمديد خطوطها بشكل أطول.

٣. زادوا من حدة مطالب الاستقلال السياسي في لاووس وكمبوديا.

يعني أثيرت مشاكل في الدول المجاورة، كما حصل الآن من إثارة شعور الاستقلال عن الروس في القفقاس، نتيجة ما حصل في الشيشان.

٤. خلقوا موقفاً زاد من نفقات فرنسا بمقدار ستين مليوناً من الدولارات.

٥. جعلوا الولايات المتحدة تخسر حوالي ٤٦٠ مليوناً من الدولارات من عونها الخارج)].

الذي لم يذكره أن هذا العون كان لتورط الأمريكان بعد الفرنسيين بعد ذلك في المصيبة، لأنهم بغبائهم ظنوا أنهم سيرثون شيئا سهل الوراثة، ولم يتعظوا بتجربة فرنسا.

نقف هنا من أجل بعض المداولات، فإذا كان أحد جاهزا فليتفضل:

الأخ: سؤال عن دخول الأمريكان لفيتنام. ما الذي شجعهم لدخول هذه الحرب وعدم وجود عبرة من الفرنسيين؟

الشيخ: نعم، عندي فقط الجشع والاستعمار والأمريكان كان لهم عندهم نزوع لاحتلال الطرف الكوري، فظنوا أن وجود قواعد عسكرية لهم أفضل وضعا من الوضع الفرنسي، إلا أنهم كما قالوا أن الروس لو قرأوا التاريخ الإنجليزي الاستعماري لم يدخلوا أفغانستان، ولكن يبدو أن هذه القضية تتكرر.

الأخ: لماذا لم يتطرق الكاتب إلى دور الاتحاد السوفييتي في مساعدة فيتنام في مرحلة الاحتلال الفرنسي؟

وما مدى استفادة حرب العصابات هناك من دعم الاتحاد السوفييتي؟

الشيخ: أريد أن أسجل السؤال: لماذا لم يتطرق الكاتب إلى دور الاتحاد السوفييتي في مساعدة فيتنام في مرحلة الاحتلال الفرنسي؟

وما مدى استفادة حرب العصابات هناك من دعم الاتحاد السوفييتي؟

الأخ: الوجود الأمريكي هو الذي أدى إلى تدخل السوفييت.

الشيخ: الحقيقة بالنسبة إلي أول مرة أعلم ضمن معلوماتي أن الاتحاد السوفييتي ساند الفيتناميين في مرحلة القتال ضد الفرنسيين، أنا أعلم عنه فقط في مرحلة الأمريكان، لو أخونا عنده شيء يعطينا فكرة عن هذه المرحلة.

الأخ: .. ..

الشيخ: أخونا سال أكثر من سؤال، يعتقد كثير من الشباب في الحركة الإسلامية أن حرب العصابات لا يمكن أن تنجح إلا بدعم قوى خارجية، ويستدلون بكل الثورات التي خرجت في الخمسينات والستينات والسبعينات، الشيوعيون المدعومون من الاتحاد السوفييتي والصين ونجحت، والمسلمون ليس عندهم الدعم الخارجي، فلا يمكن أن تنجح حروب العصابات الخاصة بهم إلا بدعم خارجي، فايش ممكن نعمل؟

الأخ: .. .. ..

الشيخ: أخونا جزاه الله خيرا أعطاني شاهدا في هذه الفكرة، أن كل شيء موجود في توجيهات هذا الدين، في الكتاب والسنة، وأذكر مثالا طريفا فقط لتوضيح المسألة، أن أحد الدعاة في تونس كان يقول أن كل شيء في الإسلام، فقال له رجل حلواني من البلدة أريد أن أسالك: شوال من الطحين كم يصنع من كذا؟ قال له: الأسبوع القادم أجيبك، فجاء له على درس الأسبوع الجاي فقال له الرجل: وجدت في القرآن ما سألتك؟ فقال له: وجدت في القرآن (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) فذهبت لواحد حلواني فسألته كم يطلع؟ فقال لي كذا.

فهذا المثال مع أنه مثال فكاهة إلا أنه مليء بالفقه فعلا، أن هذا القرآن يعطينا توجيهات عامة، ومن التوجيهات العامة (قل سيروا في الأرض فانظروا) شوفوا العبر، شوفوا الناس، أكاد أجزم لك بالقطع، السيرة ذكرت أن الرسول عليه الصلاة والسلام حُصر في المدينة فجاءوا اختلفوا ناس قالت نخرج وناس قالت نبقى،

فجاء سلمان الفارسي فحدثهم عن الخندق، ولكن أنا المتأكد منه أن هذا أخذ جهدا عسكريا كبيرا، أنه ايش الخندق؟ كيف تعمله وتسويه؟ النماذج عن نجاح خنادق؟ جدل عسكري، وأكيد عملوا جلسة عسكرية عن الخندق، مثل هذه الجلسات التي يعملوها عن أسلحة حروب العصابات.

وما أحد قال للآخرين أن هذا يمس العقائد ويجرح القضية، في الوقت الذي كان الرسول عليه الصلاة والسلام ينكر على عمر بن الخطاب ما رآه معه من صحف التوراة وفيها كلام الله، فهذه قضية عقائد وقال له: "لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا اتباعي"، ولكن هنا فاصلة كبيرة جدا بين هذا الموضوع والموضوع الآخر، إضافة إلى أن الإسلام كان حريصا على الحفاظ على القرآن حتى تأخرت كتابة الحديث، ولم يدون إلا القرآن أولا، ثم دون الحديث لما بدأ علماء الحديث يموتون.

الشاهد أن حرب العصابات لها مقومات كثيرة من النجاح، فمن مقومات النجاح لما تدرسها وجود دولة صديقة مجاورة تفتح خطوط الإمداد، خاصة في عملية البدء من مناطق محررة، ولكن عدم وجود هذه القضية لم يمنع حرب العصابات ولا أنهى تكتيكات حرب العصابات ولا أنهى القواعد التي شرحناها.

نقول أن المنطقة المحررة من شروطها وجود جبال، طيب إذا لم توجد جبال خلاص الناس تنتظر تسوي جبال حتى نقيم منطقة محررة، فلابد أن نفهم المعطيات الموجودة في المنطقة، هناك ظروف مثالية تنجح بها حرب العصابات إذا توفرت بإذن الله، وهناك ظروف صعبة تفشل حتما حرب العصابات، وبينهما ظروف ينقصها بعض المقومات فأنت تحاول أن تكملها.

يعني في بعض الدول لا أريد أن أذكر أمثلة، أقول: ليس هناك مجال لنجاح حرب عصابات فيها، وعلى الإخوة أن يتحولوا تحولا إقليميا، يخرجون من هذه الدائرة.

فهناك ظروف بينهما، وبالاعتماد على الله سبحانه وتعالى تكمل المقومات، ونحن لا نقاتل إلا بهذا الدين، لما عبد الله بن رواحة رأى جموع الروم قيل ٢٠٠ ألف وهم ثلاثة آلاف، فاهتزت معنويات الناس فبدأ يذكرهم بما يجب أن نذكر به أنفسنا: المنطلقات الأساسية التي ننتصر بها، ثم قال لهم: إن الذي خرجتم من أجله قد حضر، أنتم طلعتم تلاقوا الله سبحانه وتعالى طيب قد حضر لقاء الله، فهناك

معنويات لابد أن نذكر بها الناس أننا لا نقاتل إلا بهذا الدين، ولا نقاتل إلا بهذه العقائد، وشعوبنا شعوب مستضعفة، وعندنا كل مقومات حروب العصابات، وأهما ضجيج السكان، والمسلمون بأكلمهم تحت الظلم والكفر إلخ، فعندنا فرص متفاوتة من بلد إلى آخر أن نقوم بحروب عصابات.

أما دعم الاتحاد السوفييتي والصين والقوى الشيوعية لحروب العصابات فقد كان موجودا، ولكن أكاد أجزم لك قطعا بأنه ليس السبب في نجاح الحروب التي نجحت.

الحروب التي نجحت= نجحت لأن النصر تنزل على ناس يستأهلونه بمقاييسهم، نُصروا على عدوهم وهم ضعاف وعدوهم شديد، فكان سببا ولكن لم يكن السبب الأساسي والله أعلم.

الأخ: هل هناك من نجاحات في المسيرة الجهادية؟

و السؤال الثاني: بالنسبة لأفراد حرب العصابات، كما ذكرتم سابقا الاعتماد يكون على التوجيه المعنوي أكثر من الإعداد العسكري، فهل هذا ينطبق أيضا على قيادات جماعة حرب العصابات؟

الشيخ: السؤال الأول يقول: ما نناقشه هنا كانتكاسات عند الجهاديين هو مسجل في دروس العدو انتصارات، والحقيقة هي عبارة بليغة جدا، هل هناك من نجاحات في المسيرة الجهادية؟ هذا سؤال.

سؤال أخينا يجب أن ننتبه إليه بين اللحظة والأخرى حتى لا تتحطم معنوياتنا، فقد يقول قائل: انتكسنا في سوريا، انتكسنا في مصر، انتكسنا في الجزائر..

أقول جزاه الله خيرا أخانا أن نذكر بهذا بين فترة وفترة، روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، إلى الانتصارات التي أحدثناها في المسيرة الجهادية، وهي كثيرة جدا.

الأمر الآخر: لماذا نحن نركز على السلبيات؟

التركيز على السلبيات والانهزامات فيها دروس مهمة جدا، وذكرت في كتاب "التجربة السورية" أننا يجب أن نعي دروس الانهزام، لأن الظروف التي تؤدي إلى الانتصار قليل ما تتكرر، والظروف التي تؤدي إلى الانهزام هي غالبا التي تتكرر، والانتصار يكلف شيئا من الضحايا، ولكن الهزيمة تكلف عشرات الأضعاف من هذه الضحايا.

فنحن نريد أن نركز على هذه القضية، لأن الإيجابيات أمر معروف متداول فيما بيننا، بل إن بنية النظر العامة للجهاديين أننا بخير، نحن أحسن من غيرنا، عقائدنا سليمة، حملنا السلاح، تجاوزنا كل أمراض الإخوان المسلمين والقاعدين، يعني:

أعز بني الدنيا، وأعلى ذوي العلا *** وأكرم من فوق التراب ولا فخرُ

ثم تنظر لواقعنا فتجد أن عندنا سلسلة من النجاحات العظيمة جدا، بمجموعها طلعت النتيجة فشل ذريع، حتى أنا كنت أقول لهم أن الإخوة الجهاديين كشفوا عن حقيقة في الرياضيات ما عدّت على فيثاغورس وهي أن كل أخ لوحده رقم عظيم، تجمعهم بيطلع صفر، ما عندك في الرياضيات أن أرقام تجمعها تطلع صفر إلا عندنا، كل واحد جيد، تجمعهم بيطلعوا كوكتيل ليس بجيد.

فأحببت أن أضع يدي وأركز الجهد الأساسي على موضوع النقد الذاتي بغية الانتباه له، أما وقد ذكر أخونا: هل هناك من إيجابيات؟

فأقول: نعم، هناك إيجابيات كثيرة جدا جدا.

الإيجابية الأولى: كما قال أحد الإخوة سمعتها من أحد الدعاة في الجزيرة ينقل عن أحد الإخوة المجاهدين في بلاد الشام قال: كان يعذب حتى ينطرح، ويقرأ وهو يكرر لا إله إلا الله ولا يتشكى من التعذيب، فقالوا

له: طيب ارفق بنفسك، قال لهم: أردت أن يعلم الله سبحانه وتعالى، ويعلم هؤلاء الكفرة الفجرة أن في هذه الأمة مثل ما كان الأول.

فهذا نجاح عظيم جدا، هذا أهم النجاحات.

من أهم النجاحات أن تثبت للخصم أنه ما تزال هناك خلايا حية في جسد هذه الأمة الذي مات معظمه ونام الباقي، فيمكن أن تدب الحياة في باقي الجسد النائم فيستيقظ، ثم في باقي الجسد الميت فيحيي، والله سبحانه وتعالى قادر، والرسول عليه الصلاة والسلام قال: "إن أمتي كالمطر لا تدري أوله خير أم آخره"، رغم أن الناس تبقى في سوء نوعا وكما وكيفا، إلا أنه تأتي طوائف من الحق تثبت أن هذا الدين حي ويمكن أن يقدم النماذج والتضحيات، وهذا أكبر النجاحات التي حققتها الجماعات الجهادية.

النجاحات المعنوية عظيمة جدا وكبيرة جدا، ولكن حتى لو سألنا سائل أليس هناك من نجاحات مادية؟

أقول: هناك نجاحات مادية كثيرة، مخطط التطبيع برمته نُسف في أربعة انفجارات، وكتبها عبد الباري عطوان وهو رجل قومي فيه شيء من التعاطف مع النفَس الإسلامي في جريدة القدس، مقدمة عمود، لو كان غيره كتبه كان يرفع عليه بلاغ بتهمة التحريض على الإرهاب.

قال: كل الصواريخ العربية وكل الجيوش وكل الإنفاقات المليونية وكل الدول كذا وكذا لم يحققوا لإسرائيل مثل ما حققه أربعة من الشبان، ولو فرضنا أن كل شاب من الشبان حمل ٤٥ كيلو من المتفجرات، ولا يمكن أن يكون حمل هذا الرقم، فعندنا 40 x 4 يعني حوالي ١٥٠ كيلو من المتفجرات، ثمن كيلو الـ TNT ٣ دولار في السوق، ١٥٠ x ٣ يعني ٤٥٠ دولار، مذا كلفت هذه القضايا؟ جاءت بكلينتون وقواد العالم برمته و جمعتهم جميعا في شرم الشيخ يقتل بعضهم بعضا ايش الحل مع هذه المصيبة!

نجاح من أعظم النجاحات، وأدت فعلا هذه عمليات التفجير التي حصلت في فلسطين ببعض الناس الذين ربما جهاديون لا يزالون يتناقشون حول عقيدتهم وسلامتها أصلا، أدت إلى أن اهتز موضوع التطبيع ودمرت اتفاقية أوسلو ومشروع السلطة الوطنية، فهذا نجاح عظيم جدا.

الأمر الآخر عملية التطبيع ومسار كامب ديفيد، دُمر برمته وفشل التطبيع بمصر كله، وهو بحكم الميت باعتراف اليهود، وأعدم هذا المشروع بطلقات خالد الإسلامبولي رحمه الله، فهذا نجاح فردي، لم يكن في بلاد الشام بطولها وعرضها بعد أن حكمها حزب البعث أحد يفهم أو يعرف أو سمع بكلمة (النصيرية).

النصيرية طائفة من غلاة الشيعة، كفرهم واجتمع على كفرهم السنة والشيعة، وكانوا عملاء للتتار، وتاريخ مع الفرنسيين، هذا كله ما سمعنا به لولا أن خرج مجموعة من المجاهدين ذكروا الناس أنهم محتلون من أمة أخرى، تطبق عليهم قضايا التكفير وتخرجهم عن عقيدتهم وتنهبهم، ففهمها الناس، الآن أي انطلاقة للجهاد في بلاد الشام منطلقة من فهم موضوع الطوائف وعلاقتها باليهود والتطبيع.

أما النجاحات العسكرية والبطولات فللأسف من تعاسة هذه الأمة أن بطولاتها الأخيرة لم تسجل، بطولات وأحداث وشهداء وتواريخ وقصص من أعظم ما يكون، حتى دروس في التنظيم، دروس في العمل العسكري، دروس في المصادر، في الآليات التي استخدمها المجاهدون، هنا في بلاد الشام لم تسجل، ولكن حصلت وما تزال بعض الناس يتناقلونها، وهي تعتبر نجاحات عسكرية بكل المقاييس، يثبت الكلام اللي قاله أن هناك انتصارات عظيمة جدا تخرج من وسائل قليلة، وهذا حصل.

صمود الجماعات المسلحة وانفتاح التيار المتوالد بحملة السلاح في مصر، في مصر نحن نسمع عن جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية، الموضوع أكبر من ذلك بكثير على كبر الجماعة، أن هناك تيارا أصبح يولد نفسه وبعضه يقوم بعملية حمل السلاح ومقاومة الدولة، ولا شك أن لا جماعة الجهاد ولا الجماعة الإسلامية يعتقدون أن ٦٠ ألف معتقل بتهم إرهابية هم أعضاء في جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية، لا ٦٠ ألف وأقول: ولا ٦ آلاف، نزر يسير.

فلك أن تتصور النجاحات من حجم ذعر العدو، ولولا أن العدو مذعور ومؤثر عليه حقيقة لم تكن اجتمعت لنا المؤتمرات، فهذا يثبت أن هناك نجاحات عسكرية، ولكن الذي نحن ندندن عليه أن جملة هذه النجاحات العسكرية إلى الآن لم تحقق الأهداف التي حُمل السلاح من أجلها، ولا تزال بعيدة هذه الأهداف.

أي أن مجموع هذه الأرقام الجميلة في النهاية لا يزال ليس صفرا بل سلبي، مجموع النتيجة سلبي وليس صفرا، فنحن نريد أن نعيد المعادلة الرياضية إلى طبيعتها الصحيحة، أن تكون مجموع الأرقام الإيجابية رقما إيجابيا، ومن هذا الباب ونعين الإخوة جميعا قيادة وقواعد من باب قول المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس عيبا *** كنقص القادرين على التمام

ناس يستطيعون أن يتوجوا كل أعمالهم بشيء من الإدارة والمنهج والتطبيق الاستراتيجي ونحصد أفضل النتائج، ولكن نحن نتكلم في السلبيات لأنها تحولت إلى مصائب معجزة قاتلة حقيقة، يعني أحيانا تجد ماكينة بكاملها آلية تتحرك لكن بس ما في كهرباء، يعني موجود كل المسننات والإدارات الميكانيكية، الماكينة ممكن تعمل وتنتج أحسن ما يكون، ولكن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلح الجميع وعلى رأسهم القيادات، أن تصلح القيادات بطريقة تعي مجالها، وأن يضع الله سبحانه وتعالى وهذا عندي أنا أقرب إلى العقل وإلى التاريخ، أن يبعث قيادات صالحة في المنهج وأئمة للمسلمين، تستطيع أن تحمل هذه القضية.

فإذا أردنا أن نعدد الإيجابيات= فالإيجابيات الحقيقة كثيرة، ولكن أقول بأننا سنعود لذكر إيجابيات وسلبيات التيار الجهادي، فنترك هذا لمحاضرة مستقلة.

الأمر الآخر يقول الأخ: قلت أن التوجيه المعنوي أكثر من التوجيه العسكري، وهل هذا الفهم ينطبق هذا على القيادات؟

أقول أن هذا إن كان صحيحا في القواعد فهو أخص بكثير في القيادات، لأنه كما قال العرب: (جيش من الغنم يقوده سبع= تحوله إلى مجموعة من السباع، وجيش من السباع يقوده نعجة أو غنمة= يحوله إلى مجموعة من النعاج).

ففي موضوع علم النفس العسكري أو علم النفس الجماعي إن قلنا بالشجاعة الجماعية، لما يبدأ القصف ويشتغل معه الخوف كل الناس تنظر للقائد، في علامات خوف ولا لأ، كل ما ركبنا الطائرة إذا حصل شيء وارتجت الطائرة كلها، نظر الناس غلى المضيفين والمضيفات مرعوبين ولا لأ، إذا كان المضيف والمضيفة مرعوبين معناها أن الوضع سيء جدا، ولذلك يدرسون هم أنه إذا حدث شيء لا يثيرون ذعرا في الطائرة، وإذا واحد منهم انهارت أعصابه يسحبونه للكابينة بالداخل.

فقضية التوجيه المعنوي للقيادات أمر هام جدا جدا، ولو كنت أتصور أن هذا ممكن لكان يجب أن يُجمع القيادات ويعمل لهم كورس في المعنويات وفي فهم حروب العصابات، ولكن الجماعة لا يرون هذه العلوم، أو مشغولون جدا.

ولذلك قلت لكم أن هذا الذي لا يكتب معنا: إما عبقري مستغن عن الكتابة، ولديه ذاكرة عظيمة جدا تسجل كل شيء، يا إما ليس له أرب في هذه العلوم.

فالقيادات أحوج من القواعد إلى هذه الدروس، مقاتل العصابات مقاتل أيدولوجي عقائدي، لابد أن يتحلى بميزات نفسية ومن صفات الشجاعة والاعتماد على النفس، والكثير من الميزات تؤهله لذلك، ولو لم تدربه أكيد أنت أعددته نفسيا وأيدولوجيا إعدادا صحيحا.

وهذا وجدناه في بلاد الشام، كانت الدوريات والحواجز شيئا مخيفا، ومع ذلك كان التدريب يجري في البساتين، وحكى لي شخص حادثتين عن أخينا إبراهيم اليوسف رحمة الله عليه صاحب عملية مدرسة المدفعية، قال لي: كان يأخذ كل عنصر من عناصره ويشرف على تدريبه بنفسه، ومرة ما صار وقت إلا ووراه موعد مع واحد في سيارة، قال لي: علمه فك وتركيب المسدس في السيارة، فقال له: هذا ما يكفي، هذا المسدس كيف يدور؟ قال له: خلاص اضغط على الزناد واضرب هكذا، قال له: كيف يضرب؟ قال له: طيب افتح الشباك؟ قال ايش؟ قال له: افتح الشباك، والشيخ إبراهيم اليوسف مطلوب يعني وقائد عسكري، فطلع المسدس وأطلق به عدة طلقات وقال له: هيك بيضرب يلا اضرب، الناس اللي فروا والدوريات والسائق قالوا جُن الشيخ، فطلع من المكان وهيجيب كل القضية ورجل مطلوب جدا.

فهذا مثال أخذته بالسماع، ومثال آخر سمعته من صاحبه أخ كان معنا في الأردن قال لي: أنا كنت معهم في الجناح الذي فيه إبراهيم اليوسف، فمرة نسافر من منطقة إلى منطقة، وأهل المدينة يلبسون لباسا عربيا طويلا فضفاضا وسراويل شبيهة ببتاع الأفغان، فيستطيعون أن يحملوا الكلاشينكوف تحت الملابس، فحاطط الكلاشينكوف وشافني إبراهيم اليوسف مرتعد يعني مرعوب وأنا ماشي، فقال له: مالك؟ قال له: بس خايف لأن معي سلاح وخايف حد يوقفني وأول مرة وكذا، قال له: طيب طلع البندقية وحطها على كتفك، قال له: كيف؟ فحمل الكلاشينكوف ومشى، قال: طول ما أنا ماشي بسمع شتم الناس شوف عامل حاله مخابرات، حتى عدوا من جنب ناس، ربما في ردع بين أجهزة الأمن وبعضها لجان شرطة ما يتجرأ أن يقول له مين أنت؟ لأن ممكن واحد من المخابرات يبصق على واحد من الشرطة، واحد من الأمن السياسي يبصق على واحد من المخابرات، واحد من الأمن العسكري يبصق على واحد من الأمن السياسي، وهكذا، فكانوا يستخدمون هوية هذه الأجهزة، فالشيخ قال له بعد ما عبروا: خلاص ارجع رجع الكلاشينكوف، هاي والكلاشينكوف برة ما حدا حكى معك، فوالكلاشينكوف جوة هيحكوا معك؟!

فهذا كان يتم داخل المدينة، فالناس وجدت حلولا للتعايش مع هذا الواقع، ومعنوياتهم مرتفعة، وصنعت حرب عصابات نموذجية، وأنا لم أحكِ إلا باب الفضائح في هذا الكتاب، ما حكيت على كل شيء لأن هذا له تسجيل آخر بده جمع، ولكن أقول أن التربية النفسية القائد أحوج إليها من القواعد، في الدعوات وفي النبوات وعندنا في التنظيمات وفي كل شيء الهرم تلقائي، تجد النخبة والذروة وأحسن شيء قائدا، صحيح؟

الرسول عليه الصلاة والسلام يمثل الذروة في النبوات، ثم الخلفاء الأربعة في الصحابة والعشرة المبشرون بالجنة، المهاجرون والأنصار، أصحاب بيعة الرضوان، وأنت ماشي ماشي حتى تصل إلى عموم المسلمين، فهم اللي فوق أعلى شيء في الشجاعة في الفهم في العقيدة في كل المواصفات هم أحسن شيء.

الآن الجماعات الإسلامية كلها تقريبا -إلا باستثناءات خفيفة- معكوسة على قفاها، تجد في القواعد من هو أفضل وأشجع وأتقى وأحسن وأحرص، كظاهرة عامة، يعني مجمل من في القواعد فيهم ناس أحسن من القيادات، في العمل الإسلامي كله، هذا لا ينفي أنه ما شاء الله ما زال في القيادات على الوضع الحالي، ولكن أصبح الهرم نفسه بحاجة إلى إعادة ترتيب بحيث تعود القيادات إلى أن تكون نوعية، ولا تكون القيادات نوعية إلا أن تكون أكثر الموجود عبودية لله تعالى وأكثرها طاعة وأكثرها إخلاصا وأحسنها شجاعة، أحسنها في المواصفات الدينية والنفسية، وهذا نادر، فلذلك نحن محتاجون إلى تعبئة نفسية.

إذا كان سؤالك: هل هذا تحتاجه القيادات أكثر من القواعد؟

أقول نعم، تحتاجه القيادات أكثر من القواعد بكثير.

الأخ: ما الفرق بين التوجيه المعنوي والعلم الشرعي؟

الشيخ: التوجيه المعنوي ليس هو العلم الشرعي، العلم الشرعي الذي هو فرض على كل مسلم ومسلمة هو توحيد الله سبحانه وتعالى أولا، ثم حسن الاعتقاد به، ثم ضبط أصول باب العبادة، وما زاد عن ذلك يتحول مباشرة إلى فروض كفائية، في حين أن موضوع القتال تحول إلى فرض عيني الآن، وهذا الشيخ عبد الله عزام له فيه كتابات عظيمة جدا، وسيد قطب له فيه كتابات جيدة جدا، يجب على الجماعة الجهادية أن تصحح كل فرض عيني لكل عضو من أعضائها، موضوع الاعتقاد وموضوع العبادات الذي يلزمه، ثم قاعدة السلوكيات قاعدة الأدبيات، شيء من كل شيء.

أما الاقتصار على مفهوم أن: روح اطلب العلم الشرعي، فأنا جاء لي مرة واحد اسمه الشيخ محمد عوض من علماء دمشق الصوفية في مسجد عبد الكريم الرفاعي، وتحول مثل كل العمل الإسلامي لسياقه الدولي، جاءنا في بيشاور يريد أن يقنع الموجودين من السوريين أن ينزلوا إلى سورية، فأنا قطعت عليه الطريق بهذا الذي أقوله، استشهدت له بآية قال لي: أتعرف هذه الآية في أي سورة؟ قلت له: لأ، سورة النساء ولا آل

عمران واحدة من السور الطويلة، قال لي: ما حضرت وأنت جاهل، وقاعد ابنه بجانبه شكله هكذا، قال له: حضر لي يا ابني؟ قال له: نعم بابا، قال له: سمع له هذا اللي عمال يتكلم في السياسة، الولد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وقال الذين..)، قرأ لي يمكن ثلاثة أرباع ولا نصف جزء، بعد ما خلص قال لي: هيك، هيك إذا بدك.

فهذا نفس مبدأ ابن عثيمين، ثم أعطاني درسا كيف لازم نجاهد، ولذلك لابد أن نسميه صراحة هو قطع الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، الناس أصلا بتعرف عقائد وتتدين عشان ايش؟ عشان ترضي الله صح؟ فهذا ميسر بهذا السبيل أكثر من كل سبيل آخر، هذا إذا كان بده يتطوع تطوعا، فما بالك إذا تحول إلى فريضة، بديهية يعني، تفهمها كل الكائنات الحية.

بده يوصل الناس إلى مستوى الاختصاصات، بده الناس تتوقف عن الجهاد ويهتك عرضه وتؤخذ أخته لأن جنابه بيحفظ صحيح البخاري، بل أن بعض الجماعات الجهادية ارتكبوا خطأ كبيرا جدا أدركوه وحدثونا به، أنهم نتيجة أن رأوا الحركة الجهادية فيها فقر في العلماء وطلبة العلم قالوا الحل أن نأخذ جزءا من تلاميذنا وطلابنا ونرسلهم إلى المشايخ يطلبون العلم، فأرسلت دفعة من بعض شباب الجماعات الجهادية إلى علماء الجزيرة، فكلهم بلا استثناء مُسخوا وصاروا مثل المشايخ الذين أرسلوا إليهم ولم يعودوا إلى جماعاتهم، يعني أُرسل يرضع الحديث من المصدر الذي يسمم الأمة كلها.

وحدثوني عن شخص أعرفه وكنت أؤمل عليه آمالا عظيمة جدا، قلت لهم: ايش أخباره؟ قالوا لي: راح يطلب العلم عند ابن عثيمين، فقال الشاب: الحمد لله الذي جاء بي إلى هنا، اكتشفت أني كنت على وشك أصير خوارج تكفير، وراح وصار هناك مع الطرف الآخر مع شوارزكوف!

الشاهد في الموضوع أن التوجيه المعنوي شيء، والعلم الشرعي شيء آخر، التوجيه المعنوي عبارة عن عقيدة قتالية، تفهم الإنسان من هو؟ هو مسلم، ايش عقيدته كيف يعبد الله كيف يرضي الله، ثم من عدوه؟ عدوه اليهود والنصارى والمرتدون والمنافقون، لماذا؟ للسبب الفلاني، ليش بيقاتل؟ لأنه قال الله سبحانه وتعالى قال رسوله عليه الصلاة والسلام، قال الواقع بعد ذلك أن حالتنا كذا وكذا وكذا، مجموع

هذه الأشياء هو التوجيه المعنوي والعقيدة القتالية، ثم لازم تعطيه دروسا في الشجاعة في اتخاذ القرار كيف يعتمد على نفسه، ثم بعد ذلك لأنه مقاتل فلازم تعمل له دروسا عسكرية.

وأعتقد أن أي مقاتل حرب عصابات أخذ تدريبا عسكريا أكثر من ٢٠ % إلى مجموع المحاضرات العقدية والمعنوية التي أخذها= هيطلع إنسان مشوه، بدءا من أن يصير قاطع طريق، وانتهاء بأنه يسرق وينهب.

هؤلاء إخوة في الجزيرة ٢٠ ألف شخص تدربوا، فيهم حوالي ١٥ ألف سعودي و٤ آلاف يمني وألف من مختلف باقي الساحل الفسيفسائي هذا من الدول الملحقة، جاءوا إلى هنا جاهدوا واستبسلوا وقتل منهم ناس وراحوا البوسنة وراحوا الشيشان وبطولات وعادوا جنرالات ما شاء الله.

ايش النتيجة على دخول اليهود والنصارى؟ ٦٩٠ ألف مجند فيهم ٣٠ ألف عابرة جاءوا لحماية العقيدة السمحة، ايش النتيجة؟ لم تطلق طلقة واحدة في سبيل الله، ثم حصلت نداءات الجهاد ونداءات يا خيل الله اركبي، وين المردود؟ وين خيل الله التي لا تزال تركب أصلا؟ هؤلاء ليسوا خيل الله.

لو كانوا خيل الله= لخرجوا أغنوا عن أنفسهم وعن أمتهم شيئا، هل لأن هؤلاء الإخوة سيئون؟ أقول لك: لأ قطعا ليسوا سيئين، بل جيدون جدا وممتازون ومحترمون، ولكن لم يعبئوا التعبئة المعنوية والصحيحة والمنهجية، فلم يعرفوا كيف يتصرفون في مثل هذه الظروف، لم يهدهم أحد حتى يهتدوا، حجتهم علينا نحن، حجتهم على مرحلة الجهاد العربي الأفغاني.

وأثبت العكس، أن الذين عبئوا من تلك الشريحة القليلة هم الذين عملوا، وهم الذين وقفوا مع سفر وسلمان في مصيبتهم، وهم الذين وزعوا منشورات المعارضة السعودية، وهم الذين الآن مع أخونا الشيخ أبي عبد الله –الله يفرج عليه ويفتح عليه– ثم هم الذين عملوا في اليمن وقاتلوا وجاهدوا.

أما في اليمن ماذا حصل؟

فهذا العموم الذي لم يفقه شيئا= جزء منه نخبة عظيمة صاروا مرافقين لرئيس الجمهورية، حرس شخصي لعلي عبد الله صالح، الذين تدربوا في معسكراتنا، وهؤلاء الناس منهم من شارك في قتال ضد الأمريكان في عدن، مش شباب عاديين، مقاتلون قاتلوا الأمريكان وانتهوا مرافقين لرئيس الدولة، ثم قتل منهم عدد.

حكى لي الإخوة اليمنيون عن أخينا مهند –الله يرحمه- وحسبنا الله ونعم الوكيل كان على وشك أن يكتب لي تقريرا ٤٠ صفحة عن القضية، قال لي: كتبته، قلت له: وينه؟ قال لي: نصحني الإخوة أن أحرقه فحرقته، قلت له: ترجع تكتبه يا ابن الحلال، قال لي: خلاص، فلما قُتل جاء أخوه قال لي: ترك لك رسالة، فوجدتها فهرسة للبحث ولم يكتبه، وحدثني مشافهة كيف أن العشرات منهم دخلوا في جهاز المخابرات، والمئات أصبحوا ضباطا في الجيش اليمني برتب رفيعة، والآلاف الباقية اللي جزاهم الله خيرا رجعوا إلى بيوتهم.

فلوس، وقت، عرق، جهد، تعب= رجعوا إلى بيوتهم، خلاص، واحد لفه علي عبد الله صالح وواحد لفته زوجته، وطلعنا من المولد بلا حمص.

هذه نتيجة مرئية أمامنا، هذا اسمه عدم التوجيه المعنوي، فمن يريد أن ينقد ويقول: لا ندرّس ولا نعلم أمامه النتيجة ألا يتعظ، يعني العرب قالوا: العاقل من اتعظ بغيره، ولم يتكلم العرب عن من لم يتعظ بنفسه.

فالتوجيه المعنوي أخي الكريم جوابا على سؤالك= ليس هو العلم الشرعي، العلم الشرعي (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) طائفة فقط، يلزمنا لجنة شرعية ناس مختصون، يلزمنا إلكترونيات ايش رأيك كل الناس تدرس إلكترونيات؟ ونيجي بعد ذلك نركب شباك ما حدا بيركب شباك، كل الناس بتفهم في الإلكترونيات فقط.

الشاهد في الموضوع قضية التوجيه المعنوي هي العقيدة القتالية، كل جيوش الأرض وكل العصابات فيها دائرة الإعلام والتوجيه المعنوي، حتى الإذاعات أنا أذكر في إذاعة سوريا يقول البرنامج دائرة الإعلام والتوجيه المعنوي في الجيش العربي السوري، هذا التوجيه المعنوي غير العلم الشرعي.

الذين يسحبون الناس للعلم الشرعي ليتركوا القتال= يا إما جهلة غير مدركين للمسألة وهم قليل، أو هم ناس يعملون في خط شوارزكوف، يسحبونه ليصرفوه عن القتال، فنُستباح وفي النهاية لا أدري ماذا سيفعل هذا في علمه الشرعي لما تنتهي، كيف سيدافع عن نفسه وكيف سيقاتل.

علما أن هذا ليس هو العلم الشرعي حقيقة، لو طلب العلم الشرعي بحقه وفهم أمر الله سبحانه وتعالى= لعاد إلى القتال ولعاد إلى المعسكرات، هذا ليس علما شرعيا، هذا تشويه للدين على طريقة الكهنوت الذي كان يمارسه سحرة فرعون، وكذلك القيصر، وساحر القبيلة، وهيئة كبار العلماء والأزهر والبوطي وكل هذه السلسلة العقيمة.

التوجيه المعنوي هو بدءا من ساحة الرمي التي يطلق فيها الطلقات، ومرورا بجلساتنا هذه، إلى ساعات التهجد التي نقوم بها إلى قراءة السيرة إلى قراءة التفسير، هذا ليس عندنا الآن في هذه الدورة، عندنا ٦ ساعات في حرب العصابات، و٦ ساعات أخرى ما بين تفسير وشرح حديث وقيام ليل وتهجد وصيام والحمد لله برنامج متكامل، فهذا كله في بعضه توجيه معنوي، منهج متكامل، بعد ما تنتهي تذهب لتكمل في حقل الرمي، ثم بعد ذلك بسم الله، الله يفتح عليك في جبهة من الجبهات، والله أعلم.

اتفضل:

الأخ: يقول الكاتب:

(ولم يكن ممكناً تشكيل جبهة شعبية واسعة، تضم مختلف الشيع الدينية، وخاصة البوذية، ولقد دفع الفييتمينة ثمن ذلك غالياً في بداية الصراع في جنوبي فيتنام، وكما ذكرنا سابقاً، فإن أنصار هوشي منه كانوا يسيطرون عملياً على البلاد كلها بعد استسلام اليابانيين إلا أن فرار الشيع الدينية، كان من الأسباب التي

جعلت القوات الفرنسية، التي نزلت في جنوبي فيتنام لم تلاق أية معارضة، وسرعان ما استولت على الكوشنشين وعاصمتها سايغون).

السؤال يقول: كيف يمكن التعامل مع الطوائف الدينية في البلد الواحد، والتي يكون بينها تباين واضح في العقيدة والأهداف والتبعية، ولا سيما إذا ثبت تورط جماعة منها لصالح العدو، وعلى سبيل المثال الطوائف الشيعية كالدروز والعلويين في بلاد الشام أو النصارى في بلاد مصر، على أن تكون المعاملة في صالح الثورة أو في صالح الصراع، وخاصة أن التاريخ يثبت أن هذه الطوائف وقفت مع المستعمرين وأثبتوا الخيانة للمسلمين، كما في الحروب الصليبية والتتار؟

الشيخ: بارك الله فيك، السؤال يستأهل أن نرجئه ونناقشه بعد الظهر، السؤال يحتاج لكلام لا يخرج عن ١٥ إلى ٢٠ دقيقة، وهي إحدى المشاكل التي تواجهنا، ولكن قبل أن تدخل أنت تكلمنا جزئيا عن الطوائف الدينية، وهي التي سببت فرار نفس الشيء، أن الفرار من قبل الأمة في وجه العدو، فما حصل أي مقاومة كما حصل عندنا من الطوائف الدينية والحركات الإسلامية في تخدير الأمة في حرب الخليج، فهذا تكلمنا عنه، ولكن الشطر الثاني من سؤالك، الذي هو كيف نتعامل مع الطوائف والفرق الدينية الأخرى، فهذا يحتاج لتفصيل، بعد الظهر، سنبدأ إن شاء الله الساعة ٣:٣٠.

الأخ: .. .. ..

خلاصة الأمر أننا نحتاج إلى نوع من التخصص في داخل العمل الإسلامي، وأن تكون قيادة العمل الإسلامي يديرها أو يشترك في القرار أو جزء من القرار ٩٠% من قرارها نتيجة ناس متخصصين، وليس على أسلوب اللي عارف كل شيء في كل شيء، فهذا أسلوب عفى عليه الزمن، فلابد أن تدخل علينا

عنصر التخصص، وأن تكون الرئاسة أو الزعامة في العمل الإسلامي للشخص الذي عنده قدرات فائقة في ترجيح المسائل بعضها على بعض، مع استعانته بلجان متخصصة.

الشيخ: فقط كنت أحب أن أضيف على موضوع أخينا، ولكن أريد أن أؤجلها إلى وقت الكلام عن أخطاء وإيجابيات العمل الجهادي.

الأخ: هل هناك من استفاد من قضية الجزائر؟

الشيخ: والله إجمالا هذه الظاهرة نادرة، ولكن في، من الجماعات التي استفادت جدا من تجربة الجزائر الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا، وذكروا في بعض نشراتهم وكتاباتهم أنهم استفادوا من فخ التكفير الذي حصل في الجزائر، خاصة وهم كانوا مؤيدين للجهاد الجزائري.

الجماعة الإسلامية المقاتلة من مبادراتها التي تعتبر صحية أنهم مثلا أعلنوا أنهم هاجموا بعض المواقع أخذوا الجنود وأوثقوهم بالحبال وألقوا عليهم محاضرة في الإسلام واستتابوهم، وأفهموهم طبيعة القتال بينهم وبين الدولة، حتى ردوا لهم الأسلحة التي غنموها منهم، حتى لا يحرجوهم مع النظام، فعملية كان لها أثر طيب، إثباتا لحسن التعامل مع المسلمين، وهذا أكبر دروس التجربة الجزائرية.

ففي بعض الجماعات بتحاول أن تستفيد يعني، ولكن إلى الآن كقضايا عامة، أن المسلمين يأخذون نفسا حتى يقرأوا في تجاربهم وتجارب الآخرين، ثم يستفيدون منها ويعدلون مساراتهم على هذا الأساس= حتى الآن نادر.

وهذه الجلسات التي بدأناها الغرض منها عملية تصحيحية هكذا، بس نفس جديد، في طريقة معاملة المسلمين في التدريب في المعسكرات في القيادة في كل الأمور، نفتح المجال أمام الشباب الذين حضروا الآن من جماعات متعددة، أو هم كوادر من تيارات متعددة، فممكن أن نستفيد من طريقة إيجابيات هذا الموضوع.

قضية الاستفادة من الآخرين (قل سيروا في الأرض فانظروا)، يعني استفد من التجارب وحاول تعدل المسار.

الأخ: .. ..

خلاصة الأمر أن العدو يحاول أن يواجهك بجنود من نفس فئتك، وهذه مشكلة أصعب بكثير مما كان عند المسلمين الأوائل، فنحن عندنا صبغة دينية للحاكم، وصبغة دينية للناس المعاونين للحاكم حاكم مسلم وهو ولي أمر.

الشيخ: طيب على كل حال كإضافة، حتى حرب الخليج الأخيرة كانت القوات البرية المحطوطة لكسح الألغام والتعرض للهجمات الكيميائية العراقية: الجيش المصري والجيش السوري، وباقي عمليات القصف للقوات الغربية فقط، فعملية مثلا أن فرنسا اقترحت قوات أفريقية للسلام من أجل قمع كل العمليات، وهي بمثابة تدريب في قضية سيراليون، أفريقيا بأفريقيا أسود بأسود، في الآخر سيدربون هذه القوات لتكون قوات حفظ سلام، وأصلا اقتراح فرنسا لقوات حفظ سلام من أجل حفظ سلام شمال أفريقيا.

الأمم المتحدة كل الضربات اللي الإخوة عملوها فيها إذا فيها ١٦ أمريكي ثم ٦٠٠ واحد من بنجلاديش وباكستان وما أدري ايش، كل القوات هذه فقط يلبسونهم القبعة الزرقاء.

وعلى سيرة ذلك في معركة ديان بيان فو كان القتال بين الفيتناميين والقوات الخاصة، القوات الفرنسية الأساسية في دان بيان فو كانت من الجزائريين تحديدا، وليس من شمال أفريقيا.

لورنس بعث للإنجليز يفتخر بأنه فتح لهم أكبر منطقة وأهم منطقة في العالم كله، ولم يرق فيها دم إنجليزي واحد، وكان لورنس يدفع ١٢ دينارا ذهبيا ثمن رأس كل تركي يقتله العرب.

هذه من اللفتات التي يجب أن ننتبه إليها.

طيب سنتابع القراءة في التجربة الفيتنامية مع الفرنسيين، ونحاول أن ننهي هذا الفصل، يقول:

[أما الشرح الذي قدمه جياب عن الاستراتيجية المستخدمة لإحباط مخطط (نافار) الشهير، وهو المجهود النهائي الذي بذلته فرنسا لأخذ زمام المبادرة في الهند الصينية، فإنه يتضمن سرداً مثيراً للاهتمام عن الحرب الثورية].

سيناريو عسكري لما حصل من المعارك الأخيرة بين فرنسا وفيتنام، المفترض أن يشرح بخريطة وسبورة، لكن سنحاول أن نتابعها هكذا.

[وكان المخطط المصمم من قبل الجنرال نافار، آخر قائد فرنسي عام في فيتنام، يتضمن القيام بهجوم عام، يستهدف –كما قال جون فوستر دالس أمام لجنة من مجلس الشيوخ: (تحطيم القوة المنظمة للعدوان الشيوعي في نهاية فصل الصيد من عام ١٩٥٥ (في ثمانية عشر شهراً)).

وفي تقرير سري لم ينتشر إلا بعد بيان فو، اعترف نافار بأن حرب الهند الصينية كانت قد خُسرت قبل تطبيق مخططه، وأنه كان يأمل أن يصل إلى التعادل في أفضل الحالات. ومهما كان الأمر، فقد نُفِّذ المخطط بدعم مادي ومالي عظيم من الولايات المتحدة.]

وهذا بداية التورط، أن الولايات المتحدة هي التي أنفقت على الحملة الفرنسية الأخيرة، فقط كتبت هنا في الهامش ملاحظة أنه لما جاء القائد وهو يضع في رأسه أنه سيخسر المعركة قبل أن يبدأها، فهو خاسر معنويا، داخل ينفذ أوامر سياسية بأنه لابد أن يفعل شيئا.

[وقد تضمن المخطط تركيز القوات المتحركة في دلتا النهر الأحمر، وذلك لمحاولة الاشتباك مع قوة الثوار الضاربة وتدميرها في خلال خريف وشتاء ١٩٥٣. وفي الوقت نفسه، احتلال ديان بيان فو في الغرب، واستعمالها كمقفز لتسديد ضربات قوية للمناطق الشيوعية المجاورة. وفي ربيع ١٩٥٤، كان من المفروض أن يكون ثوار الفييتمينة منهكين، فتقوم وحدات أخرى مشكلة حديثاً بالاستيلاء على مناطق الفييتمينة في جنوبي فيتنام، وأخيراً يأتي الهجوم العام في الشمال، ويؤدي إلى إنهاء الحرب بنصر كامل.

وتجمعت أربع وأربعون كتيبة فرنسية في الدلتا، من أجل المرحلة الأولى في خريف ١٩٥٣، ونشبت سلسلة من المعارك الشرسة. وفي كانون الثاني ١٩٥٤، احتل المظليون ديان بيان فو، وبدأ إعداد هذه القاعدة فوراً].

حكيت لك أن الآن قدرات الإنزال تستطيع إنزال حتى المدرعات بكامل أسلحتها ومدفعية الميدان الثقيلة، راجمات الصواريخ الثقيلة، القطع العظيمة جدا من الرادار تنزل بالمظلات، تخيل دبابة تنزل بثلاث مظلات من الطائرة، ثم قبل أن تصل إلى الأرض ينفجر صاروخ لتخفيف رد فعل الارتطام، وينزل القوات كل واحد يعرف دبابته، وبالتالي صارت قضية التطويق لضرب إمكانيات المقاومة خلف خطوط العدو، فهناك قدرة للعدو على إنزال كميات هائلة من الجنود بتكنولوجيا ميكانيكية معقدة، وليس فقط أفراد.

فشيء أقل من هذا حصل في ديان بيان فو، وأنا رأيت الفيلم الوثائقي بتاع ديان بيان فو، شيء جميل جدا، سواء إنزال الاحتلال، أو عملية الفييتمنية لاحتلال المرتفعات المجاورة ومهاجمتها.

[وفي الوقت نفسه شن الفييتمينة هجوماً مضاداً، حاصروا ديان بيان فو، وانضموا إلى الباثيت لاو –الميليشيا النصف نظامية– **لتحقيق اختراق في مرتفعات لاووس. ثم وقع في كانون الثاني هجومان**

آخران، أحدهما في الجنوب، والثاني في الشمال، ونجم عن ذلك تحرير حوض (نام هو)، وتهديد العاصمة اللاووسية (لوانغ برابانغ).

وتجمع الفرنسيون في آذار لاستئناف هجومهم، فبدأ الفييتمينة انقضاضهم التاريخي على ديان بيان فو لمدة ٥٥ يوماً. ويقول جياب في هذا الصدد:

بصورة عامة، شكلت الإدارة الاستراتيجية لحملة ديان بيان فو، ولحملة ١٩٥٣ – ١٩٥٤، نجاحاً متميزاً للعقيدة العسكرية والثورية للماركسية اللينينية، المطبقة في الشروط الخاصة لحرب فيتنام].

يعني تطبيق النظرية العسكرية الشيوعية شكلت نجاحا في معركة ديان بيان فو.

[(وبدأت استراتيجيتنا بتحليل تناقضات العدو، وهدفت إلى حشد قواتنا في القطاعات التي بدأ العدو فيها معرضاً نسبياً، وإلى تدمير قواته، وتحرير جزء من البلاد، وإجباره على توزيع قواته لخلق الشروط الملائمة لانتصار حاسم.

(وفي خلال الحرب كلها، كانت الحملة الفرنسية مضطرة إلى توزيع قواتها، فقسمت فرقها إلى أفواج وكتائب وسرايا وفصائل، مرابطة في مراكز متعددة على مسرح عمليات الهند الصينية، وجد العدو نفسه أمام تناقض أنه لا يستطيع احتلال القطر المجتاح إذا لم يوزع قواته، وإذا وزعها وقع في موقف خطر، وأصبحت الوحدات الموزعة فرائس سهلة لقواتنا].

يعني أوقع العدو في فخ القوة والسيطرة.

[وتناقصت القوات المتحركة وظهر النقص في عدد القوات بشكل أكبر ثم أكبر. ومن جهة أخرى، كان على العدو أن يخفض قوات الاحتلال، إذا ما أراد حشد قواته لأخذ المبادرة والتقدم ضدنا، وفي هذه الحالة تزداد صعوبة سيطرته على البلاد].

لأنه هو يقوم بهجوم حاشد أصلا، فجمع كل شيء، ففقد السيطرة على البلاد.

[علماً بأن قيامه بأخلاء الأقاليم المحتلة يعني التخلي عن الغاية التي شن حرب الغزو من أجلها)].

هو جاء ليثبت الاحتلال، فإذا سحب كل قواته من أجل معركة مركزية= ناقض هدف الحملة أصلا، فهو جمع قواته ٤٤ كتيبة، فإذا خسر هذه المعركة انتهى الاحتلال، لأنه جمع من كل البلد، فصارت بدون سيطرة.

[وعند الإعداد لتطبيق مشروع نافار، ألفى الفرنسيون أنفسهم أمام مأزق: فهم لا يستطيعون القيام بالهجوم دون حشد قواهم، وإذا حشدوها، أضحوا عاجزين عن الدفاع عن الحلقات العديدة والضعيفة من سلسلة مراكزهم الدفاعية، ومرة أخرى شلهم نقص القوات.

ولكي يخرجوا من المأزق، شكلوا وحدات جديدة (كان معظمهم من المجندين الفيتناميين) لتحل محل الوحدات الثابتة، والتي سحبت من مواقعها وأرسلت سراً إلى الدلتا من أجل زيادة الحشد (التركيز). وقد أدى هذا المخطط إلى جعل الفييتيمنة يتخذون قرارات هامة. ويقول جياب في هذا الصدد:]

لاحظ أن الفرنسيين استطاعوا حل المشكلة، فأوقعوا الفيتنامين في مشكلة.

[(كانت المشكلة الواقعية هي أن العدو يحتشد في دلتا النهر الأحمر، ويشن هجماته ضد مناطقنا الحرة. فهل كان علينا أيضاً أن نحتشد أمامه، أو أن نستعمل قواتنا في اتجاهات أخرى؟ ففي الحالة الأولى، أي لو أننا قاتلنا في الدلتا، لكان بإمكاننا الدفاع عن منطقتنا الحرة، لكن العدو بقي قوياً، لذا فإن بالإمكان أن نتعرض للإبادة. وفي الحالة الثانية، أي لو أننا هاجمنا في اتجاهات أخرى، لكان بإمكاننا العمل ضد نقاط العدو الضعيفة، بغية تدمير كبد قواته، إلا أن ذلك يعني تعرض منطقتنا المحررة للخطر)].

فالتكتيك الذي عمله نافار بتجنيد الفيتناميين= سد ثغرة العدد، وحشد بشكل مركزي.

فيقول جياب أنه لو حشدنا بشكل مركزي لتعرضنا للإبادة و غيرنا التكتيك وهذا خطر، وإذا لم نحتشد ممكن يخترق المنطقة المحررة، ويقضي على المناطق التي تشكل أساس الإمداد بالنسبة للعصابات.

نرجع إلى كلام أخينا أبي الوليد حول الزعيم الملهم والقيادة الملهمة والأحزاب الملهمة كلها، ايش عمل الفيتناميون؟ قال:

[وانكبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي جماعياً على هذه المعضلة، وانتهت إلى تبني الشق التالي: (فعالية، ومبادرة/ وحركية، وسرعة في الحسم أمام المواقف الجديدة) ويشرح جياب معنى هذا الشعار بقوله:

(باتخاذنا زمام المبادرة، كان بوسعنا حشد قوانا لمهاجمة النقاط الاستراتيجية الضعيفة نسبياً/ والحصول على نجاحات، وإجبار العدو على توزيع قواته. ومن جهة أخرى، لو اقتصرنا على الدفاع/ لما كان بإمكاننا تدمير كثير من الأعداء، ولأصبح تعرضنا للخسائر ممكناً، ولخاطرنا نحن بتحمل الخسائر)].

لما رأى العدو يجهز للحملة= بدأ هو التحرك، اعتمادا على فهم تكتيك الخصم، فذهب لتفكيك مخططاته حلقة حلقة، فهذا في موضوع اتخاذ زمام المبادرة.

[**ولقد تقرر القيام بحملة ديناميكية** –يعني فيها سرعة حركة-: **(كانت اللجنة المركزية مقتنعة دائماً بأن الأمر الجوهري هو القضاء على قوات العدو، فوضعت مخطط عملها استناداً إلى التحليل العلمي، وكان هذا المخطط: تركيز هجومنا على النقاط الاستراتيجية حيث كان العدو ضعيفاً نسبياً، لإبادة جزء من وسائله، وإجباره على توزيع قواه، من أجل الدفاع عن النقاط الحيوية، التي لابد له من السيطرة عليها بأي ثمن.**

(وظهرت هذه الاستراتيجية صحيحة، فبينما كان العدو يحشد قواته الهامة في الدلتا ليهدد منطقتنا الحرة، جمعنا قوانا، بدلاً من تركها في الدلتا، أو توزيعها في المنطقة المحررة للدفاع عنها، وذلك بغية الهجوم ببسالة باتجاه الشمال الغربي)].

يعني جمع قواته لكن ليس كما توقع الفرنسيون حتى يدافع عن المنطقة الحرة، جمعوا قواتهم وضربوا المنطقة التي من الممكن أن يعمل فيها العدو إنزالا كمنطقة للقفز، هذا ما سماه ديناميكية في المبادرة، فضرب كل توقعات العدو بأن هؤلاء المفروض: إما يحتشدون لحماية المنقطة الحرة ونبيدهم، أو يتوزعون ويتركون المنطقة الحرة، فهم ضربوا المناطق الصغيرة وأجبروا الفرنسيين على توزيع قواتهم، ثم جمع نفسه مرة أخرى في المحور الجديد لتمركز العدو الذي هو معركة ديان بيان فو.

[**ونتج عن ذلك، كما قال جياب إبادة: (آلاف من المجرمين المحليين –المسلحين من قبل الفرنسيين–)**]

ايش سماهم "مجرمين"، شوف كل عمل الثورة وهو يسميهم مواطنين وكذا ومراعاتهم وكسبهم، لكن لما تجندوا وصاروا أداة عسكرية سماهم مجرمين محليين وأبادهم ويفتخر بإبادتهم، وهذا الذي تكلمت عليه أنا أن المعركة تلقائيا ستجر أننا نتقاتل مع المرتدين، ولكن الإخوة خلونا ندخل من بوابة سليمة ولمدد لازمة وصحيحة، بعد ذلك سميهم: مرتدين، مجرمين، عملاء، ايش بدك، لأنه فُهم موضوع الاشتباك معهم، وأصبح تلقائيا من قبل المسلمين.

[وتحرير أربع نقاط استراتيجية محصنة، والإخفاء شبه النهائي لرتل فرنسي، وتطويق ديان بيان فو، (مما أجبر العدو على نقل تعزيزات عاجلة لمنع سقوطها) ويضيف جياب: (وهكذا أضحت ديان بيان فو نقطة ثانية لحشد القوات المعادية)].

أجبر العدو على تقسيم قواته على نقطتي حشد، بدل نقطة حشد واحدة.

[وفي الوقت نفسه، حقق الهجوم في المنطقة المركزية من لاووس عدة نجاحات، فاضطر الفرنسيون لإرسال تعزيزات باتجاه آخر على حساب حشودهم في الدلتا، وخلقوا منطقة حشد أخرى في مطار (سينو) الذي غدا مهدداً].

هذا كله تنفيذا لشعار المبادرة والديناميكية وسرعة الحركة.

[وكان هناك عمليات تشتيتية أخرى، من بينها انقضاض على الهضاب الغربية العليا، وهجوم في الجزء الشمالي من لاووس. وأسفرت هذه العمليات، عن قيام الفرنسيين بإرسال تعزيزات جديدة.

ويقول جياب: (تضمنت المرحلة الأولى من حملة الشتاء – الربيع بالنسبة إلينا، مجموعة من الهجمات المشنونة في الوقت ذاته، باتجاه قطاعات هامة، حيث كان العدو حساساً نسبياً، ما سمح لنا بتدمير جزء من قواته، وتحرير أقاليم، كما ساعدنا على دفع العدو إلى التبعثر في اتجاهات متعددة. واحتفظنا دائماً بالمبادرة في العمليات، ورددنا العدو إلى حالة الدفاع... أما على الجبهة الرئيسية، فقد ثبتنا العدو في ديان بيان فو، وخلقنا بهذا الشروط الملائمة لقواتنا في ساحات معارك أخرى).

وكانت النتيجة إنقاص الضغط على المناطق المحررة، بحيث (استطاع مواطنونا العمل حتى في وضح النهار، دون أن يعانوا من الطائرات المعادية) بالإضافة إلى تثبيت الفرنسيين، المشغولين والمبعثرين، إلى حد لا يسمح لهم بتنفيذ عمليات التطهير المصممة في مشروع نافار، كفاتحة للهجوم العام ضد كبد قوات الفييتمينة في الشمال. وبالنتيجة لم تستطع الفرنسيون تصفية مناطق العصابات في جنوبي فيتنام، وأمام ذلك التهديد الدائم المتزامن مع الضغط على ديان بيان فو، لم يلبث أمل الفرنسيين باستعادة المبادرة أن تبخر.

واختنق المشروع قبل أن يوضح جدياً موضع التنفيذ. وكان تدمير قاعدة ديان بيان فو الحصينة، واستسلام ما تبقى من حاميتها حدثاً حاسماً[9]. ويقول برنارد فول: (في الثامن من أيار ١٩٥٤، وفي الساعة الواحدة وثلاث وخمسين دقيقة، – بالتوقيت المحلي – سكتت المدافع الأخيرة في ديان بيان فو، بعد انقضاض يائس بالسلاح الأبيض، شنه الجزائريون وجنود الفرقة الأجنبية الذين كانوا يدافعون عن معقل (ايزابيل)، عندما اجتاحته أعداد كبيرة من الفيتناميين الظافرين. وهكذا انتهت تقريباً، الحرب التي دامت ثمانية أعوام).

[9] كانت الحامية في الأصل تضم ١٨ كتيبة مشاة، و٣ كتائب مدفعية ووحدات من المدرعات والمظليين. وكانت هذه الحامية تدافع عن ٤٩ معقلاً حصيناً من الاسمنت، ولقد استمرت معركة ديان بيان فو ٥٥ يوماً.

وأوصلت لجنة تحقيق عسكرية، أرسلت من فرنسا لتحديد حجم الكارثة، بترك شمالي فيتنام، ومحاولة الصمود، جنوبي خط العرض ١٧. واعتمدت التصفية الديبلوماسية التي جرت في جنيف هذا القرار.

ويكتب فول: (انتهت حرب الهند الصينية في ٢١ تموز ١٩٥٤، في الساعة الثالثة والدقيقة الثالثة والأربعين، وخسرت قوات (الاتحاد الفرنسي) فيها ١٧٢ ألف شخص بين قتيل وجريح، وتحطمت إلى الأبد سيطرة فرنسا على فيتنام)].

لاحظ هنا تكتيكات مطورة عن أسلوب ماوتسي تونج، وهؤلاء يعتبرون تلاميذ له في تنفيذ هذه التكتيكات، بالإضافة إلى الأيدولوجية القتالية.

لابد أن نتوقف لنتحاور في هذه القضايا:

اتفضل..

الأخ: موضوع تجاوز الحدود الدولية.. ..

الشيخ: أخونا له فكرة أخرى عن تجاوز الحدود الدولية، فمثلا عندي معرفة عما تم في فيتنام، لكن سبق أن تكلمنا عن تجاوز الحدود الدولية في البلاد عندنا، قلت لك حتى من الناحية العسكرية التحول من مدينة إلى مدينة أصعب من التجول بين سوريا ولبنان والأردن.

الذي يحضرني الآن أن هتلر كان كسبه الأساسي في معركته مع فرنسا في الحرب العالمية الثانية تجاوز الخطوط الدولية عن حدود بلجيكا حتى التف على خط ماجينو، الفرنسيون أقاموا كل حساباتهم على

أساس ضمان حياد بلجيكا وهولندا، وأن هتلر لن يدخل من هذه المناطق، فبنوا خطا دفاعيا مثل خط بارليف الذي كان عند الإسرائيليين، في تحصينات عمليا لا يمكن اختراقها من قبل الألمان، وهتلر أعطاهم كل التطمينات أنه سيحترم هذا الحياد، فحشدوا كل الذخائر والجنود في خط ماجينو على طول الحدود الفرنسية، وكل الذي عمله هتلر أثناء العمليات أن عكست قواته بلجيكا ودخلت والتفت من مناطق ليس فيها تحصينات وأخذوا المناطق التي وراء الخط، فصار الخط كله له، كل ما فيه من أسلحة وذخائر صار للألمان، وكانت القضية احتلال الحدود الدولية.

الأخ: أي حركة في الدنيا تريد أن تنجح لابد أن توضح هذه النظريات الموجودة عندنا، لا يكفي أن يقول العدو خطأ وأنا صح، وإن كان هذا الكلام صحيحا، فلا يكفي لبدء قتال ولشن معركة، متصورين عدة أشخاص وعدة بنادق ثم نقاتل! كيف سنقاتل؟

ايش نظريتي العسكرية؟ ايش نظريتي السياسية؟ ايش منهجي الاقتصادي؟ لا يكفي أن أقول أنني أكتفي بالأسماء والصفات، وأنا رايح أقاتل العالم كله عشان أنا عارف الأسماء والصفات وهم مش عارفين، فهذا قبيح.

الشيخ: على كل حال، بالإضافة إلى خارطة أخينا الجميلة، نذكر بأنه إذا كان عندكم وقت مع كل الكلام الذي نحكيه ومدارسة المناهج، فحاولوا أن تجعلوا وقتا لقراءة "الموسوعة العسكرية" هيك عدة مجلدات، فيها تاريخ الحروب من قديم الزمان إلى يومنا هذا، وفيها شوية أسهم على خرايط على دول، تفتح الآفاق، وتعطي فكرة للإنسان على موضوع المناورة العسكرية، وشوية تصور.

يعني أنا في السياسة قلت لك اقرأ مذكرات الزعماء، لأنها عصارة التاريخ، وخلاصة بدون كذب غالبا، بدون التهويلات الأيدولوجية التي في الكتب العامة، وعصارة التجارب، وكل واحد من الزعماء يحاول أن

يعطي خلاصة خبرته، خاصة وهو كتبها في آخر عمره، وكثير منهم كتبه بعد أن خرج من السلطة وأعبائها، فتستطيع أن تستفيد منها.

وفي العسكرية، اقرأوا "الموسوعة العسكرية" واقرأوا الكتب التي أرخت للحروب.

الآن في الوقت المتبقي حوالي نصف ساعة، نحاول نناقش كلام أخينا أبي سليمان، لما قال: كيف نتعامل مع الطوائف والشيع الدينية؟

الأخ مقاطعا: بس سؤال يا شيخ؟ .. .. ..

الشيخ: أخونا أبو طارق سأل نفس السؤال تحديدا، وأخونا أبو وليد أجاب عنه بثلاث نقاط، فممكن أخونا يرجع يلخص لنا الإجابة، معنا الآن التجربة الأمريكية مع الفيتنام، هي الآتية بعد هذه التجربة التي انتهت.

نعود إلى سؤال أخينا أبي سليمان: كيف تتعامل الحركة الجهادية في معركتها المفتوحة مع الغرب واليهود والحكومات المرتدة والمنافقين، وهي تجد أمامها طوائف عثرة؟

طبعا في بعض البلاد ليس فيها طوائف، وهي قليلة جدا، وفي بلاد كمنطقة الشام سماها الفرنسيون — وهي تسمية صحيحة– "المنطقة الفسيفسائية"، والفيسيفساء هو فن قطع الصخر وغيره التي يصنع منها لوحات دقيقة في العصور الوسطى وكل قطعة لها شكل، فعندنا الآن في بلاد الشام كلها لبنان وسوريا وغيرها، عملت أنا إحصائية هكذا للسكان: عندنا حوالي ٢٦ مليون من أهل السنة، ٣ مليون من النصارى، نصف مليون من الدروز، نصف مليون من الشيعة، آلاف من عبدة الشيطان الزيدية الطائفة الموجودة، عدة آلاف من طائفة الإسماعيلية، يعني يكاد لا يكون هناك طائفة دينية في العالم الإسلامي إلا موجود منها في هذه المنطقة، فمجموع هذه الطوائف يشكل حوالي ٣٥ % من السكان، وال ٦٥ % هي لأهل السنة.

الأخ: واليهود؟

الشيخ: طبعا عدد اليهود الأصليين من أهل الشام كان ٦٠٠ ألف، وارتفع العدد في سنة ١٩٤٨ وصولا إلى الآن حوالي ٤ مليون أو ٥ مليون، وهم سائرون في هذا الاتجاه بسرعة، إن شاء الله ستتحقق النبوءة أن يحتشدوا من كل العالم في هذه المنطقة، استعدادا للمذبحة الأخيرة التي ستحصل لهم.

في مصر في إشكال كبير بوجود الأقباط، والسياسة الدولية تجاه مشكلة الأقباط.

طبعا إلى جانب هذه المشاكل الحركة الجهادية أمامها مشكلة أخرى وهي: تعدد الجماعات الإسلامية أصلا، أي التي لها موقف مختلف أصلا من موضوع الجهاد كله، الطرق الصوفية على مختلف أوضاعها، المدارس السلفية، الإخوان المسلمون.

وعندك العقدة الثالثة هذا ما نسميه في السياسة "الخارطة السياسية" أو "الجغرافيا السياسية"، في الجغرافيا الطبيعية نقول: هنا مرتفعات أنهار جبال بحيرات، في الجغرافيا الاقتصادية نقول: هنا بترول هنا غاز، في الجغرافيا السكانية نقول: أعراق إلى آخره، وهناك ما يسمى بالجغرافيا السياسية، وهي خارطة القوى التي لها علاقة بالمعركة: معك، ضدك، حياد.

عندنا الطوائف الدينية المحاربة للإسلام، عندنا الطوائف الإسلامية نفسها الداخلة في أهل السنة، ولكن لها موقف منا وجزء منها مع الحكومة، عندنا بعد ذلك الأحزاب السياسية وكتلها وتوجهاتها، عندنا الأقليات العرقية كالبربر والأكراد كأعراق وليس كدين.

في لبنان التي مساحتها ١٠ آلآف كم فقط يعني ولا شيء، أثناء الحرب الأهلية فيها، كان هناك ١٠٨ من الأحزاب السياسية، ٣٦ دين، ٤ أو ٥ قوميات: الشركس، الأرمن، العرب إلخ، بالإضافة إلى الصيغة الدولية التي فيها، فالخارطة السياسية فيها مصيبة برمتها.

فأقول رجوعا إلى سؤالك: هي نفس القواعد التي تحكمنا في التعامل مع كل هذه المشاكل:

أولا: كل من ليس من المسلمين، فهو من الكافرين، الكفر ملة واحدة، فلما نقول: نحيد فلان مثلا= لا يفهم شخص أنني أخرجته من الكافرين وأدخلته في المسلمين، موضوع أنه من الكافرين شيء، وموضوع أني أفتح معه معركة الآن شيء آخر.

الوضع النهائي لعلاقة المسلمين بالكافرين محدد بالسياسة الشرعية، الوضع النهائي لما أنت السلطة وعندك شوكة وعندك قدرة وعندك إمارة، فأبناء أهل الكتاب مسموح لهم أن يعبدوا الله كمواطنين موجودين ويدفعون الجزية، إلى آخر الأحكام المعروفة.

الناس الملحدون الكفرة أصحاب الدعايات السياسية التي تتناقض مع شريعة الإسلام= هؤلاء مرتدون، لا يقبل من مرتدي العرب، في النهاية لما تصير أنت في وضع تطبيق آية السيف، قال تعالى (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) إلخ، كما فعل بنو العباس جاءوا إلى ناس ليس لهم دين، قالوا لهم: انظروا دينا من الأديان الموجودة فادخلوا تحته، حتى نعاملكم بالجزية، ومعكم فرصة، فإن لم تدخلوا تحت أحد قتلناكم.

فهذه الأحكام الأخيرة محل اتفاق لا محل خلاف، حتى لا يظن أحد أن ما سنقوله في موضوع المناورات السياسية يخرج على الأحكام الأخيرة، لما تقدر تسوي نفسك أبو جعفر المنصور وترسل رسالة إلى نقفور كلب الروم وتضع الجزية= خلاص قم اعملها.

أما الآن وأنت تريد أن تفتح معركة، فأمامك خارطة من القوى السياسية، المبدأ الأساسي من هذه الخارطة هو أنك: [لا تفتح إلى جانب المعركة الرئيسية محاور لمعارك أخرى تتحول إلى معارك رئيسية] هذا أصل في الخطة العسكرية، يعني ممكن تفتح معارك جانبية، ولكن لا تتحول إلى محور أساسي لمعركة.

مثلا في الجزيرة، هذه مناورة حاول الشيخ أسامة والإخوة في الجزيرة أن يدخلوها، نقول: معركتنا الآن مع الأمريكان، من باب الإحراج السياسي، ووضع الناس في إشكالية في مواجهتنا.

وأذكر أنه في كتاب "زاد المعاد" فصل: هديه صلى الله عليه وسلم في جهاد الكفار والمنافقين، فذكر مراحل كثيرة، أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر أولا بالصفح نتيجة حالة الاستضعاف، فلما حصل كذا

نزل كذا، ثم أرسلهم إلى الحبشة، فلما نزلت آية كذا حصل كذا، فلما هاجر إلى المدينة انقسم الناس أصنافا: فمن العرب محارب ومنهم محايد ومنهم كذا، ففصل كل التفصيلات، وذكر الأحكام الشرعية لكل مرحلة من المراحل، وفي الآخر قال فنزلت آية السيف التي جعلت العلاقة (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) قال بعض العلماء: نسخت هذه الآية ١٢٤ آية أخرى في الصفح والكف والظروف الأخرى غير القتال، فذكر سيد قطب في "الظلال" بعد استعراض كلام ابن القيم، قال: وهذه الأحكام ليست منسوخة نسخا نهائيا، بمعنى أنه إذا جاء المسلمين ظرف مثل الظرف الأول فتعود أحكام الظرف الأول التي تعرض لها الرسول عليه الصلاة والسلام.

فأنا ظننت أن هذه من سيد يعني تفرد بها أو رأيه، فبعد ذلك وقعت على نصوص لبعض العلماء في هذا المعنى، وأن الغالبية من العلماء ليسوا على نسخ هذه الآيات نهائيا، وقالوا: من ظن أن هذه الآية نسخت كل الآيات الأخرى نسخا حكميا= فقد وهم، ولم يكن الأمر هكذا، وإنما إن عادت ظروف الحكم الأول من الاستضعاف أو غيره، فتعود نفس الأحكام التي تعامل معها الرسول عليه الصلاة والسلام.

فأقول أن هذه الأحكام كلها مبينة في السياسة الشرعية، ولكن نحن في بحثنا البحث السياسي العسكري، يجب أن نصف هذه الخريطة السياسية: أديان، أعراق، أقوام، قبائل، نقوم بعملية تلوين ونرسم شبكة للعلاقات فيما بينهم على الورق، ونحدد ثلاث طوائف عريضة: أعداء، حياد، مناصرون.

ونختار قلب الأعداء ليكون بوابة للصراع، وهذا النوع ليس هناك مفر لا ديني ولا سياسي ولا وضعي ولا حكمي من عدائه المباشر، مثل حالتنا مع اليهود والنصارى.

ثم آتي إلى الحكام المرتدين، فأجدهم البلاء الثاني الذي ليس منه مفر من عدائه وقتاله، وقتال الأمريكان سيجر تلقائيا إلى قتال الأمن والجيش والشرطة، من بداية المعارك أصلا.

فقد أأمر قواتي بأن تكف عن الجيش والشرطة ولا تقوم بأي عمل هجومي، ولكن فقط بعمل دفاعي، فما يخرج واحد يقول: فهؤلاء المرتدون حكمهم أقرب، وقال العلماء فيهم: قتال المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي، ويلزمني بنص شرعي حتى أُلزم سياسيا وعسكريا على الخريطة به!!

وذكر أخونا البارحة وأتعبنا في النص الذي نقله من "المغني" لما قلنا (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)، وفهم منه بعض إخواننا وبعض الجماعات الجهادية: قاتلوا الذين يلونكم، والذين يلوننا هم المرتدون، فقتال المرتدين مقدم على قتال الكفار الآخرين!

قال لي أخونا أبو عبد الله المهاجر: أصلا هذا الخطاب (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) هو خطاب لعموم أمة المسلمين، يا أمة المسلمين قاتلوا الذين يلونكم، والذين يلونكم هم اليهود والنصارى، الذين يلوا الأمة ككل، أما القتال الآخر فيأخذ حكمه بحكم ظرفه.

ثم جاء أخونا بنص من "المغني" لا بن قدامة: (قاتلوا الذين يلونكم) يعني الأقرب فالأقرب، إلا إذا نشأ عدو استوحش وهو بعيد وليس يليه، فيكون قتاله أولى من قتال الأقرب.

فحتى فقهاؤنا الأقدمون انتبهوا إلى هذه الحالة، وطبعا الآية أيضا تحمل في ظلالها معان معنوية (قاتلوا الذين يقاتلونكم) يعني بالخطر، والأهمية والبلاء، مش يلونكم بالمجاورة.

الآن الذين يلونني من الكفار القصر الجمهوري، حط لي دورية صغيرة ثلاثة عناصر، فهل أقول: الذين يلونني هم هؤلاء الثلاثة؟!

فممكن العدو يفتعل لي جبهات ويفتعل لي مشاكل يجعلهم (يلونكم من الكفار)، فهو يعلم أنني ممكن أنساق بأن أقاتل الأول فالأول، وأترك المعركة معه هو.

ولذلك أقول: هناك مرونة ضمن السياسة الشرعية، الأحكام النهائية –كما قال سيد قطب- يجب أن يُصار إليها، يعني يجب أن أسعى لأن آخذ بالحكم النهائي بآية السيف، يعني يكون عندي هدف وسعي لذلك، ولكنّ المسلمين في عصر بني أمية دفعوا مرة الجزية إلى الروم حتى يكفوا شرهم ويتفرغوا إلى جبهات

أخرى، بل إن الرسول عليه الصلاة والسلام هم أن يدفع نقودا لغطفان لما جاءوا، عرض أن يرد الأحزاب بثلث ثمار المدينة، لولا أن أهل المدينة أنفت نفوسهم.

رد الأحزاب بثلث ثمار المدينة هو نوع من أنواع الجهود العسكرية لقوة ضعيفة تجاه قوة قوية، وقَبِل في صلح الحديبية شروطا بالنسبة لنا نحن مجحفة، بل كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه مجحفة وغير مفهومة، ولكن ناور بها الرسول عليه الصلاة والسلام سياسيا، لعلمه أنه سيترتب عليها مترتبات أخرى.

فهناك هامش كبير جدا للمناورة السياسية والعسكرية ضمن الأحكام الشرعية العامة.

بعد هذه المقدمة أقول:

هناك من الطوائف من يعتبر مفتاح صراع أصلا، مش لأنه طبق الحكم الشرعي الموجب عليه قتاله، الحكم الشرعي يوجب عليه قتال كل هذه القوى، كل هذه الطوائف والأحزاب إما يجب أن تُقتل أو يجب أن توضع عليها الجزية في النهاية، وتدخل في أحكام الشريعة، ولكن هذا متى؟ عند القدرة.

عند القدرة يجب على كل هذه الطوائف أن تدفع الجزية وتدخل ضمن النظام الإسلامي، وقد غلط غلطا فاحشا وعرض عقيدته للخطر من ظن أن أحكام الجزية أصلا وأحكام الذمة= ملغية ساقطة بحكم الديموقراطية، كمن ذهب هذا المذهب مثل الغنوشي والترابي وهؤلاء الناس، يريدون أن يسرقوا جزءا أساسيا من الدين وينسخوا تشريعه إرضاء للغرب، فهذا ليس منهجنا والحمد لله.

ولكن نقول أن خارطة القوى وحالة استضعاف القوة والقدرة تفرض علينا عملية تلوين القوى السياسية والدينية الموجودة، وطريقة فتح المعارك معها.

الآن وأنت في قتالك لليهود والأمريكان ممكن تتخذ قرارا واحدا خطأ= تحمل طائفة برمتها من خانة الحياد واللامبالاة في المعركة إلى أن تتسلح وتتدخل مع الأمريكان، وتكون يعني إسفين في ظهر وجودك، ورأس ارتكاز للقوات الغربية.

ويمكن بشيء من الوعود والتطمين لهؤلاء الناس وعدم إقحامهم في المشكلة= تجعلهم لا يمكنون من أنفسهم رأس جسر للعدو يدخل به، بالعكس ممكن تضعهم معك.

هؤلاء الناس على طول الخط ثبت في التاريخ أنهم كانوا معادين للإسلام والمسلمين، النصارى كانوا رأس الحربة في عملية الغزو الصليبي في الدفعة الثانية من الحروب الصليبية (١٧٩٨-١٩٧١)، والآن شنودة لما بدأت العمليات على الأقباط والهجوم على بعض الصاغة من المسيحيين، قال: إذا لم تتوقف هذه الأعمال فسندعو لكم أمريكا تحتل مصر كما احتلت الكويت، هكذا علنا جهارا نهارا، يعني نعمل لكم حرب خليج أخرى.

المسيحيون في دمشق ألقوا الزهور على حملة "غورو" لما دخل دمشق وقالوا عاد الصليب، الدروز لا يعتبرون أنفسهم مسلمين، ويعتبرون أنفسهم في حالة عداء مع المسلمين، وأن اليهود والنصارى إليهم أقرب، ولذلك دعمهم الإنجليز على طول الخط، وكانوا مرتكز السياسة الإنجليزية في بلاد الشام، الفرنسيون اختاروا الموارنة والنصيرية، حتى كانوا يسمونها في لبنان "الأم الحنون"!

النصيرية تسلحوا وعملوا ميليشيا وخرجوا، أنا أوردت وثيقة في بداية "التجربة السورية" لما سورية استقلت النصيرية رفعوا كتابا يناشدون فيه فرنسا أن هذا الشعب السني ونحن الشعب العلوي، وهؤلاء الناس فعلوا فينا كذا، ويريدون استمرار احتلال فرنسا.

فكل حالة بحالها، هناك أحكام شرعية ليست محل نقاش بل هي ثوابت، في حالات للمناورة الشرعية والاستضعاف وضعف الإمكانيات وتحييد القوى= موجودة في السيرة ولنا أن نقيس عليها، وفي حالات من الضرورة تلزمك بمعركة أساسية ولا تفتح فيها معارك جانبية، فتتفرغ لخصم ثم تتفرغ لخصم آخر تصفيه ثم على الثالث، حتى تخضع الكل إلى الأحكام العامة النهائية التي يجب أن يصار إليها.

ولكن قد يظن رجل أنه من المنهج إعلان الحرب على كل ألوان الكفر والمنافقين والأحزاب والرجعيين والطوائف والقوميات وكل الناس، وتعالوا افتحوا الحرب مع كل هذه البشرية، فتكون عرّضت نفسك للافتراس مطلقا.

التاريخ الإسلامي يا جماعة غني جدا جدا في السياسة والحروب والعلاقات، في كتاب أذكر درسناه في كلية التاريخ اسمه "العلاقات الدولية بين الإسلام والغرب في مرحلة الدولة الأموية" ايش المراسلات والعلاقات والجوار والإجبار والغزو والقتال.

ثبت عند أحد المؤرخين أن حرب الخليج الأخيرة هذه التي حصلت هي المعركة رقم ٣٥٦٤ بين المسلمين والنصارى في التاريخ، فتعجبت على مدى ١٥ قرن عندنا ٣٥٦٤ معركة، يعني كل ستة أشهر قتال بينهم كمتوسط.

فاليهود والنصارى وحلفاؤهم ثبت في التاريخ أن كل هذه الطوائف قامت بالغزو والقتال، الشيعة في بغداد هم الذين أدخلوا هولاكو على بغداد، وهم الذين فعلوا كل هذه المصائب على مر التاريخ الإسلامي.

وهذا حوار ساخن مرة طرحته على أشد الإخوة الجهاديين رجل من طلبة العلم، قلت له: ممكن سؤال واحد؟ قال لي: نعم، قلت له: لو اجتاح اليهود جنوب لنان، وتعرض المسلمون السنة هناك للإبادة وتعرضوا للانتهاء، وكان الوضع العسكري يوجب القتال بجانب ميليشيا حزب الله في رد اليهود الآن، ايش الحكم الشرعي في هذه المسألة؟ يعني نعرف الشيعة وعقيدتهم ووضعنا معهم ومعركتنا، الآن وقع صائل ايش الحكم الشرعي في هذه المسألة؟ فسكت. قلت له: لأ قل لي، ايش القصة في هذه المسألة؟ فقال لي: قد يتحول من جائز إلى واجب.

مع أن الأخ سلفي جدا، وطالب علم، ومتفرغ جدا لهذه المسألة، لما حصرته في القضية قال لي: ممكن يتحول من جائز إلى واجب.

قال لي: ولكن لازم أنبه إلى شغلة؟ قلت له: ايش؟ قال لي: نحن ما أهلنا شباب التيار الجهادي في المناهج التي أعطيناهم، أن يتحملوا مثل هذه القضية.

طبعا لا يفهم أحد من كلامي أن هذه دعوة للقتال مع الشيعة أو الدخول في تحالفات مع الشيعة، ولكن أضرب مثالين تاريخيين واضحين جدا في دفع الصائل:

لما ارتدت شمال أفريقيا، والبربر ارتدوا عدة مرات حتى ترسخ الإسلام عندهم، هم والأفغان ارتدوا عدة مرات وفتحت بلادهم عدة مرات، لما ارتدوا كانت شوكة المسلمين السنة ضعيفة جدا في شمال أفريقيا، فذهبوا إلى رجل من الخوارج الإباضية وقالوا لا نرى أكفأ منك في أن تحمل راية المسلمين في قتال المرتدين، وهو رجل خارجي، وكان بينهم وبين أهل السنة قتال ومساجلات كثيرة جدا، يعني قتال منهجي وقتال عسكري، فسألوا أحد علماء المسلمين نسيت اسمه ايش تقول؟ فقال: نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة، وكان هذا شعارهم وقتها، لأنه قد تحولت المسألة إلى دفع صائل، فاجتمع أهل السنة والخوارج وقاتلوا المرتدين، ثم انفض الجمع فرجعوا إلى مشاكلهم وتقاتلوا مع بعضهم البعض، ولكن كانت القضية دفع صائل فأخذت بعدا بهذا الشكل.

أما الموضوع الآخر الذي أريد أن أحقق فيه تاريخيا من كل كتب التاريخ، لأني درسته بشكل سطحي في الجامعة، وهو كيف تصرفت الدولة الأتابكية الزنكية والأيوبية في رد الحملات الصليبية، وقاتلت إلى جانب جيش العبيديين في مصر قتالا مشتركا.

كرواية تاريخية هكذا سريعة، أن مصر كانت فيها خلافة فاطمية، والخلافة الفاطمية حينها كان أهل السنة شرقا وغربا أجمعوا على كفرهم كفرا بواحا، وأنهم أكفر من اليهود والنصارى، يعني أخذوا حكما عند المسلمين لم يأخذه الشيعةُ الجعفرية الموجودون الآن، أخذوا نفس الحكم الذي أطلق على النصيرية، وكان دينهم يعتمد على تحضير الجن والشعوذة والسحر، وليس له علاقة بالإسلام لا من قريب ولا من بعيد، هؤلاء الناس كانوا يحكمون مصر.

ومع ذلك تقرأ في "سير أعلام النبلاء" أن لعلماء السنة شهداء كثيرين في الإنكار عليهم وفي مواجهتهم إلخ، حتى في قصة عظيمة جدا ذكرها أظن أبو نعيم في "الحلية"، أن أحد قضاة المسلمين في القيروان كان يقول: إذا كان عندك عشرة أسهم ترمي العبيديين بتسعة والنصارى بواحد! وقرأت رواية أخرى أنك ترمي التسعة ثم ترمي الواحد أيضا، لا توفر شيئا للنصارى، فلما دخل العبيديون إلى منطقته جاءوا به إلى الخليفة قالوا له: أنت القائل: إذا كان عندك عشرة أسهم، ارمِ خمسة في العبيديين وخمسة في الصليبيين؟ قال: لا،

أنا ما قلت هكذا، أنا قلت: نرمي التسعة فيكم والعاشر فيكم! فأخذوه وجاءوا بجزار يهودي وقالوا له: اسلخه، فقعد يسلخ جلده أمام الناس وهو يئن ويقرأ القرآن سرا، حتى روى أبو نعيم قال: ما أجوده بنفسه لله، كان يقرأ القرآن ولا يتأوه، حتى أن الجزار اليهودي من كتر ما اشمأز من حاله، اعتبر نفسه أخطأ ووخزه في قلبه، قتله حتى يتخلص من الألم.

فقلت لك أن علماء أهل السنة لم يقصروا في توضيح الحق، ولا قصروا في الإنكار، ولكن لما وقع الصائل كان لهم فقه واضح في موضوع دفع الصائل، فلما جاء الصليبيون بحملة صليبية من بيت المقدس إلى مصر، واتفقت الحملة الصليبية مع الأسطول الروماني البيزنطي أن ينزل في سواحل الدلتا وأخذ مصر، وكان غرض الصليبيين من أخذ مصر هو أخذ القمح منها، وهو نفس السبب الذي احتل الإسكندر المقدوني مصر، أنها تمد كل الجيش بالغذاء، في الوقت الذي أصبحت فيه مصر الآن تعتمد على الإمداد الأمريكي كل ثلاثة أشهر من القمح! إذا انقطع= الناس تموت من الجوع.

الشاهد في الموضوع أن صلاح الدين أُرسل من نور الدين زنكي إلى مصر، وكان الغرض هو دفع الحملة الصليبية، ولما اندفعت الحملة الصليبية جاء بجيش أهل السنة من أهل الشام وعموم أهل السنة من مصر التي حكم علماء السنة فيها بكفر من يشهد بإسلام الحكومة، شوف الفرق بين هؤلاء وبين الآن وابن عثيمين، قالوا: يكفر من علماء أهل السنة من يدعو على المنبر لخلفاء العبيديين! فما رأيك في هؤلاء الناس الذين يدعون جهارا نهارا لكل الحكام المرتدين، ويدعون للأمريكان؟

المهم لما ذهب صلاح الدين إلى هناك قاتل معهم، وكانت راية الجيش هي راية شيعية فاطمية، وكان صلاح الدين قائدا عسكريا ضمن كل هذا السياق، ووضع الرجل تصوراته كلها في دفع الصليبيين، ثم دفع الروم، ثم الانقلاب على الخلافة الفاطمية، ثم الإجهاز عليها والاستفادة من المعركة كلها لصالحه هو، وهو ما كان يجب على المسلمين أن يعملوه في معركة الوحدة، دفعنا الصائل والسلاح بأيدينا فنأخذ صنعاء وانتهى الموضوع، فطلع هذا كان برنامج صالح.

فما هو الحكم الشرعي لدفع الصليبيين والروم على أعراض المسلمين، في خريطة فيها طوائف أصلا بيننا وبينهم قتال، ولكن لم يقل أحد من علماء المسلمين كلهم أنها ليست من أهل القبلة؟!

فهناك أولويات أقول: ملحئة جدا جدا جدا تفتح هامشا، وأنا هنا لا أفتي ولا أضع أحكاما، ولكن أقول هي مسائل مطروحة على علماء الجهاد في هذا الوقت.

ولذلك أنا لا أقول الآن، تعالوا نقاتل مع بعض وندفع الصائل مع بعض، نريد فقط أن نقنع الإخوة أنه يمكن تأجيل هذه المعارك بس، وليس القتال معهم ولا دفع الصائل معهم، تأجيل المعارك الجانبية، ووضع تصنيف سياسي عسكري لأولويات العدو من ناحية إمكانيات النجاح، فلو استطاع العدو أن يضع أمامي مجموعة من الطوائف يليهني بهم، خلاص بقيت أمريكا آمنة، ولو استطعت أنا أن أحيّد مجموعة من هذه القوى ضمن أصول السياسة الشرعية، وأعطيها من الوعود ومن الحقوق ما تكفله لهم الشريعة أصلا وأطلعهم من المعركة.

لأنهم في النهاية يخافون، النصارى يتعاملون مع المسلمين في المنطقة دائما هكذا، يقولون للغرب: نحن نساعدكم ثم تذهبون ونبقى مع المسلمين يذبحوننا، فهم عندهم خوف من الدخول في المعركة، فيجب ألا نعطيهم شعورا أننا سنذبحهم، بغض النظر دخلوا أو لم يدخلوا!

والإسلام لم يأمرنا أن نبيد النصارى في بلاد المسلمين، الإسلام أمرنا بإخراج النصارى من جزيرة العرب، فأخرج آخرَهم عمرُ بن الخطاب وأجلاهم لأراض في بلاد الشام، فقالوا: هذه أراض خير من أراضينا، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب"، ثم لهم أحكام، ثم لهم جزية، ثم لهم أوضاع، ولما تأخذ الأمور مجراها الطبيعي كان أساس دخول الإسلام في بلاد الشام على إسلام هؤلاء الناس، نتيجة حسن المعاملة والوضع والجزية.

طبعا كل بلد بحسبها، وكل مرحلة بحسبها، وكل ظرف بحسبه، وكل موقف بحسبه، لا نستطيع أن نقول: سياستنا مع الدروز كذا، لأنه ما في شغلة في السياسة ثابتة، ولكن أقول: هناك مناورة دائمة، وهناك تحييد دائم، وهناك معركة رئيسية ومعارك فرعية تؤجل، حتى قال الله تعالى (فإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم

على سواء)، يعني حتى أعطاك مجالا، ولكن تأكد عندك خوف الخيانة فتنبذ عهدهم وتهجم عليهم، فالقضية قضية سياسة شرعية، جهاز عسكري سياسي شرعي كله متكامل متضافر مع بعضه.

ولذلك أقول من أصول التربية المنهجية المحدودة والضيقة النظر في صفوف الجهاديين، أنها كبلت قيادتهم في المناورة السياسية إلى حد كبير جدا جدا جدا، وضيقوا على أنفسهم واسعا لم تضيق فيه الشريعة أصلا، الشريعة نفسها لم تضيق هذه التضييقات.

انتقلنا من الطوائف إلى المسلمين أنفسهم، إلى المذاهب نفسها، إلى مذاهب أهل السنة، إلى مدارس عقدية فيها شيء من الخلل والبدعة فجعلناها مجالا للحرب، حتى ظهرت نتائج هذا التفكير في ألمع صوره في الجزائر.

فالقضية قضية مناورة وتحييد قوى، وأرجع أقول في إطار سياسة شرعية محكومة بالنصوص، إما أن تستطيع أن تقرأها أو تسأل عنها أهل العلم، ولا يزال الحمد لله في ناس برة السجون ممكن الواحد يسألهم، فإن لم نستطع فنعمل مثل ما فعل معاذ ننظر في كتاب الله، ثم في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أجتهد رأيي ولا آلوا.

ويجب أن تميزوا، هذا من أحد أهم المقاتل عندنا، نحن في هجوم معاكس الحمد لله، المسلمون الآن هم يهجمون، وهذا الذي أجبر الغرب أن يهجم علينا بحملة صليبية، لأنه حسب حسابه إذا استمر الهجوم المعاكس للجهاديين ستسقط الحكومات وستسقط المصالح الغربية، فعجل بحملة صليبية ليقطع علينا الطريق، فنحن في هجوم معاكس ولكن مع ذلك لا زلنا في مرحلة من أشد مراحل الاستضعاف والضعف، لا يمكن أن يأخذنا واحد بأحكام العزيمة هذه بتاعة أبو جعفر المنصور، وأن الإمام أحمد كذا وقتال المبتدعة، الإمام أحمد كانت مشكلته المبتدعة، هي المشكلة الوحيدة أمام الأمة.

فهذه الأمور يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

النصيرية في بلاد الشام مفتاح صراع أصلا ومعركة مفتوحة، بينما الأقباط الآن في مصر ليسوا مفتاح صراع، اليهود والأمريكان هم مفتاح صراع، ورجعنا نقول الآن أن الحكومة لم تعد مفتاح صراع، فهناك بلاد معافاة من هذه المشكلة ليست قائمة فيها، وهناك بلاد ليست معافاة جدا جدا وتأتي في صدارتهم بلاد الشام.

ولو تنظر سبحان الله كنت أتابع المشكلة اللبنانية في الآخر رميت الورق، لم أعد أفهم طبيعة التحالفات والمصائب، مرة السوريون ضد الكتائب مع الفلسطينيين، مرة الفلسطينيون مع الشيعة يهجمون على الكتائب، خريطة من التحالفات والأمور، ولو تابعت هكذا الأمور تجد كل واحدة لها مبرراتها من طرف الناس الذين قاموا بها في كل مرحلة من المراحل.

وتجد خلافات ضمن أهل السنة، ناس من أهل السنة مطلعين باقي أهل السنة، فهمت كيف؟ ومرة سمعت أخ اسمه أبو سلمة -الله يحفظه ما أدري وينه-، قال: أنا أخشى على رجل يلتزم المذهب الحنفي كلية ولا يخرج عنه أخشى عليه كيف يلقى الله سبحانه وتعالى، مع أنه قال هذا الكلام، إلا أنه وجد أن هناك أناسا قالوا وأخرجوا منشورا بأن الشيخ عبد الله عزام وأبا عبد الله بن لادن وهؤلاء الناس يقفون في سبيل قيام دولة بدعية، وهذا جهاد ليس في سبيل الله.

ايش القصة؟ قالوا: هؤلاء الأفغان في أحسن حالاتهم لن يقيموا دولة إسلامية، بل سيقيمون دولة حنفية، فهذا جهاد ليس في سبيل الله، فجمعوا المجمع وجابو الدكتور فضل -اللي رأيه في الحنفية شديد أصلا- قالوا له: تعال شوف الطامة هذه والإخوة يتكلمون، فقعد وهو بيتكلم شاف أبو سلمة، قال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما هؤلاء الأفغان فقد ثبت لدينا أن هؤلاء الأحزاب في أحسن حالاتهم إذا استلموا الحكم سيقيمون دولة حنفية، قال: وقد اتفق علماء السلف جميعا على أن أبا حنيفة كان رجلا مبتدعا!! وأنا حاضر في الجلسة. قال: وأخونا أبو عبد الله والشيخ عبد الله عزام أعلنوا مساندتهم للحكومة المؤلفة من الأحزاب التي ستقيم هذه الدولة، فهذا: قتال في سبيل إقامة البدعة فهو ليس في سبيل الله، ولا يجب أن ندعو الناس للاستشهاد معهم.

فالدكتور فضل –اللي رأيه في الأحناف ما ذكرته من الشدة– تكلم وقال له: يا أخي أولا أريد أن أقول لك أن علماء السلف متفقون على أن الإمام أبا حنيفة من السلف الصالح وليس كما ذكرت، وأما المذهب الحنفي فقد حكم الدولة الإسلامية من تاريخها ألف سنة من أصل ١٤٠٠ سنة، ٥٠٠ عند العباسيين و ٥٠٠ عند العثمانيين، ولم يوجد أحد من العلماء قال: هذه الألف سنة خارجة عن الإسلام والمسلمين، الخلافات الفقهية معروفة والعلماء ضبطوها بضوابطها، فالقضية ليست كما ذكرت.

فالشاهد انظر هذا التضييق الذي ضيقه الرجل.

حتى أنا كنت في دورة في معسكر وكان أخونا –غفر الله لنا وله– ينتظر من أجل الأفغان بس الأذان يؤذن، حتى يشوف بس أن احنا أذاننا غير أذانكم وصلاتنا غير صلاتكم.

فهذه العقلية ممكن تثير كل المشاكل التي يمكن أن تتصورها في المسألة، وهذا غير الخلاف الفقهي في البحث عن الحق وفي تحري الدليل.

فإذا كانت هذه العقليات بهذا الشكل، فلا أدري كيف تتصور أنك أنت في سبيل صد حملة صليبية على جنوب لبنان عملنا هدنة مع الدروز لمكاسب معينة، سيقول لك: والدروز والعقائد وقول الرسول عليه الصلاة والسلام وكذا.

حتى ابن تيمية قال: (ومدار السياسة الشرعية في جملتها على المصالح والمفاسد)، لاحظ أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما تكلم والتشريع لما نزل في أشياء ثابتة لا تتغير، فجاءت أحكامها الشرعية تفصيلية جدا جدا جدا، الطهارة وكل القضايا هذه، وفي قضايا هامة جدا في أمور المسلمين وجاءت أحكام الشريعة فيها خطوط عريضة ليست تفصيلية، لماذا؟ لأن هذه الأمور تابعة لظروف الناس ومصالحهم ومفاسدهم وقراءتهم وضروراتهم، فجاءت هكذا كلية.

هذا الموضوع الذي أثاره أخونا أبو سليمان من أكثر المواضيع شائكية، وهو ما هو هامش المناورة الموجود تحت يد القيادات الجهادية في أن تتحالف –ضمن مسائل من الاستضعاف إلخ– في ظل بعض

الإخوة الذين تربوا تربية شديدة جدا، حتى قلت لك أخ جهادي سلفي هو قائد في جماعة قال لي: عندنا مشكلة، كيف أقول للناس أنه ممكن أن أصد اليهود بأن أدفع مع حزب الله ولا غيره؟

فهذه الضرورات تقدر بقدرها، ونلفت النظر لإعادة دراسة هذه المسائل في الشريعة، وليس هناك قاعدة أساسية في هذه القضايا إلا ثوابت السياسة الشرعية ثم المصالح والمفاسد والضرورات، والله أعلم.

الأخ: .. ..

الشيخ: يا أخي اللي أنا درسته وابن كثير هنا ممكن نراجع القضية، الذي قرأته في أكثر من كتاب أن الخلافة الفاطمية كانت ضعيفة جدا، وكانت على وشك السقوط، وكان التنازع على مصر قائما بين إمارة بيت المقدس الصليبية وبين نور الدين زنكي الذي في دمشق، فلما علم نور الدين أن هناك حملة صليبية جاءت حتى تسقط الخلافة الفاطمية وتحتل مصر= أرسل أسد الدين شيركوه خال صلاح الدين الأيوبي لتثبيت الجيش المصري ضد الحلمة الصليبية، والجيش المصري في ذلك الوقت من المسلمين ولكن حكومتهم مين؟ الخلافة الفاطمية، فقوات الجيش يدفعون عن مملكتهم، ولعلمك وزير البلاط الفاطمي كان اسمه شاور أظن راح خان لصالح الصليبيين وأراد أن يسلمهم القاهرة، فطرده أسد الدين شيركوه وخلعه، وصار هناك عقد بين نور الدين زنكي وبين الصليبيين: نرجع احنا وانتم.

الأخ: .. ..

الشيخ: طبعا الحديث معروف بس حتى لا يخرج بحثنا عن الموضوع، وهذا قاله العلماء أنه إخبار وليس تشريعا، الحديث فيما معناه أنه تقع بينكم وبين الروم تقاتلون عدوا من دونكم فيفتح الله عليكم، فيقو رجل من أهل الصليب يقول: نصرنا بهذا أو نُصر الصليب، فيقتله رجل من المسلمين، فعند ذلك يقتتل

المسلمون والروم، وتقع الملاحم، فهذا يثبت بإخبار الرسول عليه الصلاة والسلام أن هدنة وقعت بين المسلمين والروم، وقاتلوا مع بعض عدوا من دونهم.

الأخ: هنا في الحديث في فرق بين القتال مع بعض والقتال تحت الراية، أظن هكذا.

الشيخ: لذلك أنا أقول لك: القتال في دفع الصائل أصلا حالاته من الناحية العسكرية لا تتميز فيه راية من راية ولا هدف من هدف، صائل وبلاء نزل فالناس دفعت الصائل، دفع الصائل عند ذلك يكون بغرفة عمليات مشتركة، ليس هو طرح مناهج ولا تقديم حكم ولا أحكمك ولا تحكمني ولا تابع لك ولا تابع لي! فهمت ايش قضية دفع الصائل؟

قضية دفع الصائل أنه وقع بلاء، فدُفع الصائل بالمتيسر، فأهل السنة في شمال أفريقيا قالوا: ندفع مع الخوارج، على أساس أنهم من أهل القبلة، ونقاتل معهم كل من ليس من أهل القبلة، ثم الذي حصل في الدولة الأتابكية في نهايتها، أن الأيوبيين والزنكيين دافعوا مع العبيديين، ثم استخدموا هذه المعركة للقضاء عليهم، يعني دفعوا الصائل ثم استخدموا النصر العسكري المشترك للقضاء على العبيديين!

فالشاهد في الموضوع: هل كان في نظر صلاح الدين وعلماء ذلك العصر أن هذا الاشتراك ودفع الصائل سيؤدي إلى إسقاط الخلافة الفاطمية والقضاء عليها وإقامة منهج أهل السنة؟ ممكن.

فإذا ثبت لك أنت الاشتراك في مثل هذه المعركة للقضاء على طائفة فيما بعد، تدخل ولا ما تدخل؟ هذه المشكلة التي تحتاج إلى إحالة لعلمائنا وفقهائنا حتى يقدروا، ومع ذلك الفتاوى فيها لن تكون تعميمية، يعني لن يخرج فيها قانون شرعي، أنا نحن نقاتل مع الطائفة الفلانية فيأخذ حكما شرعيا، هذه الفتاوى مرحلية في حينها، أنه تأتي الحالة: عندنا عدو كذا، صائل كذا، قواتنا كذا، عسكرنا كذا، عسكر

العدو كذا، ايش الحكم الشرعي؟ ويحكمون بدفع المفاسد واستجلاب المصالح في حالة هي أصلا إجبارية وليس قانونا تشريعيا، فهي قضايا خاصة في دفع الصائل.

أنا أتيت له بحالة صعبة مفزعة تصير إشكالا، لكي أقول له أن الحالة الأهون منها مفروغ منها، وهو أنه توجد طوائف أنا في حالة حرب معها، لكن لا أفتح معها معركة الآن لصالح الجهد العسكري الأساسي، هذا مشروع وعادي ويصبح واجبا في مرحلة من المراحل، لكن أنت تنحر نفسك وتدخل نفسك في كل هذه القوى الفرعية في بلاد تداخلت فيها القوى والمليشيات والأحزاب والدنيا، وسيكون الجهاد في المرحلة المقبلة من أصعب أنواع الجهاد نتيجة التداخلات.

الأخ: .. ..

الشيخ: أنا أقول إذا كان هناك مسلمون ديموقراطيون وناس عندهم بدع وعندهم شركيات، أضرب لك مثالا أبلغ من ذلك، فيما وصلني إلى الآن أن قضية دفع الصائل لم ينظر المسلمون فيها إلى تفاصيل عموم من دخل تحت مسمى لا إله إلا الله، ومن الأدلة على ذلك أن الإمام ابن تيمية من أعلام المنهج السلفي قاتل إلى جانب جيش المماليك ضد التتار، والمماليك كانوا الأفغان في بدعهم الحالية، يعتبروا سلف صالح بالنسبة للمماليك، على المصائب التي عندهم.

ولذلك كان هناك مناورات كثيرة بين الإمام ابن تيمية والحاكم نفسه وعلماءه على موضوع التصوف والبدع والقبور، والإمام السيد البدوي هذا عمل مشكلة مع الإمام ابن تيمية، اللي الآن ضريحه في مصر ويزار، بل أن بيبرس الذي كان يحكم القاهرة أيام ابن تيمية كان يحكم بالياسق، ولا يحكم بما أنزل الله.

أريد أن أقول أن التتار لما جاءوا بقضهم وقضيضهم وأصبح مصير الإسلام والمسلمين ووجوده كله نفسه مكان بحث= قاتل المسلمون كلهم كتلة واحدة، وكان فيهم هؤلاء الناس، وأثناء المعركة وقبل المعركة وبعد

المعركة إحقاق الحق وإبطال الباطل وإظهار المنهج، ثم الاستمرار في عملية تبيين السبيل أمر مارسوه على طول الخط.

إنما دفع الصائل دائما كانت حالة استثنائية، اتفق كل المسلمين أن يقاتلوا فيها ويدفعوا.

الأخ: .. ..

الشيخ: نحيل السؤال لأهل العلم، ولكن الذي أقوله: إذا كان الصائل يقصد المسلمين ودينهم وعرضهم، وكانت حالة الضرورة ملجئة في ظرف مثل الظروف الآن، الضرورة ملجئة يا إما يهتك عرضك وتؤخذ أختك وأبوك وأمك، يا إما تقاتل أنت في هذه الحالة لدفع الصائل، ثم تخرج من هذه الحالة إلى الحالة الأساسية التي أحكامها الشرعية معروفة.

الأخ: يعني إذا اليهود مثلا دخلوا إلى سورية مثلا، لنفترض لا قدر الله، فهل نحن مجبرون تحت الأمر الواقع أن نقاتل تحت راية النصيريين؟

الشيخ: لأ، مش هكذا القضية.

الأخ: يعني حكم النصيريين هو حكم العبيديين الفاطميين، ألسنا مضطرين؟

الشيخ: أنا أقول لك أنه في حيثيات تجعل الأمر جائزا أو غير جائز، إذا كنت أنت أو أنا صلاح الدين وعلمت أن دفع اليهود في هذه المعركة سيتأتى في نهاية المعركة إسقاط حافظ الأسد ومحو النصيريين عن آخرهم واستلام سوريا= فهذا أنا بعمله، لكن أن أدفع الصائل ثم تبقى السيطرة والسيف للنصيريين وأدخل في طاعتهم، وأكون أنا الضعيف أصلا؟!!

يعني هذه الأحكام تقدر بقدرها، ولذلك قضية الاستعانة بالمشركين، وهذا الكلام –وهو يسجل– ليس على سبيل الفتوى وإنما كل القضايا نحيلها إلى أهل العلم، ولكن بحسب ما سمعنا وتناقشنا فيه، هناك من العلماء من يقول أن الاستعانة بالمشركين محرمة بإطلاق، بصرف النظر عن أي حيثية لا كثير ولا قليل، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "إنا لا نستعين بمشرك"، وهناك من جعل الاستعانة بالمشركين محرمة ولكن تحل بشروط، وسجل ذلك عند بعض فقهاء الشافعية، الشروط لما تقرأها تجدها لا تخرج عن الحكم الأصلي.

قالوا: إذا كان هناك حاجة لهذا المشرك، حاجة ملحة لا تتم قوة المسلمين إلا به.

وإذا كان هذا المشرك ضعيفا، لو أراد الغدر نحن نتمكن منه ولا يتمكن منا.

وإذا كان بصفته الفردية، كما أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام دليلا كافرا، وليس بكتلة.

فهذه تفصيلات كلها لحالات ضرورة قد تقع، فتبقى الأحكام العامة التي نحن فيها، ونحاول ألا ندخل في هذه الحالات، فقط نقول لو وقع صائل إما بلاء المسلمين العام أو الاشتراك مع هؤلاء على أن تكون لك الغلبة والنصر لك في النهاية= فهذا الذي يكون. فهمت كيف؟

فهي حالات –الحقيقة– شائكة، وأرى أنها من الأمور التي تحتاج إلى بحث وبت في نفس الوقت.

أما هؤلاء الشيعة الموجودون في حزب الله= فلا أعرف أحدا قال أنهم ليسوا من أهل القبلة، على كل المصائب التي عندهم، ولما بحثت في قول ابن تيمية نفسه وجدت أنه ما قصر، قال: من فعل ومن قال كذا وحكم علمائهم وحكم عوامهم.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.



الفصل السادس

التورط الأمريكي في فيتنام

(التجربة الفيتنامية الثانية)

"الطابع السياسي للحرب الثانية في الهند الصينية –

دور الأمريكيين – امتداد الحرب وآفاقها المحتملة"

سنقرأ وتابعوا معي:

[**لم يكن الصمت الذي تلا سقوط ديا بيان فو إلا برهة في سياق التاريخ، وهدنة شديدة القصر. ولم يمض على انتهاء حرب الهند الصينية الأولى خمس سنوات، حتى عادت فيتنام لتكون واحدة من النقاط الساخنة في العالم، ونوعاً من مراكز انخفاض الضغط، تدور حولها العواصف السياسية والأيديولوجية، ويمكن بسهولة أن تتحول إلى حرب عامة في آسيا.**

ومع ذلك، ومن جهة النظر الفيتنامية، يمكن أن يبدو الموقف وكأنه لم يتغير في جوهره. ففلاح الجنوب المشتغل في مزرعة أرزه، والذي تحلق القاذفات فوق رأسه طائرة نحو أهداف بعيدة في الشمال، وتئز الحوامات المتجهة نحو موعد مضروب للقتال، لا يجد فرقاً بين هذه الطائرات والطائرات التي كانت تحلق فوقه لعشر سنين خلت. ومعركة اليوم كمعركة الأمس، بالنسبة إلى ثائر العصابات الموجود في الأدغال أو المدن، فالحرب مستمرة، وقلة قليلة من الشباب لا تزال تذكر وقتاً بدون حرب.

وحل الزي الأمريكي في سايغون محل الزي الفرنسي، ولم تعد التوجيهات تصدر من باريس بل من واشنطن، وغدت الفييتمينة تحمل اسم الفيتكونغ، والمحتلون الجدد الذين أطلق عليهم لقب (المستشارين العسكريين) ثم تحولوا إلى مقاتلين حقيقيين، هم أمريكيون.

وسواء كانوا فرنسيين أم أمريكيين، فييتمينة، أو فيتكونغ، فإن الأمر سيان. فالمعسكران يسعيان إلى الغايات السابقة نفسها، وبالطرق المألوفة ذاتها. إنه الصراع بين الكلب والبرغوث، حيث يتابع البرغوث ببطء استمرارية عملية التكاثر حتى يغلب في النهاية على الكلب.

ولقد عرضت الانترناشيونال يونايتدبرس، في ٢٤ آذار ١٩٦٤، الورطة الأمريكية، بتحليل كان يمكن أن يكتب قبل ذلك بعشر سنوات:

(تنخرط الولايات المتحدة، منذ أربع سنين، في حرب تزداد ضراوتها، في بلاد الجبال والغابات ومزارع الأرز وثوار العصابات الشيوعيين.

(فمنذ أيار ١٩٦١، عندما قررت الولايات المتحدة مساندة حكومة سايغون المناهضة للشيوعية، أرسلت إليها كمية ضخمة من الرجال والعتاد[١٠]].

يعني أمريكا تمد حكومة الجنوب العميلة والتابعة لها، وهذه الحالة قريبة جدا تكاد تتطابق مع حالة السعودية ودول الخليج، عبارة عن حكومات عميلة، والأردن ومصر في نفس الاتجاه وكذلك تركيا، حكومات عميلة تعتمد على الدعم العسكري الأمريكي مباشرة.

وحتى الآن لم تنشب الثورة بالمعنى الصحيح، فإن قامت ثورة عسكرية بالمعنى الصحيح= سيزداد التطابق بين شكل صراع الحكومة الجنوبية مع أمريكا، وتعود صورة العصابات إلى الصورة التي من الممكن أن تنشأ عندنا، عصابات من المجاهدين المسلمين يواجهون حكومات عميلة مدعومة بمدد عسكري مباشر.

ولذلك نريد أن ندرس بدقة هذه الحالة.

يقول:

---

[١٠] **كانت الولايات المتحدة تجهز الفرنسيين بعدة الحرب قبل ديان بيان فو بمدة طويلة، وقد كلفها دعم القوات الفرنسية في فيتنام ألفاً ومائتي وخمسين مليوناً من الدولارات.**

[من البندقية إلى الصاروخ، ومن سيادة الجيب إلى الدبابة، ومن الهليكوبتر إلى القاذفة النفاثة، واستعملت أسلحة قوية وحديثة تقدر قيمتها بمليارات الدولارات، وأنفقت بسخاء من ذكائها ودمائها وأرواحها. كل ذلك في سبيل لا شيء. ولم تستطع أكثر الأمم قوة في العالم إيجاد مفتاح النجاح في جنوبي شرقي آسيا.

(ولم يتوقف الأمريكيون عن التدحرج على السفح، منذ اليوم الذي وضعوا فيه أقدامهم في ذلك البلد البائس ليكافحوا الشيوعية.

(... وفي بداية حرب فيتنام، لم يعمل الثوار إلا بأعداد صغيرة لا تتجاوز الفصيلة لينصبوا كميناً لشاحنة أو ليهاجموا مركزاً صغيراً منعزلاً.

(وبقدر ما جمعوا من الأسلحة الأمريكية من بين جثث الجنود الحكوميين، فإنهم زادوا من تجهيزهم، وانتقلوا من الفصيلة إلى السرية.

(وتدعي الفيتكونغ بأنها حررت ثلاثة أرباع مساحة الوطن، وأقامت المدارس والمستشفيات والمباني العامة].

هنا ملاحظة قصيرة: لاحظ مرة أخرى التفرغ للأعمال الإدارية والاجتماعية، حتى أثناء الثورة وقبل النصر.

[(ولا يمسك نظام سايغون وأسياده الأمريكيون إلا بالمدن. وبالواقع فإن القوات الحكومية تمضي معظم أوقاتها في المناطق المدينية الآمنة نسبياً. وتنتقل في أغلب الأحيان جواً بواسطة الهليكوبترات، وإذا ما أرادت الانتقال براً، استخدمت العربات المصفحة والدبابات، ومع ذلك فإنها تقع في الكمائن].

يعني هؤلاء عملاء الأمريكان، لا يتحركون إلا متترسين بالأسلحة.

[(ويطبق ثوار الفيتكونغ التقن ية الشيوعية: **خطوتان إلى الأمام وخطوة إلى الوراء**].

يعني يتقدم وينسحب، لكنه في المجموع يتقدم أكثر.

[ولقد وصلوا بهذا التكتيك إلى مرونة لم يستطع خصومهم مساواتهم فيها[11]. إن موقفاً عسكرياً كهذا ميؤوس منه، كموقف الفرنسيين أثناء حصار ديان بيان فو. وهذا ما يفسر رد فعل واشنطن اليائس، المتمثل بالتصعيد).

وقد أعلن الرئيس ليندون جونسون في ٢٥ آذار ١٩٦٥:

(لا تسعى الولايات المتحدة إلى توسيع الحرب. ونحن لا نهدد أي نظام، ولا نطمح بأية أرض. ولقد عملنا دائماً وسنعمل على تقليص التوترات على المسرح العالمي الكبير).

إلا أن هانوي وبكين شعرتا بأنهما مهددتان].

هانوي عاصمة فيتنام الشمالية في حينها، وبكين عاصمة الصين، وهما تدعمان الثورة في فيتنام الجنوبية.

[ولم تكونا وحدهما، إذ لم يتوقف الجنرال ديغول عن طرح فكرة الحل بالمفاوضات. ولم يؤد تصريح جونسون إلى إزالة مظاهر القلق في العالم، لأنه عندما أكد بأن الولايات المتحدة لا تسعى إلى توسيع الحرب، أضاف على نفس الوتيرة قائلاً: (ليست القضية صراع البيض ضد الآسيويين،

---

[11] آرثر ومن القرارات العظمى – ١٩٦٥.

لكنها اعتداء التوتاليتاريين الشيوعيين على جيرانهم المستقلين.... يجب أن يتوقف اعتداء الشمال، إنها الوسيلة الوحيدة لإعادة السلام إلى جنوبي شرقي آسيا)].

علقنا نقول: دائما الخطاب الأمريكي هكذا مغلف بغلاف رقيق من المبادئ الإنسانية العالمية: السلام، مكافحة الشيوعية، مكافحة الفوضى إلخ، وكلها عبارة عن عمليات مكافحة الشعوب في غلاف مكافحة الإرهاب لأجل السلام، نفس الخطاب الحالي.

[**إن هذا الإنكار الضمني لوجود حرب أهلية، في بلاد يسيطر عليها الشيوعيون على ثلاثة أرباعها، وهذا التأكيد على اعتداء (التوتاليتاريين الشيوعيين)، الموجه بوضوح إلى الصين وفيتنام الشمالية، يؤديان إلى استنتاج حتمي. وهو أن الولايات المتحدة العاجزة عن الانتصار في فيتنام الجنوبية، تريد نقل الصراع إلى ساحة أكثر اتساعاً، يكون للتفوق التكنولوجي الكلمة الأولى، أي تحويل الصراع إلى نوع من الحرب الكورية، حيث يُزج الشعب الأمريكي بالقوة في حرب صليبية ضد شيوعية الشرق الأقصى**].

لفت نظري هنا تسمية الكاتب نفسه إلى حرب أمريكا ضد شرق آسيا التي ليس فيها إسلام ولا بعد إسلامي، ومع ذلك سماها "حربا صليبية"، فقلنا هنا: لاحظ البعد الديني للصليبية حتى عندما يكون العدو من الشيوعيين الآسيويين أو أي عرق غير أبيض نصراني، يعني هم عندهم ربط بين الحضارة والعرق الأبيض بالنصرانية كدين وبالبعد الديموقراطي كفلسفة وبالنظام الرأسمالي كاقتصاد، يعني هذا الثلاثي: (نصرانية، ديموقراطية، رأسمالية) هو رسالة الغرب بالنسبة للعصر الحالي كله، بما فيها المعركة القائمة عندنا.

[وكانت الغاية من قصف فيتنام الشمالية، إجبار هانوي وربما بكين على التفاوض، والعودة كما قال جونسون، إلى الجوهري من اتفاقيات عام ١٩٥٤، إلى تسوية شريفة تضمن استقلال وأمن جنوبي شرقي آسيا كله).

ولم تكن هانوي وبكين ظاهرياً قادرتين على فرض إيقاف معارك ثوار العصابات في فيتنام الجنوبية الذين بدا لهم النصر قريباً، ولذلك استبعدت المفاوضات].

يعني ثورة الفيتكونج في جنوب فيتنام كانت فيها استقلالية إدارية حتى عن أخص حلفائهم، ولم يكن لبكين أو هانوي أن تفرض توقيت العمليات في جنوب فيتنام.

[وفي ٢٥ آذار ١٩٦٥، أوجز الصحفي، ماركيز تشايلد، الموقف الذي يجب على البنتاغون مواجهته:

(تخصص الصحف عناوينها لعملية قصف فيتنام الشمالية، مبعدة بذلك الأنظار عن حقائق الصراع المشؤومة.

(فعلى الأرض، توشك الحرب على الضياع. إن سيطرة عصابات الفيتكونغ أضحت واسعة، بحيث أصبح من المستحيل تموين المقاطعات الخارجية إلا عن طريق الجو.

(وقد نفّر القصف بالنابالم قلوب سكان الجنوب، وازداد الوثوق بأن على الأمريكيين أن يزجوا بفرق كاملة حتى لا تنتهي الحرب بهزيمة كارثوية...

(لقد أعلن السفير ماكسويل تايلور ذلك قبيل مغادرته لسايغون، ليقدم تقريراً للرئيس جونسون.

(ويبدو أننا سنصل إلى نقطة اللاعودة على الطريق المؤدي إلى زج كامل للقوات الأمريكية في البر والجو)].

ﰡ ﰡ ﰡ

[كيف ولماذا وصلت الأمور إلى هذا الحد؟

لكي يفهم الأمريكيون جيداً هذه الحرب في فيتنام، يجب عليهم القبول ببعض الوقائع الكريهة – وهي كذلك –لأننا اعتدنا على اعتبار أنفسنا ديموقراطيين ومعادين للاستعمار، ولم نعتبر أنفسنا أبداً كإمبرياليين ومطلقاً كمعتدين].

حقيقة الأمر –رغمم اللف والدوران– لا يغير من سوءات الحضارة الغربية، أنا كنت في مرحلة سقوط الاتحاد السوفييتي في إسبانيا، يعني حتى الديموقراطيين المقتنعين بمادئهم في التلفزيونات الغربية تكلموا بكلام عجيب جدا، خاصة اليساريون، قالوا: نحن حضارة مفلسة ونكيل بمكيالين، فمرة نقف مع الانقلاب في الجزائر ضد الديموقراطية، ومرة نقف مع الديموقراطية في هاييتي ضد العسكريين، ونقف مع الانقلابيين في روسيا ضد البرلمان الروسي ونؤيد يلتسين، ومرة نقف مع الديموقراطية في جزر موريسا التي صار فيها انقلاب عسكري فرنسي في مدغشقر.

فهذه القضية أوقعتهم في تناقض بدأوا يعيشونه هم، ولذلك تجد صيحات من هذا النوع، أننا علينا أن نقول أننا هناك من أجل التجارة من أجل السلاح من أجل السيطرة من أجل مبادئ إمبريالية.

وهذا يلفت نظرنا إلى أنه يجب علينا من أهم الأمور التي نتجهز بها في المعركة المقبلة، أن نجمع إحصائيات حقيقية عن مجازر الغرب مع البشرية، وخاصة أمريكا، ومع المسلمين على وجه الخصوص، وخلال معركة الدكتور عمر عبد الرحمن القضائية في أمريكا، مجموعة من المراكز الإسلامية ومجموعة من المحامين جهزوا لهم ملفا كبيرا جدا لجرائم الحكومة الأمريكية في حق المسلمين منذ تأسست أمريكا إلى الآن،

وسجلت في ثلاثة أشرطة كاسيت جميلة جدا، ومثل هذه الأبحاث لابد أن نطبعها وننشرها، وهي تساعدنا جدا في عملية إيقاظ الشعور عند المسلمين، وإفهامهم الطبيعة الإجرامية للعدو.

يتابع فيقول:

[وفي الحقيقة، ومن وجهة النظر الفيتنامية، إن الحرب العالمية الثانية في الهند الصينية هي استمرار مباشر للأولى. وهي من الناحية السياسية مماثلة لسابقتها، إنها صراع في سبيل الاستقلال والتخلص من السيطرة الأجنبية، والغربية على أي حال. أما من الناحية الاجتماعية، فهي كالسابقة ثورة إشتراكية، أو بالأحرى ماركسية، تهدف إلى تدمير نظام اقتصادي، مطابق لنظامنا، وإحلال آخر غير مطابق له].

إذا هي ثورة مبادئ وأيدولوجيا مقابل مبادئ وأيدولوجيا، فإذا العدو يحكي مع نفسه ويقول: علينا أن نفهمها هكذا، فمن باب أولى أن نفهمها نحن هكذا، وهذا يرجعنا لكلام أخينا أبي الوليد البارحة أن الثورة يجب أن يكون لها، وعملية العصابات والحرب الجهادية التي نحن في صددها، يجب أن يكون لها: نظريتها الاجتماعية، نظريتها العسكرية، نظريتها الاقتصادية، هي نظام شمولي يريد أن يطرد نظاما شموليا، ويقيم أسسه على ذلك.

ولذلك لا يكتفى بأن نعنون لها بثلاثة عناوين: أننا مظلومون وهم ظالمون، نحن مسلمون وهم كفار، اجمعوا شوية أسلحة، وهكذا ببساطة.

هذه النظرية إذا لم تكن مدرسة تتربى عليها أجيال= لا يمكن للحرب أن تكون طويلة وتفرز كوادرها أولا بأول، فهذا الرجل يشرح للأمريكان أن المعركة حقيقتها هكذا، ولكن سبقه الفيتناميون وفهموها هكذا وأفهموها لشعوبهم هكذا، أنها حرب من نظام وسيستم اجتماعي اقتصادي متكامل، مقابل نظام آخر.

أقول هنا: فهم وتلخيص واضح وموجز لأهداف الطرف الآخر.

يقول:

[**ولمنع هذا السياق، حلت الولايات المتحدة محل فرنسا في فيتنام الجنوبية**].

لعل هذا يجب على سؤال أخوينا الاثنين: لماذا تورطت أمريكا في فيتنام؟

يقول هنا الكاتب: (ولمنع هذا السياق) أي استبدال نظام شمولي بنظام شمولي آخر، (حلت الولايات المتحدة محل فرنسا) لأن فرنسا كانت تمثل طليعة الحضارة الغربية الصليبية لتحقيق هذه الأهداف، فلما عجزت جاءت أمريكا للاستمرار في تحقيق هذه الأهداف، ومنع روسيا من فرض النظام المعاكس لها، هذا كان البعد الأيدولوجي لصراع الحضارة الغربية مع الحضارة الشرقية الشيوعية.

[**وتبنَّت طرقاً مناظرة للوصول إلى غايات مماثلة. ولن يجد التاريخ تمييزاً بين الفرنسيين المستعمرين والأمريكيين (المعادين للشيوعيين). لقد كانت فرنسا تريد الاحتفاظ بفيتنام كمستعمرة، وتهدف الولايات المتحدة إلى جعلها كوكباً تابعاً لها في إطار المجال الآسيوي الذي تعتبره جوهرياً لمصالحها، وربط فيتنام بها اقتصادياً وسياسياً وخاصة عسكرياً**].

هذه الخمسة أسطر تجيب على سؤال الأخين، فيها كل أسباب تورط أمريكا في فيتنام:

سبب أيدولوجي على مستوى صراع المعسكرين، وسبب محلي الذي هو مصالحها الحيوية، ومجموعة المكاسب والمحاصيل الزراعية والمناجم.

فهناك: ١) مصالح استعمارية للنهب، ٢) وهناك صراع أيدولوجي بين حضارتين.

ويمكن الدخول من هذه البوابة لشرح تغيرات التوازنات الدولية فيما بعد الحرب العالمية الثانية، يعني هذا المقطع بوابة لندخل إلى أنه حصل في التاريخ مفاصل في التوازنات الدولية، والذي يهمنا أكثر شيء هو ١٩٩٠ وتغير مفاصل السياسة الدولية.

ولكن بعد الحرب العالمية الأولى حصل تغير كثير في العلاقات الدولية، بعد الحرب العالمية الثانية كذلك، قبل ذلك التغيرات الاقتصادية للثورة الصناعية حصل تغير، قبل ذلك في نهاية العصور الوسطى واكتشاف أمريكا واكتشاف رأس الرجاء الصالح وعملية اختصار الرحلات البحرية والاستغناء عن الممرات التي كانت تمر بأراضي المسلمين.

هناك مفاصل في التاريخ، أحداث عسكرية، أحيانا اقتصادية، أحيانا جغرافية وكشوف، أحيانا انطلاق أيدولوجيا جديدة= تغير مفاصل العلاقات الدولية كلها.

وإن شاء الله في دروس السياسة بعد ما يكون أخونا أبو الوليد مهد للموضوع، سنشرح شبكة العلاقات، والتي قلنا أنها مثل شبكة الصيد أنها إذا ضُربت على أي عقدة ستهتز كل الشبكة وتتأثر كل العلاقات، وإذا كانت الضربة قوية ستتقطع كل خيوط الشبكة وتبرز شبكة جديدة للعلاقات الدولية.

فهذا له تفصيل آخر في محاضرة.

يقول:

[**وليس ذلك إلا فصلاً من نضال أكثر شمولاً. فلقد دمرت الحرب العالمية الثانية مناطق النفوذ القديمة، وحطمت توازن القوى القديم، وكانت حرب الهند الصينية الأولى في إطار هذا التفكك. ويجري الآن استقطاب جديد، يشكل العالم الثالث، العالم النامي الذي يضم المستعمرات السابقة، ساحة معركته، وهدف الصراع فيه. فكل من لا يدخل في المدار الأمريكي يسقط –حسب اعتقادنا**

على الأقل– في المدار الشيوعي (الروسي أو الصيني). أي ما يعادل مائة وخمسة عشر مليوناً من البشر). في منطقة شرق آسيا.

لهذا وجدنا أنفسنا نهتم بفيتنام الجنوبية، وقمنا مقام الفرنسيين.

وقد كتبت نيويورك تايمز، في ٢٤ أيار ١٩٦٢: (إن الرهان كبير الشأن في جنوبي شرقي أسيا. فإذئ استولى الشيوعيون على لاووس وفيتنام الجنوبية، فإنهم سيأخذون على الأرجح كمبوديا وتايلاند وبورما، وقد يصلون إلى ماليزيا والفلبين، أي ما يعادل مائة وخمسة عشر مليوناً من البشر). –لاحظ فلسفة الغرب الاستعمارية –

وقال الرئيس آيزنهاور إن ضياع جنوب فيتنام يشكل (خسارة كبيرة للهيبة –إنه ضياع جنوبي شرقي آسيا كله).

في حين كتب جوزيف ألسوب: (إذا تحملنا بسلبية الهزيمة في فيتنام الجنوبية، فإن كل شيء يشير بأن ذلك سيكون أسوأ هزيمة أصيبت بها الولايات المتحدة منذ بداية هذا القرن وأكثرها كلفة).

ونقرأ في مجلة لايف، في ١٢ حزيران ١٩٦٤: (إن التخلي عن جنوبي شرقي آسيا سيشكل كارثة، فالشيوعيون سيحتلونه، وستبدو الولايات المتحدة عاجزة عن كسب حرب أنصار، والوفاء بالوعود التي قطعتها على نفسها لحلفائها، وسيتراجع الخط العسكري الأمريكي إلى أوكيناوا، وستصبح اليابان والفليبين في خطر، وتفلت أندونيسيا من كل رقابة وتنتهي عملياً السيطرة الأمريكية في آسيا)].

لفت نظري جدا الصفاقة في هذه العبارة (ستفلت أندونيسيا من كل رقابة) وكأنه هو المسئول عن ٢٠٠ مليون من البشر، كأنهم مجموعة من العجول هو يربطهم، وعنده مسئولية تجاههم، وهو أصلا جاء من آخر المحيط الأطلسي.

وقوله (وتنتهي عملياً السيطرة الأمريكية في آسيا).

لاحظ هذه الأمم كلها منها البوذي والوثني ومنها المسلم ومنها النصراني، لم يراع أي مراعاة، وكأنه عنده مسئولية أن يربط كل هؤلاء البشر ويمنع تفلتهم.

ولاحظ أنهم صحفيون، سياسيون، الرئيس الأمريكي، عسكريون، كلهم نفس النغمة في أسباب استمرارهم في شرق آسيا.

يقول في الملاحظة ١٣٠: الفقرات التالية تعطيك تصورا عن عقلية الأمريكان، وكيف أنهم لن يفلتوا الأمر إلا مرغمين، خاصة مناطق النفط العربي والإسلامي في الخليج العربي وفي وسط آسيا الإسلامية الآن، المنطقة البترولية الضخمة جدا.

لن يتركوها لأن هذه أكبر بكثير وأهم من منطقة شرق آسيا، سواء على الصعيد الاستراتيجي العسكري وقربا من مشروع اليهود، وضرورة وجود كتلة بشرية عسكرية، أو على الصعيد الاقتصادي الذي فيه عملية عصب الحضارة الغربية الآن في قضية البترول.

فكل ما تكلموا عنه هنا في شرق آسيا= لك أن تتصور ما سيقولونه في ذاك.

قرأت بعض المقالات في الصحف الأمريكية بعد انفجار الخبر، كان نفس النغمة، لن نستطيع أن نتخلى، لا يمكن أن نتخلى، لا يمكن أن ننسحب، لا يمكن أن نترك المنطقة، فهو نفس الأسلوب.

يقول الكاتب:

[تلك هي رؤى واشنطن. وقد أعلن وزير الدفاع روبرت مكنمارا: "إن بقاء حكومة مستقلة (أي في الحقيقة موجهة موجهة من قبل الولايات المتحدة) في فيتنام الجنوبية، مسألة على غاية الأهمية

لأمن جنوبي شرقي آسيا والعالم الحر، وبحيث أنني لا أتصور بديلاً عن الاضطرار لاتخاذ كل الإجراءات المتوافرة لدينا لمنع أي فوز شيوعي)].

لما وزير دفاع يقول: (كل الإجراءات المتوافرة لدينا) يعني يشمل التهديد العسكري والنووي وكل شيء.

[ووصف الرئيس كنيدي جنوبي شرق آسيا بأنه حيوي للولايات المتحدة، باعتبارها قوة في المحيط الهادئ، وأعلن الرئيس جونسون منذ حزيران ١٩٦٤، بأن الولايات المتحدة ستخاطر بحرب (وكان يقصد مع الصين) للدفاع عن هذه المنطقة.

ولقد أخذت الحرب الاتساع المعروف، عندما جاء الأمريكيين للقيام بدور الفرنسيين، لكن مع عدد من الاختلافات الرئيسية، معظمها لصالح الشيوعيين.

إن عجز واشنطن السياسي والنفسي عن تسمية الأشياء بمسمياتها، وضع الولايات المتحدة في موقف صعب، عند البدء بإدارة حرب استعمارية في جوهرها. وفي البدء قام الجنرالات الأمريكيون بدور (المستشارين) لهيئة الأركان العامة الفيتنامية -كما الحال في الجزيرة الآن وفي مصر والأردن وتركيا وبعض الدول-.

وللحكومة غير المستقرة (أو بالأحرى مجموعة من الحكومات المتعاقبة)، بدلاً من أن تكون لهم سلسلة قيادية مباشرة.

وبينما كانت العمليات تجري في السابق من قبل قوات الدولة الاستعمارية – الفرقة الأجنبية، وحدات أفريقية شمالية... إلخ (وكلها قوات لا علاقة لها بالسياسة الفيتنامية)، أصبحت الحرب بعد التدخل الأمريكي موكلة إلى أربعمائة ألف جندي فيتنامي، كانت لهم كبقية السكان، أفكارهم

الخاصة ولم تكن وجهات نظرهم حول الحرب وأهدافها متطابقة بالضرورة مع وجهة النظر الأمريكية].

بعيد هذا الكلام بالبلدي:

قال أن فرنسا كانت: قوات مستعمرة، قيادة مركزية، ضباطا فرنسيين وجنودا فرنسيين، الآن مشكلة الأمريكان أنهم مستشارون لدولة وإن كان ظاهريا أنها عميلة تابعة، إلا أن لها قيادتها ولها ظروفها، وال ٤٠٠ ألف جندي الفيتناميين الجنوبيين مش بالضرورة وجهة نظرهم عن الحرب مع بني جنسهم مثل وجهة نظر الدولة المستعمرة، فليس هناك تجانس في صفهم.

وقفنا هنا وقفة بسيطة مع هذا الكلام، أقول:

وهذا سيكون حال الجيوش العربية وأجهزة أمن الحكومات مع طول مدة الحرب مع اليهود والصليبيين، أن البنى التابعة لها لن تكون متجانسة، وليست لها وجهة نظر الأمريكان بالضرورة، وهذا يوجب حسن الخطاب والإعلام لهم، مع حزم في التعامل مع رؤوسهم وعيناتهم الإجرامية.

أي يجب أن يكون عندنا سياستين للاستفادة من هذا التناقض:

حسن خطاب من أجل تفتيت هذه البنية، ونوقظ فيها كل التناقضات الموجودة، وإشعاره بأنه عميل للأجنبي.

ولا شك أن هناك عينات ربطت مصالحها تماما خاصة عشائر النفط هذه الموجودة في الخليج العربي والساحل، التي حولت الحكومة والشعب بالإجمال إلى مجموعة من الميليشيا التي تحرس إمدادت النفط بالنسبة للغرب.

نحن يجب أن نثير عندهم هذا التناقض، ونقمع بشراسة الناس الذين ليس لهم حل إلا هذه الشراسة، ولكن الخطاب بالعموم يقوم بعملية تفتيت الوحدة المعنوية للطرف الآخر.

يقول هنا:

[ولم يكن الفرنسيون يهتمون بشعبيتهم، فهم عسكريون أو مستعمرون مكشوفون، وواثقون من القيام بمهمة وطنية، ويديرون حرباً عسكرية بحتة، دون أن يخشوا خسارتها على أرض المعركة.

ونجم عن استبدالهم تحول سياسي هام. فحكومة سايغون، رغم كونها أداة سياسية أمريكية وديكتاتورية عسكرية، لم تكن تتمتع بالاستقلال النسبي الذي تتمتع به حكومة عسكرية أجنبية تقود جيش احتلال، كان لا بد لها أن تحسب حساباً للرأي العام، وأن تحتفظ ليس فقط بثقة مصدر تمويلها (الولايات المتحدة) بل أيضاً بثقة الجزء من الشعب الذي يساندها ويتحملها، بالإضافة إلى ثقة جيش كبير، وضباط يعيشون جو المكائد].

أرجع أشرح لأن هذا النص بحاجة إلى شرح:

هذا تابع للفقرة التي قبلها، يقول أن الحكومة العميلة لنأخذ حكومة تركيا وحكومة السعودية اليوم، والحكومة السعودية أوضح لأن هامش استقلالها أقل، ليست فقط مسئولة بإرضاء نزوات المستعمر، بل لابد أن تكون لها سياسة لترضي الشعب، بالكذب بطريقة من الطرق، عندها مسئولية تجاه شعب، وعندها مسئولية تجاه جيش وأجهزة أمن، حتى تبرر لهم عمليات القمع التي يقومون بها، فليس صف العدو هنا متجانسا، كما لو نزلت دولة محتلة بجيوشها وتتصرف كمحتلين، واضح؟

يقول هنا: أن هذه لا تزال وستزداد كأزمة واضحة للحكومات العملية، لاحظ اهتزاز السياسة الداخلية للحكومة السعودية، الأردن، مصر مع كل انفجار إسلامي.

مع كل إنفجار إسلامي تحاول أن تتوازن، لأنها لا تستطيع أن تقول: نحن عملاء للأمريكان ونؤدي دورا معينا، فهذا الهامش هو ضعف شديد جدا بالنسبة للحكومات، لأن الصف غير متجانس توجد إدارة عسكرية وإدارة سياسية، جنسان مختلفان من الجنود المحتلين.

وحتى في حرب الخليج لما تابعنا بعض الكتابات من قيادة القوات المشتركة، أنه حتى الغرب كقوات مشتركة متجانسة فيما بينها عانى كثيرا من وجود قيادة عسكرية مركزية لقوات أمريكية فرنسية، تصورات مختلفة، تدربت على أساليب مختلفة، عقليات مختلفة، رغم وجودهم كلهم في إطار حلف الناتو.

يعني من المؤكد أن أمريكا تقاتل وحدها أفضل من قوة مشتركة، ولكن هي سياسيا محتاجة أن تأخذ هامش الأمم المتحدة وهامش الطابع الدولي، ولكن من الناحية العسكرية والأمنية وجود هذا التنوع في صفوف الخصم يفقده ميزات كثيرة جدا، في حين هذه الميزة بالعكس التنظيمات الجهادية إذا استطاعت أن تضع منهجا جهاديا موحدا، وتحسن التساوق بين إيجابيات التصور الإقليمي وإيجابيات التحرك الأممي= فكل حركتنا إيجابية، فنحن ليس عندنا مؤسسات إدارية، وليس لنا مسئولون تجاه شعوب متنافرة، فليس لدينا عبئا إداريا، وشعوبنا كلها تدين بالإسلام وتنظر لنا نفس النظرة، ناس يدافعون عن الإسلام والمسلمين، سواء كانوا في مصر ولا في الأردن ولا في غيرهما.

معظم الناس لما قُتل السادات خرجت كبرت في الشوارع، كنا حينها في الأردن.

فهذه نقطة لصالحنا لما تكون الحكومة عميلة وليست جيشا استعماريا متجانسا، أو الحكومة ديكتاتورية متجانسة كما الحال في سورية أو العراق.

يقول:

[وقد أثبتت الوقائع جيداً عدم استقرار مثل هذه الحكومة، فتعاقبت على الحكم بعد سقوط نغودينه دييم أكثر من عشر حكومات].

"نغودينه دييم" هو الديكتاتور الذي كان يحكم فيتنام الجنوبية.

نقول هنا: لاحظ أنه حتى في فيتنام كانت هناك خيارات عميلة جاهزة، راح هذا جاء ذاك، سواء بالقتل أو بالانقلاب أو ولي العهد واللي بعده، راح الأب جاء الابن، فالاستعمار جهز خيارات كثيرة جدا، وحتى

الآن ما زلنا في درس سياسي أكثر منه حرب عصابات، ولكنه فهم لازم، فالسياسة والأيدولوجيا= هي جوهر حرب العصابات، وجوهر إعداد الفرد: هي عقيدة ومنهج، ثم فهم سياسي، ثم تربية روحية نفسية، ثم إعداد عسكري، يعني هذا الشطط السياسي الذي نقرأه الآن ليس خارجا عن موضوع حرب العصابات، لأنه لا يمكن أن تفهم تكتيكاتك العسكرية إلا بمثل هذا.

يقول:

[وبسبب دعم الاستقلال المزيف لحكومة لا حليف لها سوى الولايات المتحدة، التي كانت تمدها بوسائل رد (عدوان الشمال)، وجدت واشنطن نفسها تعاني من فقدان السيطرة على الأحداث، وتتعرض لضغوط سياسية، لم يتعرض لها الفرنسيون نسبياً، رغم المشاكل الداخلية التي كانت تزعجهم].

هذا تتمة للفكرة التي نشرحها.

يقول:

[وكانت النكسات العسكرية، والتجنيد الإلزامي اللاشعبي، والعداوات الدينية، وقلاقل الطلبة، ودسائس الجنرالات الطامعين، وفتور الحرب= قادرة على تخريب التوازن السياسي الدقيق في كل لحظة. لذا يجب ألا نستغرب رغبة العسكريين الأمريكيين في توسيع الحرب، ليمارسوا القيادة بأنفسهم، ويتحرروا من الرمال المتحركة للسياسة الآسيوية].

نذكر فقط بمثال لمن لم يستطع أن يفهم هذه اللفتة السياسية في بعض الحلفاء كما قال أخونا أن قوتهم على قوة أضعف حليف فيهم، الآن في كرة القدم –ومعظم الإخوة كانوا من هواة كرة القدم- نجد أن منتخب البلد الذي يذهب للمباريات العالمية أضعف من الفرق القوية في البلد، وهذا مشاهد ومعروف، لو جئت لفرق الدوري الإنجليزي تجد فيها فرقا نموذجية متماسكة جدا وممتعة جدا في شغلها ومنسجمة على الآخر، في حين المنتخب الإنجليزي ضعيف عالميا، وكثير من أندية الدوري الإنجليزي تأخذ كأس دوري أوروبا.

لَمّا لا يستطيع المنتخب الذي تشكل لمدة شهر فقط أن يوائم تدريباته كوحدة متناسقة من لاعبين أتوا من فرق مختلفة، وهذا واضح جدا في أي تشكيلة ليست نوعية.

وهذا يحتاج لتفصيل طويل، وهو يهمنا جدا لأننا نريد أن نعلن نموذجا لاتحاد القوى الجهادية تعمل بشكل أممي، فكيف ننسق هذه القضية، سواء في تشكيل جماعات جهادية أممية أصلا، يعني جماعة هي أممية تعمل على مستوى أممي، وهذا محور، أو محور تنسيق جهد الجماعات المختلفة الجهادية لأداء خطة واحدة، ولا شك أن جماعات أممية جهادية لو يسر الله وقامت على أساس أنها جماعات أممية ستكون أفضل في الأداء من قصة التنسيق المشترك بين الجماعات الجهادية.

وكل جماعة جهادية في بلدها ستكون أفضل في الأداء من جماعة أممية جاءت بعناصر من غير أهل البلد التي تعمل فيها.

فهذه أشياء يجب أن نتقن فهمها، حتى نستطيع أن نضع مواصفات تحركنا، أما التفاصيل فنتجاوز عنها الآن حتى لا نضيع الوقت.

أنا قلت قبل ذلك أن الغرب وجد أن الحل في الاستعمار المباشر، ولا يعتمد على الحكومات، ولاحظ حالة المملكة مثلا وقارنها مع نموذج قريب جدا هو حكومة سايجون، والقلاقل البسيطة التي تعرضت لها من جراء انفجارين فقط، ولذلك المستعمرون هناك يسيرون نحو الاحتلال المباشر.

يقول:

[ولم يكن للانتفاضة في فيتنام الجنوبية أي علاقات تقريباً مع هانوي قبل بلوغ المرحلة الحرجة، وكانت علاقتها مع بكين أقل أيضاً، إلا في المجال الفكري. لذا فإنها جرت وفق سياق حرب الهند الصينية الأولى].

يعني كان المتبادر للذهن أن ثورة العصابات في فيتنام الجنوبية اعتمدت اعتمادا كليا على فيتنام الشمالية، أو اعتمدت مباشرة على الصين وروسيا، كما قال أخونا مرة أن العصابات لم تنجح إلا بالاعتماد على قوى خارجية.

فهو يقول أنه حتى القوى الخارجية المؤيدة لها تماما لم يكن لها تأثير إلا فكريا فقط، وأخذت مجراها مثل كل حروب العصابات ومرت بمراحلها التلقائية وحدها.

لذلك وقفنا هنا: لاحظ حتى مع وجود دولة مجاورة مؤيدة عقائديا لحرب العصابات، ففي البدء كان الاعتماد على أهل البلد أنفسهم، وعلى قيادة العصابات الميدانية لتلك الحرب، وليس على الدعم والتوجيه الخارجي العسكري.

أما التوحيد فكان توحيدا منهجيا فكريا، وهذا ممكن أن يحصل يتفوق فيها الجهاديون، إذا يسر الله ممكن يقيمون إمارات ويقيمون سلطة، ولكن هكذا ستكون طبيعة علاقتهم من الناحية العسكرية مع مناطق لم تصل لنفس المستوى في مواجهة المستعمر، وهو الاعتماد على قيادات وكوادر كل منطقة، حتى تكتمل المعركة محليا.

يقول:

[وبدأت أعمال الإرهاب المنعزلة، والاغارات على مراكز الشرطة منذ العام ١٩٥٥. ولكي يكون الرد فعالاً، كان لا بد من استعمال الجيش بكامله. ولكن ذلك كان بمثابة اعتراف بأن الأمور ليست على ما يرام في البلاد كلها. لهذا وجد نظام دييم أن ذلك في غير محله، وتبني سياسة النعامة، وأعلن بأن الأمر يتعلق بمجرمين، وبأن الشرطة ستعيد تثبيت النظام].

نفس منطق باتيستا، نفس منطق أمريكا، نفس منطق كل واحد تعرض لحرب عصابات، شوية مجرمين، نفس سياسة فرعون (إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون).

يقول:

[وعندما أصبح اتساع التهديد الناجم عن الفيتكونغ معترفاً به تماماً، وأضحت أعداد ثوار العصابات هامة، وألفوا أنفسهم قادرين على مجابهة الجيش بنجاح، حتى لو كان هذا الجيش مجهزاً بالأسلحة والطائرات و(المستشارين الأمريكيين)، ازداد عون واشنطن العسكري والاقتصادي إلى حكومة سايغون، لكنه بقي دائماً أقل بكثير من متطلبات الموقف].

نقول هنا: بدأت كرة الثلج والورطة دون جدوى، وهذا ما ينذر به المستشارون الأمريكيون اليوم حكومتهم وهي تدعهم حكومات الخليج، حتى قرأت مقالة أجنبية يقول فيها: نحن نكرر درس إيران ضد مصدق لما تدخلت أمريكا لصالح الشاة، ودرس كوبا ودرس فيتنام، وكأننا أمة تثبت أنها لا تتعلم من التجارب، يخاطب أصحابه.

يقول:

[ففي منتصف العام ١٩٦٤، أصبح ثوار العصابات المتفرقون في فيتنام جيشاً يضم أكثر من مائة وأربعين ألفا من التشويك والمساعدين، وأصبحت الهجمات تجري على مستوى الكتيبة وحتى الفوج. وكان هذا الجيش يمتلك مناطق خلفية حسنة التنظيم، وأضحت الحكومة معزولة عملياً عن السكان الريفيين الذين يشكلون ٨٥% من أمة تقارب ١٦ مليون نسمة، وتقطن مساحة تزيد عن ٣٠٠ ألف كيلو متر مربع].

نقول هنا: عندنا لفتة هامة: أن المناطق الخلفية حسنة التنظيم تذكرنا بأن الثورة لها إدارة ولها اقتصاد، حتى تصل لمرحلة الحسم، ولها إشراف على السكان في مناطقها وحسن علاقة بهم، حتى قبل مرحلة الحسم أو النصر.

النقطة الثانية: لاحظ أهمية عامل كثافة السكان وامتداد المساحة، إضافة لأهمية وجود الموانع الطبيعية.

يقول:

[وكان ثوار العصابات يسيطرون على الجزء الأعظم من البلاد خارج التجمعات السكنية الكبرى. ولم يكونوا ليهاجموا إلا من قبل الطائرات، وعرضياً من قبل القوات المحمولة بالهليكوبترات، والتي كانت تضرب على غير هدى باحثة عن الإبر في كومة من القش. وكانت الأرتال الحكومية تتوغل في مناطق الفيتكونغ، فتتعرض للكمائن. ولم يكن لديها أمل بممارسة أية سلطة على السكان].

أقول هنا: لاحظ أهمية علاقة الشعب بالنخبة، النخبة تمثل إبرا توخز العدو، والشعب يمثل كومة من القش تخفي تلك الإبر.

يقول:

[وكانت طرق المواصلات الثانوية كلها تقريباً مقطوعة، مع جزء لا بأس به من الطرق الرئيسية. ولم يكن الوصول إلى بعض العواصم الأقليمية ممكناً إلا عن طريق الجو. وكانت حول سايغون شبكة من القواعد تعيش جو حصار، حيث كان يجري القتال غالباً على بعد يقل عن خمسة عشر كيلومترات من المدينة].

يعني عمليا تطويق كامل.

[وحافظ الفيتكونغ في قطاعاتهم على اقتصاد ريفي، فكانوا يجبون الضرائب على التجارة التي استمرت بين المناطق، حتى أن الوقود المستعمل لمواصلات القوات الحكومية، كان يخضع أحياناً للرسوم قبل أن يصل إلى الثكنات].

مثل ما لاحظنا هناك، خطفوا محصول البن، وقالوا للحكومة: نبيعكم إياه مقابل كذا في المائة، فهم محتاجون للمال الذي يمكن أن يحل المشكلة، قال هنا أنه يبيع لهم البترول الذي يذهب للثكنات.

في الملاحظة ١٤٠: لاحظ مرة أخرى عملية الإدارة.

[ودفع الأمريكيون إلى سايغون ٢٥٠ مليون دولار سنوياً، لتحسين الاقتصاد الزراعي وكسب سكان الأرياف. لكن (جيمس كيلن) مدير وكالة المساعدة الدولية، قدر بأن ١٠ – ١٥% من العون كان يذهب إلى المناطق التي كانت تتناقلها الأيدي باستمرار، وفي ١٥ آب ١٩٦٤، كتبت النيويورك تايمز: (إن السيطرة على أي منطقة كانت تتغير بين ليلة وضحاها. وفي كثير من الأمكنة.

وبعد الانتهاء من عمل كبير: جسر أو طريق أو بئر، وبمجرد انسحاب العمال من موقع العمل، يقوم الفيتكونغ باحتلاله)].

يعني ممكن شقوا طرق وفتحوا مزارع في مناطق أخذوها الثوار فيما بعد.

أقول هنا: لاحظ وقسم على ٣٦٠ يوم ٢٥٠ مليون دولار، يعني حوالي ثلاثة أرباع مليون دولار يوميا، هذا لتحسين الاقتصاد الزراعي وكسب سكان الأرياف، لا للجهد العسكري.

[وتكرر ما حدث في الصين وكوبا، إذ أقام الثوار نظاماً اقتصادياً وسياسياً موازياً. وكان الجيش قادراً على الذهاب حيثما يشاء – وبالقوة دائماً – لكنه ظل عاجزاً عن البقاء في المكان الذي يصل إليه، وإلا أصبح عرضة للهجمات، ولذا بقيت القوات عملياً ضمن إطار التجمعات السكنية، وغدت عاطلة عن العمل].

لذلك أرجع أذكر بأن هذا يذكرنا بأن من مقومات العصابات: وجود اقتصاد، وجود إدارة، وجود معنويات، وجود سرعة في الحركة والتنقل، وجود مبادرة في العمليات.

[واصطدمت سايغون ومستشاروها الأمريكيون بنفس مأزق الفرنسيين، الذي شرحه جياب بقوله: (فبتوزيع قواتهم، أصبحوا أضعف من أن يقوموا بالدفاع عن أنفسهم، وصاروا يعرضون قواتهم للتدمير بالمفرّق. وبتركيزهم للقوات، كانوا يتركون الأرض التي سعوا إلى احتلالها، لأن النصر –بالنسبة إليهم– لا يعني شيئاً إذا لم يكن مصحوباً باحتلال الأرض)].

ولأنهم ١٦ مليون فلا يمكن أن يسطر عليهم ويكون قويا بنفس الوقت إلا ٤ أو ٥ ملايين، وهذا لم يتيسر لأحد.

وهذا يؤكد لنا أهمية هذه المسألة، التي لم تؤخذ بعين الاعتبار إلى الآن ولا في أي حركة جهادية مارست العصابات، الذي هو موضوع: التناقض بين القوة والسيطرة.

ولكن الشرط الأساسي لنجاح هذه المسألة أن تقاتل بشعب مؤيد للحركة، الآن لما نرى عدد عمليات الفيتكونج ومستوى العمليات في الشعب= تتأكد أن الشعب صار بمجمله معهم، أو يساهم بمجمله.

يقول:

[**وكان ثوار العصابات يستطيعون اختيار أهدافهم فيقبلون المعركة أو يرفضونها حسب رغبتهم. ولم تكن لدى الحكومة المعلومات التي يقدمها العون الشعبي، لذا تصرفت على غير هدى، وكانت عملياتها محكومة بالصدفة إلى حد ما، وباهظة التكاليف بالنسبة إلى نتائجها.**

وكبلت حكومة سايغون نفسها بعائق خطير، عندما رفضت، ولعدة سنوات، الاعتراف بوجود معارضة مسلحة في فيتنام الجنوبية. وكانت تؤكد أن ثوار العصابات الذين تصطدم بهم، ما هم إلا محاربون قدماء من الفييتمينة، وأنهم مكابرون وقليلو العدد. ولم تعترف بالحقيقة إلا بعد خمس سنوات.

واستفاد الفيتكونغ من هذه المهلة لتنظيم حركة سياسية سرية قوية، ووحدات من الثوار على مستوى القرية والمنطقة].

لاحظ تكتيك البناء هنا، استفادوا من الفترة التي الدولة فيها لم تنزل الجيش ولم تعترف بأنها عندها مشكلة عصابات، وأنهم مجموعة من المجرمين، يحتاجون للشرطة فقط، استفادت العصابات بما يلي:

[(لتنظيم حركة سياسية سرية قوية) من أجل التوجيه.

(ووحدات من الثوار على مستوى القرية والمنطقة).

وكانت استراتيجيتها الأولية تهدف إلى تحطيم ارتباط الحكومة السياسي مع المناطق الريفية، وذلك بإفساد أو خطف أو قتل عناصر السلطات المحلية –وخاصة رؤساء القرى ومستشاريهم– ولقد بدأت الحملة في العام ١٩٥٧، الذي قُتل فيه أكثر من ٧٠٠ موظف، وقدرت الخسائر المماثلة في العام ١٩٦٣ بثلاثة عشر ألف شخص، رغم الجهود التي بذلتها الحكومة لإيقافها].

نقول هنا: أن قضية وضع الثوار لحاجز بين الشعب والحكومة مهمة جدا، وهذا عكس سياسة أبي عبد الرحمن أمين والزوابري في الجزائر، وهو وضع حاجز بين المجاهدين والشعب.

ولاحظ في قضية تصفية عملاء النظام والذين يديرون القرى والمجالس البلدية في اللفتة التي لفتنا النظر إليها سابقا في قوله تعالى (فقاتلوا أئمة الكفر) يعني عبارة عن تحطيم رؤوس العدو.

[**وبعد تدمير شبكة الارتباطات السياسية، عمد الفيتكونغ إلى تنظيم جيشهم. وعلى الرغم من التصريحات المتحدثة عن المعتدين الشماليين فإن من المرجح أن الفيتكونغ حصلوا على حوالي ٩٠ % من تسليحهم، بفضل الأسلحة الأمريكية التي غنموها من القوات الحكومية.**

وتعترف إحصائيات سايغون نفسها، بأن الفيتكونغ غنموا ٤٨٥٣ سلاحاً في العام ١٩٦٠، ولم يخسروا سوى ٩٢١ سلاحاً، والفرق يكفي لتجهيز فوج. وفي العام ١٩٦٢ كانت غنائم الفيتكونغ ٥٢ ألف قطعة سلاح وخسائرهم ٤٨٥٠ قطعة فقط. وفي العام ١٩٦٣ كانت الغنائم ٨٣ ألف قطعة والخسائر ٥٤٠٠. وهكذا غنم الفيتكونغ في عامين ١٢٨٦٨٢ سلاحاً، أي أن غنائمهم كانت كافية لكل المقاتلين في ذلك الحين].

أقول هنا: لاحظ إذا كان هذا عدد قطع السلاح، لك أن تتصور الذخائر، أعداد الطلقات، الأكل والطعام، كل الذي تركوه.

حتى هنا الأفغان أذكر لما سقطت شاوري بجانب جادي تحدثوا عن أرقام خيالية في الغنائم، ولما سقطت وأخذ الأفغان بوابة جلال آباد كانت السيارات الشاحنات الضخمة هذه بالمئات، عدا الجيب وعدا السيارات الصغيرة، فلذلك تخيل قضية الرزق في الغنائم قضية لا يتخيلها عقل.

لما سقطت البوسنة ومناطق المسلمين، كان الصرب لم يغنموا أسلحة ولا قطعا مثلا، كانوا يغنمون مدينة بكاملها، فلك أن تتصور مدينة ايش فيها، من بيوت وقصور وسيارات ومعامل ومصانع ومخازن وأسواق وتجار وفيلات ومزارع.. إلخ هذه كلها غنائم، فلك أن تتصور عملية الأرزاق في الغنائم، إلى جانب ما يمكن أن يعتبر نوع من الرزق العادي، البنوك الاستعمار ماسك بها كل خيوط الكسب.

[وكتبت النشرة نصف الأسبوعية I. F. Stone's بتاريخ ١٣ أيار ١٩٦٣:

(كيف يحصل الفيتكونغ على السلاح؟

(إن معظم ما يملكون هو من الأسلحة الأمريكية المغتنمة من الوحدات الحكومية في كمائن أو خلال مهاجمة المراكز الصغيرة. وبالأصل تُنظم وحدة الفيتكونغ غالباً بلا أسلحة. ويقول المنظم السياسي للأعضاء، بأن عليهم اغتنامها من العدو، على أن يستعملوا في البداية أسلحة بدائية، مثل الرماح والخناجر... إلخ. والطريقة حسنة بشكل واضح، فالفيتكونغ تملك اليوم مدافع عديمة الارتداد، وهاونات ثقيلة، ورشاشات ممتازة وكميات كبيرة من الرشيشات)].

كما بدأ الأفغان هنا، كانوا يغلقون نوافذ الدبابات ويغيرون عليها بالسكاكين حتى يخرجوا المقاتلين ويأخذوا أسلحتهم، ثم يترك الدبابة لأنه لا يستفيد منها في البدايات الأولى.

نقول هنا: في عهد أبي عبد الله أحمد في الجزائر –الله يرحمه– صدر قرار منه بأن لا يجوز للقطعة أو الأمير أن ينفق على الطعام واللباس من الفلوس، وأن الفلوس تبقى فقط لإعداد السلاح والذخيرة، وعلى كل قطعة أن تدبر طعامها وملابسها من الغنائم، محليا من الإغارة على الناس التابعين الحكومة.

وحتى لما رحمه الله مرة غنموا كمية كبيرة من الغنائم، وداهموا ضابطا كان يأخذ مكوسا ويأخذ رشاوى من الناس، وجدوا في بيته كمية هائلة من الملابس والأحذية إلخ، والحلوى، فأخذوا الحلوى وزعوها على المجاهدين، وحتى أرسل كمية من الحلويات للناس الذين كانوا يساعدونهم بالخارج في الدعاية أو أشياء أخرى، فأرسلوا لنا حلوى مغتنمة من الجزائر العاصمة!

حتى أنا أذكر أني قسمت هذه الحلوى في البلد عندنا حيث كنا على مجموعة من الناس، حتى قال لي أحدهم: ربما هذه من أحل الكسب الذي لم يحصل عند المسلمين من مئات السنين، فأنا آخذها من هذا الباب.

الشاهد هناك عقليات عجيبة، في حين الإدارة التي تلته في تعاملهم مع الناس الذين بالخارج على أنهم خلاص يروحوا يغوروا في ستين داهية، ممكن أكذب عليهم كذبة وأضعهم في مشكلة وورطة أمنية وورطة أمام جماهيرهم ومن يثق فيهم، مقابل قضية بسيطة جدا.

يعني فقط على الهامش: لما أرادوا أن يرتكبوا جريمة قتل الدعاة الآخرين من الفصائل الأخرى، فلما سألناهم أن هناك إشكالا، قالوا: هم شهداء راحوا في كمين عادي، نكتب؟ قالوا: اكتبوا شهداء راحوا في كمين الدولة، فكتبوا، وبعد ذلك بأسابيع قالوا: قتلناهم لأنهم كانوا زنادقة، طيب الناس الذين كتبت وقلت لهم اكتبوا كذا وين راحوا؟

الشاهد في الموضوع، أن يكون هناك حرص على أن يكون عندك عمل متساوق إداريا، ومتكامل كله في بعضه، فحتى في الجزائر وجد هذان النوعان، نوعية أخينا أبي عبد الله أحمد –الله يرحمه– والعمل الذهبي الذي وصل في عهده لذلك المستوى، استطاع أن يكون عنده ٣٠ ألف مسلح، ١٠ آلاف منهم تسليحهم جيد، و١٠ متوسط، و١٠ بلا سلاح كانوا يدبرون سلاحهم بنفس الطريقة.

يقول:

[ولم يكن ثوار الفيتكونغ يخوضون معركة، إلا عندما يضمنون النجاح بفضل العدد أو الموقع].

يعني إما عنده تفوق محلي في العدد، أو تفوق جغرافي في المكان، يعني لابد أن تكون ظروف الأرض أو القدرة على غزارة النيران لصالحه، ولا يدخل معركة محليا وهو الأضعف فيها عسكريا.

[كانت العمليات على مستوى الكتيبة، نادرة حتى نهاية عام١٩٦٣. ومنذ منتصف العام ١٩٦٤، بدأ الفيتكونغ بترك تكتيك حرب العصابات، للقيام باختبارات حرب محلية. وكان ذلك دلالة هامة، تشير إلى تبدل في مرحلة الحرب، والانتقال من مرحلة الدفاع الاستراتيجي، ودخول مرحلة توازن القوى وأخذ زمام المبادرة من قبل الثوار.

وأشارت الانترناشيونال يونايتد برس، أنه (في التشرين الثاني ١٩٦١، وعندما بدأت بإنشاء قواتها في البلاد، اعتبر الموقف حرجاً، لأن الفيتكونغ كانوا أقوياء بحيث أنهم استطاعوا شن ١٧٨٢ هجوماً في ذلك الشهر. وفي تشرين الثاني من ١٩٦٣ أي بعد عامين من العون العسكري والاقتصادي المكثف، أضحى عدد الهجمات والحوادث التي كانت المبادرة فيها بيد الفيتكونغ، ٣١٨٢ هجمة وحادثة)].

إذا قسمت ٣١٨٠ على ٣٠ يوم= تطلع ١٠٠ هجوم في اليوم، ١٠٠ هجوم في اليوم إذا قسمتها على بلد فيه ٢٠ ولاية، معناها في ٥ هجومات في الولاية، فهو رقم عادي صغير يعني، ولكن يدل على قضية وهو أن العصابات تغطي كامل مساحة البلد، لأنه ليس من المعقول أن الثوار في ولاية واحدة يقومون بـ ٣١٨٠ هجوم، يعني كام هجوم في اليوم؟ العصابات تغطي كل هذه المساحة.

يقول:

[**وتضاعفت الوسائل الجوية الموضوعة بتصرف الفيتناميين الجنوبيين، إلا أن النتائج لم ترتفع بالنسبة ذاتها. وكتبت النيويورك تايمز في ٣ كانون الأول ١٩٦٣:**

(لقد أجبرت الهجمات الجوية ضد تجمعات الثوار القادة الشيوعيين على تعديل تكتيكهم، لكنها لم تنل مع معنوياتهم أو من قدرتهم القتالية].

وهذا يذكرنا بالدور الفاشل للطيران الروسي الشيوعي في أفغانستان، وأذكر هنا قصة جميلة معنوية، وإن كان ليس لها علاقة من الناحية العسكرية، هذه القصة تذكرنا بـ :ما هي الروح المعنوية التي يجب أن يقاتل بها المجاهد:

من الأيام الأولى التي دخلت فيها أفغانستان عبرنا بوابة فوق من الجبل، لأنه تحت القوات تسد المكان، فنزلت على معسكر العرب ودخلت بالليل ووجدت أخانا أسامة بن لادن –الله يمسيه بالخير– وبجانبه الأخ أبو طارق اليمني، وكانوا على فانوس، ويبدو أن محاضرة الشيخ انتهت، فأخذ في الحديث أبو طارق اليمني، فلا أزال أذكر كلمة رنت في أذني عجيبة جدا، كان يرفع معنويات الإخوة وهم جدد، والمسافة بيننا وبين العدو قليلة جدا، فقال لهم:

(يا إخوة لا تخافوا العدو، العدو وراء الجبل عندهم كلاشنات عندكم كلاشنات، عندهم دبابات عندكم صواريخ مضادة للدبابة، عندهم كذا عندكم كذا، هناك نسبة وتناسب بيننا وبينهم على الأرض في كل شيء فلا تخشوا شيئا، ولكن العدو يأتي بالطائرات من السماء، وقد يكون عندكم قناعة أن هذا سلاحا ليس لنا به طاقة، ايش نعمل مع الطائرات والقصف؟)

فأنا خرجت منه باستنباط يدل على عسكرية وعقلية فذة جدا، قال: (هذه الطائرات فعلا ليس لنا فيها حيلة، ولأن الله سبحانه وتعالى قال (لا يكلف الله نفسا إلا نفسا إلا وسعها) فهو سلاح خارج المعركة،

وما كان الله ليسلط علينا شيئا لا طاقة لنا به، لأنه يصير خارج التكليف البشري، ولأنها كذلك انظروا ٦٠ % من الإصابات خارج الهدف، والـ ٤٠ % الذي يصيب هدفه نصفه لا ينفجر، والـ ١٠ % الذي ينفجر تأثيراته ليست المكتوبة في الكتب العسكرية، فعمليا سلاح خارج المعركة).

وبعد أيام قليلة نزل علينا صاروخ سكود قريب جدا من المنطقة التي المفروض أن تكون دائرة تدميره حوالي ٢٠٠ متر نزل على بعد ٢٥ متر، وكانت كل قيادة العرب موجودة في المنطقة، أبو عبد الله وأبو عبيدة -الله يرحمه- وكل الناس موجودون، وكانت النتيجة: قُتل أربعة من الرعاة، حتى كانوا وراء البوابة في الأراضي الباكستانية بأمتار، ونتيجة الضغط تكسرت بعض الخيم الموجودة، وقُتل أخ بالضغط، باختلاط أحشائه داخليا، وكانت الخسائر من سكود كإصابة قناصة!

وكنا نمشي على طول السفر في أفغانستان تجد الصواريخ مغروسة في الأرض لم تنفجر، ولما كانت تنزل حتى القنابل العنقودية التي فيها قذيفة في كل نصف متر مربع، كانت تنزل على بعد أمتار من الموقع.

وقال لي مرة أحدهم: كنا نأكل فاخترقت قذيفة السقف ونزلت في سفرة الطعام، فكسرت السفرة ولم تنفجر، ونحن الخمسة موجودون حولها.

المهم أن أخانا ايش قال رحمه الله؟ قال: (أن هذا السلاح خارج المعركة)، فبهذه المعنويات ممكن أنت تتحرك في حرب عصابات.

ايش يقول هنا:

[(لقد أجبرت الهجمات الجوية ضد تجمعات الثوار القادة الشيوعيين على تعديل تكتيكهم، لكنها لم تنل مع معنوياتهم أو من قدرتهم القتالية.

كما أشار لذلك تقرير عن فعالية الأسلحة المستعملة ضد حرب العصابات. والمحاولة الرامية إلى إنقاص عدد الأشجار في معتصمات الأدغال لم تؤد النتائج المقدرة لها. وحتى أقل الوحدات

غرساً بالحرب، تعلمت الإتقاء من نيران الرشاشات ورشقات القذائف الصاروخية التي تطلقها الطائرات.

(ومن المعروف أن الفيتكونغ عرفوا أكثر الاحتياطات تطوراً، فقد حفروا في مناطق قواعدهم الرئيسية الأنفاق والمغارات، التي يمكن لبعضها أن يقاوم تأثيرات قنابل زنتها ٥٠٠ رطل].

أذكر أني قرأت كتابا اسمه "حرب الأنفاق في فيتنام"، والكتاب قيم جدا حكى عن تكتيك السراديب وكيف عملية تهريب المياة وتصريف مياة الأنفاق فيها، تكتيك محلي، وعملية التهوية، وذكر الكتاب قائدا من قادة العصابات وأنه قضى حوالي ٦ سنوات في السراديب، وكان فقط يطلع رأسه لفوق عشان يشرف على شيء ويرجع ينزل تاني في السرداب، فلك أن تتصور إصرار الناس على موضوع المعركة.

[(وفي بعض الوحدات، تلقى عدد من المقاتلين، تدريباً خاصاً لتعداد القنابل والقذائف التي تسقط، وعدد الإنفجارات، بحيث يتمكنون من تمييز أمكنة المقذوفات التي لم تنفجر، واستعمالها بعد ذلك (لصنع الألغام الأرضية أو القنابل أو الرمايات... إلخ)].

لاحظ هذا يهمنا في التكتيك العسكري، وكان بعض الإخوة لما تأتي طائرة اليوشن وكانت ترمي ٣٦ قذيفة عادة، فكانوا الإخوة يبدأون في العد فإذا ما عدوا ٣٦ خلاص لا يخشوا من تحليقها، لأنها تسير بدون ذخيرة.

فقال: (تعداد القنابل والقذائف)= فهذه عملناها.

و(عدد الانفجارات)= هذه أيضا عملناها.

يقول: (بحيث يتمكنون من تمييز أمكنة المقذوفات التي لم تنفجر)= هذه لم نصل لها.

[وتعترف حكومة سايغون، بأن نسبة الخسائر بين المعسكرين خلال تلك السنين قد تطورات لصالح الفيتكونغ. ونشرت النيويورك تايمز في ١٨ تشرين الأول ١٩٦٤ الرقم الرسمي لهذه الخسائر:

السنة	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤
الحكومة	٩٠٠٠	١٣٠٠٠	١٩٠٠٠	١١٣٩٠
الفيتكونغ	١٣٠٠٠	٣٣٠٠٠	٢٨٠٠٠	٩٠٠٠

شوف هذه العقلية لابد أن تصاحبكم في العمل والتخطيط، لابد للقائد أن يكتب ويسجل إحصائيات ويعمل خطوطا بيانية لكل شيء: معنويات الناس، ساعات التدريب، ساعات النوم والطعام، مستوى المرض، عدد الجرحى، يحتفظ بلوائح بيانية لنفسه، حتى يستطيع أن يدير أموره بشكل جيد، القضية هي عملية إدارة ووجود عقليات إدارية، وليس تصبح وتمسي وليس عندها شيء، الوقت وفير، والعمل كثير، ولا يعمل شيئا.

يقول:

[ولا بد من الانتباه، إلى هذه الخسائر المقدرة للفيتكونغ مقدمة من قبل الحكومة، وتتضمن بالضرورة الخسائر المدنية بسبب أعمال القصف وهناك وسيلة سهلة للتدقيق، وتتمثل بمقارنة أرقام الخسائر مع عدد الأسلحة المغتنمة. عندها يبدو التباين واضحاً بشكل يدفع إلى الاستنتاج التالي،

إن معظم الأشخاص المقتولين من الفيتكونغ لا يحملون الأسلحة. ويمكن الحكم على التقديرات استناداً إلى ما كتبه (برنارد فول) في (الفيتناميين):

(إن التقارير الرسمية للطيران الفيتنامي الجنوبي تسمح بأن تكوّن فكرة عن الطريقة التي يستخدم فيها. فخلال عملية جارية استمرت ثلاثة أيام من كانون الثاني ١٩٦٣ أصاب الطيران الأهداف التالية: منزلاً وعشرة أبراج مراقبة على بعد خمسة عشر وخمسة وثلاثين كيلومتراً غربي بليكو، وثلاثة منازل على بعد خمسة وأربعين كيلومتراً غرب كينهون، وأربعة منازل ومزرعة أرز على بعد خمسة وثلاثين ميلاً غرب بليكو، وأبيد خمسة وعشرون منزلاً وتضررت عشرة على بعد خمسة وثلاثين كيلو متراً شمالي غربي بليكو، ومنزلان على بعد ثلاثين كيلومتراً شمالي بيين هوا. وفي خلال عملية ضد تجمعات الفيتكونغ، في سهل جونكس ومعقل المنطقة (د) أعلن جيش جمهورية فيتنام، بأنه قتل ستة وسبعين عدواً بالأسلحة البرية، وأربعمائة بالأسلحة الجوية، كلفه لم يغنم إلا سبعة أسلحة فردية وخمسة أسلحة جماعية (رشاشات وهاونات)، إلا أنه دمر أكثر من أربعمائة منزل وكوخ).

ويمكننا أن نتصور بسهولة من يمكن أن يكون القتلى (الأعداء) في هذه الحالات. إن استعمال الطيران بلا تمييز، ضد أهداف يعتقد أنها للفيتكونغ، يفسر إلى حد بعيد عداء السكان لحكومة سايغون. ومن جهة أخرى، كان للفلاحين كل الأسباب الداعية للتضامن مع الأنصار، المجندين عادة من قراهم، والذين يشاركونهم الأخطار والمحن.

(بالنسبة إلى العالم الآخر، البعيد عن قرى ودساكر فيتنام الجنوبية، يُعتبر الثائرون بمثابة عملاء للشيوعية العالمية. أما الأكواخ المصنوعة من البامبو وأوراق الأشجار، وفي القرى المحررة، كان ثوار العصابات يتحدثون مع السكان بأمور في غاية البساطة].

وهنا وقفت في وقفة قصيرة جدا وهامة، أقول: [لاحظ العلاقة بين منهج النخبة وخطاب العموم].

هو تكلم كلمتين قال: على الرغم كنا نعتبرهم شيوعيين عقائديين عندهم أيدولوجيا معقدة، إلا أنهم كانوا في الأكواخ وعند الفلاحين يتكلمون مع الناس في أمور في غاية البساطة.

من المؤكد أن الفيتكونج لم يذهبوا للأكواخ وعند الناس الأميين يشرحون لهم نظرية تفاوت الدخل والربح عند ماركس، أكيد لا يذهبون لهم ليشرحوا نظرية فرق القيمة في الاقتصاد، ذهبوا يشرحون لهم أشياء بسيطة تبرر لهم حمل السلاح إلى جانب العصابات.

أقول: هذا يعطينا فكرة عن الفرق بين منهج النخبة وخطاب العموم، فمنهج النخبة عقائد وعزائم – يعني فقه عزيمة–، وأما خطاب العموم فهو: عواطف وعموميات وأساسيات.

في البداية هناك كنخبة تفاصيل تربوية، وفي العموم عبارة عن فلسفة شعارات وأمور سهلة على الناس، خاصة إذا كانت تربطك بالناس وحدة الدين والمنهج.

الناس في فيتنام كانوا بوذيين لم يكونوا شيوعيين، ولم يكن هناك أي أرضية للفكر الشيوعي عندهم بسهولة، نحن الحمد لله نخاطب مسلمين بمنهج إسلامي ليس غريبا، وعندنا أساليب نستطيع أن نتكلم بها، والرسول عليه الصلاة والسلام لما جاءه الأعرابي الذي قال أفعل كذا وكذا وكذا ، على بساطة أساسيات الإسلام، قال: "أفلح إن صدق"، وقال رجل: "لا أزيد على ذلك"، وجاء بجارية يحاكمها حتى يفهم عقائدها قالت: الله في السماء، من أنا؟ قالت: "رسول الله صلى الله عليه وسلم"، قال: "أعتقها فإنها مؤمنة"، فخاطب العموم على بساطة العموم، وخاطب الخصوص على مستوى فهمه، الشاعر والأديب والكاتب وعلماء الصحابة.

فهذا يجب أن نفصل فيه عندما ننتقل إلى منهج المرحلة المقبلة، وهو وضع برنامج مفصل في العقائد وفي المنهج وفي التربية للخصوص، وعملية المراحل وصولا إلى مرحلة فلسفة الشعار عند الإنسان البسيط أننا: نقاتل في سبيل الله، لطرد الكفار المحتلين، الذين قتلوا ابنك وهتكوا عرضك، ثم إذا ذهبوا نقيم شرع الله، فيكون فيه حفظ لمالك ونفسك، وأمور بسيطة يفهمها أي إنسان، ويجد أنها جديرة بأن يقاتل في سبيلها.

ولو جئنا إليه، فنقول له كما قلت: ودفع الصائل ليس له كما قال ابن تيمية بعد توحيد الله منه كذا في الشروح، وكذا في المتون= لن يفهم عليك، ولو عقدت له الأمور أكثر من هيك وقلت له: لن يفلح آخر هذه الأمة إلا بما كان عليه السلف، وهو شعار صحيح، ثم تأتي لتصلح عقائد العقائد ومذاهب المذاهب، ثم بعد كل هذه التفصيلات، هو ببساطته سيفهم أنني جئته بشيء آخر غير الإسلام الذي ورثه وفهمه.

ووقعت على نص للإمام ابن عبد البر، يقول: (وكنت إذا دخلت بلدا يقبضون، يعني أيديهم في الصلاة، فكنت أقبض، وإذا دخلت بلدا أراهم يسبلون أرسلت، لأن الخلاف شر كله).

في واحد في المسجد كل الناس داخلة في السكينة، ثم هو يصيح آمين، في ناس لا تفهم ما يعمل، تظنه يهزأ في الصلاة.

حتى إني مرة قال لي أحد الإخوة، وهو من السلفيين الواعين جدا، ورجل فقيه وطالب علم، قال لي: دخلت مسجدا في باكستان فوجدت واحدا في الصف الثاني يصلي على الطريقة السلفية الأصيلة، ويرفع ويقبض ويرفع صوته إلخ، فأردت أن أتعرف عليه، سألته: مين كذا؟ فقال لي: درست في السعودية في كلية من كليات أصول الدين، فقال له: أنت ايش حكم الأمور الرفع والقبض وكذا؟ قال له: أعرف أنها سنة مؤكدة في الصلاة، قال له: متابعة الإمام ايش حكمها؟ قال له: فرض، قال له: ليش تترك الفرض للسنة؟ فقال لي: دخلت معه في مطولات، فما استطعت أن أفهمه، علما لما دخل يصلي بالناس وطلع، الناس كلها نظرت إليه شذرا، ولما بس بدي أطلع من جنبه حتى أعرف أمشي.

لا شك بأن ما صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في الصلاة وقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي"= هو الذي يجب أن نتبعه، وهناك أمور مقطوع بها أنها هكذا، وهناك –كنموذج– أمور رويت بصور مختلفة عن الرسول عليه الصلاة والسلام.

لما جاء هارون الرشيد وأبو جعفر المنصور من قبل، طلب أبو جعفر من الإمام مالك أن يكتب له كتابا يحمل عليه كل الأمة، ويوحد مذاهب الأمة، ايش قال له الإمام مالك؟ قال له: لا تفعل، لأن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفرقوا في الممالك، وقد أخذ كل منهم فهما عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم مسنودا إليه، وأرى أنك إن فعلت ذلك توشك أن تضرب آراء الصحابة والناس في بعضها، فيصير عندك مشكلة.

فإذا جئت أنت إلى منطقة وستقاتل في منطقة كلها مذهبها مالكي، أو في منطقة وسط آسيا التركستان والطاجيكستان كلها مذهبها حنفي، واعتبرت مفتاح الصراع بينك وبين الحكومة أن تحمل الناس أصلا على أن يتبع السلف في فهمك أنت، حتى لو كان أصح، وتترك العركة الأساسية= مش فقط راح لن تجند أحد في المعرك، بل ستتحول المعركة تلقائيا إلى معركة بينك وبينهم، خصوصا أن الـ BBC بالبشتو، والـ BBC بالفارسي الناس هنا لا تعرف تعد من واحد إلى عشرة وتعرفهم.

طلعت ذات يوم رأيت واحدا يعمل هنا في الطين، قلت أبشره: سمعت الخبر، أن زلزالا ضرب منطقة رباني وفي ٤ آلاف خبر، قال لي: أنت سمعت من الـ BBC؟ هكذا أول سؤال، يعني لم يكتف أني جئت لأبشره، لابد من البي بي سي.

هذه الـ BBC كانت تعزف على مشكلة الوهابية والمذاهب هنا في أفغانستان ٦ ساعات في اليوم! وللشيخ عبد الله عزام كلام طويل في هذا، غالبه صحيح، وفيه أشياء ليست صحيحة، وقد تحطمت كل إمكانيات إفادة الأفغان من العرب بسبب هذه المشكلة، وانقطع البث والاستقبال.

حتى حكى لي أخونا أبو حفص الكومندان قال لي: دخلنا في منطقة في وسط أفغانستان، وكان معنا أخ مصري، وصف لي شكله قال: كان طويلا جدا وأصلع ويلبس صدرية هكذا قصيرة وجلابية من البلد، ولما وقف شكله خلى الناس تنظر إلينا، فقال لي: رفع يديه بالتكبير وجهر وصلى بطريقتنا وكبر وقال: آمين، قال لي: وجدت واحد أفغاني جالس القرفصاء على طريقتهم ينظر هكذا بدهشة، وأنا بجانبه، فلما خلص كان بيعرف يتكلم عربي قال له: ده كفارستان كبيييير! جاء يستهزئ بصلاتنا.

والقصص كثيرة جدا، في لحاق بعض فروع الفروع واعتبار منهجك فيها، حتى وهو الأصوب وهو الأصح، لكن يجب أن تدخل على الناس بتدرج، وهذا الذي قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (أتحبون أن يكذب الله ورسوله، خاطبوا الناس على قدر عقولهم). ومن فقه هذا القول أن تقرأه بالعكس

أي أنك إذا لم تخاطب الناس على قدر عقولهم سيكذب الله ورسوله، مش أنت تكذب جنابك كمقاتل عصابات، إذا كان الله سبحانه وتعالى وهو الله سبحانه وتعالى ومكانته في نفوس الناس يُكذّب، ورسوله صلى الله عليه وسلم على مكانته في قلوب المسلمين يكذب، ومناط التكذيب وسببه عدم خطاب الناس على قدر عقولهم، فمن المؤكد أننا -وليس لنا هذه المكانة في قلوب الناس- سنكذب، بسبب أن خطاب الناس ليس على قدر عقولهم، ولن يقبلوا هذا الخط.

يجب أن يوضع مخطط متدرج في فهم الناس، ويمكن أن نتكلم بأطول من هذا بكثير، وسنقرأ في هذا كتابات خاصة إن شاء الله، بما تراكم في أسلوب الجهاديين في معاملة الناس كلهم، وهذا نتذكره من قوله هنا أن العصابات كانوا يكلمون الفلاحين بأبسط الأمور، فبعد أن يحصل تدرج، فكما قال علي بن أبي طالب: من أحب أطاع، تحملهم بعد ذلك على ما تريد، وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إن الله ليزع بالسلطان -يعني بالقوة- ما لا يزع بالقرآن، يعني تبلغ من تطويع الناس بالقوة والسلطة ما لا تبلغ من حجة القرآن وقناعتهم به، فالخطاب يكون على قدر عقول الناس.

يتابع آتيا بشواهد:

[(وقد صرح ابن فلاح، لا يتعدى العشرين من عمره قائلاً: كنا في القرية نتعرض للهجوم كل ليلة. فلو كانت الحكومة حسنة أو قوية كما ينبغي، لتوجب عليها حمايتنا. ولذلك فكرت بأن جماعة جبهة التحرير قد يكونون على حق. أما الآن، وقد عرفتهم، فلست بآسف لأنني قررت الانضمام إليهم).

(وصرح آخر: كنت أخاف منهم، وأحقد عليهم، عندما كانوا يهاجمون قريتي. لكن توجب علي الذهاب معهم، وأنا اليوم سعيد بذلك)].

هذا نتيجة نجاح التجنيد.

[(لقد كان السائل صحافياً فيتنامياً، استطاع الوصول بواسطة السيارات إلى المناطق المتنازع عليها في الدلتا، ودخل قرية لم تعد موضع نزاع، ويسيطر عليها الشيوعيون ليلاً ونهاراً. وفيما عدا القائد، كانت أعمار ثوار العصابات كلهم لا تزيد عن ٢٠ عاماً، وكانوا يرفضون ذكر أسمائهم خوفاً من أعمال الانتقام، لكنهم كانوا يعلنون بأنهم من مواليد القرية، ويتحدثون باللهجة المحية. وعند سؤالهم عن رأيهم بهوشي منه أجاب القائد: (إنه ثوري عظيم، ونحن نحبه تماماً، لكننا لسنا تابعين له، فنحن فيتناميون جنوبيون ونقاتل لتحرير فيتنام الجنوبية). (نيويرك تايمز ١٩٦٤/٩/٢٣)].

وهنا وقفتان هامتان جدا:

أما الوقفة الأولى:

فأن كل الشباب المقاتلين كانوا تحت العشرين، وأريد أن أقول من خلال تجربتي أنا الخاصة وما رأيت من جهاد في بلاد الشام، ثم ما رأيت من عموم الأعمار هنا في الجهاد العربي الأفغاني في أفغانستان، ثم ما رأيت من الناس الذين جُندوا للجهاد في الجزائر، أن كل الانتماء لفعالية العصابات، سن التجنيد الذي يجب أن تقصده هو ما بين ١٧ –وأحيانا ينخفض إلى ١٥– إلى ٢٥، هذا هو الكتلة الأساسية للمقاتلين، لأنه:

أولا: يكون الشاب محتفظا بحيويته، ولا يحسب كثيرا، مثل لما تعلم طفلا السباحة تقول له: اقفز من ١٤ متر يقفز، لما يصير عمره ٢٠ سنة يعرف أن ١٤ متر في ارتفاع، ويدخل في الماء بمقدارها، ثم يتنفس كذا، فلما يبدأ في الحساب يرفض.

الأمر الآخر: أن هذا سن العذوبة، فهناك فرق كبير جدا بين النافر خفيفا والثقيل (انفروا خفافا وثقالا) قال المفسرون: نفير الأعزب من نفير الخفاف، ونفير صاحب العيال من نفير الثقال، وهذا فرق كبير جدا في الحسابات.

الأمر الثالث: أن تكاليف حركته بسيطة جدا، هو مسئول فقط عن نفسه.

الأمر الرابع: أن العقول لسة متفتحة، ولم يتسرب إليها ركام كثير من الأفكار، ولذلك الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: "استحيوا شرخ المشركين واقتلوا شيوخهم"، يعني في المعركة إذا رأيت طفلا ١٧ سنة ولا ١٣ سنة تجنبه في القتل، لأنه عنده مسافة يسمع الدعوة لعل الله سبحانه وتعالى يفتح عليه، أما الذي شاخ وهرم في الكفر، فهذا غالبا ليست منه فائدة.

وقد قصد الرسول عليه الصلاة والسلام الشباب في التجنيد وفي الدعوة، وقال: "أتيت بالحنيفية السمحة، فاتبعني الشباب وخالفني الشيوخ"، ولاحظ ونحن في أسفارنا معظم التابعين لنا شباب، ومعظم المتمسكين في الجماعات الإسلامية القاعدة، حتى وصلت إلى البرلمان أو إلى القعود أو إلى التخاريف= كلهم في سن الكهولة وما فوق، فهناك فرق.

فبكل المقاييس تجنيد الناس بهذا السن.

والغريب العجيب أن الآن اليوم في الحركات الجهادية تتفشى نظريات بالعكس تماما، أنه علينا أن نعتمد على من شاخ وكهل، لأن الشباب عندهم تهور وطيش.

غالبا الذين يقودون وينظرون وتراكمت عندهم التجارب يكونون فوق الأربعين، وحتى الرسول عليه الصلاة والسلام بعث بعد الأربعين، وحتى موسى عليه السلام أخذ مسافة كبيرة جدا، وقرأت في بعض الكتب أن عمره كان كبيرا جدا عليه السلام، ولكن أخذ مسافة من الهجرة، مسافة من التفكر، مسافة من رعي الغنم، مسافة من مصاحبة نبي آخر= حتى تأهل للرسالة.

هناك فرق بين الناس الذين يوجهون المسألة، وأن أجعل أساس حركتي التي أقصدها أنا الناس المرشحين الكبار أكثر من المرشحين لأن يخوضوا حربا، فهذه المبادرات الفردية، أسامة بن زيد كان ١٦ عاما وفي جيشه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وكان فيهم عمر، وخرج أبو بكر الصديق يمشي يمسك فرسه، فقال أسامة لأبي بكر، أبو بكر أفضل رجل في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى وُصف بأن إيمانه وزن إيمان الأمة، ينزل جبريل برسالة خاصة من الله سبحانه وتعالى يقول: أقرئ أبا بكر السلام، وأقرئ السلام على خديجة، أبي بن كعب، ناس معدودون، فهذا أبو بكر يمسك لشاب عمره ١٧ سنة،

حتى يقول له: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل، فيقول له: لا تنزل ولا أركب، ومالي لا آخذ الأجر معكم إلى ظاهر المدينة، فهمت؟

فالشاهد في الموضوع أن قضية الشباب قضية هامة جدا في سن التجنيد، وهذه سنة بشرية، شوف من أقصى الأرض عند الشيوعيين، الصين، الفيتنام، إلى بلادنا، والاعتماد على الشباب.

في فرق أن العلماء ما كان واحد منهم يفتي ويتصدر للكلام إلا في الأربعين أو بعد الأربعين، حتى يكون حصّل، وشذ الشافعي أن أجيز بالفتوى في سن مبكر لعبقريته الفذة، وحتى حثه الإمام مالك على أن يفتي، ولكن الأصل الأول، والإمام أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة كان يرفع أبو حنيفة معنوياته كثيرا بأنه مؤهل، في مرة من المرات مرض أبو يوسف فظنوا أنه يموت فقال له شيخه أبو حنيفة: كنت أؤملك للمسلمين من بعدي، فشعر بأنه هو المؤهل فشُفي خلاص، فشاف نفسه شيخ، فراح عقد جلسة في المسجد وأراد أن يعطي درسا، فأرسل له أبو حنيفة ثلاث مسائل فأعجزته أمام الناس، فجاء يسأله، فقال له: يا أبا يوسف تزببت قبل أن تحصرم، يعني أصبحت زبيبا والعنب لسة حصرم، يعني بدك تصير حصرم وبعدين زبيب، فرجع لحلقته مرة أخرى.

فهذه حالة النخبة، وحالة القيادة، أما سن التجنيد والناس الذين ستحارب بهم وتدفعهم للمبادرات فهم شباب، ولذلك كان بعض الدعاة المسلمين الآن عنده مشكلة مع الشباب ولم يستح وقال لي صراحة هكذا الشيخ محمد سرور: يا أخي مشكلة العمل الإسلامي والعمل الجهادي تصدر الشباب، وأنا أقول لك ليست هناك نائبة وكارثة حلت بالمسلمين في هذا العصر إلا بسبب الشباب، والشباب والشباب والشباب أخذ معي ربع ساعة، ثم استدرك لأني رآني سأرد قال: ولو شئت أن تقول أنت أنه ليس هناك مشكلة إلا بسبب الشيوخ والشيوخ فعلوا وقعدوا ولم يجاهدوا، ولو أردت أن تقول لصح كلامك، ولكن ليس الحل بأن نفر من مصيبة الشيوخ إلى مصيبة الشباب، أقول لك صراحة: أنا عندي عقدة ومشكلة مع الشباب، هكذا بالحرف.

وكان هذا نهاية لقائنا الذي حدثتكم بجزء منه قبل ذلك، قلت له:

ما تسلط علينا الأعداء إلا بسبب الشيوخ، وما نكبنا إلا الشيوخ، وما أخذنا إلى البرلمان حتى نشرك بالله بزعم الجهاد إلا الشيوخ، وما نكسنا في السجون إلا الشيوخ.

فقال لي: صحيح، ولكن ليس الحل أن نمكن الشباب حتى ينحرونا بهذه الطريقة.

والآن هناك من يقول أن الجهاد أصلا لا يقوم إلا على الشيوخ، وأنا قلت لكثير من إخواننا الآن الواحد على حاله قد جاوز الأربعين بقليل، وكنت في الثلاثين أحسن لما كنت في أفغانستان، وكنت في العشرين أحسن لما طلعت، وجاهدنا ونحن عزاب وجاهدنا ونحن متزوجون، والبون شاسع لا يقاس، ومعظم الناس الذين تغلي دماؤهم غضبا لله سبحانه وتعالى ومبادرة ورخص أرواح أحسن بكثير في هذا السن.

فلما أنت تقصد= تقصد الناس خاصة الشباب الذين يقاتلون.

قد يقول بعض الإخوة من أنصار نظرية الشيوخية هذه في العمل، أننا نجند الناس تحت العشرين للقتال، وهذا ليس صحيحا، الشباب تحت العشرين يجب أن يجندوا حتى يطلع منهم قائد بسرعة، ولذلك بعث الرسول عليه الصلاة والسلام أسامة بن زيد وسنه ١٧ سنة، كل الناس هكذا مصعب بن عمير، معاذ باليمن، شباب عنده تدفق وعنده حيوية.

الأمر الآخر الذي أريد أن أقف عنده:

أنهم على الرغم من أنهم شيوعيون مثل هوشي منه، ويعتبرون أتباعه وتلاميذ له، ولكن مع ذلك عندما أراد أن يتكلم قال: شيخنا وحبيبنا وتاج راسنا ولكن نحن جنوبيون وهم شمال، هذه لفتة يجب أن تلفت نظرنا إلى مشكلة البعد القطري الموجود، وإيجابية وسلبية العلاقة بين القطرية والأممية.

البعد القطري والشعور بالانتماء للقبيلة والشعور بالانتماء للمدينة، الشعور بالانتماء إلى جهة= أحد أهم المقاتل على صعيد الجهاد، حتى داخل الأقطار الواحدة.

في بلاد إلى الآن مشاكل عند جماعات جهادية، يا جماعة تعالوا نساعدكم وفي الآخر تجد أن هذا شرقي وهذا غربي، وهذا جوهر المشكلة، لأنه ورث عن أبيه وأبي أبيه أنهم منهم، إذا تزوج واحد من أهل الشرق

ولا من الغرب معظم أقاربه لا يحضرون عرسه مهانة، لأنه أهان الجهة كلها لما تزوج من المنطقة الأخرى. فهذه الأمور ترسخت.

الدولة الأموية الفتية كانت أحد أسباب دمارها في الشام: الصراع بين القيسية واليمنية من أصول العرب، وكان سبب دمارها في الأندلس بعد ما قامت الدولة مرة أخرى هناك أيضا: الصراع بين القيسية واليمنية، ثم بين العرب والبربر من المسلمين.

هذه القضية معضلة يجب أن نبحثها بحثا دقيقا جدا ونوظفها، لأنها لو وظفت توظيفا صحيحا= فلا يمكن القضاء عليها، وسيدمر أي نظرية أممية.

واستخدامها على الطريقة التي استخدم بها خالد بن الوليد –رضي الله عنه– في حروب الردة لما ضعف المسلمون، "لتتمايز القبائل، حتى نعرف من أين نؤتى"، فصارت كل قبيلة تصيح يا بني تميم يا بني فلان: لا يؤتى المسلمون من قبلكم فصمدوا، فاستخدمت استخداما صحيحا.

لما استخدمت على الصعيد الفردي استخداما خاطئا، كانت طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام في التعامل معها شديدة جدا وقاسية جدا، رغم أدب النبوة ورغم الصيغ اللطيفة جدا للحديث النبوي، قال: "لينتهين أقوام عن الفخر بآبائهم أو ليكونن عند الله من الجعل " يعني الصرصور "يدهده الخرء بأنفه" يعني يعبث في القاذورات، لأن مسألة القومية والقطرية والانتماءات= قاذورة، يلعب بها حتى يثير النتن، وهو صرور جُعْل، بل قال: "من رأيتموه يدعو بالآباء فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا"، يعني قولوا له عض فرج أبيك، بلغة أهل البلد التي يفهموا بها الفرج أنه ذكر الرجل.

وأنا سمعت الشيخ عبد الله عزام وهو من أهل الشام يقولها هكذا بصريح العبارة كما يفهمها أهل الشام قال: سمعت الشيخ الألباني –مع أني لا أحب أن أستشهد به ولا بأمثاله– سمعته يقول: شرح هذا الحديث أن يقال له: عض عير أبيك، وهذه أقبح صيغة لتسمية الفرج عند أهل الشام، يعني أنا أبو فلان وأنا أبوي فلان، قل له: طيب خد ابوك وافعل كذا، حتى تحطم هذه النعرة في نفس الشخص، لأنها خطيرة، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "دعوها فإنها منتنة".

فالشاهد هذه المسألة لما تتحول إلى اعتقاد ومقياس ولاء وبراء= فهي قذرة بهذه الصورة، ولكن الاستفادة منها كتكتيك عسكري وكاستجاشة همم أنك تدافع عن أرضك عن عرضك عن مالك روح تحرك، فبهذه القضية تصبح إيجابية، فهذا أيضا بحث يحتاج إلى تفصيل، فقط ذكرناه هنا لأنه لفت نظري واحد مرتبط بالعقيدة ومرتبط بكل شيء وقال له: ونعم وأتباعه وكل شيء، بس هو شمالي ونحن جنوبيون، ونحن عم نحرر وطننا لوحدنا.

فهذه النقطة يجب أن نتنبه لها، لم يوجد أحد في البشرية ظهر بمبدأ يريد قتل فطرة إلا فسدت نظريته، هناك فطر لا تُقتل، لما جاء الشيوعيون بقتل فطرة التملك= دُمرت النظرية برمتها، فقضية الانتماء قضية فطرة وغريزة.

كما قال الإمام ابن القيم أن هذه القضايا الجبلية لا يمكن كتمها، فذكر في كتاب "مدارج السالكين" أن هذه الطباع يمكن أن تحولها فتستفيد منها، قال: والناس عندما يجتاحهم النهر أمامهم في حل المسألة ثلاثة حلول: ناس يقولون نقف في وجه النهر، فيجتاحهم النهر، وناس يقولون لا يمكن الوقوف في وجه النهر، فنذهب لسد النبع من الأساس، فلو سدوا النبع يوشك أن يتفتت الصخر ويخرج الماء من جوانب أخرى ويرجع نهرا، أما الآخرون فيقولون هذا نهر لا يمكن أن نقف في وجهه ولا نسد منبعه، فنفتح له مجالات وسواقي بين الحقول والبساتين، فيبقى النهر جاريا ونعمل به مزروعات، وهذا لمواجهة الطباع الجبلية النفسية، ابن القيم لما تقرأ كتاباته من أعظم أطباء النفس.

ومنها الشعور أن الإنسان من بني قومه وأرضه وحاجته إليهم وكذا، فالآن ماذا نقول للناس في هذه القضية؟ يا أخي جهاد اليهود والنصارى فيه قضيتان واضحتان جدا جدا، واحدة شرعية وواحدة عسكرية سياسية:

أما الشرعية فأنت كمسلم يجب عليك أن تجاهد في بلدك، وتدفع عن بني قومك إلا أن للمقدسات: الكعبة والمدينة والقدس حقا في رقبتك ولو كنت في الكاميرون، فهذا يفهمه أي مسلم، وعليك أن تفهمه

أن هذا هو الحق، ليس عليك أن تجاهد مع التركستان ولا مع الطاجيكستان، هذا يتحول إلى نافلة، لأنه عليك في قضية المقدسات فريضة، هذا يفهمه.

الأمر الآخر تكتيكي عسكري، فتقول له: وأنت تقاتل اليهود والأمريكان دفاعا للمقدسات ليس بالضرورة أن تقاتلهم على أسوار بيت المقدس، قاتلهم في المغرب، فأنت بذلك تساهم بالدفاع عن المقدسات، قاتلهم في ليبيا، قاتلهم في تركستان، قاتلهم في أوزبكستان.

فحللت له كل المشكلة من الناحية العقدية ومن الناحية العسكرية ومن الناحية السياسية، وقل له: استخدم قتالهم بوابة لقتال حكومتك، حللت له مشكلة ثالثة، وقتالك معنا هناك يستوجب لك نصرة كل المناطق الأخرى، حللت له مشكلة رابعة، فهذه هي النظرية في التعبئة.

قضية العمل لبني قومك وأنت خرجت مطاردا، دُمرت أرضك، دُمرت دراستك الجامعية، اعتدي على أهلك، سُلب مالك، تحولت إلى مشرد إلى فقير في آخر الدنيا، تبقى رغما عن كل شيء أنظارك متعلقة بمشكلتك الأساسية تريد حلها.

حتى مرة كنت بسمع مهرجان للفلسطينيين، في شاعر يجيش همة ناس يقول لهم:

هم أخرجوك، فعد لمن أخرجوك .. فهناك أرض كان يزرعها أبوك

قد ذقت من أثمارها الشهد المذاب .. فإلام تتركها لألسنة الحراب

والنشيد التي الذي حطوه بعده جميل جدا، في الأشرطة الإسلامية وخاصة بعض الأشرطة الفلسطينية جميلة جدا، كان شعرها أصلا يقول: ارجع كذا إلخ.

الشاهد في الموضوع، هذه الاستجاشة هامة جدا، لكن أنت تقول له: هم أخرجوك، تعال عندنا ولا ترجع لمن أخرجوك، وهو كل يوم والثاني رافع سماعة بيحكي مع أمه وبيحكي مع الآخر ويذوق مرارة الإخراج.

الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذه قضية نفسية جدا لابد أن نفهمها، أنا كنت أعجب من بعض السوريين يقول: أنا والله ليس عندي عاطفة ارتباط بالبلد، الآن قاعدون في أحسن أرض في مكة والمدينة وعم بيشتغلوا بعقود عمل، وبيجيب لك كمان دليل شرعي أن أرض المسلمين واحدة وبلد المسلم ووطنه عالميا ليس لي أرض أسميها بلادي، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام لما خرج من مكة التفت إليها وقال: "والله إنك لأحب أرض الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوك منك ما خرجت".

حتى امرؤ القيس لما ذهب يستنجد بالروم والقضية في هذه المعلقة الشهيرة، لما التفت إلى جبال نجد قال:

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى ** وقل لنجد عندنا أن يودعا

الشاهد أن الارتباط بالأرض فطرة، والارتباط بالقوم فطرة، واالإحساس أنه يريد أن يرجع ويدافع عن قضيته فطرة، يجب فقط أن نبني مخططا أمميا ونسد به الساحة العالمية، وهذا منعكساته كلها إيجابية، بهذا الانتشار الذي تستطيع أنت أن تعمل فيه.

فواحد لا يشتاق لبلده= هذا فطرته منكوسة، قضية الاشتياق لبلده والارتباط بوطنه هذه فطرة سليمة الله سبحانه وتعالى خلقها، إذا ازدادت تتحول إلى جيفة كما وصفها الرسول عليه الصلاة والسلام، أو لو أصبحت أصلا للولاء والبراء، أما هي ففطرة سليمة.

الشاهد في الموضوع أن قضية الانتماء هذه يجب أن يكتب فيها بحث، ويتعامل معها بدقة أيضا.

نعود للكتاب، يقول:

[وفي الجزء الأعظم من جنوبي فيتنام الريفي، شكل الفيتكونغ الحكومة الوحيدة، بمدارسها ومستشفياتها ومكاتبها الإدارية وجباية ضرائبها وخدماتها الصحفية. ولغياب سلطة الحكومة سايغون، ازدادت سلطة حكمهم، وكان اتصالهم الوحيد معها يتم عند قيامها بحملة تأديبية عرضية تصل الهليكوبتر أو بالعربات المدرعة، عبر طريق ملغوم بكثافة. وبعد العودة الإجبارية للجنود، كانت الحياة تعود إلى مجراها الطبيعي. وبضغط مستمر على المناطق المتنازع عليها، كان الفيتكونغ يوسعون تدريجياً مجالهم.

وكانت واشنطن وسايغون تقولان بأنه لا يمكن كسب الحرب بدون الدعم الشعبي. وقد أعلن الجنرال وليام ويستمور لاند، عند استلامه قيادة القوات الأمريكية قائلاً: (لننتبه بأنه يجب كسب الحملات على مستوى المقاطعة والناحية والقرية والضيعة التي تجري المعركة فيها، لنأسر نفوس الناس وقلوبهم)].

متى يفهم العدو أنه عليه أن يشتري الناس.

[إن هذا هدف يستحق الثناء، إلا أنه لم يتم التوصل حتى الآن إلى اكتشاف الوسيلة اللازمة لبلوغه. فقنابل النابالم المحرقة، ورش السوائل الكيميائية لإتلاف المحاصيل، لم تأسر النفوس والقلوب.

وفي العام ١٩٦٢، مهَّد نظام نغودين دييم لبرنامج على النموذج الذي اقترحه البريطانيون في ماليزيا لنقل السكان الريفيين إلى قرى أعطيت اسم (استراتيجية)، وخصص ستين مليونا من

الدولارات لإنشاء التجمعات المحصنة وتدمير المساكن المنعزلة، وذلك لفصل الانتفاضة عن قواعدها الشعبية. وكان يجب إنشاء ١٢ ألفاً من هذه القرى المحصنة في نهاية العام ١٩٦٣، حتى تستوعب السكان الريفيين كلهم. ولا نعلم كم بُني منها، لأن الموظفين قدَّموا عنها تقارير مزيفة، كما أن الفيتكونغ احتلوها ودمروا كثيراً منها مباشرة بعد الانتهاء من إعدادها، وفشل المشروع في بداية العام ١٩٦٤.

وكان لتهجير الفلاحين بالقوة، وللتعويضات غير الكافية عن الخسائر المسببة، ومظهر معسكرات الاعتقال للتجمعات السكنية الجديدة بأسلاكها الشائكة ومنعاتها، نتيجة معاكسة للغاية المنشودة. فبدلاً من أن يكسب البرنامج ثقة الفلاحين، فإنه أبعدهم عن الحكومة أكثر. وعوضاً عن أن يستسلموا للاحتجاز، التحق الشباب بالفيتكونغ، وتبعتهم الفتيات، ولم يتبق في التجمعات السكنية إلا (الأفواه اللا مجدية) أي الأطفال والشيوخ].

يعني حتى النساء الشابات التحقوا بالمعسكرات، ولم يبق إلا العجائز والأطفال.

وهنا لنا وقفة قصيرة، أقول: ذكرنا هذا بالمحاولة التي تريد أن تقوم بها المخابرات المصرية الآن، أن تلغي حقول القصب وتستبدل بالقصب الطويل السوق زراعة الشمندر السكري، الذي لا يستطيع أن يخفي الناس، وبنفس الوقت تحافظ على مستواها من تصدير مادة السكر، ولكن بغير القصب الذي تستخدمه العصابات في التكتيكات، فواجهوا مقاومة كثيفة جدا في الصعيد، لأن الناس تعودوا على القصب من أجداد أجدادهم، ثم إن القصب مناسب للأرض، في حين أن تأهيل الشمندر السكري يحتاج لتأهيل آخر، مما يدلنا على أن الناس يستفيدون من تجارب بعضهم، أنه خلينا نجلس ونغير طبيعة المنطقة حتى نستفيد منها.

ولكن الفكرة التي خطرت لي، أن هذه الخطة قد تنفذ في مناطق البترول وتكون ناجحة جدا، مناطق البترول مناطق صحراوية كلها وليس فيها موانع طبيعية، ويمكن إعطاء السكان تجارة ولا زراعة ولا رؤوس

أموال، هذا في المناطق التي من الممكن أن يشكلوا فيها عائقا، أما في المناطق التي احتل الغرب فيها قلوب السكان أنفسهم= فهم ليسوا بحاجة لذلك، لأن السكان تحولوا إلى حرس لاستثمارات العدو.

فممكن يقوموا بعملية إجلاء، لأنه عند ذلك إذا أبعدت القوات عن الناس فلا يوجد تماس بينك وبينهم، ولا يمكن أن ندخل مناطق البترول إلا بجيش نظامي، وهذا غير متوفر ولن يتوفر، جيش نظامي إسلامي في مواجهة التكنولوجيا العسكرية الغربية، في المدى المنظور لا يمكن أن يتوفر، فخطر في بالي هذا الموضوع أن نطرحه للبحث، ففي جملة من الخواطر أنه من الممكن أن نتبع في ذلك ثلاثة تكتيكات:

الأول: ضرب قواعهم الاستراتيجية واللوجستية المحيطة بالمنطقة، أي أنهم إذا احتلونا هنا فلابد لهم من إمدادات جوية وبحرية للطعام والشراب، هذه الإمدادات أين ستكون؟ ستكون في المناطق الأخرى، يعني سيستقر في القرن الأفريقي، يستقر في الهند، هنا في وسط آسيا، من أجل أن ينقل من أمريكا إلى هذه المحطات، ثم من هذه المحطات إلى مناطقنا، فيجب أن ننظم حروب عصابات في هذه المناطق التي فيها خطوط إمداد خلفية له، وهي كلها مناطق إسلامية، وطبيعتها تساعد على حرب خلفية، وهذا يقتضي من الآن أن نبدأ في التعامل مع أهل تلك المناطق بتربيتهم على حرب عصابات يساعدوننا فيها، وإن كان الاحتلال عندنا وليس عندهم، ولكن ضرب خطوط إمداد الاحتلال في مناطقهم ميسر، وفي مناطقنا مستحيل.

الثانية: وفيه شيء من التصور قد يظن البعض أنه متضارب منهجيا معنا، أنه من الممكن إقامة علاقات مع شعوب غير إسلامية، ولكن تشترك معنا في بلاء الغرب، مثل الدول الإفريقية والدول التي سمت نفسها بعدم الانحياز، وقفت هذه الدول في حرب الخليج إلى جانب العراق، فالاجتماع على رفض مظلمة مع شعوب غير إسلامية وتهييجها في وجه الأمريكان= ورقة لا تزال بعيدة جدا عن عقول الإسلاميين، لأنهم يعتبرون أننا مسلمون فلابد أن نتحرك فقط مع المسلمين.

وأريد أن أطرح مسألة على الفقه الإسلامي، وهي: ما هو حكم دخول أحلاف على شاكلة حلف الفضول مع شعوب غير إسلامية مدعوسة من الغرب الصليبي، فقط لرد العدوان الصليبي، والتعاون في رد الحضارة الغربية؟

نحن ما زال عندنا مشكلة في كيف ندخل مع أهل لا إله إلا الله عم نحكي فيها، مع أن الفقه يقول أن دفع الصائل لا يشترط له شرط، سنحتاج إلى أن نقف مع شعوب غير إسلامية في مواجهة الحضارة الغربية.

سؤال من الناحية الشرعية ومن الناحية السياسية، لأنه من ناحية الجدوى العسكرية واضحة، عن إمكانية إقامة نوع من حلف الفضول لنصرة المظلوم والمستضعف بين شعوب إسلامية تقود حربا ضد الصليبية الأمريكية والغربية، وشعوب تشترك معنا في البلاء، وخاصة في المنطقة المحيطة بالعالم الإسلامي، مثل منطقة أفريقيا وهذه المناطق.

لأن هذه الشعوب تقع الآن في دائرة الحياد، إما سيأخذها الغرب ويجعلها محطات خلفية لخدماته اللوجستية في حربه معنا، لا سيما في السواحل الأفريقية ومناطق شرق آسيا، أو نأخذها نحن.

إذا نضرب قواعدهم في المناطق الإسلامية المحيطة، لأننا لن نستطيع أن نواجههم على الأرض هنا.

الأمر الثالث: هو ضرب خطوط الملاحة والنقل، يعني لن نستطيع أن نحمي البترول، بل سيأخذونه، ولكن يمكننا أن نضرب أنانبيب البترول، أنابيب الغاز، خطوط الملاحة البحرية، ممرات الناقلات بالألغام البحرية أو بالعمليات الانتحارية.

لفت نظري عملية من أربعة أيام قام بها ثوار هاجموا بثمانية زوارق صغيرة مشحونة بعبوات متفجرة فرقاطتين ضخمتين للبحرية السلمنكية، وفجروهما بهجوم انتحاري، فكان كل الجنود الذين فيهما مفقودين ٥٠ جندي.

البحرية الإيرانية والحرس الثوري أخذوا قضية تستخدم للترفيه وهي الموتسيكلات البحرية، ورأيت في التلفزيون المناورات البحرية الأخيرة، أثبت الإيرانيون أنهم ممكن يتفوقوا بحريا إذا حدثت حرب بينهم وبين

الغرب في الخليج العربي، فكان من الأشياء التي استخدموها: زوارق مطاطية انتحارية تحمل شحنات كبيرة من المتفجرات، ممكن تخترق دفاعات الباخرة وتصل إليها، على طريقة الكاميكاز الياباني الذين هاجموا الأسطول الأمريكي الخامس، وبالإضافة إلى تركيب رشاشات وقاذفات صاروخية على موتسيكلات البحر.

الشاهد هذه التكتيكات قد تفيدنا جدا في ضرب خطوط الملاحة التي تمر في إطار مناطقنا.

إذا، أولا: ضربهم في قواعدهم المحيطة بنا، إذا تعذر ضربهم في ساحة المعركة الأساسية.

ثانيا: ضرب خطوط الملاحة والنقل، التي تنقل منها هذه المواد.

ثالثا: وهو مهم وسيكون تجديدا لو فعلناه، وهو تنظيم حرب عصابات خلف خطوط العدو، بأسلحة مؤثرة.

وهذا بحث لابد أن نكتب فيه، استخدام الجاليات الإسلامية، استخدام الناس الذين يشتركون معنا في هذه المعركة، استخدام حتى إمكانيات تجنيد عصابات إجرامية بالمال والفلوس، خذ نقودا وافعل كذا.

فهذه من التكتيكات وهي قضية يجب أن نبحثها، وهي كيف نعمل لمواجهة ما يتكلمون به الآن عن الاحتلال، هم يقولون: سنصلح خطأ الرب، هكذا، البترول موضوع في مكان غلط سنأخذه ونخرج، فهم فكروا أنهم سيحتلون قناة السويس ومضيق باب المندب وانتهت المشكلة، أمنوا الممرات.

لكن هناك بلاد المعركة فيها لصالحنا، وهي وسط آسيا وبترولها الذي بدأ اليوم يأخذ أهمية أكثر من بترول الخليج، لأنه أولا جديد لم يبدأ ينفد كما عندنا، ثانيا الذي عندنا مرشح للدمار والحرق، لأنه محاط بمشاكل لها علاقة باليهود والمسلمين فممكن يحترق، يعني ممكن يدمرونه، أو ندمره نحن، لا نحن ولا هم، فهو مرشح للدمار جدا، وهذا هو الذي علمه صدام حسين، حرق البترول لما دخل الكويت.

فهم يريدون أن يأخذوا بترول وسط آسيا، فهنا المعركة لصالحنا مباشرة، لأن خريطة وسط آسيا جغرافيا مناسبة لحرب عصابات، وبشريا رقعة ممتدة على حوالي ١٠ أضعاف مساحة العالم العربي كله مجتمعة، يعني فقط تركستان ٢ مليون كيلو متر مربع، يعني تركستان تساوي أرض الجزيرة العربية كلها، هذا القوس التركي

ممتد من آخر آسيا إلى حواف أوروبا، بل ويدخل بعض أوروبا حتى، فهذه المناطق هي لصالحنا بكل معطيات حرب العصابات، وفيها كتلة بشرية حوالي ٣٠٠ مليون نسمة.

وكذلك في شمال أفريقيا، كل الناس والغرب في شمال أفريقيا إما يخرج أو يمر من مناطق جبلية أو تجمعات سكانية كبيرة، فأيضا لصالحنا.

فلابد أن نعرف أن هذه المواجهة ما هي طبيعتها الجغرافية، فنضع الخريطة ونكبر مخنا شوي، ونعمل على مستوى جغرافي عام.

فقط هذا في هامش الفكرة التي خطرت لي من عملية نزع السكان، وعمليا في فيتنام عندهم فشلت لأن الطبيعة والناس كانتا ليستا في صالحهم.

ন ন ন

يقول هنا:

[وشكل توسيع جهاز الشرطة جزءاً هاماً من برنامج الصراع ضد الثوار. وقد قدّر لعدده أن يبلغ خمسين ألفاً في نهاية العان ١٩٦٥، حتى يستطيع السيطرة على المناطق المفرغة من الفيتكونغ، ويقبض على المشبوهين، ويحفظ النظام في القرى التي كانت قد فقدت الاتصال الإداري مع الحكومة المركزية. وقد بدا كل ذلك معقولاً، لكن كيف كان بإمكان الشرطة أن تبقى في مكان لم يستطع الجنود البقاء فيه؟

وقد شكلت القرى المحصنة بالميليشيا أهدافاً ثمينة حقاً للفيتكونغ، بسبب الغنيمة المرجوة منها: كالأسلحة وأجهزة الراديو والأدوية والمؤن. وكانت المشكلة بالنسبة إلى الشرطة مماثلة للمشكلة التي جابهها الجيش. فعندما تتفرق تصبح ضعيفة، عندما تحتشد تضطر للتخلي عن الأرض، وبذلك تخفق في مهمتها.

وقد قال جياب: (لا يمكن لهذه الحرب أن يكون لها، إلا هدف واحد، وهو احتلال البلاد وإخضاعها وبسبب طبيعة الحملة التي يخوضها العدو، فإنه مضطر إلى توزيع قواته حتى يستطيع احتلال الأرض المجتاحة. وأثناء الحرب مع الفرنسيين وجد هؤلاء أنفسهم أمام التناقض التالي: إنهم لا يستطيعون احتلال الأرض المجتاحة بدون تجزئة قواهم، وإذا وزعوها خلقوا لأنفسهم صعوبات، وإذا تصبح وحداتهم المنعزلة فرائس سهلة لقواتنا، وتضعف قواهم المتحركة شيئاً فشيئاً)].

☙ ☙ ☙

[**والذي نراه هنا هو أكثر من تحليل. فلقد كان الربيع الحرج من العام ١٩٦٥، بمثابة تحذير كان علينا أن نرقبه. فتوسيع الحرب وزج قوات أمريكية كافية لإدارتها بنجاح، يتضمن محاولة جلية تماماً لعسكريي البنتاغون المصممين على البقاء خارج السياسة وعلى ألا يهتموا إلا بنتيجة المعارك**].

يقول المشكلة أن بتوع البنتاجون مجرد عسكريين، فلا يفهمون البعد السياسي للمعركة.

[**لكن حتى ضمن هذا الإطار الضيق، هل كان بإمكان الحملة الأمريكية اجتياح فيتنام، بينما لم تستطع الحملة الفرنسية التوصل إلى ذلك؟**

لقد قال الجنرال ديغول في مؤتمر صحافي بتاريخ ١٣ تموز ١٩٦٤: (لا يبدو أن الحل العسكري ممكن. والحقيقة أن بعض الناس يتصورون بأن الأمريكيين يمكن أن يحاولوا في مكان

آخر تحقيق الحل العسكري الذي لم يتمكنوا من تحقيقه في هذا المكان، (فيتنام الجنوبية)، وذلك بنشر الحرب شمالاً بأقصى ما يمكن، وبالتأكيد إن لديهم الإمكانيات للقيام بذلك. لكن من الصعب الرضى بأنهم يمكن أن يقبلوا المخاطرة الضخمة بحرب شاملة. وبالنتيجة، وبما أن الحرب لا تؤدي إلى الحل، فإن من الواجب السعي لتحقيق السلم، وذلك يتضمن العودة إلى الاتفاقيات المعقودة منذ عشر سنين).

وبفضل اتفاقية جنيف – التي ربطت هوشي منه وحكومته، دون أن تربط تماماً ثوار جنوبي فيتنام – قبل الفرنسيون هزيمتهم في حرب دفع الفييتمينة ثمنها ٣٠٠ ألف من النفوس البشرية.

ويبدو أنه من غير المعقول أن يقبل الفيتكونغ، بعد خمسة عشر عاماً من التضحيات الجديدة، بالعودة إلى أوضاع العام ١٩٥٤، بلا قيد ولا شرط.

ومن جهة أخرى، فإن من غير المشكوك به، أن يميل هؤلاء إلى القبول بنصر سياسي، لم يتمكنوا من انتزاعه، حتى ذلك بالوسائل العسكرية.

وفي مقابلة صحفية مع مجلة (لايف) في تشرين الثاني ١٩٦٤، أوجز السفير الأمريكي ألكسيس جونسون الآفاق المفتوحة أمام المفاوضات السلمية بقوله:

(تهدف استراتيجية الفيتكونغ الحالية، إلى الوصول لمفاوضات بين أية حكومة في سايغون والفرع السياسي للفيتكونغ، الذي هو جبهة التحرير الوطنية. وتسعى هذه المفاوضات لخلق حكومة ائتلافية، تقوم جبهة التحرير الوطنية بتوجيهها في مرحلة تالية، ثم يتحقق الاندماج مع فيتنام الشمالية في مرحلة ثالثة)].

الآن بدأ يصرح بنموذج الحل السياسي الذي عادة يُقترح من قبل الأعداء، عندما يشعرون أن الحل العسكري يسير إلى حتفهم.

[وكانت واشنطن قد أقصت هذا الحل. لكن – في حالة المأزق العسكري – يمكن للضغوط السياسية على سايغون أن تسبب بسهولة انفجاراً، يؤدي الحسم الشعبي فيه إلى استبعاد السياسة الأمريكية، وكنس كل حكومة تدعمها.

وبانتظار ذلك، تستمر حرب البرغوث، وتأخذ أبعاداً وبائية. ويستطيع البرغوث أن يتحمل طويلاً، وأن يشن حربه في المجال والزمن، وينمي كل يوم العامل الثالث لكل حرب ثورية طويلة الأمد، ألا وهو: إرادة الصمود عند الشعب. ولا يستطيع خصوم البرغوث التصرف مثله، لذا فإن النتيجة مضمونة مسبقاً، وخاصة إذا استبعدنا فكرة الحرب العامة.

ولا يسعني سوى أن أكرر، بأنه "ليس هناك شعب خاضع للاستعمار، خسر حتى الآن حرباً شنها بنفسه"].

ونتوقف هنا الآن للمداولة، اتفضل نعم.

الأخ: قلت أننا ممكن نستخدم عصابات إجرامية ونعطيها فلوس على بعض العمليات، هذه تحتاج لدراسة شرعية.

ثانيا: هؤلاء المجرمون ممكن يبيعونك بثمن بخس، يأخذون الأموال ويعطون المعلومات للدولة التي تريد القيام فيها بعمل، كذلك ممكن نحن نقوم بهذه الأعمال، نرى فقط المسائل الثلاث: من ناحية الشرع ثم الفائدة ثم الاستطاعة، بحيث نستغل ظروف بعض الدول، فيها مثلا أحزاب معارضة كالأحزاب الشيوعية والأحزاب التي تدعو إلى النازية الآن، في بينهم صراع، فنحن ممكن نضرب بعضهم ببعض، فقط نختار الوقت المناسب ونقوم بذلك.

الشيخ: طيب، أخونا عنده وقفة من ثلاثة فروع، تعليقا على قولي بأننا ممكن نحاربهم في الخطوط الخلفية، بشن حرب عصابات من قبلنا في أراضيهم، ويمكن ذلك منا مباشرة، أو باستخدام المسلمين هناك، أو إذا استطعنا باستخدام حتى المستأجرين الذين من الممكن أن يقوموا بهذا.

فأما قول أخينا الأخير أنه ممكن نقوم بها نحن= فطبعا، هذا مشمول ضمن الخطة، إذا استطعنا القيام بها نحن فلابد أن نقوم بها.

أما القول بأنه: لماذا لا نقوم بها نحن؟

أقول يجب أن نقوم بها نحن، وهذا ذكرته، نحن يجب أن يكون عندنا مخطط لعصابات خلف خطوط العدو، من القوات النخبوية التي تخصنا والعمليات الاستشهادية، بالدرجة الثانية باستخدام المسلمين من المقيمين هناك، أو من أبناء تلك المناطق الذين أسلموا، الحالة الثالثة الجديدة التي ذكرتها أنها إذا عجزنا عن هدف، ممكن أكلف أناسا من المجرمين أو من المأجورين يقومون به.

هنا عند أخينا وقفتان، يقول أنه لابد أن يكون جائزا شرعا عندنا، الأمر الثاني أنه محتمل يبيعونا للعدو باعتبارهم مجرمين ولا ضمير لهم، وهذا لي عليه تعليقان:

الأول: أن هذا الأمر وكل أمر ممكن يخطر على بالي أو على بالك أو على بال أي أحد يريد أن يجاهد= خاضع للمحاكمة التي سبق أن قلناها، أن أي مسألة تعرض على ثلاثة محاكمات: المحاكمة الشرعية يجوز أو لا يجوز، حلال أو حرام، فإذا خرجت حلالا نستمر في المحاكمات، إن خرجت حراما نقف، القضية الثانية: هل هو من الناحية السياسية أو المصلحية مفيد أم مضر؟ فإذا خرج مفيدا نستمر، القضية الثالثة بعد أن يكون حلالا ومفيدا: هل هو من الناحية العسكرية والإجرائية ممكن ولا غير ممكن؟

ففي مسألتنا هذه: استئجار كافر لينكي كافرا آخر بالفلوس، في حدود وما سألت عنه سابقا أنه جائز، أنا سألت عن هذه الحالة، طاغوت رأس من الرؤوس لا يمكن لي أن أصل له، فتأتي إلى المافيا وبعض

الحركات الجهادية استخدمت هذه القضية حتى في بلادنا مش بره، تقول له: تقتل فلانا ولك نصف مليون دولار، هو يستطيع الوصول بطريقته بأسلوبه.

سألت أنا هل ممكن بالعكس، سألني أحد الإخوة الجهاديين من أبواب التمويه، قال لي: هناك قتال بين الكافرين وبين ناس يستأهلون الحرب، وبعضهم يعلم أنك مسلح، فيأتي رجل كافر يقول لك: تقتل لي خصمي وأعطيك أجرا، يعني كافر يستأجر مسلما لأداء غرضه، فيأخذ أجرا ويعمل مافيا كقاتل مأجور، فسألنا على هذه المسألة، فكان الجواب بالنفي في حدود الذي سألته، قال: لا يمكن لمسلم أن يأخذ أجرا على العبادة، يعني لا يمكن واحد يقول لك تصلي لي عشر ركعات وأعطيك كذا، وباعتبار أن الجهاد عبادة، فلا يجوز لمسلم أن يأخذ أجرا على الجهاد.

الآن هذه ليست مسألتنا، مسألتنا أن نذهب نحن إلى كافر داخل طالع على العدو، العدو محتاط مني أنا جدا، أقول له: باعتبار أنك داخل وطالع اذهب واقتل فلانا، في حدود معلوماتي إذا نفذ لك كافر مقابل أجر نكاية في الكافرين= فهذه الاستعانة بمشرك جائزة بشروط، وهو أن يكون لك بخصوص هذا الكافر، بحيث لا يمكن أن تعملها بمسلم، وألا يشكل هذا الكافر خطورة، بحيث لو أراد أن ينقلب عليك ويغدر بك لا يستطيع، وأن يكون بصفة فردية لا جماعية، كما كان للرسول عليه الصلاة والسلام دليل قال: توصلني من هنا إلى هناك، كان ذلك في الهجرة.

الشاهد في الموضوع هذا الذي قرأته، فنحن في هذه الحالة حسب ما سألت أنه قال جائز، بقيت نقطة أخرى أنهم ممكن يبيعونا، هذه أنت وشطارتك، أنا أقول أنك عندك أراض وتعمل في منطقة أخرى أو في بلد اخرى، تستأجر شخصا تقول له: اذهب انسف المجمع الفلاني للاتصالات، وإذا سمعنا أنه انفجر وتم تدميره، تأتي إلى عندنا تأخذ أجرك، فلا مجال لأن يبيعني أو غيره، لا دخلت في عصابته، ولا أعطيته أسرارا، ولا شاركته في العملية، وليس هناك مجال للتماس بيني وبينه.

إذا كانت هذه الاستعانة بضوابطها، هكذا أنا سألت فهكذا قيل لي في حينها، وهذه مسألة كما قلت لا أفتيت ولا أفتي سابقا ولا لاحقا، لزمني بعض المسائل فسألت عنها فعندي الإجابات في بعض القضايا التي لزمتنا، ولا تزال كثير من الأمور معلقة، سألنا عنها وإلى الآن لم يجبنا أحد فيها.

أما قضية أن يغدر بك= فيجب أن تحتاط أنت لنفسك، وقلنا أن كل قضية بحد ذاتها، حتى أذكر مرة من المرات التي رأيتها في فيلم، واحد أتى بالفلوس وقطعها بالمقطع نصفين، نصف القطعة الورقية، نفذ العملية وتأخذ النصف الآخر، كل الفلوس التي عنده ليس لها قيمة، فهمت؟ أو تقول له نفذ ثم خذ أجرك، وإذا تواتر عن المسلمين أنهم يفون بشروطهم ويفون بعهودهم= فسيكونون محل ثقة.

ولكن هذا التخوف الذي تذكره تعرضنا له في قضايا ضرورية جدا وهي التسليح، كل عمليات التسليح في البلاد التي بدأنا فيها جهادا كانت مع المافيا ومع المهربين ومع تجار المخدرات، ووقعنا في أفخاخ شديدة جدا في بلاد الشام من أجل هذه المسألة، حتى صار عند المجاهدين سمعة أنهم يدفعون الفلوس ليوفوا، ثم يقتلون تاجر السلاح الذي باعهم، فانضبط تجار الأسلحة، فلم يعد أحد يدخل في هذه المسألة إلا وهو عارف أنه ممكن أن يقتل، فكانت السطوة للمجاهدين.

ولكن بعد أن خسرنا قادة كبارا جدا عندنا في قضية تجارة الأسلحة في بلاد الشام، منهم أخونا واحد اسمه عمر مرقة من الإخوان، من القيادات العسكرية للإخوان المسلمين، كان يمسك كل المنطقة الجنوبية والعاصمة دمشق، وقتل في كمين مع تاجر سلاح باعه، وكذلك أخونا الذي في الجزائر رحمه الله مصطفى بو يعلى قتل في عملية نقل شحنة أسلحة مع رجل جندوه، ولكن اختطف ابنه وضغطت عليه الحكومة أن يقتلوا ابنه أو يسلمهم إياه، بعد أن عرفوا أن بينهما مواعيد، فصار مخبرا إجباريا، وأسلمهم إياه، وأظن أن الرجل قُتل في الكمين نفسه.

فقضية التماس مع العصابات ومع الهياكل الإجرامية هذا فنٌّ له أصحابه، ويجب أن نستخدم الإخوة الذين كان لهم سابقة في هذه العوالم، ثم تاب الله عليهم فتحولوا إلى إخوة مخضرمين كما قال العلماء شهد الجاهلية والإسلام، فهذا ممكن تستفيد من ماضيه في حاضره.

ولكن تبقى القضية خاضعة من عشرات الأسئلة الجهادية التي ستخرج علينا، والمسألة هنا استخدام كافر لضرب الكافرين مقابل أجر، وهذا الأجر ليس لمسلم لأنه يحرم على العبادة، والله أعلم.

ثم الموضوع تابع للبحث، وليس هناك شيء غير قابل للأخذ والرد، كما قال الإمام مالك رحمه الله.

الأخ: إذا كان مشروعا وجائزا، فهل يمكن أن نقول أنه مضر؟

الشيخ: هو إذا كانت مضرة فلن تقدم على العمل.

الأخ: كيف يكون مضرا مثلا؟

الشيخ: أضرب لك مثالا: يعني كان أصله حلال على الجائز، ولكن يحرم لضرر، لما كنا أثناء الجهاد العربي الأفغاني في أفغانستان هنا، كان هناك إخوة يقولون نريد أن نضرب المؤسسات الصليبية في بيشاور، أو نضربها في أرض أفغانستان، كانت المسألة معروفة أن هذه المؤسسات محروسة من قبل الباكستان، وأي مس لهذه المؤسسات هو مس للخط الأحمر وغير مسموح به، وكان هذا ممكن أن يؤدي إلى العصف بكل الوجود العربي في أفغانستان.

أما في أفغانستان كان وما زال سيؤدي إلى مشكلة مع الأفغان أنفسهم، الأحزاب سابقا، الحكومة حاليا، لأنهم جماعة مؤمّنون من أمير شامل أو من أمراء حرب في مناطقهم، فسيعتبر الأفغان أنك خفرت عهدهم وذمتهم، فتقع مع الأفغان من وراء مصيبة صغيرة.

كانت كل الجماعات الجهادية داخلة في مخطط بناء، وكثير منها له مشاريع تريد أن تنمي نفسها، وليست معركتها في أفغانستان ولا مع الباكستان ولا مع الصليبيين، هؤلاء الناس سيتضررون وتنتهي مشاريعهم، لمجرد أنك قمت بعمل مشروع.

ما هو حكم أن تضرب صليبيا جاء لينصّر المسلمين، ويتجسس عليهم، ويقضي على حركتهم، وينشر الأدوية المعقمة فيهم، ويطعمهم السم ويسرق قضيتهم؟

لا شك أنه حلال واجب.

ثم جئت إلى المفاضلة، أن هذا الواجب في هذا الزمان بالذات، كان هناك إجماع أن هذا مضر بكل المسلمين وبكل الجهاديين، فلا يعمله أحد.

أمر آخر، أنت في منطقة عندك مستودعات في بلدك، تريد أن تبقيها ساكنة، وخسرت منطقة ساكنة ليس فيها عمليات، وهذه يسمونها في حروب العصابات منطقة خضراء يعني ليس فيها عمليات، ثم عرض لك هدف مهم للعدو، فقتل هذا الهدف المهم أمر واجب شرعا، مش بس جائز، ولكن من ناحية مصلحتك السياسية والعسكرية في ذلك المكان هو مضر، فأنت تحجم عنه.

الأمثلة كثيرة جدا، هناك طائفة من الطوائف محايدة لك في الحرب، ولا تريد أن تدخل طائفة برمتها موجودة إلى جانب العدو، يعني مثلا البربر الآن في شمال أفريقيا، كثير منهم لا مع الإسلاميين ولا مع الحكومة، فتأتي أنت لتطبيق حد، أو تريد أن تقتل واحدا من رموزهم وتعرف أن قتله واجب شرعا، ولكن سيحمل هذا التصرف كل هذه الطائفة والقبيلة والأقلية بقضهم وقضيضهم على الانضمام إلى الدولة، فهذا مضر، لا تقم به.

تقرأ في تاريخ الفتن، في المجلد الخامس أظن من "البداية والنهاية" تقرأ أنه جاء بعض الناس ومنهم القعقاع بن عمرو وآخرون يقولون لعلي بن أبي طالب: لماذا لا تخرج قتلة عثمان من عندك من الجيش؟ وإخراجهم لتنفيذ الحد الشرعي فيهم واجب على علي رضي الله عنه، فقال لهم: البارحة أبعدنا فلانا، فغضب له وانضم إلى جيش معاوية ستة آلاف سيف، فهل تريد أن أفعل بفلان وفلان وفلان كذا لينضموا جميعا، قالوا له: فماذا ترى؟ قال: أرى أن تكفوا.

أظن هذا كان في صفين، قال لهم: كفكفوا الناس، اذهبوا للطريق الآخر، فذهبوا وحاولوا أن يحلوها بدون حل عسكري، فانقسم الناس قسمين في القصة المشهورة بين معسكر علي ومعسكر معاوية، وتصايحوا على الناس بالليل وضربوا الفريقين، فحصلت المعركة، حصل اللي كانوا هم جايين يسعوا له.

فهناك أشياء جائزة وواجبة تؤجل حكما وتحرم لأنها مضرة، ولكن يا جماعة نحن جزأنا القضية يعني قصدي شرعية سياسية عسكرية للفهم، ولكن المضر سياسيا وغير ممكن عسكريا= هو حرام شرعا أصلا، أن تعمل عملا عسكريا سيؤدي إلى نحرك ونحر المسلمين، فلم يعد جائزا، فالمسألة كلها شرعية، ولكن لها شق شرعي محض، وشق شرعي سياسي، وشق شرعي عسكري، مفهومة هذه المسألة؟

الأخ: قد يبدأ بعض الأفراد وأحيانا القادة بالتخلي عن العمل الجهادي، فكيف التعامل مع هذه الفئات، مع العلم أن كل واحد منهم قد حصل على قسط من أسرار العمل الذي كان يقوم به؟

مرة أخرى: ما موقف الجماعات الجهادية من هذه الحالة؟

الشيخ: قبل أن أجيب على سؤال أخينا، أريد من كل واحد عنده سؤال فيه طابع شرعي فيه فتوى أن يكتبه ويؤجله ونبحثه مع أصحاب اختصاص، وإذا كان سؤاله سبق وأن سألنا فيه لحاجتنا إليه، فسوف أقول لك أنه سبق أن سألنا، وأخبرك بالجواب الذي قيل لنا.

وأريد أن تكون كل الأسئلة تابعة لطابع البحث، لأنه كان يجب على كل الجماعات الجهادية وعلينا أن نجمع كل هذه المسائل، ثم نثبت الإجابات عليها بدليلها الشرعي ونرتاح منها مرة واحدة، وهي حوالي ٦٠ أو ٧٠ مسألة تقريبا، كل أحاديثي كل ما سبق كل المعاصر سبق وأن مر على المسلمين.

الآن سؤال أخينا الأخير عن الناس الذين انضموا للجهاد ثم تركوه، كان المسلمون متوحدين أولا، يذهب الجيش، هنا مسلمون وهنا كافرون، لو واحد تولى من الزحف فغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا أليما وخلاص، والمسلمون يقاطعونه وما يحكوا معه وخلاص ما له ضرر، الآن كارثة.

الآن عندنا نموذجان من الذين يتخلون عن العمل معنا في مرحلة العصابات السرية:

نموذج يتخلى عن العمل معنا وينضم إلى العدو، فهذا ارتد شرعا، وخان سياسة وعسكرية، فهذا قتله وتصفيته جائزة شرعا، هكذا كان الجواب بالنسبة لنا.

وآخر تركنا ولم ينضم إلى العدو، وهذا ثلاثة أصناف:

الأول: تركنا ولم ينضم إلى العدو، وصمت ولم يكن له أي ضرر، رجع إلى بيته.

الثاني: تركنا ولم ينضم إلى العدو، ولكن قعد يثرثر بالأسرار، باستخفاف واستهانة هكذا، كنا نعمل قواعد وكذا إلخ.

الثالث: لا يثرثر، ولكن يعلم العدو أنه كان معنا، فيأتي العدو يأخذه، ويفرغه من المعلومات إجباريا.

هذه القضية الثالثة أكثر ما نتعرض لها في قتال المدن، لأن الذي ينزل من الجبال يقول له: نحن في منطقة كذا، طيب ما الدولة تعرف أصلا أننا في منطقة كذا، وتسليحنا كذا وفلان وعلان، يعني أبرز المعلومات عن الناس في الجبال كثير منها معروف بالنسبة للدولة.

الإخوة في الجزائر ومن شذ منهم حكموا بالقتل على كل واحد، الداخل مولود والطالع مفقود، اللي ما بيطلع ندبحه، وبعدين صار اللي ما بيدخل ندبحه، الشاهد في الموضوع أن هذه السياسة أتت بنتائج عجيبة جدا، حتى قالوا لو لم يكن له ضرر علينا= نقتله سياسة حتى يرتدع كل واحد يفكر بالطلوع والخروج، هكذا عملية تصفية.

هذا من ناحية سياسية جاء بأسوأ الكوارث والمنعكسات عليهم، ولكن نحن أمام حالات ليست من هذا النوع.

أضرب لك مثلا، مرة الإخوة في الشمال عندنا في سورية افتتحوا قواعد في دمشق، لأن كل الناس تتكلم لماذا ليس عندكم قواعد في دمشق، فلما كانوا ذاهبين للقواعد في دمشق، القائد يجلس فيها أشهر بدون عمل كله إعداد، يريد أن يخرج، فأذنوا له مرة، فذهب للبحث عن أحد أقربائه والتقى بأخيه وجاء أخوه فقال له أنه يعرف رجلا من الدولة ممكن يشفعون له بالانسحاب وممكن يرجع إلى بيته مرة أخرى بلا مشكلة، هذا إذا رجع إلى بيته أصلا، وحصلت عندنا حوادث بذلك، في عندنا عدد من الآباء أسلموا آبنائهم بناء على وعود من المخابرات، أن ائتنا به، وبعضهم لما جاء لأبيه وجده كمينا، ووجد المخابرات فاشتبك معهم، يعني صار الأب يستدعي ابنه على كمين حرصا منه عليه، يريد أن يخرجه من هذه الورطة.

فهذا الذي ينسحب إذا كان من الحالة الأولى، ينسحب ولا ضرر من انسحابه علينا= فليس لنا في حالتنا الحالية عليه سبيل، لأنه لسنا جماعة المسلمين الذين إذا خرج منها أحد دخل في الطاغوت، خلاص فارق الجماعة.

وحمل هذه الحالة وكثير من هذه الحالات على أننا جماعة المسلمين لم يفكر فيه إلا الناس الذين انحدروا إلى فكر الخوارج، نحن لسنا الجماعة التي يعاقب فيها بالإعدام من تركها، نحن ناس تعاهدوا على عبادة ورجل لا يريد هذه العبادة معهم، لما هذه العبادة تحولنا إلى سلطة وإلى دولة وإلى شوكة= فلكل حادث حديث.

الحالة الثانية: رجل بدأ يؤذينا بإرادته، ولكن بدون سوء نية، لأن الذي يؤذينا بسوء نية هو الصنف الأول، لكن هذا الحالة الثانية من الصنف الثاني لا يريد أن يؤذينا بسوء نية، ولكنه يثرثر كثيرا.

والحالة الثالثة رجل لا يؤذي ولكن سيتحول إلى مصدر للأذى، بمجرد أن يخرج من هذه الجماعة السرية.

الذي سألت فيه أنا اثنين من العلماء، واحد توقف وقال لي: هذه من المعضلات التي عندكم ولم يبحثها أحد، ليس عندي فيها جواب، وسألت آخر فقال لي: هذا يُعامل معاملة الجاسوس، ويجب أن يبين له أنه إذا دخل وخرج ومعه أسرار فكذا، فهذه من الأشياء التي لما يدخل تطلعه عليها، فتقول له: حصتك في الغنيمة أنت متبرع بها للمسلمين، ما لك وما عليك، حتى قال لي أحد الإخوة كلمة جميلة، قال: كل الجماعات التي دخلنا فيها يبينون فيها حقوق الأمير وحقوق الجماعة، ما شفت ولا واحدة فيها حقوق الأفراد! وهذه لفتة جميلة.

يجب أن يبين للداخل: ما له وما عليه، يبين له أن: يا ولدي المشكلة التي ستواجهنا كذا وكذا وكذا، وبعدين يقول لك: والله ما بشتغل بدي أروح على ماما، لأنك ستقول له: ثكلتك الماما في الآخر، مصيبة.

المهم الأخ هذا قال لهم: أريد أن أخرج، قالوا له: وين تخرج الآن؟ القاعدة ثمنها ٢ مليون ليرة حتى نشتريها في دمشق، فيها ٥ إخوة لهم من الأعراض ما سينتهك كله لو خرج، فسيبقض عليه حتما ويعترف بكل شيء، لأن الرجل الذي أفلت منك وخرج فلا تستطيع أن تعيده، وايش تعمل له؟ فالإخوة ربطوه وتركوه سجينا معهم حتى دوهمت القاعدة، فلما دوهموا فكوه وقالوا له: دوهمنا وتستطيع أن تمشي، فحلوها بهذا السبيل.

فقال لي: يعامل معاملة الجاسوس المسلم، والجاسوس المسلم حكمه تقرأ في كتب الفقه في حادثة حاطب لما أخبر عن المسلمين وبنية سليمة، ولم يكن ذلك ردة، وخلاصة الذي فهمته أنا من قراءة البحث كله على اختلاف المذاهب، أن القضية مفوضة للأمير، من العفو كما حصل مع حاطب إلى الإعدام تعزيرا وليس حدا، هذا هو الجواب الذي أعطاني إياه.

الحالة الثالثة مثل الحالة الثانية أنه لا يريد أن يؤذي عمدا، والرجل الآخر لا يريد أن يؤذي عمدا، ولكنه بطول لسانه فقط، أما الدولة فتأخذه.

فهناك مناطات دقيقة جدا للفقه، يعني مثلا العمليات الاستشهادية، أنا سألت الدكتور فضل في هذه القضية، وكان في البداية عنده مشكلة معها ولم يجزها، وفي الآخر أجازها فكان استنباطه دقيقا في الفقه،

قال: وجدت أن الله قال في القرآن (ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق) ومن الحق نكاية العدو، فهي جائزة، وأخذت هذه القضية معه تفكر عدة شهور، حتى استراح لهذا القول، فهذا قتل للنفس بالحق، فإذا جاز للمسلم أن ينحر نفسه بالحق نكاية في العدو= جاز للجماعة أن تنحر بعض أعضائها للحفاظ عليها، لأنه إذا خرج فسيثير مشكلة، ووقع عندنا في العمل السري مشكلات كثيرة.

وأؤكد هنا أنني لا أفتي، وإنما نقلت أسئلة سألنا فيها أيام الجهاد في سورية، قال لي أخ: حصل معنا في سورية مشكلة، أنه ونحن فارون ومعنا أخ مسئول عن تذخير مجموعة من القواعد، يعني توزيع الذخيرة، فيعرف كمية كبيرة من القواعد، ونحن نهرب جُرح جرحا غير مميت، ولكنه مقعد، وهو يعلم أنه إذا أخذوا هذا الأخ حيا ستحصل مشكلة، فوقف الرجل يقول: ماذا أفعل؟ فقَتل الأخَ الجريحَ وانصرف، لم يستطع أن يحمله فتصرف تصرفا تلقائيا، وبعد ذلك حُول السؤال للأجهزة المختصة.

قال لي: قتله، لأنه يعلم أن عشرات القواعد والإخوة والآخرين ما سيحدث لهم، فهذه مسائل حصلت عندنا، حتى العمليات الاستشهادية في بلاد الشام وأحيلت بعض الأسئلة منها حتى على مفتي الديار الأب الوالد سماحة عبد العزيز بن باز، وأجاب كثيرا من الأمور التي لم نتخيل أن يجيب عنها، ووصلتنا أن قائد القيادة سأله عن العمليات الاستشهادية وقال: هل لرجل أن يقتل نفسه فقط حفاظا على أسرار المسلمين؟، فقال:

الحالة الأولى: يظهر بسلاحه حتى يقتل العدو.

الحالة الثانية: أن يقتل نفسه بسلاح يقتل معه العدو، فهذه عملية استشهادية نسأل الله أن يكون شهيدا، قالوا في حينها أن هيك قال ابن باز.

الحالة الثالثة: يقتل نفسه فقط حفاظا على أسرار المسلمين، فقال: ونسأل الله أن يغفر له وعمله جائز.

فهي مسائل شائكة، منها هذه المسألة، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

بسم الله الرحمن الرحيم

كنا سنبدأ في التجربة الجديدة، ولكن في آخر مرة توقفنا كان سؤال أخينا في موضوع خروج بعض الناس من الجماعة التي تجاهد، فبعد أن حدثت أخانا رأيت أن من الواجب أن نرجع لنؤكد على أشياء هامة جدا جدا:

أولا: وهي قضية عظيمة وكبيرة جدا، وهي حرمة دم المسلم، سواء كان من الجماعة وشككت أنه تجسس أو خرج ومعه أسرار، أو يريد أن يؤذي بقصد أو بغير قصد، أو كان من المسلمين العاديين، فحرمة دم المسلم كبيرة جدا، وفيها أبحاث شرعية مطولة جدا، وأحاديث الرسول مشتهرة، يكفي الآية الكريمة بأن قاتل العمد حكم الله عليه بالغضب ولعنه وأنه خالد في جهنم، حتى أن ابن عباس كان من الفقهاء الذين يرون أن قاتل المسلم ليس له توبة، وأنه يخلد في النار خلودا نهائيا، حتى قال لرجل قتل وصفحوا عن هذا القاتل: تمتع من الماء البارد فإنك لا تدخل الجنة، والرسول عليه الصلاة والسلام دخل الكعبة ونظر إليها وقال: "إن لك عند الله لشأنا، ولزوالك أهون عند الله من دم امرئ مسلم"، فهذا شيء عظيم جدا جدا جدا.

وأريد أن أنبه أنه أحيانا قد تختلط سطوة الملك وعنفوان القيادة، بما يمكن أن يتوهمه الإنسان بأنه مصلحة شرعية ومصلحة إسلامية، فتحصل تصفيات باسم الشريعة وباسم الدين وباسم الحفاظ على الجماعة، هذه قضية هامة جدا جدا جدا.

نحن قلنا البارحة أن الذي خرج من الجماعة ثلاث حالات:

إما خرج ليؤذي عمدا وانضم للطاغوت، فهذه ردة مباشرة، لأنه انضم إلى صفهم ونحن في حالة حرب بين المسلمين والكافرين، وهذا حكمه حكم الجاسوس وقلت أن العلماء اختلفوا في حكم الجاسوس، بدءا من المن عليه، إذا غلب على ظنك أنه فعل هذا ليس ردة عن الدين وإنما لمصالح جانبية أخرى، وكان له سابقة إلخ، كما قضية حاطب، أو أنه يقتل درءا لهذه المفسدة، وهذه الحالة واضحة، أن رجلا تجسس فقُبض عليه مع أدلة التجسس للعدو وتقديم المعلومات، فاعترف أنه تعامل مع العدو، أنا الذي أميل إليه

في هذه الظروف أن الذي تعامل مع العدو ونحن في مرحلة الاستضعاف يجب أن يُقطع دابر هذه المشكلة، فأغلّب الحكم العنيف على الحكم البسيط، ولكن يبقى لكل حالة ظرفها وحالتها.

أما مشكلتنا عند النوع الثاني: أن رجلا خرج من الجماعة التي تجاهد، فهذا ما حكمه؟

أولا نبهت إلى أنه من اعتبر جماعته هذه التي هو فيها هي جماعة المسلمين وإمارة المسلمين، من قبل أن يكون له شوكة ولا أعوان ولا نصرة= فهذا فكر الخوارج، وذكر هذا الدكتور فضل في كتاب "العمدة" نفس الشيء، قال: لم يذهب هذا المذهب إلا الخوارج من الأولين ومن المتأخرين، في فصل "البيعة" ذكر هذا، هذه الجماعات التي تجاهد هي لحل مشكلة الصائل، ولحل مشكلة غياب المسلمين، ولنصب حكومة إسلامية وللإتيان بإمام مسلم، قبل أن يأتي إمام مسلم وقبل أن تكون إمارة فهي ليس لها أحكام جماعة المسلمين ولا أحكام الإمارة، وإنما نصوص تُقاس قياسا من أجل المصلحة العامة.

فلا يظن أحد أنه إذا خرج رجل من الجماعة يستأهل حكم القتل لأنه خرج من الجماعة، هذا الكلام ضلال، واستباحة لدماء المسلمين.

دخل يجاهد معك ثم خرج، هذا الذي خرج حنث بعهد عظيم ووقع في إثم كبير، بعد أن أخذ على نفسه عهدا بأن يجاهد معك وأعطى موثقا من الله وأعطى صفقة يده ثم انسحب ونكث بعده، ولكن لم يكفر ولم يخرج من جماعة المسلمين.

بل قد يكون الذي خرج، خرج لاعتبارات أصلا صحيحة عنده، أنه وجد خللا في الجماعة نفسها، فيكون ليس عليه شيء أصلا، نحن قلنا عليه إثم عظيم إذا كان المنهج سليما والطرح سليما والجماعة كلها سليمة والعمل سليم، والرجل خرج لضعف يريد أن ينسحب.

لكنه قد ينسحب لأنه وجد أن لا جدوى من هذه الفريضة التي يؤديها مع هذا الفريق من الناس، فنحن في مرحلة لغط، ولكن سواء كان هو معه الحق أو جماعته هي التي معها الحق، فليس من الحق بحال من الأحوال اعتباره مباح الدم في هذه المسألة.

وقد غلط بعض الناس غلطا شديدا جدا في هذا، مرة كنا في مؤتمر في لندن لبعض الإخوة الليبيين، فسأل سائل أبا قتادة الفلسطيني عن هذه المسألة فسجل كلاما فظيعا، وهو مسجل في شريط، وذكر أن الخطأ الذي ترتكبه جماعات الجهاد الآن هو أنها تبايع على الجهاد، والأصل أن تكون البيعات بين هؤلاء الناس وأمرائهم بيعات إمامة عظمى، وبيعات خلافة!

وذكر أن للأمير أن يشترط على من يبايعه أنه حل له دمه إذا ترك جماعته، وكان يريد أن يسوغ ما حصل في الجزائر!

وكان في ناس قاعدين من جماعة الجهاد والجماعة المقاتلة وحتى كان أبو الوليد الأنصاري كان حاضرا، فلما خرجنا للاستراحة، أنا نتيجة الظرف الذي كان بيننا لم يكن من المناسب بطريقة من الطرق أن أعترض، فلما خرجنا من الجلسة أتيت أبا الوليد الأنصاري فقال لي: ايش رأيك في اللي قاله؟ قلت له: أنا رأيي واضح أنه باطل، ولكن أنت ايش رأيك؟ قال لي: أعوذ بالله، ده من أفظع الكلام اللي سمعته، قلت له: ليش ما ترد؟ قال لي: والله ما مر علي أسوأ من هذا أن أسمع باطل وما أجرأ أن أرد عليه.

قلت له: يا رجل نحن بدون أن نرجع إلى المراجع ونرجع للكتب ونأتي بأدلة، أقول لك ببساطة أن هؤلاء الناس لو قالوا لأمير: حل لك دمي تقتلني، هو يعطي ما لا يملك، لأنه لا يستطيع ولا يحل أن يقتل نفسه أصلا، فكيف يعطي نفسه لغيره ليقتله! ثم هذا الإمام المزعوم ليس له هذا الحق، فهو شرط باطل أصلا، رجل يشترط ما ليس له، وآخرون يعطونه ما لا يملكون، ايش رأيك؟ قال لي: والله هذا الذي عندي، فقلت لأخ منظم المؤتمر، قال لي: خلونا نخلص من هذا المؤتمر على خير الآن.

الشاهد أن هذه طامة أخرى، أن الناس تسمع مصيبة فلا تستطيع أن تواجه المصيبة، ولكن أرجع للموضوع أن هناك في الجماعات الجهادية ومن حولها ومن لحق بها ومن ركب موجتها من يقول هذا الكلام، هذا ليس أكثر من إنسان يريد أن يمدد سلطانه ويصبح ديكتاتورا، وهو مفلس بلا أرض ولا شعب ولا أعوان، ولكن يريد كل حقوق الفرعون، يعني بده كل حقوق الفرعون والسلطان بلا فرعنة ولا سلطنة.

فبعد ذلك مرة كنت أقرأ فرأيت أثرا يفيدنا في هذا المجال، أن أبا جعفر المنصور خرج عليه أهل الموصل ثلاث مرات، فجاء بأعيانهم ونقبائهم وأخذ عليهم العهود والأيمان والمواثيق أنهم إذا خرجوا عليه، على أبي جعفر المنصور خليفة المسلمين من الصين إلى إسبانيا، إذا خرجوا عليه حلت له دماء أهل الموصل، فأعطوه العهود وأقسموا أنهم تحل دماؤهم إذا خرجوا، فخرجوا مرة أخرى، فجاء بأبي حنيفة رحمه الله وقال: إن أهل الموصل قد أعطوني كذا وكذا، وخرجوا علي مرة أخرى، أليس المسلمون عند شروطهم؟ قال أبو حنيفة: بلى المسلمون عند شروطهم، قال أبو جعفر: إذا حلت لي دماؤهم، قال له: لم تحل لك دماؤهم، قال له: كيف؟ فقال: هذا شرط باطل، اشترطت عليهم ما ليس لك، وأعطوك ما لا يملكون.

سبحان الله يعني إنسان يعطي ما لا يملك، كيف يقول لواحد هكذا تعال اقتلني، فرأيت نفس الكلام قاله أبو حنيفة لأبي جعفر المنصور، وأبو جعفر المنصور هو أبو جعفر المنصور، مش واحد فلعوص أبو عبد الرحمن أمين هذا من مغارات الثعالب جاي يحط شروط على المسلمين.

فأحببت أن أعلق على هذه القضية، أن القتل لأنه ترك الجهاد وترك الجماعة، نعم ترك الجهاد هي مصيبة هي كارثة هي طامة زي ما تسميها، ولكن هذا ليس مناطا لحل دمه، لمجرد أنه دخل ثم لم يعمل معهم، هذا كلام من الباطل.

ومن الفقه الباطل أن بعض الجماعات الجهادية والإسلامية أرادت أن تعطي لنفسها أنها هي الجماعة الشرعية في هذه الرقعة، وبالتالي مش مجرد أن خرج منها رجل فحل دمه، بل كل جماعة أخرى تشكلت قبلها أو معها أو إلى جانبها أو بعد أو قبل= فهي أيضا غير شرعية، وعندما يقول غير شرعية فهو يريد المعنى الديني من الكلمة، أي أنها غير شرعية للإسلام.

قال لي بعض هؤلاء من طلبة العلم وفيهم ناس مخلصون قالوا: نحن نقول هذا الكلام وقفا لنزيف تشكل الجماعات والانقسامات، حتى يشعر الناس بالواجب الشرعي، قلت له: هذه غاية نبيلة سليمة، ولكن يجب أن تصل إليها بدليل شرعي، قل لي: أنت لماذا صرت شرعيا؟ قال لي: الأسبقية، قلت له: الأسبقية هناك بجانبك في الدولة المجاورة لك هناك جماعات أسبق منك، ليش ما هي شرعية وأنت تعمل فيها؟ ايش

حدود اعتبار سايس بيكو؟ فما في حجة، تقول: الأكبر؟ هناك جماعات أكبر منك، تقول: المنهج الأصح؟ هذه لن يصل أحد للاتفاق عليها ولو إلى قيام الساعة، يعني ليس هناك مناط تستطيع جماعة أن تقول به نحن شرعيون، والآخرون غير شرعيين.

أما عن وجوب سعي الجماعة إلى ألا يكون هناك جماعات أخرى= فنعم، تتألف القلوب، تتنازل عن القيادة، تأتي بقواد الجماعات الأخرى كقيادة، تبذل كل الممكن حتى يتوحد المسلمون معك، توحد المسلمين أصل وقصد شرعي وعدم توحدهم ضرر، وتعدد الجماعات الجهادية كارثة في البلد الواحد، ولكن هل ينقلنا هذا إلى شق شرعية الآخرين؟!

أنت تريد أن تقاتل طاغوتا بأسلوب، والآخر يريد أن يقاتله بأسلوب آخر، وهذا حصل في التاريخ كثيرا، حتى نور الدين زنكي رحمه الله من خيار ملوك المسلمين اختلف على: أنا الجماعة الشرعية ولا أنت الجماعة الشرعية، مع صلاح الدين الأيوبي، وكادا أن يقتتلا، وتوفي نور الدين رحمه الله وهو يجهز جيشا لغزو مصر وقتال صلاح الدين، لأنه أراد أن يقيم إمارة أخرى، وصلاح الدين كان عنده مناطات أخرى يريد أن يقيم مملكة، وأراد الله خيرا بالمسلمين فتوفي نور الدين في تلك المرحلة وخلفه ولده إسماعيل وعمره ١١ سنة، فكان من حصافة صلاح الدين أنه أعلن أن الولاية الشرعية لنور الدين، هي ليست معي، وأنه جاء للشام حتى يوطد هذه المسألة ويحلها.

فلما جاء إلى الشام جمع العلماء وقال لهم: نحن في مواجهة الصليبيين ولا يصح إمارة المسلمين أن تكون بهذا الشكل، فأجمع علماء مصر والشام على خلع إسماعيل وتولية صلاح الدين بأسلوب شرعي، وكانوا هم أهل الحل والعقد، فخُلع إسماعيل وأكرمه صلاح الدين إكراما شديدا، وأقطعهم حلب، وتعامل مع القضية بغاية الحصافة، ثم إكراما لنور الدين زنكي تزوج بزوجته، حتى تبقى في منزلة الملك، وأكرم أبنائها وأقطعهم الإقطاعات وتصرف بطريقة سليمة، وأعلن على لسان العلماء أن صلاح الدين هو سلطان بر مصر والشام، بعد أن كادت أن تكون مهلكة.

الشاهد في الموضوع لا أريد أن أخرج عن القضية، وهذا الكلام الذي تكلمته لا يشبع البحث، بل يحتاج لأكثر من ذلك بكثير، ولكن لا يفهم أحد كما قال لي أحدهم: أنت بذلك تسهل على الناس تعدد الجماعات، قلت له: كيف أسهل على الناس، أنا أوصّف حالة، أن الناس واحد مريض وواحد أجرب، فيأتي واحد يقول لي: أنت تسبب المرض وتسبب البلاءات؟!

هذه الحلول المطروحة لشطب شرعية الجماعات الأخرى= هذا الكلام حتى الآن لم يأت أحد عليه بدليل شرعي، وهو ليس صحيحا، وهو من ضريبة فرقة المسلمين، وستعود الأمور إلى نصابها لما يفتح الله سبحانه وتعالى على جماعة من الجماعات في بقعة من الأرض وتصبح إمارة، نعم عند ذلك وجب كما اتفق علماؤنا، إذا طبقت هذه الإمارة شريعة الله سبحانه وتعالى وجب على الناس الدخول في سلطانها، ولا يحل لمسلم —كما قال عبد الله بن عمر– أن يبيت إلا وفي عنقه بيعة لهذه الإمارة في هذه المنطقة، وعند ذلك عليها أن تحل الأمور بالحسنى، وتوحد المسلمين، وسيكون تلقائيا معظم الناس الذين في جماعات أخرى وجدوا نصرا حاسما وحلا وأناسا وصلوا إلى دولة فسيأتونها، وتبقى شراذم تقاتل على الملك، فممكن تعمل معها حلا بصورة من الصور: عنيفا أو سهلا إلخ، ولكن بصفة إمارة شرعية.

أما الآن أنا هارب من الطاغوت في جبل، وأنت هارب معي في جبل أخر، فأقول لك: أنت لست شرعيا، لابد أن تهرب معي في نفس الجبل! هذا الكلام من ضرائب المنطق الأعوج الذي أُدخلنا فيه نحن المسلمين.

والآن أريد أن أرجع إلى الحالة الثانية حتى لا يظن ظان ويقول: سمعت أبا مصعب في الشريط أنه قال أنه سأل بعض العلماء عن رجل خرج وترك جماعته وبدأ يثرثر بالكلام أنه يُعامل معاملة الجاسوس، نعم الشيخ قال هذا الكلام، وهو رجل نثق بعلمه وجهاده ومعرفته في هذه الأمور، أو أن رجلا خرج وسيصبح نقطة ضعف وسيأخذه العدو، وكما قلت حدثت عندنا حادثة وإلى الآن تحيرنا، ليس لنا فيها بينة ولا أحد أفتانا فيها ولكن الرجل تصرف هكذا، الرجل جرح وهو يعلم أنه سيقع وسيكشف كل عورات المسلمين،

فتصرف بأن قتله، لم أجز ولا قلت أن أحدا أفتانا، وإنما قلت حادثة حصلت، فلا يظن ظان أن هذا تسهيلا للأمراء بأن يلغوا في دماء المسلمين.

إذا خرج واحد من جماعتك وليس عليك ضرر في ذلك= فليس لك عليه سبيل شرعي بأن تقتله إذا خرج، وإذا خرج والضرر مقدور على تلافيه بتغيير المواقع التي يعرفها، تغيير الأسماء التي يعرفها، كف الضرر بأي شكل= فليس لك سبيل بأن تقتله، الأصل أنك تسد الأضرار المتوقعة.

إلا إذا حصرت في زاوية خاصة جدا جدا جدا، فلك أن ترجع إلى أهل العلم الذين تستفتيهم في جهادك وتصف لهم الحالة بحذافيرها، تقول: فلان أخذ سيارة كذا كان منه كذا يعلم من الأسرار كذا يتصرف الآن كذا، فتُقدر الفتوى بحالة معينة لمسألة معينة، ولا تصبح قانونا: من خرج من جماعة جهادية وعنده أسرار يقتل، هذا الكلام غلط وليس صحيحا، لأنه سيفتح الباب لمناحرات أمراء الجماعات الجهادية، وكل واحد يريد أن يضبط الناس تحت سلطانه يدخل في معارك وفي تصفيات للمسلمين، هذه كارثة، وأحد صورها حصل في الجزائر.

الناس يجب أن تتوحد يجب أن تعمل، الذي يدخل في الجهاد يجب أن يُبين له قبل أن يدخل: ما هي حقوقه، ما هي واجباته، ما له، ما عليه، ما هي إمكانيات الجماعة، ايش ظروفها، ايش المخاطر المتوقعة، ايش الثمن الذي سيدفعه، تقول له: تريث قبل الدخول، مش أنت فاتح الباب تريد أن تورط الناس في الجماعة، وبعدين خلاص الداخل مولود والخارج مفقود.

الآن يكثر خروج الناس من الجماعات، لأن كثيرا من البيعات تتم ليس على منهج، فبعد ما يدخل يرى منهجا آخر، وليس على خطة، فبعد ما يدخل يرى خطة أخرى، وليس على مشروع، فبعد ما يدخل يجد مشروعا آخر، فأغلب الناس الذين يتركون الجماعات ٨٠% من الأسباب هي على القيادات، لماذا خرج؟ خرج لخلل موجود، و٢٠% خرجوا لخلل عندهم هم، لا يصلحون لجماعة، ممكن هذا.

قضية دم المسلم قضية عظيمة جدا، ثم لابد أن تعرف أن الجماعات الجهادية الناس كلها مسلحة، والناس كلها تدربت، والناس كلها عنفوان، يعني أنت ستقتله والرجل ايديه مش في جيبه، ولا محبينه ولا أنصاره.

أبو عبد الرحمن أمين قتل ٥ أشخاص، جماعتهم ذهبوا قتلوا أبا عبد الرحمن أمين، قُتل في نفس المشكلة، قتلوه أنصار المقتولين.

فهذه المسألة هي من بوابات الشيطان التي فتحها على الجماعات الجهادية.

أحببت أن أقف هنا لأقول لأخينا أن هذه المسائل تسمى فتاوى ميدانية، يُسأل فيها أهل العلم في حالة خاصة، باسم خاص، بظرف خاص، فتأخذ حكما خاصا، لا يصل هذا الحكم لحكم القاعدة، هذه المسائل عظيمة جدا، وليست هكذا بهذه السهولة، والله أعلم.

الأخ: الإخوة في الجزائر كانوا نفس الشيء، كان الخارج عن الجماعة لا يعدو كونه ثلاث حالات:

إما أن يخرج من الجماعة وينضم إلى صفوف الطاغوت فيرتد ويُقتل ردة، أو يخرج عن صفوف الجماعة ويلتحق بصفوف البغاة فكذا، أو يخرج ويرجع لبيته فقالوا: يُقتل سياسة، حتى لا يترك الناس الجماعة.

الشيخ: هذا الكلام الذي قاله أبو عبد الرحمن أمين لا يخرج إلا من أضل من حمار أبيه، وهو الذي كتب هذا الكلام، وأنا علقت على الكتاب في حينها، وهو ذكر أربع حالات لا ثلاث، قال:

رجل خرج التحق بالطاغوت، فهذا ليس عليه خلاف، ثم قال: خرج والتحق بالمبتدعة، ما يسميه هو مبتدعة هي جماعات إسلامية أخرى، ما الذي يجيز له أن يذبحه أو يذبح الجماعات الأخرى ابتداء؟ وأصبحت كلمة المبتدعة –وهذه إن شاء الله سأتعرض لها في قضية الجزائر، فقضية الجزائر وقضية سورية وقضية الأفغان العرب أنا حضرتهم بنفسي– الذين سموهم مبتدعة أصبحت قائمة طويلة عريضة، تعني في الجزائر كل من ليس تحت إمارة أبي عبد الرحمن أمين، لا تعني منهجا ولا تعني فكرة ولا تعني قضية.

لما يأتي كتاب أبي عيد الرحمن أمين سأريكم، الرجل لما قام بالتصنيف، صنف من الشيوعية والنصيرية والصوفية إلى القطبية إلى الإخوان في سلة واحدة! كلهم.

فابتداء من البند الثاني غلط، الذي ذهب إلى المبتدعة، أما البند الثالث قال: ذهب وعنده أسرار المسلمين، ثم جاء في البند الرابع وجد نفسه أمام حالة، قال: لم يذهب للعدو ولم يذهب إلى المبتدعة، ولكنه عاد إلى بيته، فهذا يُقتل سياسة حتى لا يكون ذريعة لأن يترك الناس الجماعة، يعني هذا الذي ليس عنده مصيبة فقط رجع إلى بيته يقتله أيضا.

وكانت مصيبة المصائب أنهم صدروا في الكتاب أن عموم أهل الجزائر، ثم بعد ذلك قالوا عموم من حولهم، يعني أن سلطانهم يمتد إلى ما أشرق وأغرب، قالوا: عموم هؤلاء الناس داخلون في سلطان أمير الفاسقين هذا بأحد أمرين: إما داخلون في صفوف الجماعة وهو دخول إرادي، وإما داخلون ضمن إمارته فدخولهم بالكره، يعني كل الجزائريين عليهم طاعته.

هذا موضوع مؤلم أصلا مصيبة نيلة، جاء أبو قتادة فقال: هؤلاء الناس رفعوا راية أهل الحق فعلى أهل الحق أن يلحقوا بهم، ومن بقي خارجهم فهو من أهل الباطل!

إذا كنت أنت يقول لك أرسل لهم رسالة تقول الطريق مقطوع، لا أستطيع أن أرسل رسالة يا أمير المؤمنين، فهذه مصيبة كارثة.

هذا الكلام الذي لفظوه لا يخرج إلا من رجل جاهل أمي، كان جزار دجاج ثم وجد نفسه جزار مسلمين، كان عنده محل لأنه لم يكمل تعليمه الإعدادي ولا الثانوي، ثم فتح مجزرا للدجاج، ثم صار أمير المؤمنين، ولكن المصيبة عند فقهاء يظنون أنهم أمضوا نصف أعمارهم في دراسة المنهج السلفي وعقائد أهل السنة، ثم يأتي يقول: ذبح أمه بارك الله فيه فعل أبي عبيدة بن الجراح!!

هذه المصيبة والكارثة سنتعرض لها بالتفصيل لما نأتي إلى قضية الجزائر وشواهدها، وسنقف معها وقفة طويلة، فقط أريد أن أقول أنها أمر عظيم وجليل وخطير، وقضية قتل المسلم قد توبق الإنسان وتخرجه من رحمة الله، ومن أن يدخل تحت جماعة لا إله إلا الله، وقد لا ينجو من النار ويخلد فيها.

ناهيك عن تدمير تجربة جهاد، كانت من أقرب الحركات الجهادية التي وضعتنا على حافة المخرج، كنا في قضية الجزائر على حافة المخرج، على مستوى شمال إفريقيا، وعلى مستوى المسلمين، يأتي مجموعة من الأوباش في عشرة أشهر فقط حطوها في التراب، جابوا عاليها سافلها بهذا الفقه!

الكلام الذي قاله أبو عبد الرحمن أمين يختلف عن كلامنا جملة وتفصيلا، نتفق على قضية واحدة اتفق عليها كل المسلمين، أن رجلا خرج والتحق بالعدو، يعني لا يريد حكما شرعيا، فنحن نقاتل العدو وهو معهم يقاتلنا، هو قفز من خط الحرب أصلا، قفز من اليمين إلى اليسار إلى الطرف الآخر، أما نحن نتكلم عن أصناف موجودة على الطرف اليمين أصلا.

نعود إلى موضوعنا، والموضوع اليوم سيكون معظمه قراءة، لأنه ٦ صفحات وعندي عليه ثلاث ملاحظات، لأنها تجربة لا تشبه ما حصل عندنا ولا يمكن تقريبا أن نقع تحت نفس الظرف، ولكن نقرأها لاستكمال الشواهد والثقافة والفهم، حول أنواع ما حصل من مقاومات وحروب عصابات عند شعوب مختلفة، هذه التجربة عن مقاومة الأيرلنديين الكاثوليك للبريطانيين البروتستانت، وكان نفس السبب احتلال التاج البريطاني لجزيرة قريبة منهم جدا، فعاملوهم معاملة المستعمرة، رغم أنهم يتكلمون بالإنجليزية أيضا، ويعتبرون من نفس العرق، إلا أن المشكلة كانت أن هؤلاء بروتستانت وأولئك كاثوليك.

الفصل السابع

دروس من الانتفاضة المسلحة في ايرلندا

"حروب التحرير الوطنية وثمنها – القلاقل في ايرلنده

ودور (البلاك والتانز) فيها"

البلاك والتانز هي كتائب مكافحة الشغب التي شكلها الإنجليز، لقمع انتفاضة الأيرلنديين

[قد يكون ثمن التحرير الوطني مرتفعاً جداً، كما برهنت عن ذلك حربا فيتنام. ومع ذلك يمكن القول، وبصورة علمية، أن حروب التحرير الحديثة – حروب المستعمرات ونصف المستعمرات مثل كوبا – بقيت اقتصادية بشكل ملفت للنظر، من حيث الأرواح البشرية، التي تُزهق، بالمقارنة مع الحروب بين الدول].

لا تقارن خسائر حروب العصابات والثورات بالحروب النظامية، حرب المائة سنة بين فرنسا وإنجلترا، والحرب الكورية، والحرب العالمية الثانية مثلا.

[ففي كوبا، لم يقتل إلا بضع مئات خلال سنتي الحرب الأهلية. وبعد سقوط باتيسيا، قدرت المصادر الثورية ضحايا العنف الثوري بعشرين ألفاً من الضحايا خلال سبع سنين. ولم يُنشر أبداً أي سبب مبرر لدلك. وعلى العكس، تعطي روايات المعارك الخاصة التي خاضها جيفارا وآخرون رقماً أكثر تواضعاً.

وفي زنجبار، اقتصرت الخسائر على بضع عشرات. وفي قبرص، لم يتجاوز الرقم بضع مئات. أما فيما يختص بأيرلنده، فقد كتب (ريتشارد بينيت) في (بلاك آند تانز) ما يأتي:

(أثناء السنة الأولى من الحرب ضد انجلترا، قتل الجيش الجمهوري الايرلندي (***IRA***)، وفق أقصى التقديرات، ستة وعشرين شخصاً، منهم ثمانية عشر شرطياً. ولم يطلق النار على الأفراد إلا في مائة حالة على الأكثر).

ويضيف بينيت: (لا يمكن لأية حكومة أن تستسلم أمام مثل هذا التهديد).

ولكنه كان مخطئاً، فلقد استسلمت انجلترا، ليس أمام العنف، بل بسبب الموقف السياسي والاقتصادي العصيب، الذي يمكن أن يحدثه العنف خلال سنة.

ونجد هنا برهاناً آخر مميزاً لحرب البرغوث، تشكل حرب العصابات أحد وجوهه، كما يمثل الإرهاب (حرب العصابات في المدن) وجهه الآخر.

فثائر العصابات في الأرياف، وإرهابيو المدن، يستعملان كلاهما القنابل والطلقات، ولكن الرافعة الحقيقية بالنسبة إليهما سياسية. وقد تُدمر فرق كما حدث في فيتنام، ولكن ذلك لا يشكل الغاية النهائية. وقد تتعرض مدن للإرهاب كما في قبرص، وليس ذلك أيضاً هو الغاية النهائية. فهدف حرب التحرير الوطنية، التي تتواجد فيها الموارد الضعيفة لأمة صغيرة بدائية، مع وسائل قوة كبرى صناعية، ليس احتلال الأرض أو الإرهاب، بل خلق موقف لا يطاق للقوة المحتلة أو لحكومة محلية عميلة].

أقول هنا زيادة في التوضيح، قد يكون هذا الموقف الذي لا يطاق سياسيا أو اقتصاديا –انفاق كثير– أو عسكريا بسحق وخسائر في القوات، أو مختلط من كل هذه الأمور، المهم أنه يواجه من الصور ما لا يطيقه.

[ففي حرب البرغوث يسبب (القصف) البرلماني أضراراً أكثر من المدفعية، وتنفجر العناوين الرئيسية للصحف بقوة أكثر من القنابل، وتربح مواكب السلام المعارك التي تخفق فيها الرشاشات،

وتبقى الخسائر ضعيفة، لأن ثوار العصابات عندما يشنون حملات الاستنزاف، يتجنبون المعارك المكلفة المألوفة للجيوش النظامية.

أما الإرهاب والمعتبر تقليدياً، كعمل فظيع، وكقتل سياسي، فهو أكثر إنسانية من كل أنواع الحروب الأخرى لأنه انتقائي (هل قصف مدينة بالقنابل أو قصف قرية بالنابالم أقل فتكاً من الإرهاب؟)].

أنا قلت هنا عن هذا السؤال: يجب أن نعتمد دائما هذه اللهجة في ردنا على الغرب، وتذكيرهم بجرائم الحروب بدءا من قنابل نجازاكي الذرية، وانتهاء بالمليونات التي سقطت في الحرب العالمية الثانية.

[**إن المعتدي لا يفلت فريسته بسبب انهزام جيوشه (مع أن ذلك يمكن أن يحدث كما رأينا)، بل لأن البلد أو المستعمرة المنتفضة تصبح – بسبب الإرهاب أو حرب العصابات – عقبة سياسية كأداء على المسرح الداخلي أو العالمي، وغير منتجة وشديدة الكلفة، أو مسيئة إلى الهيبة**].

قلنا هنا: هذا ما أسميناه قطع شهية المستعمر عن الجلوس إلى القصعة، لم يعد عنده فائدة من المستعمرة، يدفع فقط فاتورة الطعام وهو عمليا لا يأكل، فيتركه كله.

[**ويحاول المنتفض أن يقوم بدور داوود، فيسعى إلى إظهار عدوه للجمهور بمثابة جالوت، وتهدف كل أعماله وكل تصريحاته إلى إثارة الود والشعور بالعدل لدى شهود الصراع، ويكون ذلك بخلق صورة شعب شجاع يقاتل في سبيل استقلاله، ضد القوى الهائلة للظلم والاستبداد**].

إذا هذا هو شعار المعركة أمام الرأي العام الداخلي والخارجي، بخلق صورة شعب شجاع يقاتل في سبيل استقلاله وفي سبيل دينه وفي سبيل مبادئه، في مقابل قوى الظلم والاستبداد، يعني يظهر الاستعطاف،

ولاحظنا هذا الخطاب عند اليهود، رغم كل القنابل الذرية التي عندهم لا يزال خطابهم: نحن أمة صغيرة مستضعفة سيأكلنا المسلمون والعرب.

[وفي الوقت نفسه، تستعمل الثورة كل ترسانتها، (حرب العصابات، إرهاب، تخريب، دعاية)، كي تحرم الاستعمار من مكاسبه، وذلك بتحطيم معنويات اليد العاملة، وإنقاص الإنتاج، ومقاطعة الواردات، والتحريض على الانتفاضة وتخريب المؤسسات الصناعية، أي العمل بصورة عامة على زيادة تكاليف الاستثمار والإدارة السياسية، عن طريق زيادة نفقات القوات العسكرية والشرطة].

هذا كله مر معنا.

[فإذا كان الهدف محدداً بدقة، وكان التكتيك الثوري مطبقاً بحزم، فإن القوة العسكرية تجد نفسها بسرعة، مشتبكة في صراع يفقدها سمعتها أمام العالم، ويكبدها خسائر مالية لا يلبث تأثيرها أن يظهر في الداخل. أما الجهود التي تبذلها القوة المذكورة، لوضع حد للصراع، فإنها تزيد سرعة تطور الأمور، لأنها كلما شددت القمع كلما أثارت حقد السكان المستعمرين (أو التابعين في حالة الامبرياليين)، كما أن صفحتها تسوّد في عيون الرأي العام العالمي.

ولا بد من التنويه، بأن الرأي العام العالمي يتألف من شعب القوة المعتدية، وقوى المعارضة التي تندد بالطرق المستعملة في القمع، ودافعي الضرائب الذين يزداد عبؤهم، والأشخاص الذين يتأثرون من فقدان الهيبة الوطنية... إلخ].

هذا كله رأي عام عالمي، ولكن في صف البلد الخصم نفسه.

[وإن تجربة الإمبراطوريتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا في القرن الماضي، تقدم عدة أمثلة عن هذا السياق. فبالنسبة إلى الأولى، تضمن الصراع الذي أدى إلى استقلال قبرص (المشروط حتى الآن) تكراراً شبه حرفي (للقلاقل) التي خلصت قبل ثلاثين عاماً أيرلندة الكاثوليكية من التسلط البريطاني].

أيرلندة الجنوبية هي التي استقلت وهي معظم الجزيرة، ولم يبق إلا قطعة الآن تقاوم من أجل الاستقلال.

إرعاب الخصم هو هدف الإرهاب. هكذا قال لينين.

هذا بالنسبة لنا مثل تفسير الماء بالماء، هدف الإرهاب هو أن تحدث الرعب في الخصم، نعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام نُصر بالرعب، فقضية الرعب عند العدو من أهم ما يزلزل الطرف الآخر.

[وكان بإمكانه التشديد على الملاحظة، حتى لو أدى ذلك إلى إضعاف بلاغة الحملة، كأن يقول بأن الهدف الرئيسي للإرهاب هو تخريب الإدارة، وذلك بحشر أولئك الذين يحكمون في موقف دفاعي، حيث لا يمكن أن يحدث شيء بدون الوجود المستمر لحرس مسلح، مما يؤدي إلى شل الحركة. ولهذا أيضاً أثر ثانوي، وإن لم يكن غاية، وهو أن يثير إرهاباً مضاداً يخدم قضية الثوار بشكل أفضل من كل الأساليب التي يمكن للثوار أن يتصوروها].

أي أنك ترعب العدو فتكسب، فتجره إلى أن يرعب الناس بفعل معاكس فتكسب كسبا آخر، وما يتطوع به العدو في الإرهاب هو أفضل من كل الأمور الأخرى.

[تلك كانت الحالة في أيرلندة وبالرغم من تاريخ انتفاضي طويل، فقد بقي دعم الجمهور لحركة الاستقلال فاتراً حتى اللحظة التي تأجج فيها بسبب أعمال البريطانيين أنفسهم، وخاصة بسبب أعمال النهب التي ارتكبها (البلاك والتانز) المشهورون، الذين استنفروا لدعم قوة الدرك الملكية الإيرلندية.

ولقد كتب ريتشارد بينيت، عن موضوع انتفاضة الفصح، التي دبرها الوطنيون في العام ١٩١٦، قبل أربعة أعوام من تشكيل (التانز) ما يلي:

(أديرت هذه الانتفاضة بشكل يدعو للرثاء، إذ أعلن الثوار الجمهورية، واحتلوا عدداً من المباني العامة في دبلن، وصمدوا بشجاعة فيها لمدة أسبوع، وكان آخر المستسلمين هو أستاذ الرياضيات الشاب دوفاليرا. ولم تحدث قلاقل تُذكر في بقية أيرلندة، ورفض الشعب الايرلندي الدعوة النبيلة (بأن يبرهن على أنه جدير بالمصير المشرف المقدر له، كما استغل النهابون المناسبة في دبلن.

(ولم تجر في تاريخ أيرلندة كله، انتفاضة بهذا القدر الضئيل من التعاطف معها، إذ كان يقاتل في صفوف الجيش البريطاني حوالي مائة ألف من الكاثوليك الايرلنديين، وفكر معظم أفراد الشعبين الايرلندي والانكليزي، بأن الأمر لا يعدو أن يكون خنجراً في الظهر. وعندما استعرض الأسرى في شوارع دبلن، قابلهم سكان دبلن غاضبين شاتمين. وبدت قضية الاستقلال الايرلندي وكأنها قد ضاعت أو أجلت إلى أمد بعيد).

وعندها ارتكب البريطانيون غلطة عميقة، إذ أعدموا رمياً بالرصاص خمسة عشر مسؤولاً عن انتفاضة الفصح، فسببت هذه الإعدامات فضيحة عالمية، وضعت حداً لكل حل سلمي للمسألة الايرلندية. أما حركة الاستقلال (شين فين)، التي كانت فاقدة الاعتبار، فقد أصبح لها شهداؤها، لذا نمت بسرعة].

وهذا يذكرنا بكلام سيد قطب رحمه الله، أن أي حركة لما يكون لها شهداؤها ورموزها وتسقى بالدم، تصبح لها فاعلية وقابلية عند الناس، لأنها دلالة على قمة الصدق.

[وكأنما كانت لندن تسعى عمداً إلى إلحاق الهزيمة بنفسها، فقد أعدت الحكومة الانكليزية قانوناً – وكانت الحرب العالمية الثانية قد التهمت الرجال – لتجنيد كافة الايرلنديين، الذين يسمح لهم سنهم بحمل السلاح، فتوحد الجميع بذلك ضد التاج، والتحق آلاف الشباب بالميليشيا المسماة (المتطوعون الوطنيون)، التي لم تلبث أن أصبحت الجيش الجمهوري الايرلندي (IRA). ولم يكن بإمكان انكلترا أن تفعل أفضل من ذلك لتثير (القلاقل) التي كانت آنئذ وشيكة الوقوع].

يعني حماقة الخصم هي التي صنعت الثورة كاملة إزاء شعب كان رافضا لها أصلا، وثمت بمن قاموا بها قبل ذلك.

[وفي ٢١ كانون الثاني ١٩١٩، قام (الديل ايريان) (وهو المجلس التشريعي لحزب الشين فين) بإعلان الاستقلال، وتعهد تشكيل حكومة الأمر الواقع الجمهورية في الأرض الايرلندية، وتممت الحكومة بالمحاكم وبجهاز للشرطة. وكانت غاية المناورة سياسية، ولم تكن الحرب الفعلية متوقعة.

والحقيقة أن نية (ديل ايريان) كانت مختلفة عن مزاج المتطوعين. وفور إعلان بيان الاستقلال، دوت الطلقات الأولى للثورة. وفي اليوم نفسه نصب (المتطوعون) كميناً لمجموعة تنقل متفجرات الجلجنايت إلى مقلع، وقتلوا فردين من الدرك الملكي.

وقامت بسرعة حملة منظمة من الإغارات والكمائن، بدلاً عن الاصطدامات الفردية والتلقائية، وكانت الحملة بإدارة مايكل كولنز في دبلن، وقادة الوية الجيش الجمهوري الايرلندي في الأمكنة الأخرى. وكان عدد الضحايا قليلاً نسبياً، أما الآثار فكانت رائعة، إذ أخذ الجنود، بخوذهم

الحديدية وبنادقهم المزودة بالحراب، يقومون بالدوريات في شوارع دبلن، كما لو أنهم في عاصمة أجنبية محتلة. وتكدست المعدات الحربية في المرافئ، ولم تعد التحركات العسكرية على الطرقات تجري إلا محروسة، وامتلأت السجون بالمعتقلين السياسيين. وبين كانون الثاني ١٩١٩ وآذار ١٩٢٠، جرت عشرون ألف عملية مداهمة للمنازل، بحثاً عن الأسلحة والمشبوهين.

وفي نهاية العام ١٩١٩، جرى صراع محموم شمل العسكريين والمدنيين، وأصبحت البلاد كمعسكر محصن، وتحولت الهجمات والاغتيالات إلى أعمال يومية وأصبح الجو في دبلن وكأن (كافة الموظفين البريطانيين تقريباً معتقلون في القلعة).

ولم يكن الجنود ورجال الشرطة ضمن ثكناتهم في وضع أفضل. ولم تقع أعمال عسكرية كثيرة، لكن جو التوتر استمر في التأزم، وأصبح كل طريق مدخلاً إلى كمين محتمل، وكان بإمكان أي مدني، مهما كان بريء المظهر، أن يخرج مسدساً ويطلق النار)].

إذا يُلاحظ أن الشعب الذي كان خامدا وبليدا ولم يتجاوب مع الاستقلال، شكل جبهة واحدة واستحق الآن الشرط الأول من حرب العصابات، أن هناك شعبا مسلحا تحول كله ضد الخصم.

[ولم يمض يوم واحد دون أن تعلن الصحف عن (حادث ايرلندي). أما في البلاد الأجنبية، وبفضل الفعالية القصوى لحملة الدعاية التي قام بها (دوفاليرا) بين المهاجرين الايرلنديين في أمريكا، تعاظم التعاطف مع الثوار، بحيث أن السفير البريطاني في واشنطن (بدا عاجزاً أمام الشعور العام المتعاطف مع ايرلنده)].

نلفت النظر إلى أن أمريكا الولايات المتحدة كانت داعمة للقضية الأيرلندية، بسبب كبر الجالية الأيرلندية جدا، والتي تشكل أصلا من أصول الشعب الأمريكي، كالجالية الألمانية الكبيرة والشرق آسيوية، ولهذه الكتلة الأيرلندية أثر فعال في الأصوات والانتخابات، ولذلك عومل "الان آدمز" الذي هو مسئول

"الشين فين" واستقبل وكأنه رئيس دولة في الولايات المتحدة أمام الكونجرس، وغضب البريطانيون جدا، كان هذا منذ سبعة أشهر تقريبا أو عشرة أشهر.

الشاهد أن القضية تعود إلى هذا الوقت البعيد ١٩١٩، وهذا التعاطف الذي وقف السفير البريطاني عاجزا أمامه ينعكس إلى تبرعات ودعم مادي ودعم عسكري وتهريب أسلحة إلى هؤلاء الناس.

[واحتل ايرلنده ثلاثة وأربعون ألف جندي بريطاني، بالاضافة إلى عشرة آلاف دركي. وعُزِّز هؤلاء بسرعة بآلاف من (البلاك والتانز) (وهو لقب مستوحى من لباسهم الكاكي ومن اللون الأسود لواقيات قبعاتهم وأحذيتهم وأحزمتهم وجعبهم)، وبألف وخمسمائة من الطلبة المؤقتين التابعين للدرك المساعد. ولم يكف العدد لاحتلال الخمسة وستين ألف كيلو متر مربع من جنوبي ايرلنده الثائرة].

منطقة صغيرة، كلها ٦٥ ألف كيلو متر مربع، يعني تقارب ثلث تونس في المساحة، التي هي ١٦٥ ألف كيلو متر مربع.

[وكانت الأرض مناسبة بشكل رائع لحرب العصابات: فالريف مزروع وعر ومحروم من الطرقات في كثير من الأمكنة، بحيث لا يمكن اجتيازه بالعربات ذات المحركات في وقت ممطر، أي في كل الأوقات تقريباً].

إذا توفر إلى جانب عامل الشعب، عامل الموانع الطبيعية.

[وقد وجد رجال الجيش الجمهوري الايرلندي ملاجئ حصينة في المستنقعات والمرتفعات الحرجية، وبقوا على مقربة من المدن وخطوط المواصلات الرئيسية، لتنفيذ إغاراتهم تحت ستار الظلام. وكان أعضاء الجيش الجمهوري الايرلندي في المدينة مندمجين مع السكان، ويحتلون جميعهم تقريبا وظائف مدنية، لذا كانت العمليات تجري ليلاً فقط في مقاطعتي دبلن وكورك، إذ لم يكن العدد كافياً للقيام بها أثناء النهار.

واشتملت هذه العمليات خاصة على مهاجمة مستودعات الأسلحة، وعلى الكمائن المنصوبة للقوافل العسكرية في الريف أو للدوريات الصغيرة في المدن. ومن جهة أخرى كرست (فصيلة خاصة) في دبلن نشاطها لاغتيال عناصر المخابرات والشخصيات السياسية].

هذا مهم، استهداف جهاز الأمن ومخ الدولة التي هي الشخصيات السياسية في البلد.

[وقد بقي الجزء الأكبر من هذا النشاط بدون قيمة من وجهة النظر العسكرية. وكان حبر الطباعة يجري بغزارة أكثر من الدم].

يعني ناس تكلموا كثيرا وعملوا قليلا ومع ذلك حصدوا النتيجة، وأذكر بقولي بأني أعجب من حركات جهادية إلى الآن ستجاهد وتعلن ومضى عليها كما قلت عندنا في بلاد الشام انتصرنا وانهزمنا على مدى خمسة عشر عاما ولم يُكتب أكثر من ثلاثن صفحة أو أربعين صفحة، والآن الجهاد أُعلن في كثير من البلاد وليس هناك نشرات جهادية تخاطب الناس ولا خطابات ولا كاسيتات ولا ديسكات ولا أي شيء، وليس هناك أي نوع من أنواع التعبئة، في حين أن الرجل يقول: (وكان حبر الطباعة يجري بغزارة أكثر من الدم) يعطيك قيمة أن الحبر أعطى مفعولا الدم في تلك الثورة.

[وكان الرماة الايرلنديون يخطئون أهدافهم أكثر مما يصيبونها. وغالباً ما كانت الثكنات المحروقة فارغة، ولم يكن لتخريبها إلا صفة رمزية. وكثيراً ما اندحر المهاجمون بعد أن أنفقوا من الذخيرة أكثر مما حسبوا. وكانت ضحايا الاغتيالات الايرلنديون (مخبرين، متعاونين، .. إلخ) أكثر من الانجليز].

يعني ثورة تافهة عسكريا، ميليشيات مهلهلة، ولكن إعلاميا خُدمت بكشل جيد جدا.

[ولم يكن الجيش الجمهوري الايرلندي يشن حربا عسكرية بل سياسية. وكانت الآثار الحقيقية للرعب ذات طبيعة نفسية، فانخفض التطوع في جهاز الدرك، وكثرت الاستقالات بانخفاض المعنويات. وفي الثكنات كان الجنود (أجانب في بلد معاد) يعيشون في توتر أكبر مما لو كانوا في الخنادق. هكذا كان يقول الجنود القدماء.

وبلغ الخوف من قتلة الجيش الجمهوري الايرلندي درجة من الشدة دفعت الحكومة إلى لصق إعلانات تحذر بإطلاق النار على كل مدني يمشي ويديه في جيبيه، لأنهما قد تكونان ممسكتين بسلاح].

عجيب حمق الإنجليز يعني غريب هنا.

[وربما لم تكن لمهاجمة الثكنات والقوافل نتيجة عسكرية، لكنها كانت مؤثرة على اقتصاد وإدارة البلاد التي انغمست في الفوضى. فاحتمال غارة أو كمين، في أي زمان ومكان، كان كافياً لإبطاء المواصلات، وإنقاص الإنتاج، وإجبار العسكريين على البقاء دوماً في حالة الإنذار، وعلى حراسة كل الثكنات والقوافل والمباني العامة، ومنع التجول إلا اضطرارياً، والتفتيش المستمر للتأكد من هويات المدنيين، وإزعاج الحياة اليومية بمختلف الأشكال].

أذكر أنه في فرنسا لما وُضعت ثلاث عبوات من الإخوة الجزائريين على القطارات فقط، وحصلت عمليات بسيطة تعتبر بنفس المستوى هذا من التفاهة العسكرية، خلال الأسبوع الأول فُتش نصف مليون سيارة في باريس، وانتشر ٣٥٠ ألف دركي وقطعات عسكرية لتفتيش الناس، وفُتش مئات الآلاف من البشر على الطرق، وسببت إرباكا هائلا وإنفاقا غاية في العجب، وكان يكفي إعلان كاذب عن وجود قنبلة أو قضية غير صحيحة إلى إرباك الدنيا من أولها إلى آخرها، ولم تكن القضية من الناحية العسكرية تستأهل كل هذا الكلام، ولكن هذه هي البنية التافهة للمجتمعات الصناعية، التي لا تحتمل هذا النوع من الأعمال.

[وكان ذلك كله يكلف كثيراً، بالنسبة إلى الحكومة، ودافعي الضرائب البريطانيين، والملاك العقاريين، والمصارف، وكل أولئك الذين راهنوا على أيرلندة المنظمة والمنتجة.

وكان كل حادث بمثابة ضربة جديدة للسمعة البريطانية في الخارج، وللمعنويات في الداخل، ويخدم جنوبي العمال والأحرار البريطانيين، ويساعدهما على إزعاج حكومة المحافظين].

يعني كانت المعارضة تعلب دورا لصالح الثوار.

[وربما كان بإمكان العسكريين تحمل ذلك التوتر، الأمر الذي لا ينطبق على الحكومة في داونينغ ستريت.

ولقد بذلت جهود عدة لتحسين الموقف، لكنها زادته خطورة. فجماعات (البلاك والتانز) التي ظهرت في بداية العام ١٩٢٠، كانت بمثابة هدية من العناية الإلهية للثوار. فكل عمل يقوم به الجيش الجمهوري الايرلندي كان يدفعها إلى رد فعل عنيف. وكان العمل الأول يعتبر في البلاد

جزءاً من النضال المقدام من أجل الحرية، في حين كان رد الفعل يثير السخط، ويزيد اتحاد الايرلنديين ضد (التاج).

واستفادت الدعاية الايرلندية كثيراً من أعمال القمع، وعرضت أعمال حرق بعض الدكاكين أو المنازل وكأنها مجزرة لقرية كاملة].

لاحظ المبالغة الإعلامية في إرهاب العدو.

[كما عرضت إعدام أعضاء (الشين فين) أو المشبوهين، وكأنها مذابح ترتكب دون تمييز. ولقد قال أحد قادة الدرك لرجاله: (أطلقوا النار أولاً ثم اسألوا). فبدلت صحيفة الثوار السرية جملته، ونسبت إليه أنه قال:

(إذا أُحرقت إحدى ثكناتكم، أو كانت غير مناسبة، فخذوا أجمل منزل في الناحية، واقذفوا بقاطنيه إلى الشارع وليموتوا فيه كالكلاب. وكلما زاد عدد موتاهم كان أفضل. وعلى الجنود ورجال الدرك القيام بدورياتهم الريفية خمس ليالٍ في الأسبوع على الأقل، وألا يكتفوا بالسير على الطرقات الكبرى، بل عليهم أن يذهبوا إلى الحقول، وينصبوا الكمائن. وعند مشاهدتهم لمدنيين يقتربون عليهم أن يصيحوا: ارفعوا أيديكم. فإذا لم ينفذوا الأمر فوراً، أطلقوا النار، وأطلقوا جيداً. وإذا اقترب المدنيون وأيديهم في جيوبهم، أو بدوا مشبوهين بشكل ما، فاقتلوهم. وقد تقترفون أخطاء أو تقتلون أبرياء، فذلك لا يمكن تجنبه، ولكنكم قد تصيبون أحياناً. وكلما قتلتم عدداً أكبر من الأشخاص، ازداد تقديري لكم، وإنني لأؤكد لكم، بأن أي جندي منكم لن يلق متاعب لأنه جندل شخصاً)].

هذه المبالغة في صحف الثوار في تشويه الطرف الآخر ساعدت في تجنيد الناس ضدهم.

[وطبيعي أن هذه الأحاديث قد كذبت، لكن ذلك لم يغير شيئاً. وكان يقال أيضاً بأن (البلاك والتانز) كانوا يخترقون القرى بشاحناتهم، وهم يغنون ويطلقون النار عشوائياً، مجازفين بحياة الذين يتواجدون في طريقهم.

وليس مهماً أن نعرف ما إذا كانوا حقاً يغنون. لكن المهم، ذلك الصيت السيء الذي صنعوه بالقتل والحرق والنسف والسلب، سواء جرى ذلك وهم يغنون، أم لا، مما أثار في انجلترا، فضيحة خدمت فعلاً القضية الايرلندية.

وقد أتهمت الديلي نيوز الحكومة (بالتوطؤ الضمني مع أعمال الانتقام الهمجية التي تطبق الآن بمنهجية)، وكتبت التايمز المحافظة: (تزداد الأنباء الآتية مع أيرلندة، سوءاً، يوماً بعد يوم. فقصص الحرق والتخريب يجب أن تثير شعوراً بالخجل لدى كل القراء الانجليز، لقد تلوثت سمعة انجلترا في كل الامبراطورية والعالم قاطبة، بسبب هذه الهمجية التي لا تستطيع الحكومة، رغم جهودها، أن تتملص من مسؤوليتها).

وقد تقزز الجمهور البريطاني من الإرهاب المضاد لمجموعة (البلاك والتانز) والمتطوعين المساعدين، وأدى استشهاد الأبطال الايرلنديين (مثل ترنس ماك سويني، محافظ كورك الذي مات بعد إضراب عن الطعام دام سبعين يوما، والفتى كيفين بري الذي شنق في دبلن لأنه قتل جندياً بريطانياً) إلى استقطاب تعاطف الملايين من اتباع (جلالته) المخلصين.

ولم يكن الجيش الجمهوري الايرلندي قوياً بشكل يسمح له التغلب على أعدائه العسكريين في اشتباك على درجة من الأهمية. وقد قدّر لورد فرنش، نائب الملك البريطاني، عدد الجيش الجمهوري الايرلندي بمائة ألف رجل. وتحجث الوزير لشؤون ايرلندا عن مائتي ألف رجل. وقد حدد مايكل كولنز فيما بعد هذا الرقم بثلاثة آلاف من العناصر العاملين].

يعني ثلاثة آلاف كانوا يعملون وصلوا عند الملك بـ ٢٠٠ ألف!

قلت لك هذا الكلام حصل عندنا لما جاء خبراء ألمان قدروا عدد المجاهدين في مدينة حلب بـ ٧ آلاف رجل عصابات، وكان عددهم حوالي ٢٠ شخصا.

[لكن الانتفاضة الايرلندية كانت احتجاجاً ذا طابع سياسي أكثر منه عسكري. وعندما انتهت في العام ١٩٢١ بهدنة، كانت هذه الهدنة انتصاراً سياسياً أبعد ضرورة الحل العسكري. ولم يتطلب انتزاع هذا النصر أكثر من ثلاثة آلاف رجل، قاموا بدور المستقطب المكثف أكثر من قيامهم بدور العنصر الفاعل، وحصلوا من عملهم على نتيجتين جوهريتين هما:

١. فتور الشعب إلى عداء فعال للتسلط البريطاني، مما خلق مقاومة جماعية لم يستطع الانجليز قهرها سياسياً أو اقتصادياً.

٢. دفع الخصم إلى ممارسة الإرهاب المضاد الذي أدى (لأسباب سياسية) إلى غاية مناقضة للغاية التي بدأ من أجلها. ولم يتوصل الايرلنديون إلى قذف الانجليز في البحر عبر نضال طويل ومتقطع. لكنهم فعلوا بمقاومتهم شيئاً أفضل وأكثر اقتصاداً. فقد سلبوا الاستعمار مكاسبه، وجعلوا بلادهم عبئاً على المحتلين، وانتهوا بأن أقنعوا هؤلاء بالانسحاب.

ولم تكن الوسائل التي استخدمها الارهابيون جديدة، فلقد أشعلوا النار في المباني العامة، ورفعوا الأعلام الايرلندية، وفخخوها لإلحاق الأذى بمن سينتزعونها، وخلعوا الألواح الأردواز من سقوف مراكز الشرطة، ليصبوا فيها البنزين، ويشعلوها، ونسفوا الجسور، واقتلعوا قضبان السكك الحديدية، ووضعوا سكراً في مستودعات وقود السيارات، كما وضعوا الرمل ومسحوق الضفرة في مسننات الآلات].

كلها عمليات تخريب وعصيان مدني.

[وكانت هذه الوسائل شديدة البساطة، وسببت أضراراً قليلة الأهمية نسبياً. وكان المهم حقاً، هو كلفة القمع، أولاً، ثم الأثر السياسي الذي وحَّد الايرلنديين، وقادهم إلى العمل، وأدى في الوقت ذاته إلى تقسيم الانجليز وشلهم.

هل كان بإمكان الانجليز الفوز في ايرلندا، عن طريق زج جيش أكثر عدداً، وشن حرب إبادة، بأسلوب كرومويل؟ إن مثل هذا السؤال عبثي في القرن العشرين. ولو واجه الرأي العام البريطاني مثل هذا الحل لما تحمله، على الأقل لأسباب اقتصادية. وبعد جيل من ذلك، منح الرأي العام العالمي تطبيق ذلك الحل في فلسطين، وقبرص، وحملة السويس[١٢]، حيث كان للإنزال البريطاني الفرنسي عام ١٩٥٦ مضاعفات عالمية.

فالحلول التعسفية إذن غير ممكنة، إلا في حالة العزلة، وفي عالم لا مبالٍ، وكذلك عند مواجهة شعب لا يمتلك إرادة المقاومة الصلبة].

هذه الجملة الأخيرة تهمنا جدا، فنحن في حالة (إلا) هذه، الحمد لله نحن المسلمين في حالة عزلة عالمية الآن، وفي عالم لا مبال بنا ولا بخسائرنا نهائيا، وأمام شعوب إسلامية لا تزال فاترة جدا، وغير داخلة في الصراع، ولذلك أعتقد أن النموذج الأيرلندي من أبعد النماذج عن التطبيق في بلاد المسلمين، على عكس النموذج الصيني، ومتوسط في البعد بيننا وبينهم النموذج الكوبي.

ولا يمكن أن تعتمد على عملية إثارة العدو أو متاعب سياسية من خلال ضغط إعلامي عنده، أو ناس سيصيحون لصالحنا أو صحف ستكتب، لأنه ثبت أن مجازر بعشرات الآلاف لم يُتكلم فيها، هُدمت مدن بكاملها لم يُتكلم فيها ولا جاء فيها خبر، مدينة حماة نصفها القديم كلها دُمر عن آخرها لم يتكلم أحد،

[١٢] المقصود العدوان الثلاثي: البريطاني – الفرنسي – الإسرائيلي على مصر، في العام ١٩٥٦.

فهذا النموذج لا يمكن أن نرهق مثله الخصم، إلا إذا انتقلت هذه العمليات إلى داخل السكان هناك، هذا تصوري والله أعلم.

ألفت النظر إلى قضية هنا، أن الشعب الإنجليزي حقيقة والروم ناس عندهم نفسية ذات نوايا حقيرة جدا جدا، يعني في الوقت الذي تجدهم في غاية اللطف والإنسانية فيما بينهم ويحسبون حساب الخسائر ويقولون لك في صحفهم: الشعب الإنجليزي يخجل من كذا، مارسوا في بلاد المسلمين وفي العالم الثالث البعيد عنهم، يعني في الجزر التي أبادوا فيها شعوبا كاستراليا وجنوب شرق آسيا، مارسوا نوعية من الوحشية يصعب على الإنسان أن يتخيلها، في غاية الغرابة.

كتب كاتب بريطاني الآن قال: كان يأخذون رؤوس الأطفال يلعبون بها الجولف، رؤوس الأطفال الزنوج، وكانوا في فلسطين يدربون الجنود الجدد بالقنص على رؤوس المدنيين في القرى.

الشاهد الذي أريد أن أذكر به أن العداوات وحجم الثأر الذي بيننا وبين الروم المعاصرين كبير جدا، ولنا مع الروس كثير ولنا مع الأمريكان كثير ولنا مع الصين كثير، إلا أنه إلى الآن في التاريخ الحديث حجم ما لنا من الثأر مع الفرنسيين والإنجليز أكبر من كل هذا مجتمعين، وإذا أردنا أن نرتبهم فسيأتي الإنجليز قبل الفرنسيين.

حجم البلاء الذي أنزله الإنجليز بأمة محمد عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن تتخيله، يعني فقط لو تأتي بإحصائية بسيطة جدا، سببوا مجازر للمسلمين في الهند، وأدوا إلى إبعاد المسلمين عن الهند وحصرهم في الباكستان وتسليمهم لحكومة برئاسة رجل إسماعيلي أصلا، ثم قاموا بعملية هجرة إجبارية على المسلمين، فلما أدخلوا كوادر المسلمين في الهند ٥٠ ألف رجل من العلائلات وموظفي الحكومة المدربين على إدارة الباكستان، أدخوهم في نفق ولم يخرج أحد منهم حي، وأخذهم عصابات الهندوس وذبحوهم كلهم داخل النفق، في القطار الذي حملهم، مذبحة لـ ٥٠ ألف شخص، ولسيد قطب رحمه الله في تفسير قوله تعالى (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) أتى بكثير من الإحصائيات.

ولو تكلمنا عن ستالين الذي أعدم ٢٦ مليون مسلم خلال خمس سنوات، مش ٢٦ ألف، ولا ٢٦٠ ألف، ولا مليونين و٦٠٠ ألف، ٢٦ مليون نسمة أخذوا إلى سيبريا، الشعب الشيشاني فقط كان ٧ مليون بقي منهم مليون فقط، المجازر التي أحدثها الصرب على مدى أربع حملات ضد المسلمين في القرن العشرين، ليست هذه أول مذبحة تحصل للمسلمين في البوسنة، فلنا مع هؤلاء الناس تاريخ طويل عريض جدا.

وحتى الآن تجد في كل هذه المصائب أصابع للإنجليز ورائها، والإنجليز هم الذين أعطوا فلسطين لليهود وزرعوهم فيها، وهم الذين أسقطوا الخلافة العثمانية، وهم الذين جاءوا بكل هذا البلاء علينا في أسر الخليج المصيبة الكارثة هذه، وحولوا المسلمين فيها إلى مجموعة من العشائر والعصابات، تحرس فقط إمدادت النفط، ومسخوهم عن آخرهم، واستخدموا كل النزاعات الموجودة بين الأسر المالكة وحكموهم في هذه المناطق.

مناطق الإمارات وقطر خاصة، كان فيها عشائر مجاهدة، لها تاريخ عريق في مقاومة البحرية البرتغالية والإنجليزية في القرن الخامس عشر والسادس عشر، واستمر فيها الجهاد في خليج عمان على امتداد اليمن الجنوبي إلى عمان إلى قطر إلى كل هذه المناطق، اختاروا ألعن تلك العشائر وأبعدها عن الإسلام وأخونها لهذه الأمة، وسلموها الحكم، وأشرفت حكومة الشرق البريطانية التي كانت تحكم من الهند فرع بريطانيا في إدارة وزراة المستعمرات، أشرفت على تسليم الحكم إلى هذه العوائل، واستمرارها إلى يومنا هذا.

ولا تزال مناطق دبي وقطر وهذه القضايا مستعمرات إلى الاستقلال في ١٩٧٣، ما تزال إلى الآن مستعمرات مباشرة يشرف الإنجليز فيها على كل شيء، ولما جاءت حرب الخليج كانت بإدارة الإنجليز والأمريكان ثم الفرنسيين، بالدرجة الأولى حملة إنجليزية أمريكية، ولفت نظري كلام أخينا أبي الوليد البارحة أن الرابط الذي يلفت نظرك في هذه القضية أن الأمريكان والإنجليز بروتستانت، والبروتستانت في الدين صنيعة يهودية، دين صنيعة يهودية، هؤلاء الناس لا يزالون وراء كل البلاءات التي نعاني منها.

من حوالي ٣ أسابيع ذكرت الأخبار أنه كُشف عن وثائق جديدة في الخارجية البريطانية التي بقدم ثلاثين سنة، ونحن في سنة ١٩٩٧ يعني تعود إلى سنة ١٩٦٧، فكان فيها أن بريطانيا رغم إعلانها الحياد في حرب ١٩٦٧ بقيت تنقل الأسلحة والذخائر من الجيش البريطاني إلى تل أبيب حتى الساعة الثانية عشرة من ليلة ٥ حزيران، وأعلنوها الآن صراحة، وقالوا أنه رغم تسرب الخبر إلى بعض الصحف أمر رئيس الوزراء بفتح تحقيق في المسألة، وأُغلق الملف ساعتها، والآن بعد ٣٠ سنة يجاهر الإنجليز به، لأنه لم يعد للمسلمين أي اعتبار، ولو كان هناك اعتبار فبعض الوثائق لا يُكشف عنها، فهذا نوع من التحدي وتحطيم المعنويات.

والذي أعتقده أنه في العصر الحالي يقوم الإنجليز بأخطر لعبة، وهي استيعاب العمل الإسلامي في بريطانيا، عملنا هناك لمدة سنتين ونصف وكان لنا تصور أنه ممكن أن نخدم القضية الجزائرية وكان ممكنا بطريقة معينة لولا النتيجة التي آلت إليها، نتيجة الصراع الفرنسي الإنجليزي المستحكم والثابت لأكثر من ٢٠٠ سنة، ولكن ثبت من خلال إقامتنا هناك أن هذا النوع إثمه أكبر من نفعه، وثبت أن الإنجليز في القضايا ذات البعد الأمريكي أو اليهودي هم عدو مباشر، فلما بدأنا نساعد الإخوة في قضية الخليج، وفي قضية الإعلام موضوع أبي عبد الله وغيره، وضعنا أرجلنا في الجانب الخطر.

لم يكن ممكنا أن تقوم بأي عمل في هذا الاتجاه، عدا العمل الإسلامي بتفاهة بنيته وتناقضاته بين الجماعات الجهادية وغير الجهادية والجهادية نفسها إلخ، أعتقد أن الإنجليز تمكنوا من تجنيد عدد من الناس لصالحهم، أو من الحصول على المعلومات عن طريق رقابة البريد والتنصت، وهذا الكلام ينطبق على معظم الدول الأوربية.

ولكن أقول أن الإنجليز ثم الفرنسيين من أسوأ الشعوب التي دمرت الإسلام والمسلمين، وأعملت فيهم المجازر، وحتى في قضية البوسنة تسربت لنا وثيقة لما كنا في إسبانيا صورنا منها ألف نسخة ووزعناها في المساجد، عندما كان "جون مايجر" يتكلم مع موفد بريطانيا في قضية البوسنة، في لجنة "ديفيد أوين" وأنهم يريدون أن يسلحوا المسلمين ويوقفوا تسليح الصرب، قال له:

(اعلم أننا نعلم أن الروس يسلحون الصرب لأنهم من الأرثوذكس، وأن الكنيسة وعلى رأسها البابا تشرف على تهريب السلاح إلى الكاثوليك الكروات، ولكن يجب أن نتفق جميعا على ألا يصل سلاح للمسلمين، ولن نرتكب الخطأ الذي ارتكبناه في أفغانستان بتسليح مجموعة من العصابات العربية، وأن تعمل في قلب أوروبا هذه المرة، وتشكل لنا بوسنة عرب بعد ما كان عندنا أفغان عرب فقط).

فتكلم كلاما غاية في الصليبية، وقال له:

(مهما يبدو هذا الكلام غير إنساني، إلا أنك يجب أن تعي أنه في السياسة هناك أمور لا نأخذها بإنسانية) كلام غاية في الصليبية.

أما إذا أردت أن أحدثك عن تشرشل وطبيعة علاقاته، فيكفي الجملة التي قالها بعد أن عرف زعماء العشائر هؤلاء المرتدين النكبات، قال: (العربي كالكلب كلما ركلته لعق حذائك)، وتعامله مع العرب على طول الخط بهذه السياسة.

وكذلك الغدر الذي مارسه مكماهون مع الشريف حسين في وعده بعد الخروج في الثورة العربية وتوريثه حكم الأتراك= دروس تاريخية، تجد أنها من أسوأ ما مر على المسلمين.

ثم جاء الأمريكان وهم ورثة الإنجليز وتابعوا المسألة، والأمريكان هم امتداد للحضارة الرومانية الغربية عموما، والإنجليزية خصوصا.

أما إذا جئت إلى الفرنسيين، فحديثنا عن المصائب في شمال إفريقيا من العجب، مليونان من الناس قتلوا في الجزائر، في المغرب قُتلت أعداد هائلة جدا من قصف القرى بالتعاون الفرنسي الإسباني، ولما عجزت إسبانيا في مكافحة عبد الكريم الخطابي رحمه الله جاءت فرنسا ومعها إيطاليا، ووقفت الدول الأوروبية وقفة رجل واحد.

فهناك مجموعة من الثارات بيننا وبين الصليبيين هؤلاء لا تنقطع، وهذا كله كان في الحملة الصليبية الثانية، ناهيك عن الحملة الصليبية الأولى، وكيف أنهم ذبحوا ٧٠ ألفا من الذين فروا إلى داخل مسجد قبة

الصخرة، حتى غاصت الخيل في الجثث والدماء، وهذا كله كما قال تعالى (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة).

الشاهد أنه عندنا مجموعة من الثارات، ومجموعة من التاريخ الأسود بيننا وبين هؤلاء الناس، يجب أن نعدل هذا الميزان في دفع الحملة الصليبية الثالثة هذه التي تحدث الآن، وهؤلاء الناس حتى لو قلنا فعلوا في بعضهم نفس الكلام، ولو استعرضت تاريخ أمريكا الجنوبية تجد عجبا، والقضية ليس لها علاقة بالإسلام.

فهذه الحضارة الغربية المتوحشة لم يشهد تاريخ الأرض لها مثيلا إطلاقا، بدأت في القرن الخامس عشر بالكشوف الجغرافية وذبح الأمم، ثم ثنت بنهب الثروات وإماتة الناس بالجوع، والآن حولت إفريقيا إلى مختبرات لتجارب الأدوية والقنابل الجرثومية والعمليات، حتى تكلمت بعض الصحف أن مرض الإيدز أصلا انتشر نتيجة تسرب الميكروب من أبحاث المخابرات الأمريكية في أفريقيا، حضارة عجيبة جدا، لا تتحدث عن التتار ولا عن هولاكو ولا عن الرومان ولا عن الحرق.

هذه الحضارة لأنها تميزت بفلسفة مادية صرفة، ليس فيها أي بعد روحاني= تجلت فيها الوحشية بطريقة غريبة جدا، وأتكلم عن الحضارة الغربية الأخيرة هذه، بتاعة الثورة الصناعية، حتى الرومان أنفسهم لما كانوا روما مسيحيين لم يكونوا بهذه الصورة البشعة من الوحشية، الآن لم يبق لهم من المسيحية إلا النعرة الصليبية الطائفية العنصرية فقط، وتحلوا بكل أبعاد الحضارة المادية الإلحادية، التي لا تؤمن إلا بالمادة، ولا تؤمن بالإله.

فهذه الأمور يجب أن تكون جزءا من عملية التعبئة، وتذكير ذراري المسلمين بالمذابح التي حصلت بآبائهم، فرنسا جاءت لاستعمار الجزائر، خرجت بعد ١٣٠ سنة، وفي الجزائر ألفان شخص فقط يتقن القراءة والكتابة، من كل الملايين الأربعة عشر التي تركتهم عشية الاستقلال، فعملية دمار شامل بكل معنى الكلمة.

لفت نظري قضية أن الشعب الإنجليزي يخجل من كذا، الآن –واللي جلس في بريطانيا يعرف– أفلام السخرية بالعرب وبالمسلمين تعرض تقريبا بشكل يومي على قناة من القنوات، لماذا؟ ليس فقط عملية شفاء

صدر، وإنما الشعوب الأوروبية فقدت نزعة القتال والقدرة عليه، يريدون أن يعبئوهم صليبيا مرة أخرى بكره الطرف الآخر.

عملية سلمان رشدي لم يكن الغرض منها إلا إثارة هذه النعرة، كثير من القضايا طغى عليها خبر سلمان رشدي، ولكن في نفس الفترة فعلت كثير من الأمور، معمل باتا أخرج أحذية مكتوب على أسفلها اسم الرسول عليه الصلاة والسلام ولفظ الجلالة، وحصلت مظاهرات في بلاد العرب، وحتى في بنجلاديش وقُتل مئات الناس من أجل هذه المسألة، وهاجموا معامل باتا ومراكز المبيعات، حصل هذا في نفس وقت سلمان رشدي، وحصل أن رساما إيطاليا أخذ أوراق المصحف ورسم عليها أعضاء تناسلية ونشرها ووزعها في كل مكان، وكذلك ظهرت هذه الكاتبة في بنجلاديش وشتمت القرآن فتبنوها، هربت من المسلمين وأعطوها إقامة في دولة أوروبية، هذا كله في مرحلة سلمان رشدي.

فكل هذه القضايا من أجل ترتيب عملية النعرة، وأنا كنت في إسبانيا لما توجهت الحملة الصليبية الأخيرة للخليج، ورأيت كيف خرج الناس يودعون أبنائهم في البحر على البارجات، وهم يسبون الإسلام الذي تسبب في هذا التجنيد، ويستهزئون بالعرب ببعض الإشارات هكذا، بعضهم يعمل ركوع وسجود ويهزأ، وهم يسكرون ويخمرون ويسبون الإسلام والمسلمين.

يعرف هذا من عاش في الغرب، ويعرف أن الروح الصليبية يوقظونها الآن، من أجل عملية التعبئة القتالية، الشاهد في الموضوع هذا العامل الذي صار في أيرلندا لا تحسبوا حسابه ولن يُشعر به باتجاهنا أبدا، وأمامنا شواهد كثيرة جدا، هؤلاء الناس يمكن أن يخرجوا إذا دُحروا عن آخرهم، كما فُعل بهم بالصين ولا فيتنام، سحقهم بهذه الصورة.

ثورات كبيرة وعظيمة اختصرها كلها في صفحتين ونصف فقط، لأن هذه الثورات لم تكن ضد الأمريكان أصلا، والكتاب موضوع من قبل الباحث للإدارة الأمريكية لمواجهة مشاكل أمريكا في حروب العصابات، ولكن حتى ثورة مثل ثورة قبرص ولا ثورة أيرلندا ليستا ضد الأمريكان، ومع ذلك فصل فيهما بشيء من التفصيل، فلا أدري هل لأنها ثورات في بلاد المسلمين ولا ايش السبب، المهم ملفت للنظر جدا

أنه تناولها بطريقة مجتزئة جدا ومشوهة، وحتى المعلومات قليلة جدا عن هذه الثورات، فهنا في تزوير أو شيء غير صحيح في هذا الكتاب، والله أعلم.

وكذلك وأنا أقرأ الكتاب وجدت أنه لم يذكر أي شيء عن الثورة التي صارت في ليبيا، وهي في نفس الفترة، وأخذت نفس الطابع لمواجهة القوات الإيطالية والتي كانت جزءا من الحملات الأوروبية على العالم الإسلامي، وكذلك لم يتكلم عن ثورة عبد الكريم الخطابي، ولا أي إشارة من قريب ولا بعيد، مع أنه يعتبر شيخ حرب العصابات كما قال ماوتسي تونج، كان ماو يعتبر أن هذا أعظم درس تلقاه، وأيضا لم يذكر أي شيء عن حروب عصابات قامت عندنا في بلاد الشام ضد فرنسا.

في بعض الأبحاث، كنت ناويا أن نقرأ فيها ولكن سيطول الوقت، نترك لكم تجربة الإمام شامل في القفقاس، وتجربة الإخوان المسلمين في حرب فلسطين مارسوا أيضا حرب عصابات، بالإضافة إلى حرب العصابات التي مارسها الإخوان في مصر ضد الإنجليز في السويس وغيرها، وكذلك الشيخ عز الدين القسام وحرب العصابات التي قادها ضد العصابات اليهودية في فلسطين، فهذه الكتب وغيرها ممكن أخذ فكرة منها عن حروب العصابات التي مارسها المسلمون.

ومع ذلك لأننا أخذنا على عاتقنا قراءة الكتاب، فسنأخذ هذه الصفحتين ونصف التي كتبها تحت عنوان:

الفصل الثامن

حول الانتفاضات الشعبية في شمالي أفريقيا

[تأتي الثورة بأشكال عدة، وكانت في المغرب على شكل جهاد، أي حرب دينية تأججت مع نفي السلطان محمد بن يوسف الداعي إلى الاستقلال، واستبداله على عرش الرباط بعجوز متعاون هو بن عرفة. وكانت الجثث التي توجد عند الفجر في شوارع الدار البيضاء، هي غالباً جثث مسلمين تناولوا مشروبات كحولية، يحرم الدين الإسلامي تناولها. ولقد اعتبر تعاطي الخمرة في تلك الفترة بالذات تدنيساً للحرمات، بسبب الحداد على إبعاد السلطان الحقيقي إلى مدغشقر].

لا أدري إذا كان هذا صحيحا أو لا، فشرب الخمر ليس كفرا يستحق القتل.

[وعندما كان الدخان يرتفع في سماء الأحياء الوطنية، كان ذلك يعني قيام الأهالي بإحراق التبغ، في إطار الحملة الرامية إلى مقاطعة إدارة حصر التبغ العائدة للحكومة الفرنسية].

أيضا لا أدري هل هذا إحراق التبغ، أم تدخين بشكل جماعي، أم ماذا.

[ولم يراع المؤمنون حرمة شهر رمضان، وذلك تعبير آخر عن الاحتجاج والحداد. ولم يعد طلاء المنازل، وأخذت خناجر حزب الاستقلال (وهو حزب شعبي) تعاقب على ترهات الزينة والفخفخة.

ومن جهة أخرى، قامت المقاومة، التي ستضع حداً للحماية الفرنسية وتوطد استقلال المغرب، واتبعت السياق المعتاد. فبالقنابل وأعمال التخريب واغتيال (المتعاونين) (رجال الشرطة وموزعي البريد والزعماء)، تم تأجيج الانفعالات الشعبية، وخلق نزاعات مستمرة مع السلطة الاستعمارية.

وتحولت التظاهرات في الأحياء الوطنية إلى أعمال شغب، ثم تجاوزت هذه الأحياء، وامتدت من مدينة إلى أخرى، في خلال صيف ١٩٥٥ الحار.

واقترف الفرنسيون في كل مدينة منها غلطة ما، وأطلق رجال الشرطة المذعورون النار على الجمهور، وسقط من جراء ذلك بعض القتلى.

وأثار محرضوا (حزب الاستقلال) قبائل الجبال البدوية. ففي (وادي زم) في سهل (تادلة المحرق. قُتل مائتان من الأوروبيين، وحدثت انتفاضات في الأطلس الأوسط، ونُصبت الكمائن على الطرق. وفي شهر آب، قتل ثمانية من المراسلين الأجانب في يوم واحد.

أما محرضوا (حزب الاستقلال) ورماته الرابضون على السطوح، فقد جعلوا الدار البيضاء في حالة حصار: (أعيدوا ابن يوسف) هكذا كانت الجماهير تصرخ، وكان ذلك مطلباً رمزياً، لأنه الهدف الحقيقي كان الاستقلال والحرب المقدسة ضد الفرنسيين الذين حجبوه عن المغاربة].

تصوير مشوه جدا لما كان يجري، لا أظن أن الأمور كانت تجري بهذا الشكل.

[**وكان الإرهاب في المغرب أكثر فائدة من حرب العصابات**].

يقصد أن أعمال المدن التي يسميها إرهابا كانت أكثر فائدة من الأعمال في الأرياف.

[**وفي الحقيقة لم تجر هناك أبداً حرب عصابات حقيقية، مع أن بضع مئات من المقاتلين جاءوا من المغرب الإسباني**].

يقصد الريف، الغريب هنا أنه كانت هناك حرب عصابات في الريف، فلا أدري من أين أتى بهذا.

[وحاولوا شن حرب عصابات، مما أدى إلى تثبيت فرقة من رجال (الفرقة الأجنبية) ومن الخيالة السباهيين في جبال (الريف)، طوال خريف ١٩٥٥].

هو يريد أن يصور لنا هنا أنهم أحرقوا تبغا، وقتلوا بعض السكارى وبعض المراسلين الأجانب= فاستسلمت الحكومة الفرنسية!!

[وأخيراً استسلمت الحكومة الفرنسية بمجموعة من الحلول الوسط، عندما أعلن الفرنسيون أن بإمكان السلطان محمد بن يوسف مغادرة مدغشقر إلى باريس حدث اضطراب شديد، أسفر عن تنازل آخر، تمثل في السماح بعودة السلطان، نزل الشعب المغربي كله إلى الشارع، وأصبحت الحماية التي دامت خمسين عاماً صيغة فارغة، سرعان ما تخلى الفرنسيون عنها].

الآن في إشارة بسيطة، على الهامش أقول أنه من الواجب على إخواننا المغاربة أو أي بلد من البلدان أن يعيدوا كتابة تاريخهم، ويقدمون ثوراتهم الحالية بجذور تاريخية تمتد إلى فتوح تلك البلاد الإسلامية، يعني مثلا في كتاب "التجربة السورية" مع أنه كتاب مجتزأ جدا، لم يكن عندي مراجع، ولكن حاولت أن أذكر: فتحت بلاد الشام في كذا، صارت فيه الأوضاع في كذا، احتلت في كذا، استقلت في كذا.

فتدرس هذه القضايا وتحولها إلى أبحاث يستفيد منها الناس في نفس الحركة، وتستفيد منها حركات أخرى، بدل أن نفعل كما نفعل الآن نسترسل في كل ثورات الشعوب، لأنها تحرك أناس ضعفاء ضد أناس أقوياء، ولكن يبقى أهم أكثر بكثير تحرك مناطقنا نحن التي تحركت، والذي لاحظته كثيرا وإن شاء الله تعالى أحاول أن أصوره أن المسلمين مارسوا حروب عصابات كثيرة جدا ضد الصليبيين في الحملات الصليبية الأولى، في القرن الحادي عشر والثاني عشر، حرب عصابات مورست من قبل المسلمين لمدة ١٧٠ سنة، إلى أن أسفر الوضع عن قيام دولة وإمارة إسلامية منظمة للأتابكة في شمال غرب الشام يعني منطقة الرها

في جنوب الأناضول، ومنها زحف الأتابكة —وهم من الأكراد عموما ومن الأتراك- زحفوا وكان ملكهم الأساسي وعاصمتهم حلب، ثم انتقلوا إلى دمشق، ثم أخذوا بلاد الشام، ثم خرج صلاح الدين والدولة الأيوبية، ومن خلال مماليك الأيوبيين وعبيدهم ظهرت الدولة المملوكية.

فهذه الدول الثلاثة: الزنكية (الأتابكة) ثم الأيوبية ثم المماليك، هي التي نظفت المنطقة من الصليبيين، وأخذت حوالي ٧٠ سنة، ولكن قبلها حوالي ١٠٠ سنة من حروب العصابات، عبارة عن تجمعات التجار والحرفيين والمشايخ وأئمة المساجد وأتباعهم ومريديهم، فهذا بحث نحتاج له، فنخرج منه بالمفاتيح الحقيقية لإدارة شعوبنا والمسلمين في هذه المراحل.

نتابع القراءة هنا:

[لقد تبنى (حزب الاستقلال) وسيلة غاية في البساطة، ألا وهي: الإرهاب وأعمال التخريب، التي خدمت غاية مزدوجة، كانت: سلب الاستعمار مكاسبه، وجعل إقامة المستعمرين خطرة. فلمقاومة المخربين بشكل فعلي، كان لا بد من فرض الأحكام العرفية، التي كانت آثارها النفسية، (منع التجول، أعمال الاعتقال والتفتيش، وتنقلات الجند) ستدفع السكان المسلمين بالضرورة إلى القيام بالتظاهرات الجماهيرية والتي يكون الجيش عاجزاً حيالها. وعندما لا يمكن السيطرة على مستعمرة، يصبح استثمارها، غير مفيد، بل إنها تصبح على العكس شديدة الكلفة، ولا يعود هنالك أي سبب للاحتفاظ بها. وبكل تعقل، قبلت باريس، تحت ضغط سياسي داخلي، التسوية مع الحركة الاستقلالية، التي كانت في جوهرها حركة محافظة. وضمنت بذلك المصالح الرئيسية لفرنسا في تلك البلاد].

هكذا يريد الكاتب أن يقنعنا، بعد ما رأينا من مقاومتهم في الهند الصينية وكذلك في الجزائر، لكن هنا بكل تعقل تعبوا من شوية إضرابات وبعض التخريب فخرجوا.

في قوله (وضمنت بذلك المصالح الرئيسية لفرنسا في تلك البلاد) هذه هي الجملة الصحيحة الوحيدة التي وجدناها هنا، ومن خلال ما نعلمه أن كل عمليات الاستقلال في شمال أفريقيا، بل معظم البلاد الإسلامية، كان استقلالها بعد ما ضمن الغرب مصالحه، عبر اتفاقيات اقتصادية، كما في اتفاقية "إيفيان" التي خرجت بموجبها فرنسا من الجزائر، ووقعتها مع قادة جبهة التحرير الوطني، بعد ما قُتل كل زعمائهم الدينيين والشرعيين والذين تحركوا بالجهاد، هذه الاتفاقية كبلت الجزائر إلى يومنا هذا، باستعمار سياسي وعسكري واقتصادي، هذه الاتفاقية ٢٣ صفحة مترجمة.

لما بدأت القلاقل مع الجماعة المسلحة كنت أريد أن أربط هذا الموضوع –اتفاقية إيفيان– بقضية الثورة الآن.

الشاهد في الموضوع أنه يقول: (وضمنت بذلك المصالح الرئيسية لفرنسا في تلك البلاد) فيغلب على ظني أن هذه العملية كانت كلها مسرحية، لتلميع محمد الخامس وترتيب الصورة، ثم المجيء بابنه هذا الذي نكب الأمة كلها مش فقط المغاربة، يعني دور الحسن الثاني على مستوى الأمة الإسلامية كلها خطير جدا وعجيب جدا، يعني السياسة اليهودية كلها في منطقتنا معتمدة عليه وعلى الملك حسين بالدرجة الأولى، وعليه أكثر رغم بعده، كل العمليات التي مررت، كل المفاوضات التي صارت بين الحكومات العميلة هذه وبين الإسرائيليين كلها تمت بمباركة الحسن الثاني، وكل مسئول عربي أو يهودي رايح أمريكا، ينزل الرباط بيتفق معه وبياخد التعليمات وبيمشي.

الشاهد ما سماه هو الحركة والإرهاب وأنه بمعقولية أقنع فرنسا بالخروج= كان عبارة عن مسرحية، أُجبرت فرنسا على الخروج من المغرب لأن الشيخ عبد الكريم الخطابي كانت حركته يمكن أن تمتد من منطقة الريف البربري إلى المنطقة العربية، وتسبب كارثة في شمال أفريقيا، فانسحبوا من هناك وحجموا حركة الريف المغربي وتآمروا عليها مع هذا الرجل، الذي كان السبب في تسليم عبد الكريم الخطابي، هذه قصة جمعت عنها معلومات قليلة جدا، ولكني رأيتها جديرة.

كان عندي كتاب لمستشرق فرنسي اسم الكتاب "عبد الكريم الخطابي" وضاع مني لا أدري وين راح، كتاب من ٢٥٠ صفحة، والآن في برشلونة في إسبانيا هناك مركز اسمه "مركز عبد الكريم الخطابي" لبعض الإخوة المغاربة، يجمعون تراث الخطابي فيه ويهتمون ثقافيا بالجالية المغربية، ونظرا لقلة فترة وجودي في إسبانيا لم أحصل على إنتاجهم، ويبدو أنهم منطلقون من منطلق محلي أو وطني أو بربري كذا.

يقول:

[**ولا يمكن وصف ذلك النصر بأنه غير دموي، فقد قتل أشخاص في أعمال الشغب أو في الانتفاضات المحلية التي حدثت في النهاية. وكانت ضريبة الإرهاب على المغاربة أكبر قدراً مما كانت على الفرنسيين. وسببت أعمال التمشيط التي قامت بها الفرقة الأجنبية عدداً من الضحايا بقي مجهولاً**].

لاحظ الإجمال، إجمال مجهول مجهول، شوف لما كنا في فيتنام أعطاك أرقام الأسلحة وأرقام الغنائم وكم العدد، الآن مجموعة من المجاهيل.

[**ويقال أن الفرنسيين قتلوا عشرين من المسلمين في سهل (تادلة) بعد مذبحة (وادي زم). ويعتقد أن هذا الرقم المنسوب إلى (حزب الاستقلال) مبالغ فيه. لكن مما لا شك فيه، أن الفرنسيين قصفوا عدداً من القرى ورموها برشاشاتهم، كما اشتركت الدبابات في العملية. أما في وادي الزم، وكل الحي الوطني الذي التجأ إليه البدو بعد وصول الجند، فإنه أبيد بضربات المدافع ومن ثم دخل بالمدخل**].

من سطرين قال عن العشرين أنه رقم مبالغ فيه، وهنا يذكر أنها أبيدت بالمدافع، واضح أنه هناك عملية إخفاء للمعلومات.

[وتبنت الحصيلة النهائية أقل ارتفاعاً من المتوقع، ويبدو الإرهاب أكثر اقتصاداً بالدماء من الحملة. والسبب واضح تماماً. ففي المغرب، كما في ايرلندا، لم تتواجد حرب ثورية. وكانت الضغوط الناجمة عن الإرهاب والإثارة السياسية أكثر فاعلية من الطائرات وفرق المشاة.

وتبنت تونس الحل ذاته].

شوف أعطى تونس كلمتين بس، ويقول لك في العنوان: انتفاضة تونس، انتفاضة تونس أخذت معه كلمتين: تبنت تونس الحل ذاته نقطة!

أما في تونس فكانت هناك انتفاضة للعلماء، واستغل حزب الاستقلال الوضع وطُرح بورقيبة صناعة فرنسية واضحة المعالم جدا للتفاوض معهم، إلى أن وصلنا إلى المرحلة الحالية.

وأريد أن أذكر أن أحد علماء تونس الكبار اسمه صالح النيفر أظن، قال: لما استلم بعد ذلك بورقيبة وخان كل العهود التي أعطاها بالحكم بالإسلام وبالشريعة وما أدري ايش، خرج وفد من العلماء يراجعونه بعد أن استلم الحكم وطبق العلمانية، يريدون أن يحتجوا، فحل المشكلة بكل بساطة، تأخر عليهم قليلا في الاجتماع حوالي ساعة، ثم أتى وعليه هيئة الآتي من الصلاة، وقال لهم: تأخرت عليكم لأني كنت أصلي الضحى، فبعد أن أذهلهم بهذا الخشوع الذي أراهم إياه، قال لهم: نحن عندنا إجبار وظروف وكذا واليوم وبعدين، فطلع أكثر هؤلاء العلماء يقول: لابد أن نعطي الرجل فرصة، فبعضهم أعدم وبعضهم راح السجن، وخلصت المسألة لأن الراجل كان بيصلي الضحى.

على الهامش أقول لك دور العلماء في التنفيس عن الشعوب في عمليات الانتفاضة، الآن هذا المنافق الأكبر مفتي الدولة في بلاد الشام المسمى "كفتارو" ناهيك عن أنه صوفي حلولي، قاد الحملة الانتخابية لخالد بكداش رئيس الحزب الشيوعي في سنة ١٩٥٨ وكان من كبار علماء دمشق، وقال لي أحد الإخوة: كانت الحملة موجهة ضد الإخوان المسلمين، ضد الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله، وكانوا مترشحين للبرلمان السوري بعد الاستقلال.

الشاهد فعل نفس الشيء، قال لي الأخ: جلسنا في المسجد ممتلئا بالناس، والشيخ كفتارو يريد أن يتحدث والناس تنتظره، استنوا استنوا استنوا، قالوا لهم: خالد بكداش مؤسس الحزب الشيوعي السوري اللبناني بس بيصلي الصلاة البعدية بعد صلاة الجماعة، فلما خلص سنن وشبع نوافل التفت كفتارو للناس وقال لهم: شوفوا هؤلاء المجرمين الإخوان المسلمين يقولوا على هذا الرجل شيوعي ملحد! كلنا خلصنا السنن ومنتظرينه ربع ساعة يخلص النوافل.

أحيانا الجهل مشكلة، روي أن التتار أيام تيمور لنك لما حاصروا قلعة دمشق وأخذوا سهول دمشق والغوطة عجزوا عن القلعة بشكل شديد، وكان هناك واحد من كبار علماء التاريخ في الإسلام أظنه ابن خلدون وعدة علماء، طلبهم تيمور لنك للمفاوضات، وأمر المؤذنين وأصحاب المسابح وأصحاب الدين يقيمون جلسة دينية شرعية، فدخل العلماء فرأوا الناس الذين في الذكر والذين في الصلاة وكذا، فرجعوا إلى دمشق وقالوا لهم: إن الرجل الذي تمتنعون منه خير من واليكم، عنده فجور وعنده فسوق، ففتحوا لتيمور لنك الأبواب، فدخل وقتل ٦٠ ألف رجلا وسبى معظم نساء دمشق في تلك الموقعة، حتى صارت مثلا يُعير به أهل دمشق إلى الآن.

الشاهد أن الرجل أعطى فكرة للعالم أننا أصحاب دين وتقوى وصلاح فافتحوا القلعة، ففتحوا القلعة فأبادوا خضراء المسلمين، فالقضية ما زالت تتكرر من أيام تيمور لنك إلى يومنا هذا، سواء بتونس ولا عندنا كفتارو ولا غيره، قضية استخدام رجال الدين في تهدئة المسلمين في الثورات.

ثم قفز يقول:

[وتشكل الجزائر حالة خاصة تتطلب معالجتها حيزاً أوسع مما لدينا هنا، إذ أنها اعتبرت ولمدة طويلة، كجزء لا يتجزأ من فرنسا، وليس كمستعمرة. وكان الفرنسيون قد أقاموا فيها منذ أكثر من قرن، واعتبرها أكثر من مليون فرنسي وطناً لهم.

وكانت فرنسا لا تزال تنزف من الجراح التي أصابت كبرياءها وميزانياتها، فلم يكن بإمكان أن تتنازل دون صراع، عن آخر كبريات ممتلكاتها عبر البحار. لذا فقد اندلع في الجزائر نزاع واسع النطاق.

ومع أن الإرهاب في المدن كان هاماً، لكنه كان أبعد من أن يكون حاسماً في الجزائر، حيث كان الرهان كبيراً إلى حد يجعل الفرنسيين لا يقبلون بحل وسط عن طريق الابتزاز. وبدأت حرب العصابات، في أول تشرين الثاني ١٩٥٤].

وهذا تزوير فاحش، فحرب العصابات لم تبدأ في ١٩٥٤، بل بدأت في ١٨٣٠ بدأت مع دخول أول فرنسي ونزولهم إلى سواحل العاصمة الجزائر، فضربوا العاصمة بالمدافع وأخرجوا الداي الذي كان مندوبا للخلافة العثمانية في تلك المنطقة، ثم حصلت انتفاضات كثيرة جدا، وصل بعضها إلى ثلاثين سنة، إلى أن خمد الوضع تماما.

فالفترة السابقة لسنة ١٩٥٤ حقيقة من خلال قراءاتي لكتب التاريخ أن معظم الطرق الصوفية والناس الذين حملوا السلاح باسم الجهاد كانوا قد خمدوا، وكان التيار القومي العربي بسبب عبد الناصر ممتدا إلى أوجه في سنة ١٩٥٤، وكان على علاقة بالتيار الوطني، وكان هناك كثير من اليساريين درسوا بالخارج، وعلى اتصال بالحزب الشيوعي الفرنسي نفسه.

فثورة ١٩٥٤ هي مزيج من التأجج القومي العربي، ثم الوطني الجزائري، ثم اليساري الماركسي نتيجة وجود عدد من الطلاب درسوا بالخارج، واجتياح حركات التحرر في العالم وتبني الروس لها، مع مشاركة لناس مسلمين.

وهناك قضية مؤلمة جدا وإن كانت تزعج بعض الناس الذين أرادوا أن يوهمونا أن ثورة جبهة التحرير الوطني كانت ثورة إسلامية وانقلبت وسرقها العلمانيون، هذا الكلام ليس صحيحا، هي ثورة علمانية ركب فيها المسلمون، يعني كانت الغالبية العظمى لقياداتها من العلمانيين، حتى أنهم لما اجتمعوا بعد في مؤتمر

"باتنة" الذي وضعوا فيه "بيان نوفمبر" سنة ١٩٥٦ لم يكن فيه من الإسلاميين إلا واحد تقريبا، فانكفاء الإسلاميين في تلك المرحلة أعطى دورا كبيرا جدا للمد العلماني والقومي واليساري والماركسي، ولكنْ هؤلاء العلمانيون والقوميون والماركسيون كانوا يعلمون أن الشعب الجزائري لا يحركه إلا الإسلام والجهاد، فكانت شعاراتهم كلها في قضية الإسلام والجهاد.

وإلا لو أتيت إلى بيان نوفمبر الذي انطلقت جبهة التحرير الوطنب به في ١٩٥٤ تجده علمانيا ماركسيا في أسه وأساسه، ولما عُقد مؤتمر "باتنة" في سنة ١٩٥٦ وصدر بيان "باتنة"، بعد سنتين من انطلاق الثورة، وكانوا يريدون تأسيس مباديء الثورة الأساسية= استبعد الإسلام تماما وصُفيت كل القيادات الإسلامية في جبهة التحرير الوطني، وقالوا: صراعنا هذا صراع يساري قومي عربي من أجل إرساء الديموقراطية وإرساء العلمانية، وليس من أجل خطوات نعود بها إلى إقطاعية الإسلام!! صراحة جهارا نهارا هكذا في المؤتمر.

كان عندي من الوثائق في موضوع الجزائر أكثر من ستين كيلو وثائق وأوراق وقصاصات صحفية، وجدت مصيبة جبهة الإنقاذ أنهم كانوا لا يفهمون تاريخهم، فكانوا يتصارعون مع الحكومة في إرساء "بيان نوفمبر"، أي أنهم كانوا يقولون: نريد أن نعود إلى صيغة "بيان نوفمبر"، فقلت ايش القصة ايه هو بيان نوفمبر؟ فلما طلعنا بيان نوفمبر إذا هو أساس العلمانية في الجزائر.

الشاهد في الموضوع أنه يقول أن الثورة في بدأت في ١٩٥٤، هذا كلام غلط، بل حرب العصابات بدأت قبل ذلك بـ ١١٠ سنة.

يقول:

[بسبعين هجوماً جرت في وقت واحد، وشنت لأسباب نفسية أكثر منها عسكرية وشكلت الكتلة الجبلية في (الأوراس) المعقل الرئيسي للعصيان. وكتب مايكل ك. كلارك في (الجزائر المنتفضة) يقول:

(لقد ظهر منذ البداية، أن القوى العسكرية الحديثة غير قادرة على العمل في الأوراس إلا بصعوبة، إذ تفقد الوحدات الآلية كثيراً من حركيتها في المناطق الجبلية، كما أنه من السهل على الثوار الإفلات منها، بانزلاقهم في شعب ووهاد تلك المنطقة الجبلية، والإفادة من كل ميزاتها، مما يجعلهم قادرين على التملص حتى من فيلق).

ودام الصراع سبعة أعوام].

شوف اختصر الثورة الجزائرية كلها الكبرى والصغرى والوسطى في قوله "سبعة أعوام"!

[واتبع تكتيك مشابه لتكتيك ماو في الصين، وجياب في الهند الصينية. ولن تعلمنا دراسته شيئاً جديداً].

يخرب بيته، الآن خرج عن الموضوعية والأكاديمية وأن كل تجربة لها دروسها، وكل تجربة لها معطياتها.

[وكما في الهند الصينية، فقد برهن ثوار جبهة التحرير الوطنية وحلفاؤهم، بأنهم وإن لم يكن بإمكانهم التغلب بشكل حاسم على جيش حديث، فإن هذا الأخير لا يستطيع قهرهم].

وهذا غلط أيضا، لأنهم في الجزائر وكذلك في فيتنام تغلبوا اعلى الجيش الحديث وسحقوه، والعملية عسكرية محضة.

[ومع أن نتائج المعارك كانت متقلبة، وكانت متدنية بالنسبة لجبهة التحرير الوطنية، عندما قام الجنرال ديغول بمبادرته أخيراً في العام ١٩٦٢، فإن المقاومة لم تتوقف أبداً، بل انتشرت من

الأوراس حتى الصحراء، على مساحة لا يمكن لجيوش العالم كلها (تهدئتها)، حسب تعبير الفرنسيين.

وقد برهن الاستخدام الشرس للتعذيب والإرهاب المضاد – والذي سبب فضيحة في فرنسا – بأنه من الممكن سحق الانتفاضات المدينية].

على فكرة من ضباط التعذيب الذين كانوا مشهورين جدا أيام احتلال فرنسا للجزائر هو: "جان ماري لوبان" الذي يقود الآن الحملة الانتخابية، كان مسئولا عن عمليات تعذيب بيده لما كان كولونيل في الجيش الفرنسي، ومن الضباط الذين في سجلهم جرائم حرب في فرنسا الرئيس "ميتيران"، والرئيس "جاك شيراك" هذا كان من الضباط الصغار الذين خاضوا حرب الجزائر. كل الذين يقودون فرنسا الآن كانوا في الجزائر.

الآن طلعوا فضيحة سياسية لعمدة مدينة كان رئيس شرطة أيام ديجول، قالوا أنه حصلت مظاهرة من الجزائريين في باريس فالآن يقولون أنهم ألقوا في نهر السين ثلاثمائة وكذا شخص أحياء، وقد كُتب التقرير في حينها: قتيلان وبعض الجرحى!

[فبمساعدة المستوطنين أمكن لجم مدينة الجزائر. أما (الأوراس) والمناطق الجبلية الأخرى، فقد أمنت للثوار الملاذ حتى النهاية. وحتى بعد سنة من رحيل الفرنسيين، اتضح وجود عناصر منشقة من البربر في الجبال، ظلت تقارع الحكومة الثورية التي أقامتها جبهة التحرير الوطنية!

لقد كان الحل العسكري الحاسم مستحيلاً، لكن مجرد نجاح العصابات في البقاء ومقارعة جيش مؤلف من مليون جندي، كان وحده كافياً ليفرض على فرنسا – الممزقة بسبب الخلافات الداخلية حول المسألة الجزائرية – كلفة عالية بالرجال والمال لا تستطيع دولة صناعية وعسكرية كبرى أن تتحملها إلى ما لا نهاية].

وضعت فرنسا مليونا في الجزائر، وفي الهند الصينية في نفس الوقت وضعت نصف مليون، فالدول الاستعمارية لم تصل إلى هذه الحضارة وحصدت نتيجتها إلا بجهودها ودماء أبنائها، فلقد مارس أجداد هؤلاء من البسالة والتضحية قدرا عظيما جدا، حتى أبناؤهم الآن يشربون دماء أبنائنا.

[وقد ألفت باريس نفسها أخيراً أمام اليم: فمن جهة السمعة الفرنسية، والثوار الطبيعية الجزائرية، والوزن السياسي لمليون من المستوطنين الفرنسيين، ومن جهة أخرى الفوضى السياسية، والتوتر الدائم، والنزيف القاتل للاقتصاد الوطني.

لقد أدت حرب البرغوث إلى إصابة فرنسا بنزيف سبب لها فقر دم اقتصادي خطير، وولدت حمى سياسية قادت الوطن الأم إلى حافة الثورة. وكان ديغول قد وصل إلى السلطة على أمل أن يصل إلى حد ما للأزمة، وكان خياره حاسماً، باتجاه السلام في أفريقيا الشمالية، وعرَّض نفسه من جراء ذلك للدخول في حرب مع القادة العسكريين الذين اختاروه].

هذا ديجول الذي يقول أنه اتجه للسلام كان ذكيا جدا، وله قول الآن فهمناه، عندما قال: (يريدون الجزائر، سنعطيهم إياها ونستردها بعد ثلاثين عاما)، الجزائر أخذت الاستقلال في ١٩٦٣ حط عليهم ٣٠ سنة يبقة ١٩٩٣، في سنة ١٩٩٣ كانت فرنسا تسترد الجزائر لما بدأت انتفاضة الإخوة، وكانت هي المدة اللازمة -بعد معطيات دقيقة- لتفتيت الجزائر وضرب البنية الوطنية، ثم تحتاج لتدخل فرنسا مرة أخرى.

تماما كما أعطوا السلطة الوطنية الآن، وهناك بحث عجيب طلبته من صاحبه، وهو: كيف أشرف ياسر عرفات -وقضية اتفاقية أوسلو- على تفتيت البنية التحتية تماما لسرايا الجهاد الموجودة في غزة، ولكتائب عز الدين القسام الموجودين في غزة والضفة؟ كيف فتتوها تماما؟ وحتى للجماعات العسكرية اليسارية؟ ولم يكن لليهود أن يفعلوا ما فعلته السلطة الوطنية.

قال:

[**أما الشعب الفرنسي، المنهك والمتقزز من سبع سنوات من المجازر التي لا معنى لها**].

هذا الشعب الفرنسي في إحصائية أخيرة للجرائم المكتشفة والمسجلة، في جرائم العنصرية خلال آخر ٥ سنوات= فكانت ٣٦٨ شاب جزائري غالبا أو شمال أفريقي قُتلوا لأسباب عنصرية، وكان فقط واحد منهم جالس في القطار فأتاه مجموعة من الفرنسيين، قالوا له: شكلك مو عاجبنا، حملوه ورموه من القطار!

وقتلوا عددا من الناس رغم أنهم أتوا ليعملوا خدما، وسبحان الله على عقوبة رب العالمين، هؤلاء أبناء أو أحفاد الحاكمين الذين لما استقلت الجزائر خرجوا مع فرنسا لأنهم كانوا عملاء لها طيلة فترة الاحتلال، فأبناؤهم الآن مرفوضون من الشعب الفرنسي رغم حملهم للجنسية الفرنسية هم وآباؤهم، طبعا يدفع الضريبة معهم كل من هو شكلهم وشعره ولونه في تلك المنطقة، أنا عشت في فرنسا ثلاث سنوات رأيت فيها حالة من العنصرية عجيبة جدا تجاه الإسلام والمسلمين والعروبة والعرب، حتى لا تجدها ضد الأفارقة، كان هناك مسجد نُسف بأكمله.

حتى هذا "شيراك" الذي يعتبر نفسه دبلوماسيا مؤدبا، قال: أن أحياء المسلمين في باريس لا يحتمل المرور منها، حتى الرائحة التي تنطلق من مطابخهم لا تطاق! قال: وحتى هذه الضوضاء التي يسببونها لنا في رمضان واختلال نظام النوم والاستيقاظ كذا، يعني عجيب جدا.

الشاهد أنه يقول أن الشعب الفرنسي كان متقززا من المجازر! بل كان الشعب الفرنسي متقززا من كثرة ما جاءه من قتلاه، ومن النزيف الاقتصادي الذي سببته ثورة الجزائر.

قال:

[في بلد بقي أجنبياً بعد قرن وربع من الاستعمار، فقد دُعم ديغول في خياره. لكن حدثت نهاية دامية، إذ تمرد العسكريون والمستوطنون على الدولة، لكن ذلك لم يبرهن على أي شيء ، ولم يبدل أي شيء. وانتهى الوجود الفرنسي، ورفرف علم جديد على الجزائر المستقلة.

ولنلاحظ هنا: أن حرب البرغوث انتشرت من الجزائر نحو الجنوب، واستغل الثوار الكونغوليون الأسلحة الجزائرية للنضال ضد جيش قادة المرتزقة البيض. وتحدى بن بيللا، رئيس الوزراء الجزائري، وأعلن بأن نظامه سيساند كل حروب التحرير الوطنية، أينما نشبت في أرجاء العالم].

أما جبهة التحرير الوطني فهي امتداد للموجة العالمية لحركات التحرر الوطني التي انتشرت في أرجاء العالم اليسارية والقومية، ولم يكن فيها إلا نفَس إسلامي ضعيف، بل حتى مشاركة المسلمين كإدارة فعالة في جبهة التحرير الوطني كانت مخجلة وقليلة جدا، وإنما كانت مشاركتهم الفعالة في الثورات السابقة لهذه الثورة.

أما الغريب فهو العنوان: الانتفاضة في المغرب – انتفاضة تونس – الثورة الجزائرية

تونس مرت معنا في ثلاث كلمات: ونحت تونس نفس المنحى وبس، فهذا يذكرنا ويلقي علينا مسئولية مرة أخرى بأن نكتب تاريخنا عموما وخاصة تاريخ الانتفاضات ضد الصليبيين، لأنها لازمة لنا في المرحلة المقبلة.

الفصل التاسع

حرب العصابات في قبرص

الجنرال غريفاس وحرب العصابات في قبرص – الاستعمالات

السياسية للإرهاب – أخطاء الاستراتيجية البريطانية.

الآن معنا تجربة فصّل فيها تفصيلا مفيدا، وهي تهمنا لأنها التجربة الوحيدة التي فيها حرب مدن، لأن النموذج الذي يجري في ليبيا، ولا الذي جرى في بلاد الشام، ولا الذي سيجري اضطرارا في كل منطقة ليس فيها موانع طبيعية ممكن تشكل ظهرا للعصابات، كل البلاد: مثل الأردن أو ساحل الخليج أو كذا، فهو نموذج حرب عصابات مدن، فمن المفيد أن نقرأ تجربة فيه.

[(إن البريطانيين الذين يعطون سكاكين للمغاوير من جنودهم، ويدربونهم على الطعن بها من الخلف، قد احتجوا بشدة عندما طُبق هذا التكتيك ضدهم، وأكدوا أن استعماله لا يكون شرعياً إلا في حالة الحرب. إنها سخافة حقاً! ففي قبرص كنت أحارب البريطانيين، وإن لم يقبلوا الاعتراف بذلك في البداية، لكنهم اضطروا لذلك في النهاية. والحقيقة أن شكل حربنا – التي سببت بضع مئات من الضحايا في أربعة أعوام – كان أكثر انتقائية من معظم الحروب الأخرى. وإني بما أقول عليم، فقد شاهدت ساحات معارك مغطاة بالقتلى. ولم نكن نضرب على غير هدى، كما تفعل القاذفات، بل كنا نكتفي بقتل الجنود البريطانيين، الذين كانوا سيقتلوننا لو سنحت لهم الفرصة بأن يطلقوا النار قبلنا، وكذلك قتلنا الخونة والمخبرين. وقد يكون قتل الأعداء في الشارع حادثاً لا سابق له، لكنني كنت أبحث عن النتائج وليس عن السوابق. كيف حقق نابليون انتصاراته؟ بمهاجمة أعدائه من الجنب أو من الخلف؟ ويبقى ذلك صحيحاً حتى ولو أن المقياس تقلص كثيراً، ودار القتال بمعدل واحد ضد مائة)].

الرجل يستطيع أن يكتب، ويستطيع أن يعبر عن آرائه وعما يريد، ويعرف كيف يستجيش ويحرك الناس بالاتجاه الصحيح، فنتذكر لماذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعين في كل بعث ثلاثة: أمير الجيش وخطيب الجيش وشاعر الجيش، لأنه بقدر ما يرفع هذا من معنوياتك ينقص من معنويات الخصم، ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول لحسان بن ثابت: "اهجهم فهو أشد عليهم من وقع النبل" لأن العدو نفسه يقدر الكلمة، وهي تؤلف الرأي العام الداخلي والرأي العام الخارجي.

الرجل هنا يمارس عمليات قتل وإرهاب، وببلاغة بسيطة بأربعة أسطر، أعلن أن القتلى بتوعنا مش أسوأ من القتلى بتوعكم، بالعكس نحن نقوم بعملية انتقائية في القتل، أنتم قاذفات طائراتكم تقتل الناس بلا تمييز.

[هذه السطور مأخوذة من مذكرات الجنرال غريفاس، القائد السابق لمنظمة أيوكا[13]. وقد كان غريفاس النموذج الحق للعسكري المحافظ، فقد اعتبره الشيوعيون اليونانيون فاشياً وشوفينياً، لكن فلسفته في الإرهاب كانت قريبة من فلسفة الفوضويين الذين يرون بأن الدولة إنما تمارس سلطتها بالتهديد باستعمال القوة: فرجل الشرطة العادي هو المنفذ والرمز في الوقت نفسه، والمسدس الذي يحمله في حزامه هو للتخويف، وفي الحالة القصوى لقتل من يقاومه. فإذا كانت سلطته غير مشروعة، وكانت ممارسته لها بدون موافقة المحكومين، أفلا يصبح من العدل والطبيعي مجابهة القوة بالقوة، وقتل رجال الشرطة كما يُقتل اللصوص، ومحاربة المغتصبين مثل محاربة المعتدين؟].

هذه فلسفة المقاومة.

---

[13] أيوكا E.O.K.A (Ethniki Organosis Kyprion Agoniston) المنظمة الوطنية للمحاربين القبارصة.

[تلك كانت المحاكمة المنطقية التي دفعت غريفاس القبرصي اليوناني إلى إعلان الحرب على الاستبداد البريطانيين للجزيرة القبرصية، التي هي نفس الوقت يونانية وتركية].

جزيرة قبرص فيها خليط: إسلامي يعود إلى الأتراك، ونصراني يعود إلى اليونانيين.

[ولقد كتب غريفاس، بأنه حمل السلاح في العام ١٩٥٥، ضد الصديق والحليف القديم انكلترا (بأسف عميق، لكن بشعور من القيام بالواجب). وهو لا يتهم الشعب البريطاني بل (عصابة السياسيين) الذين أنكروا على قبرص حتى الأمل في الحرية].

وهذا نوع من الخطاب الجيد المناسب لحالة مثل حالته بأن يضع حاجزا بين الحكومة البريطانية والشعب البريطاني، فيساعد على الخلخلة السياسية لصالحه.

[ويضيف: (إن مسؤولية قتل هذا العدد الكبير، من الرجال والنساء والأطفال، في خلال السنوات المأساوية التي تلت، تقع بكاملها على عاتقهم .

وقد أُعلنت بداية الصراع في سبيل استقلال قبرص في ٣١ آذار ١٩٥٥، بسلسلة من الانفجارات في الجزيرة. فوضع المخربون قنابل في محطة الإرسال الحكومية في نيقوسيا، وتدمرت المعدات، وتطاير رسقف البناء، وحدثت أضرار قدرت بستين ألفاً من الجنيهات الاسترلينية. وألقيت أيضاً قنابل على الأبنية الإدارية وفي محطة إرسال (وولسكي باراكس)، وهي المقر العام لقوة عسكرية كانت تعد آنذاك أربعة آلاف رجل فقط. أما في مرفأ ليماسول، فقد نسفت محطة توليد كهربائية ومركزان رئيسيان للشرطة. وحدثت في لارناكا انفجارات في مديرية الشرطة والمحاكم وفي مقر الحاكم البريطاني.

ووقعت الخسارة الأولى في فاماغوستا، إذ صُعق عضو من (إيوكا)، عندما ألقى حبلاً مبللاً على خطوط التوتر العالي عند محاولته تخريب الإمداد بالطاقة الكهربائية.

وقد فاجأ الهجوم العالم كله. واندهش الموظفون الاستعماريون وأصيبوا بالرعب، حسب قول غريفاس.

ورافق هذه الموجة من أعمال العنف عمل سياسي، إذ قامت الحركة في سبيل الاستقلال تجنيد الطلاب والتلاميذ بسرعة وكتب غريفاس حول ذلك: (كنت أنوي أن أجعل من الشبيبة القبرصية مشتلاً للإيوكا)، ونظمت التظاهرات، وكانت عنيفة بشكل أدى إلى طرد الشرطة من الشوارع، وإجبارهم على طلب العون من الجنود].

ولذلك لاحظوا الناس الذين كتبوا لم يستفيدوا هم فقط ومن معهم، بل استفاد كل الناس، ولذلك يجب أن تكتب التجارب، كتبت في كتاب "التجربة السورية" أن من المآسي التي رأيتها في حركتنا ونحن في الشام وفي كل الحركات الجهادية أن الذين يعملون لا يكتبون، وأن الذين لا يعملون يكتبون حتى ينسبون إلى أنفسهم ما لا يفعلون.

[ووزع صبيان، لا تتجاوز أعمارهم عشر سنين، المناشير التحريضية، وقاموا بدور السعاة. أما المدرسون الذين عصوا تعليمات المنظمة، فقد عوقبوا (بقسوة) وذلك تعبير يقصد به، بلغة غريفاس، أنهم قد أعدموا بواسطة رجال (إيوكا)].

الملاحظ في تجربة قبرص أن غريفاس عامل الشعب القبرصي بصرامة شديدة حتى يدخلهم إلى الانتفاضة، فهو جنرال من قبل أن يبدأ المعركة.

[أما الصحف التي تأخرت عن اتخاذ اللهجة المناسبة، كالصحف التي لم تحتج ضد القمع مثلاً، فقد خضعت إلى الضغط والمقاطعة.

وقد انطلقت هذه الموجة الإرهاب بعدد قليل جداً من الرجال – ليس بأكثر من عشرين رجلاً حسب قول غريفاس – ونظمت القوة ضمن خمسة أو ستة أشخاص لكل مجموعة، وفي كل التجمعات السكنية الكبرى في الجزيرة. ولم تكن هنالك بعد وحدات من حرب العصابات، مع أن غريفاس قام باستطلاع الأرض، لتحضير العمليات اللاحقة].

نلاحظ هنا أن الرجل ميداني بكل معنى الكلمة، سيمر معنا الآن هذا، رغم أنه جنرال وهو أساس المنظمة، إلا أنه كان من يخرج لاستطلاع الأرض ويتابع العمليات ويتابع المنشورات، يعني كان قيادة ميدانية، وضمن هذا الكتاب لم أره تعرض لشخص بهذه المواصفات، قيادة ميدانية فعلا مشرفة على التفاصيل وعلى التنفيذ وعلى التخطيط وعلى الإعداد، وحتى الإعلان السياسي كان يكتبه بيده.

وكذلك لفتة أخرى، أنه ليس عندنا تجربة لحرب المدن إلا قبرص، ولما كنا نخضر لحرب عصابات في الأردن في ١٩٨٠ وقع بأيدينا كتاب عن أحد حروب العصابات في أمريكا اللاتينية، كانت أيضا حرب مدن، لم يكن فيها حرب عصابات أرياف، وكذلك تجربة الجهاد في سورية في بلاد الشام هي حرب عصابات مدن كاملة، لفت نظري أني لم أشبع هذه الزاوية في كتاب التجربة السورية، وإذا يسر الله لابد أن أكتب فصلا حول تكتيكات حرب العصابات في بلاد الشام، وهي حرب عصابات مدن: كيف كان التموين والتسليح وطبيعة العمليات والتجنيد والمنشورات والإعلام.. إلخ.

يقول:

[وكانت شبكة الطرق الممتازة غير مؤاتية لحرب عصابات واسعة النطاق].

ليش؟ لأنها تسمح للدولة أن تصل لأي نقطة بسرعة، فلما يكون هناك شبكة طرق ممتازة فهذا ضد حرب العصابات، ولذلك تقوم العصابات بنسف الجسور والطرق وتعطيل عملية وصول الدولة بسرعة إلى أي مكان، طبعا الآن الهيلوكوبتر حلت كثيرا من هذه المشكلات، خاصة إذا لم تكن هناك أي موانع طبيعية.

[وبقي معظم الأشخاص المعدين للقيام بها محتفظاً بهم ضمن المدن، طالما كان تجولهم ممكناً دون التعرف عليهم. ثم استخدمت سلسلة جبال (سيرين) في الشمال، وجبال (ترودوس) المشجرة في الجنوب الغربي كقواعد، ومن أجل تدريب مجموعات التخريب].

مع أنها جزيرة صغيرة محاطة بالبحر، ومع ذلك أوجد لنفسه بعض النتوءات الطبيعية، يستطيع الاستقرار فيها كقواعد.

[وتبعت الموجة الأولى من أعمال العنف هدنة استمرت عدة أسابيع، تخللتها بعض الهجمات على ما أسماه غريفاس (أهدافاً عرضية). وكان أحد هذه الأهداف العرضية (حسب مذكراته) السير روبرت أرميتاج، الحاكم البريطاني لقبرص آنذاك.

ففي الاحتفال بيوم الامبراطورية، اشترك الحاكم البريطاني في العرض الأول لفيلم في سينما بالاس في نيقوسيا. وخلال ساعتي العرض، كان يجلس على بضع خطوات من زجاجة كوكا كولا مملوءة بالمتفجرات ومزودة بمشعل مؤقت. وقد حدث الانفجار بعد خمس دقائق من خروج الحاكم ومرافقيه.

وفي الفترات الفاصلة بين الهجمات، كان غريفاس يتجول في نيقوسيا وحتى أنه كان يذهب إلى سلسلة جبال (سيرين)، ليعطي أوامره إلى رؤساء المجموعات، ويراقب التدريب، ويحضر بلاغات

الدعاية، وبصورة عامة لرفع المعنويات بتعدد حضوره. وقد أخذ لقب (القائد)، وهكذا كان يوقع بلاغاته. واستخف الحزب الشيوعي القبرصي الصغير بأعضاء (إيوكا)، واعتبرهم مجموعة من (السوقة) ورماة مسدسات الفلين (في كوبا، وصف الشيوعيون فيدل كاسترو وأنصاره بأنهم انقلابيون بورجوازيون))، وأعلن رئيس الشيوعيين اليونانيين من إذاعة موسكو، بأن (القائد) هو غريفاس المعروف جيداً من الحزب].

لاحظ دخول مجموعة أخرى منافسة وما يحصل، وهذا حصل عندنا كثير في العمل الجهادي والإسلامي.

[فقد كان رئيس التنظيم السري اليوناني (اكزهي) في خلال الحرب العالمية الثانية، كما أنه قاد العمليات العسكرية ضد ثوار العصابات الشيوعيين (إيلاس) إبان الحرب الأهلية اليونانية.

(والمضحك –كما يقول غريفاس– أن البريطانيين لم يأخذوا هذه المعلومات على محمل الجد، ولم يستطيعوا أن يتصوروا أن ضابطاً متقاعداً يمكن أن يصبح رئيساً لمنظمة إيوكا). وتابع غريفاس التجول بحرية، مستعملاً نظارات سوداء وشارباً مستعاراً، وأقام مركز قيادته العامة في الجبال أولاً، ثم أقام في منزل داخل ليماسول حيث بقي دون أن يُكتشف أو يخان.

وفي حزيران حدثت الموجة الثانية من أعمال العنف، وكان أول ضحاياها شرطي قتل بسبب انفجار قنبلة ألقيت على مديرية شرطة نيقوسيا، ونجم عنها سقوط قتيل و١٦ جريحاً. وقتل رقيب أيضاً عند مهاجمة مركز أمياندوس. وقد اختار غريفاس هدفا شخصياً، وهو الجنرال كيتلي، القائد العام للقوات البرية البريطانية في الشرق الأوسط، والذي اعتاد القدوم إلى عاصمة يومياً من مقره على شاطئ سيرين وكتب عن ذلك يقول: (لقد وجدت مكاناً مناسباً جداً لكمين، لكن الأسقف مكاريوس عارض المشروع الذي تم التخلي عنه)].

الأسقف مكاريوس كان مشتركا معه في القضية، وكانت بينهما خلافات دائمة في التخطيط.

ألفت النظر إلى أن القائد الأعلى هنا ينزل بنفسه ليستطلع كمينا، وهذا كان الميزة الأساسية للعمل في بلاد الشام، حتى قلت لك تضايقوا مرة في إحدى القواعد وكان عندهم سلاح، فوجدهم عدنان عقلة هكذا بعدد كبير ١٥ فردا، فأمرهم بأخذ قاعدته القيادية، ونام هو ومرافقه في هذه الليلة على غصن شجرة، ثم انتقل في الصباح لمكان آخر.

سنصل إن شاء الله إلى عيوب العمل الجهادي الذي ابتلينا به، سواء كان إجبارا أو اختيارا، ومنه موضوع القيادة الميدانية وما ترتب عليه من أمور، لأن معظم العمل الجهادي تقريبا يُقاد بقيادات غير ميدانية، وهذا سبب أزمات لها أول وليس لها آخر.

[**ويقول غريفاس في مذكراته، أن مكاريوس عارض كثيراً من اقتراحاته، وغالباً ما كان يتريث، بينما كان غريفاس يريد أن يندفع، وكان الأسقف يمسك بزمام الأمور المالية**].

وهذه أيضا إحدى المشاكل التي تقوم بين الثورة وبين مصادر تمويلها، نفس المشكلة لما أمسك الإخوان المسلمون في الأردن في المرحلة التي كانوا يريدون أن ينسقوا فيها مع "الطليعة" بكل الموارد المالية، وأصبحت الأموال سببا لفرض بعض التصورات السياسية والاستراتيجية على المسلحين.

[**ولأنه لم يكن لدى غريفاس مال، فإنه لم يستطع تنفيذ بعض مشاريعه الأكثر جرأة، كإرسال مجموعة من منفذي الإعدام إلى لندن، لقتل القبارصة الذين يعيشون فيها من ثمرة (خياناتهم)**.

ومع ذلك، فقد جرت الحملة بصورة عامة كما أرادها غريفاس، الذي اتبع انضباطاً صارماً داخل قواته المبعثرة المؤلفة من إرهابيين ومخربين. (وكم نبهت تكراراً بأنني الوحيد الذي يعطي الأوامر، وأن كل عصيان عقابه الموت)].

لذلك هذا من الأسباب التي جعلتني أتخلى شيئا فشيئا عن خيار العمل السري، يعني أعتبره غير ممكن كمخطط عام لإسقاط الحكومات، بناء تنظيم سري على غرار هذا النموذج الغربي= ليس عندنا إمكانيات لضبطه، وقلت لك هناك كثير من الأمراض متفشية بين المسلمين، من بينها أننا نحتاج أحيانا حتى نضبط بعض الأمور إلى نظام عقوبات صارم جدا، وهذا النظام غير متوفر، لا تسمح به كثير من ضوابط الشريعة عندنا، لأن هناك أمورا لا تحتمل هذه العقوبات، وهي ليست واضحة للناس، بالإضافة إلى أن طبيعة البشر لا تستطيع أن تفهم هذه المسألة.

ثم رجعنا إلى نفس مبدأ التنظيم السري فوجدنا أصلا أن التنظيم السري والعصابات بهذه الصورة هو مفهوم غربي للعمل، استحدثه المسلمون ليحلوا بعض المشاكل، فلما قارنا بينه وبين الإبداعات التي خرجت في الجبهات أو في أماكن الصدامات المفتوحة= وجدنا أنه يجب أن نرجع إلى فهم شخصية المسلمين، واختيار الطريقة المناسبة معهم.

اعترض أحد الإخوة علي واستدرك في ثلاث نقاط، فممكن يبدأ بهم الآن ويقرأهم علينا:

۞ ۞ ۞

الأخ: بسم الله الرحمن الرحيم، ذكرت في المحاضرة أن يقوم الأمير بنفسه بدعم الأمور الميدانية، فما هي الأمور الميدانية التي يجب على الأمير القيام بها؟ وما هي الأمور التي يحظر عليه فعلها؟ مع العلم أننا دائما نسعى ألا يتعرض الأمير لمخاطر أمنية.

السؤال الثاني: عرضتم مسألة السرية وأنها على شكلها الحالي مأخوذة من نظام العصابات غير الإسلامية، وهذا لا يتناسب معنا نحن كمسلمين، وأنه يجب إعادة النظر فيها، أرجو الزيادة في التوضيح؟

السؤال الثالث: ما هو موقف الجيش القبرصي من قضية قبرص، خاصة وبريطانيا محتلة لهم؟

الشيخ: أما بالنسبة للسؤال الأول حول موضوع القيادة الميدانية، طرح أخونا عدة نقاط هامة جدا:

ما هي أهمية القيادة الميدانية؟ ما هي خطورة أن تكون القيادة غير ميدانية؟ ماذا يجب على القيادة الميدانية أن تشارك فيه بشكل ميداني؟ وما هي الأمور التي لا يجب أن تشارك فيها؟ ثم ما هو عذر قيادات الجهاد الحالية في أن معظمها غير ميدانية؟

نمسك هذه الأشياء أولا بأول:

أولا: كلمة أن القيادة ميدانية، وهذا سنفصل فيه كثيرا عندما نشرح بحث حرب العصابات من كتاب "التجربة السورية"، وإذا لم نشرحه فعليكم أن تدرسوا الفصل الثالث من الجزء الأول من الكتاب، وهو دروس مستفادة من الجهاد في سوريا، ومن قراءة حوالي ٤٠ كتابا في حروب العصابات وخلاصتي لها.

القيادة الميدانية يقصد بها: (قيادة تدير العمل السياسي والإعلامي والعسكري بشكل ميداني في أرض المعركة، قيادة موجودة في ساحة العمليات، مطلعة متابعة للأحداث، تأتيها الأخبار عن طريق شبكة العصابات، أو أنها تشرف بنفسها على ذلك، تقرأ صحف الحكومة بشكل يومي، تتابع الإشاعات بشكل يومي، تتابع الأخبار العالمية بشكل يومي، تتابع التقارير المرفوعة إليها من وحدات العصابات بشكل يومي)، هذه قيادة ميدانية بكل معنى الكلمة.

فلو حصل طارئ وعملت الحكومة أو الجيش عملا يقتضي تصرفا إعلاميا أو سياسيا بشكل لحظي= فالقيادة الميدانية تسد ذلك، لكن أن ترفع القيادة تقريرا للقيادة الأم وراء الحدود، فيظل الأمر معلقا ليوم أو أسبوع أو شهر ليعود الجواب، تكون المعركة انتهت، فهذه أهمية القيادة الميدانية، بخلاف القيادة العسكرية التابعة لقيادة أخرى مركزية، فليس لها إمكانية مناورة ولا مبادرة، لأنها تنتظر الأوامر من وراء الحدود دوما.

وهذا من صلب المشاكل التي سأذكرها في بحث "أخطاء يجب أن تصحح في العمل الجهادي"، سلسلة المحاضرات التي سنتكلم فيها عن هذه الأخطاء، على رأسها مشاكل منهجية ومنها موضوع الطرح، ثم على رأس المشاكل الأسلوبية هو موضوع القيادة الميدانية، لأن هذين المشكلتين تتفرع عنهما كل المشاكل المنهجية والأسلوبية الإدارية.

فالقيادة الميدانية هي قيادة تمسك بكل القرار السياسي والعسكري والإعلامي والاقتصادي والتوجيهي والعلاقة بالشعب وكل شيء بشكل ميداني مركزي، ولو كانت قيادة جماعية ولابد أن تكون جماعية ولكن ميدانية، ثم تقاسم المهمات ولكن كلها ميدانية.

لاحظنا في فيتنام وكيفية إدارة معركة ديان بيان فو بقيادة ميدانية، كل الكوادر العسكرية ومتخذي القرار في الفييتمينة كانوا ميدانيين، كتجربة ناجحة في اتخاذ القرار والمبادرة العسكرية.

الآن تحولت معظم قيادات الحركات الموجودة إلى قيادات سياسية وراء الحدود، فأصبح هناك انفصال وقيادتان عمليا: قيادة سياسية إعلامية، وقيادة ميدانية عسكرية، ولو كانت الأمور هكذا لكانت مصيبة ولكن مصيبة صغيرة، المشكلة الكبيرة أن هذه القيادة السياسية الإعلامية تمارس صلاحيات عسكرية أيضا، وتعطي توجيهات عسكرية.

أما المصائب المترتبة على وجود قيادة غير ميدانية فأوجزها بـ: فقدان القدرة على المبادرة، ضعف التصرف تجاه الحدث، فقدان القدرة على المناورة.

لا يمكنه وهو في الداخل قيادة عسكرية أن يخرج إعلانا سياسيا، يوهم الحكومة به، لأن القيادة السياسية في الخارج تختص بذلك، سيعترضون عليه أنك تمارس صلاحياتنا.

وكذلك تتحول كل الأموال إلى القيادة غير الميدانية في الخارج، فكوننا بشرا فتريد أن تتصرف وتمسك بخيوط اللعبة، فتبدأ تشعر القيادات الميدانية أنها يجب أن يكون لها وزنها لأن الأموال في الخارج، وهذا تعرضت له كل الجماعات بنسب تتفاوت.

الجهاد الأفغاني نموذج فظيع على القيادات غير الميدانية، كل رؤساء الأحزاب كانوا في بيشاور، تحولوا إلى تجار تعيش على دماء المجاهدين.

ويمكن أن تكون قيادات ميدانية مخلصة كما هو الحال في قيادات الجماعات الجهادية عندنا: جماعة الجهاد، الجماعة الإسلامية، الشيخ أبو عبد الله، كلها قيادات غير ميدانية، ولكن مخلصة تريد صلاح المسألة، إنما وضعها كقيادات غير ميدانية صنع إشكاليات عليها، تحتاج إلى تجاوز في الأسلوب.

فالقيادة غير الميدانية بحث طويل عريض، تترتب عليه مصائب وكوارث، ليست قضية سهلة، وهذا كله في ايش؟ في إدارة عملية حرب عصابات.

أما الآن ما يجب أن تفعله وما يجب أن تتجنبه؟

ما يجب أن تفعله لن نفصل فيه، لأنه كل تفاصيل العمل، وهو إدارة التناغم مثل المايسترو هكذا في الفرقة الموسيقية، واقف بعصايتين وعم توجه خمسين عازف ولا ألف عازف، ولو تركهم بتصير سلطة، فالقيادة الميدانية مثل المايسترو، ولذلك تراه متعرقا وهلكان كأنه بيلعب كاراتيه، لأنه يضبط عمليات ويعمل كل حواسه في نفس الوقت، فهذا من أقرب التشبيهات لإدارة حرب عصابات بشكل ميداني.

وحتى لا يُساء فهمي، تقول لي: القيادات عندنا أُجبرت أن تكون غير ميدانية، فأقول لك: صحيح، وهي لذلك معذورة، لما كان الخيار عندها إما تُعتقل فتمسك كل نهاية الأسرار والأشياء معها، فيُعصف بالعمل نهائيا ويُدمر، يا إما تتحول لقيادات غير ميدانية والعمل سائر مهما كان، فهي معذورة، ولكن كونها معذورة لا يغير من واقع الأمر شيئا، وهذه حالة مرضية.

يعني في فرق بين قيادة غير ميدانية مجرمة، هي كانت ميدانية ثم صارت بدون سبب وتحولت لقيادة غير ميدانية كما حصل في سوريا، عنده إمكانية يكون ميدانيا ولا يريد، فهذا رجل فَرّ من مسئولياته، أما النوع الآخر فمعذور، بلاد مسطحة ليس فيها مكان للاختباء، أجهزة أمن مارست كثيرا من الاختراق تستطيع

أن تصل للقيادات بسهولة، فخرجوا، فهذا صحيح، إنما الذي هو غير صحيح أنه نشأ عن هذا وضع لا يغير من الأمر شيئا، ولا اعتبار فيه لكونهم مكرهين أو غير ذلك.

الأمر الآخر: هل هذا الوضع له حل؟

له حلول ولكن ترقيعية، ليست جذرية، الحل الجذري أن يكون له قيادات ميدانية، كيف تكون له قيادات ميدانية؟ بتغيير أسلوب العمل كله، أو ترك هذه الرقعة إلى رقعة أخرى، وهذه حلول جذرية حتى تتحول القيادات إلى قيادات ميدانية.

أما كحلول ترقيعية، فممكن أن تتحول إلى قيادات رمزية يعني "خميني"، رمز للثورة، وهذا يعطي العمل العسكري مرونة كبيرة جدا، ولا تتدخل في تفاصيله، وتعطي صلاحيات القرار السياسي العسكري والقرار الإعلامي العسكري لغيرهم، وهذا إلى الآن متعذر مع العقلية المركزية المسيطرة على كل الأمراء، الذين يربطون كل شيء بهم، فهناك مقاومة من داخل الإنسان، لأنه يشعر أن صلاحياته وسلطاته تذهب من يده، فهو لابد أن يتركك للصالح العام.

فإذا استطاعت القيادة غير الميدانية أن تترك صلاحياتها أو سلطاتها للصالح العام= فستنحل كثير من مشاكل القيادة غير الميدانية، ولكن لا تنحل كلها.

فالوضع النموذجي هو وجود قيادة ميدانية، والوضع الأكثر نموذجية أن هذه القيادة الميدانية هي نفسها التي وضعت أيدولوجية الثورة، وهذا تكامل في الثورة، أن يكون القائد ميدانيا سياسيا عسكريا إعلاميا، ومع ذلك هو الذي وضع فلسفة وأيدولوجية الثورة كمنهج أصلا، هذه الحالة تكاملت في النبوات، أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي نزلت عليه الرسالة، هو القائد السياسي الذي يتخذ القرار ميدانيا، هو القائد العسكري فيدير عملياته بنفسه أو يرسل السرايا، هو الإعلامي والذي يتكلم في المسألة وينشرها، فحالة متكاملة.

كتجارب بشرية هذه الحالة كانت في هتلر قبل أن ينشئ الدولة كقيادة ميدانية، وضع الفكرة وأشرف على تنفيذها وقاد حروبه بنفسه، وكذلك ماوتسي تونج نفس الشيء، عندنا نحن في تجارب المسلمين حسن البنا هو الذي وضع الفكرة وأشرف عليها وهو الذي سوى، تجربة فيها قيادة ميدانية، كل الحركات الصوفية قياداتها ميدانية هو المشرف على التربية، المشرف على المنهج، هو الذي يدير الدنيا ويعمل الولائم.

القيادة الميدانية بحث كبير جدا، يدخل فيه كثير من الأمور: قضية المثل الأعلى، المحبة التي تنشأ بين القائد والمقود، عملية الأخذ المباشر منه إلخ، غير قضية القائد المهدي اللي داخل في السرداب هذا بتاع الشيعة، ما حدا شايفه، ولا أحد عارف ايش إمكانياته، بيطلع جبان بيطلع خائن بيطلع عاقل.

لما ذهبنا إلى الأردن كنا تعرفنا على سعيد حوى وقيادات الإخوان المسلمين هناك من خلال كتبهم ونظرياتهم وتحليلاتهم، فلما احتككت بهم هناك مصيبة كارثة.

لاحظ القيادة الميدانية للشيخ عبد الله عزام، والقيادة الميدانية لأبي عبد الله بن لادن لما كان حول أصحابه في أفغانستان، ولاحظ القيادة الميدانية لجماعة الجهاد والجماعة الإسلامية لما كانوا هنا بين أصحابهم في الميدان، وقارن بين نفس القيادة وعملها في ساحات أخرى، ليس هناك مجال للمقارنة.

ولكن يجب أن نذكر أن القائد الميداني يجب ألا يتجاوز ميدانيته كثيرا، لأنه يتعرض للمهلكة، فحرب العصابات تستهلك قوادها بسرعة، والقائد لا يُعوض، الطبقة الأولى تروح، فالثانية أقل، والثالثة أقل منها، إلى أن تأتي طبقة ليس لها علاقة أصلا بالمباديء التي قامت عليها الطبقة الأولى.

ولذلك لما أراد عمر بن الخطاب أن يشارك في الفتوح، قال له علي بن أبي طالب: (إنك إن قتلت كسر ذلك عضد المسلمين ورفع معنويات العدو، وإن رجعت وهُزمت لك سرية، فلا تزال أنت ترسل البعوث والسرايا). يعني لا تبالغ في ميدانيتك، ومع ذلك رضي الله عنه ذهب بنفسه لما فُتح بيت المقدس يستلم المفاتيح، وكان يتجول بميدانيته في الأزقة والحواري يتابع أحوال الناس.

المهم هذه القيادة الميدانية لابد ألا تبالغ في ميدانيتها جدا، حتى لا تتعرض للمخاطر من ناحية، وحتى لا تتدخل في الشئون البحتة، يجب على القيادة ألا تتدخل وتمارس صلاحيات أكثر من صلاحياتها كما شاهدنا في صرف الفلوس والبطاطين والسيارات والبنزين، وتهدر وقتا ثمينا أصلا في أشياء تافهة، وتحصل ضغائن من ذلك، يشعر أنك عينته مسئولا ثم صيرته طرطورا ليس له شغلة، وكذلك هذا لا يجعلهم يفكرون في التصرف ويعتمدون عليك.

فهذه محاذير القيادة الميدانية.

إنما هذا الكلام أرجو ألا يؤخذ على محمل الاستفزاز، فهو من باب التوصيف فقط، أقول: حتى لو كانت مخلصة ومجبرة ومعذورة في هذا البعد، فهذا العذر لا يغير شيئا، فقد سبب ضررا وإشكاليات تحتاج إلى حل.

الأمر الآخر أن لها صورا من الحلول عليهم أن يأخذوا بها، حتى يعالجوا مشكلة القيادات غير الميدانية، وإذا طرحنا ما نراه من عمل في المستقبل، فسوف نحلحل كل هذه المشاكل، ومن جملة ما سيتحلحل معنا أننا إذا عملنا على نطاق العالم الإسلامي، فسنرجع مرة أخرى إلى قيادات ميدانية، يعني حتى لو كنت مصريا ولا من الجزيرة وجالس في أفغانستان، إذا كان عملك في إطار الأمة= فأنت ميداني، لأنك تخطط لعمليات ميدانية، إنما في المناطق التي ليست تحت يدك مباشرة فلابد أن تكون غير ميداني.

فإذا عملنا بهذه الصورة فنحن قيادات ميدانية، هنا أو في القرن الأفريقي أو في شمال أفريقيا، القيادات في حصون لا يمسها العدو، وهي ميدانية تباشر أعمالها مباشرة، وهي التي تضع مناهجها وتشرف على الإعلام والقرار السياسي، وهي التي تطلق أيدي الجماعات والأجنحة التي تعمل في العمل العسكري بشكل لا مركزي نهائيا، وتعطيها صلاحيات مطلقة، وخاصة أن معركتنا لا تحتاج إلى مناورات سياسية عسكرية كثيرة، وإنما هي ضرب في كبد القوات الصليبية والمتحالفة معها.

وإن شاء الله لما نتكلم عن تصوراتنا عن المرحلة المقبلة ونطرحه، سيحلحل كثيرا من الإشكاليات ومنها إشكالية القيادة الميدانية.

الآن موضوع السرية، أنا قلت أن موضوع السرية والعمل التنظيمي السري هو أسلوب غربي، وهذا صحيح، صحيح أن المسلمين مارسوا شيئا من العمل السري، ومن ذلك مرحلة بدايات بني العباس، وحركة أحمد بن نصر الخزاعي ضد المأمون، وغير ذلك من الحركات السرية، ولكن لم تكن بهذا المفهوم الخلوي، وإنما عبارة عن ارتباطات من أجل لحظة انتفاض جماعي.

أما التنظيمات السرية بمفهوم الخلايا الهرمية أو العنقودية، وحرب عصابات، والاختباء والتحرك في حرب المدن، لأنها في الجبال ليست مشكلة أصلا، الجبال فيها كل المكامن التي بأيدينا وهي الظهور والقيادة الجماعية والشجاعة الجماعية والقتال كذا، أنا أتكلم عن العصابات التي تقوم في المدن، سواء كان لها جناح في الريف أو لم يكن، هذا الأسلوب هو أسلوب غربي، مقتبس من التنظيمات الغربية.

وهذا لا ينفي أنه ممكن يناسبنا في مكان أو لا يناسبنا في مكان آخر، وهي تشبه قضية الخندق، يعني ليس حراما أن نقتبس أساليب تنظيمية أو سياسية أو عسكرية من الشعوب الأخرى والحضارات غير الإسلامية، وهذا من الحكمة وقد فصلنا فيه.

لكن أنا أقول أنه كأسلوب غربي فيه كثير من عدم المناسبة للطبيعة السيكولوجية للمسلمين، وقضية الضبط السري، وعدم السرية الشائعة بين المسلمين، هذا مرض اجتماعي متجذر تماما في المسلمين، نظرية: (لا حدا يقول لحدا) كل الناس تعرف في الآخر، فقضية الإشاعة وحب الإخبار قضية موجودة، فلا تتناسب مع عمل كله سري.

الأمر الآخر أنها تعتمد على قضية صرامة في العقوبات، وهذا لا يتيح لنا تركيبة الوضع عندنا، وعدم الأخذ بالظنة وعدم العقوبة بالظنة، وعدم تجاوز الحدود، وأنت تحتاج إلى تطبيق أحكام صارمة حتى تضبط الداخل والخارج والمتجاوز وكذا، هذه العقوبات لا تتماشى معنا.

الإسلام يعتمد على التربية، التنظيم السري لا يتيح لك التربية، والإسلام كذلك يعتمد على العلاقة الحميمة بين القائد والمقود، التنظيم السري لا يتيح ذلك، وهم في الغرب لا يحتاجون لتلك العلاقة الحميمة، ناس بتشتغل لأداء قضية معينة وفقط.

ولذلك انظر العصابات عندهم تطورت بشكل شديد جدا، لا تبلغه مستوى العصابات في بلادنا، رغم أن الشرطة والأمن عندنا تطوروا لمستويات الشرطة والأمن في الخارج، والسباق متناسب بين العصابات في الغرب والأجهزة الأمنية عندهم، أساليبهما متطورة ومتقاربة، بينما أساليب العصابات عندنا لا تزال في إطار عصابات التهريب البسيطة في مواجهة أمن شديد جدا.

فأقول من وجهة النظر هذه، أن أساليب التنظيمات السرية الخلوية والعنقودية لا يناسبنا.

الأمر الآخر أن هذه العصابات التي تعمل عندنا بخلاف الوضع هناك حيث وضع العالم الديموقراطي يضع حدودا لقمع الدولة، فلا تستطيع الدولة هناك أن تأخذ النساء وتغتصبهن أمام ذويهن، حتى أبشع الحالات الغربية كـ "فرانكو" وغيره لم يمارسوا هذه التصرفات كما حدث عندنا، وإذا وصلت الدولة لمستوى هتك حقوق الإنسان بطريقة ساحقة يُكشف التنظيم السري، لأنها تستطيع أن تخرج مخابئه، أي دولة في العالم تستطيع أن تفعل.

إلا في المنظومة الاشتراكية فعلوها في تشيكوسلوفاكيا، خرج الناس يؤيدون حرب عصابات، إذا بالجيش الأحمر يعمل إنزالا، وأغلق الساحات بالدبابات وسحق المتنظاهرين، مات فيها ٦ آلاف شخص، سواهم هكذا بالدبابات.

هذا طُبق في بلاد الشام، وبدرت بوادره، وطُبق في المغرب من أجل "ثورة الخبز" ٥٠٠ قتيل في أربع ساعات، في مصر نفس العملية، في ليبيا أكثر من ذلك.

فلما تكون قدرة الدولة بلا حدود على نكش خبايا التنظيم= فالأسلوب غير مجد، قلت لك أبو جهل وقف على باب الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يدخل، لئلا تقول العرب: روعنا بنات أعمامنا! هذا نوع من الكفار راق، قياسا بالكفار الحاليين عندنا.

الشاهد في الموضوع أني وجدت الأسلوب يتناقض مع هويتنا، يتناقض مع بنية الشعوب، ميزاتنا فيه ضعيفة، ميزات خصمنا شرسة جدا: القدرة والتمشيط وكشف المنابع وفهم آلياتنا بشكل جيد، تحويل

المواجهة من مواجهة عسكرية إلى الاختراق، مواجهة تعذيب وتحقيقات عجيبة وعصر وكسر، هذا غير الأعراض غير النساء، فهل هذا الأسلوب يناسبني أم لا؟

لذلك أؤكد على أن مرحلة التنظيمات السرية وعمل العصابات بهذا الأسلوب وحدها بدون ظهر من عصابات في الأرياف، بدون الاعتماد على انتفاضة شعبية، بدون استخدام مفتاح لمواجهة العدو= يكاد يكون انتهى، ولا يمكن العمل بهذا الأسلوب في وضع البلد الحالي، وأعتقد أن هذه الحقبة من العمل بدأت في ١٩٦٥ وانتهت في ١٩٩٥، والاستمرار بهذا الأسلوب مكابرة، واستخدام سلاح صدئ يعرفه العدو.

وأقول رغم أننا سنحتاج إلى جبهات مفتوحة وسنحتاج إلى حرب شعبية وسنحتاج إلى مفاتيح صراع وتغيير عملي في مفاصل منهجنا ومفاصل أسلوبنا في المرحلة المقبلة= سنبقى بحاجة إلى جناح يعمل بهذا الأسلوب، وذراع يمارس الاغتيالات خلف خطوط العدو، ويحدث ضربات قاصمة في بلاد العدو نفسها وفي عقر داره، ولكن مش جوهر العمل ولا أساسه.

وعليك أن تنظر في تجارب أمتك في خلال المائة سنة الماضية، وفي مواجهة نفس أنواع الخصوم، يعني في مواجهة الحكام ليس عندنا تجارب كثيرة في تاريخ المسلمين، أما في مواجهة الصليبيين فعندنا تراث كثير، يعني انظر في أسلافك كيف تغلبوا على الخصم وانهج نفس الأساليب، لأنها مناسبة للشعوب ونجحت.

فانظر مثلا في تجربة السودان في دحر الجيش الإنجليزي وثورة المهدي هناك، لما تنظر في تجربة عمر المختار تستفيد منها، الثورات الجزائرية العديدة، الانتفاضات في المشرق، حروب العصابات في شمال أفريقيا، أنت تستفيد من هذا التراث.

أما التمسك بأسلوب استهلك تماما، فقط من أجل الاحتفاظ بهذا الأسلوب، وهذه الهياكل والقيادات والجماعات التي قامت به= فستدفع هذه الجماعات الثمن من أنفسها وتنتهي، مثل ما حدث بين العثمانيين والمماليك، العثمانيون كانوا يضربونهم في معركة "مرج دابق" بشمال سورية بالمدافع، والمماليك سلاح فرسان وسيوف، فأهلكوا الجيش كله.

قرأت كلاما أن المماليك كانوا يطلبون النزال والمبارزة، وكان "قانصوة الغوري" يتحدى العثمانيين: اتركوا هذا السلاح الجبان الذي اخترعتموه وانزلوا فارسا لفارس، ومن يثبت هو الجدير بحكم هذه الأمة، قاعد بيلقي بيان وطلقات المدفعية نازلة على الجيش!

فالآن يجب علينا أن نرجع، كل الأساليب التي واجهنا بها العالم الصليبي تجدها تعتمد طريقة علنية: جبهات، شيخ، مريدون، علاقة مباشرة بين الشيخ والمريدين، خطوط خلفية، حرب عصابات أرياف، إمكانية لتعبئة الناس، مع شيء من ممارسة الحروب الإرهابية في المدن، فهذا الذي يجب أن نعود إليه.

ولذلك هذا الكلام صدقني –والله عليم– ليس جديدا، هذا الكلام أنا قلته في سنة ١٩٨٩ أو ١٩٩٠، وأذكر أني قلت لأبي خالد: أريد أن أكلم الإخوة في مصر وفي بعض الدول، أن عليهم أن يحلوا الجماعات ويبنوها بطريقة أخرى جديدة، ولكن بكلامي هذا لن يسمع أحد، إلا أني أرى بعيني أنه خلال خمس سنوات سنصل جميعا إلى هذه النتيجة.

ولكن كان واضحا من تجربة أفغانستان أن كل عيوب التنظيمات السرية بدأت تتفاقم وتظهر في الساحة، وأسلوب العمليات الجبهوية بدأت تفرض نفسها، فالدول التي فيها جبال أو أرياف أي إمكانية لممارسة حرب عصابات كما الحال في شمال أفريقيا ينفعها هذا التكتيك، لأنها ستزاوج بينهما، أما الدول المسطحة تماما مثل: ليبيا سورية الأردن تونس لن ينفعها.

تركستان بلد عدد سكانها ٣٠ مليون من المسلمين، مسطح كله صحراء، صحراء تركستان، يعتمد تجمعات سكنية متباعدة فيما بينها، القرى بين المدن قليلة، مساحتها ٢ مليون كيلو متر مربع، مساحة مترامية، كارثة الكوارث أن الصين على مدى ٧٠ سنة وطنت بينهم ٣٥ مليون من البوذيين الصين، نصف السكان عدو لك، فكيف تمارس تكتيك حرب عصابات؟! أنت أمام سلطة محتلة فيها مائة مخبر ولا ألف ولا حتى مائة ألف، لكن أن يكون نصف السكان مخبرين ومعادين لك ويدافعون عن وجودهم هم! لذلك القضية تحتاج لتفكير طويل جدا.

وأنا قلت لهم أن القضية لا يمكن أن تحل على مستوى التركستان، بل يجب جعلها معركة إسلامية صينية، أو على الأقل تركية/ صينية، ولذلك قلت للإخوة أنتم لابد أن تكونوا: الحزب التركستاني، لا تقولوا شرقية ولا غربية، لكي تدخل الأوزبك والأقليات الموجودة معك، ويصير لك ظهر إلى القفقاس، لكن الإخوة سيطر عليهم قضية الشرقية، فذهبوا أسسوها هكذا أننا تركستان الشرقية، فهم على مستوى التركستان الشرقية مرشحون للاختناق، ليس هناك أي معطى من معطيات حرب العصابات، الإصرار على قضية عقيمة معينة.

يا إما يكون عندك إمتداد مع العالم الإسلامي وفي عرقك التركي كله، يا إما يكون عندك إمتداد في العالم الغربي وتطلب نصرته والعمالة لأمريكا، فتدعمك كما فعل الحزب الآخر، صار لهم عمق في الغرب كله في مواجهة الصين، فنفس الشيء تحولوا إلى عمل أممي دولي، يعني أصبح عندهم عمق في الكفر، لكن الناس الذين كان يجب عليهم أن يأخذوا عمقا في العالم الإسلامي أو حتى في العرق التركي= لايزال تفكيرهم محصورا في تركستان وتجربتنا في تركستان.

لابد للإنسان أن ينظر في سلاحه، هل لا زال مفيدا في مستوى مرحلته، أم يحتاج إلى تعديل، فإذا لم يعدل هذا السلاح ويجعله متكافئا مع سلاح العدو= سيخسر.

العثمانيون سحقوا الغرب وسحقوا الإمارات الإسلامية الأخرى بسلاح المدفعية، قصفوا القسطنطينية من ٢ كيلو متر فقط بقذيفة وزنها ٣ طن ونصف، صلاح الدين حسم حروب عكا في النهاية برجل كيميائي اخترع مادة من النفط تحرق حتى الطلاءات التي كان الصليبيون يحمون بها الأبراج، فكان سلاحا استراتيجيا في المعركة.

الشاهد هذه قضية ووجهة نظر تكتيكية عسكرية، ليس لها علاقة بالعقائد، أعتقد أن سلاح حرب العصابات والتنظيمات السرية بمفهومها القائم في المدن= قد باد وانتهى.

الآن الإخوة في مصر يدورون هكذا كما يدور الأرنب الحبيس، لا مفر، وكذلك الإخوة في سورية، أغراني هذا البحث كله في أن أعيد كتابة كتاب "التجربة السورية" من ناحية التكتيك العسكري، وما هي

التكتيكات التي استخدمها الإخوة ولماذا أصبحت بائدة؟ لم يستطيعوا أن يطوروا تكتيكاتهم بما يتناسب مع قدرات العدو، فانتهوا.

بعد التجربة السورية ألاحظ بصمات المخابرات السورية على كل الحكومات التي قاومت جماعاتها، واضح أنه حصل استفادة مما حصل في سوريا، ثم الآن الجزائر.

[**ويؤكد غريفاس، بأنه لو كان لديه عند البدء خمسمائة رجل مسلح، لألقى البريطانيين في البحر. لكن يجب ألا نأخذ هذا التأكيد على محمل الجد، فلقد فهم منذ البداية وبوضوح، بأن انتصاره سيكون سياسياً أكثر منه عسكرياً، والخطة العامة التي رسمها في أثينا قبل عامين من انفجار القنبلة الأولى تبرهن على ذلك. فلقد جاء في تلك الخطة ما يلي:**

١. **الغاية:**

٢. **إثارة الرأي العام العالمي، وخاصة عند حلفاء اليونان، بأعمال بطولية وتضحيات، تجذب الانتباه إلى قبرص، حتى اللحظة التي تحقق فيها أهدافاً. ومن الضروري إزعاج البريطانيين بدون توقف، حتى تتمكن الديبلوماسية العالمية، والقادرة على العمل عن طريق الأمم المتحدة، من إجبارهم على دراسة مشكلة قبرص، وحلها بشكل ينسجم مع رغبات الشعب القبرصي، والأمة اليونانية كلها**].

نلاحظ من هذا النص عددا من الأمور:

أول شيء وأهم شيء أن الرجل قبل أن يطلق الطلقة الأولى وضع تصورا عاما، في حين بعد عشرات السنين من الجهاد أنا أشك بأن كثيرا من الجماعات الإسلامية والجهادية عندهم هذا التصور، لا بشكل كلي ولا بشكل يومي.

الأمر الثاني: أن الرجل فهم إمكاناته العسكرية، فوضع تصورا سياسيا من خلال عمليات التخريب، فهو يريد فقط أن يثير الرأي العام العالمي، لأن هذا في قضيته وارد وممكن، في حين ذكرت أن هذا في قضايانا هذا عامل هامشي، والله أعلم.

الأمر الثالث: أن الرجل قبرصي لكنه يوناني مرتبط بالقضية الكلية لانتماءاته الأصلية، حتى في آخر شيء قال: (حلها بشكل ينسجم مع رغبات الشعب القبرصي، والأمة اليونانية كلها)، ففي حالتنا نحن لما واحد يقول بعملية إقليمية لابد أن يكون هذا البعد الأممي للمسلمين حاضرا في ذهنه، فلم يفصل قضية جزيرة منفصلة –مع أنها مستقلة– عن تبعيتها عن أصل الأمة التي يعتقد انتماءه إليها.

٣. التنفيذ.

يهدف النشاط الفعال إلى خلق كثير من التشويش، وتسببت كثير من الأضرار في صفوف القوات البريطانية، بحيث تبدو في أعين العالم عاجزة عن السيطرة على الموقف. وستدار الحملة على جبهات ثلاث:

أ. تخريب المؤسسات الحكومية والمراكز العسكرية.

ب. مهاجمة القوات البريطانية بعدد كبير من المجموعات المسلحة.

ج. تنظيم المقاومة السلبية عند السكان.

وبما أن الظروف العامة غير مناسبة لحرب عصابات على نطاق واسع، فإننا سنركز على أعمال التخريب، وبالتالي فإن المهمة الرئيسية لمجموعات القتال ستتضمن دعم وتسهيل عمل المخربين بجذب وتشتيت انتباه القوات الحكومية. ولن يحدث النجاح بالهجمات الضعيفة والمتقطعة، بل بعمل مستمر يستهدف نتائج هامة. ولن نفترض بأننا سنستطيع بهذه الوسائل إنزال هزيمة مادية

كاملة بالقوات البريطانية، فنيتنا هي أن نسبب لها هزيمة نفسية، بمواصلة الهجوم حتى تتحقق الأهداف المحددة في الفقرة الأولى من هذا المشروع).

هو يفهم جيدا أن العملية ليست عملية سحق عسكري.

[وقد انتهت المرحلة الثانية من الحملة في نهاية حزيران ١٩٥٥، وتبلغ محاربو (إيوكا) نشرة بأن النتائج المادية لا تتجاوب مع توقعات (القائد). فقد سقط بعض القتلى، وبقيت الخسائر الاقتصادية محدودة نسبياً، وربما كان ذلك ما أسماه غريفاس (النتائج المادية).

أما على المستوى السياسي، فقد كان النجاح واضحاً تماماً. وبلغت المنظمة أول أهدافها، وكانت قد عُرضت على العالم لتوها، وبصورة مأساوية مسألة تقرير مصير قبرص. وتأثر الرأي العام البريطاني بصورة خاصة بالنتيجة المتوقعة: فسياسة الحكومة التي كانت ترفض التفكير باستقلال قبرص، وإلى الأبد (– إذ كانت قبرص معتبرة وكأنها لازمة لضمان الأمن العسكري لانجلترا في البحر المتوسط) وجدت نفسها قابلة للنقاش، وبدأ التفكير بما تعنيه كلمة (وإلى الأبد).

وقبل ذلك بعامين، كان البريطانيون قد رفضوا الحديث عن قبرص مع الحكومة اليونانية. ولكن ها هو رئيس الوزراء أنطوني ايدن، يرسل إلى أثينا وأنقرة دعوة إلى لندن للمساهمة في لجنة ثلاثية. وكان الأسقف مكاريوس يرغب في ميدان أوسع، وحلاً أفضل من الحل المتوقع من مثل هذه اللجنة، فتوجه إلى أثينا ليستحث الحكومة اليونانية على الالتجاء إلى الأمم المتحدة. وقبل ذهابه أرسل تهانيه إلى غريفاس، وأضاف:

(لقد أعطت إيوكا لقبرص ولأبعد الحدود، أكثر مما يعطيه نضال يستمر على الورق سبعين عاماً. وبقي اسم القائد لغزاً بالنسبة إلى البريطانيين، وأسطورة أيضاً. وقد دخل إلى سجلات حركة التحرير)].

لاحظ اللفتة الجميلة لقضية سبعين عاما وقضية الورق، هي نفس الفترة التي أخذناها نحن في العمل الإسلامي، الذي دخل الآن في مرحلة العجوزة، ستين سنة من النضال على الورق والمطالبات بتحكيم الشريعة.

[**وكان غريفاس يحضر لهجوم عام، يتوافق توقيته مع اجتماع الهيئة العامة للأمم المتحدة في الخريف**].

لاحظ الربط في عملية الضغط العسكري والمفاوضات السياسية، وكل الناس التي تملك قوات عسكرية تريد أن تتحاور مع جهة من الجهات، هناك بعض الهجمات العسكرية التي يسمونها تحديد المواقع السياسية في المجلس القادم، يعني قبل الجلوس بفترة تجد أنه حصل نوع من الزلزال والعمليات العسكرية بين الطرفين، حتى يحاول كل طرف إملاء مواقع عسكرية أفضل، تعطيه مواقع سياسية أفضل في المفاوضات.

الآن مثلا تجري مفاوضات بين أيرلندا وبريطانيا لإنهاء المشكلة، تشترك فيها كل الجماعات المسلحة من طرف الكاثوليك والبروتستانت، فمع أنهم المفترض ملتزمون بوقف إطلاق النار، البارحة انفجرت ثالث شاحنة في مناطق أيرلندا، الجيش الجمهوري الأيرلندي قال: نحن ما زلنا ملتزمين بإطلاق النار ولن نقف، فوجهت لهم التهمة في التحقيقات بأن الانفجارين السابقين من قبلهم، فقالوا: ربما بعض المنشقين الذين يريدون قطع الطريق على عمليات السلام، ولكن غالبا هناك عملية تنسيق بين السياسيين وبين العسكريين: أن تظل أنت ممثلا للعمى، حتى يظل خيار الرمد مقبولا في طاولة المفاوضات.

فهذه من المناورات التي يستخدمها السياسيون لما يكون عندهم جناح عسكري، حتى لما لا يكون عنده جناح عسكري، يخترع فئة متطرفة ضمن نفس المنظمة، ليتابع عملية الضغط على الطرف الآخر.

[وحدد لنفسه قبل كل شيء غاية واضحة، وهي إخراج جهاز الشرطة المحلي من الساحة، حتى يجبر البريطانيين على تمديد خطوط قواتهم العسكرية، التي اقتصر عملها حتى ذلك الحين على حراسة الأبنية الرسمية، أو بقيت في ثكناتها لتتدخل في حالة الاضطرابات.

وأعلم رؤساء المجموعات بتعليمات مؤرخة في ٢٨ حزيران:

(أن هدف هجومنا المقبل، هو إرهاب الشرطة وشل الإدارة، سواء في المدن أو الريف. فإذا بلغناه ستكون النتيجة ثلاثية الأبعاد:

ستتدهور المعنويات بسرعة، بحيث أن معظم رجال الشرطة، إن لم يفيدونا فعلياً، فإنهم سيغضون الطرف عن نشاطاتنا].

وحتى صار ذلك عندنا في بلاد الشام، لما صار المخبرون لا يرفعون تقارير للشرطة، لِما زُرع في نفوسهم أن هذه التقارير تُكشف للمجاهدين فيعرفون من رفعها، فيقومون بتصفيته فيما بعد، يعني بلغت عملية الردع بمجموعة من العمليات التي هي مداهمة بعض المراكز الأمنية وأخذ أسماء المخبرين وأعلنت "الطليعة" أنها تعرف أسماءهم، فصار كل المخبرين عندهم تصور أن أسماءهم مكشوفة، وأن بعض الموظفين في الدولة باعوا أسماءهم برشوة من الجماعات الجهادية.

[يجب أن يتدخل الجيش، مما سيسبب تفريق القوات وإتعابها، فتنخفض معنويات الجنود، مما سيؤثر على قادتهم. -رجل جنرال ويفهم هذا جيدا-. **وأمام أعمالنا القوية، وما تسببه من قلاقل، يصبح من المحتمل جداً أن تقوم الأمم المتحدة (بوحي من البلدان المهتمة بالمسائل القبرصية) بالسعي لإيجاد حل.**

وسنحصل على ما نسعى إليه من نتائج بواسطة:

١) هجمات قاتلة على رجال الشرطة، الذين لا يتعاطفون مع وجهات نظرنا، أو يحاولون توقيفنا.

٢) الكمائن لدوريات الشرطة في المدن، والإغارات على مراكزهم في الأرياف.

٣) بتقييد حرية جهاز الشرطة في الجزيرة، بواسطة الكمائن (ضد الأشخاص والمجموعات).

وقد حذر غريفاس رجال الشرطة بما ينتظرهم، بواسطة المناشير الملصقة على الجدران في القرى، أو الموزعة في شوارع المدن من قبل تلاميذ المدارس. وكانت تقول:

(إلى الشرطة: لقد حذرتكم وسأنفذ ما قلته حرفياً. إن أياماً عصيبة تنتظر طغاة قبرص، وسيلحق بالخونة قصاص عظيم، فلا تحاولوا قطع الطريق علينا، وإلا جازفتم بدمائكم. وها هي الأوامر التي أعطيتها:

كل من يحاول إلقاء القبض على الوطنين القبارصة... سيعدم.

كل من يحاول توقيف أو تفتيش الوطنيين القبارصة... سيقتل.

وطالما بقيتم بعيداً عن طريقنا، فلن تخشوا شيئاً.

إيوكا – القائد]

نحن يجب أن نخاطب الناس خطابا استعطافيا في البداية، ويحدد فيه الفئات، ونحاول أن نخرج أكبر كمية ممكنة من الناس من المعركة، فإذا كانوا في الحياد حاولنا إخراجهم إلى جانب المجاهدين، ومن كان منهم في موقع في الجيش أو الشرطة يمكن أن يؤدوا عملا لصالح المجاهدين.

والنوع الثاني يطلب منهم الحياد والوقوف على الهامش، والنوع الثالث ننذرهم بهذا الإنذار، ويذكرهم بأن مصيرهم عند الله النار، لأنهم يقاتلون عن الكافرين، ومصيرهم على أيدي المجاهدين القتل، وأنهم لن يعاملوا إلا بقسوة وبشدة.

[وبعد التحذير، نفذت إيوكا مجموعة من الإغارات على مراكز الشرطة، بغية تحقيق هدف مزدوج: إرعاب رجال الشرطة، وتموين المنظمة بالأسلحة التي كانت بأمس الحاجة إليها، لأنها كانت تأتي بكميات قليلة جداً من اليونان. التي حصلت المنظمة منها على أسلحتها الأولى].

الذي يريد أن يطلق تحذيرا ويعلم أنه لا يستطيع تغطية تهديداته، بحجم على الأقل يقنع الناس= فالأفضل ألا يطلق تحذيرا.

لأنه ستكون مؤشراته رديئة جدا جدا جدا، إفهام العدو بأنه يكثر الكلام وليس لديه قدرة على التنفيذ، وتشجيع الناس الذين يفكرون في الانضمام للعدو على أن ينضموا، وتفتيت الناس الذين ارتفعت معنوياتهم معك على أساس أن وعودك غير قابلة للتحقيق، تكلمنا عن هذا في الإضراب، ونتكلم هنا في موضوع التهديدات العسكرية، فسوف نعمل والسين وكذا= تعود عليها المسلمون من أكثر من سبعين سنة من كل الحركات الإسلامية.

[وتباطأ العمل في المدن، مما جعل غريفاس يعزو ذلك إلى (عدم خبرة مجموعات التنفيذ). ومع ذلك فقد حقق أنصاره بعض النتائج، إذ قُتل بعض رجال الشرطة أو جُرحوا في نيقوسيا وفاماغوستا، واستقال كثيرون، أما الباقون، فلم يكونوا يجرؤون (كما قال غريفاس) على الظهور خارج مراكزهم. وأدت الإغارات إلى وضع الإدارة كلية في حالة الدفاع، وأصبحت المراكز محروسة بشدة ليلاً، وفي حالة إقفال مركز مؤقتاً، كانت السلطات تخلي الأسلحة قبل إقفاله.

وكان البريطانيون يجهلون عملياً كل شيء عن إيوكا: تشكيلها، أماكن تمركزها... إلخ. وكان أنصار غريفاس قد أسكتوا بسرعة كل رجال الشرطة القبارصة الذين كان بإمكانهم تزويد الخصم بمثل هذه المعلومات.

وفي ٢٨ آب، كان دركي من الفصيلة الخاصة، قد حكم عليه بالإعدام من قبل الثوار، لأنه كان متحمساً أكثر من اللازم عند تنفيذ واجبه. وعين من قبل رؤسائه للاشتراك في اجتماع سياسي في شارع (ليدرا) في نيقوسيا. ولقد صُرع أمام مائة شخص من قبل موظفٍ حكومي شاب هو (مايكل كاراوليس) الذي كان عضواً من ثلاثة في فريق تنفيذي تابع لمنظمة إيوكا.

وجرى الاغتيال في وضح النهار، وفي قلب العاصمة. فكانت بمثابة ضربة قاتلة إلى معنويات الشرطة].

هذا أسميناه "الإعلام العسكري"، عملية عسكرية ليس القصد منها حجم النكاية العسكرية، ولكن هذه الاستعراضية في العمليات تعتبر عملية إرهاب وردع، بأن تأتي إلى مخبر أفحش في المسلمين وتغتاله ببلطة ولا بسيف أمام الناس.

[**ولقد أوقف كاراوليس، وحكم عليه بالإعدام، لكن كان قد نفذ عمله. ويقول غريفاس إن إعدام دركي الفرقة الخاصة، (قد زعزع المعارضة ضد إيوكا في صفوف رجال الشرطة اليونانيين).**

وحل الأتراك أكثر فأكثر محل اليونانيين في صفوف الشرطة، مما أجج العداوة بين الجماعتين العرقيتين].

الأتراك الذين هم أقل من نصف السكان بقليل اعتمد عليهم الإنجليز في مواجهة المقاومة، لأن المقاومة كانت يونانية، فإذا كان هذا صحيحا فهو موقف خطأ في التحالفات، لأنهم وقفوا مع الجانب الأقذر في المعركة، إذا كانوا أمام نصارى سكان معهم في الجزيرة، وأمام نصارى غزاة، فهم وقفوا مع الطرف الأقذر.

[وهناك كثير من اليونانيين الذين تابعوا العمل لحساب البريطانيين في الشرطة، وقاموا بدور المخبرين لصالح إيوكا، وأعلموها تماماً بنوايا البريطانيين].

وهذا هو الذي يجب أن ننبه إليه، نحن يجب أن نوجه نداء للشرطة والجيش ولكل الموظفين أن يخرجوا من الحكومة إذا بدأت المعركة كسياسة عامة، ولكن في نفس الوقت يجب أن تبقي على ناس وجودهم لمصلحتك، بل تزرع ناس تتطوع في الجيش وفي الشرطة لمصلحتك.

[وأغلق الباقون عيونهم عن نشاطات الإرهابيين، كما توقع غريفاس، ولم يعودوا يشكلون عقبة في سبيلهم].

يعني أن قصة الردع التي تكلم عنها منذ قليل نجحت تماما.

[وشهّرت الدعاية البريطانية بحرارة كبيرة بالوسائل المستعملة من قبل إيوكا. ولم يتأثر غريفاس بذلك، وكتب في هذا الصدد:

(كل الحروب قاسية، والطريقة الوحيدة للتغلب على قوات متفوقة، وهي اللجوء إلى الحيلة والخداع. ولن تستطيعوا إيجاد الفرق بين الضرب من الأمام أو من الخلف، وكذلك بين استعمال البندقية أو المدفع. ويستطيع البريطانيون أن يلوموني كما يشاؤون، لأنني أعلنت الحرب في قبرص، لكني لم أكن مضطراً لأن أطلب منهم الإذن بذلك، ولن يستطيعوا النكران بأن النجاح قد توجها).

وبسبب هيجان سياسي شديد، تكدست جموع كبرى في المدن الرئيسية وساندت الإرهاب. وفي شهر أيلول ١٩٥٥ وخلال إحدى التظاهرات التي جرت في نيقوسيا، قلب المتظاهرون سيارات الجيش، وأحرقوها، واشتعلت المؤسسة البريطانية.

ولم تنجح تعليقات الصحف على هذه الحوادث في جعل مسألة قبرص تبحث في الأمم المتحدة، ورفض اقتراح في هذا الخصوص قدمته اليونان بتاريخ ٢٣ أيلول، لكن البريطانيين تأثروا منه. ومنذ ٢٥ أيلول، أعلنت لندن أن حاكم قبرص سيُبدل قريباً].

هو الرجل حدد لنفسه هدفا متواضعا جدا، أننا لن نستطيع أن نحرر قبرص، بلد مسطحة، لكن سنصنع ضغوطا لإيصالها إلى الرأي العام العالمي وننفاسهم سياسيا في ساحة أخرى، وهذا من حسن الفهم، الرجل تكلم بصراحة: هذه معطياتنا ولا نستطيع أكثر من ذلك.

[**وكان البديل المارشال السير جون هاردينغ، وهو جندي برز في الحرب العالمية الثانية، وكان قد ترك لتوه وظائفه كرئيس لهيئة الأركان العامة الإمبراطورية]**.

الخطأ هنا أنهم أتوا بأكفا ضابط عندهم، لكنه ضابط حروب نظامية، أتوا به ليحل مشكلة عصابات!

[**وكتب غريفاس حول ذلك: بالواقع أنه القائد العسكري الأشد تميزاً في هذا العصر. ولا يمكن أن نُبجّل بأكثر من أن نرى أمام قواتنا النزيرة رجلاً بمثل هذه السمعة العظيمة، ويحمل إرثاً يتمثل في مهنة بمثل هذه الروعة)]**.

لاحظ الأدب حتى مع الخصم في تقدير حجمه، وهذا من أخلاق الفروسية التي كانت سائدة، حتى عهد قريب جدا، حتى تحولت الحرب إلى إجرام بين الطرفين.

نحن إلى عهد قريب لا يزال كل الإسلاميين يتحدثون عن حافظ أسد بأنه ما بيفهم، والآخر غبي، والثالث ما بيعرف يخطط، إذا كان كل هؤلاء أغبياء لا يعرفون كيف يخططون وفعلوا فينا كل هذا، فكيف إذا لم يكونوا كذلك! فليس هناك عملية تقدير لقوة الخصم بشكل جيد.

[وكانت الأحداث في سبيلها إلى البرهان بأن هاردينج لن يكون أكثر نجاحاً من سلفه.

وقد برهنت تسمية عسكري كحاكم للجزيرة، على أن الحكومة البريطانية قد أحجمت عن استعمال الشرطة، لأنها تريد سحق إيوكا بالقوة، وكما هي العادة، مع ثوار العصابات، أو بالأحرى مع الإرهابيين، فإن القوة لا يمكنها مهاجمة شيء غير ملموس ويشرح غريفاس ذلك بقوله:]

عبر عن ذلك ببلاغة رائعة، والذي لفت نظري أن فيديل كاسترو وجيفارا وماوتسي تونج والجنرال جياب والجنرال غريفاس = كلهم كتّاب من الدرجة الأولى، يعني ناس أصحاب قلم، في كتاب رائع جدا للمؤسسة العربية للدراسات والنشر لابد أن تقرأوه اسمه: "السيف والقلم"، حصر القادة العسكريين في التاريخ الذين كانوا كتّابا، وكيف عبروا عن الأدب العسكري والعلم العسكري، ومن بين الكتب التي صاحبها عسكري وكاتب، الكتاب الذي عندكم الآن اسمه "الذكاء والقيم المعنوية في الحرب"، وأنصح كل إنسان يهيئ نفسه أو تهيئه جماعته لأن يكون قائدا أن يقرأ هذا الكتاب.

أرجع إلى ما كتبه غريفاس، تعليقا على استخدام جنود وماريشالات في مواجهة عصابات، الآن يتكلم عن تكتيكات عجيبة جدا، أظن الجزائريين والسوريين استفادوا من هذه الدروس، ولم يعودوا يواجهون العصابات بالجيوش، كتب يقول:

[(لقد رد البريطانيون على أساليبنا، فأغرقوا الجزيرة بالجند، ولم يكن ذلك هو الحل الحسن. إن أهمية العدو محدودة في حرب العصابات، وأقول كثائر من ثوار العصابات، إن من الخطر زيادة عدد المجموعة إلى أبعد مما أدعوه (نقطة الإشباع)].

قمة العبقرية أن الكاتب ينحت مصطحاته لنفسه، يعني يعبر عن حالة ثم تتحول إلى مصطلح متداول، فهنا يسميه نقطة الإشباع أن الأرض تتحمل عددا معينا لا تتحمل أكثر منه من الطرفين، إذا زاد أي طرف تحولت الزيادة إلى عبء عليه وليس قوة له، معركة تحتاج منك إلى خمس عناصر، لو وضعت أربعة فلن يوفوا، لو وضعت سبعة سيعيقهم الاثنان ويربكونهم.

هذا بالضبط مثل الذي درس العلم بتاعنا هذا هندسة المتفجرات، أن هذا الهدف بالحسابات الهندسية يحتاج ٧ كيلو و٤٠٠ جرام، لو وضعت ٧ كيلو فقط سيبقى جزء من الهدف لن يُصاب، لو وضعت ٨ كيلو تجد الهدف إضافة إلى أنه قُطع وأنت هدفك القطع قد تهشم وأثار شظايا وأعطى مفعولا زائدا قد تؤثر عليك أنت، فلو كان هدفك قطع جسر، إذا وضعت حشوة أكثر مما تحتاجه لقطع قائمة الجسر ستتشظى قائمة الجسر وتنزل على أعضاء الكمين، أنت لست بحاجة لأن تهشم القائمة فتنزل فوق رأسك.

تريد أن تنسف بناء في المكان، لو زادت الحشوة لن تنسف المكان فقط، بل ستتناثر أحجاره فوق المدنيين.

فهذا اسمه نقطة إشباع، فهذا التشبيه الهندسي هو مثل عملية التجنيد، تنظيم المدن يحتاج أعدادا قليلة، وهذا يلفت نظري أن أذكركم بأخطائنا في بلاد الشام، يتحول التنظيم بهذه الزيادة لعبء، لا تستطيع أن تستخدمه كله في العمليات، ويصير معرضا للاعتقالات، ومشاكل القواعد وكذا، لأنك تجاوزت نقطة الإشباع.

يقول:

[وتتحـدث هـذه النقطـة بطبيعـة الأرض، وقيمـة المحـاربين، وحـاجتهم للتمـوين، والتكتيـك المستعمل، وضرورة تقليل الخسائر].

عندك خمسة عوامل تحدد بهم نقطة الإشباع:

١- **بطبيعة الأرض.**
٢- **وقيمة المحاربين.**
٣- **وحاجتهم للتموين.**
٤- **والتكتيك المستعمل.**
٥- **وضرورة تقليل الخسائر.**

بهذه العوامل الخمسة تستطيع تحديد نقطة الإشباع في منطقة ما، وتعرف العدد الذي يلزمك فلا تتجاوزه.

يفصّل فيقول:

[إن منطقة ما قادرة على استيعاب عدد معين من الرجال. ففي الجبال مثلاً، حيث تشكل القمم والوهاد مساحة ميتة، يصبح هذا العدد جزءاً محدوداً أقل مما يتطلبه العمل في مكان آخر. وعندما التحقت شخصياً بالأنصار في الجبل، كان يستبد بي القلق عندما يزيد عددنا عن ستة أشخاص. وحتى في السهل، تصبح نقطة الإشباع أقل مما يمكن أن نقدره، فاستعمال أكثر من خمسة أو ستة رجال مثلاً، لمهاجمة قرية، عمل عديم الفائدة].

يتحدث عن حالته هو في جزيرة قبرص.

[فكلما كان المهاجمون كثرة، كلما ازدادت صعوبات تملصهم بعد المعركة].

والتملص أساسي في حرب العصابات، فإذا أدخلت إلى مدينة تتعرض للتطويق ٤٠ جنديا كيف ستسحبهم؟ بينما كان ماوتسي تونج يهاجم في الأرياف بـ ٢٥ ألف جنديا يستطيع سحبهم، لأن عملية الأرض وطبيعة التكتيك تساعده في هذه المسألة.

فهذا الدرس القبرصي مهم لكل التنظيمات التي ستعمل في المدن.

[**وبتطبيقنا للمبدأ ذاته، احتفظنا دائماً، بناء على أوامري، في القرى التي كنا فيها أقوياء، بجمود ظاهر**].

ليش؟ لأنه لو دوهمت المنطقة بسبب العملية، وألقى الخصم الشبكة ليصطاد= سيخرج بسمك كثير، وهذا حصل عندنا في حماة مدينة ٤٥٠ ألف نسمة، فيها أكبر شريحة للتنظيم في البلد كلها، فلما ألقى العدو شباكه في الشعب= اصطاد كثيرا من الناس الذين لهم علاقة بالحركة.

فهذه لفتة هامة جدا والحقيقة جديدة، يقول أننا في المناطق التي نكون فيها أقوياء نتحرك بقلة وجمود.

[**أما في القرى التي كنا فيها ضعفاء، فكنا نهاجم باستمرار بغية خداع العدو. فإذا حدثت اعتقالات، حتى لمجموعة بكاملها، لم يكن للأمر أهمية، إذ كانت هنالك دائماً مجموعة لتحل محلها. وهكذا لم أكشف أبداً حقيقة قواتي للعدو، وبعد كل موجة من العنف، كنت أترك ساحة المعركة خالية. وعندما كان البريطانيون يحاولون الرد، لم يكونوا ليجدوا شيئاً**].

هذا التكتيك ضروري جدا في المدن، نحن بالعكس عندما نرى أننا أقوياء في حي ما وأنه بإمكاننا الاختفاء بين السكان، فلما تضرب وتختفي تكشف المنطقة الخضراء، مناطق التخزين ومناطق العمليات، ولما يكون هناك تنظيمان مسلحان في نفس المدينة كارثة، لما يضرب واحد في منطقة هو فيها قليل ثم

ينسحب، وإذ بالآخر يضع في المنطقة مستودعاته فتكشف، وهذا من ضرائب تعدد العمل العسكري في نفس الرقعة، الذي يجب أن نسعى إلى حله بالحسنى، ينتهي ولكن بالحسنى، لأن حله بالتي هي أبشع أسوأ من المصيبة المترتبة على وجود تنظيمين، وهذا تكلمنا عليه البارحة.

[ذلك هو سر نجاحاتي خلال أربع سنوات من المعارك القاسية، ولم أغير مبادئي عندما دخل هاردينغ المسرح)].

هذه المقاطع فيها لفتات تكتيكية جديرة بالشرح أكثر من ذلك.

[ومن المجدي أن نذكر، بأن غريفاس يتحدث عن حملة تقوم قبل كل شيء على الإرهاب والتخريب، وتدار في جزيرة صغيرة لا تفسح مكاناً للمناورة، وتسعى إلى تحقيق أهداف سياسية أكثر منها عسكرية. فهو لم يهدف إلى إنشاء قواعد مستقلة، أو الوصول إلى الهدف الأقصى من حرب العصابات (المستحيلة في قبرص): وهو تعادل ميزان القوى العسكري].

يقول أن تعادل ميزان القوى العسكري الذي تهدف له حرب المدن وحرب الأرياف وحروب العصابات هنا مستحيل، لم يكن هناك تعادل في القوى بين الجماعة المقاتلة والجيش الليبي، هذا مستحيل، كان يجب عليهم البحث عن قضية أخرى، لم يكن هناك تعادل في القوى بين الطليعة والقوات السورية.

فهذا من الدروس التي تفرض على الناس أن تغير تكتيكاتها، ولذلك اعتبرت من أنجح أمورهم لما قالوا ننتقل إلى التراجع الاستراتيجي والهجوم التكتيكي، مع أن بعض الناس فهموا أن يلا خلاص انتهى الجهاد في ليبيا، ولكن هذا يدل على أنه لم ينته الجهاد في ليبيا، هناك عقليات مرشحة لأن تستمر، لو كانوا استمروا في المواجهات، لكن الآن كبّر عليهم أربعا، انسحبوا وركزوا على عملية وخز الرؤوس والتركيز على اغتيال القذافي.

[ففي ظروف مماثلة لظروف قبرص، كان يمكن اعتبار وحدات العصابات الصغيرة وكأنها (صالحة للاستهلاك) تماماً مثل الإرهابيين، الباحثين عن آثار سياسية ونفسية، عن طريق التضحية بأنفسهم في سبيلها].

كتبت هنا: لاحظ وحسبنا الله ونعم الوكيل، أعتقد أن هذه حالة كثير من الدول الإسلامية المشابهة التي أغلقت فيها سبل العمل قطريا، كما هو الحال في سورية الأردن تونس ليبيا تركستان ستأتي على الطريق قبل أن تبدأ إلخ، طروف العمل فيها أغلقت بشكل قطري لأنها جزر، وإن كانت بلادا –جغرافيا- مفتوحة ولكنها جزر محاطة بحدود صارمة، ولا يمكن أن نتخلص من هذه المشكلة إلا لما نفتح نحن هذه الحدود ونتحرك بشكل إقليمي، نخرج من حالة الجزيرة المحاطة بالأسلاك الشائكة.

يقول:

[وبمهارة فائقة، استعمل غريفاس بالتناوب مجموعاته المدينية والريفية. فعندما كان يرغب بافتتاح عملية في الريف، فإنه كان ينظم تظاهرات كبيرة في المدن، لتثبيت القوات، حتى تنفيذ المجموعات الريفية هجمات صاعقة على أهدافها].

هذه لفتة جيدة أيضا، لاحظ القائد الميداني ومعرفته ما يفعل، كيف يستطيع إنسان أن يسير مظاهرة وهي عمل سياسي، لأجل أن يستفيد منها في عمل عسكري في منطقة أخرى إذا لم يكن ميدانيا؟!

كيف يستطيع أن يهيج مظاهرة وهو عسكري؟ العسكري لا يستطيع أن يهيج مظاهرة، والسياسي الذي يقيم بالخارج الذي يستطيع تهييج مظاهرة هو خارج الحدود، فلا يستطيع أن يهيج مظاهرة.

[وعندما كان يخطط لعملية في المدن، كان يخلق مشاغلات في الأرياف، حتى يدفع القوات إلى القيام بعمليات (التمشيط)].

وعلى الرغم من أن جيوش الخصوم ومخابراتهم درست هذه التكتيكات وتعرفها، ولكنها تدخلها مجبرة، الحاكم العسكري الذي عنده قلاقل ومظاهرات في المدن يريد أن يحرسها ويتصدى لها، وهو يعرف أنه يفرغ المنطقة الريفية، لكنه مغصوب على أمره، فتحدث العمليات في الريف، فهذه قمة العبقرية لما توقع الخصم في فخ ليس له حل، ولو كان هو نفسه يعرف الفخ، لا يستطيع أن يخرج من الكماشة.

[وكتب غريفاس:

(كانت مواردي ضعيفة. ولم يكن بإمكاني تغذية أمل الحصول على نصر عسكري، وكانت المسألة تتمثل في تجميع قوة، وتعهد استمرار وجودها، مهما فعل العدو لإبادتها. ولقد توصلنا إلى ذلك وأكثر منه، بعد الأشهر الستة الأولى).

وقام هاردينغ عند وصوله إلى نيقوسيا، بمحاولة قصيرة للتفاوض مع مكاريوس].

من مكاريوس؟ الأسقف مكاريوس هو عمليا الجناح السياسي لثورة غريفاس، كان يقوم بعملية مطالبة باستقلال قبرص ولكن سياسيا، فهنا نقف مع موضوع وجود جناح سياسي مؤيد للجناح العسكري ونضع له شروطا، حتى لا يتحول الوضع إلى تنظيمين.

[وأخفقت المفاوضات في بضعة أيام، وأمر غريفاس بالهجوم العام، فهوجمت مراكز الشرطة بهدف جذب الجيش إليها من الريف. واقتحم رجال إيوكا منجم (متسيرو)، ثم غادروه بعد أن أخذوا ألفاً وخمسمائة حشوة من الديناميت، وستمائة صاعق، وثلاثة آلاف متر من فتائل الإشعال.

وقامت مجموعة أخرى باجتياح المخازن العسكرية في ميناء فاماغوستا، وأوثقت حارساً وكممته، وحمَّلت شاحنة بأكملها من السلاح: رشاشات ورشيشات وهاونات وقواذف بازوكا مضادة للدبابات].

نقف هنا فقط، كان مكاريوس يفاوض والآخر ينتظر نتيجة المفاوضات حتى يقوم بالاجتياح العسكري، فنقول هنا:

هذه فائدة وجود جناح طاف للعصابات، يعني فوق السطح، إن كان ذلك ممكنا، من أجل مفاوضات العدو للحصول على مناورات سياسية أو ما نسميه القيام بـ (حرب عصابات سياسية)، يعني حتى السياسيون أيضا يحاولون أن يحصلوا على مكاسب في منطقة لا تعتمد أنت فيها على كسر العدو نهائيا وسحقه في أرض المعركة، وحتى في تلك الحالة تحتاج –ولكن بجزء أقل– إلى جناح سياسي يأخذ ويعطي مع العدو، حتى تحصد نتيجة العمليات، لأنك إذا لم تأت بهذا الجزء السياسي سيأتي به تجار الإسلام وتجار السياسة ويقومون هم به، ويحصدون هم نتائج العمليات.

ولكن يشترط لهذا الجناح السياسي –في ظني والله أعلم– ثلاثة شروط:

أولا: أن لا يكون العدو مستعدا لسحق الجناح السياسي، ولذلك لما كنت أبحث عن العلماء العملاء في العالم العربي لكي أصنفهم في كل بلد، وجدت في سوريا ووجدت في المغرب وفي غيرهما، في ليبيا لم أجد علماء عملاء، لم يكن هناك علماء ولا عملاء ولا أحد أصلا، يعني حتى الجهاز الديني موظفوه رسميون في الوزارة وليسوا بمعنى علماء يسمع لهم الناس، النظام لم يترك أحدا إطلاقا.

ففي هذه الصورة ليس عندك أمل أن يوجد سلاح سياسي يفاوض، وسلاح عسكري يقاوم، ولما يكون العدو المستعمر نفس الشيء غير مستعد للمناورة، فلن تستفيد من وجود جناح سياسي.

إذا يجب أن يكون العدو غير مستعد لقمع هذا الجناح السياسي، إما لديموقراطيته فلا يستطيع، وإما لخضوعه للرأي العام، وإما للحاجة إليه، يعني غرضه الآن أن يحكي مع ناس، حافظ أسد خرج إلى

التلفزيون يقول: (هؤلاء يضربون يضربون يضربون طيب ايش يريدون؟ يقولون لنا ايش يريدون يمكن نحن نحل اللي يريدوه، ممكن نتفاهم)، فهو يريد هنا أن يتكلم مع أحد، فمين راح كلمه؟ كلمه الإخوان المسلمون، لم يكلمه العصابات المسئولة عن الأحداث.

إذا الشرط الأول أن تسمح طبيعة العدو بوجود هذه الكتلة السياسية.

الثاني: وهو هام جدا، أن تكون هذه المناورات السياسية وهذا الجناح السياسي كله= تابعا للجهاد العسكري وقياداته، وليس العكس، لا العسكري تابع للسياسي ولا منفصل.

ولذلك حتى غريفاس عانى من مكاريوس، لأنه كان يفرض تصوراته بسبب وجود المال معه، افعل كذا ولا تفعل كذا.

أما الإخوان المسلمون فقد سحقوا "الطليعة" إلى الآخر في هذه المشكلة، كجهاز سياسي يريد أن يفرض إدارته، حتى قالوا لهم: (تبايعونا لكي نتابع تمويلكم)، فالأخ قال لهم: انزلوا للداخل وعينوا مسئولا عسكريا ميدانيا، وأنا أول واحد أبايعه وأكون جنديا له، أما عامل يبايع فارّا= فما بيصير، فانقطعت كل صلة بين الإخوان والطليعة.

فالشرط الثاني: أن تكون تابعة للجهاز العسكري.

الثالث: أن تكون قيادة الجناح السياسي مؤمنة بالحل العسكري، وتعلم أن الحل العسكري هو الأساس، وما مناوراتها السياسية إلا تتمة للفصل، في حين أن كل السياسيين يظنون أن كل العمل العسكري في خدمتهم وموظف لصالحهم.

أضرب هنا مثالا مهما من بلاد الشام، المفاوضات التي دارت بين الإخوان والسلطة، وبين أئمة مساجد الصوفية والسلطة نيابة عن المجاهدين:

لما حصل التصعيد وخرج حافظ أسد يقول: كلمونا، ايش بدكم؟ ايش عايزين؟ أخذ قيادة الإخوان المسلمين من السجن وفاوضهم، فقيادة الإخوان أرسلت إلى المجاهدين يقولون لهم يعني خففوا العمليات

حتى نعطي فرصة للكلام، ثم في مرحلة أخرى أرسل حافظ أسد لمشايخ مدينة حلب وحماة يقول لهم: تفاهموا لنا مع هؤلاء الناس، فاتصلوا بالمجاهدين.

فكيف كان تصرف الطرفين؟

أما الإخوان المسلمون فكانت نهاية المفاوضات أنهم طالبوا بالمطالب الاستراتيجية العظيمة التالية:

أولا: إعادة الموظفين المفصولين.

ثانيا: تعويض السجناء عن مرتباتهم خلال فترة سجنهم.

ثالثا: إلغاء طائفية الدولة، -وهذا لا أدري كيف بيعملوه-.

رابعا: إعطاء حرية الدعوة في المساجد مرة أخرى.

فلما وصلت نتيجة المفاوضات لهذه القضية، كانت قبل ذلك أكبر عملية في تاريخ المجاهدين هي عملية "مدرسة المدفعية"، قام إبراهيم اليوسف رحمه الله بمجزرة ليست مشهورة لكنها قريبة جدا من حادثة "المدفعية"، ردا على هذه النتائج، مثل ما فعل هذا غريفاس، أخذ إبراهيم اليوسف ينصب كمينا لباص فيه قيادة "سرايا الدفاع" وحدات خاصة كانت آتية للإشراف على العمليات وعلى التحقيقات في شمال حلب، وتكلمت مع بعض الإخوة الذين قاموا بالكمين، كمين جميل جدا وبإمكانيات بدائية، حتى عُرض الباص في التلفزيون كان مثل المصفاة، طلقة طلقة طلقة في رؤوس كل الركاب ٣٠ واحد، وبعد ذلك صبوا عليه بنزين وأحرقوه.

فعلمت الدولة أن هؤلاء رفضوا كل المسألة، فكان التعبير عن رفض المفاوضات التي جاءت بنتائج ليس لها علاقة بأصل المعركة ولا بسببها، وعاد العمل مرة أخرى.

بعد ذلك أخذ حافظ أسد قيادة الإخوان المسلمين واستضافهم إلى القصر الجمهوري ثلاثة أيام، وإلى الآن ليس عندنا معلومات عن ما دار في تلك المحادثات.

ثم لما خرجوا أُفرج عن بعضهم، فسافر إلى الأردن، وتابعوا المسألة بالطريقة التي دمرت كل شيء.

ليش؟ لأنه جناح سياسي ليس له علاقة بالأهداف التي حُمل السلاح من أجلها، وليس مقتنعا ولا يُدار من قبل العسكريين.

ولما فاوضوهم مرة أخرى في ألمانيا مع المخابرات السورية في سنة ١٩٨٤ وأعلنوها في بيان، كانت نفس النتيجة، ولما فاوض مؤخرا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة النظام السوري في سنة ١٩٩٤، كانت النتيجة أسوأ بمائة مرة، لأنه تفاوض من غير عمل عسكري أصلا، فهي عملية استسلام غير مشروط.

كما لما فاوضوا –إذا صح الخبر– ممثلي الجماعة الإسلامية في مصر في السجن، واحد جاء يقول للخصم: خلاص أنا وضعت الحرب من طرفي، ولا أريد شيئا، حتى لا أريدك أن تخرجني من السجن، لم يذكروا في المطالب أن يخرجوهم من السجن.

فعملية المفاوضات مع الأجنحة المسلحة هذا علم قائم بذاته، وإلا تحول إلى مقتل.

أما المثال الثاني: فكان أشرف بكثير، لأن مشايخ حلب من الصوفية وعلماء المساجد كانوا يفاوضون المخابرات نهارا، ويجتمعون بعدنان عقلة ليلا، ويرسلون لهم مراسلين، ويجمعون التبرعات من المساجد ومن تلاميذ الطرق، ويناورون الدولة.

ولما علموا حكاها لي أبو النصر البيانوني -رحمه الله- بنفسه، رغم الخلاف الذي صار بينه وبين "الطليعة"، كنت أتوسط بينه وبين عدنان عقلة لإصلاح الوضع بين الجبهة الإسلامية بتاع العلماء، و"الطليعة" في الأردن، قال لي: (ذكّر عدنان، أليس لما كنا نفاوض الدولة، وكنا ندفع ثمن ٢٤ قاعدة في مدينة حلب من أموال المساجد التي جمعناها؟) ومع ذلك، قال لي أبو النصر: (أنا كنت مدير الثانوية الشرعية ولزمهم قاعدة، فأخذت ميزانية الثانوية الشرعية ٣٠٠ ألف ليرة نشتري بها قاعدة، ولو جاءني تفتيش على المدرسة كنت هروح على الإعدام) كل الأموال أعطاها للثورة.

فكان وقوف المشايخ لما فاوضوا الدولة وقوفا مشرفا، وليس كما فعل الإخوان، بل كانوا جريئين جدا.

في عندنا شيخ كان من أكبر علماء حلب وسورية ومنطقة الشرق الأوسط وله مكانة كبيرة، اسمه "محمد الشامي" وكان عريقا له أتباع كثيرون من التجار وغيرهم، عليم اللسان بكل معنى الكلمة، أراد أن يدخله حافظ أسد في لجنة العلماء هذه حتى يرى له ما يحدث، هناك شيء غير طبيعي.

فكانوا يقيمون الاجتماعات فقط إذا حضر.

فلما كُشفت طبيعة العلاقة بين المجاهدين والمشايخ، قال لي أبو النصر البيانوني وكشف لي سرا: (أنا أرسلت لعدنان عقلة قلت له: إذا بقي الشيخ محمد الشامي حيا إلى أذان الظهر غدا، فعندك ٢٤ عمامة في حلب سيعلقون على المشانق)، لأنهم كشفوا طبيعة العلاقة بين المشايخ والثورة، فأرسل عدنان عقلة مجموعة مرابطة على باب المسجد تنتظره، فما خرج، فالإخوة اجتهدوا اجتهادا في محله ودخلوا قتلوه في المسجد.

إنما هناك قضية هامة جدا، أن وضع الناس في حلب لا يحتمل عملية قتل الشيخ الشامي، فالمجموعة التي قتلته وضعت منشورا أنه تم إعدام الشيخ العميل محمد الشامي، فعدنان أرسل مجموعة أخرى تنزع كل المنشورات من المكان التي وزّعت فيه، وأرسلت إشاعة في البلد أنه قتلته المخابرات، لأنه جلس مع العلماء وتعاون معهم، فقتلوه ومشيوا في جنازته، وبقي أهل سورية إلى يومنا هذا يبصقون على الدولة، لأنها قتلت الشيخ الشامي.

ففي أكثر من عبرة من هذا الشاهد، أحببت فقط أن عملية المفاوضات يجب أن تتم إذا كانت الدولة مستعدة والعدو مستعدا، إذا كنت أنت مسيطرا على هذه المفاوضات، وكان هؤلاء الناس مسلّمين لك بالقيادة، ومقتنعين أن المفاوضات عمل ثانوي والعمل العسكري عمل أساسي.

الآن نتابع يقول:

[واشتد الاضطراب السياسي، وفاقم البريطانيون الموقف بمحاولات غير موفقة لمنع التظاهرات، حيث اختاروا أسوأ اللحظات للإعلان عن صدور حكم الإعدام على ميخائيل كاروليس (البطل الأول للثورة)، ونفذوا الحكم في ٢٨ تشرين الأول، يوم العيد الوطني القبرصي، يوم ذكرى رفض إنذار دول المحور لليونان في العان ١٩٤٠. وأعلن هاردينغ منع كل التظاهرات في الشوارع العامة، ورد غريفاس بأن دعا القبارصة للتصدي لذلك المنع، ونتج عن ذلك مجموعة من الاصطدامات، ففتح الجنود النار، وسقط ثلاثة من الجرحى، واعتقل أكثر من ألف شخص].

هنا الرجل دعى للتصعيد في توقيت مدروس، دعى الناس للتظاهر والإضراب ومواجهة منع المظاهرات، لأنه يعلم أن الناس ستتجاوب، وقلنا أنك عندما تنادي الناس للجهاد وتستنفرهم وتخطيء في الحساب فلا يستنفرون، فأنت تعطي إشارة للعدو: أنا ضعيف ممكن تضربني الآن!

فأي إعلان ونداء للجهاد في البلد أو على صعيد العالم الإسلامي يجب أن يسبقه دراسة مستفيضة لإمكانية تجاوب المسلمين، حتى لا تغري العدو بضعفك، وإلا أنت تقدم هدية للعدو، استفتاء شعبي بأنني ضعيف تعال اضربني!

والآن عندما نكلم الناس في قضية المقدسات، وهي أكثر شيء يمكن أن يثير المسلمين ولا يتحرك الناس للمقدسات= فهذا يغري العدو بمناسبة الوقت لهدم المقدسات وحرق كل شيء، فيكون خطئا في التوقيت، وخطئا في امتلاك زمام المبادرة، فهذا درس يمكن أن نستفيد منه.

[وهكذا انشغلت القوات البريطانية في المدن، وأمر غريفاس بهجوم على مستوى الجزيرة. وفي ١٨ تشرين الثاني، أُلقيت أكثر من خمسين قنبلة في أكثر من ثلاثين مكاناً مختلفاً، وتمت عدة مئات من الهجمات في أسبوع واحد، وتدمر أكثر من نصف مركز البريد في نيقوسيا، ونقلت قنبلة وزنها ثمانية أرطال في سلة على دراجة إلى معسكر (كيكو) في ضاحية نيقوسيا، فنسفت سقف

مقصف صف الضباط، وقتلت رقيبين. وهوجمت المراكز العسكرية في ليماسول ولارناكا. وهاجم ثوار العصابات في سلسلة سيرين، المفارز الحارسة لمنجمين، ودُمرت للجيش ثلاث عربات على الطريق، مما دفع القادة إلى وقف كل التحركات الليلية.

وقام غريفاس شخصياً بنصب كمين لشاحنتين عسكريتين فدمر واحدة، وانسحب إلى تلة مجاورة، شاهد منها بعد ثلاث ساعات وصول مفرزة إنقاذ حملت جثة الجندي القتيل، ولم تقم بأية محاولة لتفتيش المنطقة].

مساهمة القائد وزيارته للجبهة وقيامه بنفسه بعمليات عسكرية كثيرة إذا كان له ضابط، وهو ألا يتحول إلى جزء من عمل القائد.

وكذلك في نفس الوقت يجب عليه أن يحافظ على ميدانيته، لا يركن ويقعد، بل يأخذ أجر مباشرة القتال، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "من قاتل فواق ناقة وجبت له الجنة" يعني ثلث ساعة كما قدرها بعض العلماء، فهو لا يوفر على نفسه هذا الأجر، شعار وضعه إبراهيم اليوسف وكان رجلا ميدانيا جدا جدا، لما كانوا يقولون له: ارجع، فكان يقول: (إذا كنت إمامي فكن أمامي)، فالجهاد مثل الصلاة: إذا كنت إمامي فكن أمامي، الإمام يقف في الأول لا في الآخر، هذا الأصل في عملية القيادة الميدانية.

ولكن هذه الميدانية بما لا تتحول وتشغله عن مهماته الأساسية، وفيما لا يجعله عرضة للقتل أو الاعتقال، لأن هذا تكلفته في النفوس والمعنويات كبيرة جدا، وذكرت أن علي بن أبي طالب أقنع عمر بالعدول عن الخروج لما ثارت في نفسه، وأنه إذا انكسر، انكسر المسلمون وارتفعت معنويات العدو، وإذا انهزم المسلمون فلا تزال أنت فئة يرجعون ويفيئون إليك فتبعث السرية تلو السرية.

فيجب أن يكون هناك توازن بينهما.

يقول:

[وفي ٢٦ تشرين الثاني، أُعلنت الأحكام العرفية في الجزيرة، وتلقى جهاز الشرطة سلطات استثنائية، ومُنعت الإضرابات، وأضحى الموت عقوبة لحمل السلاح. ورد الجنود البريطانيون على اغتيال رفاقهم، بأن تصرفوا حيال السكان المدنيين كما تصرفت (فرقة البلاك والتانز) في ايرلندة، فأوقفوا الشاحنات المتجهة إلى الأسواق، ونشروا ما تحمله من ثمار وخضار على الطرق، وانتهكت حرمات المنازل، وأُتلفت الممتلكات، على نطاق واسع، واعتقل المشبوهون والموقوفون عدة أشهر دون محاكمة. ويختصر غريفاس الموقف بقوله: (لقد تصرفت قوى الأمن بشكل وكأنها تريد عمداً أن تلقي السكان في أحضاننا) وهذا ما وقع بالفعل].

☙ ☙ ☙

[وتوجه غريفاس إلى جبال ترودوس لتنسيق أعمال العصابات، وتعرض للاعتقال في عدة مناسبات. وفي إحدى المرات، وبينما كانت، وحدتان بريطانيتان، مجموع أفرادها سبعمائة رجل، تبحث عن الثوار، اقتربت أحداهما من الأخرى. وسط الضباب لمحاصرة ثوار العصابات، وتملص الثوار بسرّية، واشتبكت الوحدتان مع بعضهما بالنيران لمدة ساعة، قبل أن تدركا خطأهما، وسقط من جراء ذلك أكثر من خمسين قتيلاً وجريحاً].

أقول: هذا يمكن تكراره مع تعدد وحدات الأمن في بعض البلاد وعدم مركزيتها، مثل ما هو عندنا في بلاد الشام: الأمن السياسي، الأمن العسكري، أمن الدولة، المخابرات العامة، أمن القصر الجمهوري، أمن القوى الجوية، والأمن الما أدري ايش، ٦٠٠ جهاز أمن ليسوا مرتبطين مع بعضهم مع بعضهم مركزيا، بعضهم عندهم أسماؤنا نحن ملاحقون عند جهاز، وغير ملاحقين عند جهاز آخر.

ففي ظل هذا الارتباك الأمني الذي يكون بداية في بداية حرب العصابات= يمكن توريط هذه الأجهزة بعضهما مع بعض، ولكن سرعان ما أخذوا الدرس، وأداروا المسألة مركزيا، وانتهوا من حالة الميوعة الأمنية التي كانت موجودة عندهم، ونحن أعطيناهم ضربة لم تكسر ظهروهم، فقوتهم وأصبحوا أكثر استعدادا، والآن كل الناس تبادلت الخبرات الأمنية.

[وفي أول كانون الثاني ١٩٥٦ أعلن هاردينغ من الإذاعة، بأن أيام إيوكا معدودة. وفي اليوم التالي توجه ٨٠٠ من الرجال نحو الأحراش، حيث كانوا يظنون أن غريفاس مختبئ، وأمضوا النهار كله في تمشيط مساحة ثلاثة كيلومترات مربعة وانسحبوا مع ثلاثة من الأسرى فقط. ويقول غريفاس: (كنت على بعد ثلاثة كيلو مترات مربعة جنوباً، أشاهد العملية بالمنظار. ولقد ذهلت لسخافة الطريقة التي استخدمها الجنود)].

سنفصل بعد ذلك أكثر في نقطة الميدانية، قلت لك الجهاد في سورية كان فيه أخطاء، وكان فيه نقاط لامعة جدا، منها ميدانية القيادة مباشرة، وحكيت لك الخطاب الذي ألقاه عدنان عقلة في مقهى، خطاب توجيهي إعلامي شرح لهم أهداف الثورة وايش القصة والنصيرية وكذا، وهو ومن معه مسلحون والناس ترى السلاح، عملية استعراضية.

قال:

[وفي ٢٢ كانون الثاني، هاجمت وحدات إيوكا كل قرى الجزيرة، وفي الوقت نفسه، بغية الاستيلاء على آلاف بنادق الصيد المرخصة من قبل الشرطة، وغنموا منها أكثر من ثمانمائة، سلح بها غريفاس فصائل خاصة، وذلك (لإزعاج) البريطاني ليلاً، ومهاجمة الثكنات العسكرية ومشاغلة القوات، وإعدام الخونة).

وفي شباط ١٩٥٦، وصل عدد القوات البريطانية إلى اثنين وعشرين ألف رجل. وكان لدى إيوكا في ذلك الوقت ٢٧٣ رجلاً في (وحدات الصدام) يدعمهم في القرى ٧٠٠ من ثوار العصابات المؤقتين، المسلحين ببنادق الصيد. وكانت (وحدات الصدام) تضم في نيقوسيا ٨٠ مقاتلاً موزعين على خمس عشرة مجموعة، وتضم في فاماغوستا ٧٦ مقاتلاً، وفي ليماسول ٣٤. تلك هي المدن الرئيسية في الجزيرة. وكان البريطانيون يمتلكون تفوقاً عددياً كبيراً، وقد خلُص غريفاس إلى الاعتقاد، بأن الجيش المدعوم بخمسة آلاف شرطي عبارة عن (جسم يصعب تحريكه ويقدم عدة أهداف، قديمة وجديدة، سواء في المدن أو الجبل)].

هذا صحيح، وسبق أن بينه لما تحدث عن "نقطة الإشباع" كاصطلاح عسكري، وهذا ذكرني بمرحلة الازدهار العسكري في الجهاد في بلاد الشام، لما نفذوا "مدرسة المدفعية" كانوا عشرين شخصا في المدينة، وكانوا حوالي ١٠٠ شخص في حماة التي هي أصل التنظيم، وبضعة عشر رجلا في دمشق، وأحدثوا أفضل ثأر عسكري في تاريخ الجهاد في سورية.

ولما فُتح التنظيم بدون ضبط، وصار عندنا في المدينة ١٥٠٠ رجل منهم المكشوف ومنهم غير المكشوف= تسارعت عمليات الاعتقال، وكشف القواعد، ولم يكن من الممكن وضع الملاحقين في قواعدهم، فتحول هذا الجسم إلى عبء شديد جدا، ولم يكن له أي مساهمة في العمل العسكري.

وهذا ذكرني به كلام غريفاس أنك تهاجم في المدن بخلايا صغيرة، إذا كبرت قليلا يصبح انتحارا، هنا دروس بليغة في تجربة قبرص، ففي عملية التمدد التنظيمي في قتال المدن يجب أن تكون الخلايا صغيرة العدد، والملاحق إذا كان هناك أرياف فليخرج إلى الأرياف، المدن لا تحتمل كمية كبيرة من العصابات.

قال:

[وشددت إيوكا حملتها الإرهابية والتخريبية، وانفجرت قنابل في مساكن كبار الضباط، والنوادي، والحانات التي يرتادها الجنود. وتوصلت خادمة – عضوة في إيوكا – إلى وضع قنبلة تحت سرير السير جون هاردينغ، ولحسن حظ الحاكم، أدى التغير المفاجئ في الحرارة (كما يقول غريفاس)، إلى تأخير التوقيت، فلم تنفجر القنبلة إلا بعد أن اكتشفت وانتزعت من مكانها].

هنا وقفت وقفة قصيرة في قضية هذه الجاسوسة، أقول: أهمية زرع الأعضاء في جيش العدو أو جماعات الأمن، لا سيما إذا كان العدو محتلا أجنبيا، فتسهل عمليات الزرع، لأنه سيحتاج إلى كميات كبيرة من الخدم والعاملين معه في الخدمات اللوجستية من أهل البلد.

في بداية الجهاد في بلاد الشام، طبعا كان العمل ضد النصيرية، تصور حتى وقت متأخر كان الحرس الجمهوري لحافظ أسد معظمه من أهل السنة، وعملية الاغتيال الرئيسية الناجحة والتي كانت تهدف أصلا إلى اختطاف حافظ أسد ورئيس السنغال في دمشق، أشرف عليها اثنان من الإخوة من أهل السنة من حلب، وكانا من الحرس الجمهوري الخاص، وتصور أنهما خرجا أحياء من العملية.

وحدث عدنان عقلة قال: كنت قاعد أنا بنتظر فقط الأخبار، أنه كيف هناخد حافظ أسد وبعدين نتابع المفاوضات مع الدولة أو إعدامه، يعني خلاص حسم المسألة.

قال الأخ: لما شفت حافظ أسد أمامي، قلت حتى نخطفه ونطلع لن نخرج أحياء، فغير الأوامر كلها في ذهنه، وبدل أن يخطفه، أخرج قنبلة يدوية ورماها عليه وعلى رئيس السنغال، فلما رمى القنبلة لم تنفجر، دخلت بينه وبين رئيس السنغال، فرمى القنبلة الثانية، فقام أحد الحرس الشخصيين وللأسف ليس نصيريا وإنما هو فلسطيني، ألقى بنفسه على القنبلة مباشرة، فانفجرت فيه وحمى سيادة الرئيس!

طبعا بعد ذلك بُدل طقم الحرس الجمهوري، والقريبين من كل القيادات، إلى نصيريين أو من طوائف أخرى من المؤكد أنهم لن يتعاونوا مع المجاهدين.

يقول:

[ويبدو أن البريطانيين لم يتعلموا الكثير من تجاربهم الأخرى عن الإرهاب. وكانت جهودهم لمنعه منصبة على تخويف الأهالي من مساعدة إيوكا، فلم يتوصلوا إلا إلى إسخاطهم. وفرضوا غرامات جماعية على الأماكن التي هوجم فيها جنودهم، وكانت بضع مئات من الجنيهات الاسترلينية في القرى، لكنها بلغت أربعين ألفاً في فاماغوستا وخمسة وثلاثين ألفاً في ليماسول – ثم بدت الوسيلة غير فعالة، فأهملت بعد ستة أشهر].

واضح أن الإنجليز كانوا متخبطين جدا.

[ولم تشكل الشدة الصارمة، حيال مقاتلي إيوكا، الذين يتم أسرهم، ردعاً كافياً، بل كانت لها نتائج سياسية هامة. ففي ١٠ أيار ١٩٥٦، شُنق في سجن نيقوسيا المركزي أول دفعة من مقاتلي إيوكا بتهمة القتل، وحدثت تظاهرات احتجاج ضخمة في اليونان، وقتل سبعة أشخاص أثناء الاضطرابات في أثينا، وقام محافظ المدينة، وسط تصفيق الجماهير، بتحطيم لوحة من الرخام كانت ذكرى لزيارة الملكة اليزابيث والأمير فيليب. وأدانت الصحافة البريطانية نفسها أعمال الشنق هذه. وفي اليوم التالي، وانتقاماً لهؤلاء، قام الجنرال غريفاس بإعدام اثنين من الرهائن. وقد سبب مصير الرهينتين شيئاً من التعاطف، لكن العناوين الرئيسية في الصحف كُرست لما اعتبره ملايين من الناس خطأً من العدالة البريطانية.

إن من سخريات الحرب السياسية – وتلك مسألة لا بد أن تُعرف وتُفهم – أن القواعد ليست هي نفسها لكلا المعسكرين].

هنا لنا وقفتان رقم ١٧٢ و١٧٣:

أما النقطة الأولى فأقول قضية الردع، يجب أن تتحلى العصابات بأسلوب الردع، ردع العدو وردع المتعاطفين مع العدو محليا وخارجيا وعالميا، وذكرت في كتاب "التجربة السورية" أن حافظ أسد كان يتعرض للسقوط، حتى دفع الملك فهد مبلغا كبيرا لإسناد الحكومة النصيرية، ولما طرحنا يا جماعة لابد أن يكون هناك ردع للسعوديين في هذه المسألة= قالوا عندنا عوائل، وعندنا كتل سياسية موجودة، ومشايخ موجودون في السعودية، فيجب ألا نفكر بهذه الطريقة، فتمادت السعودية أكثر ودعمت النظام.

تكررت المسألة مع الجزائر، وتكررت الآن حتى مع ليبيا، والبارحة سمعت أن الأمير نايف في ليبيا.

الشاهد أن قضية الردع والثأر للأسرى والمعدومين والمخطوفين من المسلمين بصورة مباشرة تماما للحدث، هذا العمل هام لردع العدو من أن يفكر في تكرار عمله، ولرفع معنويات المتعاطفين معنا ومقاتلينا، وإعطاء الأمل لمن يعمل بأنه إذا أُسر فسيكون وراءه من يطالب به، ولا تنخفض معنوياته مباشرة بعد الأسر.

وكذلك تشجيع من يريد أن ينضم للجماعة لأنه يشعر أنها مسئولة عن عناصرها، وللأسف هذه واحدة من المِقاتل والسوءات سنعرضها بالتفصيل، عندما نتكلم عن أخطاء العمل الجهادي.

خُطف الدكتور عمر، فاستغاث واستنجد وأرسل رسالة مفجعة ولم تحدث أي أثر، بالعكس أعطت مؤشرا للعدو بأن هذه الأمور إذا لم تهز المسلمين فلن يهزهم ما هو أعظم منها، وخُطف أبو طلال ولا جماعته تحركت ولا جماعات الجهاد كلها في مصر تحركت، ولا باقي الجماعات الجهادية تحركت، ولا المسلمين تحركوا، فخُذلوا بدءا من جماعتهم إلى أهل السلاح في مصر، إلى كل أهل السلاح في التيار الجهادي، إلى كل المسلمين.

وقل مثل ذلك عندما خُطف ناس آخرون، والمصريون حقيقة دفعوا ثمن هذا باهظا سُلم أكثر من عشرين رجل من الخليج، وسُلم ناس من الأردن بينهم أبو حذيفة أخونا بتاع مركز النور، وهو كادر لا يعوض، وسُلم ناس حتى من تايلند، وأصبحوا يُتخطفون من كل الأرض.

وأقول مع ذلك يجب أن نأخذ درسا بليغا جدا، كل العصابات تقوم بممارسة هذا الردع، الشيعة وحزب الله حصدوا نتائج وحتى على صعيد السعوديين وأمريكا، وأود أن أذكركم بحادثة جميلة جدا، أن أحد مقاتلي حزب الله وهو مسئول عن تخطيط العمليات الخارجية واسمه "عماد مغنية"، حضر المؤتمر الشعبي الإسلامي في السودان بتاع الترابي، وكان يريد أن يرجع فنصبوا له كمينا في مطار جدة، لأن طيارته ستتزود بالوقود، فجاءت المخابرات الأمريكية –على أساس السعودية محمية من محمياتهم– ونصبت له كمينا.

وكانت مخابرات السعودية ووزارة الداخلية لا تريد أن تسمح بهذه العملية أن تتم، والثأر لن يكون من الأمريكان، بل سيكون من السعوديين، وسبق أن عرفوا أن حزب الله اغتال أربعة دبلوماسيين للسعودية في بلجيكا وفي اسطانبول وفي بانكو، فكان حتى هذا العميل الجزمة في حذاء الأمريكان لن يسمح لسيده أن يستخدمه في هذه المشكلة، فتصرفوا بذكاء جدا، أمروا برج المراقبة ألا يسمح للطائرة بالهبوط في مطار جدة، فلما تلقى الطيار إشارة ألا يهبط، تنبه عماد مغنية أن هناك مشكلة فعاد مرة أخرى إلى السودان، وأخذ رحلة أخرى، ولجأ إلى حيث مقره في إيران.

فالسعوديون كانوا مرعوبين وإلى الآن من قضية الشيعة ويدفعون لهم الأتاوة والجزية، حتى لعصابات صغيرة.

أما حزب الله الصغير في لبنان والذي يعتمد أصلا في عناصره على أهل السنة في لبنان، فقد حصد النتيجة السياسية أن إسرائيل تفاوضه وتقيم معه اتفاقيات، وتحترمه أكثر من مجموع الدول العربية كلها.

فعملية الردع بحث إن شاء الله سنفصل فيه، فهو قال هنا أعدموا شخصين فأعدمنا رهائن، مباشرة.

باكستان سلمت اثني عشر أخا من التركستان، وما زالوا هم في مهد التحضير للمسألة، فلما يسيطر عليك أنت الرعب أنه ضربني كفا إذا رديت فسيرفدني، إذا رديت فسيطأني، وبعدين فين نهاية الانبطاح؟ نهاية الانبطاح أن تقوم بأساس عمل العصابات وهو الردع، لابد أن تعلم أن كل الخسائر المترتبة على الردع أهون من النتيجة النهائية لعدم الردع.

المسألة الأخرى: يقول أن (من سخريات الحرب السياسية – وتلك مسألة لا بد أن تُعرف وتُفهم – أن القواعد ليست هي نفسها لكلا المعسكرين) وهذا صحيح، وأقول وهذه فكرة للمناقشة: لذلك يجب أن نمد مرحلة اللا دولة، لا نفكر بإقامة دولة في مرحلة مبكرة، ونصبح عرضة للضغوط السياسية والدبلوماسية، ومسئولين أمام الرأي العام العالمي والمحلي، إذا كان بالإمكان أن نستفيد من إيجاد دولة بجانب الدولة تتصرف بدون أن يكون عندها مسئوليات الدولة.

الآن أنت في منطقة مثل اليمن مثلا ولا مثل الأردن، تريد أن تستلم الحكم، شوف كل العقبات والضغوط، وانظر للطالبان الآن لما شكلوا حكومة، وكل التوقعات تشير لو أنهم استلموا الشمال وأصبحوا دولة حقيقة ولها ممثل في الأمم المتحدة، فبسبب كل الضغوط السياسية= لن يستطيعوا أن يتصرفوا بحرية، كما حالتهم كحركة ميليشيا من العصابات، ليست مسئولة مسئوليات الدولة.

وهذه لفتة يجب أن ننتبه إليها، متى تكون عندك القدرة على أن تتحرك كدولة، ولا عندك الأفضلية أن تستمر في الحركة كعصابات إدارية، مسألة جديرة بالدراسة، لأن الدولة أو الكتلة السياسية المعروفة تتعرض لضغوط ليست كما هي في حالة العصابات.

يقول:

[ولم يحقق الجنود أمام ثوار العصابات في الأرياف نتائج أفضل من التي حققوها في مواجهة المخربين في المدن. فقد أحرقوا عدة هكتارات من الغابات لإخراجهم من الجبال، ولم يمسكوا إلا عدداً قليلاً منهم، وتم استبدال الخسائر مباشرة.

وكتب غريفاس: (لقد حاول هاردينغ تدمير مجموعتنا الجبلية، لكن بما أنه لم يكن يملك مخططاً مدروساً، ولا يفهم طرقنا، فإنه لم يحصل على أي نجاح. وكانت فعاليته تتوقف على الإخباريات التي يقدمها له مخبروه من وقت لآخر، والتي كانت غالباً غير صحيحة أو مشكوك بها. وهكذا فقد كان

يحتشد في منطقة ضيقة، ويرسل إليها زهاء خمسين شاحنة من جنوده، الذين يقومون بتفتيشها لمدة نهار كامل. وكنا نتملص غالباً من ذلك التنقيب قبل حدوثه، ونراقبه من المرتفعات المجاورة، متأكدين بأنه لن يتعدى الحدود التي رسمت له)].

هذا يذكرني هنا بالملاحظة ١٧٥ في موضوع التمشيط الذي تعرض له إخواننا في المدن في بلاد الشام مرتين، طبعا كل مرة فيها سلسلة من التمشيطات، مرة فشلت في حلب، ومرة نجحت تماما في حماة وأدت إلى انفجار حماة المعروف.

أما في مرة تمشيط حلب فذكرت أني كنت في المدينة خلالها، فأستطيع أن أصفها بأنهم أطبقوا على المدينة بحوالي ٢٥ ألف جندي وطوقوها من الخارج، مع أن المدينة محاطة بالبساتين والكروم، ومنطقة سهلية أصلا، فأغلقوها إغلاقا جيدا، وأدخلوا حوالي ١٤ ألف جندي، كل المجموعات قياداتهم نصيرية، ومشطوا المدينة حوالي ٢ مليون من السكان، يعني مئات الألوف من البيوت، مشطوها بيتا بيتا، ودُخلت بعض البيوت حوالي سبع مرات.

ومع ذلك كان مخطط "الطليعة" عند ذلك ألا يشتبكوا، وكان المشرف على العملية النقيب إبراهيم اليوسف رحمه الله، رجل عسكري وفاهم المسألة، فانسحبوا إلى القواعد، والإخوة ابتكروا تكتيكا إن شاء الله سنتحدث عنه، المخابيء داخل البيوت وبناء سراديب تحت الأرض، أو في الغرفة بطريقة لا تلفت النظر، إخفاء المداخل والمخارج، وطرق للتهوية والفضلات والماء، وجهزوها ضمن حاجتهم للعمل، وانسحب بعضهم للأرياف، ونام بعضهم في المقابر وفي حمامات السوق التي تفتح من الصباح إلى آخر الليل، يعني لم يصطدموا.

وقاموا بعملية استفزاز للدولة، فبعد أن تنتهي الدولة من تمشيط حي بكامله في المدينة القديمة، بعد ما يخرج الجيش لخارج المدينة يقوم أحد الإخوة بإطلاق بضعة طلقات من الرصاص، فيرجعون مرة أخرى يمشطون المكان، ثم لا يجدون شيئا فيخرجون، وفشلت عملية التمشيط، وقام الإخوة خلال التمشيط مرتين

باستدراج الجيش إلى خارج المدينة ونصبوا لهم كمائن في الكروم والبساتين المحيطة بمدينة حلب، فكانت تجربة ناجحة لأن العصابات تملصت.

أما الذي عملوه في حماة، فكان أول شيء كثيفا جدا، ثانيا لم يكن بإمكان الإخوة أن يتملصوا، وذكرت التفصيل في كتاب "التجربة السورية"، خلاصته أنه فرضت الدولة، ولا ندري إلى الآن بتسيب ولا بعمالة من القيادة السياسية للإخوان المسلمين التي كانت تعمل اجتماعاتهم بين "عمان" و"المدينة" في السعودية، ضبطت المراسل الأساسي الذي يربط العصابات في مقرهم بحماة بالجيش الذي يعد الانقلاب بالقيادة السياسية التي تجلس في "المدينة" وفي "عمان".

فعرفوا المخطط الأساسي، وأنه مرتكز أساسا إلى انقلاب وإلى العصابات، فقبضوا على ضباط الانقلاب الذين جاءوا أساسا من جماعة عصام العطار، وهم حصيلة الاختفاء ٢٥ سنة في الجيش السوري، وأعدم حوالي ٤٢٠ ضابط خلال شهرين أو ثلاثة، وعلى رأسهم العميد "تيسير لطفي" وقُصم ظهر كل شيء لأهل السنة في الجيش السوري، ثم بقي عليهم (إخراج الضب من جحره) كما قال أبو جعفر المنصور.

لما علم أبو جعفر بحركة محمد النفس الزكية، كان مخططه أن يرسل شخصا يقنعه بالخروج قبل الأوان، فلما أرسل له شخصا يساعده يقول له: أنتم لابد أن تخرجوا وأنتم على حق وأنتم كذا ولابد أن تخرجوا اخرجوا، فخرج، فلما خرج قبل أوانه للمواجهة في المدينة كان من فرح أبي جعفر المنصور وفهمه لحرب العصابات، حمل عمامته –من فرحه فقد توازنه– وألقاها في الهواء وقال: (أخرجت الضب من جحره)، فلما خرج استطاع أن يواجهه مواجهة مكشوفة، وقضي على الحركة.

نفس العملية حصلت، وطُوقت حماة بثلاثة أطواق من الجيش، وكلهم طبعا من السنة، وبدأ تفتيش المدينة بكتائب، تعتمد على اعتقال ألف إلى أربعة آلاف رجل في اليوم، يتعرضون للتعذيب والضرب وعملية اصطفاء من الاستخبارات، يخلصون كل يوم إلى مائة شخص، يبدو أن لهم علاقة، يعصرونهم عصرا فيخرجون بعشرة أشخاص لهم علاقة فعلا، هذه الطريقة استخدمها الروس في تشيكوسلوفاكيا، عملية العصير الجماعي هذا للشعب.

ثم بعد أن حددوا مواقع العمليات صاروا يأتون يضعون المتفجرات على القاعدة ولا يشتبكون، ينسفونها بمن فيها من المدنيين والمسلحين، فشعر الإخوة أنهم يذهبون مجانا، فكان كما شرح أبو بكر في رسالته لقيادة الإخوان وكنت معهم، أن عندنا فرصة أن نقاتل حتى لا نذهب مجانا، ونعطي أهل السنة فرصة لأن ينشقوا من الجيش، ونعطيكم فرصة للعمل.

فلا الناس في الخارج كانوا مستعدين، ولا الجيش السني الذي كان سينشق لصالح المجاهدين كان له خيارات، وهو بدون توجيه، فانفردت الدولة بالعصابات التي أخرجتها إلى العمل، وقُضي على العمل برمته.

هذا كان تكتيك التمشيط الذي حصل، وأسفر عن قتل ٥٠٠ رجل من المجاهدين، رغم أن "أبا بكر الجواد" رحمه الله لما نادى في المساجد حي على الجهاد في صلاة الصبح يوم ٨ شباط تم تسليح ١٥ ألف رجل من المدنيين، وكان عندهم ٥٠٠ آر بي جي مقاومة للدروع، وكان عندهم عشرات الهاونات الخفيفة بين عيار ٦٠ و٨٢ ، واستطاعوا أن يبيدوا عدة إنزالات مظلية فوق المدينة.

ثم اكتشف أخونا أبو بكر أنه يجب أن ينسحب إلى نصف المدينة القديمة، ويتخلى عن المدينة الحديثة لعرض الشوارع، فانسحب بعد أربعة أيام إليها، وقاوموا فيها ١٤ يوما، واشتبك حتى النساء ساعدوا في نقل الذخيرة والطعام والماء، يعني عدد الذين دخلوا في القتال أكثر من ٣٠ ألف من المدنيين، ولكن الجيش لما فشل انسحب وقصفها بالصواريخ، فمُسح ربع المدينة وقُتل ٤٠ ألف رجل، ولما دخل الجيش بعد ذلك قتل ١٥ ألف رجل بإعدامات جماعية، ومورست بعد ذلك عمليات تعذيب وانتهاك للأعراض من أعجب ما يكون، وتركوا الناس المرعوبين يتوزعون إلى المدن حتى تصل أخبار الرعب إلى المدن الأخرى، فتكون عبرة لمن يعتبر.

فهذا درس في تحول عملية التمشيط إلى نجاح من قبل الجيش، وكان الذي حصل في حماة مرشح أن يحدث في حلب لو قاوم الإخوة في سنة ١٩٨٠، ولكن تجنبوا عملية التمشيط.

يقول:

[ماذا كان بوسعه أن يفعل؟ لقد لقد قام غريفاس فيما بعد بدراسة المشكلة التي واجهها عدوه، وكتب:

(استمرت هاردينغ على خطئه: فهو لم يقدر خصمه حق قدره من جهة، كما بالغ في إمكانيات قواته من جهة أخرى.. إن من الخطأ استعمال دبابة للقبض على فأر، لكن بمقدور هرٍ أن يقوم بذلك خير قيام. وان الأمل الوحيد المتاح للمارشال من أجل الإمساك بنا، هو أن يلعب معنا لعبة القط والفأر، وذلك باستعمال مجموعات صغيرة مدربة لهذا الغرض، وقادرة على التمسك بالحيلة والصبر، والضرب بسرعة وفي اللحظة غير المتوقعة)].

وهذا ذكرني هنا بالملاحظة ١٧٦: ما فعلته المخابرات السورية، بنشر ما سُمي بـ "الحواجز الطيارة"، وهي مجموعات خفيفة تقوم بعملية تطويق مفاجئ، ونظرا لأن معظم الإخوة ملاحقون ويتحركون بهويات مزورة ومسلحون، فكانوا عرضة لأن يقعوا في اشتباكات مع الحواجز الطيارة، وقُتل خلال ١٦ يوم حوالي ٦٤ أخ في المدينة، فهذا من تكتيك استخدام هر صغير مناسب لحجم الفأر.

وبعد ذلك قام الإخوة عندنا بنصب كمائن لهذه الحواجز الطيارة، وأبادوهم إبادة جماعية بعد ذلك، فهي عبارة عن تكتيكات متطورة بين العصابات وجنود مكافحة العصابات.

أقول على الهامش بأن هناك تطويرا الآن، فلم يعودوا يضعون هرا مقابل الفأر، أصبحوا يزرعون فئرانا خاصة بذلك، وتقوم بكل ما هو معروف من عمليات اختراق، حتى أصبحت بعض الفئران قيادات في جحر الفئران هذا، وأصبحت توجه الجحر كله باتجاهات عكس الذي أسس من أجله.

يقول:

]ولم يشكل البريطانيون مطلقاً مثل هذه المجموعات، واتعت الحرب مجراها، وأعطت النتائج المتوقعة منها. وما لم يتوصل هاردينغ إلى عمله، في العام ١٩٥٦، بعشرين ألف رجل، فشل خلفه في تحقيقه في العام ١٩٥٨، وبعدد مضاعف من الجنود. وعندما توقفت الأعمال العدائية، كان في قبرص ثلاثة وأربعون ألف جندي بريطاني، وقلة من الناس تملك القدرة على الحديث عما كان هؤلاء الجنود يفعلون. ومن المؤكد أنهم لم يكونوا لحفظ السلام.

ويمكننا أن نكون فكرة عن نشاطات إيوكا في تلك الحقبة، من خلال هذه اللوحة التي قدمها غريفاس عن نهار الثاني من تشرين الأول ١٩٥٨.

(لارناكا – مقتل جندي بقنبلة، إعدام عميل مدني من قبل فصيل الإعدام.

نيقوسيا – إلقاء قنبلة من سيارة على القيادة العامة للشرطة، والنتائج مجهولة.

فاماغوستا – نصب كمين لشاحنتين عسكريتين، وسقوط عدد مجهول من الضحايا.

ليماسول – جرح أربعة انجليز بسبب قنبلة أُلقيت على فندق (أكربول) وجرح أربعة جنود بقنبلة أُلقيت على شاحنة.

بلاتيني – انفجار لغم تحت شاحنة، مما أدى إلى مقتل جنديين وجرح اثنين آخرين.

بانايا ستافروس – مقتل جنديين وجرح اثنين آخرين بكمين.

بيروا – نصب كمين لشاحنة، وسقوط عدد مجهول من الضحايا.

ميزويي – مقتل جنديين في كمين.

بيي – انفجار لغم تحت شاحنة، ومقتل جنديين وجرح اثنين آخرين.

بيريسترونا – قذف قنابل على شاحنتين عسكريتين، وسقوط عدد مجهول من الضحايا)

وقد فاقمت السلطات البريطانية طبيعة الصراع، دون أن تغير مجراه، عندما ورطت فيه القبارصة الأتراك. وأدي تطويع الأتراك في الشرطة وإثارة النعرات العرقية إلى وقوع بعض المذابح بين المدنيين، وسقوط ضحايا بريئة في كلا المعسكرين. ولكن قاعدة (فرق تسد) لم تنجح في قبرص].

في حين نجحت نجاحا منقطع النظير في الخليج العربي، طبعا نتيجة الجهل والفارق الحضاري بين تجمعين بشريين.

[وباتفاقيات زوريخ ولندن، الموقعة من قبل انجلترا وتركيا واليونان، نشأت جمهورية قبرص بدستور مضمون من الدول الثلاث، ولم يرضِ الحل غريفاس، الذي لم يكن يرى في الاستقلال إلا خطوة أولى للوحدة مع اليونان (إينوسيس)].

يعني كان عنده تصور أممي أصلا عن معركته في قبرص، وهذا لابد أن يلفت نظرنا للأهداف الثانوية، التي من الممكن أن يفكر فيها بعض القادة القطريين للجهاد.

[ولا يستطيع البريطانيون الادعاء بالحصول على نصر، ولو جزئي. فالصراع العبثي الذي دام أربع سنوات، كلّفهم غالياً بالأرواح والمال والسمعة، وانتهى بحل وسط على الورق، أسوأ من هزيمة سافرة. وحتى ذلك الحين، لم يكن هناك إلا مسألة استعمارية مزعجة، ثم ظهرت بعد ذلك قضية عالمية متفجرة، لا تزال تشكل تهديداً جسيماً للسلام في البحر الأبيض المتوسط، وللبريطانيين أنفسهم].

هذا موضوع آخر، إذا تبقى وقت سنتكلم عن المشاكل العالمية القريبة من محيطنا، وتمسنا ممكن تكون بوابة للقتال، هي مسألة قبرص والاشتباك التركي اليوناني فيها.

[أما النزاع الذي أدى إلى اتفاق زوريخ، فقد كان، جولة بعد أخرى، مجموعة من الهزائم السافرة للسياسة والأسلحة الاستعمارية. وقد تصرف البريطانيون حيال إيوكا كما يفعلون مع المجرمين العاديين، وبنفس الوسائل المستعملة لقطع دابر موجة إجرامية. ولم يبد لهم أنهم فهموا أبداً ما كان غريفاس قد وعاه بوضوح كامل منذ البداية:

(كنت أقهقه من الضحك، عندما كنت أقرأ بأن الجنرال فلان أو الجنرال فلان قد جاء إلى قبرص، لتطبيق الأساليب التي كونت سمعته في أماكن أخرى. ولم يكن بوسعهم أن يفهموا، بأن الصراع في قبرص كان استثنائياً، بدوافعه، وسيكولوجيته، وظروفه، وأنه لم يكن يشمل حفنة من الثوار، بل الشعب بأكمله)].

وهذا سبب نجاح حركة ليس عندها أي معطى من معطيات حرب العصابات، جزيرة مسطحة، قلة من السكان، اختلاف عرقي، ومع ذلك كانت من أهم العمليات الناجحة في القرن الحالي الذي سينصرم قريبا.

سأتوقف قليلا إذا كان عند أحد مداخلة على هذا البحث، إذا لم يكن فسنتابع البحث في التجارب الفاشلة وهي مهمة جدا.

بعد أن انتهينا من الحروب الناجحة وأسباب نجاحها، الآن ننتقل إلى التجارب الفاشلة، ثلاثة نماذج، ولماذا فشلت، حتى نكون درسنا المسألة ذهابا وإيابا.

الفصل العاشر

فشل حرب العصابات في الفلبين وماليزيا واليونان

"إخفاق حرب العصابات – (ماغساي ساي) و (الهوك)

في الفلبين – ثمن النصر البريطاني في ماليزيا –

لماذا فشل الشيوعيون في اليونان".

[**إذا كنا نكرر غالباً تشبيه ماو لثائر العصابات الذي يسبح كالسمكة في البحر، فلأنه يتضمن حقيقة جوهرية، ويشرح بدقة، بل وبشكل مثير للإعجاب، المبدأ الأساسي لحرب العصابات. وإذا ذهبنا في مقارنتنا لما يمكن أن يحصل للسمكة عندما نسحبها أو عندما تخرج هي بنفسها من البحر، وعينا – بصورة تفوق ما يمكن أن نعيه بعد دراسة طويلة – أسباب الإخفاق الذي أُصيبت به بعض حركات حرب العصابات**].

دراسة أسباب الفشل عادة تكون أهم من دراسة أسباب النجاح، كما ذكرت في كتاب "التجربة السورية": الظروف المؤدية للنجاح قليلا ما تتكرر، والظروف المؤدية للفشل هي غالبا التي تتكرر، وأن دروس الفشل أكثر إغناء من دروس النجاح، لأنها تجمع من بقي من الفاشلين إلى تجربته فيتأهل لئلا يفشل مرة أخرى.

نتابع يقول:

[**يشكل تدمير الجيش الديمقراطي للشيوعيين اليونانيين، في العام ١٩٤٩، المثال الأول. وتقدم ماليزيا نموذجاً آخر، في حين تقدم انتفاضة (الهوكبا لاهاب) في الفليبين المثل الثالث. وتبرهن الحالات الثلاث عما يحدث لثوار العصابات عندما يُقطعون، أو ينقطعون هم بأنفسهم (كما فعل الشيوعيون اليونانيون)، عن الاتصال والدعم الشعبيين**].

هذه الكلمات هي المختصر في سبب فشل التجارب الثلاث، إما أنهم قُطعوا، أو انقطعوا بأنفسهم عن الدعم الشعبي الذي تحركوا من أجله.

كتبت هنا على الهامش: الجزائر مثال آخر يهمنا دراسته فيما بعد.

[ونجد أصل حركة الهوك، مثل حركات أخرى غيرها، في الحرب العالمية الثانية، وهي الأكثر تعليماً لاستراتيجيي الحرب المضادة للانتفاضة، لأنها تُظهر جيداً العمل الناجح للأسلحة السياسية والاجتماعية.

ويبدو أنه يجب أن نعزو التهدئة في الفيليبين بشكل خاص، إلى رصيد رجل سياسي ذكي هو الرئيس (رامون ماغساي ساي)، الذي أصبح وزيراً للدفاع في العام ١٩٥٠، في الوقت الذي كان الهوك على قاب قوسين من اجتياح مانيلا.

فالهوك، كالفييتمينة في الهند الصينية، وايلاس في اليونان، والشيوعيين في ماليزيا، والأنصار في البلاد المحتلة من قبل المحور، ولدوا جميعاً كحركات وطنية – ثوار عصابات وطنيين يكافحون المغتصب – بمباركة دول الحلفاء ومساعدتهم العملية والمادية.

وكان الدعم بالنسبة إلى الهوك قادماً من البداية من الولايات المتحدة. وكانت الدوافع الثورية دائماً معقدة: فقد قاتل الهوك في سبيل شيء ما وضده في آن واحد. وأُخذت شعارات الحرب على محمل الجد، وبعد طرد اليابانيين من الجزر، تغلبت الطموحات الاجتماعية حتى على الاستقلال، الذي منح بشروط عام ١٩٤٦، وأصبحت الدافع الرئيسي. فبعد أن حارب الشعب ضد اليابانيين، بدأوا الحرب من أجل أنفسهم، وأخذوا يطالبون بحق التعبير السياسي وتوزيع الأرض].

هي في البداية عملت في نفس اتجاه دول الحلفاء، يعني استخدمت في مصلحتها القومية لصالح الحلفاء، فكانت تدعم من قبل الولايات المتحدة، الآن ستقاتل نظام حكم مدعوم من الولايات المتحدة.

وقفت هنا وقفة قصيرة، أقول: هذا ما كان يجب على المسلمين أن يفعلوه بعد كل جهاد ضد المستعمرين، وهو أن يتحولوا لموضوع تطبيق الشريعة وحصد نتيجة الجهاد الذي قاموا به، ومن آخر تجاربنا طبعا أفغانستان بعد أن طردوا الروس، لم يتحولوا إلى أهدافهم بصورة مباشرة، ومن النماذج العربية التي تهمنا اليمن، فقد كان على إخوتنا بعد أن قاتلوا في توحيد اليمنين، أن يتحولوا إلى أهدافهم الخاصة في الإمساك بالسلطة، والاستفادة من نتيجة الانتصار، بدل أن يضعهم المشايخ في خدمة وتوطيد حكم علي عبد الله صالح.

قال:

[وكان ماغساي ساي ثائراً قديماً، فاستطاع بذكائه أن يفهم ما يجب أن يفعل. وكان له من النفوذ ما يكفي للحصول على ما يريد].

وهذا مهم لنفهم لماذا نجح.

[وعندما استلم سلطاته في العام ١٩٥٠، كان الهوك يسيطرون على وسط (لوسون)، وعلى الجزء الأعظم من (مندناو)، ويمتلكون قوة قوامها ١٢ ألف رجل مسلح، ويتمتعون بالتعاون الفعال لما لا يقل عن مليون من أصل سبعة عشر مليوناً من السكان. ولم يكن ٣٠ ألف رجل قادرين على الوقوف أمامهم.

أما مخازن الأسلحة التي تركها اليابانيون، أو التي قدمها الأمريكيون خلال (الحرب الثانية)، فكانت كافية لتغذية حرب أهلية تدوم عشرات السنين.

ومع أن غالبية السكان لم يكونوا متعاطفين علناً مع الثوار، فإنهم ظلوا على الأقل سلبيين.

وكانت الأرض، بجبالها، وغاباتها المليئة بالمستنقعات، مناسبة لثوار العصابات. وكانت القوات الحكومية مكروهة من القرويين فانسحبت إلى المراكز السكانية الكبيرة ولم تظهر في عمق البلاد إلا خلال الحملات التأديبية، وكانت في هذه الحالة مجهزة بعربات مصفحة، ترهب السكان الريفيين].

إذا إلى الآن كل العوامل لصالح العصابات: سكان متعاطفون أو حياديون، سلاح منتشر، ١٢ ألف مسلح، أرض مناسبة بمستنقعات وغابات، كله لصالحهم.

[وكان أول عمل قام به ماغساي ساي، هو إعادة تنظيم الجيش، ووضع حد للإرهاب العسكري، وازداد الضغط على الهوك بسبب إرسال وحدات صغيرة مسلحة، تعمل على طريقة الدرك، لمطاردة ثوار العصابات إفرادياً، واصطيادهم، بينما انكب الجيش على الأعمال الاجتماعية: كإقامة المستوصفات، وبناء المدارس، وتصليح الطرقات والجسور، ومساعدة الفلاحين على نقل أرزهم إلى السوق].

إذا إلى الآن العمل الأخلاقي من الذي يقوم به بدل العصابات؟ الجيش الحكومي.

[وكان العمل الثاني الذي قام به ماغساي ساي، والذي بدونه لم يكن للعمل الأول، أي فائدة – هو صياغة قوانين تسمح للهوك بالحصول على ما يرغبون فيه، بشرط أن يلقوا السلاح].

يعني ما نسميه اليوم في الجزائر "قوانين التوبة والرحمة"، ولكن هنا طُبق بشكل شريف من قبل الحكومة.

[وأُعلن العفو العام، وأُفرغ شعار الشيوعيين: (الأرض لمن لا يملكون أرضاً) من محتواه، بفضل الإصلاح الزراعي، وبرنامج الاستيعاب الذي جعل من حق كل ثائر يستسلم الحصول على قطعة من الأرض].

كل ثائر يستسلم تُعاد له حقوقه ويعطى إمكانيات يتابع منها كسب حياته الاقتصادية، التي أصلا حمل السلاح من أجلها.

[ونجح مشروع مدروس، لشراء الضمائر، حيثما كانت تفشل الوسائل الأخرى. ودُفع بسخاء ثمن الأسلحة، المعادة إلى السلطة، وخصصت مبالغ ضخمة ثمناً لرؤوس قادة الهوك، وأدت الخيانات إلى تقطيع أوصال قيادة الثائرين، وقطعت العصابات عن قواعدها المدينية في مانيلا، حيث أمكن القبض عملياً على جميع أعضاء القيادة الثورية تقريباً].

مخطط متكامل: عسكري، أمني، اجتماعي، نفسي.. حقيقة كما وصف في البداية قيادة فذة حاذقة، حتى تستطيع أن تصبر ولا تنجر لدوامة العنف وتقوم بهذه الأعمال.

فالحكومة أفشلت عمل العصابات من منطلق سياسي من سبع نقاط:

١- تنظيم الجيش واستخدام الشرطة.
٢- استخدام الجيش في وقف الإرهاب بدل الإرهاب.
٣- مساعدة الأهالي والرأفة بهم.
٤- تبني مطالب الثوار نفسها.
٥- الصدق في تطبيق قانون الرحمة والتوبة، وتعويض المستسلمين.

٦- شراء الأسلحة والضمائر، من أجل اصطياد قيادات الثوار.

٧- إصلاحات سياسية وديموقراطية حقيقية، سحبت ما تبقى من مطالب الناس، وهذه ستأتي.

[وفي العام ١٩٥١، قام الجنود بحراسة صناديق الاقتراع خلال انتخابات حرة (كانت الأولى ولا شك في تاريخ الفيليبين) وأدت الانتخابات إلى إصلاحات اجتماعية أخرى، أضعفت تدريجياً قوة الدعوة الشيوعية.

وعندما استسلم (لويس تاروك) زعيم الهوك في العام ١٩٥٤، كانت الحكومة تسيطر على القرى بحزم، بينما تقلص عدد الثوار إلى عدة آلاف، خاصة بسبب الردة، وأصبحوا مشتتين في المناطق الأشد وعورة في اثنين من أكبر الجزر.

ولم يُهزم الثوار عسكرياً – وهم في الحقيقة لم يبادوا مطلقاً، ولذا فإنهم يظهرون من وقت لآخر – لكنهم فقدوا حرب الدعاية، ولم يعودوا قادرين على جذب الشعب.

لقد سُلبوا قضيتهم من قبل حكومة أكثر شعبية من كل ما سبقها من حكومات (لقد ساعد على ذلك إلى حد ما، دعم قدره ٦٢٠ مليوناً من الدولارات الأمريكية)، وقُطعوا بشكل بطيء ولكنه ثابت، عن الدعم الذي كان وجودهم يتوقف عليه].

هنا يجب أن نلفت النظر إلى هذه النقطة، أن العصابات إذا كانت بنت بنيتها على مصادر مالية خارجية ودعم منتظر مما نسميه "سياسة الإغراق المالي"، أي أن تقوم جهات أخرى بعملية إغراق للعصابات، يغريها هذا الدعم بتوسيع قواعدها، وتوسيع تسليحها، وتوسيع دائرة العمليات، اعتمادا على هذه المصادر المالية=

فإن هذه المصادر ستقدم لها نصائح في البداية بدون قيد وشرط، فتعودها على قبول النصائح، ثم تقدم لها نصائح مشروطة، ثم تقدم لها طلبات بدون قيد أو شرط، ثم تقدم لها طلبات مشروطة، ثم تأخذ منها

المعلومات التكتيكية والعسكرية، ثم تملي عليها انحرافات منهجية، ثم تقضي عليها، كما حصل بالضبط في أفغانستان.

هنا يقول: قُطع المال من المصادر التي كانت تأتي، فتوقف الدعم مباشرة، وذهب الدعم إلى الخصم، وفي الحالة عندنا كان الدعم الأمريكي يذهب إلى المجاهدين، ثم ذهب إلى الثورة المضادة للمجاهدين، فقُطعت موارد الناس، وأُعطي هذا المورد لحكومة أحسنت سياسة معينة، فكان مخططا متكاملا بدءا من السياسة وانتهاء بالمال، ومرورا بكل الإصلاحات، وعمليات الردع والكلام الذي فصل فيه.

يقول، معددا أسباب الفشل الداخلية، بعد أن انتهى من الأسباب الخارجية :

[وقد نتساءل لماذا لم يستغل الهوك قوتهم، بشكل أفضل، عندما كانوا يتمتعون بها. ويبدو أن إحدى نقاط ضعفهم الكبيرة، كانت عجزهم عن إقامة جبهة شعبية في مرحلة كانوا فيها بأمس الحاجة إلى دعم سكان المدن، ومساهمة الطلاب والعمال والفئات الفقيرة، وحافظت حركتهم على صفتها الريفية].

يعني لم يمتدوا ليقيموا حرب عصابات في المدن، أو عمليات توفر لهم حشدا شعبيا.

[ولقد سيطر الثوار بالفعل على القرى في فترة ١٩٤٩-١٩٥٠، لكنهم لم يمسوا مطلقاً وبشكل جدي اقتصاد الأرخبيل، أو الحياة في العاصمة].

فقدوا الشعبية في المرحلة الأولى، والآن الضعف السياسي، ثم لم يضربوا اقتصاد العدو، وهذا ضعف في التصور الاستراتيجي، يذكرنا بالكلام الذي ذكره أخونا عن الجهاد في مصر، كل الجماعات التي حملت

السلاح، لم تقم بضرب البنية الأساسية التحتية للاقتصاد، ولفت نظري أن هذا العامل كان غائبا تماما في الجهاد في بلاد الشام، لم يفكر أحد أن يضرب البنية الأساسية لاقتصاد العدو.

[وكان تكتيكهم المراوغ لا يساعد على تحقيق نتائج مفيدة بالدعاية، من أجل إحداث أثر سياسي عظيم. وبعد أن حُرموا من قيادتهم السياسية].

حرموا منهم إما بالاغتيال، أو شراء الذمم، أو استسلام القائد الأعلى.

[انغمسوا في حياة لا تختلف كثيراً عن حياة المجرمين وقطاع الطرق، تاركين لمانيلا زمام المبادرة العسكرية والسياسية].

وهنا أذكر بالقاعدة التي ذكرناها كثيرا، ونصيغها هنا بشكل قصير: (عصابات بلا منهج ولا تربية= قطاع طرق)! وعندنا نماذج كثيرة بهذا الشكل، يتحول الناس لقطاع طرق، يريدون أن يستمروا في الحصول على أموال ولو بأي طريقة من الطرق، ففقدوا الهدف الأساسي الذين خرجوا من أجله.

[لقد كان بوسع ١٢ ألف ثائر، يتمتعون بدعم سكان الأرياف، ويواجهون جيشاً قوامه ٣٠ ألف رجل فقط، تحقيق حشود للاستيلاء على كافة المواقع ، ما عدا القوية منها، وعلى كافة المدن، ما عدا الكبيرة. ولم يفعل الهوك ذلك.

وكان بإمكانهم اللجوء إلى الأعمال التخريبية، من أجل إعاقة الاتصالات، وشل الاقتصاد الوطني، بقوات أصغر من قواتهم الفعلية. ولكنهم لم يفعلوا ذلك.

وبعدم أخذهم زمام المبادرة، أو لعجزهم نفسياً، فإنهم لم ينجحوا في إثارة مخيلة الشعب، وفشلوا بالتالي في إثارة قلاقل جماعية ضرورية لقلب الحكومة، أو لتشكيل جيش ثوري قادر على مواجهة جيش الحكومة. ولقد قال كلاورفيز: (يكسب الرأي العام في النهاية، بفضل الانتصارات الكبيرة). ونظراً لعدم وجود انتصارات كبيرة، كان الهوك بحاجة إلى تحقيق نجاحات، لإعطاء انطباع بأنهم سيكسبون في النهاية، أي خلق ذلك الانطباع الذي شكل قاعدة النجاح في كثير من الحركات الثورية.

لقد انطلقوا انطلاقة جيدة، لكنهم لم يُحسنوا استغلالها. وقد أضعفت إصلاحات ماغساي ساي المطالب الشعبية في الوقت المناسب ووسعت القاعدة السياسية للنظام، وأنقصت القاعدة السياسية للحركة، حتى اللحظة التي ألفت هذه الحركة نفسها فيها منتهية عملياً كقوة ثورية].

فصل قصير، لكنه غني جدا جدا جدا بالدروس، التي تشير إلى الأسباب المادية للفشل، بعد ما استعرضنا الأسباب المادية للنجاح، ولن أفصّل كثيرا في هذه الأمور، لأننا فصلناها عندما تكلمنا عليها بشكل إيجابي، فهنا عكس الكلام عن الآليات التي ذكرناها.

☙ ☙ ☙

[أما في ماليزيا فيما بعد الحرب، فكان الموقف يختلف جذرياً عنه في الفليبين، رغم التماثلات الظاهرية. فقد تواجدت حركة شيوعية قوية من حرب العصابات، تلقت التدريب على يد خبراء، كما في الفيلبين، ولقد وُصف (تشين بنغ)، الأمين العام للحزب الشيوعي الماليزي، بأنه (أصلح ثائر عصابات في انجلترا) وكذا مائتا عضو من الحزب الذين تدربوا على الحرب غير النظامية في مدرسة بريطانية خاصة في سنغافورة قبل عامين من ذلك].

يعني كلها عصابات سبق أن تلقت دعما من الحلفاء لمواجهة اليابان.

[وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان في ماليزية منظمة سياسية واسعة هي (مين يوين)، أو حركة الجماهير، التي كان لها عملياً فروع في كل التجمعات السكنية الكبرى في ماليزيا.

ولسوء حظ الشيوعيين، كان جيش التحرير (M.R.L.A) يتشكل بأكمله من الصينيين، وخاصة ممن وصلوا حديثاً إلى مايزيا، فلم تكن لهم جذور أصلية في البلاد.

وقد تباينت التقديرات عن عدد ثوار العصابات بين خمسة وعشرة آلاف، واستطاعوا شن حملة من الإرهاب والتخريب كانت في البداية فعالة. وكان ضعفهم يكمن بأنه كان يمكن عزلهم بسهولة].

بعد ما ذكر العجز الجماهيري، يذكر العجز الجغرافي:

[ففي الأدغال غير المأهولة التي أُجبروا على اللجوء إليها، كان يقطن عدد محدود جداً من السكان المحليين، لذا وجد الثوار صعوبة بالغة في الحصول على المؤن، واضطروا بالتالي إلى جلب ما يحتاجون إليه من القرى بالتهريب، بواسطة شبكة (مين يوين)، لكن يقظة الشرطة أوقفت هذه التجارة بسرعة].

هناك فرق شاسع بين تحركك بين جماهير، يمكنك أن تأخذ التمويل منهم، ولا يمكن للدولة أن تقطعه إلا بإبادة الناس، وبين خطوط للإمداد تذهب أنت تشتري وتقوم بالتهريب، فأنت معزول عمليا ضمن غابات ليس فيها سكان.

[ونفذت الحكومة برنامجاً واسعاً وكلفاً للإسكان، شمل أكثر من خمسمائة ألف صيني، معظمهم من العاملين في مناجم القصدير أو في مزارعِ أشجار المطاط، وبفضل هذا البرنامج نقل الصينيون المذكورون من الأكواخ التي كانوا يقيمون فيها على حافة الأدغال، وأُسكنوا في قرى محمية سهلة المراقبة، وقُدمت إليهم بعض الميزات الحياتية فمالوا إلى الانفصام عن المتمردين.

وبانقطاع اتصال الثائرين عن أغلب السكان، وبعدم تلقيهم المساعدة المادية المتوقعة من الجماعة الصينية، فقد اضطروا تدريجياً للخضوع أو للإبادة النهائية عن طريق الكمائن].

يعني تحولوا إلى ذئاب برية، تُنصب لها الكمائن المعزولة عن البشر، فيقعون واحدا تلو الآخر.

[وقد اهتم الأخصائيون في الحرب المضادة للثورة بهذا البرنامج من الإسكان، والذي شكل نموذجاً من القرى المحمية، أُنشئت فيما بعد في فيتنام].

تذكروا لما حاولوا أن يقيموا هذه القرى في فيتنام، قام الثوار بـ:

أولا: ضرب هذه المجمعات وتفجيرها.

ثانيا: لم تكن مفيدة، لأنه نقل شعب أصيل من أرضه إلى محميات، بينما هنا هو نقل مهاجرين أصلا.

فنجح هنا، ولم ينجح في فيتنام.

[كما توجهوا بعنايتهم إلى وسائل أخرى استعملها البريطانيون في ماليزيا.

ومع ذلك، لم يكن الحدث الهام في هذه التجربة هزيمة جيش التحرير المايزي – المقدر له الإخفاق منذ البداية – بل الزمن الذي استغرقته حملة القمع ونفقاتها الباهظة. ورغم الظروف السيئة

التي عمل فيها ثوار العصابات، فإنهم لم يبادوا كقوة مقاتلة إلا بعد عشر سنين، ولا يزال بعضهم موجوداً في الأدغال، لكنهم لا يشكلون خطراً يحسب حسابه.

وقد جمدوا خلال تلك السنوات العشر ٤٠ ألف جندي بريطاني، و ١٠٠ ألف من رجال الشرطة النظاميين والمساعدين. ويسمح لنا التقرير التالي عن عملية (ناسو)، المنفذ بقوة كتيبة، أن نأخذ فكرة عن الجهد العسكري الذي كان لا بد من بذله:

(بدأت عملية (ناسو) في كانون الثاني ١٩٥٤، وانتهت في أيلول ١٩٥٥. ويغطي مستنقع كوالا لانغات مساحة أكثر من مائتي كيلومتر مربع، وهو دغل كثيف، فيه أشجار يزيد ارتفاعها عن أربعين متراً، ولا تتعدى مسافة الرؤية فيه ثلاثين متراً. وخصصت كتيبة بريطانية لهذا القطاع، حيث جرت عدة اغتيالات، وأقيمت الرقابة على المؤن بطريقة التقنين وبمراقبة المرور والتحريات].

إذا عملية حصار اقتصادي حتى، لقطع المؤن.

[وبدأت سرية من الكتيبة عملها في ٢١ كانون الأول ١٩٥٤ في المستنقعات، لكن العمليات الفعلية لم تبدأ إلا في التاسع من كانون الثاني ١٩٥٥، بقصف ناري بالمدافع والهاونات والطائرات. وتضمَّن المخطط في الأصل إزعاج الثوار ليلاً ونهارا، لدفعهم إلى الكمائن المنصوبة لهم، لكنهم كانوا قد تحضروا للإقامة نهائياً في المستنقع. وأحياناً كانت تخرج أرهاط التموين لجلب الأغذية، ولم يكن السكان المدنيون يُعلمون السلطات عنها لشدة خوفهم منها).

(ولذلك تعدّل المخطط، واقتصر رمي الإزعاج على الليل، بينما استمر نصب الكمائن وتكثيف الدوريات. ودام ذلك ثلاثة أشهر دون أن ظهر أية نتيجة . وفي ٢١ آذار، نجحت وحدة كامنة بقتل اثنين من ثمانية ثوار، بعد انتظام دام خمسة وأربعين ساعة. وانغمس أول دبوسين برأس أحمر على خريطة العمليات للدلالة على سقوط القتيلين، وارتفعت المعنويات).

(وانقضى شهر آخر حتى أتت إخبارية أخرى، فسمحت بنصب كمين آخر، قتل في خلاله أحد الثوار. ولم يحدث شيء في شهر أيار. وفي حزيران حدث تماس بالصدفة مع دورية، مما أدى إلى قتل رجل وأسر آخر. وبعد ذلك بأيام، وبينما كانت فصيلة تعود من دورية، دامت أربعة أيام دون جدوى، اصطدمت مع الثوار وقتل اثنين منهم، وأسر أحد قادة القطاع من الشيوعيين. ولقد أعلن الأسير بأن المراقبة على المؤن كانت فعالة بشكل أن أحد رجاله قد قتل أثناء شجار على الطعام)].

شوف أهمية المعلومات المأخوذة من الأسرى، الناس في حالة ضيق شديد حتى أنهم تقاتلوا داخليا على الطعام.

[(وفي ٧ حزيران، خصصت سريتان جديدتان للقطاع، واشتدت الدوريات ورمايات الإزعاج، فاستسلم ثلاثة ثوار، وأرشد أحدهم فصيلة من الجيش إلى معسكر آمره، فقتلت أربعة رجال بينهم الآمر نفسه. وقتلت الدوريات أربعة آخرين. وفي نهاية تموز، بقي في المستنقع ثلاثة وعشرون ثائراً بدون غذاء أو اتصالات مع العالم الخارجي)].

إذا تطويق وتفتيت وإبادة.

[(حصيلة العملية: إطلاق ٦٠ ألف قذيفة مدفعية، و ٣٠ ألف قذيفة هاون، وألفي قنبلة طائرات، من أجل قتل أو أسر ٣٥ ثائراً. وقد تطلَّب كل واحد من هؤلاء ١٥٠٠ (رجل / يوم) من الدوريات والكمائن. ومع هذا، فقد اعتبرت ناسو نجاحً، لأنها قربت نهاية الحملة[١٤].

وهكذا، كان لا بد من جهد مستمر لكتيبة، ولمدة تسعة أشهر، ومصروفات من القذائف والقنابل، تزيد عما يوجد في ترسانة بعض جمهوريات أمريكا الجنوبية، وكل ذلك لتصفية خمسة وثلاثين من ثوار العصابات.

ولا يمكن لهزيمة الشيوعيين في ماليزيا، والتي كلفت ثمناً باهظاً، أن تشكل إلا إلهاماً محفزاً لثوار عصابات آخرين أقوياء في بلاد محروسة بصورة أقل من ماليزيا. وكم من أنظمة قليلة التماسك في أمريكا الجنوبية، تجيز لنفسها مثل تلك النفقات، دون أن نتحدث عن المخاطر السياسية، وذلك ليس لتصفية خمسة وثلاثين، بل لتصفية ألف من الثائرين المصممين؟ وفي أي مدى من الزمن؟]

۞ ۞ ۞

نتوقف هنا، ونأخذ بعض الأسئلة:

الأخ: ....

الشيخ: كلام أخينا لفت نظري إلى أشياء:

[١٤] مدارس مشاة البحرية "The guerilla and how to fight him"

بالنسبة إلى موضوع خطاب الناس، المشكلة التي وقع فيها أهل ماليزيا وأهل الفلبين، إذا نحن ذكرنا في خطابنا فقط الإصلاحات الاجتماعية، أو المطالب السكانية، أو الأشياء السياسية والاقتصادية، ممكن إذا توفرت حكومة ذكية توفر هذه المطالب أن تحقق هذه المطالب، فنُقطع عن الناس.

ولذلك من الخطأ أن نجعل خطابنا سياسيا اقتصاديا، ليس فيه جانب عقدي، كما أنه من الخطأ أن نجعل خطابنا عقديا صرفا لا يمس حياة الناس.

فإذا كانت مطالبنا متكاملة فلا يمكن لأحد أن يسحب من أيدينا الورقة، لأن مطالبنا جذرية متكاملة، فمن مطالبنا وعلى رأسها: تحكيم شريعة لا إله إلا الله، هذه كيف سيسحبونها؟ لا يستطيعون سحبها، نقول: وزعوا الأراضي= ممكن يوزعوا الأراضي، لكن نقول: طبقوا شرع الله= فهو لا يستطيع أن يطبق شرع الله، ولا يريده، ولو أراده فالذي يتحكم بهم من اليهود والأمريكان سيسقطونه، فهذا مطلب جذري لا يمكن للعدو أن يمتلكه من أيدينا.

ثم إذا قال: نحن نطبق شرع الله، نقول: لا نسمح بتطبيق شرع الله إلا على أيدي ناس هم أخذوا أنفسهم بتطبيق شرع الله، فلا نقبله من جعفر النميري، ولا نقبله من علي عبد الله صالح، فعند ذلك نكون قد طالبنا بشيء جذري هو لا يمكن أن يقبله، نقول له: أنت نفسك يجب أن تزول، فهذا مطلب جذري.

المطلب الثالث: إنهاء الاستثمارات الأجنبية، وإنهاء حالة الاحتلال الاقتصادي= فهذا مطلب جذري، قد يسمحون لنا بتطبيق شرع الله، ولا يتخلون عن هذا المطلب.

نقول لهم: إخراج الأمريكان، ونحن نريد أن نتحكم في بترولنا، فهذا مطلب جذري، لا يستطيعون أن يسحبوا من أيدينا هذه الورقة، نقول لهم: نريد أن ننهي حالة التبعية، نريد أن ننهي التطبيع، نريد أن نخرج اليهود والنصارى، قضيتنا أممية.. إلى آخره، إلى آخره، فكل هذه قضايا لا يمكن للخصم أن يسحبها من أيدينا ويضعها في يده، مستحيل، نتيجة طبيعة تركيبته وطبيعة تبعيته.

ولذلك تبحث الحكومة في السعودية في أنه إذا جاء الأمير عبد الله ينظر في طلبات المعارضة السعودية! طلبات المعارضة السعودية إلى الآن متواضعة وترقيعية، باستثناء خروج الأمريكان، وفيها كثير من اللين في خطاب بعض أمراء آل سعود، وفي مطالب إصلاحية فرعية.

لما كان الجهاد سيقوم في اليمن، كان الشيخ الزنداني ومعظم علماء اليمن مطالبهم إلغاء بعض المواد الكفرية في دستور، يعتبرونه إجمالا إسلاميا، فإذا واجهت الدولة عسكريا، ربما تتنازل وتلبي لك هذه المطالب، فإذا لبت لك هذه المطالب، فمن كانت مطالبه محدودة سُحبت الورقة من يده، ويصبح خارج مسألة الصراع، بينما من كانت مطالبه جذرية لا يمكن سحب الورقة من يده.

وأذكر مرة أخرى بأنه ثمة فرق بين العقليات الجذرية والعقليات الترقيعية، ومعظم الجهاديين والعسكريين عقلياتهم جذرية، ومعظم السياسيين والدعويين عقلياتهم ترقيعية، فيقدمون مطالب بسيطة محدودة يمكن للعدو أن يلبيها فيسحب من يدك كل مسألة الصراع أصلا، وهذا فصلت فيه قبل ذلك.

فإذا أحسن المسلمون طرح منهج متكامل فيه البُعد الشرعي، وفيه بُعد دحر الاستعمار، وفيه استرداد الثروات وفيه محاكمة المجرمين، وفيه إلغاء المخطط الصليبي اليهودي، ثم فيه جانب من العدالة الاجتماعية، وجانب من المطالب الأخرى.

فلا يمكن للعدو إلا أن يعطينا بعض المطالب، ويعجز عن الأخرى.

ولذلك معظم هذه الحركات التي تطلب طلبات فرعية أن تُعطى هذه الطلبات، والآن أنا أسأل نفسي وأجد الوضع محرجا جدا في بلد مثل السعودية، لو استلم الأمير عبد الله فأطلق العلماء، الذين من خلال دراسة أشرطتهم والمنهج الذي تربوا عليه، أنهم مؤهلون لأن يعتبروا الكسب المرحلي نصرا يكتفوا به لأجل أن يبنوا عليه.

فإذا أُخرج العلماء، ثم أعلنت القوات الأمريكية أنها بناء على طلب المشايخ وطلب السعودية خفضت عدد القوات، أو حتى سحبت القوات كلها من السعودية إلى الإمارات والكويت وكل هذه المناطق التي لا

يمكن أن يحدث فيها ثورة، وما هو الفرق بين وجود القوات في الظهران على بعد ٣٠ كيلو من الحدود القطرية، أو وضعوها وراء الحدود، فهي عمليا من الناحية العسكرية ليست مشكلة= فما المانع إذا وجدوا أن حربا عالمية ستقوم ورأوا الأمر جديا، أن يحققوا هذه المطالب الفرعية.

عند ذلك لا شك أن البلد التي لم تتحرك من أجل تحرير المقدسات، والناس الذين لم يهتموا لاحتلال الكعبة، ولدخول النساء عليهم من أجل حمايتهم، ولسجن علمائهم خمس سنوات بدون طائل، ولا شك أن المعارضة بكل أنواعها الآن رفعت —باستثناء موضوع إخراج الأمريكان من الجزيرة- مطالب لا يمكن أن تكون جذرية تماما، لا شك أن الوضع سيكون محرجا.

ولذلك من الآن لابد أن يوضع في مثل هذه الحالات طلبات لا يمكن للعدو أن يحقق لك ويقنع السكان، هذه طلباتك اتفضل حققناها لك ولا تحمل السلاح وتنكبنا.

فخروج الأمريكان من الجزيرة، من كل الجزيرة، جزيرة العرب، جزيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، لأني البارحة خجلت من الأتراك [العثمانيين] الذين اتهموا في عقائدهم، وهم كانوا يعتبرون البحر الأحمر حَرما، لأنه قريب من مكة فلا تعبره السفن الصليبية، ينقلون هم البضائع بسفنهم، لفتة عجيبة جدا، والناس الآن لا يعتبرون الكعبة حرما، ويدخلون عليها كل من هب ودب، ومع ذلك عقائد سمحة.

فهذه الأمة يجب أن تُسلح بمطالب لا يمكن للعدو أن يأخذها:

خروج الأمريكان من الجزيرة، كل الجزيرة.

خروج اليهود من بلاد الشام، من فلسطين، كل فلسطين.

استرداد البترول، كل البترول.

إنهاء الوجود الأجنبي، كل الوجود الأجنبي.

إنهاء آل سعود، بين طريد ومعدوم، كلهم. الصالحون منهم يجب ألا يمكنوا من الملك، ولا من ركوب الخيل ولا من السلاح ولا من المال، الذي لم يثبت عليه أي قضية، هذا يعود واحدا من عوام المسلمين.

فمثل هذه المطالب لا يمكن للعدو أن يعطيها لك، فتبقى مطالب شرعية، ومطالب شعبية، وكلها مطالب جذرية تسمح لك بالقتال إلى ما لا نهاية، وتجبر العدو على أن يركب رأسه ويعطينا مفتاح الصراع، وهذا فصلت فيه فيكفي هنا.

أما كلام أخينا عن عملية الردع، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام مارس الردع، فهذا يذكرنا بلفتة هامة جدا، وهو أنه في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ثبت تنفيذ تسعة اغتيالات فردية، من هذه الاغتيالات سبعة من أجل ناس يقومون بنشاط إعلامي كهجاء الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة والتشبيب بنساء النبوة، واثنان فقط اغتيلوا لأسباب عسكرية، رجل يجمع الجموع للرسول عليه الصلاة والسلام، فهذا بُعد عسكري، فإيذاء السبعة كان إيذاء معنويا، حتى كعب بن الأشرف كان يؤذي إيذاء معنويا.

والملفت للنظر أن أحد هؤلاء السبعة امرأة، قُتلت لأنها تقوم بجهد إعلامي وشعر وتهجو الرسول عليه الصلاة والسلام، ولأحد الإخوة الليبيين كتاب بعنوان: "خيار فيروز" وهو موضوع الاغتيال، كتاب قيم جدا حقيقة، رصد موضوع الاغتيال في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، ودرس فقهه ومبرراته، وسماه "خيار فيروز" لأن فيروز الديلمي حل مشكلة الأسود العنسي وكفى المسلمين شره بذلك، والرسول عليه الصلاة والسلام كان متشوقا لخبر هذه المسألة، فبشره بها جبريل ثم توفى، قال: "قُتل الأسود العنسي، قتله رجل مبارك من آل بيت مباركين"، فإن شاء الله نحصل على الكتاب ونضعه بين أيديكم.

ولكن ألفت النظر إلى أهمية عمليات الردع، وخاصة الكتاب والشعراء والأدباء وصحفيو الخصم، وعلماء الخصم، كل بحسبه، بيان بتوقيت معين بضرورات معينة، ليس محل تفصيلها الآن، ولكن يجب أن نكسب عملية الشرعية في عملية الردع هذه.

فالردع ليس فقط ردا على أمور عسكرية، وإنما أحيانا يكون هناك ردع لسبب سياسي، وردع لسبب إعلامي، فيجب أن يكون الردع أحد أهم أهداف المبادرة عند حركات العصابات الجهادية.

النقطة الثالثة التي لفت أخونا إليها نظرنا، وهي أنه يجب أن نشارك في هذه الساحات المفتوحة، هذه مساجد ضرار تُفتح بنية سليمة، لصرف الناس عن الصلاة في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، ولك أن ترجع إلى "ظلال القرآن" وتقرأ مقاطع من أجمل ما يكون في تفسير قوله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) كتب سيد قطب أن هذه المساجد لا تزال تُفتتح إلى يومنا هذا بأسماء شتى وبأماكن شتى، كلام جميل جدا.

الشاهد، كما قدمت لأخينا، لأنه ليس لنا حيلة فنستطيع أن نستفيد منها، يعني في وجه لنصرة المسلمين هنا، هناك وجه لتوجيه جهدهم ضد العدو، وهناك وجه لإعداد ناس، إنما آخذ لفتة أخينا أنه يجب أن نعد أناسا من أبناء البلاد لأننا غرباء وسنبقى غرباء، وسنرحل عنها باتجاه قضايانا، أو إذا انتهت مهمة التحميل فسنصرف.

أقول كان هناك تجربة لإخواننا في الصومال جيدة جدا، الصومال ليس فيها تنظيم جهادي وليس فيها تجمع جهادي، وهي بين سلفية تابعة لابن باز وسرورية تابعة لسرور وصوفية مغرقة في صوفيتها وإخوانية تابعة للتنظيم الدولي، وكلهم متفرقون على شتى، ومجتمعون على عدم حمل السلاح.

فوجود إخواننا وقتال الأمريكان والغربيين في الصومال ولمدة وجيزة جدا تمكنوا من إيجاد كتيبة مسلحة وضعت نواة للتوجهات الجهادية في تلك المنطقة، لا تزال إلى الآن، وتوبعت العملية بوجود محلي، وكان لإخواننا في القرن الأفريقي أثر، ليس كما ينبغي، ولكن ممكن جيد يحتذى أو يُطور.

إخواننا في البوسنة كان نجاحهم أكبر خلال وجودهم في البوسنة، ويُذكر هنا جهد مشكور للجماعة الإسلامية المصرية في البوسنة، أنهم أعدوا مجموعة نبت بها من البوسنيين أنفسهم، ولإخواننا هنا في المعسكرات في تدريب الإخوة الآتين من الجمهوريات ومن مناطق أعاجم المسلمين جهد مشكور أيضا في إعداد ناس من أبناء تلك المناطق، فهذا هام جدا.

وتجربة أخينا خطاب في الشيشان تجربة رائعة في إعداد ناس من أهل القفقاس والانطلاق الآن نحن داغستان، وكذلك جهودنا التي نحاولها الآن مع إخواننا التركستان والأوزبك والطاجيك كلها منصبة في نفس المكان.

وعلينا أن نعتني أكثر بالمناطق الحساسة مثل تركيا والباكستان، ونعد منها أناسا ممكن يحملوا فكرنا ويتحركوا حركتنا، ويأتون بما لم يستطعه العرب، وبما انكفأ عنه العرب إلى الآن.

الأمر الذي أسجله إلى جانب هذه النجاحات في النموذج الصومالي والشيشاني إلى آخره: الفشل الذريع في أن نعد أناسا من الأفغان هنا، يتحركون في اتجاهنا، وكان سبب المشاكل التوجه للأفغان بموضوع العقائد والمذاهب والتفصيلات الفرعية التي ليس لها علاقة بمشكلة الصائل الأساسي، هذا كان الذي قطع الطريق بيننا وبينهم.

إلا أننا يجب ألا ننسى أن هناك مقومات سلبية في الشعب الأفغاني نفسه، من الجهل ومن أنه شعب مغلق، حتى كل الذين تكلمنا عنهم الصومال ولا البوسنة ولا الشيشان شعوب قطعت شوطا في التحضر أكثر من إخواننا هؤلاء.

الأمر الثاني أنهم شعوب مغلقة اجتماعيا، هذا سبب داخلي عندهم، والعرب لم يجدوا المفتاح الصحيح للدخول إلى هذه الأقفال، فكان عندنا بالمختصر: قفل صدئ ومفتاح انكسرت أسنانه! هذا الذي حصل، ولذلك لم نستطع أن نحرز في أرض الأفغان.

ولا تزال القضية مفتوحة الآن، وجود الطالبان أفضل بكثير، يعني العلاقة العاطفية بين الطالبان والعرب أفضل بكثير من التي كانت مع الأحزاب، والسبب في ذلك أن قسما كبيرا من الطالبان درسوا العلوم الشرعية، ويكنون احتراما للعرب، وأن قسما كبيرا منهم يفهم اللغة العربية، فلغة الخطاب موجودة بيننا وبينهم، إلا أنه من المؤسف ألا تجد إلى الآن أنه لا يوجد معسكر من المعسكرات ضمن دوراته العسكرية أعطى دورة في لغة البشتو أو في اللغة الفارسية، هذه مخزية.

إذا نحن نريد أن نتحرك في قلب ناس لا نعرف لغة الخطاب بيننا وبينهم أصلا معدومة، فكيف نتفاهم معهم، الإخوة الذين سيعملون في بلاد الأعاجم يجب أن يتقنوا لغتهم، ويجب أن ينصرف جهدهم أساسا إلى فهم اللغة، ثم أن تجد طريقك للدخول عليهم، بعد أن تتقن اللغة يكون لك برامج للدعوة.

إخواننا في البوسنة ترجموا القرآن وترجموا الكتب وعملوا أبحاثا، فكان هناك مدارس الأيتام إلخ، فاستفيد إلى حد كبير من هذه القضية، وهذا عمل لم تقم به مؤسسات إغاثية، قام به المجاهدون.

فلفتة أخينا إلى إعداد ناس من أهالي البلاد= لفتة في غاية الأهمية، تحتاج إلى برامج قد تأخذ أكثر بكثير من دورتنا مجتمعة كلها، لو فرغنا دورة كاملة نقول: كيف نتعامل مع أهل كل منطقة من المناطق؟ تنفتح عندنا دورة من المقترحات والدراسات والأبحاث.

الأخ: مشكلة المشي في خط واحد، وعدم حساب الأمور الطارئة ولا الخطة البديلة، كأن يقتل القائد أو طبيعة العمليات تغيرت، ماذا نفعل؟

الشيخ: أخونا جزاه الله خيرا متفائل جدا، يريد منا أن نضع خطط طوارئ لخطة موجودة، الحالة التي نحن فيها كجهاديين أنه ليس هناك خطة موجودة أصلا، لكي توضع لها خطط طوارئ، المؤسسات الصليبية كان لها مخطط، وذكر الشيخ عبد الله عزام أن عددها ١٢٣ مؤسسة صليبية، منها ٣٠ مؤسسة يهودية تعمل باسم مسيحي، وكان بينها اتحاد وشعارها كلمة "أكبر"، وهي لغة عربية أصلا، وكان لها مخطط، الاستخبارات السعودية والمخابرات العربية التي عملت في أفغانستان كان لها مخطط، الأعمال الإغاثية الأيتام الأرامل كذا كلها حتى الصالحة منها كان لها مخطط.

العمل العسكري إلى الآن ليس له مخطط، فإذا أردنا أن نتواضع قليلا نقول يجب علينا ابتداء أن نعمل مخططا، ثم نأتي إلى لفتة أخينا الجميلة جدا ونقول: المخطط يجب ألا يكون أحاديا، بل يجب أن توضع له

افتراضات طوارئ بحسب كل قضية نقول: إذا حصل كذا فنحن نعدل خطوطنا بكذا وكذا، وعلى رأس هذه الخطط الطوارئ وأهمها ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: أنه في مرحلة الإعداد إذا كُشف مخططنا قبل أن نتم الإعداد، كيف نبدأ القتال والبناء من خلال المعركة؟ هذا أهم سؤال مطروح على الجماعات التي تريد أن تبدأ عملا، إذا كُشفتَ وأنت في مرحلة الإعداد: هل تستسلم، هل تعود إلى الصفر، خيار الإخوان المسلمين؟

المشكلة هذا الخيار المريض أصبح يُضفى عليه الشرعية، وأخذ له اسم جميل يقولون "المدرسة اليوسفية"، يعني نذهب إلى السجن ولا فخر! وأننا نخجل إلى أننا لم نُسجن إلى الآن، ونخجل إلى أننا لم نُضرب في سبيل الله إلى الآن، فصارت المفخرة كم ضُربنا وكم سجنا؟! لا كم ضَربنا وكم قتلنا وكم هربنا وكم نفرنا.

وأعطوه اسما جميلا، وكأنه مطلوب من الإنسان أن يأخذ بخيار سيدنا يوسف، سيدنا يوسف سُجن كرها، وخرج بسعيه، بتوفيق الله سبحانه وتعالى ولكنه أرسل وقال (اذكرني عند ربك) افعل كذا، ولما خرج قال: (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن).

فالشاهد خيار الذهاب إلى السجن هو الخيار المطروح في العمل الإسلامي إذا كُشف العمل، بل يجب أن يكون هناك خطة طوارئ، ولسيد قطب في الرسالة التي نُشرت بعنوان "لماذا أعدموني"، ذكر أنه كان يعد للانقلاب على النظام المصري، ووضع مخططات أنه إذا كُشف العمل في نصفه أو في ربعه سيقومون بكذا وكذا، ولما لم ينجحوا في تطبيق مخطط الاحتياط= قُبض على سيد قطب رحمه الله وإخوانه وأعدم، فتفكير مبكر من سنة ١٩٦٥ ولفتة عسكرية.

النقطة الثانية: قتل القائد، إذا قُتل القائد فما هي الخيارات؟

الاستخلاف، تحديد قيادات، حتى لا يدب الذعر والفوضى، الرسول عليه الصلاة والسلام في بعث مؤتة أرسل ثلاثة أمراء معينين، فلان فإذا ذهب ففلان، هذا من أهم الأمور.

النقطة الثالثة: قضية انقطاع المدد المادي الذي يقوم عليه العمل:

تفشل الحركات عادة إما باكتشاف مبكر، أو باغتيال القادة أو تراجعهم، أو بفخ الإغراق المادي.

وهناك كثير من الأمور الفرعية يجب أن تتذكرها وتضع لها خطط طوارئ، ولكن نقول: لتنواضع قليلا وقبل أن نضع خطط طوارئ، يجب أن نقتنع أن العمل يجب أن يكون ضمن خطة، وليس هكذا كتل عشوائية مثل مدن الصفيح.

في فرق بين مدن الصفيح التي يقوم كل واحد فيها بصنع كوخ، فيأتي الثاني لنصب كوخ ثم الثالث، ثم تجد المجاري طافية على سطح الأرض بين الأكواخ، ثم تجد الدجاج يقفز على البشر والبقر يمشي مع الناس، فتجد في الآخر مدن الصفيح هي خليط من الزريبة مع البشر مع الأمة.

فرق هائل بين هذا وبين مدينة وضعت على المخطط، ثم جاء مهندسون رصفوا الشوارع، ثم هذه القطعة هنا وهذه القطعة هناك، فتكون أمام مخطط هندسي شُيدت فيه الأمور، ولم يفاجئ به الناس.

إلى الآن بلادنا المتخلفة تجدهم يحفرون الشارع لكي يمددوا هاتفا، ثم تجدهم حفروا مرة أخرى، ايش؟ يمددون خطوط ماء، ثم مرة ثالثة، ايش؟ يمددون كهرباء، ثم محفور ما أدري ايش.

المدن الكبرى الآن في كل المناطق توضع لها كل هذه الأشياء مع تخطيطها، هناك فرق هائل جدا بين العقليات الإدارية وعقليات مدن الصفيح هذه، ومن أهم الأمور أن نبني بعض العقول الإدارية، إذا بنيت عقولا إدارية ستجد أنها فكرت في المنهج بشكل صحيح، فكرت في المعسكرات بشكل صحيح، رتبت مكتبتها بشكل صحيح، نظفت مخازنها بشكل صحيح، وضبطت أمورها بشكل صحيح، ثم قاتلت بشكل صحيح.

هناك عقلية إدارية منظمة وليست فوضوية، غيابها هو أم المشاكل، أم المشاكل أن العقليات التي تخطط للأعمال الخطيرة التي نعبث بها في دماء وأعراض وأموال المسلمين، لا توضع من قبل ناس عندهم عبقريات إدارية، ولا يستعينون بعبقريات إدارية حولهم، والأمور كلها هكذا، ثم يوضع عليها عنوان جميل وشرعي أننا ناس: "متوكلون على الله سبحانه وتعالى"!

ولأفظع الجرائم والتقديرات عندنا مخرج جميل جدا وشرعي أيضا، اسمه: "قدر الله وما شاء فعل"، فلا أحد يحاسبك.

هذا الحال هو الذي أورث كل هذه الأمور، وهذه من لفتة أخينا جزاه الله خيرا.

الأخ: الأنظمة عموما تستفيد في الصراع من كل الثغرات، ومنها موضوع قتل المدنيين، فيشوه صورة الحركة والجماعة.

أيضا، إعلام الناس والرأي العام، ومن مقومات الحرب: كسب الشعب، فأرجو إلقاء الضوء عليهما.

الشيخ: أخونا جزاه الله خيرا ذكرنا بموضوع أساسي جدا ومرتبط بموضوع "الثغرات الموجودة في العمل الجهادي"، ولكن كله يمكن وضعه تحت عنوان عريض: (الإعلام الداخلي للحركة الجهادية).

معظم الحركات الجهادية ليس فيها إعلام، وإذا وجد إعلام فهو خارجي، في المراكز الإسلامية في الجاليات في الغرب، حيث لا ضريبة على الإعلام، وفوق أنه خارجي فهو كانتون داخلي، يعني الذي يكتب هو الذي يقرأ هو الذي يوزع، فمجالات وصول هذا الإعلام محصورة جدا، فليس عندنا إعلام خارجي نخاطب به المسلمين.

الإعلام الداخلي هام جدا، ويشمل هذه المسألة، يجب أن تقوم بتفسير أعمالك، ويجب أن يكون هناك خطاب داخلي، طبعا من أهم الأمور لما تقع حوادث يمكن أن تأتيك بسمعة سيئة: قتل بالخطأ، انفجار معسكر مثلا، أو مستودع ذخيرة بين المدنيين، لابد أن تتفادى هذا أصلا، ولا يكون بين المدنيين مثل هذه الأمور، ولكن إذا حصل فلابد أن تبين للنا.

في مصر موضوع كان فظيعا جدا، رغم أنها كانت غير مقصودة أصلا وهناك احتياطات، بينما في الجزائر الجماعة أعلنوها وتبنوها قالوا: نحن نقتل المدنيين ولا فخر، وعليّ وعلى أعدائي، واللي ما عجبوا يخبط في الحيط، وقالوا: لسنا مطالبين بأن نقدم أدلتنا الشرعية! وعلى من يعترض علينا شرعا أن يأتي إلينا إلى الجزائر يجاهد معنا ونمتحنه، فإذا وجدناه أهلا نحكي معه في هذه المسألة شرعيا.

هكذا بكل صفاقة، مما جعلني أجزم أن هذا البيان مكتوب من قبل المخابرات، لأن نتيجته الحتمية أن المسلمين سيبصقون على صاحب هذا البيان، وفيك وفي اللي جابك!

فالأصل أن كلام أخينا كله ينطبق تحت عنوان الإعلام الداخلي، الإعلام الداخلي هو: تحريض ثم تجنيد، ثم تفسير مشاكلك التي تقع بينك وبين المسلمين، وهذه من اللفتات الهامة سنعود عليها في الأخطاء التي تقع في العمل الجهادي إن يسر الله سبحانه وتعالى ذلك.

الأخ: (سؤال غير واضح عن قضية الطوارئ)....؟

الشيخ: المسألة الأولى: أن خطط الطوارئ إكراه، وليست إجبارا، يعني لا تغير خطك العام إلى طوارئ إلا مرغما، فقط لتفادي المجزرة الكبرى، إنما الكلام الذي تكلمه أخونا أبو الوليد أن إنسانا غير مختار، فهو ليس مكرها على هذا التغيير، والإكراه أن الشخص مضطر إلى خيار أقل سوءا.

الأمر الآخر: أن الدخول في خطط الطوارئ ليس تغييرا في الاستراتيجية، لأن الخطة الطارئة هي من الاستراتيجية الموضوعة من قبل، أنا ماشي هكذا فإذا طرأ علي كذا سأمشي هكذا، فهو أمر محسوب حسابه أصلا، فهو محافظة على الخط الأصلي ثم مرونة، فالخطة الاستراتيجية متشعبة.

الأخ: إلى أي مدى يمكن للإنسان أن يستفيد من الدعم الخارجي؟

الشيخ: سؤال حساس جدا، أقول: موضوع أخذ الأموال من الجهات الخارجية مثله مثل كل المواضيع، خاضع للمحاكمة: (حلال أم حرام، مفيد أم مضر، ممكن أم غير ممكن).

فهذا يختلف بحسب كل مال من الأموال، هناك جهات مالية إذا أرادت أن تعطي لا يجوز شرعا أن نأخذ، ثم هناك جهات عامة يجوز أن نأخذ ولكن بحسب الشروط الموضوعة، أو التي يمكن أن توضع، نقول: يجوز ويصبح لا يجوز لأنه مضر بالمدى المنظور، واضح أنه عملية ابتلاع.

وهناك أموال ممكن تأخذها، ولكن إذا وضعت مخططا لكي لا تعتمد عليها، فلا تكون خنجرا في ظهرك إجباريا، فهذه الأموال تؤخذ وتستثمر، ولا تصرف ولا يمد العمل على أساسها، لو مُد العمل على أساسها هنا المقتل، عندك ١٠٠ جندي لأنك يأتيك ألف دولار، ومصروفك ١٠ دولار للجندي، فجاءك ١٠٠ ألف دولار، فقلت: أعمل ألفين جندي، فيعرف الذي يمدك أنك أصبحت محتاجا، وفعلا لن تستطيع أن تطعم من عندك إلا منه.

فمن أهم عمليات التخطيط المعاكس للابتلاع المادي أنك لا تتمدد بناء على ما تحت يدك من أموال، وإنما تحدث تمدداتك دائما بحسب قدرتك على تمويل هذا العدد فيما لو رُفعت هذه الإمدادات، وهذا يأتي بالاستثمار أو بالتوزيع أو بالادخار.

ولكن يجب أن يبقى إمداد الثورات عن طريق مشاريع تملكها أنت، وليس عن طريق الصدقات، ويجب أن تبقى هذه الإمدادات المشبوهة أو الطيبة منها إمدادات فرعية، وليست أساسية في الثورة، ويبقى اعتمادك الأساسي على الغنائم، على الفيء، على التهريب، على المصادر، على ما تستطيع أنت أن تملك مجيئه بإذن الله سبحانه وتعالى.

إذا أوجز: هناك جهات ابتداء لا تأخذ منها الأموال، على سبيل الصدقة والعطاء، الآن أنت تذهب إلى مؤسسة أجنبية تقول نضع عليكم ضريبة، أيها الفرنسيون في المكان الفلاني سنخرج الأمريكان، أما أنتم فتدفعون كذا وكذا لشركاتكم في المكان الفلاني، هذا أخْذُ عنوة لا صدقة.

أنت تقول لليابان: ليس بيننا وبينكم معركة، ناقلات النفط بتاعكم تعبر، وتدفع على كل ناقلة كذا، بينما ناقلات الدول كذا وكذا تُضرب، لا نسمح بها أصلا، هذا أخذ عنوة.

لكن هناك فرق بين هذا وبين أن تأتي مخابرات دولة أجنبية: تعال سنمدك، هذا واضح من البداية بُعده، لكن هناك بعض الجهات الإسلامية اللي نص نص، ممكن تأخذ منها وليس فيها إشكال، ولكن إن اعتمدت عليها ممكن يستخدمها العدو.

فالقضية كما أسلفت خاضعة لمحاكمة: (حلال حرام، مضر مفيد، ممكن غير ممكن)، ثم بعد ذلك الشرط الأساسي ألا تعتمد عليها كمصدر، وإنما تقوم بعملية إدخار أو استثمار، ثم ألا يكون هذا المصدر هو الأساسي، وإنما مصدرك الأساسي ما تملكه أنت من الموارد، والله أعلم.

نتوقف هنا.

☙ ☙ ☙

[وتقدم لنا اليونان حالة خاصة. فالثورة التي دامت فيها ثلاثة أعوام، وقُمعت من قبل حكومة يمينية وبمساعدة إنجلترا والولايات المتحدة، عبارة عن تجربة تقدم الكثير من الدروس إلى الذين يرغبون بمعرفة الطريقة التي (لا ينبغي أن تُدار بها حرب العصابات).

لقد نُسيت خلال ذلك الصراع (١٩٤٦-١٩٤٩) عملياً كل دروس التجربة، وكل المبادئ الموضوعة من قبل المنظرين الماركسيين - اللينينيين للحرب الثورية، التي انتهكها الشيوعيون اليونانيون على عكس ما كان منتظراً.

وكما في بلدان أخرى، وجد القادة الشيوعيون أنفسهم في نهاية الحرب العالمية الثانية في موقف مناسب مادياً وسياسياً، بسبب تحالف الشيوعية مع الحركة المعادية للفاشية، ولأن الشيوعيين سيطروا في حركة المقاومة (إيلاس E.L.A.S). وكان الحزب يحتل إذن مركزاً فكرياً قوياً، وضم الثوريون آلافاً من الطليعيين في (إيلاس). ومع أن هذه المنظمة قامت بسليم رمزي لأسلحتها في العام ١٩٤٥، إلا أن أفضل ما استلمته من انجلترا والولايات المتحدة، أثناء الصراع ضد النازية، بقي في أيدي ثوار العصابات، عندما اندلعت الحرب الأهلية في العام ١٩٤٦.

وكان الثوار ضعفاء عددياً، بحدود ألفين وخمسمائة محارب أمام ثلاثين ألفاً من رجال الدرك الوطني، ومع هذا فقد بدأت أعمالهم بداية جيدة. وعملت القضية الشيوعية على اكتساب متطوعين جدد، وبدأت الأعمال القتالية في الجبال الشمالية على حدود ألبانيا ويوغوسلافيا وبلغاريا، وامتدت إلى مركز البلاد، ووصلت إلى جبال البيلوبوينز. ولم تؤد الأعمال الانتقامية التي مارستها مجموعات أقصى اليمين إلا إلى تأجيج الحريق.

لقد بدأت الحملة الشيوعية استناداً إلى قواعد سليمة نظرياً. واستعمل الجيش الديمقراكي تكتيك حرب العصابات، أي مجموعات صغيرة قادرة على الانتشار والاختباء وحتى على الاندماج، مع السكان عند الضرورة، وكان بإمكانهم أن تحتشد محلياً وبسرعة، لمهاجمة مراكز الشرطة أو الدوريات الصغيرة.

وعندما أصبح ثوار العصابات أكثر قوة، اضطرت الشرطة لترك مراكزها الصغيرة، والانسحاب إلى التجمعات السكنية الكبرى. ووعت حكومة أثينا الخطر فأسرعت إلى إعادة تشكيل الجيش الذي كان قد اختفى أثناء الاحتلال الألماني.

واصطدمت القوات المُرسلة إلى الجبال بالتكتيك نفسه، ولم تستطع الاستقرار أو التجول إلا بالقوة. والأخطر من ذلك، أنها لم تتمكن من مراقبة الحدود مع ألبانيا ويوغوسلافيا، حيث كان قد

التجأ أربعة آلاف من (إيلاس) في نهاية عهد الاحتلال الألماني، وأخذوا يعودون إلى اليونان مع معداتهم.

وهكذا حاز الجيش الديمقراطي على منطقة خلفية منيعة وآمنة، لإقامة المستشفيات ومعسكرات التدريب وقواعد التموين].

ومن الجدير بالذكر أنه كان عنده نقطة قوية جدا، وهي الاستناد إلى ألبانيا ويوغسلافيا من ظهره، وبالتالي عنده خطوط إمداد مفتوحة، وعدد مسلحون كبير، والحقيقة كما قال المؤلف: نعجب لماذا فشلت حرب العصابات في اليونان؟ مع أنها متيسر لها كل شيء، وقال: لم يكن لها من سبب إلا أن الناس الذين أداروها أرادوا لها أن تفشل.

[وكانت الاستراتيجية العسكرية لحرب العصابات اليونانية (لا دفاعية ولا هجومية) لكنها مراوغة. وبالاختصار كانت حرب البرغوث: قرص هنا، ولدغة هناك، ومن ثم انسحاب سريع، والمطلوب إدماء الجيش، وإنهاك حكومة أثينا. وكُرست الأهداف العسكرية لخدمة الأهداف العسكرية لخدمة الأهداف السياسية. فبقطع الاتصالات، وبإشاعة الفوضى المدينية، وبتثقيل العبء الضريبي إلى حد بعيد، وبتفتيت الحياة الاقتصادية، كان الشيوعيون، يأملون بتقويض نظام أثينا، وخلق الضغوط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي تسبب سقوطه في الوقت المطلوب.

وسارت الأمور بشكل جيد، وربما بشكل جيد جداً، من الناحية العسكرية. وآمنت العصابات الصغيرة بدلك سريعاً. ومنذ بداية العام ١٩٤٧، أخذ الجيش الديمقراطي يحارب على مستوى الكتيبة. وبعد عام من ذلك، شكل ألوية ثم فرقاً، (٨ فرق)، وكانت هذه الفرق تقريباً على نموذج الفرق النظامية. وقد بدأ الجيش الديمقراطي الحرب بألفين وخمسمائة مقاتل، ووصل عدده في نهايته العظمى إلى ستة وعشرين ألفاً ثم انحدر إلى حوالي ثمانية عشر ألفاً في نهاية الحرب.

وأدت النجاحات الأولى، مع عوامل أخرى، إلى اقتراف أخطاء جسيمة جداً، لا بل قاتلة. ومن أهم العوامل الأخرى التي أدت إلى فشل الثوار، الدعم البريطاني ثم الأمريكي لأثينا، والدعم الممنوح للجيش الديمقراطي من قبل البلدان الشيوعية الثلاث الواقعة في شمالي اليونان].

سجل هنا الدعم الممنوح للثوار من أسباب الفشل، لأنه انقطع فجأة. الدعم الذي كان يأتي من يوغسلافيا وألمانيا انقطع فجأة.

[وكان أول الأخطاء، فقدان الاتصال الفعّال مع السكان. ففي البداية ولأسباب تتعلق بالراحة المادية من جهة وبالضرورات الأمنية من جهة أخرى، اجتاح الشيوعيون القرى التي طُرد الدرك منها، وقاموا بمصادرة المواشي والأرزاق، كما عمدوا أحياناً إلى تهجير السكان إذا دعت الضرورة. وكثيراً ما جُنِّد السكان بالقوة في صفوف العصابات، أو طُردوا خارج منطقة حرب العصابات].

حتى كتبت على الهامش هنا: هذه فيها الفلسفة الزوابرية، نفس العمل الذي اقتحمته الجماعة المسلحة في الجزائر في مرحلة أبي عبد الرحمن أمين، قهر السكان، ومصادرة أموالهم، والاعتداء على أعراض الناس.

عملية ناس كانوا يتحركون مع السكان، فلما قاموا يمارسون العنف في صفوف السكان، فإما السكان هاجروا، أو هم هجّروا السكان، يعن هم طردوا السكان من المنطقة حتى تخلو المنطقة لهم، فارتكبوا خطأ كبيرا جدا، يقول:

[وشكل اللاجئون بالنسبة إلى أثينا مشكلة في غاية الصعوبة، ولكنهم كلفوا الشيوعيين ثمناً باهظاً من الناحية السياسية، من حيث سمعتهم والدعم الشعبي لهم. وكانت لذلك أيضاً نتائج عسكرية، إذ أن اختفاء المدنيين من منطقة العمليات، خلص الحكومة من كل حيرة في قصف المناطق

المسكونة، ولم يعد الطيارون يتساءلون عن صفة الهدف المتبين: فكل ما يتحرك في منطقة حرب العصابات كان شيوعياً].

كل شيء صاروا يضربونه في هذه المنطقة هو عدو محض.

[**أما الخطأ الجسيم الثاني، المقترف لأسباب لم تتوضح بشكل كامل، فقد تمثل اعتباراً من العام ١٩٤٧، في محاولة الاحتفاظ بالأرض، وتبنّي خطة دفاعية تقليدية لا تلائم مطلقاً ثوار عصابات يتفوق العدو عليهم عددياً، ومجهزين بأسلحة خفيفة، ولا يمتلكون إمداداً مضموناً تماماً**].

الخطأ الثاني التمسك بالأرض، وعملوا منطقة محررة واسعة، وأصبحوا مطالبين أن يدافعوا عنها أمام جيش عشرة أضعافهم تقريبا.

[**ورغم نموهم العددي، فإنهم لم يكونوا أبداً على مستوى تحمل أعباء مواجهة مكشوفة، مع جيش قوة دفاع وطنية، يضمان معاً زهاء ٢٦٥ ألف رجل، مجهزين بالدبابات والمدفعية وبطيران شديد الفعالية.**

وكان القرار بالانتقال من حرب العصابات إلى القيام بعمليات تقليدية (استعمال الألوية ثم الفروق، واحتلال منطقة الشمال) محكوماً على ما يبدو باعتبارات سياسية. إذ كانت قد تشكلت حكومة شيوعية، وكانت هذه الحكومة بحاجة إلى أرض محررة. ولكي يطلب الثوار من العالم الاعتراف (باليونان الحرة)، كان لا بد من البرهنة على وجودها].

لأسباب سياسية خسروا تكتيك حرب العصابات في وقت مبكر، فحرروا أرضا وقالوا هذه أرض الحكومة المحررة.

[ولا شك أن عوامل أخرى لعبت دورها. فلم يكن بإمكان الشيوعيين التنازل عن قواعدهم الخارجية، والإمدادات التي كانت تصلهم من يوغوسلافيا على قوافل البغال. وكان الحفاظ على حدود مفتوحة واحداً من أهداف العمليات الدفاعية في الشمال.

وسواء كان ذلك مناسباً أم غير مناسب، فإن الجيش الديمقراطي، نجح فعلياً في البداية واحتفظ بالأرض. وفي صيف ١٩٤٨، توصل ١٢٠٠٠–١٥٠٠٠ من الثوار إلى منع ٥٠٠٠٠ من الجنود الحكوميين من دخول جبال (غراموس)، أي أنهم سيطروا على منطقة مساحتها خمسمائة كيلومتر مربع، طوال شهرين ونصف].

٥٠٠ كيلو متر مربع كمنطقة دفاعية منطقة صغيرة جدا، لأنها حوالي ٢٠ كيلو في ٣٠، لأن ٢٠ في ٣٠ تطلع ٦٠٠.

[وعندما أضحى الضغط الحكومي كبيراً جداً، انسحب الجيش الديمقراطي إلى ألبانيا، ثم ظهر من جديد في منطقة جبل (فيتسي) في الشمال الشرقي، وخاض قتالاً دفاعياً ظافراً. وبعد أقل من ستة أشهر، احتل ثوار العصابات مجدداً جبال (غراموس)، وأخفقت الحملة الحكومية في الشمال.

وأجبرت الهزيمة أثينا على اتخاذ إجراءات تعسفية، واستُدعي رئيس الأركان العامة السابق الجنرال ألكسندر باباغوس إلى الخدمة، وحصل عملياً على الحرية الكاملة في إعادة تنظيم الجيش، وزيادة عدده حتى ٢٥٠ ألف رجل إذا كان ذلك ضرورياً.

واستبدل باباغوس الضباط العاجزين، وتبنى تكتيكياً جديداً أشد عدوانية. فزج ٢٥ ألف رجل في معركة (البيلوبونيز) التي عمد الشيوعيون فيها إلى الهجوم، وفي بداية العام ١٩٤٩ أبيدت قوة الثوار

في هذه المنطقة (٣٦٠٠ ثائر)، وحقق الجيش نجاحات جيدة في وسط اليونان. وفي نهاية حزيران ١٩٤٩، تعرض الجيش إلى هزيمة في كل مكان، إلا في معاقلة الحصينة في (غراموس) و (فيتسي) التي كان الجيش يستعد لمهاجمتها بقة كبيرة.

وخلال ذلك، وقع حدث سياسي عالمي هام، سبب ضربة شديدة للشيوعيين، وذلك عندما اختلف تيتو مع ستالين، وخرجت يوغوسلافيا من الكومنترن. وفي شهر تموز أغلقت الحكومة اليوغوسلافية حدودها مع اليونان، مما أدى إلى قطع الإمداد عن ثوار مقدونيا وتراقيا الغربية، وعزل في يوغوسلافيا قوة من الثوار اليونانيين تقدر بأربعة آلاف رجل، وقطع القوات الرئيسية لقطاع (غراموس – فيتسي) عن الثوار في بلغاريا وتراقيا الشرقية ومقدونيا. وألفى الجيش الديمقراطي نفسه مقتصراً على الإمداد الذي يصله من ألبانيا، والذي كان قليل الأهمية ورديء النوعية بالنسبة إلى ما كان يأتيه من يوغوسلافيا].

مع أنه ذكره كعامل ثانوي قياسا إلى أخطائهم، لاحظ أنه سجل سلسلة من الانتصارات بجانب هذه الأخطاء، ثم حدث حادث عالمي قطع رأسهم عمليا، قطع الإمداد وأغلق الحدود وعزل جزءا منهم بالخارج، وفتتهم إلى فصيلين يعتمدون إمدادت ضعيفة جدا، فكان ذلك سببا في انتهاء عملية الثورة في اليونان، فمن خلال كلامه هو هذا القطع المفاجئ للإمدادات هو الذي هزم الثوار في اليونان.

يعني لك أن تتصور أن الحكومة الباكستانية أغلقت الحدود نهائيا أثناء الهجوم والتقدم الشيوعي، ولكن هذه الحالات المفاجئة لا يحسب حسابها الثوار، لكن حدود حكومة صديقة اعتبرت قاتلة لما أغلقت هذه المسائل فجأة.

قال:

[وفي مثل هذه الشروط، بدا الجيش الديمقراطي عاجزاً عن الصمود مدة طويلة أمام قوات نظامية أفضل منه تسليحاً وتدريباً وتنظيماً، وتتفوق عليه عددياً، وتتمتع بدعم كاف من المدفعية والطائرات. وفي خلال ٣ أيام هزم الثوار المدافعون عن موقع جبل فيتسي (٧ آلاف ثائر)، وانسحب خمسة آلاف منهم إلى ألبانيا. أما في غراموس، فلقد استمر الهجوم الحكومي الحكومي خمسة أيام، وأسفر عن هزيمة الثوار، وانسحب أربعة آلاف ثائر إلى ألبانيا. وانتهت بذلك الحرب الأهلية عملياً. ومع أنه قد بقي الآلاف من قدماء المحاربين وعدد كبير من المتعاطفين مع الثورة في البلاد، إلا أن الثورة كانت قد سُحقت، بدون أمل في ولادتها من جديد.

ولا يبدو لي أنني أبالغ، وإذا قلت بأن الشيوعيين قد ساهموا إلى حد بعيد في الوصول إلى هذه النتيجة. لأن خسارتهم لتعاطف السكان في الجبال الشمالية، وتطبيقهم الإرهاب ضد المدنيين، وتمسكهم بقواعدهم، واعتمادهم على الموارد الخارجية، واتخاذهم بشكل مبكر قرار التمسك بالأرض ضد قوى متفوقة من كل النواحي= قد هيأت المناخ لمجموعة الهزائم التي لم ينهضوا بعدها].

يلخص الأخطاء كلها في جملة واحدة.

[لقد خسروا في الساحتين العسكرية والسياسية، لأن انتصار الجيش اليوناني حدَّد أيضاً نهاية الحركة الثورية].

[يؤكد المثال اليوناني تماماً المبادئ الثورية. فليس هدف حرب العصابات كسب المعارك، بل تجنب الهزيمة، كما أنه لا يتمثل في إنهاء الحرب بل في تمديدها حتى يحدث انتصار سياسي، أكثر أهمية من أي انتصار عسكري.

وعند تضحيتهم بمزايا تكتيك حرب العصابات، في سبيل استراتيجية عسكرية أساسها احتلال الأرض، وضع الشيوعيون اليوانانيون الضعف أمام القوة. وعندما غامروا بقبول الأرض، وضع الشيوعيون اليونانيون الضعف أمام القوة. وعندما غامروا بقبول المواجهة العسكرية، فإنهم لم يخاطروا بقواتهم فحسب، بل بالأهم من ذلك بكثير، ألا وهو الشعور الذي ولدوه عند الشعب بأنهم سيكسبون، والذي بدونه لا يمكن أن تنجح أية حركة سياسية.

الثورة، بالتعريف، ظاهرة جماهيرية. وتوضح اليونان وماليزيا والفيليبين تلك البديهية الفائقة، بأنه لا يمكن أن تتواجد ثورة بدون مساهمة الجماهير أو دعمها على الأقل. ولقد أضاع الهوك في الفيليبين هذا السند الشعبي، ولم يحوزه الصينيون في ماليزيا مطلقاً، كما حرم الشيوعيون اليونانيون أنفسهم منه بمحض إرادتهم].

أهم تجربة فاشلة بالنسبة لنا هي تجربة اليونان، لأنهم كانوا يمتلكون المقومات ثم لم يطبقوا القواعد ففشلت، وهناك شبه كبير جدا بين تجربة اليونان في أسباب الفشل الأساسية وما حصل في الجزائر إلى حد ما.

انتهى الكتاب عمليا، بقي عندنا فصلان لم نقرأهم، ممكن تقرأوهم أنتم.

كلام جميل للقراءة فقط، مر معظمه مفصلا، وتكلم كلاما نفيسا عن العصابات وعن ظروف المجتمعات التي تقوم فيها الثورة، كلام جيد، كلام عن القادة، مواصفات الناس، مواصفات البلد، مواصفات الشعب، مواصفات القيادات، ثم وضع مقومات خمسة لنجاح حرب عصابات، ١٠ صفحات تقريبا، لابد أن تقرأوه، وأنا إن شاء الله إتماما للفائدة سأسجله بعدين وألحقه بتسجيلات البحث.

ثم الفصل الثاني عشر، نصائح استراتيجية للسياسة الأمريكية وكيفية استيعاب الشعوب، وعدم الاصطدام المباشر مع حرب عصابات، وأن حرب العصابات إذا وجدت فستنجح وستسحق أي جيش نظامي إذا وقف في وجهها، يعني مجموعة من التوصيات يبدو لي من سياسة الولايات المتحدة الآن في الجزيرة أنها لم تستفد من هذه النصائح، ولا تزال العقلية الغربية العسكرية هي التي تسير سياسات الدول الاستعمارية.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

ﰡﰡﰡ

اطلعت على مذكرة حرب عصابات، هذه المذكرة لما شرحت لإخواننا التركستان بعد ما انتهينا، أخذت أحاول أن أجد فيها شيئا جديدا، فما وجدت فيها شيئا جديدا من ناحية إدارة حرب عصابات، نعم هو تكلم في قضية أيدولوجيا إدارة حرب عصابات هو نفس الكلام: المرحلة الأولى، المرحلة الثانية، أهمية الشعب، نفس الكلام، إلا أنه خلط موضوع الأيدولوجيا في حرب العصابات بموضوع فرعي ثانوي جدا وهو تسليح العصابات، فصار يكتب: تنظيم وحدات العصابات.

فكتب مثلا: وحدات العصابات تتألف من خطوط كذا خطوط الإمداد كذا، قائد يحمل كلاشينكوف، مساعد قائد يحمل كلاشينكوف، رامي رشاش يحمل بيكا، مساعد رامي رشاش يحمل كذا، يذكر التسليح الذي فيها، ثم ذكر خطوط الإمداد الطعام وظائف الطعام كذا، هذه الناحية الإدارية تعطي فكرة عامة لك كيف يجب عليك أن تهتم بتفاصيل التفاصيل في التذخير والتمديد والإشراف على تنظيم العصابات.

إلا أن الذي أريد أن أقوله أن الذي كُتب هنا هو لحرب عصابات ظروفها شبيهة بظروف أفغانستان أو ظروف الصومال أو ظروف البوسنة، يعني ظروف الجبهات المفتوحة، كأن يكون عندك مناطق محررة أنت مرتاح فيها، وتستطيع أن تعمل هذه الإداريات.

تسليح حرب العصابات ليس قانونا، وتنظيم موارد حرب العصابات ليس قانونا، القوانين الأديولوجية في إدارة حرب العصابات قوانين، من القوانين قضية أهمية الموقع، التفوق المحلي قانون، قضية إيقاع العدو في فخ السيطرة والقوة قانون، قضية الاهتمام بالشعب وعلاقتك به قانون، قضية أن ثورة العصابات هي عملية سياسية قانون.

ولكن لا أستطيع أن أقول أن القائد يحمل كلاشينكوف قانون، وأن مساعده يحمل كذا، يعني هذا التسليح والتنظيم هو تبع الظرف والحاجة الذي أنت تقع فيه.

فهذه المذكرة تكوّن لك ثقافة عسكرية عامة جيدة، وهي جيدة في الظروف المشابهة للظروف التي وُضع هذا البحث من أجلها، وهي ظروف أفغانستان مثلا بعد ما كانت محررة والحكومة محصورة في المدن، ظروف الصومال القوات الغربية محصورة في مواقعها، ثم البلد كلها تتجول فيها كيف ما تشاء، ظروف البوسنة وجود خطوط خلفية للمسلمين، ومعسكرات ومدن ومناطق محررة، فعند ذلك هذا التسليح هو تسليح عصابات قطعت مرحلة بين الثانية والثالثة.

التكتيكات الإدارية أشياء يفرضها الظرف الذي أنت فيه، وليس قانونا، بل هي تلقائية، يعني لو أنت لو واحد شالك ورمالك في منطقة وقال لك: يلا نظّم، فتلقائيا بحكم خبرتك وحكم مطالعتك العسكرية سترى أنك تحتاج مستشفى محتاج كذا، علاقتك بالسكان ستكون كذا، خطوط الإمداد ستكون كذا رجل مسئول عن البترول، رجل مسئول عن الماء.. إلى آخره.

النقطة الأخرى، قلت أن إخواننا ترجموا مذكرة في ١٩٨٠ لما كنا نعمل أكاديمية لتدريب المجاهدين في بلاد الشام، كنا نحن أطلقنا عليها اسم "النقطة السويسرية"، وأنا فقدتها فترة طويلة ثم عثرت عليها، في ضابط سويسري افترض من خلال ظروف الحرب العالمية أن سويسرا ممكن تحتل، فيتحطم الجيش لكن لا

يُباد، وتبقى بعض الهياكل الحكومة العسكرية كالشرطة والمرور إلخ، فتتشكل بعض المليشيات من طلاب الجامعات، فكيف سيقاوم المحتلين في سويسرا؟

فهذه مفيدة جدا، لأنه كتبها مثل البانوراما هكذا، لو قرأت لك الفهرس على السريع، يقول: الشعار: مقاومة حتى النهاية، تنظيم وقيادة حرب العصابات، الهدف من حرب العصابات، تشكيل الخلايا الفدائية، قوة الخلايا الفدائية، التنوع في القيادات، التشكيل التنظيمي، القيادة، التجهيزات، مصادر السلاح، مصادر الذخيرة، تنظيم الصيانة، تنظيم مصادر التمويل، العلاقة بأفراد الشعب، تكتيك الوحدات الفدائية، العمليات الأولى، سلوكيات عامة، الصبر والراحة، تبادل الرسائل، إنشاء عوائق أرضية، زرع الألغام، تخريب المنشئات، ترتيب الكمائن.. إلخ

يعني عامل خريطة تعطيك فكرة جيدة جدا عن ممارسة حرب العصابات، يدخل في تفاصيل صغيرة جدا، كالتخزين وكيفية الهجوم على محطات سكك حديدية، نظام الكمين، ثم تقييم لتجارب سابقة، فكتب عن حركة مقاومة ضد بريطانيا في الملايا، ثورات في هنجاريا، حركة الشعب في هولندا، حركة أيوكا في قبرص.

فهذه النقطة من النقاط القيمة التي يجب أن تحتوي عليها مكتبة أي إنسان يريد أن يدرس حرب عصابات، فهي موجودة هنا في معسكرنا، فمن أرادها فليصورها وليحصل على نسخة منها.

من القضايا المهمة التي يجب أن تدرس: قضية مقومات التنظيم، وهذه سجلت فيها شريطا، وكذلك نختار عشر مقالات في السياسة والعلاقات السياسية لتفتح الأفق في موضوع العلاقات، قضية إدارة حرب عصابات وكيفية وضع خطة، وشروط نجاح حرب عصابات، وفي كتاب "التجربة السورية" فيه ملخص عن كل كتب حروب العصابات التي قرأتها حوالي ٤٠ كتابا، كيف تضع خطة استراتيجية، وموضع الأجهزة الضرورية لحرب عصابات، وكيفية بناء وإدارة هذه الأجهزة، هذا خليط بين الإدارة والأيدولوجيا.

موضوع الإعلام عندنا والإعلام عند الغرب، هذا بحر متلاطم بكل معنى الكلمة، لا يمكن أن نمسه الآن، شغلة ضخمة جدا، يحتاج لبحث كبير، وأما عن العمل الإسلامي في الغرب فنفس العملية، فلا يهمنا كثيرا مباشرة وهو بحث ضخم جدا، ولكن هذه الأشياء يجب أن نتكلم فيها بعدين.

قضية التجربة الجزائرية لابد أن نستعرضها ولو على سبيل العناوين الرئيسية، وأنا عندي كمية من الوثائق لا بأس بها، وإذا جاءتنا المكتبة إن شاء الله تأتينا باقي الكتب.

دراسة تجارب التيار الجهادي أيضا موضوع كبير جدا، لابد أن نستعرضه منذ نشوئه من سنة ١٩٦٥ ما هي الفقاعات الأولى التي قامت، ثم كيف استقر، ثم كيف سيطر الفكر الجهادي المصري على باقي التيار الجهادي، والإيجابيات التي خلفها في التيارات الجهادية، والسلبيات أيضا التي خلفها، ثم ننتقل إلى باب الأخطاء في التيار الجهادي عموما، ووضعت لها عنوانا: "أخطاء ومفاهيم يجب أن تصحح"، يعني أخطاء في الأسلوب، والمفاهيم لها علاقة بالطروحات التي نتحرك من خلالها.

ومن خلال دورتنا هذه، لابد أن نعترف أن هناك عملية انقلاب جذري في التصور عندنا والتوجه في هذه المرحلة، فلابد أن نذكر مبررات هذا الانقلاب، لماذا كان الماضي خطئا؟ وما هي حدوده؟ كيف نستفيد منه، بحث جميل جدا.

قضية التنسيق وأممية الجهاد أنا كتبت فيها بعض الأبحاث، سأعطيها للجماعات لأنها ليس لها جدوى في البحث هكذا كمسألة عامة، فسأسلمهم بعض الأوراق كجس نبض لأرى إمكانية التنسيق بين الناس.

الآن المصطلحات السياسية والعسكرية قضية لعل أخانا يستطيع أن يجهزها في ٢٠ أو ٣٠ ساعة، الأيدولوجيا والاستراتيجية والما أدري ايش، فممكن قبل أن ننفض يعمل لنا صفحتين فيهم بعض المصطلحات.

إذا أردت أن أوجز، فنحتاج أن نمس:

قضية مقومات التنظيم، ومبدئيا شريطين ثلاثة في موضوع السياسة، وشوية في إدارة وأجهزة حرب العصابات، ولفتة عن القضية الجزائرية، يعني أربعة مواضيع تقريبا.

وممكن أضيف على كلامكم ضرورة لفت النظر إلى أهم الأخطاء والإيجابيات التي تميز بها التجمع العربي في أفغانستان في الشوط الماضي، حتى لا نعيدها مرة أخرى ونحن ننطلق في الشوط الثاني.

فبهذا الإطار ما زلنا نحتاج إلى أربعة أيام أو خمسة، ونحاول يعني نوجز فيهم.

وممكن أعمل نوعا من الاستطلاع، وأطرح عليكم عشرة أسئلة متعلقة بالدورة، نوع من الاستبيان، إضافة إلى ذلك أريد مقترحات تقترحوها علينا من أجل دورات مقبلة، ماذا رأيتم أنه ينقصنا، يعني أنا مثلا أود على رأس المقترحات أن أجهز نفسي أن أي دورة لا تقل عن شهر، حتى لا نسرع بهذه الطريقة.

الأخ: السؤال يقول: ما هو الضابط للعمل بالسياسة الدعائية في مجال حروب العصابات الإسلامية، مع أن العلم بأن السياسة بالمفهوم العصري تستحل الكذب في كثير من الأحيان، وفيها من المصالح القومية، لصالح الشرع أو لصالح السياسة الشرعية؟ وكذلك الكلام عن القيادة..؟

الشيخ: الذي فهمته أن هناك شقين من السؤال: ما هي ضوابط الدعاية وما هو حدود الكذب المتاح للمسلمين فيها؟ الأمر الثاني: ضرورة دراسة السياسة الشرعية من قبل القيادة؟

أما الشق الأول: فتناولته بشكل وفي في كتاب التجربة السورية، لأن الدعاية للجهاد في بلاد الشام قامت على الكذب المحض، تجربتنا في سورية الدعاية فيها قامت على الكذب، وكان يُكتب في مجلة لو رُفع منها الآيات والأحاديث، لكان كل الباقي كذب، يعني تهويلات ومبالغات من الإخوان المسلمين.

فالذي أقوله وحتى ذكرته هناك أنه حتى جيفارا الشيوعي الذي ليس عنده ضوابط، قال: (كانت دعايتنا وخطتنا في الدعاية تقوم على صدقنا في مواجهة كذب النظام)، حتى تحولت بياناتهم وتوجيهاتهم وعلاقتهم مع العالم وما يقولونه إلى مراجع موثوق بها من كل وكالات الأنباء، أما النظام فقد ألفوا منهم الكذب، وما لا يريدون قول الحقيقة فيه يسكتون.

فأساس عملية الدعاية الصدق، أولا لأنه لا يجوز الكذب، بحال من الأحوال، إلا في بعض القضايا المحدودة جدا، كقضية الكذب على العدو في مجال الخداع، أما فيما يتعلق ببياناتنا مع المسلمين أو بتوجيهاتنا أو فيما نعلنه عن أنفسنا أو فيما نعطيه من وعود أو نزعمه من مزاعم= فيجب أن يكون قائما على الصدق، لأن المؤمن قال الرسول عليه الصلاة والسلام فيه: "قالوا: يزني؟ قال: يزني. قالوا: يسرق؟ قال: يسرق. قالوا: يكذب؟ قال: المؤمن لا يكذب"، فحدود الكذب محصورة جدا جدا جدا، حتى في آخر الضرورات هي أشياء سطحية جدا.

الدعاية ضرورية وواجبة، وهذا التهويل الذي تقوم به وكالات الأنباء الأخرى والناس أعطى مفعولا سلبيا، الناس حتى الآن لو سمعت عن شَغلة في جرائد الدولة أو في الصحف أو في الإذاعة يقول لك مباشرة: كذب.

صحيح أن السياسة كلها قائمة على المبادئ الخسيسة واللا أخلاقية، ولكن حدود السياسة الشرعية المضبوطة عندنا وافية وكافية، ولو لم تكن كافية لانتصارنا ما أنزلها علينا رب العالمين وكان أنزل غيرها، لكنه أنزلها علينا بهذه الصورة لأنها كافية لو طُبقت، ولست بحاجة إلى اللف والدوران والميكافيليات والجانب الوسخ من السياسة المتعارف عليه.

لما يقول الله سبحانه وتعالى (أوفوا بالعقود) فهذه قاعدة أوفوا بالعقود، ولذلك الشيخ منير الغضبان حتى في أعظم زلاته لما أفتى بالتحالف الوطني مع الأحزاب، قال: هناك ضابطان لا تستطيع أي جماعة وهي تريد أن تتحالف أن تتجاوزهما:

الأولى: لا تستطيع أن تعد المشركين بالمشاركة في الحكم بعد النصر، ولو تعاونا على حافظ أسد، هذا ممكن، ولكن أن تقول له: بعد حافظ أسد نتقاسم السلطة بصورة كذا وكذا ولكم ولنا وحرية الأحزاب والتعبير وما أدري ايش= هذا ليس لك أن تعطيه، لأنه ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه لم يعطِ لهم أقل من ذلك بكثير، وفي أشد حالات الاستضعاف.

النقطة الثانية تهمنا، قال: ولا يجوز أن يعطيهم العهود وينوون النقض، لما جئنا نواجه الإخوان قلنا لهم: كيف تعدون هؤلاء بذلك؟ قالوا: لما ننتصر لكل حادث حديث، يعني سينقضون! يعني سيمارس السياسة الدولية، هم يعملون كذا ونحن سنفعل كذا.

هناك جانب أخلاقي نحن لنا فيه حدود، نحن نُصرنا بهذا الجانب الأخلاقي أصلا، وهذا جعل لنا مصداقية عند العدو أكثر من الصديق.

فالسياسة مضبوطة عندنا بأنها شرعية وليست مفتوحة، حتى قلنا لهم: اخترعتم شيئا يعني كل شيء صار فيه إسلامي، صاروا يقولون: ديموقراطية إسلامية، واشتراكية إسلامية، ورأسمالية إسلامية، وفي الآخر صار في كذب إسلامي واحتيال إسلامي وكله! حتى فقدنا الهوية نفسها.

يعني يطلع واحد في حملة انتخابية الآن يكذب مثل الباقين، لاحظ الحملات الانتخابية التي للمسلمين، وعود وعهود وولائم نفس القضية، الانتخابات الداخلية للإخوان المسلمين لما كنا فيهم والمصارعات التي حصلت داخليا على انتخاب مجلس الشورى مثل الذي تسمعه في الحملات بتاعة الكنيست وغيره، وعود حتى بالزواج، بزوجك بنتي وبعمل لك إقامة وبعمل لك عقد عمل، فمورست السياسة من قبل الإسلاميين بكل مواصفاتها الحقيرة، يعني معروف عندنا الآن أن كل سياسي معناه أنه رجل كذاب مخادع يعطي وعود بيلف بيلعب.

معظم المقابلات الصحفية التي تتم مع إسلاميين تجدها قائمة على اللف والدوران وعلى إخفاء الحق، الأغلبية الساحقة لها هكذا، ويظنون أن هذا من باب دفع المفاسد واستجلاب المصالح، سيد قطب وضع قانونا في هذه القضية من أعظم ما يكون، قال: أما صميم العقيدة فهو ملك الله سبحانه وتعالى، وليس

للداعية ولا لصاحب الدعوة أن يتمتم ولا يجمجم ولا يلف ولا يدور، لأن حق الله يجب أن يبين للناس، وأما ما كان من أسلوب البلاغ من التلطف وغيره= فهو راجع للداعية وملكه.

أنا أرى أنه ليس من السياسة إطلاقا أن يقع أي شخص في مداهنات لحكام الخليج من أجل مصالح يراها سياسية، ويضفي عليهم صفة شرعية، لأنه يهز أحكاما واضحة، وتسميات واضحة أنزلها الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الناس، فهو يخفيها، وليس من الحكمة ولا من الموعظة الحسنة أن يكذب الإنسان مثلا ويقول عليهم كذا.

الغنوشي في النهاية أسقط حد الذمة أصلا، قال: هذا لم يعد له وجود ولا إمكانية للتطبيق، ثم أسقط الردة قال: ليس هناك ردة، هناك حرية اعتقاد وتعبير، ثم أسقط ثم أسقط ثم أسقط، في كتاب "الحرية السياسية للإسلام" لراشد الغنوشي، تجد فيه من العجب الذي يوقف شعر رأسك.

مع أن الرجل ذكر في أول الكتاب نصوص الردة وأقوال العلماء وخلافهم حتى في الانتقال من دين إلى دين هل يقتل أم لا لأن الحديث عام، فتجد أن الرجل يعلم كل الأحكام، بحيث لا يأتي أحد يقول: لعله لا يعلم، ثم بعد أن نقل من العلماء تجده يقول لك: نجد فريقا آخر من العلماء قال كذا، وأتي بنقل عن محمد سليم العوا، ومحمد سليم العوا رجل علماني، ثم نجد الشيخ الترابي قال كذا، يعني لما يقترب من المسلمين يقترب يقول لك: محمد الغزالي، فقال: ونحن نأخذ بمنهج الفريق الثاني.

يعني ما ترك لك أن تقول يعرف أو لا يعرف، حط أبو حنيفة والأئمة والعالم وحديث: "من بدل دينه فاقتلوه" والقرآن، ثم قال: أنه قال سليم العوا وقال محمد عمارة وقال، ونحن نأخذ بالمنهج الثاني، وبنى عليها منهجا، طيروا ثلاثة أرباع الدين بهذه الطريقة.

والذي أعرفه وأنا جلست مع راشد الغنوشي أن كثيرا من هذا الكلام هو ليس مقتنعا به، وهو كلام الغرض منه ما ذكرت أنت، وهو الاستهلاك الإعلامي وإسكات الخصوم وما أدري ايش، فإذا أردنا أن نحسن الظن ونصدقه أو نصدق من يدافع عنه أنه غير مقتنع بهذا الكلام، إذا قلنا أنه مقتنع بهذا الكلام فكارثة هندخل في الأحكام اللي أنا ما بجبها أصلا.

وهذا ليس من حقه، سئل عدنان سعد الدين عن قضية من أهم مفاتيح الصراع في سورية، ايش مصير الطائفة النصيرية إذا استلمتم الحكم في سورية؟

من الناحية الدينية الشرعية النصيرية معروف حكمهم، ومن الناحية السياسية قتال النصيرية أصلا هو مفتاح صراع، مفتاح الصراع هو القتال بين أهل السنة والنصيرية في سورية، ومن الناحية الواقعية نحن ذُبحنا وانتهكت أعراض المسلمين وقُتلوا وخُربت ديارهم من النصيرية حكومة وشعبا.

فهو رأى أنه من السياسة أن يقول أن هؤلاء مواطنون وشركاء في الوطن وما أدري ايش.

قال له: ايش رأيك في النصارى؟ قال له: متلاحمون معنا شعبا وقلبا وقالبا، النص موجود في كتاب "التجربة السورية" اقرأوه.

حتى أقول لك من الإعلام العجيب، أن المسمى مرحوم في بياناتهم المرشد العام للإخوان المسلمين حامد أبو النصر، في عيد الأضحى ١٤١٦ بعد أن كتب عن الكتلة الطائفية والإخوان وايش يكون، أضرب لك مثلا عن الرجل الإسلامي لما يمارس هذا النوع من الإعلام الذي تتكلم عنه.

قال: أنهم يشككون في ديموقراطيتنا، ويشككون في موقفنا من النصارى، ويشككون في موقفنا من الحكومة، ويشككون في ممارستنا للعنف وفي كثير من الأمور، ولقد بينا كثيرا وطويلا ويبدو أنه غير كاف والآن سنخرج بيانا جامعا شاملا يحدد موقفنا من كل هذه القضايا، وسماه "هذا بيان للناس"، وإن شاء الله إذا جاء الأرشيف عندي منه نسخة.

صدقني لما أخذت النشرة بتاعهم "هذا بيان للناس"، وموقعة باسم حامد أبو النصر كل ذهني ذهب إلى أنه شوية صيع من التكفير كاتبين كام كلمة ومفترين على الجماعة وعاملين بيان ولاصقينه فيهم، ما تصورت بحال من الأحوال أن ينسب أحد هذا إلى نفسه، وإذا بعد ثلاثة أيام أراه في مجلة "الدعوة" الرسمية وفي "المجتمع" وفي كل مجلات الإخوان، طلع صحيح.

آخذ لك منه فقط نصا بسيطا، يقول: (وإخواننا النصارى في مصر والعالم العربي والإسلامي شركاء في الوطن ورفاق الكفاح الطويل، لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، وللذي لم يفهم يقول: (لهم كافة الحقوق المادي منها والمعنوي، المدني منها والسياسي، والبر بهم والتواصل معهم فرائض إسلامية لا ينكرها مسلم، ونحن نبرأ من كل من يقول أو يفعل خلاف ذلك).

هذا الكلام من ناحية التوصيف الشرعي فيه كامل الولاية للكافرين، وزيادة فيه كامل البراءة من المؤمنين، لو جئنا نفصله يقول: (إخواننا النصارى) أول شيء سيقفز إلى ذهنك قول الله (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) إخوانه هو الآن يدبر نفسه عند ربه نسأل الله أن يرحمنا ويرحم المسلمين.

الكذبة الأولى قضية (شركاء في الوطن) أنا لم أقل أن ندخل معهم في معركة، وأرجع أقول ليست معركتنا الآن في مصر ولا بوابتها القتال مع النصارى، ولكن أن أقفز عن هذا التجنب لمشكلة جانبية، وأدخل أفتري على الله الكذب، يعني في تشريع مين؟

يا عمي اطلع في كلام شنودة على المسلمين الآن ايش يقول، وبعدين المصيبة في كل هذا الكلام قضية التشريع (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) هذا الكلام كذب، ليس لهم ما لنا، أقلية محترمة لها حقوق العبادة، لها حق الذمة ذمة الله ورسوله، لها أمور محطوطة مقننة، ولكن ليس لهم ما لنا.

ثم فصل في ذلك فيقول: (لهم كافة الحقوق المادي منها والمعنوي) المعنوي ايش؟ يعني يشمل التواد والتراحم، والله سبحانه وتعالى قال (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) وقال بعدها (ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم).

بعد ذلك يقول وهنا الطامة الكبرى: (المدني منها والسياسي) معنى ذلك رئيس الدولة، رئيس الوزراء، قاض، إمامة جيش، إمامة عظمى، كل هذا الكلام، وهذا تشريع من دون الله، وهذا الكلام موبقات، وهو رد لنصوص القرآن نفسه لا الحديث فقط، قالوا لعمر بن الخطاب: "ولِّهِ كاتبا، قال: لا أوليه، أخشى إن

وليته أن أكون قد اتخذت من دون الله ورسوله والمؤمنين وليا"، وقال: "لا أرفعهم إذ وضعهم الله"، فلم يجبرنا أحد أن نعرض أحكام القوة لأننا في مرحلة استضعاف، إنما هل جبرنا أحد أن نخرج العكس؟!

بعد ذلك لما تأتي إلى نهاية القضية، يقول: (والبر بهم والتواصل معهم فرائض إسلامية لا ينكرها مسلم، ونحن نبرأ من كل من يقول أو يفعل خلاف ذلك)!

قضايا خطيرة جدا، يا عمي الرسول عليه الصلاة والسلام فعل خلاف ذلك، وأبو بكر الصديق فعل خلاف ذلك، وعمر أوضح من فعل خلاف ذلك، وهي وثيقة بيت المقدس، وانظر حقوق النصارى التي وضعها عمر، بل لم يضعها عمر، وضعها النصارى على أنفسهم، قالوا: (ولكم علينا ألا نعمر كنيسة جديدة، ولا نرمم قديمة، ولا نرفع صليبا، ولا ندق ناقوسا، وأن نتميز في الطرق) وأن نفعل وأن نفعل، يعني عجب، فلما أعطوها لعمر رضي بها بعد أن قرأها، وزاد عليها في الآخر: "وألا نضرب مسلما".

فالرجل برئ من عند عمر إلى عند آخر واحد في الجماعة الإسلامية الآن!

ثم جئت لأناقش واحدا من قيادة الإخوان المسلمين، والرجل مدرس لغة عربية، قال لي: قبل أن أناقشك لابد أن نتأكد من نسبة هذا الكلام لفضيلة المرشد العام، قلت له: يا عمي في كل الجرايد، في واحد جنبه قال لي: لعله يقصد (إخواننا النصارى) يعني كل إنسان أخو الآخر من بني آدم، والثاني أخرس، (لهم ما لنا) قال لي: أبدا هذا ضمن حدود الشريعة، لهم ما لنا ضمن حدود الشريعة، وعليهم ما علينا ضمن حدود الشريعة، فيها شيء؟! وأمسك نقطة نقطة هكذا.

الشاهد أنهم لما يظهرون أمام الإعلام يكثر الكذب والافتراء على الله ويكون هو أساس المقابلة.

هؤلاء مسمون إسلاميين، كمال الهلباوي خرج في برنامج الاتجاه المعاكس أظن مع واحدة علمانية قطرية أستاذة جامعة ولا ما أدري ايش، وبدأ يتناظر عن الإسلام والمسلمين، فيتكلم عن الحريات وكذا، فقالت له المرأة: شوف يا سعادة الدكتور ما تقول لي حريات وكذا، عندكم بالإسلام هل يسمح لي أنا أن أصير

رئيسة حكومة؟ فكان جوابه الفقهي العظيم: لو المسلمات فيهم واحدة مثل مارجريت تاتشر، وماله.. وبعدين فضيلة الشيخ محمد الغزالي قال أن هذا يجوز، وقال: على كل حال، نحن الآن في عصر الديموقراطية والاختيار، شعوبنا عايزة رجالة! الست شلحته ثيابه في المقابلة.

قابلت في لندن قيادات من الإخوان المسلمين قالوا لي عنه: أخزانا خزيا ألا يوجد في كل التنظيم الدولي واحد غيره؟

فإذا كان الإعلام بهذه القضية فقد أحبطوا أنفسهم وجلبوا الاستهزاء بدينهم، إذا كان ابن القيم يقول: لا يجوز لرجل ليس صاحب حجة أن يناظر النصارى، لأنه لن تظهر ضعف النصرانية، بل سيظهر أن الإسلام هو الضعيف بضعفه.

فمن وجد نفسه في الإعلام قادرا على أن يقول الحق= فنعم، باب عظيم جدا، وفوائده من أعظم ما يكون، ولا يزال هناك في الإعلام الدولي والعربي والكافر وفي كل مكان ثغرات لا تزال تضيق يوما بعد يوم، ولكن هذه الثغرات ممكن نحقق منها مصالح عظيمة جدا، ولكن عندما تنعكس الآية وتصبح هذه الثغرات من أجل إرضاء الناس، فتكون من أخذل ما يكون.

قلت لك أنا أعتبرها من الغزوات الناجحة لما عملنا مقابلة مع قناة الـ CNN مع أخينا أبي عبد الله، قال له في آخر الكلام: ايش رسالتك لكلينتون؟ قال له: والله أنا ما عندي رسالة لكلينتون، بس أريد أن أقول أني واحد من المسلمين تشمئز نفسه لما يسمع اسم كلينتون وأشعر بالقرف، يعني مباشرة يسقط في مخيلتنا النساء والأطفال وكذا، وإذا في رسالة فمش لكلينتون، وإنما لأمهات جنود الأمريكان، أن هذا كلينتون باعت لنا ولادكم حتى نقتلهم ونرجعهم لكم.

وكانت نصرا كبيرا جدا أن يخرج هذا الكلام، وينتشر في الرأي العام الإسلامي فيرفع معنويات المسلمين، وفي الكفار فيخلخل صفوفهم إلخ.

قادر أن تحقق مثل هذا الكلام فاتفضل قله، لن تقدر فلا، الإعلام عبارة عن حرب عصابات بكل معنى الكلمة، يعني تقول كلاما وليس عندك رصيد ولا تستطيع أن تثبته في الواقع= تصير مشكلة.

هناك طائفة من الإخوان مجرد واحد فيهم طلع للإعلام، فقد ارتكب الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، دخل الإعلام يعني خسر نصف دينه، وكان هذا تفريطا من الجهة المعاكسة نهائيا، لابد أن ترى من جلس، مع من، ما هي مصلحة الجلوس، ماذا قال، والله أعلم.

العمل الجهادي لم تتسرب له الحمد لله، لأن الجهاديين لم يمارسوا سياسة، دائما تمارس عليهم السياسات، فإذا بدأنا نمارس سياسة فهذه السياسة لابد أن تكون مضبوطة بالحدود الشرعية، وأما في الإعلام فتعتمد الصدق.

أما الشق الثاني من السؤال: هل يجب على القيادات أن تدرس السياسة الشرعية؟ أقول نعم، يجب على القيادات أن تدرس السياسة الشرعية، يجب على القيادات أن تطلع على جانب السياسة الشرعية على الأقل، يعني لو لم تستطع أن تدرس المواريث وفقه الزكاة والفروع الكثيرة فليس مشكلة عدا العبادات والضروري عليها.

لكننا نخوض في أهم الأشياء، وهي: الدماء والأعراض ومصالح الناس مسلمين وغير مسلمين، في ما يحل وفي ما لا يحل، فأما القائد الذي سيتخذ قرارا، فكما على التاجر الذي يجب عليه أن يدرس البيوع والزكاة، فعلى القائد أن يدرس السياسة الشرعية، وأمهات كتب السياسة الشرعية ليست كثيرة، وباقي أحكام السياسة الشرعية متناثرة في كتب الفقه، وهذا له تفصيل آخر.

عندما نضع مخططا لإعداد قادة، فمما يجب أن يدرسوه: السياسة الشرعية، قال عمر بن الخطاب: "تفقهوا قبل أن تسودوا"، لأن الذي يسوّد تصير بيده مصائر الناس، ولكن يجب أن ألفت النظر إلى قضية هامة جدا، وهي أنه إذا لم يكن من الممكن أن يكون القائد نفسه محيطا بالسياسة الشرعية، فيجب أن يكون له مراجع شرعية يستعين بها.

ممكن يكون عسكريا مثل كثير من الخلفاء والقادة الإسلاميين في التاريخ عسكر، ولكن كان لهم مشايخ ومراجع يعتمدون عليها، فبين ما عنده وما يمكن أن يصل إليه= يجب في النهاية أن تمر قراراته بالمصفاة الشرعية، ولا تكون بدون تنقيح شرعي.

إلا أننا كما يقول أخونا يجب أن نلفت النظر إلى أننا في مرحلة الاختصاص، يعني أنت في القيادة عندك مستشار سياسي، يجب أن يكون مختصا بالسياسة، واع بكل الأمور التي نتحدث فيها، وكل واحد يجب أن يكون عنده حد أدنى من العلوم الشرعية، وحد أدنى من فهم السياسة الشرعية، لكن بعد ذلك كل واحد واختصاصه، واحد اختصاصه عسكري، واحد اختصاصه إعلامي، واحد اختصاصه سياسي، وهكذا.

لماذا نحن نطالب بالقيادة الجماعية ضمن الضوابط الشرعية المعروفة؟ لأن القيادة الجماعية تجعل إمكانيات المجموع كله هي إمكانيات القائد، ومن ضمن هذه المراجع يجب أن يكون عنده مرجع للسياسة الشرعية، ضروري جدا.

وأمهات الكتب في السياسة الشرعية حوالي سبعة كتب فقط، "الأحكام السلطانية" للماوردي، "الأحكام السلطانية" لأبي يعلى الفراء، بينهما تشابه كبير، يشك العلماء أن أحدهما منسوخ عن الآخر، "الطرق الحكمية" لابن القيم، "السياسة الشرعية" لابن تيمية، وهو مأخوذ من الفتاوى الكبرى، وفي كتاب هام وعظيم جدا جدا اسمه "غياث الأمم في التياث الظلم" لإمام الحرمين الجويني، وما يهمنا فيه أن الرجل كان متطورا عن عصره ألف سنة، فكتب وافترض أنه لم يعد هناك حاكم يحكم بالشريعة ولا مفت ينشر الدين، فأراد أن يعطي الناس قوانين كيف تهتدي فكتب هذا الكتاب، كأنه لنا وهو مكتوب في عصر السلاجقة ونظام الملك، يعني منتصف القرن الخامس تقريبا.

ومن الكتب المعاصرة كتاب اسمه "في السياسة الشرعية" لعبد القادر عودة رحمه الله، وكتاب "السياسة الشرعية" لرجل معاصر كتاباته جيدة جدا وهو الدكتور عبد الله فهد النفيسي، وله كتاب أيضا يهمنا وإن لم يكن في السياسة الشرعية ولكنه عظيم جدا اسمه "عندما يحكم الإسلام"، سبب له مشاكل، والدكتور

النفيسي ذهب لإنجلترا حتى يدرس الطب، فاجتذبته السياسة، فدرس علوما سياسية وكان محاضرا في جماعات بريطانيا فترة، ثم أخذته مصيبة البرلمانات والانتخابات وقضية الكويت، إلا أن كتاباته جيدة.

وكما قلت أن الأصل في موضوع السياسة الشرعية كما يقول ابن تيمية رحمه الله أنه قائم على موضوع المصالح والمفاسد، وفي كلام للشاطبي عن السياسة الشرعية.

فالقائد يعني المفروض عنده أولويات، يقرأ له تفسيرا أو تفسيرين، كتابين أو ثلاثة في السيرة، كتابين أو ثلاثة في الأحاديث والصحاح، وخاصة الأحاديث التي تهمنا وشروحها في جانب السياسة، فالمفروض يكون عندنا برنامج، إذا يسر الله سنضع أولويات وبرنامج من أربع مراحل نعود فيها إلى طريقة تربية الصحابة إن شاء الله تعالى.

المتفرغون للجهاد ممكن في سنتين ثلاثة يضموا ما هو أكبر من منهج كليات الشريعة بكثير، وبعد ذلك إذا أراد أن يختص بالمفترض على المعسكرات أن يهتم فيها بقراءة كتاب محمد بن الحسن الشيباني، وهو أكبر موسوعة موجودة في أحكام الجهاد، ثم يأتي إلى باب الجهاد في كتب الحديث وفي كتب الفقه فيقرأها، ففي الآخر تتكون عنده حصيلة عامة يستطيع أن يميز فيها بين الأحكام، يعني يفهم الأدلة، لو قرأ فتوى بدليلها يفهم أن هذا الدليل كذا وكذا.

ولكوننا في عصور الانحطاط علميا فلابد للقيادة من أن يكون لها مراجعها الشرعية، ولأننا في عصر منحط جدا، ومعظم العلماء الذين يمكن أن يشكلوا مرجعا غالبهم في صف العدو أصلا وضدنا، والذي ليس في صف العدو رمى نفسه في منزلة الشيطان الأخرس، وسكت عن الحق، ومن خرج عن ذلك وضعوه في السجن، ومن شذ عن ذلك فهو مختبئ، يعطينا فتوى ويقول: لا تذكروا اسمي، فبقي عندنا نزر يسير من الناس الذين يمكن أن نأخذ منهم في هذه القضية.

فإذا لم تجد فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، الذي علينا نحن أو على أي إنسان عنده قرار لابد أن يتخذه، أن يسأل أهل الثقة في علمهم وفي دينهم وسلوكهم.

الأخ: هناك سؤال: في علاقات الجوار الدولية يعني، هناك دول تخالفنا عقائديا مثلا، تجاورنا الهند وإيران وكازخستان، ودول أخرى تخالفنا عقائديا ومنهجيا، فهل يجوز أن نناور سياسيا في مسألة دول الجوار، عن طبيعة العلاقة بيننا وبين دول الجوار، ولا نصرح بموقفنا الشرعي الذي لا يتغير، يعني مثلا دولة الهند دولة مغتصبة لأرض المسلمين، ولابد أن تحل قضية كشمير إلخ؟

الشيخ: يعني شوف في حكم لابد أن نفهمه نحن، حتى الآن المسلمون لا يفهمونه وغير متفقين عليه، وهو مبدأ دولة مش فقط للمسلمين، كل الإمبراطوريات ذات الرسالة وكل الدول كل الحركات ذات الرسالة والتي لها عقيدة رسالية، مارست عملية التوسع ولم تضبط لنفسها حدودا ولا خريطة محدودة، هذا في التاريخ كله، الروم الفرس الاتحاد السوفييتي أمريكا فرنسا إنجلترا بني إسرائيل، إلى الآن اليهود لا يعتبرون أن لهم حدودا.

فالإسلام دين جاء ليقيم دولة ليس لها حدود، حدودها إسفنجية، هذا لابد أن نفهمه نحن أولا، أن العالم بالنسبة لنا لابد أن يُصار إليه إلى نهاية أحكام السياسة الشرعية، وفهم بعض الناس غلط أننا يجب من الآن أن نأخذ أنفسنا به ولو بالاستضعاف، هذا ليس صحيحا والله أعلم.

ولكن يجب أن يُصار إليه بحيث ينقسم العالم كله إلى ثلاث دوائر: دائرة نحن نحكم فيها بما أنزل الله بالقدرة، ودائرة قادرون عليها حتى تخضع لما أنزل الله، ودائرة موضوع عليها الجزية، فهي خاضعة للمسلمين تدفع لهم الجزية، هذا الوضع هو الذي يجب أن يُصار إليه.

خلال هذه القضايا معك المجال مفتوح، لأنك غير قادر على الغزو للأبد، فتتفق اتفاقا محدودا بزمن الذي يسمونه اصطلاحا الآن بـ "عدم الاعتداء"، يعني محدد، هذا لأنك ضعيف، ممكن يبلغ بك الضعف أن تدفع ثلث ثمار المدينة، يعني تدفع جزية للكافرين، كما همّ الرسول عليه الصلاة والسلام أن يدفع الثمار

لغطفان ما حاصروا المدينة، وثبت أنه في جزء من مراحل الدولة الأموية دفعوا نقودا للروم حتى يكفوا مددهم عن ثوار نصارى في جبال لبنان.

قيل لأحد الإخوة: كيف ستتعاملون مع العالم إذا قامت الدولة الإسلامية؟ قال: كما تتعامل أمريكا اليوم مع العالم، دولة عظمى تحط على كل الكرة الأرضية الصغار، من الأوروبيين وأنت نازل للعالم الثالث، كل الإمبراطوريات العظمى بهذه الصورة.

من الضروري الآن أن تُسأل وأنت مازلت حركة لم تستقر ليس عندك حكومة: ما طبيعة علاقتك بهم؟

تقول له: سنفعل وسنعمل وأنت لازلت لا تجد الخبز أصلا، أنا لما بطلع من تحت قدمك بوريك!

فليس الإنسان ملزما أن يتنطع هذه التنطعات. إذا أنت هارون الرشيد ولا ألب أرسلان خلاص، إذا أنت في الحالة الأخرى فلك في الصمت والمناورة والمداورة مندوحة.

ونحن الآن أمام مشكلتين: مشكلة قيادات إسلامية تصرح لا ضابط لها من سياسة شرعية نهائيا، ومشكلة أفراد يريدون أن يغلقوا باب المناورة السياسية على قيادتهم، بحيث –حسب تصوراتهم الضيقة جدا للأحكام الشرعية– يريدون أن يحصرونا في أكبر أحكام القوة ونحن في أكثر حالات الاستضعاف، والقضية يعني بين هذا وذاك، والله أعلم.

مرحلة القوة لها قوانين ولها تصريحات، ومرحلة الضعف لها قوانين ولها تصريحات.

الأخ: سؤال عن الدعم الشعبي، وهل هو من شروط النصر؟

الشيخ: قضية تنزل النصر ليس من شروطه الدعم الشعبي، تنزل النصر ليس له شرط أصلا، لا من الشعب ولا من سلاح ولا من عدد ولا من عدة، قضية تنزل النصر من الناحية العقدية احتفظ الله سبحانه

وتعالى بها لنفسه، هناك أشياء يؤتيها إيتاء قال تعالى (تؤتي الملك من تشاء)، قضية المعتقد شيء، وقضية سعي "سددوا وقاربوا" شيء آخر.

لما الرسول عليه الصلاة والسلام قال أنه جف القلم على القدر، فقالوا إذا لماذا السعي؟ فهذه إشكالية الأسباب والنصر مثل إشكالية القدر، ايش علاقة ما سيكون وينفذ بقضاء الله سبحانه وتعالى، بما يجب علينا أن نفعله ضمن دائرة قضاء الله سبحانه وتعالى، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أجاد كثيرا جدا لما لخص المسألة وقال: "نفر من قدر الله إلى قدر الله"، فقدر العطش يدفع بقدر الشرب، وقدر الجوع يدفع يقدر الأكل، ونحن مأمورون بأن ندفع هذا بذاك، وكله بمشيئة الله وكله بقدر الله سبحانه وتعالى.

فعندما نتكلم في عالم الأسباب لا يفهم علينا فاهم أننا جردنا مسألة الاعتقاد، ولا يلزمنا إنسان أن ندخل مسألة الاعتقاد ويحط علينا الأسباب، لأنه يخرجنا عن دائرة التكليف أصلا، بل هو يعارض منطوق الشريعة نفسه، فنرجع نؤكد أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء متى شاء كيف شاء.

أما موضوع تأييد الشعب وضرورته كعامل من عوامل النصر في حرب عصابات= فنعم هو ضروري جدا، ومما اكتشفنا أنه من سنن الله سبحانه وتعالى بالملاحظات في حركات الشعوب، أن كل الحركات التي لم تعتمد على نصرة شعوبها، أو أن شعوبها خذلتها، أو هي خذلت شعوبها، كلها بالإجماع عبر التاريخ انسحقت. فنحن اكتشفنا سنة.

واكتشفنا أن كل الحركات التي وقفت معها شعوبها، أنها كلها انتصرت، من هذا الباب، إلا إن كان سبب انهزامها سبب آخر.

ونظرنا في تشريعاتنا وفي ديننا، فوجدنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام سعى إلى هداية الناس، وسعى إلى جمع الناس، بل إن الله سبحانه وتعالى وجهه إلى جمع الناس، وقال (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)، فلابد أن تتألف الناس حتى لا ينفضوا من حولك، على التفصيلات التي تكلمنا فيها.

قضية عالم الأسباب بقضاء الله سبحانه وتعالى قضية جدلية من أعقد أمور الإيمان، ويسرها الله سبحانه على أهل السنة ففهموها وكتبوا فيها كلاما عظيما جدا.

قضية نصر الله شيء، وقضية الأسباب شيء آخر.

فمن أهم الأسباب في نجاح حرب عصابات: بالملاحظة، بقراءة في التاريخ، بتجارب الكافرين والمسلمين، بل بتجاربنا نحن أنفسنا، رأينا هذه السنّة.

قضية القيادة الميدانية، نظرنا في كل الحركات ذات القيادات غير الميدانية فوجدناها فشلت، فاكتشفنا سنّة أن حرب العصابات تحتاج لقيادة ميدانية، فنحن نتكلم فيها.

هذه علاقة السبب بالقدر، بهذه الصورة.

بينما في الأمر الآخر، هناك شعوب لم تتهيأ أو لم تقف مع الجهاد وتؤيده، هناك حالات أخرى غير الحالة النموذجية التي نتكلم فيها، في موضوع دفع الصائل، دفع الصائل هو جهاد للكفرة وللحكام وللصائلين حتى من المسلمين، أمر ليس له علاقة بإقامة الشريعة، ولا تحقيق الدولة، ولا ردع الكافرين ولا شيء.

قضية دفع الصائل عليك أن تقاتل دفعا للصائل، فهذه حالة دفع الصائل لا تحتاج إلى شعب ولا تأييد ولا أحد، صال عليك صائل فتدفعه، ، وهي بين جائز وواجب، جائز مثل الدفع عن المال، وواجب مثل الدفع عن العرض، فهذا ليس علاقة بالشعب.

لكني أقول، أن شعوب المسلمين مؤهلة ومهيأة لدعوتنا لو دخلنا من مداخل صحيحة، يعني مشكلة تأييد الشعب هذه ممكن يشتكي منها الشيوعي أو الرأسمالي أو العلماني القومي، أما نحن المسلمون نقول عندنا تخوف ألا يؤيدنا الشعب؟ معناها نحن لا نستطيع الكلام مع الشعب، نحن مسلمون وهم مسلمون ولكل قطر مفتاح مناسب، فإذا أُحسنت المفاتيح فلابد أن يؤيد الشعب.

اللفتة الهامة جدا أن هناك تأييدا نسبيا من الشعب، يرتفع جدا لو أنت بدأت القتال، يعني في سلاح غير متوفر، تبدأ تتوفر بعض الأسلحة، وهذا من الحكمة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤتينا الحكمة، أن الناس تعرف رأسها وتعرف كيف تتحرك فتسعى إلى تأييد الشعب ولا تأمين المناطق، حتى لو وجد أرضه لا تكفي فممكن يتخطى الحدود ويعمل من خلال منطقة إقليمية، وليس من خلال رقعة محدودة.

فقضية الشعب لازمة لحرب عصابات متكاملة، أما قضية دفع العدو دفع الصائل رد المعتدين أعمال استشهادية فليست كذلك، سليمان الحلبي جاء من آخر الشام إلى مصر لكي يقتل كليبر ويريح المسلمين وينكي العدو ويُقتل في سبيل الله، لا شعب ولا مش شعب، هذه قضية، وقضية إنسان يريد أن يمتد ويبني كذا قضية أخرى، والله أعلم.

الأخ: مسألة الحاجة إلى الكثرة وتجميع الناس وتحميلهم السلاح، في الفتوحات سيدنا عمر استعمل المرتدين السابقين في جيوش المسلمين ضد فارس والروم، بعد أن لم يكن أبو بكر يستخدمهم، للفارق العددي الهائل، نظام دولي بأكمله يحارب المسلمين، فهم يحاربون على الجبهتين.

سنة الرسول عليه الصلاة والسلام تثبت أنه سعى إلى الناس، وسعى إلى الأكثرية وتطويل الحرب، في غزوة بدر كانوا ٣٠٠، ثم تطورت في غزوة أحد فكانوا ألفا، إلى أن دخل مكة بـ ١٠ آلاف مقاتل، لم تستطع مكة أصلا أن ترفع السلاح، كان اكتساحا في العدد والعدة.

ثم إنها حق على كل مسلم، لازمة له وحقه، لا تستطيع أن تمنع أحدا من حقه، ولا تترك أحدا يتخلى عن واجبه، حرب المدن فيها عقبات لابد أن تحرض، ولا يقال أن المسألة غير مرتبطة بكثرة ولا بعدد، لأن هذه مسألة إيمانية.

الشيخ: في البوسنة الناس لم يبق من إسلامهم إلا أسماؤهم وأسماء آبائهم وأنهم مسلمون، هذا في الأغلبية الساحقة جدا، وحتى الغرب اكتشف أنه أعادهم إلى الإسلام بسبب هذه المشكلة، فقضية الجهاد والحرب ترجع الشعوب إلى الإسلام.

نحن متخوفون من أننا لن نستطيع أن نكسب الناس نتيجة فشل الدعوة الإسلامية غير الجهادية في حشد المسلمين، ثم فشل جزء من التيار الجهادي لما طرح طروحات غير جماهيرية فلم تحشد المسلمين.

كان واحد من قادة الشيوعيين في سورية يقول: (لو كانت لنا فقط منابر يوم الجمعة لحكمنا سورية من مئات السنين)، إذا لو عندنا لقاء أسبوعي نجمع فيه الناس تسمعنا، ونحن نعرف ما نكلمهم به= فلابد أن نكون قد عبأنا كل الناس، فقط الناس مجبرة أن تأتينا يوم الجمعة تسمع منا، لكن نحن عندنا صلوات الجماعة والأعياد وكل المواسم الدينية وكل المناسبات، ومع ذلك للأسف الخطاب الإسلامي بدءا من المشايخ ضعيف جدا جدا.

كان قمة الجهاد والقتال عندنا في حلب في المدينة ذهبت مرة لأحد المساجد فخطب الخطيب عن الثوم، وأن يبتعد الناس عن المساجد إذا أكلوا ثوما وكذا، والقتل والذبح مستحر في المدينة وهو يتكلم عن الثوم، ومرة ثانية تكلم عن بركات قميص الرسول عليه الصلاة والسلام وأنه لو وضع على المرضى لشفوا وكذا، المهم طلع الخطيب بعد ذلك نقيب في المخابرات فقتله المجاهدون.

الشاهد أننا نضيع فرصا عظيمة جدا لتعبئة الناس، لاحظ مواسم التعبئة السياسية، الله سبحانه وتعالى جعل لنا الصلوات والأعياد ثم جعل الأمة كلها في الحج، كلها مواسم من أجل التعبئة والحشد، طبعا قلت لك أن ابن عثيمين كان يحدثهم عن بدع الطواف وأن هذا الطواف فيه بدع، وأن هؤلاء الملاعين أتوا لنشر البدع ومعهم كتب مبتدعة، والكتب أصلا مطبوعة في السعودية!

فنحن الذين لم نحشد الناس، الناس مؤهلة للإسلام، تحتاج فقط لحسن خطاب وقدوة حسنة، قال علي بن أبي طالب: "من أحب أطاع".

فهذا التوجس من أنه: طيب لو ما اقتنع الناس، لو ما جاء الناس، الناس سيأتون وسيقتنعون، وقرأنا في كتاب حرب العصابات شروط قيام حرب عصابات، وفي كل بلد أغلب هذه العوامل موجودة.

انظر إلى القوميين العرب لما تكلموا عن مقومات الوحدة العربية، قالوا: أن نظريات توحيد الشعوب هناك النظرية الألمانية أن الشعوب تتوحد على النضال، وهناك نظرية تقول أن الشعوب تتوحد على العرق، الشعب آري واحد فيتوحد، وهناك نظرية كذا، فلما جاءوا إلى العرب وجدهم موحدين على كل النظريات: عرق واحد، لغة واحدة، جغرافيا كذا، كل العوامل متوفرة بحسب كل موازين الوحدة.

فأقول أنه حسب كل نظريات التعبئة لابد أن ننجح في تعبئة الناس، من الظلم إلى القهر إلى الاحتلال، إلى الأعراض إلى نهب الثروات إلى عدم الوظائف إلى ضياع الشباب إلى البطالة إلى الدين إلى عدم تحكيم الشريعة إلى كل القضايا، بعد ذلك من العيب أن نطرح سؤالا: ماذا لو لم يحتشد الناس؟ إذا لم تعبئ الناس (قل هو من عند أنفسكم)، أنت الذي لم تعرف كيف تعبئهم، الناس مهيئة للتعبئة.

الأخ: طيب إيمان الشعب صحيح، لكن نطاق التعامل معه، مع طول الحركة وبعد المسير، تحدث مستجدات دائمة، كذلك الطاغوت يعمل ويعمل على الشعب، ببث الدعاية والإشاعة في صفوف الناس عن المجاهدين.

في تجربة الجزائر وجدنا أن أكثر الناس تأثرا وأكثر الناس ممارسة لهذه الجرائم مثل الدخول على القرى، وكذلك أكثر الشبكات الاستخباراتية التي اكتشفها الإخوة= وجدوها من العوام، وجدوا أن أكثر الأخطاء التي حصلت في التنظيم والجماعة كانت من هؤلاء العوام المنضمين الجدد، فكيف التعامل معهم؟

الشيخ: مسألة واضحة جدا، نحن نتكلم عن موضوعين مختلفين، عندما نتكلم عن تأييد الشعب، فهذا لا يعني ولا يمكن لا بالمنطق العسكري ولا الواقعي ولا الشرعي أننا نريد أن نسلح ونضع كل الشعب في المقاتلين، هذا ليس صحيحا، الكتائب المقاتلة تبقى نخبوية.

وكما قلت مع أخينا: أننا مأمورون أن ندعو العموم، ثم نصطفي من العموم دوائر دوائر، حتى نصل إلى الدائرة التي ستقاتل، وهذه الدائرة التي ستقاتل أعلمنا الله سبحانه وتعالى أنهم قلة، وجاءتنا كل النصوص على أنهم قليل، ولكن دائرة القليل المقاتلة هذه محاطة بدوائر من المؤيدين: بالإيواء بالأخبار بالمال إلخ.

يعني واحد من العوام رآك على ناصية الشارع توسم فيك أنك من المجاهدين قال لك: لا تدخل هذا الشارع توجد دورية في آخره، فهذا ساهم مساهمة عظيمة جدا، وهو ليس مجاهدا، بل ربما كان من فسقة المسلمين، رجل يبيع الخبز فلا يبيعه إلى المحتل، يكفيه جزاه الله خيرا على هذه المساهمة، رجل صاحب فندق إذا نزل عنده يقول له: ليس عندي مكان أعتذر، يمشي بالباص فرجل من النافذة يبصق عليه، فيشعر بالاحتقار والإجرام وأنه إنسان غير مرغوب فيه، كل هذه الأجواء تساعد في النهاية الرجل الذي يطلق الطلقة النهائية، هذا المقاتل المجاهد يجد نفسه محاطا بجو مؤيد.

هذه الدائرة من التأييد هي التي نريدها، وهذا هو البحر الذي عبر عنه ماوتسي تونج بأنه هو الذي تسبح فيه السمكة.

أما سؤالك فهو عن رجل يريد أن يحول البحر إلى سمكة، البحر لا يصير سمكة أبدا، السمكة نحن والشعب بحر، لا نريد أن نحول البحر كله إلى سمك، ولا يمكن ولا حصل في التاريخ.

من الخطأ أن نتصور أننا يلزمنا تعبئة الناس كلهم عسكريا، لكن التجنيد سيكون من خلال الناس، نحن نتكلم عن جو عام مؤيد.

ثم الناس نفسها تبدأ تفرز مفارز إذا تحول العمل إلى عمل جماهيري وأممي في مقارعة اليهود والنصارى والحكومة، لن يضيرك أن تخترق صفوفك عناصر لا تمثلك، لأن بنية العمل كلها ستتحول، نحن نكرر أشياء قلناها من قبل.

فقضية التربية هي دوائر من التربية النخبوية وبرامج، دوائر النخبة معروفة وموجودة في السيرة والتاريخ، الكتيبة الخضراء في فتح مكة التي كان فيها المهاجرون والأنصار كانت نخبة النخبة، وعلى طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام لما قال الصحابي: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرغنا ثم يملؤنا"، وهذا الدين بحر فأنت وكيانك تأخذ متر تأخذ ٦٠ متر أنت وما تستطيع، وكل واحد بحجمه وقدرته، والله أعلم.

جاءني سؤال يقول:

الآن كما ذكرت هناك محاولة توجيه شباب الجهاد إلى ساحات معينة ولا نستطيع منعهم من ذلك، ولا نستطيع في الغالب القيام بالعمل من داخل الكثير من الدول، فهل يمكن أن يواكب بعض الإخوة حملات التوجيه هذه ومن ثم يكون لهم دور في هذه القضايا، مما يسمح لهم بالوصول لعامة الإخوة المجاهدين، وتنفيذ دورات خاصة كحرب العصابات وتوجيه الإمدادات لصالح قضايا أهم للإسلام والمسلمين؟

الشيخ: الحقيقة يعني يحضرني جملة من الأشياء، طبعا هذا يحتاج لمحاضرة كاملة، هناك دوائر في العالم الإسلامي: دائرة حول الجزيرة وبلاد الشام ومنطقة الشرق الأوسط، تمتد إلى بورما وجنوب شرق آسيا إلى تركستان ثم القفقاس، كتبت مجلة "الوطن العربي" منذ عدة أشهر أو سنة مقالا استفزازيا بعنوان "هل يستقر ابن لادن في تركستان؟"، كأنها تقول للعرب -في ثنايا المقال- وتوجههم إلى الذهاب هناك.

قلنا أنه يجب أن يكون هناك ربط بين أهمية دعم القضايا الفرعية، والحذر من أن تتحول إلى ساحة جذب عن المسائل الأساسية، على العكس لابد أن نسخر القضايا الفرعية ونساعدها وتشتعل معنا، ولكن لصالح ولتصب في سياق المعركة الأساسية.

الآن من أشهر المصائب والمصائب كثيرة، تجربة الأفغان العرب في أفغانستان وفي البوسنة، شيء على صعيد المنهج، وشيء على صعيد الأسلوب:

على صعيد المنهج كان هناك توجيه سعودية خفي، وواكبه بعض الناس بحسن نية وبعضهم بسوء نية وبعضهم بجهل وبعضهم بكذا، أن: لا تتحدثوا في قضايا منهجية تمس صلب المشكلة، لا تتحدثوا في الحاكمية وأن الحكام كفرة خونة قتالهم يجب الخروج عليهم، لا تتحدثوا بأن العلماء يلعبون دورا لصالح العدو، لا تتحدثوا في أن بعض الجماعات الإسلامية وقعت في كذا.

ثم تطور هذا إلى: لا تتحدثوا في حرب العصابات، لا تتحدثوا في دورات سياسية، لا تتحدثوا في مشاريع فكرية، وأقيموا المعسكرات على العمل العسكري فقط.

ثم انتقل هذا في البوسنة إلى صورة أوضح: لا تتدربوا على أسلحة العصابات، لا تعطوا دورات في تكتيكات حرب العصابات، لا تستخدموا المتفجرات، لا تعطوا دورات في المتفجرات.

وكان هناك بعض الإخوة الطيبين –هذا أحسن نية حسنة كانت موجودة- موجودين في الساحة، يقولون: نحن لابد أن نتجاوب مع هذه الدعوة، حتى نضمن دعم السعودية المالي لتلك الساحة، فبقوا على صلة بابن عثيمين وعلى توجيهات هيئة كبار العلماء، وكان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله وقع في الخطأ نفسه، ويقول: يريد بعضهم أن نتكلم عن السعودية، لا أدري إذا تكلمنا على السعودية من أين تأتي البطانيات ويأتي الدعم ويأتي كذا.

فكان تصوره أن الحديث في هذه الأمور أو الحديث في أخطاء بعض الأفغان يضرب جوهر الوجود، لا شك أن الرجل كان مجتهدا في هذه القضية، ولا شك أنه مخطئ، ونعتقد أنه إن شاء الله تعالى كان مأجورا في اجتهاده هذا، وكان هناك إخوة آخرون سلكوا هذا الاتجاه.

ففعلا حقق الغرب أو من أراد التوجيه، أنه فعلا استخدمنا كما وُصف: بغال لتحميل أغراضه في تلك القضايا، بدون أن يكون لنا أي كسب جانبي في المسألة.

قلت أنا الآن السياسة تداخلت جدا، والكرة الأرضية كلها قُسمت مربعات وكل مربع خاضع لنفوذ دولة، ولن يكون هناك للمسلمين قضية ليس لبعض أعدائهم فيها مصلحة، يعني دائما لنا قضايا ولبعض أعدائنا فيها مصلحة، من يقول أننا يجب أن نفتتح قضايا ليس لأي عدو فيها مصلحة= مخطئ لأنه لن توجد هذه القضية.

ولكن يجب أن نخرج من حالة أن المصلحة الكلية للعدو وليس لنا مصلحة، يجب أن تكون لنا غالب المصلحة وغالب الاستفادة، إذا سقطت ثمار شجرة التوت هذه فلابد أن يكون أكثر السلات الموجودة في الأرض هي لنا، فنجمع أكبر كمية من التوت، ثم غيرنا يلتقط من بين هذه السلات، أو يكون له سلتان ولا ثلاثة ضمن السلات، ولكن الأساس أننا نفرش تحت شجرة التوت ونجمع محصولنا.

أما الذي حصل فكما شبه أخونا: أخذنا بشجرة التوت فهززناها بعنف ولم يكن عندنا أي سلات في الأرض، سلة أمريكي، سلة روسي، سلة فرنسي، سلة سعودي، سلة مصري، كل الناس التقطت الثمار، ونحن فقط هززنا، بعضنا سقطت عليه بعض الأغصان فقُتل، وبعضنا نزل عليه بعض الأشجار فجُرح، والبعض الآخر قالوا له: جزاك الله خيرا، انتهيت من هز شجرة التوت، اتفضل اطلع من هنا، ومن خرج إما صُفي وإما قُتل وإما طُورد، هذا الذي حصل.

فإذا أردنا أن نكون موضوعيين، فعلى الأقل لابد أن نخطط أن على الأقل نستفيد من تلك الساحة، على ثلاثة أصعدة:

قول أخينا في السؤال: أننا لن نستطيع أن نمنع الناس= هذا صحيح، هناك قوى دولية قوية مزودة بعلماء —على تسمية أخينا الصحيحة- علماء البنتاجون، بعلم أو بجهل، مزودة بكميات كبيرة جدا من الأموال، تستطيع أن تجتذب الناس، واحد يقول لك: أفتتح مشروعا وعندي ٤ مليون دولار، هذا غير واحد يقول لك: أفتتح مشروعا ولا أزال أبحث عن ٢٠ دولار أطعم بها الناس.

فهؤلاء الناس بقدرتهم على استخدام العلماء الجهلة أو العملاء، وبقدرتهم المالية الكبيرة، ولوجود كمية من الغباء السياسي والجهالة السياسية لدى معظم المتكلمين في الجهاد= سيتمكنون من افتتاح هذه الجبهات، ولا نستطيع منع الناس من توجيههم إلى الساحات الأخرى.

هذا جزء من التوصيف صحيح، لن نستطيع.

بقي، هل نعرض عنها نهائيا، ونذكر الناس: يا جماعة المعركة ليست هناك، المعركة هنا، ونحارب هذه الموجة، أم نوجهها، أم نحاول في الأمرين معا؟

الذي حضرني الآن سريعا —وتحتاج إلى تفكير على مهل- أننا ممكن نقوم بهذه الأعمال مع بعض، يجب أن نبصر كل الشباب الذين يخرجون من مناطق العمل الأساسية أن عملهم في بلادهم وليس هنا، فنكتفي بالشريحة المستعدة للفهم، نثبتها في المعركة الأساسية.

ثم جزء من الشباب ولكن ضمن برنامج، وهذا البرنامج لن يكون إلا إذا كانت هناك إدارة مركزية لجماعة أو لعدة جماعات، فعلا يركب هذه الموجة ويذهب هناك، وهذه طريقة متطورة جدا، وفي تلك الساحة نستفيد من أمرين اثنين:

١- توجيه العمل العسكري في تلك الساحات ضد العدو الأساسي، ففي الوقت الذي تحارب فيه حكومة بورما في بورما، بجانب هذا العمل يتم استطلاع الأهداف الغربية والأمريكية، وتوجيه الناس وجزء من الجهد العسكري إلى سياقه الصحيح.

٢- الأمر الآخر، هو الاستفادة من تلك الساحات في تدريب مجموعة من الناس، وإعطائهم المحاضرات، وإيصال أشرطتنا، إيصال أبحاثنا، لتوعية الناس رغم أنف العدو.

لأنهم رغم الذي فعلوه هنا في أفغانستان، فالحمد لله استطعنا توعية شريحة كبيرة من الناس، وبفضل الله كنت أنا وبعض الإخوة من الناس الذين تلقوا الصدمة الأولى، وقسروا الآخرين على السماع، لأن المادة مرغوبة، فافتتح مركز "النور" من قبل أخينا أبي حذيفة -فرج الله عنه- ، وأصبحت محاضراته نقطة استقطاب ووزعت نشرات، وصار احتكاك بين شباب الجزيرة المجهلين سياسيا، وبين شباب الحركات الإسلامية من الشام ومصر وشمال أفريقيا الواعين سياسيا، وحصلت عملية تفاعل، واستفاد بعض الناس من بعضهم.

صحيح كانت النتيجة قليلة لما نرجو، ولكن حصل كثير من الخير، ورأينا نتائجه في الجزيرة لما بدأ العمل مع سفر وسلمان، أن الذين صالوا عنهم هم من قالوا عنهم أُفسدت عقولهم سياسيا، وهم الذين حملوا العمل في تلك المرحلة، لأنهم تخلصوا من العوائق التي كانت عليهم.

في البوسنة نفس الشيء، رغم كل الأشياء استطاع بعض إخواننا أن يخرجوا عن نطاق الكتيبة الأساسية التي ربطت نفسها في هذا الرباط، واستطاعوا من خلالها من داخلها، أو بجانبها، افتتاح معسكرات أخرى، ولما أرادوا أن يتصرفوا لحسابهم قَتلوا القادة كما سيشرح لنا إخواننا.

فأقول ملخصا: نستطيع أن نقوم بهذه الأعمال كلها مجتمعة:

ابتداء نحن بأنفسنا: عدم الانجرار إلى تلك الساحات، وتوجيه جهدنا للمحور الأساسي.

الناحية الثانية: إقناع أكبر قدر ممكن من شباب مناطق العمليات الأساسية ألا يذهبوا إلى هناك، وإفهامهم أن هذا مخطط استدراج لصرف المسلمين.

ثالثا: الركوب المنظم لهذه الموجة لإحداث فعلين:

الفعل الأول: توجيه جزء من الجهد العسكري في تلك المناطق تجاه الصائل الأساسي، وهذا ممكن.

والفعل الثاني: توعية أولئك الشباب ونشر نشراتنا من خلالهم، واستقطاب بعض عناصرهم.

لأن كل واحد يتوجه للقتال لا شك أن عنده حدا أدنى من الإخلاص، الذي ذهب يقاتل في أريتريا جهلا منه لأنه توجه توجيها خاطئا، وترك مكة والمدينة والقدس وكل الساحات، هذا عنده حد أدنى من الإخلاص لأنه ذهب للقتال، فيجب أن نفهمه طبيعة المسألة، وثبت أن الإخوة من الجزيرة –وهم من أجهل الإخوة سياسيا– لما صرفنا عليهم جهدا، كان هناك مردود رائع جدا في بعض العينات، ومردود مقبول في الشريحة العامة.

فهذا الذي يحضرني، إذا أخونا عنده إضافة على هذه المسألة، وهي تحتاج للتفكير مرة أخرى والتريث فيها، يقترح هنا أخونا أن لو رحنا معهم:

إصلاح الأمور العامة للمجاهدين.

تنفيذ دورات خاصة كحروب العصابات.

توجيه الإمدادات لصالح قضايا أهم للإسلام والمسلمين.

هذا ممكن، من خلال ركوبنا للموجة، ولكن لا يقدر عليه إلا تيار منظم، والله أعلم.

الفصل الحادي عشر

مقومات حرب العصابات في المدن والأرياف

"فن الحرب من وجهة نظر صن تزو – مبادئ استاتيجية وتكتيك حرب العصابات – الأرض ودورها كعامل مؤثر – حرب العصابات في المناطق المدينية – صفة حرب العصابات" [١٥]

(تعتمد كل حرب على الخدعة.

فعندما تكون قادراً تصنع العجز، وعندما تكون نشطاً تصنع التراخي.

وعندما تكون قريباً، اعط الخصم انطباعاً بأنك ما زلت بعيداً، وعندما تكون بعيداً اجعل العدو يؤمن بأنك قريب)

(قدم للعدو طعماً لتجذبه: تظاهر بالفوضى واضربه

وعندما يحتشد تحضر له، وتجنبه عندما يكون قوياً.

ازعج قائده، وسبب له الاضطراب.

تظاهر بأنك أضعف منه لتزيد من ثقته بنفسه.

ركز عليه ضغطاً مستمراً لاسنزافه.

عندما يكون متجمعاً جزّئه.

هاجمه عندما لا يتوقع ذلك، واظهر عنما لا ينتظر ذلك.

تلك هي مفاتيح النصر بالنسبة إلى الاستراتيجي)

---

[١٥] **ملاحظة مهمة: الفصل (١١) و (١٢) لم يعلق عليهما الشيخ أبي مصعب السوري وإنما نصح بقراءتها فأكتفينا بنقل الفصلين من الكتاب.**

إن الوصايا المذكورة أعلاه مستقاة من كتاب (صن تزو) عن (فن الحرب)، وهو أقدم مؤلف معروف في هذا الموضوع، وقد حرر قبل الميلاد بعدة قرون. وليس تماثله مع المقولات العسكرية لماوتسي تونغ من قبيل الصدفة، إذا أن ماو كان قد درس (صن تزو) بكثير من العناية، واعترف له بذلك الفضل، ولم تكن كثير من تعليماته إلا تفسيرات لما ورد في كتاب (فن الحرب).

وإذا ذكرنا (صن تزو) فذلك لتبيان أن تعبير (الحرب الحديثة) في استعماله الدارج، هو تعبير مصطنع، يعكس الخلط بين التقنية والعلم، ذلك الخلط الذي سبّبه الصحفيون ورجال السياسة، لأنه بالرغم من الاختراعات المدهشة في القرن العشرين، فإن مبادئ الحرب تبقى قديمة. ولقد كانت موجودة وواضحة تماماً حتى قبل أن يبدأ يوليوس قيصر حملته الأولى. وما هو صحيح بالنسبة إلى الحرب بصورة عامة، هو أكثر صحة بالنسبة إلى حرب العصابات بصورة خاصة.

إن مدى المدفعية والطيران أعظم بكثير من مدى القوس، وتعمل المتفجرات بتأثير يختلف عن تأثير عمل السهم، وتتميز الدبابات على التروس. وشكل الشاحنات والهليكوبترات (ليس دائماً) وسائل نقل أشد سرعة وأكثر ضماناً من البغال والجمال. إلا أن معضلات القيادة هي نفسها. والعوامل المتبدلة، كالأرض والزمن والمجال واللحظة والسكان وخاصة المعنويات والاستراتيجية، تحدد دائماً نتيجة المعارك والحملات.

وإذا تواجد شيء فيه بعض الجدة في حرب العصابات — التي صاغ (صن تزو) مبادئها العسكرية قبل أكثر من ألفي عام — فإن ذلك يكمن فقط في التطبيق السياسي الحديث، أي أن مظهرها الحديث، هو استعمالها كأداة في الثورة السياسية. والواقع أنها تشكل الوسيلة المضمونة لشعب محروم من السلاح، حتى يتغلب على جيش مزود بآليات، وفي حالة عدم تحقيق الغلبة، التوصل على الأقل إلى تحييده.

ولكي نفهم ذلك، لا بد قبل كل شيء من دراسة المشاكل السياسية، التي يمكن لأساليب حرب العصابات أن تقدم لها حلاً.

فثائر العصابات متمرد، سياسي، وهو العامل الواعي للثورة، ومع أن دوره العسكري جوهري، لكنه ليس إلا عارضاً في مهمته السياسية، فهو يثور لغرض محدد، يتمثل في قلب الحكومة، وتدمير النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي القائم.

وللوصول إلى هذا الهدف قد يلجأ إلى القتال – وعلى كل حال فإنه يشتبك بالتأكيد ويناور – أمام قوات عسكرية منظمة ومحترفة. وفي هذه الحالة يجب أن تهدف كل مناوراته إلى مفعول سياسي، إلا عندما يتوقف على ذلك بقاؤه على قيد الحياة – وتكون كل معركة بمثابة درس يبرهن عن عجز الجيش، وبالتالي لتسويد سمعة الحكومة التي تستخدمه. وتهدف كل حملة إلى إيقاظ الوعي الثوري لأغلبية الشعب، التي يحدد موقفها نتيجة الصراع.

ولا شك أن الأعمال حرب العصابات بعض الأهداف العسكرية الواضحة: التزود بالأسلحة والذخيرة والمؤن، وتكبيد العدو الخسائر، وإجباره على نشر قواته حتى يمكن تدميرها واحدة تلو الأخرى بواسطة حشود متفوقة.

أما الغايات النفسية والسياسية، فإنها تحتفظ بتفوقها. وتبقى النجاحات العسكرية المحلية بدون فعالية إذا لم تستطع الحملة النيل من معنويات الحكومة وقواتها، ولم تستنزف النظام من الناحية المالية، ولم تزد من الضغط عليه بتنمية الخوف والاستياء في البلاد.

وطبيعي أنه لا يمكن أن يحدث شيء من ذلك، إذا لم تتواجد بعض الشروط الاجتماعية والسياسية، التي لا بد من تضافرها لإحداث الوضع الثوري، أو الوضع الثوري الكامن على الأقل. ويقتضي نجاح الانتفاضة وجود مطالب شعبية سليمة، وتوترات اجتماعية، واقتصاد مريض أو راكد، أو حكومة مستبدة. وحتى إذا اجتمعت هذه العناصر، فقد تبقى الثورة بعيدة، إذا لم يتواجد جنين تنظيم ثوري، قادراً على التعبير عن الاستياء الشعبي واستغلاله.

وتلد الأوضاع الثورية عادة قيادتها الثورية الخاصة، وتأتي القيادة من القطاعات الاجتماعية الأقل استقراراً، وتتضمن العناصر الأكثر راديكالية، والأكثر حرماناً، والأشد طموحاً في الأحزاب السياسية (

المتطرفة) وأبناء الطبقة المتوسطة الأكثر مثالية، أو الذين لم ينجحوا، وأولئك الذين يشعرون بعبء اضطهاد لم يعتادوا عليه. (إن الفلاح الذي عايش الاضطهاد مديداً، نادراً ما يبدو ثورياً بقدر الطالب أو العامل الأوفر حظاً من الفلاح، خاصة إذا اعتقد بأن لهما حقوقاً، واكتشفا – بعد تغير في الجو السياسي – بأن هذه الحقوق مهضومة).

ففي وضع ثوري كامن، يغدو من المتوقع حدوث الانتفاضات العفوية، التي قد يسببها أي نوع من النزاع الاجتماعي مثل: إضراب، حملة انتخابية، نقاش حول موضوع الأسعار أو المدارس... إلخ. وغالباً ما تشكل رد فعل لبعض أعمال القمع أو الظلم، الحقيقية أو الموهومة، التي ترتكبها السلطات. فمثلاً عند تدخل الشرطة في تظاهرة قد تتحول التظاهرة إلى تمرد.

وفي ظروف أخرى، يمكن خلق الاضطرابات بشكل مفتعل. ففي الجزائر وكوبا وقبرص مثلاً، نشبت حرب البرغوث بواسطة أعمال مقصودة قامت بها النواة الثورية لتحدي الحكومة، معتمدة على الدعم الشعبي.

ولا تهم الوسائل كثيراً، وتبقى القيادة نفسها أشد العناصر أهمية. فليس المجرمون وقطاع الطرق ثواراً، وليس النهابون رجال العصابات. ولكي يُطاع القادة يجب أن يكونوا أخلاقيين، وأن يكون دافعهم أعظم من الطموح الشخصي، مما يتطلب إيديولوجية أو (قضية) محددة تماماً، لتفسير قرارات وحجج انتفاضتهم. لذلك لا يمكن أن يكونوا مجرد انتهازيين.

وعندما يحدث النزاع، سواء كان مفتعلاً أم لا، لا بد أن يكون القادة القادرين على عقلنة صفته الغامضة، والتي غالباً ما تكون عرضية. ولا بد لأعمال التحدي المنعزلة، أن تتخذ بعضاً من التماسك داخل الإطار الثوري المعتمد. وعلى القيادة أن تكون مستعدة لالتقاط كل الفرص التي تساعد على زيادة سرعة سياق التخمر الاجتماعي والانفجار السياسي. وبغدو واجبها الأول أن تعيد كل حادث وكل مرحلة من النزاع إلى (القضية) الكبرى، بحيث يغدو العنف الثوري الوسيلة الطبيعية والاخلاقية للوصول إلى الغاية المرجوة، وتُزج فيه الجماهير الشعبية أكثر فأكثر. ويجب ألا يبدو الصراع وكأنه بلا معنى أو المرجوة، وتزج فيه

الجماهير الشعبية أكثر فأكثر. ويجب ألا يبدو الصراع وكأنه بلا معنى أو فوضوي، بل ينبغب أن يكون ذا صفة تدريجية في كل مراحله، وأن يحيي آمالاً كبرى، وأن يبدو في كل أطواره هاماً إلى درجة تجعل أي شخص غير قادر على تجاهله.

ولا تؤدي (القضية) الواضحة إلى نتيجة بنفسها، وغالباً ما تسوي قضية ما قضية أخرى ففي كوبا مثلاً بدا فساد ولا شرعية نظام باتيسيا بمثابة (قضايا) كافية للطبقة المتوسطة الميسورة، طالما أن أعضاءها لا يتعرضون للنخاطرة الشخصية، ويكتفون بتعاطفهم مع الثوار وتشجيعهم لهم. لكن عندما تعرض أبناء هذه الطبقة للسجن أو التعذيب أو القتل بسبب نشاطاتهم، أضحت القضية الأكثر إلحاحاً هي تصفية القمع.

وشكلت النزعة القومية الاقتصادية (القضية) الحقيقية بالنسبة إلى الصناعين ورجال الأعمال الأغنياء الطموحين، الذين عارضوا باتيسيا. وكان الطموح السياسي (غير المعلن)، والشعور (الذي ربما كن حقيقياً) بالظلم الاجتماعي وراء اندفاع شباب فئة الموظفين الفقراء، حتى يصبحوا أكثر الدعاة حماساً للثورة وعملاً في سبيلها.

ومن جهة أخرى فإن المستخدمين الزراعيين الذين لا يملكون أرضاً، والمزارعين الفقراء في كبرى مزارع قصب السكر، وسكان جبال (السييرا مايسترا)، قد اندفعوا بسبب الجوع والقمع الحقيقي، والرغبة في الحصول على الأرض لأنفسهم في نظام اجتماعي منصف، وكلها دوافع تتجاوز أي (قضية) أخلاقية أو سياسية.

وتوقف كل شيء على الموقف المحلي. ولم تنفك القيادة الثورية عن توجيه نداء أكثر اتساعاً، قائم على ايديولوجية ديمقراطية مساواتية، مقرونة بمفاهيم العدالة الاجتماعية وكلها أمور متعارف عليها في كوبا منذ زمن بعيد (لم يكن في إنسانية كاسترو أي جديد، إذ كانت مسجلة في الدستور الكوبي)، ومجتمعة مع هدف سياسي تام الوضوح، يتمثل في قلب نظام باتيسيا، والقضاء النهائي على كل من سانده.

وكان قلب نظام باتيسيا مطروحاً كترياق وعلاج لكل الأوجاع. وباعتبار هذا القلب (قضية)، فقد استغل كل تطور سياسي منعزل: فاغتيال شرطي، واستشهاد إرهابي، وتعليق الحريات المدنية، والتظاهرة

العامة للمطالبة بإعادتها، وكل ابتعاد عن الروتين، وكل ما يساعد على النيل من النظام، كل ذلك قُدِّم وكأنه مناوشة أو معركة في إطار الحرب الصليبية العظمى.

وبسبب الحالة النفسية المسيطرة، سار تفكك الدعم لباتيسيا، وزيادة الضغط الداخلي والأجنبي عليه، في السياق الذي رأيناه سابقاً.

ويقدم لنا المثل الكوبي كغيره، حصيلة انتفاضة ظافرة، والتي لا بد أن تتضمن الشروط المسبقة التالية:

١. موقف سياسي مزعزع، محدد بالتوترات الاجتماعية الحادة. ويكون عادة (وليس دائماً)مقروناً باقتصاد مريض أو راكد.

٢. هدف سياسي قائم على قاعدة أخلاقية وفكرية صلبة، تؤمن بها الأغلبية، وتقبلها (كقضية) للانتفاضة، مقبولة في حد ذاتها، وجديرة بكل التضحيات.

٣. حكومة باغية لم تتواجد إمكانية الحل الوسط معها.

٤. نوع من التنظيم السياسي الثوري، القادر على تقديم القادة المخلصين والأكفاء للوصول إلى غاية مرضية.

٥. إمكانية النجاح أو على الأقل احتمال النجاح. وطالما أن الشعب لا يؤمن بأن الحكومة يمكن أن تُقلب، فإن أول عمل للمنتفضين هو أن يبرهنوا على إمكانية قلبها، وذلك بتحدي القوة العسكرية والتغلي عليها. فإذا لم يتحقق هذا الأمر، انعزل القادة ولم يتبعهم أحد.

إننا لا نتعلم في الكتب الاستراتيجية والتكتيك الخاصين بحرب العصابات، إلا ضمن تفاصيل غير ذات أهمية. فالاستراتيجية والتكتيك يتعلقان دائماً بوضع محلي محدد، ويإخذان سمة الوسيلة اللازمة للنجاح. وثائر العصابات مبتكر قبل كل شيء. وبالطبع إنه يبتكر تبعاً لأهدافه المباشرة والبعيدة، والأرض، وقوته النسبية، والوسائل المتوافرة لدبه، وعناصر أخرى مماثلة.

وبما أنه أقل من العدو عدداً وعدةً (وإلا لما كان ثائر عصابات)، فإن همه الأكثر إلحاحاً هو الاستمرار على قيد الحياة، لذا فإن من الطبيعي أن يكون التملص قاعدة لتكتيكيه. فبالتملص يستطيع اجتناب المواجهة خارج الأوقات المناسبة له، وعندما يتحقق له تفوق محلي يسدد ضربته بنجاح.

ويكتب صن تزو: (إذا كنتُ قادراً على معرفة تدابير العدو، وإخفاء إجراءاتي عنه عندها يمكنني أن أحشد قواي، بينما تتجزأ قواته. فإذا احتشدت قواتي وتجزأت قواته، أمكنني أن أستعمل كل قواي لمهاجمة جزء من قواته.

يجب ألا يعمل العدو متى أشن المعركة. فإذا لم يعرف ذلك، كان عليه أن يتحضر لي في أمكنة عدة، وما سأهاجمه من قوى في مكان ما سيكون ضعيفاً، لأنه عندما يستعد في كل مكان، يغدو ضعيفاً في كل مكان).

إن هذا يفسر كيف يمكن لحفنة من الرجال المسلحين أن يواجهوا جيشاً. وأسرار النجاح هي: مصالح استخبارات متفوقة أولا وأرض صالحة ثانياً. ويمثل ثوار العصابات قضية شعبية، لذا فهم يمتازون بمصلحة استخبارات تشمل عملياً كافة السكان الذين يقومون بإخفائهم، ويخبرونهم يوماً بيوم، وساعة بساعة، عن إجراءات العدو وقوته.

ولقد قال لي فيديل كاسترو وعندما أجريت معه مقابلة صحفية في السيرا مايسترا في بداية العام ١٩٥٧ (نحن نعلم دائماً أمكنة الجنود وهم لا يعلمون شيئاً أبداً عن مكان وجودنا، فنحن نغدو ونروح على مزاجنا، مجتازين الخطوط، فلا يستطيعون مطلقاً اكتشافنا، إلا إذا رغبنا في ذلك بأنفسنا، وفي ظروف نقوم نحن باختيارها).

ولم يكن لديه آنذاك أكثر من مائة رجل، وكان محاطاً (نظرياً) بحوالي خمسة آلاف من جنود باتيسيا. ولكن كلمة محاط لا تحمل أي معنى في الأرض الموحشة المحرومة من الريفيين الذين يكنون له العطف ولباتيسيا العداء. والمحيط أيضاً يحيط بما فيه، لكن السمكة تسخر من ذلك.

ويجب اختيار الأرض المناسبة عندما يكون ذلك ممكناً، والمثالي منها ما كان ريفياً أكثر مما هو مديني، وما كان وعراً تكسوه الغابات الكثيفة، والسكك الحديدية الطويلة، والطرق السيئة، مع اقتصاد زراعي أكثر مما هو صناعي. كما أن لتركيز السكان، أو تبعثرهم النسبي، أهمية كبيرة أيضاً. فالمنطقة ذات السكان

الريفيين المبعثرين هي أكثر ملاءمة من منطقة فيها تجمعات سكنية عظيمة، تفصلها مساحات مزروعة غير مسكونة.

ويجب أن تقوم هذه الأرض ملاجئ طبيعية، وعوائق تحدّ من التحركات العسكرية، كالجبال أو المستنقعات العصيّة على الدبابات والشاحنات. وتسمح الأحراج والأدغال بالتخلص من المرصد الجوي، وتشكل الغابات منطلقاً للهجوم السريع والمضمون على السكك الحديدية والطرق، ونصب الكمائن للوحدات الصغيرة.

ولا بد من وجود ما يكفي من المجال للمناورة الحرة، دون أن الخشية من خطر الوقوع في حصار لولبي. وكلما ازداد قطاع العمليات اتساعاً، كثرت صعوبة الاستدلال على الثوار من قبل الجيش، ولا بد للحكومة عندها من تشتيت قواتها وتطويل اتصالاتها.

ومع ذلك فإن ثوار العصابات لا يستطيعون انتقاء المنطقة الأكثر بعداً أو وعورة بحثاً عن الأمن، إذ لا بد لهم من البقاء على اتصال دائم مع السكان، حيث يجدون معين المتطوعين، ومصادر التموين، وحيث يمكنهم اختيار المراسلين الذين يؤمنون استمرار اتصالهم مع الحركة السرية في المدن.

وتفرض تلك الضرورة اختيار اقليم ذي سكان ريفيين مبعثرين ما أمكن، على أن يتواجد فيه عادة ملاجئ طبيعية، وعوائق على تحركات العدو، بالإضافة إلى ميزة أخرى هي أن إقامة الحاميات الحكومية فيه تكون مكلفة اقتصادياً.

إن بإمكان هذه الحاميات أن تستقر في التجمعات الريفية الكبيرة، وليس في الدساكر المتناثرة. إذ تضطر عند الاستقرار في الدساكر إلى الانكماش إجبارياً، وتقليص عددها حتى بضعة رجال يسهل قتلهم أو القبض عليهم والاستيلاء على أسلحتهم، الأمر الذي يمنح الثوار نجاحاً جديداً يساعدهم على نشر دعايتهم.

ومن الطبيعي أن ينسحب الجيش إلى أرض أكثر أماناً، لكنه يوسّع بذلك المنطقة التي يشرف الثوار عليها، فيزداد تموينهم ومعين تطوعهم، ويحصلون على مجال أكبر للمناورة.

وهناك اعتبار آخر: إن حيازة المناطق المكتظة، يكفل للثوار نوعاً من الأمان. لأن الحكومة – الواقعة تحت تأثيرات سياسية وإنسانية – لا تستطيع السماح بقتل المدنيين دون تمييز (مع أن ذلك ليس بقاعدة كما حدث في فيتنام).

وقد برهنت التجارب في ماليزيا أو الفلبين، عن الخطر الناتج من الابتعاد عن المناطق المأهولة، حيث نجح العسكريون في كلتا الحالتين في عزل الثوار وفصلهم عن منبع قوتهم، وكانت النتائج قاتلة، بالنسبة إلى ثوار. ومن جهة أخرى، برهن مقاتلوا إيوكا القبارصة، بأنه يمكن أن تنجح حرب العصابات، حتى في جزيرة صغيرة لا تقدم المجال الكبير للمناورة، ولا الملجأ المنيع. وكان جنود غريفاس يرتدُّن إلى التجمعات السكنية إذا ازداد الضغط في الجبال كثيراً. أما أولئك الذين لا يستطيعون ذلك، فكانوا يعيشون كالثعلب في جحور أُحسن تمويهها، بحيث كان الجنود البريطانيون، يمرون غالباًَ فوقها دون أن يشكو فيها. وكان آخرون يتسترون خلال النهار في مخابئ مجهزة داخل المنازل، حتى إذا حل الليل، خرجوا منها للقيام بهجماتهم. تلك كانت المقاومة السرية الكاملة.

وحتى في المدن الكبرى، حيث مراقبة الشرطة شديدة، كان بإمكان السكان المتعاطفين إخفاء الثوار. وقد استطاع الفرنسيون، بالطرق التعسفية التي استعملوها في مدينة الجزائر، تصفية ثوار جبهة التحرير الوطنية عملياً داخل المدينة. ويرجع ذلك إلى أن المسلمين في حي (القصبة)، كانوا منفصلين عرقياً ومادياً عن السكان الفرنسيين. ويستطيع الجنود، وخاصة عندما يكونون من الأجانب، قمع ثورة مدينية، وذلك باعتماد طرق الحرب، أي بمراقبة كل الحركات، وبالإبادة الشرسة لسكان أي حي يبدي مقاومة أمامهم. ومن الممكن الإخضاع التدريجي لسكان مدينة بتجويعهم وإرعابهم، لكن هذه الطرق لا تنطبق على الحرب الأهلية حيث لا توجد وسيلة مضمونة للتعرف على أعضاء كل معسكر من المعسكرين المتجابهين.

إن الأرض والشروط المحلية تتحكم حتماً بتعداد وتنظيم عصابة من الثوار. ولقد تأكد في كوبا، أن التشكيل الأكثر ملائمة لجبال السييرا مايسترا هو (الرتل) المؤلف من مائة إلى مائة وعشرين رجلاً. وكان هذا التشكيل قادراً على مواجهة كل مجموعة عسكرية أقل مرونة، ويصعب تموينه في تلك المنطقة الفقيرة بالسكان.

أما في القطاعات السكنية الأكثر كثافة وزراعة، فقد كان بإمكان ثلاثين أو أربعين رجلاً، احتلال ضيعة أو قرية صغيرة مع ضواحيها، وإقامة نقاط أمامية على حدود (المنطقة الحرة) وإدارة المنطقة، كدولة ضمن دولة.

وكانت إمكانية الاختباء عاملاً حاسماً في مناطق الضواحي، فثوار العصابات الذين كانوا يهاجمون حركة السير على الطرقات ويقطعون، خطوط الطاقة، كانوا يعملون ضمن مجموعات من ثلاثة إلى ثمانية رجال. أما العمليات على المراكز العسكرية والمنشآت الصناعية المجاورة للمدن، فكانت تسند غالباً إلى المغاوير القاطنين في المدينة، والذين كانوا يعودون إلى بيوتهم مباشرة بعد ذلك، وينصرفون في اليوم التالي إلى اهتماماتهم المعتادة.

ولقد أخذ جيفارا في الاعتبار، الظروف السائدة في معظم جمهوريات أمريكا الجنوبية، فقدّر بأن نواة من ثلاثين إلى خمسين رجلاً مسلحاً، تكفي للبدء بنشاط حرب العصابات، وتمتلك فرصاً حسنة لإحراز النجاح. فإذا تجاوزت هذه النواة (المنظمة والمسلحة بسرية تامة) عدد المائة وخمسين رجلاً، غدا من الضروري تقسيمها والبدء بالعمل في منطقتين تبعد أحداهما عن الأخرى. وعندما تتجاوز أية وحدة عاملة المائة رجل، ينبغي تقسيمها أيضاً، وفتح جبهة جديدة. وهنا أسباب إيجابية وسلبية تفرض ذلك، فثوار العصابات مبشرون، لا يقتصر دورهم على مواجهة الجيش، بل يتضمن أيضاً نشر العصيان بين الشعب، لذلك كان من الضروري توسيع منطقة الاتصال مع الجماهير.

وتبدأ نواة ثوار العصابات الأعمال الحربيةفي مكان لا يبعد كثيراً عن ملجأ طبيعي، وفي منطقة زراعية ذات كثافة سكانية قليلة، ومشرفة على عدة أهداف استراتيجية: سكك حديدية لا دب من قطعها، وطرق

ينبغي إغلاقها، ومناجم ومصانع يمكن تدميرها، ومراكز صغيرة للجنود أو الشرطة يمكن الهجوم عليها، والاستيلاء على الأسلحة الموجودة فيها. ويبقى عمل المجموعة السرية في المدن متقطعاً، لكنه يكمل العمل في الريف، ويعطي الانتفاضة طابعاً وطنياً، ويحدث أكبر أثر من الدعاية الممكنة. أن إشعال الثورة غير كاف لوحده، ولا بد من جذب انتباه كل الأمة، وصبغ الطلقات الأولى بصيغة مثيرة، حتى لا تمضي تحت ستار الصمت، أو تُعتبر غير ذات أهمية من قبل الصحافة الخاضعة للمراقبة، كما حدث غالباً مع أعمال العصيان المجهضة، حيث تواجدت الحكومة في عاصمة احتفظت بالهدوء بعيداً عن مكان العمليات.

وبعد هدوء المشاعر، وإعادة النظام في التجمعات السكنية التي حدثت فيها الاضطرابات، يتوجب على ثوار العصابات أن يتوقعوا قدوم الجيش إليهم لنزالهم، وليس عليهم الذهاب إليه. وتعد الحكومة عندها حملة، لقمع (المخربين)، ويصل الجنود بالبر والجو إلى منطقة الاضطراب، وتحاول الطائرات الاستدلال على مكان العصابات، ويحتل الجنود القرى، ويقومون بدورياتهم على الطرق، وتتقدم الأرتال بعيداً لتحقيق التماس مع الثوار، وقد تستخدم طائرات الهليكوبتر في بعض الحالات لوضع الحاميات في معسكرات استراتيجية في الغابات والجبل. فإذا كان القائد العسكري يحسن مهنته، فإنه يستطيع تبني بعض الأساليب المشتقة من الطريقة الفرنسية المسماة (بقعة الزيت)، وذلك بأن يخلي تدريجياً قطاعاً من خريطته، ويدفع ثوار العصابات، بشكل منهجي نحو (منطقة الإبادة)، حيث يؤدي بهم طريق الانسحاب الوحيد إلى مكان مكشوف، فيقعون تحت نيران البنادق، مثل الطريدة المدفوعة نحو الصيادين.

وطريقة (بقعة الزيت) هذه مضمونة نظرياً، لكنها لا تكون كذلك عند التطبيق، العملي. فنادراً ما تقبل حكومة الإعلان عن خشيتها الجدية من نشاط عصابة صغيرة من الثوار، لذا فهي تميل إلى عدم تزويد حملة القمع بالقوات الضرورية، أي أنها لا تعمل على تحقيق التفوق بمعدل عشرة إلى واحد، علماً بأن تفوقاً يعادل ٥٠٠ إلى واحد، قد لا يكون مبالغاً فيه في بعض الحالات.

ومهما بلغ عدد الجنود المشتركين، في الحملة، فإن ثوارالعصابات يتقيدون ببعض المبادئ عند قتالهم، فهم لا يسعون إلى احتلال أرض، ولا إلى مواجهة قوة متفوقة، ويقتصرون على تشتيت قوات عدوهم، وإنهاكها،

وإلحاق الخسائر بها، مع تحاشي التعرض للخسائر. وفي هذا النوع من العمليات يشكل الكمين المنصوب بإحكام الوسيلة الأكثر ضماناً. ويكتب صن تزو حول ذلك: (بصورة عامة، إن الذي يحتل ساحة المعركو أولاً، وينتظر عدوه فيها، يرتاح أكثر ممن يصل إلى ساحة المعركة عند نشوبها إذ يكون متعباً).

ولا يشن ثوار العصابات معركة إلا إذا كانت الأرض مناسبة لهم. وعليهم أن يجتذبوا العدو إلى الموقع التي لا يلعب التفوق العددي فيها دوره، كأن تكون المعركة مثلاً في ممر ضيق، ويكون ذلك عادة باحتلال مرتفعات مسيطرة، مشجرة، وحيث تستطيع حفنة من الرجال المصممين، إحباط عمل جيش بأكمله.

والمهم في الكمين، هو قطع جزء من الرتل المعادي –كمقدمته – وتركيز النار عليه لتدميره والاستيلاء على أسلحته وذخيرته، بينما تقوم مجموعة صغيرة بإبطاء تقدم بقية الرتل. ويكتب تشي جيفارا عن هذا الموضوع فيقول:

(عندما تريد مجموعة قليلة العدد احتواء رتل من الغزاة أو إبطاء تقدمه، فعليها أن تعمل بالطريقة التالية: تتوزع زمر مؤلفة من اثنين إلى عشرة رماة في الاتجاهات الأربع حول الرتل. ويمكن للمعركة أن تبدأ عندها على الجانب الأيمن مثلاً. ويرد العدو على هذه الجهة، وعندها تفتح النار على الجانب الأيسر، ثم تفتح في لحظة أخرى على المؤخرة أو المقدمة، وهكذا.

وعندما يصبح بالإمكان تثبيت العدو إلى ما لا نهاية، مع صرف كميات قليلة جداً من الذخيرة).

وأثناء تأخير العدو بهذه الطريقة، تجمع القوة الضاربة لثوار العصابات غنيمتها العسكرية، ونتقل إلى موضع محضر آخر، أو تعود إلى الخلف لتشتبك باتجاه آخر، ويلتحق بها الرماة قبل أن يتسنى للجنود التقاط أنفاسهم للقيام ، ويجري ذلك كله خلال بضع دقائق.

وتكرر العملية ما أمكن. وعند التأكد من أن رتلاً قد انعزل، بشكل يجعل وصول أية نجدات إليه يتطلب عدة ساعات أو عدة أيام، يمكن لثوار العصابات القيام بمحاولة لتطويقه، أو التظاهر على الأقل بفعل ذلك، إذا توفرت لهم مفارز من الرماة، يحتلون أماكن مشرفة، ويركزون رماياتهم على العدو حيثما

اتجه. فإذا شن الجنود انقضاضاً مصمماً، فما على ثوار العصابات إلا أن يتملصوا، ويجتمعوا في الخلف، للبدء بالانسحاب.

وتشكل حركية وحدة العصابات وقلة عددها، أهم مؤهلات نجاحها، وخطر تطويقها هو عادة ظاهري أكثر مما هو حقيقي.

وقد لاحظ جيفارا بأن الليل هو أفضل حليف لثائر العصابات. ولم يفقد أنصار كاسترو رجلاً واحداً بسبب التطويق. ويرى جيفارا بأن التطويق لا يمثل أي مشكلة، ويعطي هذه النصيحة: (تدبروا أموركم بحيث تكبحوا جماح العدو حتى هبوط الليل ثم تسللوا عبر خطوطه). وذلك سهل على مجموعة صغيرة من الرجال يعرفون الأرض جيداً، وخاصة إذا كانت هذه الأرض مغطاة بشكل كاف.

وخلال الأشهر الأولى من الحملة، وعندما يكون الجنود في مرحلة الهجوم، يكون تكتيك الكمين والتملص آلياً وكافياً. وتقدم نشاطات الجيش نفسها دعاية لقضية الثوار. فالجيش لا يستطيع إخفاء خسائره، وتتضايق الحكومة من الكلفة المرتفعة للحملة، كما تُطلب منها استفسارات حول ذلك لا تستطيع تقديمها. وتعمل كل مواجهة على تقوية ثوار العصابات، بينما تضعف هذه المواجهة معنويات أعدائهم. ويكتب جيفارا عن ذلك:

(على ثائر العصابات أن يذكر دائماً بأن عدوه هو المصدر الوحيد للحصول على السلاح، وعليه — إلا في بعض الظروف الخاصة — ألا يشتبك في معركة لا تؤدي إلى غنائم من الأسلحة والعتاد العسكري).

وتشكل مقدمة العدو هدفاً من الدرجة الأولى، وذلك لسبب نفسي: لأن مهاجمتنا تنشر الرعب، أو أنها توصي على الأقل بالحذر المفرط، مما يشل إرادة العدو ويؤخر تحركاته. وعندما يقتل جنود المقدمة، لا يعود واحد يرغب في العمل مع المقدمة، وبدون مقدمة لا يمكن لأي تحرك أن يحدث (لا ينطبق هذا التحليل على وحدات المحترفين، حيث يُعد الضباط لتقبل الخسائر، واعتبارها الثمن الطبيعي للمعركة. ومع ذلك، فقد كان المستشارون العسكريون في فيتنام، يشتكون من أن القادة الفيتناميين (الجنوبيين)، كانوا يرفضون مهاجمة مواقع الفيتكونغ دون قصف مسبق، مما كان يعطي ثوار العصابات الوقت الكافي للانسحاب).

فإذا استرت الانتفاضة مدة من الزمن، صار من المحتمل رؤية العسكريين يتنازلون، عاجلاً أم آجلاً، عن مطاردة غير مجدية، ويفضلون — لأسباب سياسية على الأقل — ترك ثوار العصابات وشأنهم في معاقلهم الآمنة. ولقد قلنا سابقاً، أنه لا يمكن لحكومة أن تسمح باستمرار حملة مكلفة، ولا تقدم أية نجاحات يمكن الإعلان عنها فبعد بضعة أسابيع أو بضعة أشهر، تعلن الحكومة عن سحق العصيان، وتعرض جثث عدد من المدنيين لتبرهن عن ذلك، وتعيد قواتها إلى مناطق أقل تعرضاً، مكتفية باحتواء الانتفاضة.

ومن الطبيعي أن يرفض ثوار العصابات هذا الاحتواء، وأن يعمدوا إلى الهجوم، مستفيدين من حرية الحركة التي اكتسبوها مجدداً من أجل شن إغارات ليلية على المراكز المتقدمة المقامة على حافة منطقتهم. وعندما تقوم السلطات بدفع التعزيزات نحو تلك المراكز، ينصب الثوار الكمائن لأرتال التعزيزات.

وتوفر هذه الأعمال للثوار الأسلحة، التي تسمح لهم بتشكيل وحدات جديدة، وتوسيع منطقة العمليات. ويتسلل ثوار العصابات عبر خطوط الجيش، ويهاجمون الحاميات الموجودة في القرى البعيدة، ويحتلون المزارع والقرى التي لم يستطع العدو التمسك بها بسبب الكلفة الاقتصادية. ويحاولون تثبيط همة العدو، أو منعه نهائياً من إرسال القوافل العسكرية إلى بعض المناطق، وذلك بلغم الطرقات، ونصب الأفخاخ للدبابات، وتنظم دفاع في العمق، لجعل الاختراق مكلفاً أكثر فأكثر، دون إطالة مدة المقاومة في أي موقع.

وعندما تبلغ حرب العصابات أشُدها، يجد الجيش نفسه أمام خيارين: إن تفوقه العددي وتسليحه القوي، يسمحان له بأن يدخل دائماً إلى منطقة الثوار بعد أن يتكبد بعض الخسائر، دون أن يحصل على ميزة حقيقية، لأنه ليس للأرض المكتسبة أية قيمة استراتيجية أو اقتصادية بالنسبة إلى التكلفة. وإذا استطاع الجنود حشد قوة كبيرة في مكان ما، فإن ثوار العصابات ينقلون نشاطهم ببساطة إلى مكان آخر. ولا يستطيع الجيش أن يكون موجوداً في كل مكان وفي نفس الوقت. أما إذا لم يبق الجنود في المكان، فإن الأرض تعود إلى الثوار الذين يمكنهم بعد ذلك الإفادة من سكانهم وإنتاجها.

وطبيعي أن تنجم عن ذلك مشاكل سياسية. فللتنازل عن أقسام هامة من الاقتصاد الزراعي انعكاسات لا بد أن تظهر. وتقوم الفئات التي تتأثر مصالحها من هذا الوضع، بالضغط على الحكومة، وقد تبدأ البحث عن بديل سياسي. ويؤثر تدهور الوضع الحكومي على الرأي العام، ويقسم الناس، وتتشجع العناصر الأكثر تطرفاً غب المدن، ويتصاعد الشعور الثوري الذي تؤججه الحركة السرية، ويزداد قلق الحكومة أكثر فأكثر، وتميل إلى تصعيد تدابيرها القمعية.

في مثل هذه الظروف، تنسحب القوات العسكرية إلى التجمعات السكنية الكبرى متخلية بذلك عن الأرياف للثوار، الذين تتسع مصادر تموينهم ومنابع متطوعيهم، وتغدو عصابات الثوار جيشاً، فيستولون على القرى الكبرى، وينسفون الجسور، ويقطعون الطرقات والسكك الحديدية، ولا تلبث التجمعات السكنية الكبرى أن تجد نفسها شيئاً فشيئاً مخنوقة اقتصادياً، وتغدو القوافل العسكرية عاجزة عن الحركة دون التعرض للخطر.

وقد لوحظ هذا السياق سابقاً في نصف الكرة الغربي، وهو جار حالياً في جنوبي شرقي آسيا، إلا أنه لا يمثل بالضرورة السياق الوحيد الذي يمكن أن تتبعه حرب ثورية. وهل يمكن القول أن الولايات المتحدة نفسها منيعة على ذلك؟ إن تعقيدات المجتمعات الحديثة المدينية الصناعية، تجعلها حساسة جداً إزاء التخريب على نطاق واسع، ولم يغب ذلك عن بال متطرفي الحركة الوطنية السوداء، الذين لا يمثلون عدداً كبيراً، ولكنهم شديدوا التعصب. ولقد اكتشف مؤامرة غريبة في شباط ١٩٦٥. وهي تعطينا فكرة عن نواياهم. ويقال أنهم كانوا ينوون نسف (تمثال الحرية) في نيويورك، و (جرس الحرية) في فيلادلفيا وتمثال جورج واشنطن. وفي مقال في Esquire، ظهر في تشرين الأول ١٩٦٤ تحت عنوان (الأسود الأمريكي، صيني وأحمر)، كتب الصحفي الزنجي (وليام وورثي) ما يلي:

(أعلنت حركة العمل الثورية، معتمدة على الدعم المالي والمادي الآتي من آسيا وأفريقيا، ضرورة استعمال القدرات الأساسية الثلاث التي يملكها السود، وهي:

١. القدرة على توقيف الآلية الحكومية.

٢. القدرة على النيل من الاقتصاد.

٣. القدرة على إثارة العنف.

أما الزعيم الزنجي روبرت وليامز، الرئيس الأسبق (للتجمع الوطني في سبيل ترقية العروق الملونة)، والذي اضطر إلى الفرار إلى كوبا بعد حادث عرقي حدث في (مونرو) (كارولينا الشمالية) في العام ١٩٦١، فقد كتب في The Crusader ما يلي:

(عندما تلجأ الجموع إلى العنف، فستعم البلبلة والفوضى الولايات المتحدة... وسيخشى عمال المصانع والهاتف والإذاعة من الذهاب إلى عملهم، وستتوقف كل وسائط النقل... وستنسف خطوط الأنابيب الرئيسية، وستحدث أعمال تخريب... وسيتفشى الصراع في القوات المسلحة. وفي كل القواعد الأمريكية في العالم، سيقف الثوريون المحليون إلى جانب قضية الجنود السود...

ويتحدى المفهوم الجديد للثورة العلم والتكتيك العسكري. إنه يتضمن حملات صاعقة تقع في المجتمعات المدينية المفرطة الحساسية، ويعم الشلل التجمعات السكنية الأقل أهمية ومن ثم الأرياف. أما حرب العصابات القديمة التي تنطلق من الجبال والأرياف، فإنها لن تكون مجدية في بلد يمثل قوة الولايات المتحدة. وأية قوة عصابات تقليدية يمكن أن تُكنس في غضون ساعة.

ويتمثل المفهوم الجديد في البقاء على مقربة من العدو ما أمكن، بغية تحييد أشد أسلحته حداثة وفتكاً... ويسعى هذا المفهوم إلى تفتيت عناصر الانسجام والنظام، وتحجيم السلطة المركزية إلى مستوى أخطبوط ذي أذرع عاجزة. ويتضمن المفهوم الجديد حدوث الاضرابات المتقطعة وإجراء الرمايات الشديدة نهاراً، ومع قدوم الليل تأتي الحرب الشاملة، والمعارك المنظمة، وانطلاق الإرهاب بلا حدود ضد المستبد وقواه. وستضع مثل هذه الحملة حداً للعنف وللظلم الاجتماعيين في الولايات المتحدة في خلال مدة تقل عن ثلاثة أشهر).

ويذكر وليامز مقابلة أجراها مع شخص يحمل لقب (م. لومومبا) (تيمناً باسم الزعيم الكونغولي باتريس لومومبا)، ويعتبر واحداً من قادة الحركة السرية، ويقول وليامز أن هذا الشخص قد صرّح أمامه بما يلي:

(إن الولايات المتحدة شديدة الحساسية اقتصادياً ومادياً.

وإذا ما أحسن توجيه الشبيبة السوداء، أمكنها أن تشل البلاد. فالمجموعات الصغيرة قادرة على تدمير السدود الثمانية الكبرى، والتي تنتج الجزء الأعظم من الطاقة الكهربائية.

ويمكن صب البنزين في مجارير المدن وإشعال النار فيها.

ماذا يحدث من هذه الفوضى؟ حرب عصابات على الأغلب. ولا أعتقد أن البيض كلهم سيشاركون فيها، لكن الجماعة السوداء كلها ستساهم فيها.

إننا نطلق على البيض لقب (قطعة الحلوى). فعندما يتوقف التلفزيون، وينقطع رنين الهاتف، سينهار العالم كله. إننا واثقون من ذلك. وسيلزم البيض بيوتهم كما لو كان هناك قصف جوي وسينتظرون عودة التلفزيون إلى العمل).

إن في هذا الأقوال الكثير من التبجحات، وقد تكون مقرونة بسوء إدراك شريف للموقف. وليس هناك ما يشير حتى الآن، إلى أن أغلبية الشبيبة الأمريكية السوداء مستعدة للجوء إلى العنف. ومع ذلك، فإن الوطنيين السود على حق في نقطة. وهي أنه عندما تتواجد إرادة مقومة السلطة، يمكن دائماً إيجاد الوسائل لعمل ذلك، وحتى أفضل المجتمعات، المحمية من قبل الشرطة، ليست محمية من الانتفاضة.

إن ثائر العصابات ينجح بمجرد استمراره على قيد الحياة. وهو ينجح لأنه يستعمل طرقاً متقدمة. فبالمسدس والساطور، وحتى بالقوس أو الرمح، يمكن أن يستولي على بندقية. وعندما يحوز على عشرين بندقية يمكن الاستيلاء على رشاش، وعندما يصبح الرشاش في يده، يكون بوسعه استخدام الرشاش

والبنادق العشرين لتدمير قافلة مجهزة بخمسة رشاشات وخمسين ألف طلقة. وبدزينة من المعاول وعدد من صفائح الوقود، يمكنه تدمير دبابة، ويستطيع بأسلحته أيضاً إسقاط طائرة أو هليكوبتر تحمل سلاحاً.

والمدفعية عاجزة أمامه، لأنها لا تتوصل إلى الإمساك به، وينطبق هذا القول على الطيران – نسبياً، لأن الحكومة لا تستطيع أن تجيز لنفسها قصف المدنيين بلا تمييز، لأن ثائر حرب العصابات يختبئ بينهم.

وفي وقت من الأوقات، بنيت آمال كبيرة على طائرات الهليكوبتر، التي أدت خدمات جلي في الصحراء الكبرى (الجزائرية)، لكنها خيّبت الآمال المعقودة عليها في أدغال فيتنام، حيث تعلم الفيتكونغ نصب الأفخاخ للهليكوبترات، وكانت الخسائر منها فادحة.

وتتحدث الكراسات الأمريكية الخاصة بتقنيات الحرب غير النظامية، عن مختلف الأسلحة الحيوية (البيولوجية) والكيميائية، ويوصي بها خاصة عندما يكون ثوار العصابات مختلطين مع المدنيين الأبرياء، الذين لا يمكن أن يقتلوا، أو يجب ألا يقتلوا.

والغاية من الأسلحة البيولوجية، إصابة ثوار العصابات بأمراض فيروسية مؤقتة، تنقص قدرتهم على مقاومة الهجوم عليهم، بحيث يمكن للمشاة القائمين باجتياح قطاع معيّن قتلهم أو أسرهم، دون أن يلحقوا ضرراً بغير المقاتلين. إنها – إذا جاز التعبير – وسيلة لفرز المناشف عن الخرق.

وقد اقترح لهذا الغرض أيضاً استعمال غازات غير قاتلة (محمولة مثل الأسلحة البيولوجية داخل قذائف، أو قنابل، أو مرشوشة من الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض). وتستطيع هذه الغازات إصابة كافة المتواجدين في منطقة القتال بأمراض مؤقتة، قبل البدء بالهجوم عليها، الأمر الذي يؤدي إلى تجنب إراقة الدماء.

وتبدو الفكرة إنسانية ومنطقية معاً، لكنها فشلت عند التطبيق العملي. ففي بداية العام ١٩٦٥، استعملت هذه الغازات (وهي مزيج من غازات المسيلة للدموع والغازات المقيّئة من النوع المستعمل لتفريق

المتظاهرين)، في فيتنام ثلاث مرات. وكانت نتائجها معدومة. فقد تبخرت الغازات مرتين دون أن تحدث أي أثر، وأدت في المرة الثالثة إلى مرض السكان، لكن الجنود لم يجدوا ثوار عصابات بينهم.

وكان لاستعمالها في المقابل أثر دعائي هائل وشديد الضرر لأولئك الذين استعملوها. عندما أعلنت واشنطن في آذار ١٩٦٥، وبلا مبالاة، عن استعمالها الغازات في فيتنام، كان رد الفعل في العالم مباشراً. وقامت الصحافة الآسيوية، وخاصة اليابانية التي لم تنس بعد آثار قنبلتي هيروشيما وناغازاكي — بالاعلان عن سخطها، وأجرت لندن وباريس تحقيقاً ديبلوماسياً، وأدانت غالبية الصحف الأمريكية استعمال الغازات، بما في ذلك أقلها ضرراً، واعتبرت هذا العمل منافياً لقواعد الحرب المتحضرة، وقد يؤدي إلى أسوء همجية.

وكانت الصين قد اتهمت الولايات المتحدة بشن (حرب جرثومية) إبان الحرب الكورية، مما أثار الرأي العام آنذاك. وجاء رد الفعل العالمي على استخدام الغازات في فيتنام ليزيد الوضع سوءاً، مما أضطر الأمريكيين إلى التخلي عن استخدام الغازات والأسلحة البيولوجية، والتي بقيت لم تتثبت فعاليتها العسكرية. وهناك أسلحة حديثة أخرى أشد خطراً من الغاز، كالفسفور الأبيض الذي يصيب الإنسان بعاهة دائمة. فهو إن لم يقتل، فإنه يسبب جروحاً بشعة، ويخترق حتى الفولاذ، ولا يصبح غير مؤذٍ، إلا إذا غمس في الماء.

وهناك القنبلة العنقودية التي تزن ألف رطل، وتنفلق في الجو، فتخرج منها مائة رمانة تتناثر ضمن دائرة نصف قطرها مائة متر. وهي تشكل ولا شك سلاحاً فعالاً ضد رجال العصابات.

وتستطيع العربات المدرعة الحديثة (البرمائية) اختراق أشد المستنقعات عمقاً، ويستطيع جهاز الرؤية الليلية العامل بالأشعة تحت الحمراء كشف ثوار العصابات المختفين وراء ستار الظلام. وهناك نموذج أكثر حداثة يعمل وفق مبدأ تكثيف ضوء النجوم. وتكشف الرادارات المتحركة رجلاً يزحف على بعد ألف متر. أما الاستعمال الأسلحة الصامتة (المزودة بكاتم الصوت) فإنها تجعل كشف قانصي الثوار صعباً مثل كشف الثوار أنفسهم.

ومع هذا، فإن خبراء الحرب المضادة للثوالار يعترفون، بأن التقنية لوحدها عاجزة عن التغلب على حرب العصابات، ولا تستطيع إلا أن تجعلها أكثر صعوبة وأشد خطراً فالصراع قبل كل شيء ذو سمة اجتماعية وسياسية، ويستمر البرغوث على قيد الحياة بفضل القفز والاختفاء. وهو يحقق النصر لأنه يتكاثر بسرعة فائقة لا يمكن إدراكها.

؂ ؂ ؂

لا تتعدى حاجات ثائر العصابات بضعة أشياء مثل: بندقية، وغطاء، وقطعة من المشمع لتحميه من المطر، وسكين، وبوصلة، وأحذية متينة. وكلها معدات على غاية في البساطة. أما ما يُطلب منه شخصياً فهو أكثر بكثير، فلا بد أن يكون قوي البنية، بساقين من الفولاذ، ورئتين سليمتين، ومزاج تقشفي، ورباطة جأش. ولا بد أن يحب شظف العيش الذي يحياه، لكن ما يلزمه حقاً، ولا يستطيع الاستغناء عنه، هو السلاح الايدولوجي، فلا بد للثوري النشيط، وقبل كل شيء، من أن يقف على أرضية معنوية لا تتزعزع، حتى يصبح أكثر من مجرم سياسي.

وقد نتوصل إلى الاعتقاد، في حالة الفيتكونغ مثلاً، بأن ثوار العصابات يسيطرون على السكان الريفيين بالتهديد والإرهاب، هكذا كان يرد الفلاحون عندما كانوا يلازمون على إيوائهم إياهم.

ولكن هذا الاعتقاد خاطئ بشكل عام، وقد يستعمل الإرهاب بدراية وحنكة، بيد أن أي ثائر عصابات لا يمكنه ممارسته على أناس يتعلق بهم بشدة، سواء من حيث معيشته أو من أجل وجوده السياسي. ويميز الناس بسرعة ما بين الانتهازي، والمناضل الذي يبذل من كل قلبه، لذا فهم يحترمون هذا ويتبعونه.

ولكي ينجح ثائر العصابات، لا بد أن يجعل نفسه محبوباً ومصدراً للإعجاب. ولكي يكسب أنصاراً، يجب ألا يمثل النجاح فقط، بل الفضيلة المطلقة، أيضاً، في حين يمثل عدوه الشر المطلق. فقد يكون الجنود

كسالى أو مدمنين أو فاسقين، أما الثائر، فيجب أن يبدو نشيطاً ومتقشفاً وقنوعاً. أن أعداءه الذين يبيدهم خونة وقتلة، وعدالة الثورة فورية وأكيدة، أما أعداؤها فهم فاسدون ضعفاء ومترددون.

ولا بد لقائد العصابات الناجح أن يتصرف بشرف فيدفع ثمن ما يأخذه، ويحترم الحقوق والملكية الخاصة، حتى لمن لا يعتبرون من أنصاره، وأن يأخذ في الاعتبار ضرورة اكتساب كل الدعم الممكن في المجتمع القائم كيفما كانت طبيعة ذلك المجتمع آنذاك، حتى لو كانت الحرب صراعاً طبقياً (وذلك لا يجري بصورة دائمة) فيجب أن تُلطّف الفروق بين الطبقات لا تُضخم، وأن تُخضع هذه الفروق لقضية وطنية تُقدم على سواها. أما الطبقات لا أن تُضخم، وأن تُخضع هذه الفروق لقضية وطنية تُقدم على سواها. أما أولئك الذين لا يتعاطفون مع الثورة، وحتى المدافعون عن النظام القائم وخدمه، فيجب أن يترك لهم الخيار الأخلاقي، كأن يقال لهم بأن الوقت لم يفت بعد للانضمام إلى سبيل الفضيلة، والمشاركة في المستقبل اللامع، من أجل الوصول إلى شيء أكثر جمالاً وأكثر ضماناً مما يحوزونه فعلاً.

ولا بد للدعاية الثورية أن تكون صحيحة في جوهرها، حتى يؤمن الناس بها. وتلك ضرورة أساسية أولية. فإذا لم يؤمن الناس بها، فإنهم لا يتحركون، ولا تحدث الثورة. ولا يستطيع قادة الثوار إذكاء روح التضحية والإرادة الثورية التي تخلق الثورة الشعبية، بواسطة الوعود وحدها، أو بقوة السلاح، بل لا بد لهم من تنازل شخصي عظيم في سبيل غاية عظمى. وسواء كانت قضية الثورة تستند إلى القومية، أو العدالة الاجتماعية، أو الرغبة في التقدم المادي، فإن قرار القتال والتضحية يبقى ذا طابع اجتماعي وأخلاقي، وبذلك تصبح الانتفاضة قضية إيحاء وليست قضية مناورة.

وإنني ألاحظ تماماً، أن هذه الاستنتاجات لا تتوافق مع صورة حرب عصابات أو دوافعها، كما رسمها منظرو الحرب المضادة للثورة، في سوقهم الرائجة حالياً. إن على الأخصائيين في الحرب المضادة أن يكسبوا حرباً، في اللحظة التي أكتب فيها هذا الكتاب، مع أنهم الآن ماضون في خسارة الحرب الدائرة حالياً في فيتنام.

إن تصورات منظري الحرب المضادة باطلة، لأنها تنطلق من مقدمات منطقية ناقصة. ويفترض هؤلاء المنظرون، أو يطلب منهم أن يجعلوا الناس يعتقدون – بأن السياسية هي أساساً علم إدارة الناس، وأن الانتفاضة شكلان من السلوك الاجتماعي، والفارق بينهما هو أن الانتفاضة تمثل الطريقة الشعبية لمقاومة الحكومات اللاشعبية.

الفصل الثاني عشر

حرب العصابات في العالم الثالث

والسياسة الأمريكية الجديدة

"حرب العصابات في العالم الثالث القاعدة الثورية – التوقعات المستقبلية للولايات المتحدة – مقترحات حول سياسة أمريكية جديدة في أمريكا اللاتينية". [١٦]

عندما نأخذ في الاعتبار مختلف الوجوه التاريخية والنظرية والعملية لحرب العصابات، يتضح لنا رسوخ نقطتين:

النقطة الأولى، هي أن حرب البرغوث بشكلها الحالي، ليست فقط حرباً شعبية، بل أنها أيضاً حرب المعدمين في العالم، وهي السلاح المتاح بشكل طبيعي للشعوب المقهورة الخاضعة للاستغلال. أي أنها في الخلاصة سلاح ثوري.

أما النقطة الثانية، فهي أن الولايات المتحدة بحكم سيطرتها، تجد نفسها – شاءت أم أبت – تلعب دوراً مضاداً للثورة. وبما أن الولايات المتحدة هي أكبر قوة في العالم اقتصادياً وعسكرياً، وبلد أكبر رجالات المصارف والصناعة وحراس النظام الرأسمالي للاقتصاد الحر (الذي تشكل الديمقراطية الليبرالية، والحكومة الدستورية، جزءاً منه)، فإنها بالطبيعة والضرورة، حليفة للمصرفين والملاك العقاريين ولمن وظفوا أموالهم في كل مكان. وبالرغم من تقاليدها وتشدقها الكلامي، فإن سياستها الخارجية الرامية إلى بقاء الوضع الراهن، والراغبة في التطور الاجتماعي الهادئ، والمتعارضة مع الثورة الراديكالية، هي سياسة معادية للشعوب، في كل مرة تهدد فيها الحركات الثورية المصالح الموظّفة. وإذا صدف أحياناً وعارضنا مثل هذه المصالح، فإن ذلك لا يكون إلا من أجل تسهيل مصالح أشد أهمية.. هي مصالحنا.

---

[١٦] ملاحظة مهمة: الفصل (١١) و (١٢) لم يعلق عليهما الشيخ أبي مصعب السوري وإنما نصح بقراءتها فأكتفينا بنقل الفصلين من الكتاب.

وتؤكد الحرب الباردة ذلك. فقد تصدت الولايات المتحدة للشيوعية لتدافع عن الملكية الخاصة والاقتصاد الحر من جهة، ولأن الشيوعية تشكل عاملاً للتوسعية الصينية والسوفياتية من جهة أخرى. ولقد اعتُبرت الكتلتان الصينية والروسية منافستين من الناحيتين السياسية والاقتصادية، وتشكلان تهديدات عسكرية محتملة.

ومعظم الحركات الثورية التي تنفجر في العالم، هي إما شيوعية تماماً، أو ذات ايديولوجية ماركسية — لينينية، أو على الأقل ذات ميول اشتراكية (أي أنها تهديد للاقتصاد الحر) ولذا فإنه من غير المدهش أن نرى الولايات المتحدة تتصدى لها. والمثلان الرئيسيان على ذلك هما فيتنام والكونغو. وحتى عندما لا يكون الهدف الثوري هو الاشتراكية، بل الاستقلال الاقتصادي أو عدم التبعية السياسية، فإن الولايات المتحدة، الراغبة في ضمان استثماراتها وتوسيع نفوذها وأسواقها، لا تستقبل أي ثورة بالترحاب[١٧].

والنتيجة: أن مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها، تصطدمان مع ثورة الجماهير المسحوقة في البلدان النامية. والنهاية المنطقية هي تماماً ما حدث في فيتنام، أي المواجهة بين الغنى والنفوذ والقدرة الصناعية التسلح الحديث، وبين حركات حرب العصابات في كل المناطق، حيث تتواجد مصالح أمريكية هامة.

وتقودنا دراسة حركات حرب العصابات، في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلى الاستنتاج التالي: إن الولايات المتحدة تتقدم ببطءنحو نزاع عالمي الطابع، لا يمكن أن تربحه.

وليست أسباب هذا الاستنتاج غامضة.

إن حرب العصابات، كما رأينا، حرب شعبية بشكل أو بأخر. إنها صراع الأمم ضد المعتدين الأجانب، كما رأينا، أو أنها أجزاء ثائرة من مجتمع ضد الطبقات الحاكمة، نزاع بين المستَغلين والمستغِلين، بين المحكومين والحاكمين.

---

[١٧] لا شيء يكشف موقف واشنطن، مثل تدخلها المسلح في جمهورية الدومينيكان، فتحت تأثير الخوف من (كوبا جديدة) انفعت إدارة جونسون في العدوان، متجاهلة كل اعتبارات السيادة الوطنية والقانون الدولي.

ففي قبرص مثلاً يمكن أن نرى بشكل سطحي، أن غريفاس حصل على جلاء البريطانيين بواسطة الابتزاز، وأنه لم يجبرهم على الرحيل. إن ذلك صحيح إذا نظرنا إلى مسألة من اتجاه معين، لكن يجب رؤية الأمور جيداً، ومن جميع الزوايا. إن غريفاس ومجموعته الصغيرة من الإرهابيين لم يكونوا ليقدروا على تحقيق تلك النتيجة، دون المعونة الإيجابيةوالسلبية للأغلبية العظمى من القبارصة، ولقد كانت (إيوكا) تشكل تعبيراً عن الإرادة الشعبية، لذا فإنه لم يكن بوسع البريطانيين البقاء، إلا إذا شنوا الحرب على كل السكان. ففضلوا الرحيل، تماماً كما حصل في ايرلنده.

وناه أمثلة أخرى أكثر وضوحاً. فلم يكن باتيستا قادراً على قتال الثوار دون أن يقاتل الشعب الكوبي. وفي النهاية، ظهرت موارده غير كافية لهذا العمل، فانهار نظامه.

ولقد حاول الفرنسيون الاحتفاظ بمصالحهم في الهند الصينية والجزائر، فحملوا السلاح ضد الإرهابيين، ووجدوا أنفسهم في كلتا الحالتين، يشنون معارك خاسرة مسبقاً، ضد المد الصاعد للانتفاضة الشعبية. وكان بإمكانهم من الناحية النظرية إخضاع الجزائر (كما جرى ذلك قبل قرن)، عن طريق إنفاق مال أكثر، وتجنيد قوات أعظم، وتبنى أساليب أكثر صرامة. ولكن هل كان بإمكانهم فعل ذلك في العام ١٩٦٢؟ كلا، لأسباب اقتصادية وسياسية داخلية، وبسبب الموقف العالي. ويمكننا أن نتساءل: ترى هل كلن النجاح يستحق العناء المطلوب لتحقيقه، حتى لو كانت الإرادة والوسائل متوافرة لتحقيقه.

هنا تكمن المسألة الحاسمة في عصرنا، في كل النزاعات بين القدرة العسكرية والانتفاضة الشعبية. وتواجه الولايات المتحدة اليوم هذه المسألة، أو أنها ستواجهها غداً.

إن سيطرة دولة ما على مستعمرة، يستهدف استغلال هذه المستعمرة اقتصادياً، أو الإفادة منها لخدمة هدف سياسي. ولا تقوم أي دولة بدعم نظام سياسي أو اقتصادي ضد آخر، إلا لأنها تنتظر الحصول على فوائد من النظام المدعوم. فالحكم هو جمع ثمار السلطة السياسية، مهما كانت طبيعة هذه الثمار.

ومع ذلك، وفي عصرنا هذا، لم يعد بالإمكان استعمار أو حكم بلد ما، أو تكريس سلطة حكومية محلية عملية – وبقول آخر استغلالها – دون موافقة المستغلين، فبقتلهم يقهر المستعمر نفسه، في حين أن

استعبادهم صعب، إن لم يكن مستحيلاً في إطار الحقائق السياسية والاقتصادية الحالية. وهذا هو ما يضمن نجاح أية حركة تحرير شعبية بعد انطلاقها. وهذا هو أيضاً المأزق الذي يجد واضعوا السياسة الأمريكية أنفسهم فيه، منذ بدء تعاملهم مع حروب العصابات المعادية للولايات المتحدة.

ففي القرن الماضي، استطاعت الحكومة سحق القبائل الهندية في أمريكا الشمالية، لأن هذه القبائل لم تكن تتمتع بأي وزن سياسي أو اقتصادي، كما أنها كانت تشكل أقلية غير ذات أهمية، وبعيدة عن السكان البيض من كل وجهات النظر. فقد كان المطوب هو الحصول على أراضي الهنود وليس على يدهم العاملة أو تجارتهم أوتعاونهم. وأمكن في النتيجة القضاء عليهم بدون أي ضرر. لقد كان ذلك مطلوباً حقاً، من وجهتي النظر الاقتصادية والسياسية، ولهذا تحقق.

بيد أن الأمور تغيرت. والمطلوب اليوم هو اليد العاملة، وما تنتجه. وليس للمواد الأولية، الموجودة في المناطق النامية، أية فائدة بالنسبة إلى الدول الصناعية الكبرى، بدون الجهد البشري الذي يجعلها قابلة للاستعمال (النحاس في تشيلي والنفط في فنزويلا بالنسبة للولايات المتحدة مثلاً). وتتطلب القواعد الاستراتيجية خدمات السكان المحليين وتعاونهم، كما أن الصناعة بحاجة إلى أعداد هائلة من اليد العاملة، وإلى أسواق هامة ومتزايدة أكثر فأكثر حتى تصرف منتجاتها.

في مثل هذه الظروف، يكون إخماد تحركات المقاومة الشعبية بالقوة عملاً ضاراً. فإذا كانت القوة غير كافية نمت المقاومة، وإذا تجاوزت الحد الضروري أدت إلى تدمير غايتها، وكانت أشبه بقتل الحصان لأنه رفض أن يجر العربة.

وعند تبني حل التدمير، فإن ذلك لا يكون إلا لسبب هو: حرمان طرف ثالث من هدف النزاع. وينطبق هذا الوضع على فيتنام الجنوبية، التي لا تمثل في حد ذاتها، قيمة الولايات المتحدة، إلا إذا كانت قيمة سلبية، باعتبارها إهراء للأرز الذي لا بد من منعه عن الصينيين الجائعين.

إن الخيار القائم في فيتنام واضح تماماً: إذا تعذر علينا إقناع السكان الثائرين يتبنى حل مقبول من الأمريكيين (والأمل في تحقيق ذلك معدوم تقريباً)، لا يعود أمامنا سوى أن نخوض حرب اسعباد ضد

الشعب الفيتنامي، بالاشتراك مع من بقي من عناصره حليفاً لنا، أو أن نبحث عن حل يقبله هذا الشعب، وذلك بأن نمهد للمفاوضات مع الفيتكونغ، أو أن نبحث عن حل يقبله هذا الشعب، وذلك بأن نمهد للمفاوضات مع الفيتكونغ، أو أن نترك كل شيء نهائياً، فيجد الفيتناميون الحل بأنفسهم.

وهناك احتمال رابع، وهو في جوهره بديل مضخَّم عن الأول وتستطيع الولايات المتحدة بموجبه أن تغير صفة الحرب، أو على الأقل صفتها الظاهرية، وذلك عن طريق توسيعها، الأمر الذي يعني الهجوم على هانوي وبالتالي على الصين. فإذا ما شنت الولايات المتحدة هذه الحرب، وبعد إعطائها التقديم المناسب، فقد تبدو عندما مبررة أمام الشعب الأمريكي وحلفائه، وبالرغم من المخاطر الضخمة والنفقات التي يتطلبها ذلك، على حين لا يمكن تبرير حرب تسير إلى الضياع وعلى مسرح فيتنام الضيق. ففي إطار حرب عامة، لا شك أن شطري فيتنام الشمالي والجنوبي سيصبحان محتلين، وموضوعين تحت الحكم العرفي، وعندما يمكن تصفية الحركة الشيوعية بقوة عسكرية ساحقة.

وماذا بعد ذلك؟ إن احتلال جنوبي شرقي آسيا (لأنه لا يمكن الاقتصار على فيتنام) يشكل، من حيث الأعداد والوسائل التي يتطلبها، عبثاً لا يمكن أن يحتمل، بالنسبة إلى الاقتصار والناخبين في الولايات المتحدة، ولن تكون أية فائدة معقولة باستثناء إمكانية استخدام جنوبي شرقي آسيا كقاعدة ضد الصين في الحرب التي ستلي ذلك. ولم الحرب، ولأية غاية؟ إن النزاع الهائل، والطويل، والعبثي، الذي ينتج عنها، حتى لو فرضنا أنه بقي محصوراً في آسيا – الأمر الذي لا يمكن التأكد منه – نزاع يتجاوز التصور، ولو قارناه بالحرب الكورية الدامية والمكلفة، لبدت أحداث كوريا، كلعبة أطفال.

☙ ☙ ☙

ما هو مستقبل حركات العصابات الثورية في الأنحاء الأخرى من العالم؟ لقد ظهر في البداية، في أفريقيا السوداء أن نهاية الاستعمار الأوروبي وولادة الجمهوريات تشكلان افتتاح عهد من التقدم السلمي. ثم تبيّن

فيما بعد أن اختفاء الاستعمار من معظم أجزاء القارة، لم يكن النهاية، بل كان بداية النزاع الثوري، الذي يهدف إلى تدمير كل المصالح الأجنبية، الغربية على الأقل.

وكثير من الأمم الأفريقية الجديدة، إن لم يكن معظمها، بقي مؤقتاً ضمن الفلك الغربي. أي أن هذه الأمم بقيت خاضعة للنفوذ أو للإشراف السياسي والاقتصاد لأسيادها الاستعماريين القدامى، أو الكتلة الصناعية الغربية بمجموعها، وبقية حكوماتها، في الوقت الحاضر، مؤيدة للاتفاقات التي تسمح للغرب الصناعي باستغلال الموارد الطبيعية والبشرية في أفريقيا.

وفي أمكنة أخرى من القارة، استمرت أقليات استعمارية على تقلد زمام الحكم.

وفي الدول الأفريقية كلها، بلا استثناء، يبدو أنه من الممكن أن نؤكد، بأن انتشار الثورة بواسطة حرب العصابات، كالنار تحت الرماد، ليس عبارة عن احتمال فقط، بل هو شبه حقيقية، وذلك بقدر ما تكتشف الشعوب البدائية، التي تشكل الغالبية العظمى، أثناء خروجها من مرحلة القبلية، بأنها لا يمكن أن تُحكم، أو أن تستغل بدون رضاها.

وما هو صحيح بالنسبة إلى أفريقيا السوداء، ينطبق أيضاً على الجزء الأعظم من آسيا، وعلى البلاد العربية، والأهم من ذلك بالنسبة إلى الولايات المتحدة هو أنه ينطبق على أمريكا اللاتينية كلها تقريباً.

وتحتوي المناطق النامية من الكرة الأرضية، على أهم الموارد المادية العالمية غير المستغلة، المواد الأولية الضرورية للصناعة. ولذلك تقوم القوى الصناعية بالتنازع عليها. وتحتوي هذه المناطق أيضاً على الجزء الأعظم من سكان العالم، وأكثر سكان الأرض جوعاً. وتتزايد بالتالي متطلباتهم عاماً بعد عام.

كيف يمكن فرض الوصاية على هؤلاء السكان المتزايدين، والذين يزداد جوعهم أكثر فأكثر، والذين يعون بشكل متزايد حقيقة الثروات المحيطة بهم، ويتعلمون دروس حرب العصابات – وهم يتعلمونها – بسرعة؟ إن فرض الوصاية في هذه الحالة غير ممكن.

وفي الماضي، كان أي استعمار، أو أي حاكم محلي، أو أي قوة من الدرك قادراً على القيام بذلك. ولقد برهنت الثورة الكوبية بأنه لا يمكن فعل ذلك أبداً، بعد أن تنمو حركة حركة عصابات ثورية مصممة، وحتى الجيوش الممكنة للدول الصناعية فإنها غير قادرة. وقد ظهر البرهان على ذلك في فيتنام والجزائر. وتسهل الأرض، وتوزيع السكان، وطبيعة الصراع المحددة بأهداف الصراع ذاتها، عمل الثوريين الموجودين بحكم القوة.

وغداً، ستنبثق في أفريقيا وآسيا وجنوب أمريكا، جيوش العصابات، من جموع المعدمين، والفلاحين الجائعين وسكان الأكواخ المدينية، أي من بين أولئك الذين يمتلكون الشرط الأول لحرب العصابات: وهو: أنهم لا يملكون شيئاً يفقدونه إلا حياتهم.

وسينطلقون من اليد العاملة المنتجة في البلدان الخاضعة أكثر من غيرها للاستغلال. وهنا تكون المعركة نصف ظافرة، سلفاً، لأن من المتعذر الحصول على العمل بقتل العمال.

وسيقاتل الثوار على أرض يعرفونها جيداً، وتلائم نشاطاتهم الثورية في الجبال والغابات، والمستنقعات، حيث ليس للدبابات والمدافع والطائرات سوى أثر ضئيل. وسيتوافر لديهم التمويه الطبيعي، ومصدر التموين، ومصلحة استخبارات من السكان الذين ينتمون إليهم، وحيث لا يمكن القضاء عليهم بدون إبادة الاقتصاد والموارد، التي تشكل بالضبط غايات الصراع.

كيف نقاتل ثوار العصابات المنتشرين في كل مكان؟

لو استطاع التفوق التكنولوجي أن يفعل ذلك، لانتهت الحرب في فيتنام منذ أمد طويل. فالولايات المتحدة تنفق فيها مبالغ خيالية، وهي تخسر الآن هذه الحرب، أمام عدو أقل عدداً، ومجهز بشكل سيء، لأن الغنى التكنولوجي، على القوى الشعبية، التي تستعمل تكتيك حرب العصابات، على أرض مألوفة لديها، وبين سكان يؤيدونها.

ꕤ ꕤ ꕤ

وعلى كل حال، فإن فيتنام لا تمثل إلا مسرحاً محدوداً. ومع هذا، فإن كلفة الحرب فيها مرتفعة جداً، فماذا يحدث لو امتد الحريق إلى كل جنوبي شرقي أسيا، واشتعلت في أفريقيا بسكانها المائتين والخمسين مليوناً من السكان، ووصلت إلى أمريكا اللاتينية، حيث يتواجد نفس المقدار من الجائعين والهائجين؟

وتشكل أمريكا اللاتينية، أو لا بد أن تشكل، والهم الأساسي للولايات المتحدة. فهي تحتوي بشكل كامن، على كل عناصر الثورة، التي يمكن أن تؤثر جذرياً على اقتصاد أمريكا الشمالية، ومكانة الولايات المتحدة بين الدول العظمى، في السنوات القليلة المقبلة.

فعلى بابها الخلفي، وعلى ما يقرب من عشرة آلاف كيلومتر، من (ريوغراند) إلى، (أرض النار)، تمتد ساحة معركة الغد، أنها قارة من الدغلات الكثيفة، والغابات العذراء، والجبال الشاهقة، والسهول القاحلة، والأكواخ المدينية، التي تضم كل العناصر — الاجتماعية والسياسية والايديولوجية والاقتصادية والديموغرافية — اللازمة لثورة عنيفة.

فإذا كانت الأسلحة الأمريكية عاجزة عن سحق الانتفاضة في فيتنام الجنوبية، حيث يعيش ستة عشر مليون نسمة فقط، فكيف بإمكانها أن تتفوق في البرازيل على سبيل المثال؟ حيث يتجاوز عدد السكان ٧٥ مليون نسمة، حيث تغطي الغابات العذراء نصف مساحة البلاد، التي لا تقل عن ٨.٢١٥.٦٨٠ كيلومتراً مربعاً.. وليست المسألة أكاديمية تماماً، فلقد وصلت البرازيل سابقاً إلى عتبة الثورة، ولدى جيرانها نفس القوة التفجيرية الكامنة.

وإذا كانت الولايات المتحدة عاجزة عن جمع الأعداد الكافية لاحتلال جنوبي شرقي آسيا — ويدل الاحتجاج المنبعث في الكونغرس، عند كل إعلان عن خسائر عسكرية جديدة، على المأزق السياسي — فكيف يكون بإمكانها احتلال جبال (الأنديز)، التي يبلغ طولها ٦٥٠٠ كيلومتر؟ ومع ذلك، فإن هذا ما يجب عليها مواجهته، إذا انتشرت الأفكار السائدة في جنوبي شرقي آسيا، إلى منطقة أشد قرباً منها، وأكثر حيوية بالنسبة إليها.

وتوجد نفس الخمائر الثورية، لكن بدرجات متفاوتة، في جمهوريات أمريكا اللاتينية العشرين، من المكسيك حتى الأرجنتين، كما توجد نفس التفاوتات الفاضحة في توزيع الثروات، ونفس الأكواخ البغيضة، والبطالة، وفساد الحكومات التي تدّعي الديمقراطية، ونسبة مواليد مرتفعة تفوق كثيراً معدل التقدم الاقتصادي. وفي كل مكان، تشكل الرغبة الشعبية الواسعة في التقدم، الدافع الأقوى للعمل السياسي.

فالهنود الحمر في غواتيمالا – الذين لا يمتلكون الاسبانية أو بعضاً منها الذين يعيشون في أدنى مستوى – يشكلون ثلثي السكان. ويسيطر الملاك العقاريون والاقطاعيون، ومن بينهم (شركة الفواكه المتحدة الأمريكية)، على كل الزراعة التجارية في البلاد. أما الجيش الذي يحمل ثلث ضباطه رتبة عقيد (أعلى رتبة عسكرية عندهم)، فإنه يقوم بقمع أعمال الشغب الطلابية، والتي تنفجر من آن لآخر في العاصمة، فتمتلئ السجون بالمعتقلين السياسيين.

أما الانقلاب الموحى به من قبل الولايات المتحدة، والذي أدى إلى قلب حكومة (جاكوبو أربينز) في العام ١٩٥٤، فقد ألغى الاصلاحات الاجتماعية، البسيطة التي كان قد بدأها النظام يساري – ولكن لم يحمل أي علاج للآفات اندلعت حرب العصابات في البلاد.

وفي السلفادور، تحتل بضع ملكيات شاسعة، من مزارع الموز والبن، نصف الأراضي القابلة للزراعة و٨٠% من المزارع الصغيرة التي تقل مساحة الواحدة منها عن ستة هكتارات، أما المائتا ألف فلاح الذين يعيشون فيها، فإنهم يحصلون منها بصعوبة على ما يسد رمقهم.

وفي عام ١٩٥٤، قدّر الدخل السنوي الفردي في الأكوادور بثمانمائة فرنك (فرنسي)، لكن ثاثي العائلات كانت تكسب أقل من ستمائة فرنك. أما في تشيلي الغنية بالموارد المنجمية، فإن أكثر من نصف السكان الريفيين يعيشون على دخل عائلي سنوي يتراوح بين ٥٠٠ و ٥٨٠ فرنكاً. وفي الأقليم الشمالي من البرازيل، حيث يسود الجفاف، فإن الدخل الفردي يصل إلى ٣٧٥ فرنكاً.

وفي أمريكا اللاتينية كلها، انتشر الاحتكار بشكل جعل ١٠% من الملاك يمتلكون ٩٠% من الأرض. وتصل مساحات (اللاتيفونديا) (المزارع الشاسعة) إلى عدة آلاف من الهكتارات، يزرعها عاملون يعيشون

في أكواخ وبيوت صغيرة، ويتقاضون أجوراً زهيدة، هذا إذا دفعت لهم. أما العشرة بالمائة الباقية من الأرض، فهي مجزأة إلى عشرات الألوف من (المينيفونديا) (المزارع الصغيرة)، وهي صغيرة بحيث لا يمكن أن تعطي ربحاً فائضاً يسمح بشراء الأسمدة، أو الآلات الزراعية أو الوسائل الأخرى اللازمة لتحسين الإنتاج.

ويعيش ملايين الريفيين في جنوب أمريكا دون أن يبيعوا أو يشتروا، وعلى هامش مجتمع ليس لهم فيه حصة أو صوت. أما في الغابات الاستوائية، حيث يعيش مئات الألوف من الناس على إحراق جزء آخر بعد أن تفقد الأرض الأولى خصوبتها، وذلك طبقاً لقاعدة قديمة استخدمت قبل قدوم الفاتحين بزمن طويل.

ويدفع النمو السكاني (الديموغرافي) والمجاعة مئات الألوف من الفلاحين للبحث عن عمل في المدن، وينشأ عن ذلك شكل جديد من المعدمين. وفي ريو دو جانيرو، يطلقون اسم (فافيلاس) على الجحور القائمة على حافة المرتفعات المحيطة بالمدينة، وهي منضدة بعضها فوق البعض الآخر، ولا ماء فيها، وتحتوي على مائتين وخمسين ألفاً من السكان، وتشكل غابة بشرية، لا تجرؤ الشرطة على دخولها. وتدعى الجحور في سانتياغو دو تشيلي (كالامباس) أي الفطر. أما في ليما (البيرو)... ، واسمها في كاراكاس (فنزويلا) هو (رانشوز). وكل هذه المصطلحات تعني تجمعات بائسة، تجتاحها الأمراض، وتعبث فيها الجرذان، ويعيش بدون قانون، وفي مستوى إنساني متدنٍ، وليس لها أي مستقبل أو أمل، سوى الأمل باندلاع الثورة.

ولا تولد الثورة من مجرد الفقر، ولكن التقدم، يؤدي إلى تشكيل مزيج جديد، هو الأمل بتغير اجتماعي. ويتعزز هذا الأمل بفضل التعليم الأولي، فيولد عن ذلك عنصر اجتماعي جديد، هو الفقير الطموح، الفقير الرافض المتمرد. ومن هؤلاء الفقراء تشكل كوادر الثورة التي ليس لديها ما تفقده وترى حولها الكثير مما يمكنها أن تكسبه.

فبدون شعارات ثورية واضحة، وبدون قادة محركين ومقنعين، وبدون تنظيم سياسي، عاشت أجيال من سكان الأكواخ، وماتت في البؤس، وحرثت أجيال من الفلاحين الأرض، ولم يندلع سوى عدد قليل من الثورات الحقيقية.

ماذا تغير في أمريكا اللاتينية في القرن العشرين؟

أولاً، لقد أضحى الفقراء أشد فقراً، وأكثر عدداً وأكثر يأساً. وحدثت زيادة في السكان لا مثيل لها، وكانت في الحقيقة انفجاراً سكانياً، أدى إلى تناقص الدخل الفردي وإمكانات السكن، ونقصان السلع الاستهلاكية، وفرص العمل، وماء الشرب. ففي فنزويلا مثلاً، وصلت الزيادة في السكان خلال ١٠ سنوات، إلى مليون ونصف من البشر، أي بمعدل ٣٠%. وفي البرازيل ارتفع عدد السكان في الفترة (١٩٤٥-١٩٥٥) من ٢٥ مليوناً إلى سبعين مليوناً، ثم وصل في العام ١٩٦٣، إلى ٧٥ مليوناً، أي أن الزيادة وصلت إلى ٤٤% خلال ١٨ عاماً. ومن العام ١٩٥١ إلى العام ١٩٦١، ازداد عدد سكان جمهوريات أمريكا اللاتينية العشرين، من ١٦٣ مليوناً إلى ٢٠٦ ملايين نسمة تقريباً، أي بمعدل أربعة ملايين كل سنة، ومن المقدر أن يصل عدد السكان إلى ٢٦٥ مليوناً في العام ١٩٧٠[١٨].

أما التوسع الاقتصادي، فلقد بقي متخلفاً جداً، إذ ازداد الانتاج العام سنة ١٩٦٠، بمقدار ٠.٣% فقط، ونقص الانتاج الزراعي بنسبة ٢%، بينما ازداد عدد السكان بمقدار ٢.٨%.

وتغنينا هذه الأرقام عن التعليقات. ففي أمريكا اللاتينية، وفي كل يوم، هناك أفواه جائعة أكثر، لا بد من إطعامها بكمية من الغذاء أقل نسبياً. ومع ذلك، وهذا هو الغريب في الأمر، فإن طلبات الناس تزداد بدلاً من أن تنقص.

ويرجع ذلك إلى أن الفقراء قد ازدادوا فقراً، إلا أنهم ازدادوا وعياً، بالثروات التي تحيط بهم وبالامكانات التي يمكنهم اقتسامها.

وفي نفس الوقت الذي حصل فيه الانفجار السكاني، حدثت ثورة في وسائل الاتصال، ونتج عن ذلك ما سُمي (بثورة الآمال المتزايدة). ففي ريو دي جانيرو انتصبت غابة من هوائيات التلفزيون فوق الأكواخ. صحيح أن سكان الجحور بائسون، لكن ذلك لم يمنعهم من رؤية التطورات الصناعية الهامة التي تحيط بهم،

[١٨] **وصل عدد سكان أمريكا اللاتينية في العام ١٩٧٠ بالفعل إلى ٢٦٦ مليون نسمة، ثم ارتفع في العام ١٩٧٩ إلى ٣٢٣ مليوناً. (المعرّب).**

أو من سماع الوعود التي تمنحها لهم البرامج المعدّة باسمهم. ولقد بدأوا يفقدون صبرهم، لأن هذه الوعود لا تتحقق.

ففي معسكرات العاملين في الجزء الشمال الشرقي من البرازيل، تحدثهم الإذاعة عن الثورة الكوبية، وعن المعارك في فيتنام الجنوبية، وعن أعمال الشغب في بناما وهارلم. والعاملون في المزارع الكبرى فقراء، لكنهم لا يجهلون ما يمكن لرجال مثلهم أن يفعلوا، وما يمكن أن يحققوا من نتائج.

ولا يخلق ذلك الوعي طبقة ثورية، بل قاعدة ثورية. والتقدم الاقتصادي — وإن كان محدوداً — يشكل في حد ذاته قوة ثورية. والتثقيف الشعبي الذي ينتشر ببطء، يحفز الطموح والتنافس الاجتماعيين. كما أن التجارة والصناعة، حتى لو كانتا على نطاق محدود، فإنهما تسببان حركة اجتماعية. ويناصل أغنياء جدد، إلى جانب النخبة القديمة، من أجل الوصول إلى السلطة. وتتشكل طبقة وسطى. ويظهر القادة الثوريون قبل كل شيء، بين موظفي المكاتب والمستخدمين المحتقرين من الطبقة الوسطى والنخبة معاً. وبما أنهم غير قادرين على الانضمام إلى قضيتهما، أو الطموح إلى ميزاتها، فإنهم يتبعون الطريقة الوحيدة المفتوحة أمام طموحهم: المعارضة الاشتراكية، ويجعلون من أنفسهم مدافعين عن الفقراء والمحرومين.

وهكذا يخلق انتشار الفقر قاعدة ثورية، ويقدم التطور القادة ودوافع العمل، وتبرز من جراء ذلك، منظمات سياسية، وتمدها الظروف الاجتماعية بالشعارات. ونظراً لوجودالقهر الاجتماعي والاقتصادي الذي يسود أمريكا اللاتينية، فإننا لن نفاجأ عندما نلاحظ بأن القاعدة الايديولوجية (الفكرية) لمعظم حركات المعارضة هي ماركسية وقومية في الوقت ذاته، ومعادية للولايات المتحدة.

ونظراً لما للولايات المتحدة من استثمارات، ولسيطرتها على الصناعات الحيوية — من حيث سعر المبيع للمواد الأولية وسعر شراء المنتجات المصنعة — ولتدخلاتها المتعددة في السياسة الأمريكية اللاتينية، فإنها تلعب دور (القبيح).

وبالإضافة إلى ذلك، فقد كشفت واشنطن بوضوح عداءها لحركات التحرر، منذ اندلاع الثورة الكوبية، عندما أعلنت عن نيتها بالتدخل عسكرياً إذا لزم الأمر، لمنع الشيوعيين من (استلام السلطة)، في نصف الكرة الغربي.

ويعرف الأمريكيون اللاتينيون جيداً، بأن كل تغير قادر على الإساءة إلى المصالح الاقتصادية والهيمنة السياسية الأمريكية، سيعتبر بمثابة استيلاء على السلطة، من قبل الشيوعيين — نظراً لأن تعابير الشيوعية، والاشتراكية، ومعاداة الامبريالية، متشابهة تقريباً في مفردات لغة الشمال الأمريكي — ولذلك يبدو واضحاً بأن الحرب قد أُعلنت.

ولقد حدثت المناوشات الأولى فعلاً. فحركات حرب العصابات موجودة، منذ زمن طويل في فنزويلا وغواتيمالا وكولومبيا، وهي تشتد حيناً وتضعف حيناً آخر. ولقد أُشير إلى عدة اضطرابات في بوليفيا والتشيلي والبيرو، وفي الأرجنتين، وستتلوها حوادث أخرى حتماً. فالمليونان من بطاقات الاقتراع، البيرونية، في الأرجنتين، خلال الانتخابات الرئاسية الأخيرة، لا يمكن اعتبارها بمثابة أصوات ثقة، في مراكز السلطة التي توجهها الولايات المتحدة أو في أوساط (الحلف من أجل التقدم)، وهو حلف طموح، ولكنه بطيء في أفعاله، رغم كل نواياه الحسنة.

إن القول: بأن أمريكا اللاتينية تقف اليوم على عتبة الثورة، قول فيه شيء من المبالغة. فلقد كان للحلف من أجل التقدم (رغم أخطائه) أثر نافع في بعض المناطق، كما أن التدخل الأمريكي، نجح مؤقتاً في منع البرازيل من الانزلاق، نحو اليسار. والشيوعيون الأمريكيون اللاتينيون منقسمون، مثل الأحزاب الشيوعية الوطنية في العالن الغربي. وقد كان من المتوقع، أن يقدم الشيوعيون قادة للحركات العمالية، والفلاحية، لكنهم مشلولون بسبب واقعهم المحافظ، وقصورهم، ودوغمانيتهم. ولقد تفاهموا في كثير من الحالات من الحكومات القائمة واكتفوا بالحد الأدنى من النشاط. أما التجاوب الذي حصل عليه الفيدليون في البداية، فلقد خبا تدريجياً لأن الثورة الكوبية لم تحقق كل وعودها. وكثير من الذين كانوا يتعاطفون مع فيديل كاسترو لأنه تحدى العملاق الأمريكي، ويتعاطفون مع المحن التي عانت منها الجزيرة المحاصرة، ابتعدوا عن كاسترو

بسبب تحالفه مع موسكو، ومساهمته في الحرب الباردة. وكانت أزمة الصواريخ في تشرين أول ١٩٦٢، بمثابة درس جيد في هذا المضمار. وقد خاب أمل الطبقة الوسطى في أمريكا اللاتينية، بعد أن رأت ما حلّ بالطبقة الوسطى في كوبا، بعد الانتصارات الأولى للثورة.

ومع هذا، فإن وجود قاعدة وخمائر ثورية في أمريكا اللاتينية حقيقة لا جدال حولها. فبذور الانتفاضة الشعبية منتشرة في كل الاتجاهات، ويستطيع الناس جميعاً أن يتعلموا تقنياتها. وقد لا تكون الثورة على نطاق واسع، وشيكة الوقوع، لكنه من الممكن القول بأن الولايات المتحدة، ستجد نفسها، خلال السنين العشرة القادمة، أمام معارضات جسيمة لاتجاهها السياسي، وأمام تهديدات لمصالحها الاقتصادية، وربما كذلك لأمنها في نصف الكرة الغربي... وفي مختلف أنحاء العالم الثالث. وقد تصبح أمريكا الوسطى فيتناماً أمريكية منذ الغد، كما قد تنقلب البرازيل إلى كونغو، وتتحول فنزويلا إلى جزائر، وتصبح جبال الأنديز (حسب تعبير فيديل كاسترو) (سييرا ماسترا) أكثر اتساعاً.

فكيف نمنع ذلك؟

ﬠ ﬠ ﬠ

إن حالة التخلف السائدة في المنطقة، ونسبة المواليد المرتفعة تجعلان المشاريع الاقتصادية، المماثلة لمشروع (الحلف من أجل التقدم) مجرد مسكنات، لا ترتقي إلى مستوى العلاج الجذري. ويشكل الإصلاح الزراعي الخطوة الأولى، ويأتي التصنيع بعده – وهو مستحيل بدون إيجاد الأسواق، ومحو الأمية، ووجود استثمارات ضخمة، وعلى نطاق واسع لم يُعرف من قبل.

وقبل التفكير في هذه الخطوات العملاقة، لا بد من تغيير سياسي جذري. فطالما أن الولايات المتحدة الأمريكية، متحالفة مع حكومات فاسدة ومستبدة ولا تمثل الشعب، وطالما أنا تدافع عن المصالح المستثمرة

في أمريكـا اللاتينيـة، وخاصـة المصـالح الأمريكيـة، فـإن المرجـل سيبقى مغلقـاً، وسيزداد الضـغط الثـوري في داخله، حتى يحدث الانفجار المحتوم.

إن من الممكن حقاً، دعم حكمات ديكتاتورية بالمساعدة الاقتصادية والعسكرية، كما يمكن الحصول على التعاون رالرشوة والإكراه الاقتصادي، وخنق الحركات الثورية في المهد (وتلك هي اللحظة المناسبة للقضاء عليها)، لكن الظروف تبقى على حالها، وستولد حركات أخرى بالتأكيد.

من هنا نرى، أن من الضروري التصدي لمشكلة العلاقات مع أمريكا اللاتينية، من زاوية جديدة كلياً.

ولكي نبدأ في ذلك، ينبغي التخلي عما يسمى بالعون العسكري – تلك الرشوة المعطاة باسم الدفاع عن نصف الكرة، لاكتساب ود الأوليغارشيه الحاكمة، التي لا تحتاج للدبابات أو الطائرات إلا من أجل تخويف الشعوب، التي تدّعي تمثيلها.

أما الخطوة الثانية – وهي منطقية أيضاً، لكنها شديدة الصعوبة، بسبب الحقائق الداخلية في الولايات المتحدة – فتتمثل بإعلان نظام جديد للتعامل الاقتصادي مع أمريكا اللاتينية، يضع حداً للعلاقات التجارية المخادعة، والأحلاف التجارية وحيدة الجانب، والابتزاز الاقتصادي، التي يستخدمها صناعيو أمريكا الشمالية، من أجل السيطرة على الأسواق والمستهلكين في أمريكا اللاتينية.

أما الخطوة الثالثة، وهي الأكثر راديكالية وصعوبة، فتتمثل في (احتضان الثورة).

إن من المتعذر إلغاء الثورة، ولكن بالإمكان توجيهها، وليس من الخطأ العمل على توجيهها في منحى يجعل أضرارها قليلة ما أمكن.

من المتعارف عليه في أمريكا اللاتينية، أن أبناء الطبقة الوسطى وطبقة المستخدمين من (ذوي الياقات البيض) يمارسون القيادة الثورية أكثر من الحالات، توجيه حركة شعبية نحو طريق بورجوازية أو ليبرالية، تقوم على قاعدة من الاشتراكية المحدودة تقودها حكومة ترفع يافطة الاشتراكية، وتنفيس الضغط الثوري ببعض الإصلاحات الجذرية، التي يعتبر الإصلاح الزراعي أكثرها ضرورة وإلحاحاً.

فإذا لم يتحقق هذا الحل، يبقى الخيار محصوراً بين الاشتراكية الديمقراطية والماركسية – اللينينية بأشكالها المختلفة.

وعندما نتأمل التجربة الكوبية نجد بأنه منذ العام ١٩٥٨، لم تتخذ الولايات المتحدة في أية مرحلة اختيارات مستقلية خلاقة.

ففي العام ١٩٥٧، وطوال العام ١٩٥٨، كان بإمكان واشنطن خنق الثورة الكوبية بالتخلي صراحة عن باتيستا، وبتأييد، بل وبدعم الحركة الديمقراطية البورجوازية الليبرالية، التي كان يقودها فيديل كاسترو، ولو حدث ذلك، لاشتد ساعد العناصر الوطنية والليبرالية التي كانت تدعم كاسترو. وتناقص اعتبار المتطرفين المعادين للولايات المتحدة، وخاصة شيوعي (الحزب الاشتراكي الشعبي)، الذي لم يكن يتمتع آنذاك بشعبية مماثلة لشعبية (حركة ٢٦ تموز).

وكانت إمكانية الخيار موجودة في العام ١٩٥٩، وخلال جزء كبير من العام ١٩٦٠. إلا أنه كان من المتأخر جداً إجهاض الثورة. وكانت الإجراءات الأمريكية الإيجابية آنذاك تتطلب تضحية بمصالح مالية كبيرة، على اعتبار أن تطبيق الإصلاح الزراعي من قبل الفيديليين كان ضرورة جلية، وتنفيذاً لوعد لم يكن بالإمكان التخلي عنه. ولو أن واشنطن ساعدت ذلك العمل بدلاً من الوقوف في سبيله، لكان تصرفها دليلاً على الفطنة. وقد كان من الممكن أن يتم الاستيلاء على ممتلكات أمريكية أخرى. ولكن إضفاء الطابع الاشتراكي على الاقتصاد الكوبي، كان سيؤدي – في أسوأ الحالات – إلى خسارة مالية محدودة، بينما تبقى مصالح هامة أخرى سليمة، كالحفاظ على سوق كانت بالنسبة للأمريكيين آنذاك في المرتبة السادسة من حيث الأهمية والحفاظ على علاقات تجارية ومصرفية مجزية جداً، وبالإضافة إلى تموين بالسكر ثابت ومضمون، وأخيراً وبشكل خاص، الحفاظ في بحر الأنتيل على جار ودود، بدلاً من خلق قاعدة معادية للحرب الباردة.

إن الاندفاع في حملة الخنق الاقتصادي والديبلوماسي، لم يؤد إلى الانقطاع عن كوبا فحسب، بل أدى أيضاً إلى دفعها في الاتجاه الوحيد الذي بقي أمامها، وهو اتجاه الارتباط المباشر الوثيق بالاتحاد السوفياتي.

وقد يقال بأن كاسترو وأنصاره كانوا يرغبون في السير على هذا الاتجاه، لكن ذلك لا يغير شيئاً من الحقيقة القائلة بأنه كان بالإمكان تغيير مسار الأمور، وكل الاعتبارات الجغرافية والاقتصادية تقود بالضرورة إلى هذه النتيجة.

فغداً، أو في السنة القادمة أو في السنة التي تليها، قد تتواجد خيارات مماثلة (وهي تبدو في الأفق منذ الآن) — في بلاد نصف الكرة التي تعتبرها الولايات المتحدة وكأنها لها. ومن المؤكد أن الثورة لن تقتصر على بلد واحد أو بضعة بلدان، فهي في طور المخاض في كل بلدان العالم الثالث النامي، وكل شيء يتحرك في الاتجاه ذاته، بسبب الضغوط الاقتصادية والاجتماعية وتحت تأثير الضرورة السياسية.

فإما أن تلجأ الولايات المتحدة إلى التفاهم الضروري مع قوى الثورة، وإما أن تخاطر في النهاية بتدمير نفسها. ولا يعني التفاهم الضروري مع قوى الثورة، وإما أن تخاطر في النهاية بتدمير نفسها. ولا يعني التفاهم قبول المحتوم فحسب، بل يعني أيضاً مشاركته وذلك يتضمن:

- إعلان حرب ديبلوماسية واقتصادية على الاوليغارشيات الأمريكية اللاتينية (الزمر العسكرية الحاكمة في أمريكا اللاتينية)، كالحرب التي أعلنها على كوبا، وقطع الصلات مع الاوليغرشيات التي تقاوم ذلك أو تقوم بالرد عليه.

- تقديم مساعدة فعالة إلى المجموعات الثورية — المختارة بشكل مناسب — بالأسلحة والأموال والمستشارين انطلاقاً من المبدأ القائل، أنه إذا كان برنامجنا الحالي الخاص بتقديم الدعم العسكري للديكتاتوريات، قيامنا بإسقاط الأسلحة بالمظلات في الاسكامبري، وإنزالنا في خليج الخنازير، عبارة عن أعمال تنسجم مع القانون الدولي، أو تشكل خرقاً مبرراً له، فإن بالإمكان تبريرها بشكل أفضل، عندما تتم الخدمة قضية أفضل.

- أن نعلن بصراحة تأييدنا للثورة، حتى نسحب البساط من تحت أقدام موسكو وبكين، ونقدم للعالم الثالث الوليد خياراً آخر غير نظام الماركسية — اللينينية، وغير الامبريالية الغربية (التي تدعى قيادة العالم الحر).

ولا يزال هذا التوجه قابلاً للتطبيق بالنسبة إلى كوبا وحتى الآن. إننا نساعد تيتو، فلماذا لا نساعد كاسترو؟ وقد يبدو في ذلك تناقض لا بد من السعي إلى تبديده. من المؤكد أنه لم يكن لدى تيتو قواعد للصواريخ الذرية، لكنه لم يتعرض مطلقاً للاجتياح، ولم يكن بالتالي بحاجة إليها.

قد يكون بالإمكان ترك كاسترو وشأنه، على اعتبار أن كوبا المعزولة هي منزوعة السلاح. ولكن كوبا شيء وأمريكا اللاتينية شيء آخر. إنها قارة أكبر مساحة من قارتنا وأكثر سكاناً. وسيؤدي تخمرها عند استمراره إلى انجارات كاسحة.

إن التصدي للثورة في نصف الكرة الغربي يعني التورط في حرب طويلة الأمد، وغير مجدية، ولا يمكن كسبها. وهو يعني اختيار أعمال الشغب، والاضرابات، وأعمال التخريب، والانتفاضات الدامية، والفوضى السياسية والاقتصادية على نطاق لم يسبق له مثيل، والتي ستبلغ أوجها حتماً بمجموعة من حروب العصابات، تمتد من المكسيك إلى الأرجنتين، وتتطلب مواجهتها زج إعداد أكبر فأكبر من الجنود الأمريكيين، في هجمات عديمة الأهداف، ومعارك بلا انتصارات، وتضحيات بلا مقابل، تنتهي في آخر المطاف بهزيمة باهظة التكاليف.

إن مصالحة الثورة تعني التخلي عن الجزء الأعظم من العشرين مليار دولار المستثمرة في أمريكا اللاتينية — ذلك هو المتوقع. كما أنها تعني التضحية بكثير من المميزات التي نحصل عليها، بفضل الاتفاقيات التجارية المخادعة، واليد العاملة المحلية التي يقوم عليها جزء كبير من رخائنا.

بيد أن بالإمكان اعتبار الخسارة المحتملة وكأنها نوع آخر من الاستثمارات، تعوض العشرين مليار دولار المخصصة لصالح (الحلف من أجل التقدم). وعلى المدى الطويل، تصبح المكاسب أعظم بكثير من أية كمية من الدولارات. وهي تتضمن قبل كل شيء الاحتفاظ بمدخل مضمون للمواد الأولية التي تعتمد عليها الصناعة الأمريكية بشكل كامل.

أما التجارة القائمة على قاعدة أكثر إنصافاً فإنها ستكون مضمونة، وسترافقها أمكانية توسيع الأسواق لمنتجاتنا المصنعة والزراعية، نظراً لارتفاع الأجور، وازدياد استهلاك الملايين من البشر المتحررين من العبودية والواصلين فعلاً إلى القرن العشرين..

إن كل هذا سيوفر عنصر الأمن الذي يبدو أنه يشغل بال صانعي سياستنا، فمن غير المعقول أن ترغب الولايات المتحدة في العيش داخل قارة مجزأة، يكُنُّ لها نصف سكانها العداء. إن الأمن الوحيد المحتمل يكمن في رخاء متبادل حقيقي، يقوم بالضرورة على عدالة اجتماعية، تكون الثورة في أمريكا اللاتينية.

إن أمامنا سبيلين: التقدم والرخاء والأمن من جهة، والكارثة الأكيدة من جهة أخرى. وليس لحرب العصابات سوى منفذ واحد هو الثورة، وليس لها سوى علاج واحد هو السلام. وقد يقول البعض أنه استسلام. وحتى لو صح ذلك، فإنه سيكون استسلام القوة أمام العقل. وهو استسلام قائم على الاعتراف بحقيقة راسخة، هي أنه لا يمكن استعباد أي شعب، إذا كان يعارض ذلك.

انتهى.

الفهرس